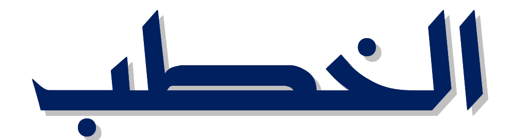
# موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي




# الخطب الإذاعية

الخطبة الإذاعية (٠١) : خ١ - الطب في الإسلام ، خ٢ - تلقيح الأطفال.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٦-٠٩-١٢

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى :**

يا رب، اغفر ذنوبنا، واستر، واقبل، وتولَّ أمرنا، وفكَّ أسرنا، وأحسن خلاصنا، وبلغنا مما يرضيك آمالنا، واختم بالصالحات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يقول في الحديث القدسي :

**(( إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليَّ ، أتحبب إليهم بنعمي، وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إليَّ بالمعاصي، وهم أفقر شيء إليَّ، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها ))**

[ رواه البيهقي والحاكم عن معاذ ، والديلمي وابن عساكر عن أبي الدرداء ، وإسناده ضعيف]

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ..

* سيدي يا رسول الله، يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ.

* يا من قدست الوجود كلَّه، ورَعَيْت قضية الإنسان.

* يا من زكيت سيادة العقل، ونهنهت غريزة القطيع.

* يا من هيَّأك تفوُّقك لتكون واحداً فوق الجميع، فعشت واحداً بين الجميع.

* يا من أعطيت القدوة، وضربت المثل، وعبَّدت الطريق.

* يا من كانت الرحمة مهجتك، والعدل شريعتك، والحب فطرتك والسمو حرفتك، ومشكلات الناس عبادتك.

* يا من وصفت نفسك فقلت: المعرفة رأسمالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وجعلت قرة عيني في الصلاة .

* سيدي يا رسول الله، أشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وكشفت الغمة، ومحوت الظلمة، وجاهدت في الله حق الجهاد، وهديت العباد إلى سبيل الرشاد.

اللهم صلي وسلم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الهداة المهديين، الذين وصفهم معلم البشرية، فقال:

**((علماء حكماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء ))**

[ ذكره الغزالي في الإحياء ]

## مقدمة :

عباد الله ... أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

## ١ ـ الإسلام دين الفطرة :

الإسلام دين الفطرة، يحرص في تعاليمه على صحة الجسد، وطهر النفس، ويوازن بين المادة والروح، والحاجات والقيم، ويهدف إلى إصلاح الدنيا، وإصلاح الآخرة، لأن الأولى مَطِية الثانية. والإسلام يجعل من المسلم إنساناً متميزاً، يرى مالا يراه الآخرون، ويشعر بما لا يشعرون، يتمتع بوعي عميق، وإدراك دقيق، له قلب كبير، وعزم متين، وإرادة صلبة، وهدفه أكبر من حاجاته، ورسالته أسمى من رغباته، يملك نفسه، ولا تملكه، ويقود هواه، ولا ينقاد له، وتحكمه القيم، ويحتكم إليها، من دون أن يسخِّرها، أو يسخَر منها، سما حتى اشرأبت إليه الأعناق، وصفا حتى مالت إليه النفوس.

## ٢ ـ الخروج عن الإسلام خروجٌ عن الفطرة :

أما حينما ينقطع الإنسان عن ربه، وينقاد إلى هوى نفسه، أو حينما ينقاد الإنسان إلى هوى نفسه فينقطع عن ربه، فعندئذ تفسد علاقته بعقله، فيعطله، أو يرفض نموَّه وتطوره، أو يسيء إعماله، فيسخره لأغراض رخيصة دنيئة، عندها يكون الجهل والتجهيل، والكذب والتزوير، وتفسد علاقته بنفسه، فتَسفُل أهدافه، وتنحط ميوله، ويبيح لنفسه أكثر الوسائل قذارة لأشد الأهداف انحطاطاً، عندها تكون أزمة الأخلاق المدمرة، التي تسبب الشقاء الإنساني،

## الصحة :

وتفسد علاقة الإنسان بأخيه فتكون الغلبة لصاحب القوة لا لصاحب الحق، وعندها تعيش الأمة أزمة حضارية، تعيق تقدمها، وتقوِّض دعائمها.
هل يُعقل أن تكون شخصية المؤمن الفذة التي تجمع بين رجاحة العقل وسمو النفس؟ هل يُعقل أن تكون هذه الشخصية مركبة في جسد عليل سقيم؟ كلا !!

### ١ ـ صحة الجسد سلامة للنفس وسموٌّ بها :

إن صحة الجسد مرتكز لسلامة النفس وسموِّها، ومنطلق لصحة العقل وتفوقه، فالله سبحانه وتعالى جعل صحة الجسد وقوته ورجاحة العقل، واستنارته علة الاصطفاء، فقال تعالى:

**( وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ )**

[ سورة البقرة ]

### ٢ ـ الصحة قوة :

وقد بين لنا المولى جل وعلا أن القوة والأمانة، وبلغة العصر الكفاءة والإخلاص هما المقياسان الصحيحان اللذان نقيس بهما الأشخاص حينما نقلدهم بعض الأعمال، قال تعالى:

**( قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ )**

[ سورة القصص : الآية ٢٦ ]

والنبي صلوات الله وسلامه عليه ذكر أن :

**(( ... المُؤمِنُ القويُ خَيرٌ مِنَ المُؤمِنِ الضعِيفِ ...))**

[ أخرجه مسلم عن أبي هريرة ]

ولم يقل: الإنسان القوي، لأن القوة من غير إيمان مدمرة لصاحبها وللمجتمع، ولكن القوة إذا أضيفت إلى الإيمان فإنها تصنع المعجزات الخيرات، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ))**

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة ]

بل إن النبي عليه السلام جعل صحة الجسد ثلث الدنيا، فعَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ عَنْ أبيهِ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا ))**

[ أخرجه الترمذي ، وابن ماجة ]

والإمام علي كرَّم الله وجهه جعل من المرض مصيبة أشد من الفقر، وأهون من الكفر، وجعل من الصحة نعمة أفضل من الغنى، وأقلَّ من الإيمان، فقال: «ألا وإن من البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن، وأشد من مرض البدن مرض القلب، ألا وإن من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب».

## أنواع الطب:

الطب في الإسلام طب طبيعي، وطب نفسي، وطب وقائي، وطب علاجي ...

### ١ ـ الطب الطبيعي : «بذل الجهد صحة وسلامة»

فمن الطب الطبيعي أن شخصية المسلم مرتكزة على العطاء لا على الأخذ، ومرتكزة على بذل الجهد لا على استهلاك جهد الآخرين، ومرتكزة على العمل لا على الأمل، وعلى الإيثار لا على الأثرة، وعلى التضحية لا على الحرص، و على إنكار الذات لا على تأكيدها، وإن بذل الجهد في حد ذاته صحة، وأية صحة.

ففي بعض المؤتمرات الطبية التي عُقدت للبحث في أمراض القلب اتفق المؤتمرون على أن صحة القلب في بذل الجهد وراحة النفس، وأن طبيعة العصر الحديث تقتضي الكسل العضلي، والتوتر النفسي، وهما وراء تفاقم أمراض القلب في معظم البلدان المتقدمة تقدماً مادياً.

إن بذل الجهد في حد ذاته صحة للقلب والأوعية، وصحة للعضلات والأجهزة، وقد كان النبي صلوات الله عليه قدوة لنا في هذا المضمار فقد وجد في بعض الغزوات أن عدد الرواحل لا يكفي أصحابه، فأمر أن يتناوب كل ثلاثة على راحلة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ مِنَّا عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ عَلِيٌّ وَأَبُو لُبَابَةَ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا كَانَ عُقْبَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَا: ارْكَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى نَمْشِيَ عَنْكَ، فَيَقُولُ:

**(( مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي، وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُمَا ))**

[ أحمد في المسند عن ابن مسعود ]

مسوياً نفسه مع أصحابه، في بذل الجهد، ولما جاء دوره في المشي عَظُم على صاحبيه أن يركبا ويمشي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قمة المجتمع الإسلامي، فقالا:

**(( ارْكَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى نَمْشِيَ عَنْكَ ))**

فقال قولته الشهيرة:

**((مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي، وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُمَا ))**

وحينما كان النبي الكريم عليه أتم الصلاة والتسليم مع بعض أصحابه وأراد أن يذبحوا شاة ليأكلوها، فقال أحدهم:

**(( عليَّ ذبحها، وقال آخر: وعلي سلخها، وقال ثالث: وعلي طبخها، فقال عليه الصلاة والسلام: وعلي جمع الحطب، فقال أصحابه: يا رسول الله نحن نكفيك هذا ، فقال: قد علمت أنكم تكفونني إياه، ولكني أكره أن أتميز عليكم، ويكره الله أن يرى عبده متميزاً على أصحابه ))**

[ ورد في الأثر ]

إن بذل الجهد صحة للقلب والأوعية، وصحة للعضلات والأجهزة وصحة للحياة الاجتماعية، وتمتين لأواصرها، وإن بذل الجهد فهم صحيح لحقيقة الحياة الدنيا، التي هي دار تكليف، بينما الآخرة دار تشريف.

هذا بعض ما في الطب الطبيعي .

## ٢ـ الطب النفسي :

### آ ـ الأمراض العضوية سببها الأزمات النفسية :

أما عن الطب النفسي، فيا أيها الإخوة المؤمنون، إن أمراضاً كثيرة جداً بعضها عضال، وبعضها مميت كأمراض القلب والشرايين، وأمراض جهاز الهضم، والكليتين، والأمراض النفسية والعصبية إنما ترجع أسبابها الرئيسية إلى أزمات نفسية يعاني منها إنسان الشرك في العصر الحديث، فمن أشرك بالله قذف الله في قلبه الرعب، قال تعالى:

**(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ)**

[ سورة آل عمران ]

فتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها، وأنت من خوف الفقر في فقر، وأنت من خوف المرض في مرض، قال تعالى:

**(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ )**

[ سورة المعارج ]

ويرى بعض الأطباء أن ضغط الدم ما هو في حقيقته إلا ضغط الهم، وأن الإنسان إذا غفل عن حقائق التوحيد، وسقط في هوة الشرك، فقد فتحت عليه أبواب من العذاب النفسي، قال تعالى:

**(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)**

[ سورة الشعراء ]

## ب ـ لابد من الإيمان الذي يملأ النفس بالأمن :

فالإيمان بالله خالقاً، ومربياً، ومسيراً.

وأنه :

**(وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ)**

[ سورة الزخرف : من الآية ٨٤]

وأنه :

**(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)**

[ سورة هود : من الآية ١٢٣ ]

وأنه :

**(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)**

[ سورة الزمر]

وهو :

**(لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ)**

[ سورة الرعد : من الآية ٤١]

وأنه :

**(وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)**

[سورة الكهف]

وأنه :

(يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ)

[سورة غافر : من الآية ٢٠ ]

( مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ )

[ سورة هود : من الآية ٥٦ ]

( مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ )

[ سورة فاطر ]

وأنه :

(لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

[ سورة الرعد : من الآية ١١]

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

[ سورة النحل : من الآية ٩٧ ]

وأنه :

( أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ )

[سورة الجاثية ]

وأنه :

لن يكون مَن :

( وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ )

[سورة القصص ]

وأن :

( الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ )

[سورة فصلت ]

ومن شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين.

وإذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان الله عليك فمن معك؟

هذا الإيمان يملأ النفس شعوراً بالأمن الذي هو أثمن وأسعد ما في الحياة النفسية، ويدفع عنها القلق الذي يدمرها، والذي يجعل الحياة النفسية جحيماً لا يطاق، قال تعالى:

( وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

[ سورة الأنعام ]

فإذا كانت السلامة تعني عدم وقوع المصيبة، فإن الأمن يعني عدم توقع المصيبة، قال تعالى:

( قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ )

[ سورة التوبة ]

إن الله يعطي الصحة، والمال، والذكاء، والجمال للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين.

هذا الإيمان يملأ النفس طمأنينة إلى عدالة الله سبحانه وتعالى، فبيده مقاليد الأمور كلها.

وأنه:

( إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً )

[يونس سورة: من الآية ٤٤ ]

والله سبحانه وتعالى يدافع عن الذين آمنوا، وينجيهم من كل كرب، وينصرهم على عدوهم. هذا الإيمان يملأ النفس شعوراً بالنجاح، والفلاح، والتفوق، والفوز برضاء الله الذي يعد أثمن نجاح يحققه الإنسان على وجه الأرض.

« ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء » .

هذا الإيمان يملأ النفس راحة، وتسليماً وتفويضاً، وتوكلاً ورضاً بقضاء الله الذي لا يقضي لعبده المؤمن إلا بالحق والخير، قال عليه الصلاة والسلام:

**(( الإيمان بالقدَر يذهب الهم والحزن ))**

[ ورد في الأثر ]

وقال تعالى في الحديث القدسي:

**(( ما من مخلوق يعتصم بي من دون خلقي، أعرف ذلك من نيته فتكيده أهل السماوات والأرض، إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً، وما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته، إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه، وقطعت أسباب السماء بين يديه ))**

[ ورد في الأثر ]

### ج ـ الصحة النفسية أساس صحة الجسد :

هذه المشاعر تحقق سعادة نفسية، وسعادة لا يعرفها إلا من ذاقها فالصحة النفسية أساس صحة الجسد، قال بعض الأطباء: « إن الرحمة النفسية كافية لإعادة ضربات القلب السريعة إلى اعتدالها، وضغط الدم المرتفع إلى مستواه الطبيعي »

فالإيمان بالله صحة نفسية، وهي أساس صحة الجسد.

## ٣ ـ الطب الوقائي :

### آ ـ الطب الوقائي سيد الطب البشري :

الطب الوقائي في الإسلام ينطلق من أن إزالة أسباب المرض أجدى وأهون من إزالة أعراضه، وأن المرض، وإن زالت أعراضه بالدواء فإن لها آثاراً جانبية في وقت لاحق، تظهر على شكل أمراض قلبية ووعائية وكلوية من دون سبب مباشر.

ويعد الطب الوقائي سيد الطب البشري كلّه، لأن قوة الأمة تتجلى في قوة أفرادها، وإن دخلها يقاس بدخلهم، وإن الأمة التي تنزل بساحتها الأمراض، أو تستوطنها الأوبئة تتعرض لخسران كبير.

### ب ـ الطب الوقائي حفاظ على الصحة والوقت والمال والجهد :

سواءٌ في هذه القوى البشرية المريضة المعطلة التي كان من الممكن أن تسهم جهودها في زيادة الدخل القومي، أو في هذه الأموال الطائلة التي تنفق في معالجة هذه الأمراض، والتي كان من الممكن أن تنفق في بناء الوطن فتسهم في منعته، ورفعته.

ويضاف إلى هذا أن ثمن معظم الدواء يستهلك نقداً أجنبياً صعباً نحن في أشد الحاجة إليه، لتنفيذ المشروعات الإنتاجية التي تعود بالنفع العام على الأمة.

وإن معالجة مريض السِّل تستمر وسطياً سنة ونصف سنة، وتكلف المريض والدولة أموالاً وإمكانات كبيرة إضافة إلى ما يعانيه المريض من العذاب والقلق، بينما لا تحتاج الوقاية من هذا المرض إلا إلى لقاح يكلف بضعة قروش.

## ج ـ النظافة من أهم وسائل الطب الوقائي :

والنظافة من الطب الوقائي، فالإسلام يأمر بالنظافة، فهي تقي من انتقال كثير من الأمراض المعدية التي تنتقل بتلوث الأيدي كالكوليرا والزحا، والالتهاب المعوي.

والنظافة تنشط الدورة الدموية بتنبيه الأعصاب، وتدليك الأعضاء، وتحفظ وظائف الجلد أن تتعطل، فضلاً عن أثر النظافة في بناء الشخصية، وفي العلاقات الاجتماعية.

الله سبحانه وتعالى حثنا عليها، وجعلها سبباً لمحبته، فقال تعالى:

**( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ )**

( سورة البقرة )

## مستويات الطهارة:

وقد فهم الإمام الغزالي هذه الآية على أربع مستويات:

الأول: تطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث.

الثاني: تطهير الجوارح عن المعاصي والآثام.

الثالث: تطهير النفس عن الأخلاق الذميمة والرذائل الممقوتة.

الرابع: تطهير النفس عما سوى الله.

وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بغسل اليدين قبل الطعام، فعَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ بَرَكَةَ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ بَعْدَهُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ ))**

[ أخرجه الترمذي ، وأخرجه الإمام أحمد والحاكم عن سلمان ، وفي سنده ضعف]

## د ـ الإسلام يأمر بالنظافة :

ولا يخفى أن وضوء الطعام هو غسل اليدين والفم.

وقد جعل النبي عليه الصلاة والسلام غسل الجمعة واجباً دينياً، ولو كان مُد الماء بدينار، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( حَقٌّ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ ))**

[ البخاري ]

ولا أدلُّ على أهمية النظافة في الإسلام من أنه جعلها شرطاً لأول عبادة فيه، وهي الصلاة، فقال تعالى:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ )

[ سورة المائدة ]

وقد تفضل الله علينا بالماء الطهور، أي الطاهر المطهر لنتطهر به، فقال تعالى:

( وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً )

[ سورة الفرقان ]

وقال أيضاً :

(إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ )

[ سورة الأنفال ]

اللهم أرنا نعمك بدوامها لا بزوالها .

## هـ ـ الصلاة وعلاقتها بالطب الوقائي :

والصلاة بحركاتها من قيام وركوع وسجود واعتدال نوع من الطب الوقائي، فقد أكد علماء التربية الرياضية أن أحسن أنواع الرياضة ما كان يومياً، ومتكرراً، وموزعاً على كل أوقات اليوم، وغير مجهد، ويستطيع أن يؤديها كل إنسان من كل جنس، وفي كل عمر، وفي كل ظرف وبيئة، وهذا كله متوافر في الصلاة.

هذا وإن انخفاض الرأس في الركوع والسجود يسبب احتقان أوعية المخ بالدم، وعند رفع الرأس فجأة ينخفض الضغط في الأوعية، وتتكرر هذه العملية ست مرات في الركعة الواحدة، وما يزيد على مائتي مرة في اليوم، وستة آلاف مرة في الشهر، ومن انقباض الأوعية وانبساطها تزداد مرونتها، وتقوى جُدُرُها وعضلاتها، وهذا يبعد عنها خطر تصلبها أو انفجارها، ولاسيما حين ارتفاع الضغط.

والصلاة تحرك جميع عضلات الجسم القابضة والباسطة، وتحرك جميع المفاصل حتى الفقرية منها، وتنشط القلب والدورة الدموية، وتقوي جدر شرايين المخ، فتقاوم التصلب والتمزق، وإن أخطر جهاز في الإنسان دماغه، وإن حسن تأديته وظائفه منوط بحسن ترويته بالدم، وإن السجود يوفر له تروية مُثلى، هذا فضلاً عن الطمأنينة والسعادة التي يشعر بها المصلي.

هناك امرأة أنهكتها آلام الشقيقة.. فذهبت إلى بلد أوربي بغية المعالجة، فقال لها الطبيب هناك: هل أنت مسلمة؟ قالت: نعم، قال لها: أتصلين؟ قالت: لا، قال لها: صلِّ يذهب ما بك، فامتلأت غيظاً،

وسخرت من هذه الوصفة، وقالت: هل تجشمت مشاق السفر، وبذلت عشرات الآلاف ليكون الدواء هو الصلاة؟! عندئذ قال لها: إن أحد أسباب الشقيقة نقص في تروية المخ، بسبب عصبي، وإن الصلاة تحقق راحة نفسية تسهم في توسيع شرايين المخ.

## و ـ الاعتدال في الطعام والشراب وسائر المباحات من الطب الوقائي :

والاعتدال في الطعام والشراب وسائر المباحات من الطب الوقائي، قال تعالى:

**( يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ )**

[ سورة الأعراف ]

فنص الآية يأمر بالاعتدال في الطعام والشراب، لكن النهي عن الإسراف لم يقيد بالطعام والشراب، بل أطلق ليشمل كل شيء، والمطلق في القرآن على إطلاقه.

وقد بين النبي عليه الصلاة والسلام حدود هذا الاعتدال، فعَن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

**(( مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ ))**

[ أخرجه الترمذي ، وابن ماجة ]

قال أحدهم : « إن عُشر ما نأكله يكفي لبقائنا أحياء، وإن تسعة أعشار ما نأكله يكفي لبقاء الأطباء أحياءً ».

وقد بين المصطفى صلوات الله عليه أن لذة الطعام لا تُحصَّل باختيار أنفس الأطعمة وأطيبها ، ولكنها تُحصَّل بحالة تلابس الآكل ، ألا وهي الجوع فقال عليه الصلاة والسلام :

**(( نِعم الإدام الجوع ))**

[ ورد في الأثر ]

وقد كُتب على مدخل إحدى المستشفيات في بلدٍ أوربي متقدم بمقياس العصر:

« نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع ».

هذا أصل في الطب الوقائي، لأن الفائدة من الطعام لا تتحقق إلا بتمثله تمثلاً صحيحاً، ولا يكون الهضم والتمثل صحيحين إلا إذا انهمرت العصارات الهاضمة على الطعام انهماراً، وهذه لا تنهمر إلا في الجوع.

اجلس إلى طعام، وأنت تشتهيه، وارفع يدك عنه، وأنت تشتهيه، وقد بين النبي صلوات الله عليه أن في الطعام لذةً نتذوقها، وطاقة نستهلكها، وفضلات نطرحها فقال:

**(( الحمد لله الذي أذاقني لذته ، وأبقى فيَّ قوته ، وأذهب عني أذاه ))**

[ الجامع الصغير عن ابن عمر ، وفي سنده ضعف ]

فالاعتدال في الطعام والشراب وسائر المباحات أصل الطب والوقائي.

## ٤ ـ الطب العلاجي :

### أ ـ الطب العلاجي موافق :

وفي الإسلام طب علاجي... والطب العلاجي يعني تعاطي الدواء، والأخذ بأسباب الشفاء، والطب العلاجي موافق للعقل والشرع، فموافق للعقل، لأن في استعمال الدواء جلباً للمنافع، ودفعاً للمضار، وموافق للشرع لقول الله عز وجل:

**( وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ )**

[ سورة الشعراء ]

وقد بين النبي الكريم ما تنطوي عليه هذه الآية فقال :

عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

**(( مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا قَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ ))**

[ رواه الترمذي ، والنسائي وأحمد ، وأصله في صحيح البخاري ]

### ب ـ الشفاء مرهون بصحة تشخيص الداء ، وصحة اختيار الدواء :

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الشفاء من المرض يحتاج إلى شرطين اثنين، الأول: صحة تشخيص الداء، وصحة اختيار الدواء لهذا الداء، وهذا شرط لازم غير كاف، والثاني: إذنٌ من الله لهذا الدواء، أن يفعل فعله، فيزيل أسباب المرض وأعراضه، لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

**(( لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ))**

[ رواه مسلم عن جابر ]

**إن الطبيب له علم يدل به إن كان للناس في الآجال تأخيرُ**

**حتى إذا ما انقضت أيام رحلته حارَ الطبيب وخانته العقاقيرُ**

## ج ـ التداوي لا يتنـاقض مع الإيمان بـالقدر :

والتداوي لا يتناقض مع الإيمان بالقدر، ولا يتناقض مع التوكل، فقد روى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

**(( فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ، وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ، وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ، فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ، فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (( إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ ))قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ، ثُمَّ انْصَرَفَ ))**

[ البخاري ]

ففرح عمر رضي الله عنه بذلك، وحمد الله تعالى إذ وفق إلى الصواب.

وقد قال الفقهاء: « إن استعمال الدواء المقطوع بفائدته بإخبار الأطباء لعلاج مرض يقعد المريض عن القيام بواجباته تجاه الله وتجاه الناس، أو مرض يودي بحياته أو بعضوٍ من أعضائه، واجب ديني يرقى إلى مستوى الفرض ».

وهنا محل الإشارة، إلى أن الطب في الإسلام اختصاص، وفي الحديث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ - أي معرفة بالطب - قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ ))**

أي مسؤول .

[ رواه النسائي ، وأبو داود ، وابن ماجه ]

أيها الإخوة المؤمنون: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا.

**كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمولُ**

**فإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمولُ**

**الخطبة الثانية :**

الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

**( قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ )**

[ سورة يونس ]

## حقائق مهمة لبيان أهمية تلقيح الأطفال:

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ، وسلم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أيها الإخوة في هذا القطر العربي السوري، تجسيداً لهذه الحقائق، وتنفيذاً لتلك المبادئ التي جاء بها الإسلام، وانطلاقاً من أن العناية بالصحة واجب ديني في الدرجة الأولى، وأن من العناية بالصحة التحصين ضد الأمراض السارية التي تفتك بالأطفال فلذات الأكباد، ولا سيما من كان منهم دون الخامسة، فقد قامت وزارة الصحة مشكورة بتوجيه من السيد رئيس الجمهورية بحملة تلقيح وطنية شاملة، لجميع أطفال القطر، ممن هم دون الخامسة ضد الحصبة، والشلل، والسِّل، والدفتريا، والسعال الديكي، والكزاز، بغية الوصل إلى نوع من الحصانة الجماعية،

## حملة صحية لتلقيح الأطفال :

وكذلك أعدت وزارة الأوقاف بالتعاون مع وزارة الصحة حملة توجيهية دينية، فحواها أن الوعي الصحي جزء من الوعي الديني، وأن في الإسلام توجيهات صحية لو طبقها المسلم لعاش حياة طيبة، ولا استراح وأراح، وقد خصصت وزارة الأوقاف بعض مراكز العبادة والمدارس الشرعية لتكون مراكز للتلقيح.

ولكي يعرف المواطنون حجم المشكلة الصحية الناتجة عن تقاعسهم عن تلقيح أبنائهم، ولكي يسارعوا ويستجيبوا لنداءات التلقيح الوطنية أضع بين أيديهم الحقائق التالية:

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٠٢) : خ١ - الرحمة ، خ٢ - الشمس.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٦-١١-١٤

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

الحمد لله رب العالمين، يا رب كيف نفتقر في غناك؟! وكيف نضل في هداك؟! وكيف نذل في عزك؟! وكيف نذان في سلطانك؟! وكيف نخشى غيرك؟! والأمر كله لك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يقول في الحديث القدسي:

**(( عبدي، خلقت السماوات والأرض ولم أعيَ بخلقهن، أفيعييني رغيف أسوقه لك كل حين؟ لي عليك فريضة ولك علي رزق، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك، وعزتي وجلالي، إن لم ترض بما قسمته لك فلأسلطنَّ عليك الدنيا، تركض فيها ركض الوحش في ، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً ))**

[ ورد في الأثر ]

**(( عبدي، أنت تريد، وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد ))**

[ ورد في الأثر ]

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، طب القلوب ودواؤها، وعافية الأبدان وشفاؤها، ونور الأبصار وضياؤها، قال صلى الله عليه وسلم في إحدى خطبه:

**(( إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي ))**

[ كنز العمال عن ابن عمر ]

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، الهداة المهديين وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، يقول الإمام علي كرم الله وجهه: « قوام الدين والدنيا أربعة رجال، عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا ضيع العالم علمه، استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بماله، باع الفقير آخرته بدنيا غيره ».

عباد الله ، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته ، وأستفتح بالذي هو خير.

## مقدمة: بين يدي موضوع الرحمة:

### ١ الناس رجلان فقط:

أيها الإخوة، الناس رجلان لا ثالث لهما، مؤمن تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، فمن عرف ربه، وصحت عقيدته انقاد كلياً لأوامره ونواهيه، عندها تنعقد الصلة بينه وبين خالقه، ومن خلال هذه الصلة، تطهر نفسه من أمراضها وأدرانها، وتصطبغ نفسه بالكمال الإنساني، الذي هو أساس سعادته في الدنيا والآخرة، فالصلاة نور، وطهور، وحبور، ومن زاغت عقيدته، ونسي خالقه، انقاد لهوى نفسه، فانقطع عن ربه، وعاش في ظلمات بعضها فوق بعض، وفي إساءات لنفسه ولمن حوله، هذه الإساءات تُعد أساساً لشقائه في الدنيا والآخرة، قال تعالى موضِّحاً المفارقة بين الرجلين:

**( أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ )**

[ سورة الجاثية ]

وقال تعالى :

**( أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ )**

[ سورة القصص ]

### ٢ الإيمان حق وضرورة مصيرية:

أيها الإخوة، الإيمان حق، وضرورة مصيرية، لأنه أساس الفضائل ولجام الرذائل، وقوام الضمائر، وسند العزائم في الشدائد، وبلسم الصبر عند المصائب، وعماد الرضى والقناعة بالحظوظ، ونور الأمل في الصدور، وسكن النفس إذا أوحشتها الحياة، وعزاء القلوب إذا نزل بها الموت، والعروة الوثقى بين الإنسانية ومُثُلها الكريمة.

ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن الإيمان ما وقر في القلب، وصدقه العمل، والإيمان معرفة بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان.

أما المؤمنون فكما وصفهم عليه الصلاة والسلام:

**(( المؤمنون بعضهم لبعض نصحة متوادُّون، ولو ابتعدت منازلهم، والمنافقون بعضهم لبعض غششة متحاسدون، ولو اقتربت منازلهم ))**

[ الترغيب والترهيب للمنذري، وفي إسناده مقال في صحته ]

قال الله تعالى:

**( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ )**

[ سورة الأنفال ]

## ٣ العلاقة بين المؤمنين أساسها الإحسانُ والمؤاثرةُ:

أيها الإخوة الأكارم، العلاقة بين المؤمنين أساسها الانضباط، والإحسان والمؤاثرة، والعلاقة بين المعرضين أساسها التفلت، والإساءة، والأثرة.

وهذا سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يصف مجتمع الجاهلية قبل الإسلام وما فيه من قسوة وكفران، ويصف مجتمع الإيمان وما فيه من رحمة وعرفان، قال جَعْفَرُ بْنُ أبي طَالِبٍ:

**(( أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيئُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ... فَصَدَّقْنَاهُ، وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا، فَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْ الْخَبَائِثِ ))**

[ أحمد في المسند ]

شتان بين الجاهلية والإسلام، وشتان بين الجهل والعرفان، شتان بين الوثنية والتوحيد، وشتان بين الانحراف والاستقامة، شتان بين الإساءة والإحسان، وبين الكفر والشكر، بين التفلت والانضباط، و بين الغي والرشد، بين البغي والعدل، وبين البهيمية والإنسانية، وبين الشقاء والسعادة، بين جنة يدوم نعيمها، و بين نار محرقة تلفح الوجوه، وتنضج الجلود، ولا ينفد عذابها.

## ولا تكونن من المشركين:

## الرحمة هي من آثار انعقاد الصلة بالله :

إخوة الإيمان، إن من آثار انعقاد الصلة بالله جل وعلا أن يفيض قلب المصلي ، والحنان، والعطف، والإحسان على من حوله من الأقارب والأباعد، فلا تُنزع الرحمة إلا من شقي مقطوع عن الله، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي، وإن قلب النبي صلى الله عليه وسلم يفيض رأفة ورحمة لا على الأقارب والأباعد، بل على الإنسانية جمعاء، قال الله تعالى:

**( لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ )**

[ سورة التوبة ]

## صورٌ من رحمة النبي عليه الصلاة والسلام:

يا إخوة الإيمان، وهذه صور من رحمته صلى الله عليه وسلم، تؤكد هذه الصور أن الإيمان بالله والاتصال به يطهر النفس من أدرانها، ويسمو بها إلى أعلى مراتب الكمال الإنساني:

## الصورة الأولى: مع أبناء جعفر بن أبي طالب:

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مصرع سيدنا جعفر بن أبي طالب وصاحبيه، في معركة مؤتة، وكان قد أبلى فيها بلاء حسناً، حزن عليه أشد الحزن، وانطلق بنفسه وهو قمة المجتمع الإسلامي إلى بيت جعفر ليخفف وقع المصاب على أهله وأولاده، فألفى زوجته تتأهب لاستقبال زوجها الغائب، فهي قد عجنت عجينها، وغسَّلت بنِّيها، ودهنتهم وألبستهم، قالت أسماء زوجة جعفر : فلما أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدت غلالة من الحزن توشح وجهه الكريم، فسَرَتِ المخاوف في نفسي، غير أني لم أشأ أن أسأله عن جعفر مخافة أن أسمع منه ما أكره، وقال : ائتني بأولاد جعفر، فدعوتهم له، فهبوا نحوه فرحين، مزغردين، وأخذوا يتزاحمون عليه، كلٌ يريد أن يستأثر به، فأكبَّ عليهم، وجعل يقبلهم، ويتشمَّمهم، وعيناه تذرفان من الدمع، فقالت زوجة جعفر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وصاحبيه شيء؟ قال : نعم، لقد استشهدوا هذا اليوم، عندئذ غاصت البسمة من وجوه الصغار لما سمعوا أمهم تجهش بالبكاء، وجمدوا في أماكنهم، كأن على رؤوسهم الطير، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يكفكف عبراته وهو يقول:

(( اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي وَلَدِهِ ))

[ أحمد ]

هذه الرحمة التي يفيض بها قلب المصلي ليست رحمة خاصة تقتصر على الأقارب والأصحاب، ولكنها رحمة عامة تشمل الأباعد، بل والأعداء، قال الله تعالى :

( وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ )

[ سورة فصلت ]

وقد قال عليه الصلاة والسلام :

(( أمرني ربي بتسع : خشية الله في السر والعلانية ، كلمة العدل في الغضب والرضى ، القصد في الفقر والغنى ، وأن أصل من قطعني ، وأعفو عمن ظلمني ، وأعطي من حرمني ، وأن يكون صمتي فكراً ونطقي ذكراً ، ونظري عبرةً ))

[ ورد في الأثر ]

## الصورة الثانية: مع ثمامة بن آثال:

أيها الإخوة الأكارم، هذه صورة أخرى من صور الرحمة التي فاض بها قلب النبي صلى الله عليه وسلم، والتي تمثلت بعفوه عن ثمامة بن آثال الحنفي.. فمن ثمامة؟ ثمامة بن آثال سيد من سادات بني حنيفة المعدودين، تلقى رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بالزراية والإعراض، وأخذته العزة بالإثم، فأصم أذنيه عن سماع دعوة الحق والخير، وقد ظفر بعدد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهم، وقتلهم شر قتله، وكانت سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم تجوس خلال الديار، وكان ثمامة في طريقه إلى مكة، فوقع في أسر هذه السرية، وهي لا تعرفه، وأتت به إلى المدينة، وشدَّته إلى سارية من سواري المسجد، منتظرة أن يقف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بنفسه على شأن هذا الأسير، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

(( مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ لَهُ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ : عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ، فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ

**وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ))**

[ متفق عليه ]

## الصورة الثالثة: مع الأنصار في حزنهم على الغنائم يوم حنين:

وهذه الرحمة التي يفيض بها قلب المصلي، والتي تمثلت بالحزن والبكاء تارةً، وبالعفو والصفح تارةً أخرى، هذه هي الرحمة نفسها تتمثل بهذا الموقف الذي وقفه النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار، يوم وجدوا عليه في أنفسهم، وقد أترع هذا الموقف وفاءً، ورقة، واعترافا بالجميل، وحكمة في تصريف الأمور، وتأليف القلوب، واستئصال الضغائن، وإشاعة المودة والمحبة، ما هذا الموقف؟

حين انتهى المسلمون من غزوة حنين، راح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوزع غنائمها على المسلمين، واهتم يومئذ اهتماماً خاصاً بالمؤلفة قلوبهم، وذوي الحاجة من المسلمين، أما أولو الإسلام المكين فقد وكلهم إلى إسلامهم، ولم يعطهم من غنائم هذه الغزوة شيئاً، وكان عطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفاً يحرص عليه جميع الناس، وقد تساءل الأنصار في مرارة: لِمَ لم يعطهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حظهم من الفيء والغنيمة، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:

**(( لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ يعني هل أنت مع قومك؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، قَالَ: فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ**

**قُلوبكُمْ؟ قالُوا: بَلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أمَنُّ وَأفْضَلُ، قالَ: ألَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟ قالُوا وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ، قالَ: أمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ، وَصُدِّقْتُمْ، أتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ، أوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، أفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، قالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقْنَا ))**

إخوة الإيمان أرأيتم كيف أن الإنسان إذا عرف ربه، واستقام على أمره، وأقبل عليه سعد بقربه، وصغرت الدنيا في عينيه، وانتقلت من قلبه إلى يديه، وحينما يتصل الإنسان بالله رب العالمين، مصدر الحق والخير والجمال، فإنه يهتدي قلبه، ويصلح عمله، وتسعد نفسه، وأنه حينما تنعقد الصلة بخالقه يفيض قلبه رحمة وحناناً، وعطفاً وإحساناً، وعفواً وتسامحاً ، ووفاءً ورقةً، ومودةً ومحبةً، قال الله تعالى:

**( فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى )**

[ سورة طه ]

وقال تعالى:

**( فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ )**

[ سورة البقرة ]

ما أحوجنا إلى اتباع الهدى، كي لا نحزن على ما كان، ولا نخشى ما سيكون، ولا تضل عقولنا في متاهات الوهم، ولا تشقى أنفسنا في وحول الشهوة وجفوة البعد.

أيها الإخوة، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، فالكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

**الخطبة الثانية:**

## كيف يعرف المرء ربه وهو لا يراه؟

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ ))**

[ الترمذي ]

وكل مخلوق يموت، ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت، والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر.

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمولُ

فإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمولُ

أيها الإخوة الكرام، كأني بأحد الحاضرين أو المستمعين، يسألني هذا السؤال، قلتَ في مطلع هذه الخطبة، إن الإنسان لا يسعد في دنياه وأخراه إلا إذا اتصل بربه وأقبل عليه، وقد بينت لنا صوراً من آثار انعقاد الصلة بالله، وقلتَ: إن هذه الصلة لا تكون إلا إذا استقامت جوارح الإنسان، وصلح عمله، وهذه الاستقامة الخالصة، وذاك العمل الصالح، لا يكونان إلا إذا عرف الإنسان ربه، وصحت عقيدته، أما السؤال، فكيف يعرف المرء ربه وهو لا يراه؟

وفي الجواب عن هذا السؤال أقول:

## الكون ينطق بعظمة الله:

أيها الإخوة، السماوات بمجراتها وكازاراتها، ونجومها وكواكبها، وبروجها ومذنباتها، وشموسها وأقمارها، والأرض بجبالها وسهولها، وبحارها وأنهارها، وأسماكها وأطيارها، ونباتاتها وأزهارها، وحيواناتها ومخلوقاتها، وليلها ونهارها، وشمسها وقمرها، والإنسان بخلقه، وطباعه، وبنيته وأعضائه وزوجته وأولاده، كلها آيات دالّة على الله، مشيرة إليه، وناطقة لكمالاته، مجسدة لأسمائه وصفاته، فالخلق يدل على الخالق، والصنعة تدل على الصانع، والنظام يدل على المنظم، والتسيير يدل على المسير، والأقدام تدل على المسير، والماء يدل على الغدير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدلان على الحكيم الخبير؟

**سل الواحة الخضراء والماء جاريا هذي الصحارى والجبال الرواسيا**

**سل الروض مزدانا سل الزهر والندى سل الليل والإصباح والطير شاديا**

**وسل هذه الأنسام والأرض والسما وسل كل شيء تسمع الحمد ساريا**

***

**الشمس والبدر من أنوار حكمته والبر والبحر فيض من عطاياه**

**فالطير سبحه والزرع قدسه والموج كبره والحوت ناجاه**

**والنمل تحت الصخور الصم مجده  والنحل يهتف حمدا في خلاياه**

**رب السماء ورب الأرض قد  خضعت إنس وجن وأملاك لعلياه**

**الناس يعصونه جهراً فيسترهم  والعبد ينسى وربي ليس ينساه**

***

أيها الإخوة، قال تعالى:

**( قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ * فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً )**

[ سورة عبس ]

وقال تعالى:

**( قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ )**

[ سورة يونس ]

## الشمس آية عظيمة:

### ١ بُعد الشمس عن الأرض:

وها نحن أولاء يا رب، ننظر كما أمرتنا، في آيةٍ من آيات السماوات والأرض ألا وهي الشمس، فالشمس آية ساطعة دالة على الله كسطوعها، وهي نجم متوسط الحجم إذا قِيست بالنجوم الأخرى، ومع أنها تكبر الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة حجماً، وتبعد عنها مائة وخمسين مليون كيلو متر وسطياً، ويقطع ضوء الشمس هذه المسافة في ثماني دقائق.

وهناك نجوم يزيد حجم أحدها على حجم الشمس والأرض مع المسافة بينهما.

### ٢ حرارة الشمس:

وأما عن حرارتها فهي تصل إلى عشرين مليون درجة في مركزها، فلو ألقيت الأرض في جوف الشمس لتبخرت في وقت قصير، ويزيد طول ألسنة اللهب المنطلقة من سطحها على نصف مليون كيلو متر، وتنتج الشمس من الطاقة في كل ثانية ما يعادل إحراق ألفي مليار طن من الفحم الحجري في كل ثانية، وتفقد الشمس في كل يوم من كتلتها ما يعادل ثلاثمائة وستين ألف مليون طن.

## ٣ اطمئنوا فلن تنطفئ الشمس إلا إذا قامت الساعة:

ويظن علماء الفلك أنه مضى على اتقادها ما يزيد على خمسة آلاف مليون عام، وهم يطمئنون الناس إلى أن الشمس لن تنطفئ قبل خمسة آلاف مليون عام أخرى فاطمئنوا.

ولو انطفأت الشمس فجأةً لغرقت الأرض في ظلام دامس، ولهبطت درجة الحرارة فيها إلى ثلاثمائة وخمسين درجة تحت الصفر، ولتحولت الأرض إلى قبر جليدي، وانعدام الدفء والنور كافيان لقتل كل مظهر من مظاهر الحياة على سطح الأرض.

سل الشمس من رفعها ناراً، ونصبها مناراً، وضربها ديناراً، ومن علقها في الجو ساعة يدب عقرباها في الجو إلى قيام الساعة، ومن الذي آتاها معراجها، وهداها أدراجها، وأحلها أبراجها، ونَقّل في سماء الدنيا سراجها؟

الزمان هي سبب حصوله، ومنشعب فروعه وأصوله، وكتابه بأجزائه وفصوله، لولاها ما اتسقت أيامه، ولا انتظمت شهوره وأعوامه، ولا اختلف نوره وظلامه، ذهبُ الأصيل من مناجمها، والشفق يسيل من محاجمها، تحطمت القرون على قرنها، ولم يمح التقادم لمحة حسنها.

قال تعالى:

**( وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ )**

[ سورة فصلت: من الآية ٣٧ ]

وقال تعالى:

**( وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَالنَّهَارَ )**

[ ٣٣.سورة إبراهيم: من الآية]

وقال تعالى:

**( وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ )**

[ ٣٨سورة يس: الآية ]

**( لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ )**

[ سورة فصلت ]

ها نحن أولاء يا رب نسبح بحمدك، ونقدس لك، ونسجد لعظمتك.

اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن جفوة البعد إلى جنة القرب، لقد صدق الله العظيم حينما قال:

**( وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ )**

[سورة يوسف ]

ولقد صدق الله العظيم حينما قال:

**( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ )**

[ الآية ٢٨ : سورة فاطر. ]

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٠٣) : خ١ - أثر القدوة في إصلاح النفوس ، خ٢ - الجمل.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٧-٠٢-٢٠

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى :**

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يقول في الحديث القدسي:

**(( ليس كل مصلٍ يصلي، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكف شهواته عن محارمي، ولم يصر على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان، ورحم المصاب، وآوى الغريب، كل ذلك لي، وعزتي وجلالي، إن نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس، على أن أجعل له الجهالة حلماً، والظلمة نوراً، يدعوني فألبيه، ويسألني فأعطيه، ويقسم عليَّ فأبره، أكلأه بقربي، وأستحفظه ملائكتي، مثله عندي كمثل الفردوس، لا يُمس ثمرها، ولا يتغير حالها ))**

[ كنز العمال عن حارثة بن وهب ]

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، خير نبي اجتباه، وللعالمين أرسله، زكّى الله عقله فقال:

**( مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى )**

وزكّى لسانه فقال :

**( وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى )**

وزكى شرعه فقال :

**( إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى )**

وزكى جليسه فقال :

**( عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى )**

وزكّى فؤاده فقال :

**( مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى )**

وزكى بصره فقال :

**( مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى )**

[ سورة النجم ]

وزكاه كله فقال :

**( وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ )**

[ سورة القلم ]

قال عليه الصلاة والسلام:

**(( ألا يا ربَّ نفس طاعمة ناعمة في الدنيا، جائعة عارية يوم القيامة ألا يا رب نفس جائعة عارية في الدنيا، طاعمة ناعمة يوم القيامة، ألا يا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين، ألا يا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم ألا وإن عمل الجنة حَزْن بربوة، ألا وإن عمل النار سهل بسهوة، ألا يا رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً ))**

[ كنز العمال عن أبي البحير ، وذكره في الجامع الصغير وسنده ضعيف ]

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، الهداة المهديين، الذين هم كالنجوم، بأيّهم اقتدينا اهتدينا، يقول الإمام علي كرم الله وجهه: « إنه ليس شيء شر من الشر إلا العقاب، وإنه ليس شيء خير من الخير إلا الثواب، وكل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه، وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه، فليكفكم من العيان السماع، ومن الغيب الخبر، واعلموا أن ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة، خير مما نقص في الآخرة وزاد في الدنيا، فكم من منقوص رابح، وكم من مزيد خاسر، واعلموا أن الذي أمرتم به، أوسع من الذي نُهيتم عنه، وما أحل لكم أكثر مما حرم عليكم، فذروا ما قل لما كثر، وما ضاق لِما اتسع، وقد تُكفّل لكم بالرزق، وأمرتم بالعمل، فلا يكن المضمون لكم طلبه، أولى بكم من المفروض عليكم، فبادروا بالعمل وخافوا بغتة الأجل ».

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير. أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان، يقول الله عز وجل في سورة الحجر:

**( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ )**

[ سورة الحجر ]

## وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ:

### ١ ـ الكونُ الكتاب المنظور :

فالسماوات والأرض تعبير قرآني يطابق مفهوم الكون، والذي يبدو لعلماء الفلك من خلال المراصد العملاقة أن هذا الكون لا تحدُّه نهاية، ولا تحيط به دراية، ففي كل يوم تُكتشف مجرَّة جديدة ونجوم بعيدة، فهناك مئات ألوف الملايين من المجرات، وفي المجرة الواحدة مئات ألوف الملايين من

النجوم والكواكب، ويكفي أن نذكر أنه تم اكتشاف مجرة بعدها عن أرضنا يزيد على ستة عشر ألف مليون سنة ضوئية، علماً بأن الضوء يقطع ما يقارب ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية الواحدة، قال تعالى:

**( فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ )**

[ سورة الواقعة ]

فلا يعرف ما تعنيه مواقع النجوم إلا العلماء، ومن عرف ما تعنيه مواقع النجوم خشع قلبه، وخشعت جوارحه، وخر لله ساجداً، قال الله تعالى:

**( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ )**

[ سورة فاطر ]

يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: « إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ».

نعود إلى الآية الكريمة :

**( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ)**

## ٢ ـ ماذا تعني كلمة " الحق " ؟

فالحق لابَسَ خلق السماوات والأرض، فماذا تعني كلمة « الحق »؟ يا لروعة القرآن، إنه يفسر بعضه بعضاً، قال الله تعالى:

**( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُو فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ )**

[ سورة ص ]

**( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ )**

[ سورة الأنبياء ]

فالحق إذاً مناقض للّعب، والحق إذاً ليس باطلاً، وليس لعباً.. وإذا كان الباطل هو الشيء الزائل والزاهق، فالحق هو الثابت المستقر الأبدي، وإذا كان اللعب هو الشيء العابث، غير الهادف، فالحق هو الذي ينطوي على هدف كبير.. وهو الاستقرار الهادف، أو الحكمة الثابتة..

## ٣ ـ ما الهدف والحكمة من خلق السماوات والأرض ؟

فما الهدف والحكمة من خلق السماوات والأرض؟

قال بعض العلماء في تفسير الآية الكريمة: ..خلق الله السماوات والأرض مَظهراً لأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى، وخلقنا كي نتعرف إليه، من خلال خلق السماوات والأرض، فإذا عرفناه عبدناه،

وإذا عبدناه حق العبادة، سعدنا بعبادته في الدنيا والآخرة، فمن تعرَّف إلى الله وعبده حق العبادة، وسعد بقربه فقد حقق الهدف من خلق السماوات والأرض، وحقق الهدف من خلقه، وقد ورد في الأثر القدسي:

**(( ابن آدم ، اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتُّك فاتك كل شيء، وأنا أحبُّ إليك من كل شيء...))**

[ ورد في الأثر ]

يا رب ماذا وجد من فقدك؟ وماذا فقَدَ من وجدك؟

فمعرفة الله أمر مصيري في حياة الإنسان، فمن لم يعرف ربه، ومن لم يهتد بهداه، ضل عقله، وشقيت نفسه، وحزن على ما فاته، وخاف مما هو آت، وكان هلوعاً جزوعاً منوعاً.

قال تعالى:

**( فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى )**

[ سورة طه ]

**( فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ )**

[ سورة البقرة : ٣٨ ]

**( إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ )**

[ المعارج ]

## القدوة الحسنة أنفع للناس من عشرات الخطب والكتب:

فهذا الهدي الرباني كيف نقنع الناس به؟ وكيف نحملهم على اتباعه؟ ولماذا دخل الناس في دين الله أفواجاً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؟ وفي عهد صحابته الراشدين؟ ولماذا خرج ناسٌ كثيرون من دين الله أفواجاً في عهود لاحقة؟ ولماذا كان الواحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كألف؟ ولماذا صار الألف من بعض المسلمين كأفٍّ؟ ولماذا نجح الأنبياء في تزكية نفوس أتباعهم والسمو بها، ولم ينجح غيرهم من دعاة الإصلاح وأدعياء الدين؟
يقول أحد المفكرين: إن مثلاً واحداً أنفع للناس من عشرة مجلدات.. لأن الأحياء لا تصدق إلا المثل الحي، لهذا كان النبي الواحد بمثله الخلقي الحي، وجهاده أهدى للبشرية من آلاف الكتَّاب، الذين ملؤوا بالفضائل والحكم بطون المجلدات، وإن أكثر الناس يستطيعون الكلام عن المثل العليا، ولكنهم لا يعيشونها.. لهذا كانت حياة الأنبياء إعجازاً، وكانت نتائج دعوتهم إعجازاً، بينما لا تلقى دعوة الداعين غير المخلصين من أتباعهم إلا الاستخفاف والسخرية، فالإسلام لا يحييه إلا المثل الأعلى، والقدوة الحسنة، والسلوك المستقيم، والانضباط الذاتي، والعفة عن المطامع و المحارم، والعمل الصالح، والتضحية والإيثار، لأنه ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه

العمل.

و:

**(( ركعتان من ورع خيرٌ من ألف ركعة من مخلط ))**

[ الجامع الصغير عن أنس ، وسنده لا يصح ]

والمخلط هو الذي خلط عملاً صالحاً، وآخر سيئاً، وقال عليه الصلاة والسلام:

**(( من لم يكن له ورع يصده عن محارم الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله ))**

[ الديلمي عن أنس ]

روي أن سيدنا عمر رأى راعياً يرعى شياهاً، فقال له: « بعني هذه الشاة، وخذ ثمنها، فقال الراعي: ليست لي، قال عمر: قل لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب، وهو بهذا يمتحنه، فقال الراعي: ليست لي، قال عمر: خذ ثمنها.. عندها قال الراعي: والله إنني بأشد الحاجة إلى ثمنها، ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني، فإني عنده صادق أمين، ولكن أين الله؟ ».

لقد وضع هذا الراعي يده على جوهر الدين، ولو أن حظه من الثقافة الدينية محدود، فكفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى به جهلاً أن يعصيه.

فإذا حدثت أحدَنا نفسُه أن يأخذ ما ليس له بحق، وليس عليه رقيب أو شهيد، فقال في نفسه كما قال هذا الراعي: ولكن أين الله؟ فقد عرف الله، وصحت عباداته، أما إذا أخذ ما ليس له بحق أن يأخذه فلن تنفعه ثقافته الدينية مهما اتسعت، فقد لا يقبل الله منه عباداته، وأعماله، مهما كثرت.

قال سهل التستري: « واللهِ لتركُ درهم من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام ».
وقيل: « ليس الولي من يفعل خوارق العادات، ولكنه من تجده عند الأمر والنهي في الملمات ».
وقال سيدنا عمر رضي الله عنه لأويس القرني رضي الله عنه: « عظني يا أويس، فقال أويس: ابتغ رحمة الله عند طاعته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك فيما بينهما ».

## من صفات الداعية إلى الله:

وفي القرآن الكريم إشارات دقيقة إلى الصفات الرفيعة التي يجب أن يتحلى بها كل من دعا إلى الله وتصدى لهذه المهمة المقدسة.

### ١ ـ الترفُّع عن الدنيا:

لا بد من الترفع عن الدنيا وما فيها، ولا ينبغي أن يُتخذ الدين مطية للدنيا، قال الله تعالى:

( وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ )

[ سورة يس ]

## ٢ ـ العمل الصالح:

ولا بد من العمل الصالح، فهو دليل صدق الداعية، وسبب نجاح الدعوة، قال تعالى:

( وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ )

[ سورة فصلت ]

## ٣ ـ الصبر:

ولا بد من الصبر على الطاعة وعن المعصية، وعلى من تدعوه فهو علامة الصدق في طلب الجنة، والإصرار على الفوز برضوان الله، قال الله تعالى:

( وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ )

[ سورة السجدة ]

## ٤ ـ الانقياد التام لأوامر الله:

ولا بد من الانقياد التام لأوامر الله كلها في المنشط والمكره، وما عُرفت حكمته وما لم تُعرف، فالرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين، قال الله تعالى:

( وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ )

[ سورة البقرة ]

## ٥ ـ خشيةُ الله وحده :

ولا بد أن تكون الخشية لله وحده، قال الله تعالى:

( الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً )

[ سورة الأحزاب ]

## النبي هو القدوة الحسنة:

أيها الإخوة الكرام، كان النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً أعلى لأصحابه الأطهار، وأسوةً حسنةً للمؤمنين الأخيار، وقدوة صالحة لأتباعه الأبرار، فقد اتسمت دعوته باتساع رقعتها، وامتداد أمدها،

وعمق تأثيرها، لأنه طبق بسلوكه ما قاله بلسانه، فقد كان صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم، وكان خلقه القرآن، وأحبه أصحابه إلى درجة فاقت حد التصور، وأطاعوه طاعةً جاوزت حدود الخيال، قال أبو سفيان يوم كان مشركاً: « ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ».

فالسر في قوة تأثير النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه أنه كان لهم أسوة حسنة، وقدوة صالحة، ومثلاً يُحتذى.

قال ملك عمان، وقد التقى النبيَّ العدنان: والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه كان لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، ويفي بالعهد، وينجز الوعد.

لقد كان صلى الله عليه وسلم، جم التواضع، وافر الأدب، يبدأ الناس بالسلام، وينصرف بكله إلى محدثه صغيراً كان أو كبيراً، ويكون آخر من يسحب يده إذا صافح، وإذا تصدق وضع الصدقة بيده في يد المسكين، وإذا جلسَ جلس حيث ينتهي به المجلس، لم يُر مادّاً رجليه قط، ولم يكن يأنف من عمل لقضاء حاجته أو حاجة صاحب أو جار، وكان يذهب إلى السوق، ويحمل بضاعته، ويقول: أنا أولى بحملها، وكان يجيب دعوة الحر والعبد، والمسكين، ويقبل عذر المعتذر.

وكان يرفو ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويعقل بعيره، ويكنس داره، وكان في مهنة أهله، وكان يأكل مع الخادم، ويقضي حاجة الضعيف والبائس، و يمشي هوناً خافض الطرف، متواصل الأحزان دائم الفكرة، لا ينطق من غير حاجة، طويل السكوت، إذا تكلمَ تكلم بجوامع الكلم. وكان دمثاً، ليس بالجاحف ولا المهين، يعظم النعم وإن دقت، ولا يذم منها شيئاً، ولا يذم مذاقاً، ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا، ولا ما كان لها، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها.

إذا غضب أعرض، وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، وكان يؤلف، ولا يفرق، ويقرب، ولا ينفر، ويكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويُحَسِّن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، و لا يقصر عن حق، ولا يجاوزه، ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو ما يسره من القول.

كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخَّاب، ولا فحَّاش، ولا عيَّاب، ولا مزَّاح، يتغافل عما لا يشتهي.

ولا يخيب فيه مؤمله، وكان لا يذم أحداً ولا يعيِّره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يُرجى ثوابه، يضحك مما يضحك منه أصحابه، ويتعجب مما يتعجبون، ويصبر على الغريب وعلى جفوته في مسألته ومنطقه، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه.

الحديث عن شمائله صلى الله عليه وسلم لا تتسع له المجلدات، ولا خطب في سنوات، ولكن الله جل في علاه، لخصها بكلمات فقال:

( وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ )

[ سورة القلم ]

## الصحابة قدوة صالحة:

والمثل الأعلى الذي ضربه النبي صلى الله عليه وسلم بسيرته، وخلقه حمل أصحابه الكرام على أن يهتدوا بهديه، ويتبعوا سنته، ويقتفوا أثره.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم، فيجعل من سلوكه ومواقفه مثلاً أعلى يُحتذى، فكان إذا أراد إنفاذ أمرٍ جمع أهله وخاصته، وقال لهم: «إني أمرت الناس بكذا، ونهيتهم عن كذا، والناس كالطير، إن رأوكم وقعتم وقعوا، وايمُ الله، لا أوتين بواحد وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة لمكانته مني».. فصارت القرابة من عمر رضي الله عنه مصيبة.

وقد جسد هذا الخليفة الراشد رضي الله عنه بسلوكه قيم الحق والخير في أبهى صورها، جسدها بمواقفه، وأحكامه فكان بحق بطل مبدأ، مضى نحو تحقيقه، من دون أن ينظر إلى الثمن.

ففي خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاءه إلى المدينة جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة، معلناً إسلامه، وقد رحب به عمر، لكن بدوياً من فزارة يدوس على طرف ردائه، فغضب الملك، ويلتفت إلى هذا البدوي، ويضربه، ويهشم أنفه، فيشكوه الفزاري إلى عمر بن الخطاب، ويستدعي عمر الملك الغساني إلى مجلسه، ويدور بينهما حوار صيغ على الشكل التالي:

قال عمر: يا ابن أيهم، جاءني هذا الصباح مشهد يبعث في النفس المرارة، بدوي من فزارة بدماءٍ تتظلم، بجراح تتكلم، مقلة غارت، وأنف قد تهشم، وسألناه، فألقى فادح الوزر عليك بيديك. أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح؟

قال جبلة: لست ممن ينكر، أو يكتم شيا، أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيدي.

قال عمر: أي حقٍّ يا ابن أيهم، عند غيري يقهر المستضعف العافي ويظلم، عند غيري جبهة بالإثم بالباطل تلطم، نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها، وأقمنا فوقها صرحاً جديداً، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً. أرض الفتى، لابد من إرضائه، ما زال ظفرك عالقاً بدمائه، أو يهشمن الآن أنفك، وتنال ما فعلته كفك.

فقال جبلة: كيف ذاك يا أمير المؤمنين، هو سوقة، وأنا صاحب تاج، كيف ترضى أن يخرَّ النجم أرضاً، كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعزّ، أنا مرتدٌ إذا أكرهتني.

فقال عمر: عالَم نبنيه كل صدع فيه بشبا السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى.

أيها الإخوة الكرام ، كلكم يعلم ماذا فعل جبلة بعد موقف عمر هذا رضي الله عنه .

## إدراك السلف الصالح لأهمية القدوة في الدعوة:

لقد أدرك أعلام العلماء من السلف الصالح أثر القدوة الحسنة في تهذيب النفوس والسمو بها، وحملها على عظائم الأعمال، فوعظوا أنفسهم قبل أن يعظوا غيرهم، لذلك كان تأثيرهم في معاصريهم شديداً، وهيبتهم عند أولي الأمر عظيمة، قال الإمام الغزالي: « الوعظ زكاة الاتعاظ، ومن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة »، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( تركت فيكم واعظين، ناطقاً وصامتاً، فالناطق هو القرآن، والصامت هو الموت، وفيهما كفاية لكل متعظ ))**

[ ورد في الأثر ]

فقلت لنفسي، هذا قول الإمام الغزالي، أما أنتِ فمصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق، فإن الله تعالى يقول فيه:

**( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ )**

[ سورة هود ]

فقد وعدك. يخاطب نفسه. الله تعالى بالنار على إرادة الدنيا وحبها، وكل ما لا يصحبك بعد الموت فهو من الدنيا، ولو أن طبيباً وعدك بالمرض على تناول ألذّ الأكلات لتحاشيتها، واتقيتها، أيكون الطبيب عندك أصدق من الله تعالى؟ فإن كان كذلك فما أكفرك! وإن كان المرض أشد عندك من النار فما أجهلك! ثم وعظنا بالواعظ الصامت وهو الموت، فقلت: قد أخبر الواعظ الناطق عن الواعظ الصامت، حيث قال الله تعالى:

**( أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ )**

[ سورة الشعراء ]

وهكذا نجد كيف أن القدوة تفعل فعل السحر في النفوس، لأن الناس لا يتعلمون بآذانهم، بل يتعلمون بعيونهم، ولغة العمل أبلغ من لغة القول، لذلك لا تستطيع أن تقنع الناس بشيء إلا إذا كنت قانعاً به، ولا تستطيع أن تحملهم على اتباعه إلا إذا سبقتهم إليه، عندئذ تكون أنت أيها الداعية قدوة حسنة. والقدوة الحسنة هي حقيقة مع البرهان عليها، فمتى يستقيم الظل والعود أعوج، فأنت أيها المسلم على ثغرة من ثغر الإسلام، فلا يؤتين من قبلك، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. ورد في الأثر القدسي :

**(( إن هذا الدين قد ارتضيته لنفسي، ولا يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه ))**

[ كنز العمال عن جابر ]

أيها الإنسان، صانك الله فلا تبتذل، وأعزك فلا تَذل، وأعلاك فلا تسفل، ونقَّاك فلا تتلطخ، هو يسر لك فلا تتعسر، و قربك فلا تتباعد، وأحبك فلا تتبغض، جد بك فلا تكسل، و استخلفك فلا تتكل، وأعتقك فلا تتعبد لغيره، وأقالك فلا تتعثر، ونسبك فلا تجحد، وجبرك فلا تنكسر، وأنبتك فلا تذو، وحسَّنك فلا تقبح، وحلاك فلا تسمج، وعلمك فلا تجهل، ونوّه بك فلا تخمل، وقواك فلا تضعف، و لطفك فلا تكثف، و أسرك فلا تنكشف، وانتظرك فلا تتوقف، وأمنك فلا تتخوف، وقومك فلا تتقصف، وندَّاك فلا تنشف.

أيها الإخوة المؤمنون، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.
كل مخلوق يموت، ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت، والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر، إذا رجع العبد العاصي إلى الله سطع نور بين السماء والأرض، ونادى منادٍ مِن قِبَلِ الله جل وعلا : أيتها الخلائق هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله.

**الخطبة الثانية:**

## أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت

### ١ ـ الجَمَل آية من آيات الله :

أيها الإخوة الكرام، قلت في الخطبة الأولى: إن جوهر الدين أن يعرف الإنسان ربه، وإن الكون كله مظهر لأسماء الله الحسنى، وإن التفكر في مخلوقات الله باب واسع من أبواب معرفة الله، وإن الإنسان إذا تفكر في خلق الله عرفه، وإذا عرفه عبده، وإذا عبده سعد في الدنيا والآخرة، وقد وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم يتفكرون في خلق السماوات والأرض، وقد حضنا الله على التفكّر في بعض آياته، ومنها الإبل فقال:

**( أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ )**

[ سورة الغاشية ]

فلو أمعن المرء النظر إلى الجمل، لرآه من أبدع المخلوقات، إنه أعجوبة في الهندسة التشريحية.

## ٢ ـ الجَمَل سفينة الصحراء :

فالجمل يُعدُّ وسيلة لا تُقدر بثمن في المناطق الصحراوية، والتي تغطي سدس مساحة اليابسة، والتي تستعصي حتى على أقوى المركبات... وفي العالم ما يزيد على خمسة عشر مليوناً من الجمال تزداد باستمرار.

إنّ كلّ ما في الجمل متقن التصميم للتكيف مع بيئته القاسية، فعينه لها أهداب كثيفة، ومزدوجة، تحجب عنها الرمال المتطايرة، وتتميز العين بقدرتها على التكبير والتقريب، فهي تريه البعيد قريباً والصغير كبيراً، وهذا سر انقياده لطفل صغير أو لدابة قمئة، قال تعالى:

**( وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ )**

[ سورة يس ]

وفي إمكان الجمل إغلاق أذنيه ومنخريه حفظاً من الغبار، أما أخفافه الضخمة فهي تُسهِّل له الحركة على الرمال، من دون أن يغرز فيها، وشفتا الجمل مطاطيتان قاسيتان، تلتهمان الأشواك الحادة، وهما فعَّالتان في تجميع الطعام والأشواك ، حيث لا يفقد الجمل أية رطوبة بمد لسانه إلى الخارج .

**( أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ )**

## ٣ ـ مِن مزايا الجمل قلة حاجته إلى الماء :

ومن أبرز مزايا الجمل قلة حاجته إلى الماء، ومع أنه يمكنه أن يشرب ما يملأ حوض استحمام، لكنه يستطيع أن يستغني عن الماء كلياً عشرات الأيام، بل بضعة أشهر، حيث يستطيع في الحالات الطارئة أن يأخذ ما يحتاج إليه من ماء من أنسجة جسمه، فيخسر ربع وزنه من غير أن يضعف عن الحركة..

وفي السنام يخزن الجمل من الشحم ما يعادل خمس وزنه، ومنه يسحب الجمل ما يحتاج إليه من غذاء، إن لم يجد طعامًا.. ومتوسط عمر الجمل يزيد على أربعين عاماً.

ولا يسلس قياد الجمل إلا إذا عومل باحترام ومودة وعطف.. وفي هذا عبرة لبني البشر..

**( أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ )**

**عرفتك يا رب في بحث وفي فطرة فجئتك صباً طاهر القلب خاليا**

* * *

**لك في الآفاق آيات لعل أقلَّه ا نوراً بدا إليه هداك**

**فإن رأيت النبت في الصحراء يربو وحده فاسأله من أرباك**

**وإن رأيت البدر يستري ناشراً أنواره فاسأله من ذا الذي أسراك**

**وإن رأيت النـهر بالعتذب قد جرى  فاسأله من ذا الذي أجراك**
**وإن رأيت البحر في الملح قد طغى  فاسأله من ذا الذي أطغاك**
**وإن رأيت الليل يغشاك داجياً  فاسأله من يا ليل حاك دجاك**
**وإن رأيت الصبح يسفر ضاحياً   فاسأله من يا صبح حاك ضحاك**

*** 

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٠٤) : خ١ - الإيمان والعمل الصالح ، خ٢ - كأس الحليب.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٧-٠٦-١٢

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى :**

يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الكمال والإنعام، يا ذا العفو والغفران، سبحانك إذا كان عفوك يستغرق الذنوب فكيف يكون رضوانك؟ وإذا كان رضوانك تزكو به النفوس، فكيف يكون حبك؟ وإذا كان حبك ينير القلوب، فكيف يكون ودك؟ وإذا كان ودك ينسي كل ما سواك فكيف يكون لطفك؟

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إذا ظهر قهر، وإذا تجلى طاشت لأنوار جلاله ألباب البشر، فيما رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سيدنا داود ناجى ربه فقال: « يا رب، أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحب؟ قال: يا داود أحب عبادي إلي تقي القلب، نقي اليدين، لا يمشي إلى أحد بسوء، أحبني، وأحب من أحبني، وحببني إلى خلقي.. فقال: يا رب، إنك تعلم أني أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحببك إلى خلقك؟ قال: يا داود، ذكرهم بآلائي، ونعمائي، وبلائي ».

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، والشفاعة العظمى، أول العابدين، وسيد ولد آدم أجمعين.

ففيما روى الطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

**(( بئس العبد عبد تخيل واختال، ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد تجبر، واعتدى، ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سها ولها، ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتا وطغى، ونسي المبتدى والمنتهى، بئس العبد عبد يخلط الدين بالشبهات، بئس العبد عبد يخلط الدنيا بالدين، بئس العبد عبد طمعٌ يقوده، بئس العبد عبد هوى يضله، بئس العبد عبد رَغَبٌ يذله ))**

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وآل بيته الطيبين الطاهرين، الهداة المهديين، الغر الميامين، أبطال دعوته، وقادة ألويته، الذين خصوه بمهجهم، وافتدوه بأرواحهم، ورغبوا بأنفسهم عن نفسه.

فيما روي عن سيدنا علي كرم والله وجهه، أنه أوصى كميل النخعي، فقال يا كميل: «الناس ثلاثة، عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستنيروا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، فاحذر يا كميل أن تكون منهم.

يا كميل العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق.

يا كميل معرفة العلم دين يُدان به، يُكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميلَ الأحدوثة بعد وفاته، العلم حاكم والمال محكوم عليه.

يا كميل مات خُزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة ».

عباد الله أوصيكم بتقوى الله وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

## الإسلام عقيدة وشريعة:

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، الإسلام هو دين الله الذي أوحاه إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فيه عقيدة وشريعة، والعقيدة بكلياتها أصل، والشريعة بأحكامها التفصيلية فرع، وإن صحت عقيدة المرء صح عمله، وإن فسدت فسد عمله.

وأركان العقيدة هي أركان الإيمان، وأركان الشريعة هي أركان الإسلام وفروعه، من عبادات ومعاملات وأخلاق.

### ١ العقيدة إيمان والشريعة عملٌ صالح:

وقد عبر القرآن عن العقيدة بالإيمان، وعن الشريعة بالعمل الصالح فورد الإيمان مقترناً بالعمل الصالح، في أكثر آيات القرآن الكريم، لأن العلاقة بين الإيمان والعمل الصالح علاقة السبب بالنتيجة، وعلاقة الشجر بالثمر، فقال تعالى:

**( إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً )**

[ سورة الكهف ١٠٧ ]

ولأن الإسلام دين الفطرة، فقد راعى في الإنسان الجانب العقلي، وجعل كماله معرفة الحقائق المطابقة للواقع، المؤيدة بدليل قطعي، وراعى في الإنسان الجانب السلوكي، وجعل كماله انطلاقة من حقائق يقينية، وتوجيهه نحو هدف كبير لتحقيق سعادة الفرد والمجتمع، في الدنيا والآخرة.

### ٢ لابد من طلب العلم لمعرفة الأمر والنهي :

إن السنة المطهرة الثابتة جاءت لتبين للناس ما نزل إليهم، فحضت على طلب العلم بالله، وبأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى، وما يتبع ذلك من إيمان باليوم الآخر، والملائكة والكتاب والنبيين، ليصح الإيمان، وحضت على طلب العلم بالأمر والنهي والحلال والحرام، والمندوب والمكروه والمباح، ليصح الإسلام.

كل ذلك تحقيقاً لمفهوم التكليف الذي ورد في معرض الأمانة التي حملها الإنسان، والتي استنكفت السماوات والأرض والجبال عن حملها، قال تعالى:

**( إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً )**

[ سورة الأحزاب ]

فنحن في الدنيا في دار تكليف، وهل من عمل أجل وأعظم من أن نعرف ما التكليف؟ وما فحواه؟ وما مؤداه؟ لأننا إذا عرفناه وأخذنا به، انتقلنا إلى دار التشريف، حيث ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

روى الإمام البخاري رضي الله عنه في صحيحه، وصحيحا البخاري ومسلم هما أصح كتابين بعد كتاب الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ))**

وقال أيضاً :

**(( إنما العلم بالتعلم، وقليل الفقه خير من كثير العمل ))**

[ أخرجه البخاري في كتاب العلم ]

فلقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذين الحديثين أن الخير كله في العلم، وأن العلم مقدم على العمل، وأن للعلم طريقاً واحداً لكسبه، ألا وهو التعلم، ولم يقل عليه الصلاة والسلام التعليم، لأن كلمة التعلم تفيد بذل الجهد الذاتي للمتعلم، بناءً على رغبة حرة صادقة، بينما التعليم يفيد بذل جهد المعلم لا المتعلم، ويفيد الإلزام، لا الرغبة الطوعية.

ولقد حض النبي عليه الصلاة والسلام على طلب العلم ، وعلى تعلمه، وتعليمه، وبذله، ومذاكرته، ومدارسته، فقال عليه الصلاة والسلام، فيما رواه بن عبد البر والديلمي عن سيدنا معاذ بن جبل:

**(( تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة ، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، ولأن العلم حياة القلوب ومصابيح الأبصار، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، التفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يُعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل يُلهمه السعداء ويُحرمه الأشقياء ))**

وبما أن الإنسان خُلق ليسعد إلى الأبد في جنة ربه الفرد الصمد، وبما أن ثمن الجنة هو العلم الصالح، لقوله تعالى:

**( الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ )**

[ سورة النحل ]

## ٣ طلب العلم واجب :

وبما أن العمل الصالح لا يصح إلا إذا صحت العقيدة، لهذا كان طلب العلم فرضاً على كل مسلم، ليحقق الهدف الذي خُلق من أجله ، لذا قال صلى الله عليه وسلم:

**(( طلب العلم فريضة على كل مسلم ))**

[ رواه بن ماجه والديلمي ، وهو حديث حسن بطرقه ]

فكما أن تنفس الهواء فرض لاستمرار الحياة، كذلك طلب العلم فرض لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، وإذا أعرض الإنسان عن طلب العلم، أو طلبه من غير أهله، زاغت عقيدته وساء عمله، وهلك في الدنيا، وشقي في الآخرة، لذلك كان طلب العلم، بل طلب العلم من أهله الصادقين المخلصين، ضماناً لسلامة الدين، يروى في الأثر: « دينك.. دينك. إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا ».

ويُعزى للإمام مالك رضي الله عنه، قوله: « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».
طلب العلم حياة للقلب، والجهل موت له، فليس الإنسان جسماً بعضه القلب، ولكنه قلب غلافه الجسم، ولعلك يا أخي إن فتشت عن أعجب ما خلق الله في السماء والأرض، لن تجد أعجب، ولا أروع، ولا أدق، ولا أجمل من قلب الإنسان، تصلح أوتاره بالعلم، والعمل، والإقبال، فيفيض رحمة وشفقة، وحباً وحناناً، ومعاني لطافاً، وشعوراً رقيقاً حتى يجاوز في سموه الملائكة المقربين.. وتفسد أوتاره بالجهل، والإساءة، والإعراض، فينضح قسوةً، وسوءًا، ولؤماً، حتى يهوي إلى أسفل السافلين.
يكبر القلب ولا نرى كبره، فيتضاءل أمامه كل كبير، ويصغر القلب، ولا نرى صغره، فيتعاظم عليه كل حقير.

إن من وجد كل شيء، وفَقَدَ قلبه لم يجد شيئاً، ففيما رواه الطوسي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( طالب العلم بين الجهال كالحي بين الأموات ))**

والعلم عزٌّ حقيقي، لا يُسلب منك، ولأن رتبة العلم أعلى الرتب، ولا شيء يذل الإنسان كجهله، ففيما رواه الشهاب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( ما أعز الله بجهل قط، ولا أذل بعلم قط، سبحانك يا رب، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، وما اتخذت ولياً جاهلاً، لو اتخذته لعلمته ))**

اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت

فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

ومعرفة الله، والاستقامة على أمره، والتقرب إليه بالعمل الصالح هو أثمن ما في الحياة الدنيا، وسبب الفوز في الآخرة.

ففيما روى ابن عبد البر في كتاب العلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( إذا أتى عليَّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم ))**

## ٤ القرآن مصدر العلوم :

وبما أن القرآن الكريم هو كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي يهدي للتي هي أقوم، وهو قطعي الثبوت، وقطعي الدلالة، وهو الغنى الذي لا فقر بعده، ولا غنى دونه، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي خيراً منه فقد حقر ما عظمه الله ))**

[ رواه النووي في آداب حملة القرآن ]

وبما أن شرف المرسَل من شرف المرسِل، وبما أن العلماء أمناء الرسل، لذلك قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم:

**(( إن من إجلال الله إكرام العلم والعلماء، وإكرام حملة القرآن وأهله ))**

[ رواه أبو داود ]

لكن العلم كما يرى الإمام الغزالي رحمه الله: « لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً ».

ومن لم يأخذ هذا العلم عن الرجال فهو ينتقل من محال إلى محال، ولا يرتجي الوصول من لم يقتف أثر الرسول.

## ٥ الأحاديث الصحيحة الأخذ بها واجب:

إن ما صح من التوجيهات النبوية، من أقوال وأفعال وإقرار، يجب العمل بها لأنها المصدر الثاني للأحكام التشريعية، ولأن الله تعالى أمرنا أن نأخذ بها فقال:

**( وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ )**

[ سورة الحشر ]

بل إن علماء الأصول يعدون ما صح من السنة المطهرة وحياً غير متلو، استنباطاً من قوله تعالى:

**( وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى )**

[ سورة النجم ]

## اجتنبوا مثل هذه الظنون السيئة:

وقد يتوهم المرء أنه يعرف الله، وهو في الحقيقة لا يعرفه، فحينما يظن به ظناً يتناقض مع أسمائه الحسنى أو صفاته الفضلى، أو حينما يظن به ظناً يتناقض مع عدالته، وحكمته، وحمده، وحينما يظن به ظناً يتناقض مع تفرده بالربوبية والألوهية، حينما ييأس من رحمته ونصره فهو لا يعرفه ولو ادعى ما ادعى، وفعل ما فعل..

فمن ظن أن هؤلاء الذين ساءت طويتهم، فاجترحوا السيئات، وارتكبوا الموبقات، وبنوا سعادتهم الموهومة على أنقاض الآخرين، وحسبوا أنهم فازوا وسبقوا، من ظن من هؤلاء جهلاً، أو تجاهلاً أن الله سيسوي بينهم وبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأخلصوا دينهم لله، في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة، فقد ضل ضلالاً بعيداً، لأن موازين هؤلاء قد اختلت، وأحكامهم قد اضطربت.. قال الله تعالى:

**( أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ )**

[ سورة الجاثية ]

ومن ظن أن الله يترك خلقه سدى معطلين من الأمر والنهي، ولا يبين لهم طريق سعادتهم، ولا طريق شقائهم، ولا الحقائق التي يجب أن يعلموها بالضرورة، ولا المنهج القويم الذي يجب أن يتبعوه، فقد ظن بالله غير الحق، ظن الجاهلية.. قال الله تعالى:

**( أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى )**

[ سورة القيامة ]

ومن ظن أن الله لن يجمع عبيده بعد موتهم ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر لهم صدق رُسله، وكذب أعدائه فقد ظن به غير الحق ظن الجاهلية، قال الله تعالى:

**( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ )**

[ سورة المؤمنون ]

ومن ظن أن الله يضيع على المؤمن عمله الصالح، ويتفلت المجرم من عدالته، فقد ظن بالله غير الحق، ظن الجاهلية..

يروى أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، عظني وأوجز.. فقال:

**(( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ))**

فقال: قد كفيت.. عندها قال النبي الكريم :

**(( فقُه الرجل ))**

[ ورد في الأثر ]

ولم يقل: فقِه، لأن « فقِه » تعني معرفة الحكم.. أما فقُه فتعني أنه صار فقيهاً.

ويروى أن أعرابياً آخر جاء النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: يا رسول الله، عظني ولا تطل؟ فقال الني الكريم:

**(( قل آمنت بالله ثم استقم ))**

فقال الأعرابي: أريد أخف من ذلك، فقال:

**(( إذاً استعد للبلاء ))**

[ ورد في الأثر ]

وحينما يعسر الفهم، ويعز التفسير فلا بد من التسليم للعلي القدير، فأصل الدين معرفته، وحسن الظن بالله ثمن الجنة.

من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره، وربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك، وقد يكون العطاء من الخلق حرماناً، والمنع من الله إحساناً، ومتى فتح لك باب الفهم في المنع، عاد المنع عين العطاء، وإنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه.

متى أوحشك من خلقه فليفتح لك باب الأنس به، وربما وجدت في الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلاة، فلا تستبطئ منه النوال، ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال، وما لم تُفرّغ قلبك من

الأغيار، فلن يملأه بالمعارف والأسرار، فكما أنه لا يحب العمل المشترك.. فإنه لا يحب القلب المشترك، فالعمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يُقبل عليه، وهذا كله منطوٍ في قوله تعالى:

**( كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ )**

[ سورة البقرة ]

ويروى عن الحسن ابن علي رضي الله عنهما أنه قال: « من حمل ذنبه على الله فقد فجر، إن الله لا يطاع استكراهاً، ولا يعصى بغلبة، فإن عمل الناس بالطاعة، لم يحل بينهم وبين ما عملوا، وإن عملوا بالمعصية فليس هو الذي أمرهم، ولو أجبرهم على الطاعة لأسقط الثواب، ولو أمرهم بالمعصية لأسقط العقاب، ولو أهملهم لكان عجزاً في القدرة، فإن عملوا بالطاعة فله المنة عليهم، وإن عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم.

## الإيمان والأخلاق:

حينما تطلب العلم من أهله تصح عقيدتك، عندئذ تحملك عقيدتك الصحيحة على عبادة الله حق العبادة، تلك العبادة التي تثمر طمأنينة وأمناً لا يعرفها إلا من ذاقها ، وتثمر صفاءً وسعادة، لا ينكرها إلا من حرمها، وتثمر رؤية صحيحة تنفذ إلى حقائق الأشياء، متجاوزةً صورها الخداعة، وتثمر سلوكاً أخلاقياً أصيلاً، هو النتيجة اللازمة للإيمان.

### ١ إصلاح الأخلاق من مهمة الأنبياء:

فقد وضّح النبي صلوات الله عليه أن الهدف الكبير من بعثته إرساء البناء الأخلاقي في الفرد والمجتمع بقوله:

**(( إنما بُعثت معلماً ، إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق ))**

[رواه الإمام مالك ، ورواه الإمام أحمد والحاكم وابن عبد البر ]

### ٢ الأخلاق الحسنة أثقل في ميزان المؤمن :

وقد جعل الإيمان والأخلاق يتلازمان تلازماً ضرورياً في مجموعة من أحاديثه الشريفة الصحيحة، فبين أن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً، وأن أكملهم إيماناً أحسنهم خلقاً، وأن من أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً، وأن خير ما أعطي الإنسان خلقٌ حسن، وأنه ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، بل إن العبد

ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، والخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: « لو قرأتَ العلم مائة سنة، وجمعت ألف كتاب لا تكون مستعداً لرحمة الله إلا بالعمل الصالح »، قال الله تعالى:

**( وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى )**

[ سورة النجم ]

وقال تعالى:

**( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً )**

[ سورة الكهف ١١٠ ]

ومن ظن أنه بدون الجهد يصل فهو متمنٍّ، والمنى بضائع الحمقى، وطلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، والعلم بلا عمل جنون، والعمل بلا علم لا يكون.

## ٣ النبي قمة الأخلاق :

فالإسلام إذاً، عقيدة وشريعة، وعلم وعمل، وإيمان واستقامة، ودعوة وإحسان، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أسوةً حسنة، وقدوة صالحة، ومثلاً أعلى.

فلما عرض عليه الأسرى عقب بعض الغزوات وقفت امرأةٌ أسيرة وقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علي منَّ الله عليك، وخل عني ولا تشمت بي أحياء العرب، فإن أبي كان سيد قومه، يفكُّ العاني، ويعفو عن الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الذمار، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام ويحمل الكلَّ، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد في حاجة فرده خائباً..

أنا بنت حاتم طيِّئ.. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا جارية، هذه صفات المؤمنين حقاً، ثم قال صلى الله عليه وسلم: خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، ثم قال صلى الله عليه وسلم:

**(( ارحموا عزيز قوم ذل، وغنياً افتقر، وعالماً ضاع بين الجهَّال ))**

فاستأذنته بالدعاء.. وقالت: أصاب الله ببرك مواقعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا جعلك سبباً في ردها، ورجعت إلى أهلها، وقالت لأخيها عدي: ائت هذا الرجل، فإني قد رأيت هدياً، وسمتاً، ورأياً يغلب أهل الغلبة، ورأيت فيه خصالاً تعجبني، رأيته يحب الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود، ولا أكرم منه، فإن يكن نبياً فللسابق فضله، وإن يكن ملكاً فلا تزال في عز ملكه، قيل: وأسلمت، واستجاب لها أخوها، وقدِم إلى المدينة، وهو يظن أنه سيلقى ملكاً فقال: دخلت على محمد، وهو في المسجد، فسلمت عليه، فقال:

من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام، وانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه، إذ لقيته امرأة، ضعيفة كبيرة في الطريق فاستوقفته، فوقف طويلاً تكلمه في حاجتها، فقلت في نفسي، والله ما هذا بملك.. ثم مضى بي حتى دخل بيته.. فتناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها إليَّ، فقال: اجلس على هذه، قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: بل أنت.. فجلست عليها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض، ثم قال لي:

**(( لعلك يا عدي، إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من فقرهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم، وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها فتزور هذا البيت لا تخاف.. ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين أنك ترى المُلْك والسلطان في غيرهم، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل، قد فتحت عليهم، وأن كنوز كسرى قد صارت لهم ))**

[ مصنف ابن أبي شيبة عن حذيفة ]

قال: فأسلمت.. ولقد عُمِّر عدي حتى رأى بنفسه كيف تحققت كل بشارات النبي صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة الأحباب، أيها الإخوة المستمعون، لقد رأيتم من خلال ما تم عرضه من حقائق مؤيدة بالأدلة النقلية المتوافقة مع الأدلة العقلية أن الإنسان هو المخلوق الأول من بين المخلوقات، المكرم بأن سخر الله له ما في الأرض والسماوات، المكلف بمعرفة ربه معرفة يقينية ، وبطاعته طاعة تامة ومخلصة ، وأن التكليف يقتضي التخيير وأن التخيير يقتضي المسؤولية والجزاء ، فعن قيس بن عاصم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( يا قيس إن مع العز ذلاً، وإن مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حسيباً، وعلى كل شيء رقيباً، وإن لكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، وإن لكل أجل كتاباً، إنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي، وتُدفن معه، وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ألا وهو عملك ))**

[ ورد في الأثر ]

**إلى متى أنت بالملذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول**

* * *

**تزود من الدنيا فإنك لا تدري إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر**

**فكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر**

الخطبة الثانية:

## كأس الحليب

أن يتفكر الإنسان في خلق السماوات والأرض، وما بث فيهما من دابة، وأن ينظر الإنسان ممَّ خلق، وأن ينظر إلى طعامه، وأن ينظر فيما حوله من مخلوقات وكائنات، وأشجار ونباتات، وأن ينظر إلى ما فوقه من أطيار وأنواء، وإلى ما تحته من بحار وأسماك، وأن يفكر، وينظر في ملكوت السماوات والأرض، لهو باب من واسع من أبواب معرفة الله سبحانه وتعالى، ومعرفة الله أصل الدين، وأصل التكليف وأصل السعادة، وثمن الجنة.

### ١ الحليب آية من آيات الله :

أيها الناس، كأس الحليب الذي تشربونه، أو طبق اللبن الذي تحتسونه، وما اشتق منهما من خيرات حسان آيات بينات دالة على عظمة الخالق وجلاله، وتربيته، ورعايته، وفضله، وإنعامه.. قال الله تعالى:

**( وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ )**

[ سورة النحل ]

فهذا الحليب يحتوي على نسب دقيقة وجليلة، من الماء، والدسم، والسكريات، والمواد المرممة، وأملاح المعادن، والفيتامينات، وعدد كبير من الغازات المنحلة.. من حدّد هذه المكونات؟ ومن ضبط هذه النسب فيما بينها؟.. ومن جعلها كذلك؟ لتكون غذاءً كاملاً لبني البشر.. أإله مع الله؟.. بل أكثرهم لا يعلمون..

### ٢ انظر إلى هذه البقرة التي تنتج الحليب:

ثم إن هذه البقرة، التي نأخذ منها الحليب، من خلقها؟.. ومن خلق أجهزتها؟.. ومن ذللها للإنسان؟.. ومن جعل نتاجها من الحليب غذاءً مناسباً لنا، لأنه يفوق بكميته حاجة وليدها، ومن جعله اقتصادياً؟ لأنه يزيد بثمنه على مصاريف العناية بها وإطعامها.

يذكر العلماء أن الغدة الثديية، للبقرة، هي المعمل الحيوي الذي يقوم بتكوين الحليب وإفرازه، ويُعد السنخ الوحدة الوظيفية، لتصنيع الحليب، وهو مجموعة من الخلايا على شكل كرة مجوفة، محاطة بشبكة من الشعريات الدموية تأخذ المواد الأولية اللازمة لتصنيع الحليب من الدم الذي يمر في شبكة الشعريات، ثم تصنعها حليباً، ثم تطرحها في جوف السنخ ، ليجتمع في قنوات تصب في ضرع البقرة.

هل تستطيع الخلايا غير العاقلة وحدها أن تختار المواد الأولية للحليب من دم البقرة، لتكون غذاءً كاملاً للإنسان؟.. وهل تستطيع هذه الخلايا غير العاقلة وحدها أن تصنّع بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، يحبه الصغار والكبار؟

يقول العلماء: إن طريقة عمل هذه الخلايا، وسر تصنيع الحليب غير معروف تماماً حتى الآن.. علماً بأن اللتر الواحد من حليب البقرة المصنع في الغدد الثديية، يحتاج إلى أربعمائة لتر من الدم تجول في الأوعية الدموية المحيطة بالغدد الثديية.

سبحان من سخر لنا هذه البقرة، لتكون معملاً عظيماً، لتصنيع الغذاء الأول للإنسان، خلقها، وسخرها، وذللها لنا، نأكل من لحمها، ونشرب من لبنها، وننتفع بخدماتها، قال الله تعالى:

**( أوَلَمْ يَرَوْا أنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أيْدِينَا أنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أفَلَا يَشْكُرُونَ )**

[ سورة يس ]

**فيا خجلي منه غداً إذ يقول لي أيا عبدنا هلاّ قرأت كتابنا**

**أما تستحي منا ويكفيك ما جرى أما تخشى من عتبنا يوم جمعنا**

**أما آن أن تمضي عن الذنب راجعاً وتدري ما الذي فيه وعدنا**

**فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا**

**ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت ثياب العجب عنك وجئتنا**

**ولو لاح من أنوارنا لك لائح تركت جميع الكائنات لأجلنا**

**ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً لقربنا**

**ولو ذقت من طعم المحبة ذرةً عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا**

**فما حبنا سهل وكل من ادعى سهولته قلنا له جهلتنا**

## بهذا يستجاب الدعاء:

أيها الإخوة المؤمنون، روى الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( ليس شيء أكرم على الله من الدعاء، وإن الله يحب الملحين في الدعاء، وإن الله حيي كريم يستحي من عبده أن يبسط إليه يديه ثم يردهما خائبتين ))**

ولكن ما لنا ندعوه فلا يستجيب لنا؟.. يجيب عن هذا السؤال إبراهيم بن أدهم، فقد مر بسوق البصرة فقيل له: يا أبا إسحاق، إن الله تعالى يقول:

**( ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ )**

[ سورة غافر : من الآية ٦٠ ]

ونحن ندعوه فلا يستجيب لنا، فقال لهم: « لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء، عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، وقرأتم القرآن فلم تعملوا به، وادعيتم حب رسوله فلم تعملوا بسنته، وقلتم إن الشيطان لكم عدو فاتخذتموه ولياً، وقلتم إنكم مشتاقون إلى الجنة فلم تعملوا لها، وقلتم إنكم تخافون من النار فلم تتقوها، وقلتم إن الموت حق فلم تستعدوا له، واشتغلتم في عيوب الناس وتركتم عيوبكم، وتقلبتم في نعمة الله فلم تشكروه عليها، ودفنتم موتاكم فلم تعتبروا فكيف يستجاب لكم ».

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٠٥) : خ١ - الـــــــرزق ، خ٢ - الحاجز بين البحرين.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٧-٠٩-١٨

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

ينادي الحق جل وعلا على عباده المؤمنين:

**(( يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنّ أَوّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنّ أَوّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنّ أَوّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمّا عِنْدِي إِلّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمّ أُوَفِّيكُمْ إِيّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنّ إِلّا نَفْسَهُ ))**

[ مسلم عن أبي ذر ]

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله..

سيدي يا رسول الله، أشهد أن الذين بهرتهم عظمتك لمعذورون، وأن الذين افتدوك بأرواحهم لهم الرابحون يا للعجب، أي إيمان، وأي عزم، وأي مضاء، أي صدق، وأي طهر، وأي نقاء، أي تواضع، وأي حب، وأي وفاء.

فيوم كنتَ طفلاً، يا سيدي يا رسول الله، عزفتَ عن لهو الأطفال، وعن ملاعبهم، وعن أسمارهم، وكنت تقول لأترابك إذا دعوك إلى اللهو: أنا لم أُخلق لهذا.

ويوم جاءتك رسالة الهدى، وحُمِّلت أمانة التبليغ، قلت لزوجتك وقد دعتك إلى أخذ قسط من الراحة: إنقضى عهد النوم يا خديجة.

ويوم فُتِحت مكة، التي آذتك وأخرجتك، وكادت لك، وأتمرت على قتلك، وقد ملأت راياتك الأفق ظافرةً عزيزة، قلت لخصومك بالأمس: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ويوم دانت لك الجزيرة العربية، وجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، صعدت المنبر، واستقبلت الناس باكياً وقلت لهم: من كنت جلدت له ظهراً، فهذا ظهري فليقتد منه، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه.

ونحن نقول مع من قال، يا سيدنا يا رسول الله، ما أعقلك، وما أرحمك، وما أوصلك، وما أحكمك، جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، لقد كنت رحمة مهداة، ونعمة مجزاةً.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، الهداة المهديين الذين اختارهم الله له تكريماً وتأييداً.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

## الرزق:

### ١ ـ الناس في كسب المال ثلاثة أطباق:

أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان، الناس في كسب المال ثلاثة أطباق ؛ رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين، ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين، ورجل شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

**(( تكون أمتي في الدنيا على ثلاثة أطباق: أما الطبق الأول فلا يرغبون في جمع المال، ولا ادخاره، ولا يسعون في اقتنائه، واحتكاره، إنما رضاهم من الدنيا، ما سد جوعة وستر عورة، ما بلغ بهم الآخرة، فأولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.**
**أما الطبق الثاني: فيحبون جمع المال من أطيب سُبله، وصرفه في أحسن وجوهه، يصلون به قرابتهم وأرحامهم، ويؤثرون به إخوانهم، ويواسون فيه فقراءهم، ولأن يعضّ أحدهم على الحجارة، أسهل عليه من أن يكتسب درهماً من غير حله، وأن يضعه في غير وجهه، وأن يمنعه من يستحقه، وأن يكون له خازناً إلى حين موته، فأولئك إن نوقشوا عَذّبوا، وإن عُفي عنهم سلموا.**
**وأما الطبق الثالث: فيحبون جمع المال مما حلّ وحرم، ومنعه مَن فُرض له، وإن أنفقوه أنفقوه إسرافاً، وإن أمسكوه أمْسَكوه بخلاً واحتكاراً، أولئك ملكت الدنيا أزمة قلوبهم، حتى أوردتهم النار بذنوبهم ))**

[ ورد في الأثر ]

وقد روي عن الإمام علي كرّم الله وجهه أنه قال: **<< الدنيا حلالها حساب، وحرامها عذاب، وشبهتها عقاب >>**

[ رواه الدارقطني والديلمي عن ابن عباس ]

## ٢ ـ الإسلام حثّ على طلب الرزق:

لقد حضنا الله على طلب الرزق، ويسر لنا سُبله فقال تعالى:

**( وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا )**

( سورة النبأ )

وقال:

**( وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ )**

وقال:

**( فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ )**

( سورة الجمعة )

وفي الحديث الشريف:

**(( إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا ))**

[ الطبراني عن ابن عباس بسند صحيح ]

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **<< لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة >>**

وقال أيضاً: **<< استغن عن الناس يكن أصون لدينك، وأكرم لك عليهم >>**

ولكن دفعاً للقلق من أجل الرزق، ومنعاً من ارتكاب المعاصي، واحترازاً من أن يقف الإنسان موقف مذلة طمأن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم المؤمن بأن رزقه مقسوم ومضمون، وموزون، وأن رزق الله تعالى، لا يجره حرص حريص، ولا ترده كراهة كاره، وأن الله تعالى جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط، وقال صلى الله عليه وسلم:

**(( إن روح القدس نفثت في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله عباد الله تعالى، وأجملوا في الطلب، واستجملوا مهنكم، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية فإن الله تعالى لا ينال ما عنده بمعصيته ))**

[حديث صحيح بشواهده، ابن ماجه، وأبو نعيم في الحلية والحاكم وابن حبان ]

وقد ورد في بعض الآثار القدسية:

**(( عبدي خلقت السماوات والأرض، ولم أعيَ بخلقهن، أفيعييني رغيف أسوقه لك كل حين ؟ لي عليك فريضة، ولك علي رزق، فإن خالفتني في فريضتي، لم أخالفك في رزقك.. وعزتي وجلالي، إن لم ترض بما قسمته لك، فلأسلطن عليك الدنيا، تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك، ولا أبالي وكنت عندي مذمومًا ))**

[ ورد في الأثر ]

لذلك نهانا ربنا جل وعلا، أن نتشاغل بما ضمنه لنا عما افترضه علينا.

## ٣ ـ على المؤمن تحرّي الرزق الحلال:

ولكن ليس كل رزق حلالاً، ولا كل كسب مشروعاً، فالمؤمن يتحرى الحلال في كسبه، لأنه يعلم أن المال الحرام، يذهب من حيث أتى، وأنه يَتلف، ويُتلف صاحبه، وهو يعلم علم اليقين، أنه من كان كسبه حراماً سقط من عين الله، ولأن يسقط الإنسان من السماء إلى الأرض، أهون من أن يسقط من عين الله، لذلك أمرنا الله عز وجل بصريح الآية المحكمة أن نأكل الحلال الطيب، فقال:

**( يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)**

( سورة البقرة )

والحلال ما كان حلالاً في ذاته، وفي طريق كسبه، فهو يحل لكم، ويُبقي على الصلة بينكم وبين ربكم، والطيب ما طابت به أجسامكم ونفوسكم وحياتكم.

وقد يكون الحلال الطيب أقلّ من الحرام الخبيث من حيث الكم، وفي هذا ابتلاء من الله لعباده المؤمنين، فمن نجح في هذا الامتحان، وآثر القليل من الحلال الطيب على الكثير من الحرام الخبيث، بارك الله له في ماله، فانتفع منه وفي أهله وأولاده فسعد بهم، وحفظ الله له صحته ومكانته، وضمن له سعادته في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى:

**( إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا )**

( سورة الكهف )

ولحكمة بالغة جعل كسب الحلال الطيب أصعب، وأشق من كسب الحرام الخبيث، ليبتلى المؤمن ثانية في مدى حرصه على الحلال الطيب، بل في مدى حرصه على رضوان الله قال النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( من بات كالاً ـ متعبا ـ في طلب الحلال، بات مغفوراً له ))**

[رواه ابن عساكر عن أنس، والطبري عن ابن عباس ]

والشرع الحنيف، حينما يأمر المؤمن يتحرى الحلال في كسبه ينهاه أشد النهي عن أن يتحرى الحلال والحرام في كسب الآخرين، فمن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

## ٤ ـ العمل المشروع سعي في سبيل الله:

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنه من طلب الرزق من طرقه المشروعة، وتقصى الحلال من الكسب، وابتغى كف نفسه عن المسألة، وإغناء أبويه وأهله وأولاده، لقي الله تعالى وهو عنه راض، فقال صلى الله عليه وسلم:

**(( من طلب الدنيا حلالاً وتعففاً عن المسألة، وسعياً على عياله، وتعطفاً على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر ))**

[رواه البيهقي ]

وقد كان صلى الله عليه وسلم جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة، وقد بكر يسعى فقالوا: ويح هذا، لو كان شبابه وجلده في سبيل الله، فقال صلى الله عليه وسلم:

**(( لا تقولوا هذا، فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفّها عن المسألة، ويغنيها عن الناس، فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان ))**

لقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم من خلال هذين الحديثين الشريفين:

**(( إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ))**

[ البخاري عن عمر ]

أن النية وحدها تحدد قيمة العمل.. فقد يلتقط الرجل لقطة، فإن نوى أخذها فهو معتد، وإن نوى البحث عن صاحبها فهو محسن، وشتان بين العدوان والإحسان.

فالعمل على إطلاقه أساس الرقي عند الله، فمن العمل الصالح العمل الذي تكسب به رزقك أيها المؤمن، إذا بني هذا العمل على الإتقان والنصح وعدم الغش، واهتم صاحبه في تطويره

وتحسينه، توصلاً لخدمة الخلق، الذين هو عيال الله، وترفق بالناس بالأجر أو السعر وعاملهم باللين والحكمة، كان هذا العمل نفسه وسيلة لكسب رضوان الله، والفوز بنعيم الجنة الأبدي، قال صلى الله عليه وسلم:

**(( إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف ))**

[رواه الحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي عن ابن عمر ]

بل ربما كان الذي يكسب رزقه حلالاً باذلاً من أجله جهداً، ووقتاً، وعرقاً، أفضل عند الله تعالى ممن انقطع للعبادة، وهو عالة على غيره يروى أن رجلاً كان يعبد الله فقيل له: ما تصنع ؟ قال: أتعبد الله فسئل: فمن يطعمك ؟ فقال: أخي، فقيل له: أخوك أعبد منك..

## ٥ ـ النهي عن سؤال الناس:

والنبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن المسألة مبيناً أنها تفتح على العبد أبواب الفقر فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ))**

[ رواه البخاري ]

روى الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري:

**(( ولا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إلاّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ ))**

وفي الأثر أنه:

**(( من جلس إلى غني فتضعضع له ـ أي تمسكن ـ له ذهب ثلثا دينه ))**

(رواه ابن جرير )

فلا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه، بل ينبغي أن يطلب الحوائج بعزة الأنفس ؛ فإن الأمور تجري بالمقادير، فاليد المعطاءة العليا خير من اليد الممدودة السفلى.

## ٦ ـ النهي عن أكل أموال الناس بالباطل:

ولقد نهانا الشرع الحنيف عن أكل أموال الناس بالباطل، وجعله من كبائر المحرمات، حيث قال:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا )**

( سورة النساء ٢٩ )

لم يقل الله عز وجل: لا تأكلوا أموال الناس، لقد أشارت كلمة " لا تأكلوا أموالكم "، إلى ما هو عليه المؤمنون، أو إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون، من أخوّة صادقة، ومشاركة وجدانية حانية، يجسدها الشعور، بأن مال أخيك هو مالك، من زاوية أنه يجب عليك أن تحافظ عليه، وأن تصونه من التلف والضياع، فلأن تمتنع عن أكله بالباطل من باب أولى، فإذا أكلت مال أخيك أضعفته، وفي ضعفه ضعف لك، فأنت بهذا قد أكلت مالك.

وأشارت كلمة ( بينكم ) إلى أن المال يجب أن يكون متداولاً بين جميع أفراد الأمة، وأكله بالباطل يجعله متداولاً بين الأغنياء فقط، وفي هذا تضييق على الفقراء، بل عُدْم لهم.

والمال قوام الحياة، وأكل أموال الناس بالباطل، عدوان على قوام حياتهم، وهذا يستوجب غضب الله، وعقابه الأليم، فالإضرار بالناس يقترب من الشرك بالله، أما أكل المال بالحق: فهو أن يكون نظير عوض حقيقي، أو خدمة صحيحة، وأن يكون المأكول ماله راضياً أشد الرضا، حتى لو كشف الغطاء، وهذا مستنبط من قوله تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا )**

( سورة النساء )

وقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم على حرمة المال الحرام، وجعلها كحرمة الدم والعرض فقال:

**(( كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ))**

[ مسلم عن أبي هريرة ]

وفيما رواه البيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

عَنْ عَمْرِو ابْنِ يَثْرِبِيّ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ:

**(( أَلاَ وَلاَ يَحِلُّ لاِمْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ شَيْءٌ إِلاّ بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ ))**

[ أحمد ]

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((... وَمَنْ انْتَهَبَ نُهْبَةً فَلَيْسَ مِنَّا ))**

[رواه الترمذي]

ومِن أكلِ أموال الناس بالباطل: الغصب، والنهب، والسلب، والرشوة، والغلول، والسرقة، والميسر، والربا، وهذه الأنواع من أكل أموال الناس بالباطل، بينة حرمتها، واضحة حدودها،

وظاهرة نتائجها، لذلك تجد الكثرة الكاثرة من المسلمين يبتعدون عنها خشية أن يحلّ عليهم غضب الله، ومن يحلل عليه غضب الله فقد هوى.

ولكن هناك أنواع من أكل أموال الناس بالباطل تخفى على كثير من المسلمين بسبب توانيهم عن حضور مجالس العلم، أو عزوفهم عن سؤال أهل الذكر، وقد روي عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف بالسوق، ويعنف بعض التجار ويقول: **<< لا يبع في سوقنا إلا من تفقه، وإلا أكل الربا شاء أم أبى >>**

## صورٌ من أكل أموال الناس بالباطل

### ١ ـ الاحتكار:

ومن أكل أموال الناس بالباطل " الاحتكار "، وهو بالتعريف الدقيق ؛ حبس مالٍ، أو منفعة، أو عمل، والامتناع عن بيعه وبذله حتى يرتفع سعره ارتفاعاً فاحشاً غير معتاد، بسبب قلّته أو انعدام وجوده في مظانّه، مع شدة الحاجة إليه، والمحتكر من خلال أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون وخاطئ، وقد برئت منه ذمة الله، وقد توعده الله بالنار، فقد قال صلى الله عليه وسلم:

**(( لاَ يَحْتَكِرُ إِلاَّ خَاطِئٌ ))**

[ حديث رواه مسلم وغيره عن معمر بن عبد الله ]

وقال:

**(( الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ ))**

[ رواه ابن ماجه ]

وقال:

**(( من احتكر الطعام أربعين ليلة يريد به الغلاء، قد برئ من الله وبرئ الله منه ))**

[رواه أحمد عن ابن عمر ]

وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على من ترك الاحتكار خوفاً من الله، وإشفاقاً على المسلمين، وتيسيراً عليهم فقال:

**(( من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به ))**

[قال الحافظ العراقي في تخريجه على الإحياء: أخرجه ابن مردويه من حديث ابن مسعود بسند ضعيف]

فالاحتكار: أكل لأموال الناس بالباطل، وابتزازها بافتعال قلة العرض مع كثرة الطلب، وليس هذا الربح الزائد الذي يجنيه المحتكر حلالاً ؛ لأنه ليس نظير خدمات حقيقية يقدمها التاجر، ولم يُؤخذ بالرضى الحقيقي للمشتري، إنما هو إلجاء أصحاب الحاجات إلى شراء حاجاتهم، بأكثر من أثمانها الحقيقية، وقد قال صلى الله عليه وسلم:

**(( بئس العبد المحتكر، إن أرخص الله الأسعار حزن، وإن أغلاها فرح ))**

[ذكره الطبراني في الكبير والبيهقي عن معاذ ]

بل إن علماء الأصول بنوا حكم الاحتكار لا على النصوص الجزئية التفصيلية الخاصة به فحسب، بل على أصول عامة، ثبتت بالاستقراء الدقيق، قال الإمام أبو يوسف رحمه الله: " كل ما أضر بالناس حبسه فهو احتكار"، وقال بعض الفقهاء المحدثين: "كل إيهام أو تضليل، من شأنه أن يزيد في الطلب على السلعة، مع قلة العرض، تمهيداً لرفع السعر فهو احتكار ".

## ٢ ـ الغش:

ومن أكل أموال الناس بالباطل: الغش، وللغشّ أنواع كثيرة وصور شتى، يرجع معظمها إلى المخادعة، بإظهار شيء، وإخفاء خلافه، في باطنه.

ومن ذلك الكذب في التعريف فيعرّف الرديء بأنه جيد، وذو السعر الرخيص بأنه ذو السعر الغالي.

ومن الغش دس الرديء في أثناء الجيد، وبيعه جميعاً بقيمة الجيد دون بيان الواقع والحقيقة.

ومن الغش أن يقول البائع: اشتريته بكذا، كذباً، ليخدع المشتري في هامش ربحه، ومن الغش إخفاء العيب والتلاعب بالوزن، والكيل والعدد، والطول والحجم والمساحة.

ومن الغش تزوير منشأ البضاعة ومصدرها، أو الكذب في الإخبار عنها، ومن الغش عرضها بطريقة تزيد من مزاياها، وتخفي من عيوبها، ومن الغش توجيه المشتري إلى بضاعة رديئة كاسدة استغلالاً لجهله، ومن الغش استغلال جهل المشتري، ورفع السعر أضعافاً مضاعفة، وهذا المشتري الجهول بنوعية البضاعة وقيمتها سماه النبي صلى الله عليه وسلم " المسترسل " فقال:

**(( غَبنُ المسترسل ربا ))**

[رواه البيهقي عن أنس ]

وقال:

**(( غبن المسترسل حرام ))**

[ رواه الطبراني عن أبي أمامة ]

وهكذا فكل مالٍ يكسبه الإنسان عن طريق الغش فهو حرام، وهو سحت، وظلم، وهو من أكل أموال الناس بالباطل.

والغش كما يكون بالبيع يكون في الشراء، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تلقي الركبان لشراء بضاعتهم قبل أن يعرفوا قيمتها الحقيقية، ونهى عن كل جهالة تمكن البائع أو الشاري من الغش، وتفضي إلى منازعة.

وسواء في الإثم أن تغش المسلمين، أو غيرهم ؛ لأن الحق لا يفرّق، ولا يجزأ، فالخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، قال صلى الله عليه وسلم:

**(( من غش فليس منا ))**

[رواه الترمذي عن أبي هريرة، ورواه مسلم في حديث: ما هذا يا صاحب الطعام..]

وكلمة غش جاءت مطلقة.

بل إن غش غير المسلمين أشد إثماً، لأنه يؤدي إلى جرح مكانة الدين، فأنت أيها المسلم على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يُؤتَيَنَّ مِن قِبلك.

روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

**(( أَنّ رَسُولَ اَللّهِ صلى الله عليه وسلم مَرّ عَلَى صُبْرَةِ طعَامٍ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا ، فقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ اَلطّعَامِ ؟ قَالَ: أَصَابَتْهُ اَلسّمَاءُ يَا رَسُولَ اَللّهِ، فقَالَ: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ اَلطّعَامِ كَيْ يَرَاهُ اَلنّاسُ ؟ مَنْ غَشّ فَلَيْسَ مِنّي ))**

[ رواه مسلم ]

وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا باعوا لم يطروا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كان لهم لم يعسّروا.

وقال صلى الله عليه وسلم:

**(( مَن عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته ))**

[ القضاعي في مسند الشهاب عن علي ]

فإذا ظلمهم، أو كذبهم، أو أخلفهم، فقد سقطت عدالته، لكن الفقهاء عدوا بنوداً كثيرة تجرح العدالة، منها: أكل لقمة من حرام، ومنها تطفيف بتمرة..

## أمثلةٌ حية عن التجار الصادقين:

المبادئ والقيم والمثل لا تعيش إلا في المثل الحي، والمثل الحي يجسد المبادئ، ويحقق القيم، ويجعل الطريقة المثلى واقعاً، والمثل الحي حقيقة مع البرهان عليها، والمثل الحي، نموذج إنساني خالد، ونبراس للأجيال من بعده، فأبو حنيفة النعمان رحمه الله أكرم علمه ونفسه، وحزم أمره على أن يأكل من كسب يمينه، وأن تكون يده هي العليا دائماً، وقد أيقن أنه ما أكل أمرؤ لقمة أزكى ولا أعز من لقمة ينالها من كسب يده، لذلك خصص شطراً من وقته لكسب رزقه، فاتجر بالخز ( القماش ) وأثوابه، فكان له متجر معروف يقصده الناس، فيجدون فيه الصدق في المعاملة، والأمانة في الأخذ والعطاء، وكانوا يجدون فيه أيضاً، الذوق الرفيع: يأخذ المال من حله، ويضعه في محله، و كلما حال عليه الحول، أحصى أرباحه من تجارته، واستبقى منها ما يكفيه لنفقته، ثم يشتري بالباقي حوائج القرّاء والمحدثين والفقهاء وطلاب العلم وأقواتهم وكسوتهم.

ومثل حي آخر، الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان مثلاً أعلى في العدالة والرحمة والزهد، وقد أتعب الذين أتوا من بعده، ففي عهده وفد إلى المدينة المنورة رسول من أذربيجان، وقد وصلها في ساعة متأخرة من الليل، وكره أن يطرق باب أمير المؤمنين في هذا الوقت فتوجه إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمع صوتاً فيه الأنين والحنين إلى الله، سمع صاحب هذا الصوت يقول: " يا رب، أنا واقف ببابك، مستمسك بحبالك، هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي، أم رددتها فأعزيها، فقال الرسول: من أنت يرحمك الله ؟ قال: أنا عمر بن الخطاب، فقال: يا أمير المؤمنين ألا تنام الليل ؟ قال عمر: إنني إن نمت الليل كله، أضعت نفسي أمام ربي، وإن نمت النهار أضعت رعيتي، ويمكثان في المسجد حتى صلاة الفجر، وبعد الصلاة يدعو عمر رسول عامله على أذربيجان إلى بيته، ويسأل عمر أم كلثوم زوجته، ماذا عندك من طعام يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت: ليس عندنا والله إلا الخبز وبعض حصاة الملح، ويتناولان هذا الطعام الخشن، ويسأل عمر ضيفه فيم جئتنا، فيقول، إن عاملك هناك أرسلني بهذه الهدية إليك علبة فيها بعض الحلوى، لا تصنع إلا هناك، فقال عمر: أو يأكل عامة المسلمين هناك هذا الطعام ؟ قال: لا، هذا طعام الخاصة، قال: أوَ أعطيت كل فقراء المدينة مثلما أعطيتني، قال:لا، هذا لك وحدك، قال عمر: بلغْ الأمير هناك أن يأكل مما يأكل منه عامة المسلمين، وألا يعود إلى مثلها، وأمر الرسول أن يذهب بهذه الحلوى إلى فقراء المسلمين في المسجد، وأن يقسمها فيما بينهم، وقال قولته الشهيرة، حرام على بطن عمر أن يذوق حلوى لا يطعمها فقراء المسلمين.

كيف لا وهو الذي خاطب بطنه من قبل بعد أن حرمه اللحم أشهراً عدة في عام المجاعة، خاطبه فقال: << قرقر أيها البطن، أو لا تقرقر، فو الله لن تذوق اللحم حتى يشبع منه صبية المسلمين >>

لله در صحابة رسول الله، ماذا نقول بحقهم ؟ أنقول: إنهم بشر.. نعم، ولكن ليسوا ككل البشر.. أنقول: إنهم ملائكة.. نعم، ولكن في الطهر والصفاء والنقاء.

أيها الناس، توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا، وأكثروا الصدقة ترزقوا، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر تنصروا، إن أكيسكم أكثركم للموت ذكراً، وأحزمكم أشدكم استعداداً لها، ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور.

**الخطبة الثانية:**

## الحاجز بين البحرين:

أيها الإخوة الكرام، انطلاقاً من قوله تعالى:

**( سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ )**

( سورة فصلت )

### ١ ـ اكتشاف الحاجز بين البحرين المالح والعذب:

انطلاقاً من هذه الآية، لقد اكتشف العلماء الغربيون مؤخراً أن بين كل بحرين مالحين حاجزاً، تم تصويره من سفن الفضاء، هذا الحاجز يمنع مياه كل بحر من أن تختلط بمياه البحر الآخر، فلا يبغي بحر على بحر، بل يحافظ كل بحر على كثافة مياهه، ودرجة ملوحته، ونوع مكوناته، وهذا الحاجز ليس ثابتاً، بل هو متحرك بفعل الرياح، وحركة المد والجزر.

### ٢ ـ السبق العلمي في القرآن الكريم:

وحينما أطلّ بعض هؤلاء العلماء، وهم في نشوة اكتشافهم هذا أن في القرآن الكريم إشارة إلى هذا الكشف العلمي، وهو قوله تعالى:

**( فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(١٨)مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ(١٩)بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ(٢٠)فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ )**

( سورة الرحمن )

أخذتهم الدهشة.. وقد اكتشفوا أيضاً أن بين البحرين، الملح الأجاج، والعذب الفرات شيئين: حاجزاً يمنع مياه كل بحر من أن تطغى على الآخر، كما هو بين البحرين المالحين، وحاجزاً يمنع أسماك المياه المالحة من أن تنتقل إلى المياه العذبة.. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الكشف أيضاً.. وسمى الحاجز الأول برزخاً، والثاني حِجراً.. فقال تعالى:

**( وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا )**

( سورة الفرقان )

أما طبيعة هذين الحاجزين فما زالت موضع الدراسة.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٠٦) : خ١ - الأمانـة ، خ٢ - مقتضيات الأمانة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٧-١٢-١١

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## الأمانة:

### ١ ـ السماوات والأرض والجبال يرفضن حمل الأمانة:

الأمانة أشفقت مِن حملها السماوات والأرض والجبال، وأبين أن يحملنها، وقال الإنسان: أنا لها، وحملها، فهل كان بحملها ظلوماً جهولاً ؟ قال تعالى:

**( إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً * لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً )**

[ سورة الأحزاب ]

أياً كان معنى الأمانة فهي شيء عظيم، وخطير، ومصيري، بدليل أن السماوات والأرض والجبال أشفقن منها، وأبين أن يحملنها، والإنسان من خلال موقفه منها إما أن يرقى إلى أعلى عليين، أو يهوي إلى أسفل سافلين، موقفه من الأمانة سيحدد ما إذا كان مؤمناً، أو مشركاً، أو منافقاً.

### ٢ ـ مفهوم الأمانة :

على الرغم من أن المسلم قد يفهم الأمانة بادئ ذي بدء اسماً لشيء يودع عند الآخرين ، ليحتفظوا به ، ويحفظوه ، ثم ليردوه إلى من أودعه بالتمام والكمال ، ويفهمها أيضاً صفة طيبة لمن يؤدي الأمانات إلى أهلها على الوجه الصحيح .

على الرغم من أن عامة الناس يفهمونها فهماً محدوداً، فإن للأمانة مفاهيم واسعة، وعميقة، ومتعددة، فهي أحد الفروع الخُلقية لحب الحق وإيثاره، وهي ضد الخيانة، وهي عفة عن المحارم، وعفة عن المطامع، من دون أن يكون المرء الأمين مداناً عند الناس، هي أداء طوعي للحقوق والواجبات، وحفظ لكل ما استؤمن عليه الإنسان، هذا من جانب الإنسان.

أما من جانب الواحد الديان فهي سؤال، وحساب، وإدانة، وجزاء لكل ما أوكل أمره للإنسان، وقد أعطي الإمكانات والقدرات الكافية ليصح التكليف، وأعطي الإرادة الحرة لتحقيقه.

روى الإمام البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**(( كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ،**

**وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ))**

[ متفق عليه ]

## ٣ ـ الأمانة هي التكليف :

والآن ما الأمانة بمفهومها الخطير والمصيري؟.. إنها التكليف.. فالإنسان حينما قبِلَ حمل الأمانة قبل أن تكون نفسُه التي بين جنبيه أمانةً عنده ليعرفها بربها، فأصل الدين معرفته، وليطهرها من أدرانها فالله يحب المتطهرين، وليزكيها بالكمال الإنساني، قال تعالى:

**( قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا )**

[ سورة الشمس ]

كل هذا من أجل أن يكون إيمانها، وعملها الصالح مؤهلاً لها لدخول الجنة التي أعدَّت لها، ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

## مقومات التكليف:

ولكن الله عز وجل حين كلف الإنسان حمل الأمانة منحه مقومات هذا التكليف، فسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، تسخير تعريف وتكريم ليؤمن به ويشكره.

ومنحه بعد ذلك العقل قوةً إدراكية، يتعرف به إلى الله من خلال الكون، قال تعالى:

**( وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ )**

[ سورة الرحمن ]

وأودع فيه الشهوات ليرقى بها صابراً أو شاكراً إلى رب الأرض والسماوات. ومنحه الإرادة الحرة، ليصح التكليف والابتلاء، وليكون النجاح فيهما ثمن العطاء. وحرصاً على قيامه بواجب التكليف، بعث الأنبياء والرسل وأنزل معهم الكتاب بالحق.

وإذا حملت الأمانة، كما ينبغي ـ وهذه مقوماتها ـ تحقق الهدف من خلق الإنسان، وهو العبادة، التي هي طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، تسبقها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.. قال تعالى:

**( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ )**

[ سورة الذاريات ]

عندئذٍ كان النجاح والفلاح.. قال تعالى:

( قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا )

[ سورة الشمس ]

## مستويات الأمانة:

وبعد أن يكون المرء أميناً على نفسه من أن تضل، أو تزل يمكن أن يكون أميناً مع الخلق، وأمانة الخلق لها مستويات عديدة ودوائر متعاظمة، أعلاها مستوىً وأوسعها شمولاً:

### ١ ـ أمانة التبليغ:

وهي الأمانة العظمى التي حُمّلت للأنبياء والمرسلين، الذين هم أمناء وحي السماء، وقد رعوها حق رعايتها، وأدوها على الوجه المطلوب، فظهرت في عصورهم بطولات فذّة، ومجتمعات فاضلة مكنت قوى الخير من أن تنتصر على قوى الشر.

### ٢ ـ أمانة التبيين:

ثم أوكلت هذه الأمانة إلى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وأمناء الرسل، وقد أدى الأصحاب الكرام، والتابعون الأعلام، والعلماء العاملون المخلصون من بعدهم هذه الأمانة، وحفظوا ميراث النبوة، وتحمَّلوا مسؤولية الأداء، وما تنصلوا، وما تعللوا، وما اعتذروا، وما ألقوا ذلك على عاتق غيرهم، فكانت مجتمعاتهم بشكل أو بآخر امتداداً لعصور الازدهار والتألق.
ولقد أخذ الله العهد على العلماء أن يُبيِّنوا الحق للناس، ولا يكتموه ، وهذه أمانة العلم، ولن يستطيع العلماء أداء أمانتهم تلك إلا إذا كانوا علماء عاملين مخلصين..
ولكن واقع المجتمع الإسلامي اليوم يختلف اختلافاً بيِّناً عن واقع المجتمع الإسلامي في عهود الازدهار والتألق، فمعظم الناس اليوم لا يتخلقون بأخلاق الإيمان، ولا يلتزمون بسنة النبي العدنان، ولا يقفون عند حدود الله، بل يتجاوزونها، وبيوت المسلمين ليست على ما ينبغي لها، والعلاقات الاجتماعية والمالية ليست منضبطة وفق الشرع الحنيف، لقد قصر مفهوم الدين على أداء العبادات الشعائرية من صوم، وصلاة، وحج ، وزكاة.. ونسي الناس أن ترك درهم من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام، ولأن يمشي الرجل في حاجة أخيه المؤمن، خير له من صيام شهر واعتكافه..
والأمة الإسلامية بأجيالها الحاضرة والقادمة.. من المسؤول عن اهتزاز القيم الدينية فيها؟ ومن المسؤول عن تفلت الناس من قواعد الدين القويم، وأحكام الشرع الغراء؟ إنهم العلماء، والمربون،

والقادة الموجهون، إنهم مسؤولون أمام الله عز وجل، لأنه حمَّلهم أمانة الأداء، وأخذ عليهم العهد أن يبيِّنوا الحق للناس ولا يكتموه، إنهم لن يستطيعوا أداء أمانتهم إلا إذا كانوا علماء عاملين مخلصين، ويجب أن يكونوا قدوة بأخلاقهم، قبل أن يكونوا موجهين بألسنتهم.. قال تعالى:

**( الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً )**

[ سورة الأحزاب ]

## ٣ ـ أمانة الولاية:

ومن مستويات الأمانة، أمانة الولاية، وهذه الأمانة تكمل أمانة التبليغ، وأمانة الأداء.. يقول صلى الله عليه وسلم:

**(( صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء ))**

[ أخرجه أبو نعيم في الحلية ]

فالورع حسن، لكنه في العلماء أحسن، والعدل حسن، ولكنه في الأمراء أحسن.. ولقد قرر النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ المسؤوليات على كل المستويات، بدءاً من الأمير، وانتهاءً بغيره ، فقد روى البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**(( كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ))**

[ متفق عليه ]

تروي فاطمة بنت عبد الملك، زوجة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين قالت: « دخلت على عمر يوماً في مصلاه فرأيته واضعاً يده على خده، ودموعه تسيل، فقلت له: ما بالك؟ وفيم بكاؤك؟ فقال: ويحك يا فاطمة، إني قد وُليت هذا الأمر ففكرت في الفقير، والجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهول، واليتيم المكسور، والمظلوم المقهور، والغريب، والأسير، والشيخ الكبير، والأرملة الوحيدة، وذوي العيال الكثير، والـرزق القليل، وأشباههم في أطراف البلاد، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم جميعاً يوم القيامة، وإن خصمي دونهم يومئذ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فخشيت ألا تثبت لي حجة، فلذلك أبكي ».

[ سير أعلام النبلاء ، للذهبي " ترجمة عمر بن عبد العزيز ]

## ٤ ـ أمانة التولية:

ومن فروع أمانة الولاية، أمانة التولية.. وهي أن يوضع كل رجل في مكانه الصحيح اللائق به، وأن يسند كل عمل لصاحبه الحقيق به.. فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم الإِمَارَةَ، فَقَالَ:

**(( إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا ))**

[ رواه مسلم ]

سيدنا عمر رضي الله عنه عملاق الإسلام، أسند إلى رجل ولاية وأراد أن يمتحنه ليتحقق من أهليته، وأن يوجهه ليحقق مهمته فسأله: « ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب؟ قال: أقطع يده.. فقال عمر: إذاً إن جاءني من رعيتك من هو جائع أو عاطل فسأقطع يدك، يا هذا، إن الله قد استخلفنا على خلقه لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر لهم حرفتهم، فإن وفينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها.. إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً ، فاشغلها بالطاعة، قبل أن تشغلك بالمعصية ».

## ٥ ـ أمانة الواجب:

من معاني الأمانة أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملاً من خلال العمل الذي أنيط به، وأن يستنفد جهده في إبلاغه تمام الإحسان، انطلاقاً من الإيمان والشعور بأن الله سيسأل عن العمل الذي وُكل إليه، هل أداه كاملاً غير منقوص؟ أم كان الخلل والتقصير؟ وهل نصح أم غش؟ وهل أتقن أم أهمل؟ وهل أنصف أم ظلم؟ وهل أحسن أم أساء؟ وهل رحم أم قسا؟ وهل حفظ أم ضيع؟ وهل أعطى أم منع؟.

فالطالب أمانة في عنق المعلم، فهل عني في تعليمه وتقويمه، أم أهمل وقصر؟ وهل كان مخلصاً للحقيقة، أم مزوراً، ومنتحلاً لها؟ وهل أخلص في علمه أم خان ضميره المسلكي وضيع ما استودع؟.

والمريض أمانة في عنق الطبيب، فهل حرص على شفائه من دائه أم حرص على ابتزاز ماله؟.

والموكّل أمانة في عنق المحامي، فهل صدقه ونصحه؟ والخصمان المتنازعان أمانة في عنق القاضي فهل عدل أم ظلم؟.

والأبنية والمنشآت والجسور والطرقات أمانة في عنق المهندس الذي صممها والمهندس الذي نفذها، والمهندس الذي تسلمها.. هل حفظ مال الأمة أم ضيعه؟.

والصنعة والحرفة أمانة في عنق الصانع فهل أتقنها، وهل حسَّنها وهل طوَّرها، أم أهملها؟ فكانت العيوب والنقائص، وكان الخلل والكساد، علماً بأن إتقان الصنعة جزء من الدين..

**(( إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه ))**

[رواه أبو يعلى والعسكري عن عائشة ]

والشجرة والنبتة، أمانة في عنق الزارع.. هل أحسن العناية بها كي تؤتي أكلها كل حين، أم تركها نهبة للعطش والأمراض والأوبئة فانخفض الإنتاج وتضرر الناس؟.

والمستهلك أمانة في عنق البائع فهل نصحه أم غشه، في النوع أو الكم أو السعر؟.

والمُراجع أمانة في عنق الموظف هل سهل له طلبه، ويسّر له أمره؟. أم وضع له العقبات والعراقيل ليأخذ منه ما ليس له بحق؟.

## ٦ ـ أمانة الأموال والأعراض والدماء:

ويدخل في أمانة الأموال: البيوع، والديون، والمواريث، والودائع والرهون، والعواري، والوصايا، والهبات، وأنواع الولايات الكبرى والصغرى، وغير ذلك.

ويدخل في أمانة الأعراض: كفُّ النفس، والسمع، والبصر، واللسان، واليد، والغيبة، والقذف.. ويدخل في أمانة الأجسام والأرواح كفُّ النفس، واليد عن التعرض لها بسوء، من قتل، أو جرح، أو ضر، أو أذى ..

## ٧ ـ الأمانة العلمية:

ويدخل في الأمانة، الأمانة العلمية، وهي صحة النقل، ونسبته إلى صاحبه، من دون تحريف أو تزوير، أو انتحال، أو حذف، أو زيادة أو تدليس..

ومن الأمانة صيانة حقوق الابتكار، والاختراع وعدم التقليد وعدم تقليد العلامات التجارية.
ومن الأمانة صيانة الحقوق الأدبية للإنتاج الأدبي والعلمي، وعدم النقل، والاقتباس، وكذلك الطبع دون إذن صاحب المؤلف، يقول صلى الله عليه وسلم:

**(( إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه، قلّت رعيته أم كثرت أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الزوج عن زوجته، والوالد عن ولده والسيد عن خادمه، هل أقام فيهم أمر الله؟ ))**

[ رواه النسائي وابن حبان عن أنس، ورواه ابن عساكر عن أبي هريرة ]

## الأمانة غنى:

بقيت بشارة لأولئك الذين حفظوا الأمانة، أمانة الواجب، ولم يضيعوها، قال صلى الله عليه وسلم:

**(( الأمانة غنى ))**

[ رواه القضاعي عن أنس ]

فالأمانة في نص الحديث من أسباب التوفيق في الأعمال، فالأمين العفيف المتقن الناصح الذي يؤدي واجبه كاملاً يكسب ثقة الناس، وهذه الثقة أكبر رأسمال يملكه الإنسان ويتحرك به.. فالأمانة تغنيه عن السؤال، وتغنيه عن الابتذال، والأمانة تحقق التوازن النفسي، حيث تغني عن استجداء المديح، وهي تكسب المرء ثقة بطهر نفسه، وهذه الثقة تجعله عزيزاً رافع الرأس..

## ٨ ـ أمانة المجالس:

ومن معاني الأمانة أن تحفظ حقوق المجالس، التي تشارك فيها فلا تدع لسانك يفشي أسرارها، ويسرد أخبارها، فكم من حبال تقطعت، ومصالح تعطلت لاستهانة الناس بأمانة المجالس، وذكرهم ما يدور فيها من كلام منسوبٍ إلى قائله، أو غير منسوب قال صلى الله عليه وسلم:

**(( إذا حدث الرجل رجلاً حديثاً، ثم التفت فهو أمانة ))**

[رواه أبو داود ]

وحرمات المجالس تصان مادام الذي يجري فيها مضبوطاً بحدود الأدب، وشرائع الدين، وإلا فليست لها حرمة.. قال صلى الله عليه وسلم:

**(( المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس : مجلسُ سفكِ دمٍ حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق ))**

[ رواه أبو داود ]

## ٩ ـ أمانة العلاقات الزوجية :

وللعلاقات الزوجية في نظر الإسلام قداسة، فما يضمه البيت من شؤون بين الرجل وامرأته، يجب أن يطوى في أستار مسبلة، فلا يطّلع عليه أحد، مهما قرب.. قال صلى الله عليه وسلم:

**(( إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها ))**

[ رواه مسلم ]

## الخطبة الثانية: توضيح مقتضيات الأمانة:

تطبيقاً لمفهوم الأمانة العلمية، وتوضيحاً لما تقتضيه أمانة هذا الموضوع، فإن التقصير في أداء الواجب في كل الأعمال والحرف والوظائف يدخل الشبهة على المال الذي يكسبه المقصر، لقد ضل من قصر الدين على أداء العبادات من صوم، وصلاة، وحج، وزكاة، ونسي أن ترك درهم من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام، ونسي أن الرجل لأن يمشي في حاجة أخيه خير له من صيام شهر واعتكافه، فمن أجل أن يصح دين الرجل، ينبغي أن يحرر دخله من الشبهات ومن التقصير في أداء الواجبات، وهذه هي حقيقة الورع، وركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط، والمخلط، هو الذي جمع عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

## درجات الورَع:

وقد صنف الإمام الغزالي الورَع في أربع درجات:

- أدناها ورع العدول، وهو الذي يوجب الفسق باقتحامه، ويسقط العدالة بنواله، ويثبت العصيان والتعرض للنيران، وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء.

- والدرجة الثانية ورَع الصالحين، وهو الامتناع عن كل ما فيه شبهة التحريم، ولكن المفتي يفتي بحله، بناء على ظاهر أمره، وقد بني هذا على قول النبي عليه الصلاة والسلام:

**(( دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ ))**

[ الترمذي عن الحسن بن علي ]

- والدرجة الثالثة فهي ورَع المتقين، وهي الامتناع عما لا تحرمه الفتوى، ولا شبهة في حله، ولكن يخشى أن يؤدي إلى محرم، وهذا مأخوذ من قول النبي عليه الصلاة والسلام:

**(( لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ بَأْسٌ ))**

[ الترمذي عن عطية السعدي ]

- وأما الدرجة الرابعة، وهي أعلى الدرجات، إنها ورع الصديقين، وهي الامتناع عما لا بأس به أصلاً، ولا يُخشى أن يؤدي إلى ما به بأس، ولكنه يُتناول لغير الله، وعلى غير نيّة التقوي على عبادة الله، قال عليه الصلاة والسلام:

**(( من لقي الله ورعاً أعطاه الله ثواب الإسلام كله ))**

[ قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : لم أقف له على أصل ]

الشريعة الإسلامية عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل.

## كسب الحلال من الجهاد في سبيل الله :

**(( من أمسى وانياً - أي متعباً - في طلب الحلال، بات مغفوراً له وأصبح الله راضياً عنه ))**

**(( من بات كالا - أي تعِباً - في طلب الحلال بات مغفورا له ))**

[ ابن عساكر عن المقدام بن معد يكرب ]

فكما أن طلب العلم فريضة على كل مسلم، كذلك طلب الحلال فريضة على كل مسلم، ومن أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى، علم أم لم يعلم.

روي أن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعله مستجاب الدعوة ، ونحن على وشك الدعاء ، فقال عليه الصلاة والسلام :

**(( يا سعد، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ))**

[ الطبراني في المعجم الصغير عن ابن عباس ]

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٠٧) : خ١ - الإسراء والمعراج ، خ٢ - انتفاضة المسجد الأقصى.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٨-٠٣-١٨

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

## شكوى النبي عليه الصلاة والسلام:


الشكوى لله من مظاهر التقرب إليه

وبعد، عباد الله، فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

**(( اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت ربُّ المستضعفين، وأنت ربِّي، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدوٍّ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولك العتبى حتى ترضى، ولكن عافيتَك هي أوسعُ لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك أو يحلَّ عليَّ سخطك، ولا حول ولا قوة إلا بك ))**

[ الطبراني عن عبد الله بن جعفر ]

كان هذا دعاء النبي صلوات الله وسلامه عليه، في الطائف، وقد خرج إلى أهلها، يلتمس هدايتَهم ونصرتَهم، فردُّوا دعوته رداً منكراً، وأغلظوا له في القول، وأغرَوا به سُفهاءهم، يصيحون به، ولقد جاءه جبريل عليه السلام فيما رواه الشيخان عن عائشة يعرض عليه أن يُطْبِقَ على هؤلاء الجبلين، فقال قولةً عبَّرت عن رحمته الفياضة، وعن خُلُقه العظيم:

**(( بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ))**

أيها الإخوة، إن الشكوى إلى الله من أجلِّ مظاهر العبودية، والضراعة إليه من أعظم القربات، وكانت خديجة صدِّيقة النساء التي حَنَتْ عليه ساعة العُسرة، والتي واسَتْهُ في أيام الشدَّة بنفسها ومالها، قد توفيت، وكان عمُّه أبو طالب، الذي أظهر من النُبْل في كفالته، ومن البطولة في الدفاع عنه الشيء الكثير قد توفي أيضاً، وقد نالت قريش من النبي بعد وفاة عمِّه ما لم تنل منه في أي

وقت مضى، وجاء ردُّ سادة ثقيف في الطائف وسفهائهم جافياً قاسياً، فكان العام العاشر من البعثة بحقٍ عام الحزن، فقد تحمل النبي صلوات الله وسلامه عليه فيه من الشدائد ما لا يحتمله بشر على الإطلاق إلا أن يكون نبياً، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ )**

[ سورة المائدة ]

## الإسراء والمعراج:

وكانت معجزة الإسراء والمعراج، وهو حدث ضخم من أحداث الدعوة الإسلامية سبقته البعثة، وجاءت من بعده الهجرة، لقد كان مسحاً لجراح الماضي، وتثبيتاً لقلب النبي، وتطميناً للمستقبل، وتعويضاً عن جفوة الأرض بحفاوة السماء، وعن قسوة الناس بتكريم الملأ الأعلى، وإشعاراً له أن الله معه، بالرعاية والعناية، وتكريماً له فريداً من دون الأنبياء، وتعريفاً له بأنه سيد ولد آدم، وسيد الأنبياء والمرسلين، وإراءةً له لملكوت الأرض والسماوات، ولِما تؤول إليه الخلائق بعد الممات.
إخوة الإيمان في كل مكان، كلُّ ذكرى من ذكرياتنا العطرة فيها دلالات كُبرى، ومنارات جُلّى ومواعظُ بليغة، وليستِ العبرةُ في ذِكر الوقائع والتفصيلات، لمجرد الذكرِ أو التعرف، ولكنَّ العبرةَ في أن نستنبط من هده الأحداث الدروس والعِبر، حيثُ تكون هذه الدروس والعبر نوراً نهتدي به في طريقنا إلى الله ، ومشعلاً وضّاءً نستضيءُ به في دروب الدعوة إليه.

## دروس الإسراء والمعراج:

ودروسُ الإسراء والمعراج أكثرُ من أن تُحصى، وأجلُّ من أن تُستقصى:

## ١ الدنيا دار امتحان وبلاء:


اصبر.. لعله خير

إنها تعلّمنا أن الدنيا دارُ التواء، لا دارُ استواء، ومنزل ترح لا منزلُ فرح، وأن من عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، وأن الله قد جعلها دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاءَ الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي.

## ٢ للمحن والمصائب حِكَمٌ جَليلة:

إن دروس الإسراء والمعراج تُعلمنا أن للمحن والمصائب حِكَماً جَليلة ، منها أنها تسوق أصحابها إلى باب الله تعالى ، وتُلبسهم رداءَ العُبودية ، وتُلجئهم إلى طلب العون من الله .

## ٣ المحن والمصائب لا تصد المؤمن عن ربه:

إنها تُعلّمنا أنَّه لا ينبغي أن تَصدَّنا المحن والعقبات ، عن متابعة السير في استقامة وثبات .

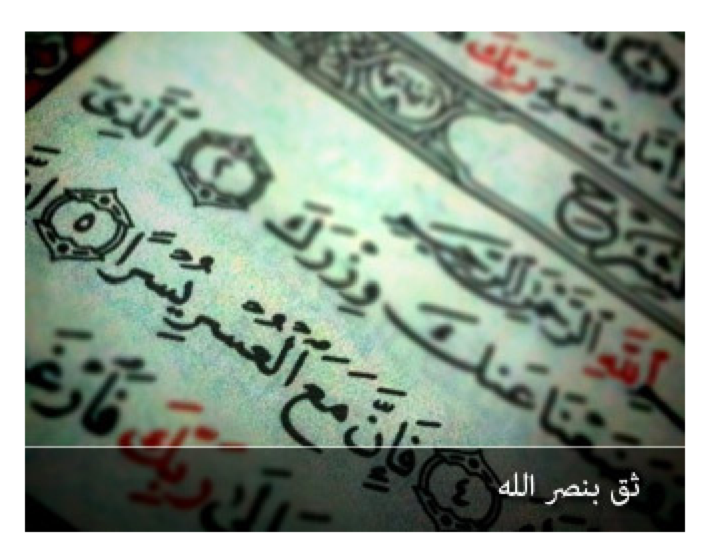
## ٤ الله هو الضامن والحافظ والناصر:

إنها تُعلّمنا أنَّه ما دام الله هو الآمر ، فلا شكَّ أنه هو الضامن والحافظ والناصر .

## ٥ لولا الجهادُ والصبر ما عُبدَ الله في الأرض:

إنها تُعلّمنا أنه لولا الجهادُ والصبر ، ما عُبدَ الله في الأرض ، ولا انتشر الإسلام في الخافقين ، ولا قُمنا في هذا المكان ، وعلى أمواج الأثير نوحِّدُ الله ونُسبِّحه ، وندعو إليه .

## ٦ اليسر مع العُسر ، والنصر مع الصبر:


ثق بنصر الله

إنها تُعلّمنا أن اليسر مع العُسر ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب .

## ٧ فضل الصلاة بفرضها في المعراج:

وإنَّ من أجلِّ دروس الإسراء والمعراج ، أنَّ الله تعالى ، كرَّم النبي صلى الله عليه وسلم بالعروج إليه لينال به أعلى درجات القُربات ، وكرَّم أمَّته بأن فرَضَ عليهم الصلوات ، لتكون معراجهم إلى ربِّ الأرض والسماوات ، لقد فرضت الصلاة التي هي من أجل القرب في أعلى مستويات القرب .

## الصلاة:

## ١ الصلاة عماد الدين:


أقم صلاتك مهما كانت الظروف

لقد فُرضت الصلاة وحياً مباشراً، والنبي صلى الله عليه وسلم في سِدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، بعد أن دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى.

إنَّ من أجلِّ دروس الإسراء والمعراج، أنَّ الصلاة عمادُ الدين، فمن أقامها فقد

أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين، فجوهر الدين اتصال بالخالق، وإحسانٌ إلى المخلوق، فلو لم يكن هذا الاتصال، أو انقطع بعد أن كان، أو أصبح اتصالاً شكلياً أجوفَ، كان التفلُّت من قواعد الشرع والإساءة إلى كلِّ الخلق.

## ٢ الصلاة رقيٌّ:

الناس إما شقيٌّ أو سعيد، أي مقطوعٌ عن الله، متفلّت من أوامره، مسيء إلى خلقه، أو موصولٌ بالله بالشرع، منضبطٌ محسنٌ إلى الخلق، وفي الصلاة يرقى مِن حالٍ إلى حال، ومن منزلة إلى منزلة ومن مقام إلى مقام، ومن رؤيةٍ إلى رؤيةٍ، إنها ترقى بالمصلي من عالم المادة إلى عالم القيم، ومن عالم الأوهام إلى عالم الحقائق، ومن سفاسف الأمور إلى معاليها، ومن مرتبة مدافعة التدني إلى مرتبة متابعة الترقي، ومن التمرغ في وحول الشهوات إلى التقلب في جنَّات القربات.

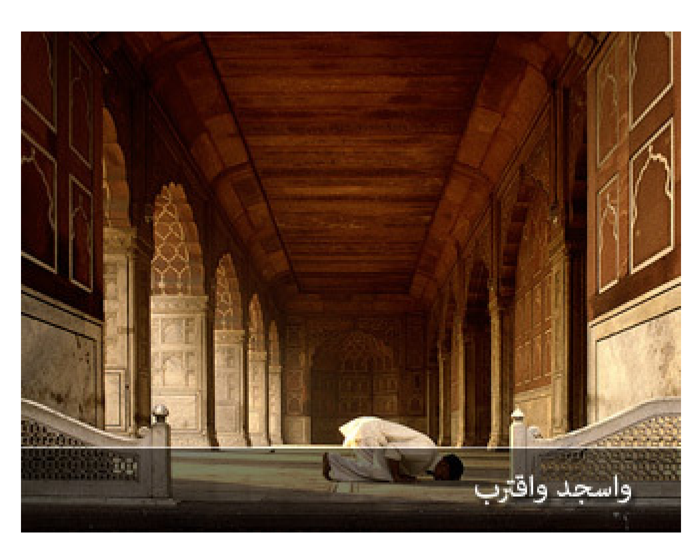
## ٣ الصلاة ذكرٌ:

فالصلاة ذكرٌ، قال تعالى:

**( إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي )**

[ سورة طه ]

## ٤ الصلاة قربٌ:




والصلاة قربٌ، قال تعالى:

**( كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ )**

[ سورة العلق ]

## ٥ الصلاة خشوعٌ:

والصلاة خشوع، قال تعالى:

**( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ )**

[ سورة المؤمنون ]

## ٦ الصلاة مناجاة:




والصلاة مناجاةٌ، قال عليه الصلاة والسلام:

**(( إِنَّ الْمُصَلِّيَ يُنَاجِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ بِمَا يُنَاجِي رَبَّهُ ))**

[ أحمد ]

## ٧ الصلاة وعي:

والصلاة وعيٌ، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا )**

[ سورة النساء آية ٤٣ ]

## ٨ الصلاة عقلٌ:

والصلاة عقلٌ، قال عليه الصلاة والسلام:

**(( ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها ))**

[ إتحاف السادة المتقين ، للزبيدي ]

## ٩ الصلاة عُروجٌ:

بل هي عروجٌ إلى الله، قال عليه الصلاة والسلام:

**(( الصلاة معراج المؤمن ))**

## ١٠ الصلاة ميزان لمعرفة بالله:

ولن تكون الصلاةُ ذكراً، وقرباً، وخشوعاً، ومناجاةً، ووعياً، وعقلاً، وعروجاً إلا إذا بُنيت على معرفة الله، والاستقامة على أمره، واتباع سُنَّة نبيه، فكيف تذكر، وتناجي من لا تعرفه، أم كيف تتقرب ممن تعصي أمره، إن الجهل مانعٌ، والمعصية حجابٌ، فالتفكر في خلق السماوات والأرض يُعَرِّفك بمن تذكره وتناجيه، فيزول المانع.

والتوبة النصوح تهدم كلَّ شيء قبلها، فيمزِّقُ الحجاب، والعمل الصالح يُسَرِّعُ الخُطى إلى الله، ويرفع الدرجات عنده، قال تعالى:

**( فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً )**

[ سورة الكهف : الآية ١١٠ ]

لذلك تُعدُّ الصلاة ميزاناً دقيقاً لمعرفتك بالله، ولاستقامتك على أمره، ولعملك الصالح، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**((مثلُ الصلاة المكتوبة، كالميزان، فمن أوفى استوفى ))**

أي فمن أوفى صلاته شروطها ، استوفى منها ثمارها التي وعد الله بها .

## حكمة وثمار الصلاة:

ولكن ما ثمارها لماذا فرضت؟ ما الحكمة منها؟ ما الغاية من فرضها ؟ما ثمارها؟!

## ١ الصلاة تطهير للنفس:

إنها تُطهّر نفس المصلي من النزوات الشريرة والشهوات المنحرفة، والأمراض النفسية المهلكة، فالنفس التي تشتهي المحرَّمات، وتستهوي البدع، لهي نفسٌ مريضة، والصلاة كما أرادها الله تعالى دواؤها وشفاؤها، إنها تنهى صاحبها نهياً ذاتياً عن الفحشاء والمنكر، على أساس الوازع الداخلي، لا على أساس الرادع الخارجي، قال تعالى:

**( وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ )**

[ سورة العنكبوت ]

وقد أشار بعض العلماء إلى أن الذكر هو أكبرُ ما في الصلاة أخذاً من قوله تعالى:

**( وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي )**

[ سورة طه ]

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الوظيفة الأساسية للصلاة، فقال فيما رواه البخاري ومسلم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّه سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:

**(( أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، مَا تَقُولُونَ ؟ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: ذَاكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا ))**

## ٢ الصلاة نور المؤمن:

وفضلاً عن أن الصلاة طهور، فهي نور المؤمن، كما قال عليه الصلاة والسلام:

**(( يرى به الحق حقاً فيتبعُه ، والباطل باطلاً فيجتنبه ))**

[ ورد في الأثر ]

قال تعالى:

**( أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا )**

[ سورة الأنعام : من الآية ١٢٢]

وقال تعالى:

**( تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً )**

[ سورة الأحزاب ]

فكل عمل صالح، أو طالح وراءه رؤية صحيحة أو منحرفة، ولن يستقيم العمل، ولن يطيب، حتى يستنير صاحبه بنور الله.

## ٣ الصلاة تبعثُ في النفس السرور:

وفضلاً عن أن الصلاة طَهور ونور، إنها تبعثُ في النفس السرور، فالقلب لا يطمئن، والنفس لا تَسعد إلا بها، قال تعالى:

**( وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي )**

[ سورة طه ]

**( أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ )**

[ سورة الرعد : الآية ٢٨ ]

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( ... وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ ))**

[ أخرجه النسائي وأحمد ]

**(( ولا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تَبعاً لما جئت به ))**

[ رواه البغوي في شرح السنة عن عبد الله بن عمرو ]

إن الإنسان المنقطع عن الله، شديد الهلع، كثير الجزع، لكن المصلي معافى من هذا الضعف، قال تعالى:

**( إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ )**

[ سورة المعارج ]

ويكفي أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا حز به أمرٌ بادر إلى الصلاة وكان يقول:

**(( أرحنا بها يا بلال ))**

[أخرجه أبو داود بلفظ يَا بِلالُ أَقِمِ الصَّلاةَ أَرِحْنَا بِهَا ]

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت:

**(( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مهنة أهله - تعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة ))**

[ أخرجه البخاري ]

ورضي الله عن سيدنا سعد بن أبي وقاص، إذ يقول: « ثلاثة أنا فيهنَّ رجل، وفيما سوى ذلك فأنا واحدٌ من الناس، ما سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم. إلا علمت أنه حقٌّ من الله تعالى، ولا صليت صلاةً فشُغلت نفسي بغيرها حتى أقضيها، ولا سِرت في جنازةٍ فحدثتُ نفسي بغير ما تقول حتى أنصرف عنها ».

وصفوة القول ما ورد في الحديث القدسي الذي رواه الديلمي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل:

**(( ليس كلُّ مصلٍ يصلي، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكفَّ شهواته عن محارمي، ولم يُصرَّ على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان، ورحم المصاب، وآوى الغريب، كلُّ ذلك لي، وعزتي وجلالي إن نورَ وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس، على أن أجعل الجهالة له حلماً، والظلمة نوراً، يدعوني فألبيه، ويسألني فأعطيه، ويقسم عليَّ فأبرُّه، أكلأه بقربي، واستحفظه ملائكتي، مثله عندي كمثل الفردوس، لا يُمسُّ ثمرها ، ولا يتغير حالها ))**

فالصلاة عماد الدين، وعصام اليقين، وسيدة القربات، وغرَّةُ الطاعات، ومعراج المؤمن إلى ربِّ الأرض والسماوات، وهي الركن الوحيد المتكرر من أركان الإسلام الذي لا يسقط بحال، إنها أسُّ

العبادات، وأصل القربات، ومبدأ الطاعات، وهي ركن الأركان، وأساس البنيان، وهي أول ما يحاسب عنه المرء يوم القيامة، ولا يُفلح المؤمن إلا بها، قال تعالى:

**( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ )**

[ سورة المؤمنون ]

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً .

**الخطبة الثانية:**

## في ذكرى الإسراء والمعراج:

### ١ الإيمان والجهاد :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، إن الإسلام يربط الإيمان بالجهاد ربطاً محكماً، بحيث لا يتحقق إيمانٌ صادقٌ عميقٌ راسخٌ من دون أن يكون الجهاد جزءاً تكوينياً من مقوماته، قال تعالى:

**( إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ )**

[ سورة التوبة ]

والمسجدُ الأقصى الذي بارك الله حوله أضحى بالإسراء إليه والمعراج منه رمزاً للشخصية المعنوية للمسلمين، وأنه لا يصحُّ أن يكون عُرضةً للاستيلاء عليه، وتدنيس رحابه الطاهرة، من قبل أعداء الله، الذين أكثروا في الأرض الفساد.

## ٢ المسجد الأقصى:


أولى القبلتين

وفي ذكرى الإسراء والمعراج إيماءٌ قوي إلى العرب والمسلمين أنه مفروضٌ عليهم ألا يتهاونوا في أمر الحفاظ على هذا المسجد، لأنه الموطن الذي شرَّف الله به هذا النبي العظيم، وهو موطن تشريفهم بالضرورة، كياناً وشخصية، وأمة وديارا، ودينا، ومن هنا كان الجهاد في سبيل تخليصه من أيدي الغزاة وشذاذ الآفاق فرضاً عينياً على كل قادر من المسلمين، من أجل تطهيره من دنس الصهاينة المجرمين.

## ٣ انتفاضة المسجد الأقصى:


النصر قادم لا محالة

وإن انتفاضة أهلنا في الأرض المحتلة اليوم مستوحاةٌ من ذكرى الإسراء والمعراج، ففي هذه الذكرى تعرج الأرواح إلى بارئها طالبة دحر الظالمين، وتدميرَ الطغاة العابثين.

أيها الإخوة الثائرون في الأرض المحتلة، بوركت سواعدكم، وسلَمت أيديكم، لقد كنتم رمز البذل والعطاء، لقد ضربتم المثل في التضحية والفداء، يا من تحركت فيكم معاني العزة والإباء، فأقلقتم مضاجع الصهاينة الأعداء، لقد انتزعتم إعجاب شعبكم، وأمتكم، وإعجاب العالم أجمع، فتعاطفتْ معكم القلوب، وتعلقت بكم الأفئدة، ورُفعت لكم الأكف.

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ومن معه من الأجناد: « أما بعدُ، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإنَّ تقوى الله أفضل العُدَّة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراساً من المعاصي، فإنَّها أضرُّ عليكم من عدوِّكم، وإنما تنصرون بمعصية عدوكم لله، فإن استويتم في المعصية كان لهم الفضل عليكم بالقوة ».

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٠٨) : خ١ - العبادات - التوبة ، خ٢ - حقائق التوبة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٨-٠٥-٢٠

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## العبادات:

### ١ ـ كيف بك لو أدّيت العبادات على الوجه المراد؟

أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان، قبل أيام ودعنا شهر رمضان، شهر التوبة والغفران، والإحسان والقرآن، والقرب والرحمة، والزلفى والتقوى، لقد شرع الصيام لتقوية إرادة الإنسان على طاعة ربه، ولتنمية الإخلاص في قلبه ولتمتين الصلة بخالقه، ولترسيخ معاني العبودية له.

فلو أديت العبادات، ومنها الصيام، على النحو الذي أراده الله عز وجل، لجعلت من المؤمن شخصية فذة، إليها تنجذب النفوس، وبها تتعلق الأبصار، ومن نورها تهتدي القلوب.

ولو أديت العبادات على النحو الذي أراده الله عز وجل لجعلت من المؤمن رجلاً نيّر الذهن والقلب معاً، حاد البصر والبصيرة جميعاً، تتعانق فكرته وعاطفته، فلا تدري أيهما أسبق، صدق أدبه أم حسن معرفته، ولا تدري أيهما أروع؟ خصوبة نفسه الجياشة، أم فطانة عقله اللماح..

ولو أديت العبادات على النحو الذي أراده الله، لجعلت المؤمن ذا أفق واسع، ونظر حديد، ومحاكمة سليمة، ولجعلته منغمساً في سعادة لا تقوى متع الأرض الحسية أن تصرفه عنها، ولجعلته ذا أخلاق أصيلة، لا تستطيع سبائك الذهب اللامعة، ولا الضغوط المانعة أن تقوضها.

فالمؤمن الحق، كما أراده الله أن يكون كالجبل رسوخاً، وكالصخر صلابةً، وكالشمس ضياءً، وكالبركان تدفقاً، وكالبحر عمقاً، وكالسماء صفاءً، وكالربيع نضارة، وكالماء عذوبة، وكالعذراء حياءً، وكالطفل وداعة.

## ٢ ـ الصيام من أجل الانتصار على الشهوة :

لقد كان الصيام من أجل انتصار الإنسان على نفسه، كي يقودها نحو سعادتها الأبدية .. فقد رُكّب المَلَكُ من عقل بلا شهوة، ورُكّب الحيوانُ من شهوة بلا عقل، وركب الإنسان من كليهما، فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة، وإن طغت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان.

## ٣ ـ لا تلتزم بهذا في رمضان فقط:

فليست البطولة أن ننتصر على النفس في رمضان، ثم ننخذل أمامها بقية العام، ولكن البطولة أن نحافظ على هذا النصر على طول الدوران، وتقلبات الزمان والمكان..

وليست البطولة أن نضبط ألسنتنا في رمضان فننزهها عن الغيبة والنميمة، وقول الزور، ثم نطلقها بعد رمضان إلى حيث الكذب والبهتان، ولكن البطولة أن تستقيم منا الألسنة، وأن تصلح فينا القلوب ما دامت الأرواح في الأبدان..

وليست البطولة أن نغض أبصارنا عن محارم الله، وأن نضبط شهواتنا غير المشروعة في رمضان، ثم نعود إلى ما كنا عليه بعد رمضان.. إنا إذاً كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، ولكن البطولة أن تصوم جوارحنا عن كل معصية في رمضان وبعد رمضان، فلا تفطر حتى تلقى الواحد الديان.

ليست البطولة أن نتحرى الحلال في رمضان خوفاً أن يردّ علينا صيامنا، ثم نتهاون في تحريه بعد رمضان، على أنه عادة من عوائدنا، ونمط شائع في سلوكنا، ولكن البطولة أن يكون الورع مبدأ ثابتاً وسلوكاً مستمراً.

وليست البطولة أن نبتعد عن المجالس التي لا ترضي الله إكراماً لشهر رمضان، ثم نعود إليها، وكأن الله ليس لنا بالمرصاد في بقية الشهور والأعوام.

وليست البطولة أن نراقب الله في أداء واجباتنا وأعمالنا ما دمنا صائمين، فإذا ودعنا شهر الصيام آثرنا حظوظ أنفسنا على أمانة أعمالنا وواجباتنا.

إنّ مثل هذا الإنسان لم يفقه حقيقة الصيام، ولا جوهر الإسلام، إنه كالناقة عقلها أهلها، ثم أطلقوها، فلا تدري لِمَ عقلت، ولا لمَ أطلقت، وهو لا يدري لِمَ صام، ولا لِمَ أفطر.

## التوبة:

### ١ ـ ليست التوبة مقصورة على شهر رمضان:

ومع أن شهر رمضان شهر التوبة والغفران، لكن هذا لا يعني أن التوبة مقصورة عليه محصورة فيه، بل إن أبواب التوبة مفتحة على مصاريعها في كل أشهر العام.

كيف لا والله سبحانه يقول:

**( قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ )**

[ سورة الزمر: ٥٣ ]

### ٢ ـ الله تعالى يدعو إلى التوبة:

إنه جل وعلا يدعو المسرفين إلى التوبة فكيف بالمقتصدين؟ كيف لا والحق جل وعلا يقول في كتابه العزيز:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**
**يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ )**

[ سورة التحريم ]

والتوبة النصوح كما قال بعض العلماء: « الندم بالقلب، والاستغفار باللسان والإقلاع عن الذنب ».

كيف لا وفي الحديث القدسي عن أنس بن مالك عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى:

**(( يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك، ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة ))**

[ أخرجه الترمذي في الدعوات، وقال حديث حسن صحيح وأخرجه الدارمي ]

إنه شرط واحد: ألا تشرك به.

## ٣ ـ الله يفرح بتوبة العبد:

كيف لا والله أفرح بتوبة التائب من الظمآن الوارد، ومن العقيم الوالد، ومن الضال والواجد:

**(( فمن تاب إلى الله توبة نصوحاً أنسى الله حافظيه وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه))**

[ رواه أبو العباس الهمذاني مرسلاً ]

كيف لا والحق جل وعلا يقول في الحديث القدسي الذي رواه البيهقي عن أبي الدرداء:

**(( أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهــم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب ))**

كيف لا وإذا رجع العبد العاصي إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن أيتها الخلائق هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله.

## ٤ ـ التوبة علم وحال وفعل:

والتوبة: علم وحال وفعل.. فهي علم لأنها معرفة ضرر الذنوب، وكيف أنها حجاب بين العبد وبين المحبوب، وهذا العلم يولد حالة نفسية هي الشعور بالندم، على ما اقترف من الذنوب، وعلى ما فات من الخيرات، وهذه الحالة من الندم تولد إرادة وقصداً إلى فعل له تعلق بالحال وبالماضي، وبالاستقبال.

فالتائب يترك الذنب الذي كان متلبساً به في الحال، والتائب يعزم بقلبه على ألا يعود إليه في الاستقبال، والتائب يسعى لإصلاح ما كان في الماضي، وقد لخص النبي صلى الله عليه وسلم هذه المراحل الثلاث بالندم، فقال فيما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك:

**(( الندم توبة ))**

حيث لا يخلو الندم من علم أوجبه، ومن عمل أثمره.

## ٥ ـ صغائر الذنوب تعظم بالإصرار والمواظبة:

وقد بين الإمام الغزالي رحمه الله ما تعظم به صغائر الذنوب، فأدرج منها الإصرار والمواظبة، إذ لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار، ومنها استصغار الذنب، فالذنب كلما استعظمه العبد في نفسه صغر عند الله، وكلما استصغره العبد في نفسه كبر عند الله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري:

**(( إن المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه، يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره ))**

ومنها أن يظهر العبد الذنب، ويتهاون بستر الله عليه، وحلمه عنه، وإمهاله إياه، وقد قيل: « لا تنظر إلى صغر الذنب، بل انظر على من اجترأت.. ».

## ٦ ـ العمل الصالح قوام الحياة:

ومع أن رمضان شهر العمل الصالح والقربات، لكن هذا لا يعني أن فرص العمل الصالح قاصرة عليه ، بل إن أبواب الخير مفتحة في كل الشهور، ومسالك القرب نافذة في كل الأوقات..

فالعمل الصالح قوام حياة النفس، كما أن الطعام والشراب قوام حياة الجسد، والفقر في حقيقته، فقر العمل الصالح، والغنى في جوهره وفرة العمل الصالح، والإمام علي كرم الله وجهه يقول: « الغنى والفقر بعد العرض على الله ».

وإذا صح أن المعاصي والمخالفات عقبات كأداء على الطريق إلى الله، وأن التوبة النصوح إزالة لهذه العقبات، حيث يصبح الطريق إلى الله سالكاً وآمناً، فإنه يصح أيضاً أن العمل الصالح تحركٌ، وتقدمٌ على هذا الطريق.. قال تعالى:

**( فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً )**

[ سورة الكهف: ١١٠ ]

## ٧ ـ العمل الصالح هو المظهر العملي للإيمان:

والعمل الصالح هو المظهر العملي للإيمان، بل هو المشعر به المؤكد لوجوده الدال على صحته، لهذا قرن العمل الصالح بالإيمان في أكثر من مائة آية في كتاب الله، قال تعالى:

**( إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً )**

[ سورة الكهف : ١٠٧]

## ٨ ـ مكانة المؤمن عند الله بحجم عمله الصالح:

بل إن مكانة المؤمن عند الله، يحددها حجم عمله الصالح.. قال تعالى:

**( وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ )**

[ سورة الأنعام ]

فإذا أردت أن تعرف مقامك، فانظر فيما استعملك..

بل إن تحريك مقام الإنسان عند الله ورفع مستواه، لا يتم إلا بالعمل الصالح.. قال تعالى:

( وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ )

[ سورة فاطر : ١٠]

## ٩ ـ العمل الصالح لابد له من إخلاص ومتابعة:

ولا يكون العمل الصالح صالحاً إلا إذا كان صالحاً للعرض على الله، والحق جل وعلا لا يتقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم، فقد ورد في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى:

**(( أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، ومن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه ))**

فالدرهم الذي يُنفق في إخلاص خير من ألف درهم يُنفق في رياء، وقد وصف الله تعالى، إخلاص المؤمنين فقال:

**( إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً )**

[ سورة الإنسان ]

ولا يكون العمل صالحاً إلا إذا سَلِمَ من التخليط، وهو أن يخلط المرء عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فقد روى الديلمي، في مسند الفردوس أن النبي عليه صلوات الله وسلامه قال:

**(( ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط ))**

[ ورد في الأثر ]

وقيل: من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله.

## ١٠ ـ ربما كان العمل الصالح مقدماً على العبادة لأنه ثمرتها:

وربما كان العمل الصالح مقدماً على العبادة لأنه ثمرتها، ودليل صحتها، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم:

**(( لأن أُعين أخي المؤمن على حاجته، أحبُّ إليَ من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام ))**

[ ذكره الهندي في كنز العمال ]

فالخلق عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله..

وقد كان ابن عباس رضي الله عنه معتكفاً في مسجد النبي الشريف، فخرج من المسجد ليمشي في حاجة أخ له، فقيل له : أنسيت أنك معتكف؟ قال: لا، ولكني سمعت صاحب هذا القبر، والعهد به قريب، فدمعت عيناه، يقول:

**(( من مشى في حاجة أخيه، وبلغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ))**

[ رواه الطبراني في الكبير، والحاكم والبيهقي والخطيب وضعفه البيهقي، وقال الخطيب: غريب عن ابن عباس ]

وقد رُويَ أن زيد الخير رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما علامة الله فيمن يريد؟ وما علامته فيمن لا يريد؟ فقال: « كيف أصبحت يا زيد؟ ». قال: أصبحت أحب الخير وأهله، وإن قدرت عليه بادرت إليه، وإن فاتني حزنت عليه، وحننت إليه، فقال: « هذه علامة الله فيمن يريد.. ».

فيجب ألا يمنعنا من اصطناع المعروف للناس جحودهم وإساءتهم، فقد روى مالك عن ابن عمر عن علي رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**(( اصنع المعروف إلى من هو أهله، وإلى غير أهله ، فإن أصبت أهله، أصبت أهله، وإن لم تصب أهله، كنت أنت أهله ))**

[ ذكره السيوطي في الجامع الصغير]

## ١١ـ من أفضل الأعمال الصالحة مجاهدة العدو:

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، حينما تسلب أرض شعب، وتُنهب ثرواته، وتنتهك حرماته، وتداس كرامته، وتقهر إرادته، وتفسد عقائده، وتفرّغ قيمه، ويُزوِّر تاريخه، ويحمل على الفساد والإفساد، وتمارس عليه ألوان التجهيل، والتجويع، والتعذيب على يد أعدائه، أعداء الله، أعداء الحق، وأعداء الخير، وأعداء الحياة، فعندئذ لا يكون من عمل صالح أعظم عند الله تعالى من مجاهدة هذا العدو الغاصب والضرب على يده لتكون كلمة الله هي العليا، قال الإمام علي كرم الله وجهه: « إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة وجُنّته الوثيقة، فمن تركه رغبةً عنه، ألبسه الله ثوب الذل، وشملة البلاءِ، ودُيِّثَ بالصغار والقماءة ».

أيها الإخوة المؤمنون، من هنا كانت انتفاضة أهلنا في الأراضي المحتلة، تأكيداً لمعاني الجهاد والاستشهاد، وتجسيداً لقيم التضحية والفداء، وترسيخاً لفضائل البذل والعطاء، قال تعالى:

**( وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ )**

[ سورة آل عمران ]

اللهم علمنا بما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً.

**الخطبة الثانية:**

## التوبة والعمل الصالح أساس الصحة النفسية:

إن الحديث عن التوبة، وعن العمل الصالح بعد رمضان يقودنا إلى الحقائق التالية:

لقد فُطر الإنسان فطرةً عالية، وكيف لا تكون عالية، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، فإذا حاد الإنسان عن مبادئ فطرته، وخرق حدود إنسانيته بالإثم والعدوان اختل توازنه النفسي، وأحس بكآبــة مدمره لصحته النفسية، وهذا ما يسمى عند علماء النفس بالتوتر النفسي، الذي هو سبب رئيسي لكثير من الأمراض التي تصيب العضوية، كتسرع ضربات القلب واضطرابها، وتضيُّق الشرايين الاختلاجي، وارتفاع ضغط الدم ذي المنشأ العصبي، الذي هو في حقيقته ارتفاع لضغط الدم، وتقرحات الجهاز الهضمي، وأمراض الحساسية، وأمراض الأعصاب، والشلل العضوي ذي المنشأ النفسي.

حينما يصطلح الإنسان مع الله فيتوب من ذنوبه، ويستقيم على أمر ربه، ويعمل الصالحات تقرباً إليه عندئذ يشعر بأنه قد أزيح عن صدره كابوس ضاغط، كأنه جبل جاثم، وأن ظلمات بعضها فوق بعض قد تبددت من أمامه، وأن مشاعر الكآبة والضيق قد اختفت إلى غير رجعة، وعندئذ يشعر أن في قلبه من الطمأنينة والسعادة ما لو وُزعت على أهل بلد لأسعدتهم جميعاً، وعندها تتأثر العضوية بهذه الصحة النفسية، تأثراً إيجابياً، فتزول أعراض أكثر الأمراض العضوية ذات المنشأ النفسي.

فالتوبة والعمل الصالح، أساس الصحة النفسية، والصحة النفسية أساس صحة الجسد، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

**(( استقيموا ولن تحصوا ))**

وقد وضح الإمام المناوي في شرح هذا الحديث أنه: « إذا استقمتم فلن تحصوا الخيرات التي تجنونها من الاستقامة ».

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٠٩) : خ١ - الهجرة ، خ٢ - وصفُ أمّ مَعبد للنبي.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٨-٠٨-١٩

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

## الهجرة:

### ١ ـ الهجرة علَم على الإسلام وبداية للتأريخ الإسلامي:

حقّ للهجرة أن تكون بداية التاريخ الإسلامي، وحقّ لها أن تكون علماً على الدين الحنيف، لأنها المظهر العملي للإيمان.. قال تعالى:

**( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا )**

[ سورة الأنفال ٧٢ ]

فالإسلام ليس قناعة فحسب، بل هو قيام والتزام، وليس ثقافة فقط، بل هو إذعان واستسلام لرب الأكوان، والهجرة مظهر لهذا الالتزام، وذلك الإذعان.

### ٢ ـ الهجرة قمة التضحية بالدنيا من أجل الآخرة :

إن الهجرة قمة التضحية بالدنيا من أجل الآخرة، وذروة إيثار الحق على الباطل، والهجرة ليست انتقال رجل من بلد قريب إلى بلد بعيد، وليست ارتحال مفتقر من أرض مجدبة إلى أرض مخصبة، إنها إكراه رجل آمنٍ في سربه، ممتدِ الجذور في مكانه، على إهدار مصالحه، والتضحية بأمواله، وتصفية مركزه، والنجاة بشخصه من أن يُفتن في دينه.

هذه الصعاب لا يطيقها إلا مؤمن يخاف على سلامة إيمانه، ويسعى إلى مرضاة ربه، أما الهيَّاب الخوَّار القلق فما يستطيع شيئاً من ذلك، قال تعالى:

**( وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ )**

[ سورة النساء ٦٦ ]

## دلائل ودروس من الهجرة:

### ١ ـ بين الحق والباطل صراع مستمر، وتناقض كبير:

من الدلائل والعبر التي تؤخذ وتستفاد من الهجرة، أن بين مبادئ الحق وأوهام الباطل، وبين عناصر الخير، وقوى الشر، وبين رسل الهداية، وشياطين الغواية، تناقض كبير، وصراع مستمر، وحرب ضروس، قال تعالى:

**( وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ )**

[ سورة الأنفال ٣٠ ]

فماذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم حتى مكر به هؤلاء؟ إنهم يعرفونه قبل غيرهم، ويعرفون صدقه، وأمانته، وعفافه ونسبه، وأنه ما زاد على أن دعاهم إلى الله ليوحدوه ويعبدوه، وأنه أمرهم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، وأنه نهاهم عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، إنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، إنه رحمة مهداة ونعمة مزجاة..

أمِثْلُ هذا المخلوق الأول يُمكر به؟ أمثل هذا الإنسان الكامل يكاد له؟ إنها معركة الحق والباطل، ولكن ما دامت كلمة الله هي العليا، وما دامت إرادته هي النافذة فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ومادام أنه ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، فلِمَ أراد الله أن يكون هذا الصراع بين الحق والباطل؟ إنه الابتلاء ليكون النجاح فيه ثمن العطاء.

### ٢ ـ الدنيا دار تكليف وابتلاء وانقطاع:

فالدنيا في حقيقتها دار تكليف وابتلاء وانقطاع، والآخرة دار تشريف وجزاء وخلود، وإن الابتلاء يكشف حقيقة المؤمن لنفسه أولاً، ولمن حوله ثانياً، و ثباته على مبدئه، وإصراره على مرضاة ربه وحبه لله تعالى، وكيف أنه يضحي من أجله بالغالي والرخيص، والنفس والنفيس؟ إنه يكشف صبره

على الشدائد حفاظاً على دينه، والشدائد تدفعه إلى التوكل، وبالتوكل يصرف عنه السوء، وتساق إليه الخيرات، ونتائج التوكل تزيده معرفة بربه، وحباً له، إن هذه المعاني مستنبطة من قوله تعالى:

**( وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ )**

[ سورة محمد : الآية ٤]

**( وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ )**

[ سورة محمد ]

ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففيما رواه عبد الله بن عمر عن علي رضي الله عنهما:

**(( إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي ))**

[ كنز العمال عن ابن عمر ]

## ٣ ـ بعد الابتلاء الفرَج والنصر:

ولكن ماذا بعد الابتلاء؟ إنه الجزاء في الدنيا والآخرة، والحفظ والنصر للمؤمنين، والإحباط والخذلان لأعدائهم، فالعاقبة للمتقين، ورحمة الله قريب من المحسنين، قال تعالى:

**( وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ )**

[ سورة الصافات ١٧١ ]

## هذا مصير من كذّبه:

فلتستمع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخاطب الذين مكروا به في الأمس ليثبتوه، أو يقتلوه، أو يخرجوه، وها هم أولاء الآن قتلى وصرعى في ساحة المعركة، وقد أمر بهم أن يُدفنوا في القليب، إنه يخاطبهم: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ:

**(( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَامَ عَلَيْهِمْ، فَنَادَاهُمْ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا، فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَسْمَعُوا؟ وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا؟! قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا، فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ ))**

[ رواه البخاري، ومسلم، واللفظ له ]

فإذا كان الله معك فمن عليك.... وإذا كان الله عليك فمن معك؟.

يا رب ماذا وجد من فقدك، وماذا فَقَدَ مَن وجدك؟

## هذا جزاء مَن نصر نبيَّه:

أما هؤلاء الأنصار الذين هاجر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قدَّموا مثلاً رائعاً من أمثلة التضحية والإيثار، وأنموذجاً فذاً للتعاون بين المؤمنين، كل هذا كان تعبيراً عن عمق إيمانهم، وسموِّ مشاعرهم، ولقد زكى الله صنيعهم فقال بحقهم:

**( وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)**

[ سورة الحشر : ٩ ]

**ولنستمع إلى سيدنا سعد بن معاذ، سيد الأنصار رضي الله عنه يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية معركة بدر، حيث يجسد موقف الأنصار: « يا رسول الله، لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض بنا يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، فصلْ حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وعادِ من شئت وسالم من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، فلعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينك »**

[ صحيح ابن حبان ]

هؤلاء الذين آووا ونصروا، من جاءهم مهاجراً في سبيل الله، أعد الله لهم مغفرة ورزقاً كريماً، وفازوا بمرضاة الله، وهي أثمن ما يناله مخلوق على وجه الأرض.. قال تعالى:

**( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ )**

[ سورة الأنفال : ٧٤ ]

فشتان بين من يعارض الحق ومن يؤيده.. ومن يصدق النبي ومن يكذبه.. ومن يخرجه ومن يؤويه.. ومن يقاتله ومن ينصره.. وشتان بين المؤمن وغير المؤمن، قال تعالى:

**( أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ )**

[ سورة السجدة : ١٨ ]

وقال أيضاً:

**( مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ )**

[ سورة الجاثية : ٢١ ]

## ٤ ـ حقيقة التوكل: أخذٌ بالأسباب وتسليم الأمر لله:

ومن العبر التي تؤخذ من الهجرة، أن حقيقة التوكل، أخذ بكل الأسباب، ثم توكل على رب الأرباب..

فقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم خطة محكمة الهجرة، حيث كتم تحركه، وقصده، واستأجر دليلاً ذا كفاءةٍ عالية للطريق، واختار غار ثور الذي يقع جنوب مكة تضليلاً للمطاردين باتجاه الشمال، وحدد لكل شخص مهمة أناطها به، فجعل واحداً لتقصي الأخبار، وآخر لمحو الآثار، وثالثاً لإيصال الزاد، وكلّف سيدنا علياً رضي الله عنه أن يرتدي برده، ويتسجى على سريره تمويهاً على المحاصرين، الذين أزمعوا قتله.

إن هذه التدابير التي اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم على كثرتها ودقتها ليست صادرة عن خوف شخصي، ولم يكن اعتماده عليها، بدليل أنه كان في غاية الطمأنينة، فحينما وصل المطاردون إلى الغار، وتحلقوا حوله، حيث لو نظر أحدهم إلى موطئ قدمه لرآه وصاحبه، فما زاد على أن قال لصاحبه:

**(( مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا ؟ ))**

[ متفق عليه ]

ويروي أحدهم أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، لقد رأونا، فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ألم تقرأ قوله تعالى:

**( وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ )**

[ الأعراف : ١٩٨ ]

فلقد أخذ صلى الله عليه وسلم كل التدابير والاحتياطات، ثم توكل على رب الأرض والسماوات، وهذه حقيقة التوكل.

نحن لا نعرف بشراً أحق بنصر الله، وأجدر بتأييده، من رسوله صلى الله عليه وسلم، الذي لاقى في جنب الله ما لاقى، ومع ذلك فإن استحقاق التأييد الإلهي، لا يعني التفريط قيد أنملة في استجماع أسبابه، وتوفير وسائله، وهذا درس بليغ من دروس الهجرة، يجب أن يضعه كل مسلم وكل مؤمن أمام عينيه، عليه أن يتخذ الأسباب كلها، وأن يُعد لكل أمرٍ عدته، وألا يدع مكاناً للحظوظ، بل عليه أن يتخذ الأسباب وكأنها كل شيء في النجاح، ثم يتوكل على الله وكأنها ليست بشيء.

وحينما فهم المسلمون الأوائل التوكل هذا الفهم الصحيح، رفرفت راياتهم في مشارق الأرض ومغاربها، واحتلوا مركزاً قيادياً بين الأمم والشعوب.

واليوم إذا أراد المسلمون أن ينتصروا على أعدائهم، ويستعيدوا دورهم القيادي بين الأمم، لينشروا رسالتهم الخالدة، رسالة الحق والخير، عليهم أن يستوعبوا هذا الدرس البليغ، الذي علمنا إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال هجرته، وهو أن المؤمن الحق، هو الذي يأخذ بكل الأسباب، ثم يتوكل على رب الأرباب.

## النبي مشرِّع:

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: « ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا متخفياً، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، ومضى قِبَلَ الكعبة المشرفة، والملأ من قريش بفنائها، وقال لهم: من أراد أن تثكل أمه، أو ييتم ولده، أو ترمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي ».

وهنا قد يسأل سائل: لماذا هاجر سيدنا عمر رضي الله عنه علانية تحدياً المشركين، من دون خوف أو وجل؟ بينما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً محتاطاً لنفسه؟ أيكون سيدنا عمر رضي الله عنه أشد جرأة؟ معاذ الله أن يكون شيء من ذلك، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس.. فيوم حنين ما رُئي أحدٌ أثبت ولا أقرب إلى العدو منه، وسيدنا علي كرم الله وجهه يقول:

**« كنا إذا حمي البأس، واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون منا أحدٌ أقرب إلى العدو منه ».**

[ أخرجه الإمام أحمد بمسنده وأخرجه الحاكم والنسائي وصححه ابن حبان وغيرهم ]

ولكن سيدنا عمر رضي الله عنه أو أي مسلم آخر، غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعد تصرفه تصرفاً شخصياً.. ليس حُجة تشريعية، فله أن يتخذ من الطريق والأساليب والوسائل ما يحلو له، ويتفق مع رغبته الشخصية، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مشرع، فجميع تصرفاته المتعلقة بالدين تُعدُّ تشريعاً، فلو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر كما هاجر سيدنا عمر، لكانت طريقة اقتحام الأخطار تشريعاً، ولكان الأخذ بها واجباً وسنة، ولظن الناس أنه لا يجوز أخذ الحيطة، والحذر، ولألقى الناس بأيديهم إلى التهلكة اقتداءً بنبيهم، مع أن الله جل وعلا جعل نواميس السماوات والأرض مبنية على الأسباب والمسببات، وجعل شرعه الحنيف متوافقاً معها، فما عند الله لا يُنال إلا بالأسباب التي جعلها الله ثمناً لها.

## ٥ ـ المهاجر مَن هجر ما نهى الله عنه:

فالهجرة في حقيقتها موقف نفسي، قبل أن تكون رحلة جسدية، إنها هجران للباطل، وانتماء للحق، إنها ابتعاد عن المنكرات، وفعل الخيرات، إنها ترك للمعاصي، وانهماك في الطاعات، والمهاجر الحق هو الذي هجر ما نهى الله ورسوله عنه.. قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ))**

[ رواه البخاري، ومسلم ]

فإذا كان باب الهجرة من مكة إلى المدينة قد أغلق بعد الفتح لحديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

**(( لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ ... ))**

[ متفق عليه ]

فإن باب الهجرة من المعصية إلى الطاعة مفتوح على مصراعيه، إلى يوم القيامة.. بل إن عبادة الله في زمن كثُرت فيه الفتن، واستعرت فيه الشهوات، وعمَّ فيه الفساد، إن عبادة الله في هذه الأجواء والظروف تُعدُّ هجرة خالصة إلى الله ورسوله، فعن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ ))**

[ أخرجه مسلم ]

## ٦ ـ لابد أن تكون الهجرة لله لا للدني:

وحينما تكون الهجرة ابتغاء دنيا يصيبها الرجل، أو ابتغاء مال وخير يحصله..

وحينما تكون الهجرة بذلاً للخبرات، والطاقات، والإمكانات لغير بلاد المسلمين..

أو هروباً من تحمل المسؤولية، وفراراً من البذل والتضحية.. أو إضعافاً للمسلمين، وتقوية لأعدائهم.. أو تمكيناً للعدو من احتلال الأرض، واستثمار خيراتها.. أو من بلد تقام فيه شعائر الدين إلى بلد فرغت منه كل القيم .. أو تضييعاً للدين والعرض، وكسباً للدرهم والدينار.

حينما تكون الهجرة كذلك فهي هجرة في سبيل الشيطان..

ومن هنا حُقّ لنا أن نحيي إخوتنا في الأراضي المحتلة، الذين تشبثوا بأرضهم، ودافعوا عنها، ولقنوا العدو المغتصب درساً لا ينسى في البذل والتضحية حتى انحنت لهم الرؤوس، إجلالاً لإصرارهم على نيل حقوقهم المشروعة في التحرير وتقرير المصير.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً.

**الخطبة الثانية:**

## وصفُ أمّ مَعبد للنبي صلى الله عليه وسلم :

**في أثناء الطريق طريق الهجرة مرَّ صلى الله عليه وسلم وصاحبه بمنازل خزاعة، ودخل خيمة أم معبد، فاستراح بها قليلاً، وشرب من لبن شاتها، ولمَّا خرج من عندها قيل لها: صفيه لنا، يا أم معبد، فقالت: « رَأَيْتُ رَجُلا ظاهِرَ الْوَضَاءَةِ، أَبْلَجَ الْوَجْهِ، لَمْ تَعِبْهُ نُحْلَةٌ، وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صُقْلَةٌ، وَسِيمٌ قَسِيمٌ، فِي عَيْنِهِ دَعَجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ، وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ، أَزَجُّ أَقْرَنُ، إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَا وَعَلاهُ الْبَهَاءُ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ وَأَجْلاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلْوُ الْمَنْطِقِ، فَصْلٌ لا نَزْرٌ وَلا هَذْرٌ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ، رَبْعَةٌ لا يَأْسَ مِنْ طُولٍ، وَلا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ، غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ، فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا، لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِهِ، إِنْ قَالَ أَنْصَتُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا لأَمْرِهِ، مَحْشُودٌ مَحْفُودٌ، لا عَابِسٌ وَلا مُفَنَّدٌ، قَالَ أَبُو مَعْبَدٍ: هُوَ وَاللَّهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ الَّذِي ذُكِرَ لَنَا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذُكِرَ بِمَكَّةَ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَصْحَبَهُ، وَلأَفْعَلَنَّ إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلا »**

[ البغوي في شرح السنة ]

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (١٠) : خ١ - العلم ، خ٢ - الدعاء.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٨-١١-١٨

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

## العلم:

### ١ للإنسان هدف في الدنيا؟

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم.. وكرّمه الله أحسن تكريم.. سخر له الكون، ووهبه نعمة العقل، وأودع فيه الشهوات، وأحلّ له الطيبات، وحرم عليه الخبائث، ومنحه حرية الإرادة... كل ذلك ليعرف ربه فيعبده، ويسعد بعبادته في الدنيا والآخرة.

**( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ )**

[ سورة الذاريات ]

لهذا لا يسلم الإنسان، ولا يسعد، وهما مطلبان ثابتان للإنسان في كل زمان ومكان، لا يسلم الإنسان ولا يسعد إلا إذا تطابقت حركته اليومية في حياته الدنيا مع الهدف الحقيقي الذي خلق من أجله... إذاً: تعدّ معرفة هذا الهدف والتحرك نحوه شرطين أساسيين لبلوغ هذين المطلبين الثابتين. فإن لم يبحث الإنسان عن الهدف الحقيقي الذي خُلق من أجله، أو توهم هدفاً آخر لم يُخلق له، أو لم تأت حركته اليومية مطابقة للهدف الصحيح، كان القلق والاضطراب، وكان الضلال والشقاء، وتحققت خسارة كبيرة أبدية، قال تعالى:

**( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً )**

[ سورة الكهف ]

الذي يحكم حركة الإنسان في الحياة تصورات للأهداف والوسائل هذه التصورات تُعد صحيحة إذا انطلقت من علاقة علمية.

## ٢ ما هو العلم ؟

والعلم في الحقيقة هو علاقة ثابتة بين شيئين مقطوع بصحتها مطابقة للواقع، عليها دليل قطعي، فإن لم يكن مقطوع بصحتها كان الظن والشك والوهم، وإن لم تكن مطابقة للواقع كان الجهل، وإن افتقرت إلى الدليل كان التقليد.. قال تعالى:

**( إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا )**

[ سورة النجم: من الآية ٢٨ ]

ولن يستطيع الإنسان توجيه حركته اليومية نحو الهدف الصحيح الذي خُلق من أجله، إلا إذا انطلق من تصورات صحيحة، أساسها العلم اليقيني، وأسقط من تصوراته كل ما اعتراه الشك والظن والوهم والجهل والتقليد.

## ٣ العلم أساس الدنيا والآخرة :

وذلك أن العلاقة بين طاعة الله وبين ثمارها علاقة علمية، أي علاقة سبب بنتيجة، كذلك العلاقة بين معصية الله وتبعاتها علاقة علمية أيضاً، لهذا يُعد العلم أساساً مكيناً لسلامة الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة، فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، ومن هنا دعا الإسلام وهو دين الحق والفطرة، إلى العلم في كل المجالات أشاد بأداته، وهي العقل، في كل المستويات، لأن العلم في الإسلام كالروح في الجسد، وقوام الرجل عقله ، فمن لا عقل له لا دين له ، ومن لا دين له لا عقل له، وإنما الدين هو العقل.

## ٤ القرآن بيَّن فضلَ العلم :

والآيات التي وردت في القرآن الكريم، والتي تتناول العلم والعقل تقترب من ألف آية، وحسبنا الدعاء القرآني:

**( وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً )**

[ سورة طه من الآية: ١١٤ ]

وحسبنا أن الله يُفصِّل الآيات الكونية والقرآنية لقوم يعقلون حيث يقول:

**( كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ )**

[ سورة الأعراف ]

**( كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ )**

[ سورة الروم ]

بل إن العلماء وحدهم وليس أحد سواهم، هم الذين يخشون الله، قال تعالى:

**( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ )**

[ فاطر : ٢٨ ]

ولا يخفى أن ( إنما ) في الآية تفيد الحصر والقصر.

إن طلب العلم فريضة محكمة من فرائض الدين، لا تقلّ أهمية عن فرائضه الأخرى، بل هي أخطر فرائضه، وفي الحديث الصحيح:

**(( طلب العلم فريضة على كل مسلم ))**

[ الجامع الصغير ، وسنده صحيح عن أنس ]

## ٥ العلمُ أفضل من نوافل العبادات :

حتى إن طلب العلم يفضُلُ في ثمراته نوافل العبادات.. ففيما روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( إن طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة ، وطلب العلم يوماً خير من صيام ثلاثة أشهر ...))**

[ الجامع الصغير ، وسنده غير صحيح ]

## ٦ العلمُ أساسُ المفاضلة :

والإسلام من خلال القرآن والسنة يرفض أشد الرفض أن تكون القوة، أو المال، أو النسب، أو المظهر أساساً للمفاضلة بين الناس، لكنه اعتمد العلم قيمة وحيدة مرجِحة بين بني البشر.. قال تعالى:

**( قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ )**

[ الزمر : ٩]

روى الديلمي وابن عبد البر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

**(( تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والأنيس في الوحشة والصاحب في الوحدة، والمحدِّث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح عند الأعداء، والزين عند الأخلاء والقرب عند الغرباء، ويرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الجنة قادة ...))**

[ رواه ابن عبد البر في العلم ، وقال محقق الجامع الصغير : موضوع ]

## العلم بالله:

والعلم كما يرى الإمام الغزالي، علم بالله، وعلم بأمره، وعلم بخلقه، أو علم بالحقيقة، وعلم بالشريعة، وعلم بالخليقة، والعلم بالله أصل الدين، والعلم بأمره أصل العبادة، والعلم بخلقه أصل في صلاح الدنيا.

### ١ العلمُ بالله طريقُه التفكر في مخلوقات الله:

لقد دعا الإسلام إلى العلم بالله، من خلال التفكر في خلق السماوات والأرض، حيث تتابع الأمر به في سور القرآن، وعُدَّ الأساس الأول لبناء دعائم العقيدة والإيمان.. قال تعالى:

**( فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ )**

[ سورة الطارق ]

وقال تعالى:

**( فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ )**

[ سور عبس ]

وقال أيضاً:

**( أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ )**

[ سورة الغاشية ]

وقال تعالى:

**( قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ )**

[ سورة يونس ]

### ٢ التفكر في الكون من أرقى العبادات:

والتفكر في خلق السماوات والأرض نوع من العبادات بل هو من أرقى العبادات، ففي صحيح ابن حبان عن عطاء أن عائشة رضي الله عنها قالت:

**(( أتاني النبي صلى الله عليه وسلم في ليلتي وقال:**

**(( ذريني أتعبد لربي عز وجل ))**

فقام إلى القُربة، فتوضأ، ثم قام يصلي، فبكى حتى بلَّ لحيته، ثم سجد حتى بلَّ الأرض، ثم اضطجع على جنبه، حتى أتي بلالٌ يؤذنه بصلاة الصبح، فقال يا رسول الله ما يبكيك؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال:

**(( ويحك يا بلال، وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى عليَّ في هذه الليلة ( إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ )))**

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

**(( ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ))**

[ ابن حبان في صحيحه ، وسنده صحيح ]

وقال:

**(( أمرت أن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبرةً ))**

[ مشكاة المصابيح ]

وقال الحسن البصري رحمه الله:

**(( من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره عبرةً فهو لهو.. ))**

انظر إلى الشمس، وسل: من الذي رفعها ناراً؟

انظر إلى الشمس، وسل من رفعها ناراً، ومن نصبها مناراً، ومن ضربها ديناراً، ومن علقها في الجو ساعة، يدب عقرباها إلى قيام الساعة، ومن الذي آتاها معراجها، وهداها أدراجها، وأحلها أبراجها، ونقَّل في سماء الدنيا سراجها، الزمان هي سبب حصوله، ومنشعب فروعه وأصوله، وكتابها بأجزائه، لولاها ما اتسقت أيامه، ولا انتظمت شهوره وأعوامه، ولا اختلف نوره وظلامه، ذهب الأصيل من مناجمها، والشفق يسيل من محاجمها، تحطمت القرون على قرنها، ولم يمح التقادم لمحة حسنها.

وهي تكبر الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة حجماً، وتبعد عن الأرض مائة وستة وخمسين مليون كيلو متر، وهناك نجوم يزيد حجمها على حجم الأرض والشمس مع المسافة بينهما، وتصل الحرارة في مركزها إلى عشرين مليون درجة، فلو ألقيت الأرض في جوف الشمس لتبخرت في زمن قصير، ويزيد طول ألسنة اللهب المنطلقة من سطحها عن نصف مليون كيلو متر، لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

**( سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ )**

[ سورة فصلت ]

انظر إلى القلب في فعله وأثره:

وانظر إلى القلب في فعله وأثره، وغرضه ووطره، وقدْره وقدَره، وحيطانه وجدره، ومنافذه وحُجره، وأبوابه وستره، وكهوفه وحفره، وجداوله وغدره، وصفائه وكدره، ودأبه وسهره، وصبره وحذره، وعظيم خطره، لا يغفل ولا يغفو، ولا ينسى ولا يسهو، ولا يعثر ولا يكبو، ولا يخمد ولا يخبو، ولا يمل ولا يشكو، وهو دائب صبور بأمر الذي أحسن خلقته، وأعدَّ له عدته، وأوقد فيه جذوته، وقدّر له أجله ومدته، يعمل من دون راحةٍ ولا مراجعةٍ ولا توجيه.

يضخ في اليوم الواحد ثمانية أمتار مكعبة من الدم، تجري في مائة وخمسين كيلو متراً من الأوعية، ويضخ في عمر متوسط ما يملأ حجماً يساوي واحدةً من أكبر ناطحات السحاب في العالم.. لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

**( سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ )**

[ سورة فصلت ]

انظر إلى النملة في صغر جثتها، ولطافة هيئتها:

وانظر يا أخي مع الإمام علي كرم الله وجهه:

**(( انظر إلى النملة في صغر جثتها، ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على أرضها ، وصُبَّت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها وتعدُّها في مستقرها، تجمع في حرّها لبردها ، وفي وردها لصدرها، مكفولة برزقها، مرزوقة بوفقها، لا يغفلها المنَّان، ولا يحرمها الدَّيَّان، ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس، ولو فكرت في مجاري أكلها في علوها وسُفلها، وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها، لقضيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعباً، فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه على خلقها قادر ))**

لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

**( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ )**

[ سورة هود ]

**وانظر لتلك الشجرة ذات الغصون النضرة**

**كيف نمت من حبة وكيف صارت شجرة**

**فابحث وقل من ذا الذي يُخرج منها الثمرة**

**وانظر إلى الشمس التي جذوتها مستعرة**

**من ذا الذي أوجدها في الجو مثل الشررة**

**وانظر إلى الليل فمن أوجد فيه قمره**

**وزانه بأنجم كالدرر المنتثرة**

**وانظر إلى الغيم فمن أنزل فيه مطره**

**فصير الأرض به بعد اصفرار خضره**

**ذاك هو الله الذي أنعمه منهمرة**

**ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدرة**

* * *

## العلم بأمر الله:

هذا عن العلم بالله، علم الحقيقة، فماذا عن العلم بأمر الله علم الشريعة؟

### ١. العلم بأمر الله يأتي بعد العلم بالله:

إن الإنسان إذا تفكر في خلق السماوات والأرض، فعرف الله خالقاً ومربياً ومسيراً، وعرف طرفاً من أسمائه الحسنى، وصفاته الفضلى، يشعر بدافع قوي إلى التقرب إليه من خلال امتثال أمره، واجتناب نهيه، عندها يأتي علم الشريعة ليبيّن أمر الله ونهيه في العبادات والمعاملات والأخلاق.

والشريعة عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجو، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل.

قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام البخاري في صحيحه:

**((مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين ))**

**(( وإنما العلم بالتعلم ))**

[ الجامع الصغير ، وسنده حسن ]

وفي الحديث الشريف الصحيح:

**(( قليل الفقه خير من كثير العمل ))**

[ الجامع الصغير عن ابن عمرو ، وسنده ضعيف ]

### ٢. العلم بأمر الله من أفضل أنواع العبادات:

بل إن التفقه في أحكام الشريعة والعمل بها يُعدُّ أفضل أنواع العبادات قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الدار قطني:

**(( ما عُبدَ الله بشيءٍ أفضل من فقه في دين ، ولفقيه واحد أشدُّ على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيءٍ عماد، وعماد الدين الفقه ))**

[ الجامع الصغير عن أبي هريرة ، وسنده موضوع ]

## العلم بالخليقة:

### ١ـ الإسلام يدعو إلى العلم بطبائع الأشياء وخصائصها:

بقي علم الخليقة، لقد دعا الإسلام إلى العلم بطبائع الأشياء وخصائصها، والقوانين التي تحكم العلاقة بينها، كي نستفيد منها تحقيقاً لتسخير الله جلّ وعلا للأشياء.. قال تعالى:

**( أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً )**

[ سورة لقمان : ٢٠ ]

**( وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاس )**

[ سورة الحديد : ٢٥]

### ٢ـ العلوم المادية طريق لعمارَة الأرض:

وتعلُّم العلوم المادية يحقق عمارَة الأرض عن طريق استخراج ثرواتها، واستثمار طاقاتها، وتذليل الصعوبات، وتوفير الحاجات تحقيقاً لقوله تعالى:

**( هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا )**

[سورة هود: من الآية ٦١ ]

### ٣ـ العلوم المادية طريق لمجابهة الأعداء:

وتعلم العلوم المادية، والتفوق فيها قوة، يجب أن تكون في أيدي المسلمين، ليجابهوا أعداءهم، أعداء الحق والخير والسلام، تحقيقاً لقوله تعالى:

**( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ )**

[ سورة الأنفال : ٦٠ ]

### ٤ـ الانتفاع بالخيرات لابد له من جهدٍ كبير:

لأن القوة قوة هذا العصر في العلم، بل إن الحرب الحديثة ليست حربا بين ساعدين، بل هي حرب بين عقلين.

ولحكمة بالغة لم يشأ الله جل وعلا أن يكون الانتفاع بخيرات الأرض وثرواتها وطاقاتها انتفاعاً بشكل مباشر، يلغي دور الإنسان، وإنما جعل هذا الانتفاع متوقفاً على جهد بشري: علم وعمل، فقد أودع الله في البذرة فيما يبدو قوة إنبات، ولكن لابد للإنسان من أن يزرعها ويرعاها، ولا بد للإنسان أن يحصدها، ليجني ثمارها، وأودع الله في الأرض خامات المعادن، ولكن لابد للإنسان أن يبحث عنها ويكتشفها، وأن يستخرجها، كل هذا ترسيخاً لقيم العلم والعمل، وابتلاءً لإنسانية الإنسان، فهل يرفعه العلم والعمل إلى أعلى عليين، أم يسقطانه إلى أسفل سافلين؟

## ٥ـ النظرة العلمية والموضوعية طريق لإسقاط الدعاوى الباطلة:

وبالتحرر من الجهل والوهم، واعتماد النظرة العلمية، واتباع الطريقة الموضوعية، نستطيع أن نسقط كل الدعاوى الباطلة المزيفة التي يطرحها أعداؤنا أعداء الدين للنيل من إمكاناتنا وطموحاتنا، فباعتماد النظرة العلمية تصح رؤيتنا، وبإيماننا بالله واستقامتنا على أمره نستمد قوتنا، قال تعالى:

**( إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ )**

[ سورة آل عمران ]

## ٦ـ التعلم والتعليم قوام هذا الدين:

إن التعلم والتعليم قوام هذا الدين، ولا بقاء لجوهره، ولا ازدهار لمستقبله إلا بهما، والناس أحد رجلين: متعلم يطلب النجاة، وعالم يطلب المزيد.. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( العالم والمتعلم شريكان في الخير ، ولا خير في سائر الناس ))**

[ الجامع الصغير عن أبي أمامة ، وسنده فيه ضعف ]

وقد قيل:

**(( تعلموا العلم، فإن كنتم سادة فقتم، وإن كنتم وسطاً سدتم، وإن كنتم سوقةً عشتم ))**

لكن العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً.

فلا بد أيها الأخ الكريم أن تكون عالماً، أو متعلماً، أو مستمعاً، أو محباً، ولا تكن الخامسة فتهلك.

## على مثل هذه الصورة كن مع العلم:

وإن هذا العلم دين، فانظر عمَّن تأخذ دينك.. خذه عن الذين استقاموا، ولا تأخذه عن الذين مالوا.

العلم الذي نرتزق منه وكفى.. ليس إلا حرفة من الحرف.

والعلم الذي لا يصل تأثيره إلى نفوسنا، ومن ثم إلى سلوكنا، ما هو إلا حذلقة لا طائل منها.

العلم الذي يجعلنا نتيه به على غيرنا، ما هو إلا نوع من الكبر.

العلم الذي يعطل فينا المحاكمة السليمة والتفكر السديد نوع من التقليد.

والعلم الذي يوهمنا أننا علماء كبار، هو نوع من الغرور..

والعلم الذي يسعى لتدمير الإنسان، والفتك به، ويسعى لصناعة المرض نوع من الجريمة..

والعلم الذي نستخدمه للإيقاع بين الناس، والعدوان على أموالهم وأعراضهم، نوع من الجنوح والانحراف.

والعلم الذي لا يتصل بما ينفعنا في ديننا، ودنيانا، نوع من الترف المذمم ..

وفي الدعاء النبوي الشريف:

**(( اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن أذن لا تسمع، ومن عين لا تدمع، ومن نفس لا تشبع ))**

[ ورد في الأثر ]

**الخطبة الثانية:**

## الدعاء:

يقول الله تعالى :

**( ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ )**

[ سورة الأعراف ]

اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، إنك أنت الغفور الرحيم، اللهم اجعلنا من الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا وأخلصوا دينهم لله.

اللهم ارزقنا توبة من استقلال الذنب، وتوبة من تضييع الوقت، وتوبة من تأخير التوبة.

اللهم أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام والمسلمين.

اللهم من أراد بالإسلام والمسلمين خيراً فوفقه لكل خير، ومن أراد بهم غير ذلك فخذه أخذ عزيز مقتدر، اللهم وفق ولاة أمور المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، لما تحب وترضى، اللهم وفق بينهم، ووحد كلمتهم، واجمعهم على الحق والخير والهدى، وانصرهم على أعدائك، وأعدائهم يا كريم.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (١١) : خ١ - العفو ، خ٢ - الصلح بين ذات البين.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٩-٠١-٢٧

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

## العفو:

### ١ ـ الله عفوٌّ:

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، الله جل في علاه عفوٌّ غفور، يعفو عن السيئات، ويعفو عن كثير فإذا تاب العبد توبة نصوحاً، أنسى الله حافظيه، وجوارحه، وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه، فالعفو أبلغ من المغفرة، لأن الغفران يُشعر بالستر، بينما العفو يشعر بالمحو، والمحو أبلغ من الستر.

### ٢ ـ الله يأمر نبيَّه بالعفو:

وقد أمر الحق جلَّ وعلا نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بالعفو والصفح، فقال تعالى:

**( خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ )**

[ سورة الأعراف ]

وقال أيضاً:

**( فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ )**

[ سورة الحجر ]

وقد فهم النبي صلى الله عليه وسلم العفو بأن تعطي من حرمك، وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك.

### ٣ ـ الله يأمر المؤمنين بالعفو:

وقد أمر الله المؤمنين، بما أمر به المرسلين، فقال جل من قائل:

**( فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ )**

[ سورة البقرة : ١٠٩ ]

( وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ )

[ سورة النور : ٢٢ ]

## ٤ـ لماذا يعفو أناس وينتقم آخرون؟

ولكن لماذا يعفو أناس وينتقم آخرون؟..

إذا اتصل الإنسان بالله العفو الكريم، يشتق منه بعضاً من هذا الخلق العظيم.

وإذا استقرت الرحمة في قلب الإنسان فإنها تفيض حتى على خصومه بالعفو والغفران، فيصبح العفو أحب إليه من الانتقام.

وإذا علم الإنسان، أن خصمه بشكل أو بآخر أخ له في الإنسانية فإذا انتقم منه خسره، وإذا عفا عنه ربحه، ولأن يربح الإنسان أخاه خير له من الدنيا، وما فيها، وعندئذ يرى في العفو غنماً، وفي الانتقام غرماً.

وإذا أيقن الإنسان أن العفو سلمٌ يرقى به إلى عزِّ الدنيا والآخرة، وأن الانتقام دركات يهوي بها إلى ذلٍّ ومقت يلاحقانه حتى الممات، آثر العفو على الانتقام.

وإذا علم أبناء المجتمع الواحد، أنه بالعفو تتسع دائرة الصداقات والمودات، فيصبح المجتمع كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً وبالانتقام تفشو العداوات، والأحقاد، حتى تصل بالمجتمع إلى أحط الدركات، صار العفو ديدنهم.

## عفو النبي صلى الله عليه وسلم الجماعي عن الناس:

وتعالوا بنا إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم أسوتنا الحسنة، وقدوتنا الصالحة، ومثلنا الأعلى، الذي بعثه الله معلماً للبشرية، ورحمة للإنسانية.

## ١ـ عفوه عن المشركين لمّا دخل مكة عام الفتح :

تعالوا بنا لنرى نبينا الأكرم، ومعلمنا الأعظم، وهو يدخل مكة فاتحاً، وهي التي ائتمرت على قتله، و أخرجته، و عذبت أصحابه، ونكّلت بهم، وقاطعته، و كذبته، وقاتلته في بدر، وأحد، والخندق، وألّبت عليه العرب جميعاً.

لقد ألقى أهلها كل سلاح، ومدوا إليه أعناقهم، ليحكم فيها بما يرى إنهم الآن في قبضته، فأمره نافذ في رقابهم، وحياتهم جميعاً معلقة بين شفتيه، وهذه عشرة آلاف سيف تتوهج يوم الفتح، فوق ربى مكة، تأتمر بأمره وتنتظر إشارة منه، إنها تستطيع أن تبيد مكة وأهلها في لمح البصر.

لقد دخلها يوم الفتح الأعظ، دخول المتأدبين الشاكرين، معترفاً بعظم الفضل، ولم يدخلها دخول المتكبرين المتجبرين، ثملاً بنشوة النصر.

لقد سار النبي صلى الله عليه وسلم في موكب النصر يوم فتح مكة حانياً رأسه، حتى تعذر على الناس رؤية وجهه، وحتى كادت ذؤابة عمامته تلامس عنق بعيره، مردداً، بينه وبين نفسه، ابتهالات الشكر المبللة بالدموع.

سأل أعداءه بعد أن استقر به المقام: يا معشر قريش، ويا أهل مكة فاشرأبت إليه الأعناق، وزاغت عند سؤاله الأبصار، سألهم: ما تظنون أني فاعل بكم؟

وصاحت الجموع الوجلة بكلمة واحدة، كأنما كانوا على اتفاق بترديدها، قالوا: خيراً.. أخ كريم وابن أخ كريم.. فقال:

**(( اذهبوا فأنتم الطلقاء ))**

[ السيرة النبوية ]

لقد غُمر المذنبون الذين كانوا ينتظرون القصاص، ويستحقونه بأنبل عفو، وأجمل صفح، حتى قال أبو سفيان الذي ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداء أعواماً طويلة:

**(( بأبي أنت وأمي يا رسول الله.. ما أرحمك، وما أحلمك، وما أحكمك، وما أوصلك، وما أكرمك ))**

ويا سيدي، يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما أجمل عفوك عند المقدرة، ما أعظم نفسك التي سمت كل هذا السموِّ، فارتفعت فوق الحقد، وفوق الانتقام، لقد ترفعت عن كل عاطفة دنيا، وبلغت من النبل فوق ما يبلغ الإنسان، لم تكن تعرف العداوة.. بل لم تكن تريد أن تقوم بين الناس، لقد مكنك الله من عدوك، فقدرت، وعفوت فضربت بذلك للعالم كله ولأجياله مثلاً أعلى في العفو والصفح، فلم تجعل من يوم فتح مكة يوم تشفٍّ، ولا انتقام، بل جعلته يوم برٍّ، ورحمة وإحسان.

## ٢ ـ عفوه عن أهل الطائف:

وعفوه صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة، يذكرنا بعفوه عن أهل الطائف الذين كذبوه أشد التكذيب، واستخفوا بدعوته، واستهزؤوا بها، بل أغروا به سفهاءهم، وصبيانهم.

**(( لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ كَلَامَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِم، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَطْبِقُ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ، قُلْتُ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ))**

[ الحاكم عن عائشة ]

(( اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ))

[ الجامع الصغير، وفي سنده ضعف ]

لم يتخل عن قومه، وقد عفا عنهم، والتمس لهم العذر، وتوسم بأبنائهم الخير، هذا عن عفوه الجماعي، فماذا عن عفوه الفردي؟..

## عفو النبي صلى الله عليه وسلم عن أفراد الناس:

### ١ ـ عفوُه عن صفوان بن أمية:

يتجلى عفوه الفردي بالصفح عن نفر من المشركين بالغوا في عداوتهم، وأذيتهم، ويوم فتح مكة، ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وهاموا على وجوههم، ومن هؤلاء: صفوان بن أمية، الذي شدَّ رحاله صوب جدة، ليبحر منها إلى اليمن، واشتد إشفاق عمير بن وهب على صديقه صفوان، وصمم أن يسترده من يد الشيطان، بكل وسيلة، وذهب مُسرعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا نبي الله، إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هارباً منك، ليقذف نفسه في البحر، فأمَّنه صلى الله عليك، وقال: هو آمن.. قال: يا رسول الله، أعطني آية يعرف بها أمانك، فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم عمامته، التي دخل بها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه، وهو يريد أن يركب البحر فقال: يا صفوان، فداك أبي وأمي.. الله اللهَ في نفسك أن تهلكها، هذا أمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد جئتك به، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الناس، وأبرُّ الناس، وأحلم الناس، عزُّه عزُّك، وشرفه شرفك، قال صفوان: إني أخاف على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم، فرجع معه، حتى دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صفوان لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذا يزعم أنك أمَّنتني، فقال صلى الله عليه وسلم:

(( صدق ))

قال صفوان: فاجعلني في الخيار شهرين، فقال صلى الله عليه وسلم:

(( أنت في الخيار أربعة أشهر ))

وفيما بعد أسلم صفوان.

### ٢ ـ عفوُه عن أعرابي غليظ الطباع:

لقد عفا رسول الله عن الكبراء، وعن الدهماء، فقد روي أن أعرابياً جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه شيئاً، فأعطاه ثم قال له:

**(( هل أحسنت إليك؟ ))**

قال الأعرابي: لا ولا أجملت، فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام، ودخل منزله، فأرسل إليه وزاده شيئاً، ثم قال له:

**(( أحسنت إليك؟ ))**

قال: نعم، فجزاك الله من أهلٍ وعشيرة خيراً، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( إنك قلت ما قلت آنفاً، وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك ))**

قال: نعم، فلما كان الغد، جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( إن هذا الأعرابي، قال ما قال، فزدناه، فزعم أنه رضي أكذلك؟ ))**

قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

**(( مثلي ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه، فاتَّبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحبها، فقال لهم: خلوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت، وشد عليها رحلها، واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار ))**

[ تخريج أحاديث الإحياء للعراقي ]

إن الرسول الحليم صلى الله عليه وسلم لم تأخذه الدهشة لجحود الأعرابي أول الأمر، وعرف فيه طبيعة صنف من الناس مردوا على الجفوة في التعبير، والإسراع بالشر، وأمثال هؤلاء لو عوجلوا بالعقوبة لقضت عليهم، ولمَا كانت ظلماً، ولكن العظماء أصحاب القلوب الكبيرة لا ينتهون بمصائر العامة إلى هذا الختام الأليم، إنهم يفيضون من رحمتهم وحلمهم على ذوي النزق، حتى يلجئوهم إلى الخير إلجاء، إن هذا الأعرابي الذي اشترى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم رضاه بهذا المال، لا يبعد أن تراه بعد أيام، وقد كُلّف بعمل خطير، أن يقدّم فيه الغالي والرخيص عن طيب خاطر، وما المال إلا قمام الأرض تُستناخ به الرواحل الجامحة، لتقطع عليها المفازات الشاسعة .

روى الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

**(( مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ))**

[ مسلم ]

وقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه لم ينتقم من أحد لنفسه قط .

## العفو عن الصحابة:

وقد تخلق الصحب الكرام، بأخلاق نبيهم العدنان في العفو والصفح، فقد روى البخاري عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

**(( قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنْ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ، يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

**( خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ )**

**وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ ))**

[ البخاري ]

## من ثمار العفو:

### ١ ـ الأمن:

أورد السيوطي في الجامع الصغير حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ))**

[ ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة ]

انظروا إلى ثمار العفو التي نوّه بها النبي صلى الله عليه وسلم، إنها الأمن والإيمان، الأمن مع الخَلق، والإيمان مع الحق.

فهذا الذي يؤثر الانتقام على العفو يجعل الجو المحيط به ضاغطاً، وعلاقاته مع الآخرين متوترة، ويكون انتقامه تربة خصبة لانتقام مضاد فيتوقع المنتقم الشر، وتوقُّع الشر شرٌّ من وقوعه، وهكذا يفقد المنتقم الأمن، وبفقد الأمن يفقد أثمن ما في الحياة النفسية، قال تعالى:

**( وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً )**

[ سورة الأنعام ]

أما إذا آثر الرجل العفو على الانتقام، فقد جعل الجو المحيط به ودياً، وجعل علاقاته بالآخرين مريحة، وجعل من أعدائه الألداء أصدقاء حميمين، قال تعالى:

( ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ )

[سورة فصلت ٣٤ ]

## ٢ـ الإيمان:

هذا عن الأمن أول ثمرة من ثمار العفو.. فماذا عن ثمرة الإيمان؟

إن الإنسان إذا عفا عن أخيه كان أقرب إلى ربه مما لو انتقم منه، لأن الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، وفي الحديث القدسي:

(( وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ ))

[ رواه البخاري عن أسامة بن زيد ]

إذا كانت إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان، فما بالك بالعفو عن إنسان، حيث بالعفو عنه يبدل خوفه أمناً، وضيقه فرجاً ويأسه أملاً..

إن العفو يدل على الإيمان ويؤكده، ويزيد فيه ويجدده، فالإنسان بنيان الله، وملعون من هدم بنيان الله.

## ٣ـ العفو عن المخطئ طريق لتوبته:

حينما تصح التوبة، ويتحقق الندم، وتصدق العزيمة على ترك الذنب، عندئذ يصبح العفو حياة للمذنب، كما كان القصاص حياة للمجتمع، ويغدو العفو فرصة ثمينة ينالها المذنب، ليؤكد صحة توبته، وعظيم ندمه، وصدق عزيمته على ترك ما اقترفت يداه من الذنوب، وليؤكد أيضاً الجانب الخير في الإنسان، وربما أصبح المذنب الذي عُفي عنه علماً من أعلام الأمة، ومصلحاً من كبار مصلحيها، وقائداً فذاً من قادتها، والتاريخ الإسلامي حافل بمثل أولئك المذنبين، عفي عنهم، فصاروا من قادتها الأبطال، وعلمائها الأعلام، وأوليائها المقربين، كعكرمة بن أبي جهل، وصفوان.

هذا ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام مع عكرمة بن أبي جهل:

عكرمة بن أبي جهل، الذي عادى النبي صلى الله عليه وسلم أشدَّ العداء، وآذى أصحابه أفدح الإيذاء، وهو أحد صناديد قريش المعدودين، وأبرز فرسانها المرموقين، وهو ابن أبي جهل، جبَّار مكة الأول، وزعيم الشرك الأكبر، لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بالعفو عنه، بل وجه أصحابه قائلاً:

**(( سيأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً، فلا تسبُّوا أباه، فإن سبَّ الميت يؤذي الحي، ولا يبلغ الميت ))**

[ كنز العمال عن عبد الله بن الزبير ]

وقد عاهد عكرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً:

**(( لا أدع نفقة كنت أنفقتها في الصدِّ عن سبيل الله، إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالاً قاتلته صداً عن سبيل الله، إلا قاتلتُ ضعفه في سبيل الله ))**

وفي اليرموك لما اشتدَّ الكرب على المسلمين نزل عن جواده، وكسر عمد سيفه، وأوغل في صفوف الروم، فبادر إليه خالد بن الوليد، وقال:

لا تفعل يا عكرمة، فإن قتلك سيكون شديداً على المسلمين.

فقال: إليك عني يا خالد، لقد كان لك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقة، أما أنا وأبي فقد كنَّا من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعني أكفِّر عما سلف مني.. لقد قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة ، وأفرُّ من الروم اليوم ، إن هذا لن يكون أبداً ..

## العفو ليس حصنا يحمي المجرمين:

إن الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة الصحيحة التي تحضُّ على العفو لا تعني، ولا تريد أن يكون العفو مرتعاً للمجرمين يسرحون، ويمرحون في رحابه، ولا تعني، ولا تريد أن يكون العفو حصناً لهم يحميهم من حكم العدالة فيهم، ولا تعني، ولا تريد أن يكون العفو منطلقاً جديداً للعدوان على دماء المسلمين، وأموالهم وأعراضهم قال تعالى:

**( وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ )**

[سورة البقرة : ١٧٩ ]

كان أبو عزَّة الجمحي الشاعر من أسرى بدر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد حدد مبلغ أربعة آلاف درهم فداءً لكل أسير، فكلم أبو عزَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، لقد عرفتَ ما لي من مال، وإني لذو حاجة، وذو عيال، فأمنن عليَّ، فمنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه، وأخذ عليه العهد ألا يظاهر عليه أحداً، لكنه نقض العهد، وعاد إلى ما كان عليه من سب النبي صلى الله عليه وسلم، وهجاء أصحابه، وحضِّ الناس على قتاله، وفي يوم أحد ظفر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله لا تقتلني، وامنن عليَّ، ودعني لبناتي، وأعاهدك ألا أعود، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( أين مَا أعْطَيْتنِي مِنْ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ؟ وَاَللَّهِ لَا تَمْسَحُ عارضيك بمكة تَقُولُ: سَخِرْت بِمُحَمَّدٍ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُلْدَغُ من حجر مَرَّتَيْنِ ))**

[ البيهقي عن سعيد بن المسيب ]

ولم يعف عنه.

لهذا ليس من العفو أن نستسلم لعدو غاصب، سلب الأرض، وانتهك الحرمات، وأفسد العقائد، وأفرغ القيم، وزوَّر التاريخ، فالمؤمنون الصادقون إذا أصابهم البغي هم ينتصرون، فبوركت سواعدكم يا أخوتنا في الأراضي المحتلة، لقد لقنتم العدو المغتصب درساً لا يُنسى في التضحية والفداء.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً.

* * *

**الخطبة الثانية:**

## الله يأمرنا بإصلاح ذات البين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس، إذ رأيناه ضحك، حتى بدت ثناياه، فقيل له: مم تضحك يا رسول الله؟ قال:

**(( رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربي عز وجل، فقال أحدهما: خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته.. فقال : يا رب إنه لم يبقَ من حسناتي شيء، فقال صاحبه: يا رب فليحمل من أوزاري، ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدموع، ثم قال: إن ذلك اليوم ليوم عظيم، يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يُحمل عنهم من أوزارهم، ثم قال: قال الله تعالى للطالب حقَّه: ارفع بصرك فانظر إلى الجنان، فيرقع رأسه فيرى ما أعجبه من الخير والنعمة، فقال: لمن هذا يا رب؟.. فقال الله تعالى: لمن أعطاني ثمنه، قال: ومن يملك ذلك يا رب؟ قال: أنت قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: أشهدُكَ يا رب أني قد عفوت عنه، فقال الله تعالى: خذ بيد أخيك، ثم أدخِله الجنة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فاتقُّوا الله وأصلِحُوا ذاتَ بينكم، فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة ))**

[ كنز العمال عن أنس ]

## مستويات بإصلاح:

الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نصلح ذات بيننا، وقد فهم بعض العلماء هذه الآية على ثلاثة مستويات:

## المستوى الأول:

أن نصلح أنفسنا التي بين جوانحنا، بتعريفها ربها، وحملها على طاعته والتقرب إليه لتسعد بقربه.

## المستوى الثاني:

أن نصلح كل علاقة بيننا وبين الآخرين، الأقارب منهم والأباعد، عن طريق معرفة الحقوق والواجبات، والوقوف عند حدود الشرع، واعتماد العدل والإحسان.

## المستوى الثالث:

أن نصلح فيما بين الناس، بحملهم على العفو والترغيب فيه، وبيان ثماره اليانعة، ونتائجه الطيبة، ولو كلّفنا وقتاً وجهداً ومالاً، لأننا إن فعلنا ذلك، فإنما نطبِّق قوله تعالى:

**( فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ )**

[ سورة الأنفال : ١ ]

فطوبى لمن كان مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وطوبى لمن أصلح بين الناس ووفق بينهم، وطوبى لمن استعمله الله في الخير..

**(( فإذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك ))**

## قيل في الحلم:

من عادة الكريم أنه إذا قدر غفر، وإن رأى زلّة ستر، فلا سؤدد مع الانتقام، وأولى الناس بالعفو أقدرهم عليه، وأقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب، وكفى بالمرء إثماً أن يغضب إذا قيل له اتق الله، ولا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، وقيل لخليفة عُرف بالحلم:

**(( إني آنف أن يكون في الأرض جهل لا يسعه حلمي ))**

وقيل لابن المبارك رحمه الله تعالى: اجمع لنا حسن الخلق في كلمة واحدة، فقال:

**(( ترك الغضب ))**

وقال الأحنف: إياكم ورأي الأوغاد فقيل له: وما رأي الأوغاد؟ فقال:

**(( الذين يرون الصفح والعفو عاراً وحمقاً ))**

وقال بعضهم:

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف وتاب عما قد جناه واقترف

لقوله: قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (١٢) : خ١ - القرآن ، خ٢ - قيام الليل.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٩-٠٤-٢٨

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

## القرآن الكريم:

### ١- شهر رمضان شهر القرآن:

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، شهر رمضان شهر القرآن، والنبي عليه الصلاة والسلام كان يُكثر في رمضان من تلاوة القرآن، وكان يكثر في رمضان من تدبر القرآن، والقرآن هدىً وبيان وموعظة وبرهان، ونور وشفاء، وذكر وبلاغ ووعد ووعيد، وبشرى ونذير، يهدي إلى الحق، وإلى الرشد، وإلى صراط مستقيم، يُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، فيه تبيان لكل شيء وهو شفاء لما في الصدور.

ومما قال فيه صلى الله عليه وسلم:

**(( ..كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، من ابتغى الهدى في غيره أضله الله فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، لا يشبع منه العلماء، ولا يُخلق عن كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم ))**

[رواه الترمذي .. أوله ]

**(( ألا إنها ستكون فتنة .. الحديث ))**

[ وقال محقق جامع الأصول :في سنده مجهول ]

### ٢- القرآن مصدرٌ رئيسٌ لمعرفة الله عز وجل:

وهو مصدرٌ رئيسٌ لمعرفة الله عز وجل، فالقرآن كلامه، ومن خلاله نتعرف إلى الله عن طريق التدبُّر، والسماوات والأرض خلقه ومن خلالهما نتعرف إلى الله عن طريق التفكر، والحوادث أفعاله، ومن خلالها نتعرف إلى الله عن طريق النظر والتأمل.

## ٣ـ القرآن هو منـهج حياة الإنسان:

حينما يقتنــي أحدنا آلة بالغة التعقيد، غالية الثمن، ذات نفع عظيم تراه حريصاً حرصاً لا حدود له على اقتناء الكُتيِّب الذي تصدره الجهة الصانعة، والذي يتضمَّن طريقة الاستعمال، وأسلوب الصيانة، فهو حريص على اقتناء هذا الكتيب، و على ترجمته وفهمه، وتنفيذ تعليماته، بدقة بالغة، وهذا الحرص نابع من حرصه على سلامة هذه الآلة وعلى مستوى مردودها.

وهذا الإنسان بجسده الذي يُعدُّ أعقد آلة في الكون، ففي خلاياه وأنسجته، وفي أعضائه وأجهزته، من الدقة والتعقيد والإتقان، ما يعجز عن فهم بنيتها وطريقة عملها أعلم العلماء، وفي هذا الإنسان نفسٌ تعتلج فيها المشاعر والعواطف، وتصطرع فيها الشهوات والقيم والحاجات والمبادئ، حيث يعجز عن تحليلها وتفسيرها أعلم علماء النفس، وفيه عقل يحتوي من المبادئ والمسلمات والقوى الإدراكية والتحليلية والإبداعية ما أهَّله ليكون سيد المخلوقات.

والآن...

ألا يحتاج هذا المخلوق المكرَّم إلى كتاب من خالقه ومربيه ومدبره ومسيّره، يبين له فيه الهدف من خلقه، والوسائل الفعالة التي تحقق هذا الهدف؟..

ألا يحتاج هذا المخلـوق المكرم إلى كتاب فيه منهج يسير عليه، ويضبط، ويصحح حركاته ونشاطاته من الخلل والخطل والعبث؟

ألا يحتاج هذا المخلوق البديع في خلقه إلى كتاب فيه مبادئ سلامته، سلامة جسده من العطب، وسلامة نفسه من التردي، وسلامة عقله من التعطيل والتزوير؟

ألا يحتاج هذا المخلوق المكرم إلى كتاب فيه مبادئ سعادته فرداً ومجتمعاً في الدنيا والآخرة؟..

إنه القرآن الكريم الذي لا يقل في عظمة إرشاده وتشريعه عن عظمة إيجاد السماوات والأرض..

قال تعالى:

( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ )

[سورة الأنعام]

( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً )

[سورة الكهف]

فكما أن الله يُحمد على نعمة إيجاد السماوات والأرض، كذلك يُحمد بالقدر نفسه على نعمة الإرشاد... إرشاد إنسان من خلال القرآن إلى طريق سلامته وسعادته الأبدية.

## ٣ـ شهادة الله جل وعلا للإنسان أن هذا القرآن كلامه:

الله جل وعلا يشهد للإنسان أن هذا القرآن كلامه، ومن خلال الأحداث التي يقدّرها الله له أو عليه، وعندئذ يشهد القرآن للإنسان أن هذا الذي أُنزل عليه القرآن هو رسول الله، قال تعالى:

( لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً )

[ سورة النساء١٦٦ ]

قال تعالى:

( مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ )

[ سورة النحل ٩٧ ]

فإذا آمن الإنسان كما ينبغي، وعمل صالحاً في صدق وإخلاص أذاقه الله طعم الحياة الطيبة، من طمأنينة، واستقرار، وتيسير وتوفيق وسعادة، وحبور، عندئذ يشعر من خلال الحياة الطيبة، التي ذاقها مصداقا لوعد الله، أن الله جل جلاله، شهد له بأن هذا القرآن كلامه وأن هذه الحياة الطيبة من فعله، قدّرها له تحقيقاً لوعده، وحينما يتطابق فعل الله مع ما في القرآن، يقوم الدليل القطعي على أن القرآن كلام الله.

دليل مقابل: قال تعالى:

( وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً )

[ سورة طه ١٢٤ ]

فمن أعرض عن ذكر الله، والقرآن هو ذكر الله وهجره، وجعله وراءه ظهرياً، واستحل محارمه، ولم يعبأ بأمره ونهيه، ووعده ووعيده أذاقه الله طعم المعيشة الضنك، من خوف وقلق، وضيق، وشدة، وتعسير، وإحباط، وشقاء، وضياع، عندئذ يشعر من خلال هذه المعيشة الضنك التي ذاقها مصداقاً لوعيد الله، أن الله شهد له بأن هذا القرآن كلامه، وأن هذه المعيشة الضنك من فعل الله قدّرها عليه تحقيقاً لوعيده.

## ٤ـ القرآن هو نور الله تعالى:

العين مهما دقت صنعتها، ومهما أُحكمت أجزاؤها، ومهما ارتقت وظائفها، لا تستطيع أن تبصر الأشياء، إلا بنور الشمس، والعقل مهما كَبُرَ ورجح، ومهما تعددت وظائفه، ومهما دقت محاكمته، ومهما نما إبداعه، لا يستطيع أن يدرك الحقائق إلا بنور الله.. والقرآن هو نور الله قال تعالى:

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً )

[ سورة النساء ١٧٤ ]

وحينما يستنير المؤمن بنور الله فلن يضل عقله، ولن تشقى نفسه قال تعالى:

**( قالَ اهْبِطا مِنْها جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى )**

[ سورة طه ١٢٣ ]

وكيف يضل أمرؤ يقرأ القــرآن، والقرآن يقدم له تفسيراً صحيحاً لحقيقة الكون والحياة والإنسان، من عند مكوِّن الأكوان، وواهب الحياة وخالق الإنسان..

فالسماوات والأرض خُلقت بالحق، وهو الثبات والسمو، ولم تُخلق باطلاً، ولا لعباً، وهما الزوال والعبث.

والسماوات والأرض مسخرة للإنسان، تسخير تعريف، وتكريم من أجل أن يؤمن ويشكر.

والحياة الدنيا دار ابتلاء، وانقطاع وعمل، والآخرة دار جزاءٍ وخلود وتشريف.

والحياة الدنيا كما وصفها القرآن حياةٌ دنيا، وليست عليا، وهي لهو ولعب وزينة وتفاخر وتكاثر، وجمع، والآخرة خير وأبقى، وهي دار القرار، قال تعالى :

**( وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ * أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ )**

[سورة القصص ٦٠-٦١]

والإنسان لم يُخلق عبثاً ولن يُترك سُدىً، وهو على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره.

وإنه المخلوق المكرم الذي خلقه الله في أحسن تقويم، وكرّمه أعظم تكريم حمل الأمانة التي أشفقت من حملها السماوات والأرض، وأن الإنسان خُلق ضعيفاً، وخُلق عجولاً، وخُلق هلوعاً، إذا مسَّه الشرُّ جزوعاً، وإذا مسه الخير منوعاً، إلا المصلين، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يُرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى، وهو يفلح، ويفوز إذا أطاع الله ورسوله، وتزكّى وذكر اسم ربه فصلى، ولا ينفعه يوم القيامة مال، ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وإن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

وكيف يضلُّ امرؤ يقرأ القرآن، والقرآن يبين له أنه لا إله إلا الله وهو غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وأنه في السماء إله وفي الأرض إله، وأنه إليه يُرجع الأمر كله، وأنه على كل شيء وكيل، وأنه يحكم لا معقب لحكمه، وأنه لا يشرك في حكمه أحداً وأنه ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها، وأنه ما يفتح الله للناس من رحمةٍ فلا ممسك لها، وما يُمسك فلا مُرسل له من بعده، وأنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

ومن اهتدى بهدي القرآن لا يضل عقله، ولا تشقى نفسه، وكيف تشقى نفسه وتحزن، وقد منحه الله نعمة هي أثمن ما في الحياة النفسية، ألا وهي نعمة الأمن، تلك النعمة التي عزّت على كثير من الناس، فهو حينما آمن بالله وحده ابتعد عن الشرك، الجلي والخفي، وحينما ابتعد عن الشرك ابتعد عنه العذاب النفسي، قال تعالى:

**( فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ )**

[ سورة الشعراء ٢١٣ ]

وحينما آمن بالله وحده، وأن الأمر كله راجع إليه، حمله إيمانه هذا على طاعته، وترك الإساءة إلى خلقه، عندئذ استحق نعمة الأمن، قال تعالى:

**( فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ )**

[ سورة الأنعام ]

## ٥- قارئ القرآن لا تشقى نفسه ولا يحزن:

وكيف تشقى نفس قارئ القرآن وتحزن، وهي تتلو قوله تعالى:

**( أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ )**

[ سورة الجاثية ٢١]

وهل من طمأنينة تنعم بها النفس أعظم من أن يؤكد لك خالق الكون أنه لن يضيّع عليك إيمانك، ولا عملك الصالح، وأنه لن تكون حياتك كحياة عامة الناس الذين أعرضوا عن ذكر ربهم، فاجترحوا السيئات، وتاهوا في الظلمات؟

وكيف تشقى نفس قارئ القرآن وتحزن، وهي تتلو قوله تعالى:

**( إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ )**

[سورة فصلت]

وهل من شعور، أشد تدميراً للنفس من الخوف؟.. فأنت من خوف المرض في مرض، وأنت من خوف الفقر في فقر، وتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها. وهل من شعور أشد رضاً للنفس من الندم والحزن على ما فات؟ فحينما يُفاجأ الإنسان بدنو الأجل يُصعق ويقول: يا حسرتا على ما فرَّطت في جنب الله، ويا ليتني قدمت لحياتي، ويا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً، و ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً.

لكن القرآن يُطمئن المؤمنين الذين آمنوا بالله، واستقاموا على أمره بألاّ خوف عليهم في الدنيا، لأن الله هو وليهم وناصرهم، ويدافع عنهم ويهديهم سواء السبيل، ولا هم يحزنون على فراقها، لأن المؤمن ينتقل بالموت، من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، كما ينتقل الوليد من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا..

## المؤمن لا يقعد عن استرداد حقه المغتصب:

وكيف يقعد المؤمن عن استرداد حقه المغتصب والله تعالى يقول:

**( وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ )**

[ سورة المائدة ١٢]

**( وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ )**

[ سورة الأنفال ١٠ ]

**( إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ )**

[ سورة آل عمران ١٦٠ ]

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ )**

[ سورة محمد٧ ]

وكيف يقعد المؤمن عن استرداد حقه المغتصب، والله عز وجل يخاطب المؤمنين الصادقين في كتابه:

**( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ )**

[ سورة الأنفال ٦٥ ]

**( وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً )**

[ سورة النساء ١٠٤ ]

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً..

* * *

**الخطبة الثانية:**

## قيام الليل:

ذكر الحافظ محمد بن نصر المروزي في جزء قيام الليل، عن الأحنف بن قيس، أنه كان يوماً جالساً فعرضت له هذه الآية:

**( لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ )**

[ سورة الأنبياء ١٠]

فانتبه فقال: عليَّ بالمصحف، لألتمس ذكري اليوم، حتى أعلم من أنا، ومن أشبه؟

يعني أنه لما علم أن القرآن قد ذكر جميع صفات البشر، وبين طبقاتهم ومراتبهم أراد أن يبحث عن نفسه ، في أي الطبقات، وفي أي المراتب هو؟ فنشر المصحف وقرأ فمرَّ بقوم:

**( كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ )**

[ سورة الذاريات ١٧]

ومر بقوم:

**( تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ )**

[ سورة السجدة ١٦]

ومرَّ بقوم:

**( الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ )**

[ سورة آل عمران ١٣٤]

ومرَّ بقوم:

**( وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ )**

[ سورة الحشر ٩]

فوقف الأحنف ثم قال: اللهم لست أعرف نفسي هاهنا.. أي لم يجد هذه الصفات في نفسه، حتى يَعُدَّ نفسه من هؤلاء.. ثم أخذ الأحنف السبيل الآخر، فمر بالمصحف على قوم:

**( إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ )**

[ سورة الصافات ٣٥]

ومر على قوم يُسألون:

( مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ )

[ سورة المدثر ]

فوقف الأحنف وقال: اللهم إني أبرأ إليك من هؤلاء، فما زال يقلب ورق المصحف، ويلتمس في أي الطبقات هو، حتى وقع على هذه الآية:

( وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ )

[ سورة التوبة ١٠٢]

فقال: أنا من هؤلاء.. ولعله قالها تواضعاً.. فإذا قرأ أحدنا القرآن فلينظر موضع نفسه في كتاب الله..

## أحاديث السنة النبوية بشأن القرآن الكريم:

والآن إلى السنة النبوية المطهرة، وما فيها من أحاديث صحيحة بشأن القرآن: فقد روى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(( خيركم من تعلم القرآن وعلمه ))

[ صحيح البخاري ٤٧٣٩]

وروى سيدنا عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(( إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين ))

[ رواه الإمام مسلم في صحيحه]

ومن أحاديث متفق عليها أن:

(( الذي يقرأ القرآن، وهو ماهر به، مع السفرة الكرام البررة ))

وأن:

(( المؤمن الذي يقرأ القرآن، مثل الأترجة ريحها طيب، وطعمها طيب ))

وأنه:

(( لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل، وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار ))

[ أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له ]

ومن حديث موجه لسيدنا معاذ رضي الله عنه:

**(( أن يا معاذ، المؤمن لدى الحق أسير، يعلــم أن عليه رقيباً، على سمعه، وبصره، ولسانـه ويده، وإن المؤمن قيده القرن عن كثير من هوى نفسه، وشهواته وحال بينـه وبين أن يهلك فيما يـهوى))**

[ رواه أبو نعيم في الحلية ]

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه:

**(( لا يحزن قارئ القرآن، ولا يعذب الله قلباً وعى القرآن، ومن جمع القرآن متعه الله بعقله حتى يموت ))**

ويقول أيضاً:

**((اقرأ القرآن ما نـهاك، وإن لم ينـهك فلست تقرؤه))**

[ ذكره الديلمي في الفردوس ]

**(( وما آمن بالقرآن من استحل محارمه ، وربَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه ))**

[ قال الحافظ العراقي: أخرجه الترمذي من حديث صهيب، وقال: ليس إسناده بالقوي انظر حاشية إحياء علوم الدين ١/٢٧٤ ط ]

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (١٣) : خ١ - التوبة ، خ٢ - ملك الموت.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٩-٠٨-٢٥

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

## دعوة الإنسان إلى التوبة:

### ١ـ الإنسان كثير الأخطاء، والله توّاب عليه:

روى الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، عن ربه أنه قال:

**((يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب ولا أبالي ، فاستغفروني أغفر لكم))**

وفي حديث قدسي آخر:

**(( وعزتي وجلالي إن أتاني عبدي ليلاً قبلته، وإن أتاني نهاراً قبلته، وإن تقرب مني شبراً، تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب مني ذراعاً، تقربت منه باعاً وإن مشى إلي، هرولت إليه، وإن استغفرني غفرت له، وإن استقالني أقلته، وإن تاب إلي تبت عليه، من أقبل علي تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني ناديته من قريب، ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد ومن تصرف بحولي وقوتي ألنت له الحديد، ومن أراد مرادي أردت ما يريد، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل طاعتي أهل كرامتي، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب، أشكر اليسير من العمل، وأغفر الكثير من الزلل، رحمتي سبقت غضبي وحلمي سبق مؤاخذتي، وعفوي سبق عقوبتي، وأنا أرحم بعبدي من الأم بولدها... ))**

### ٢ـ لا ينبغي للإنسان أن يجهل سر وجوده:

إن كل جهل مهما عظمت نتائجه قد يُغتفر، إلا أن يجهل الإنسان سر وجوده، وغاية حياته، ورسالة نوعه، وحقيقة مهمته، وأكبر عارٍ على هذا المخلوق الأول المكرم، الذي آتاه الله العقل، ومنحه الإرادة، أن يعيش جاهلاً وغافلاً، يأكل ويتمتع كما تأكل الأنعام، لا يدري شيئاً عن حقيقة وجوده،

ولا عن طبيعة عمله في الحياة، فيضل الطريق وينحرف عنه بسبب جهله، وغفلته ، أو بسبب إغراء عابث، أو شهوة جامحة، فيهبط مستواه الإنساني، وتسقط قيمته النوعية، ويصل إلى الدرك الذي يعوقه عن النهوض بتبعات الحق والخير، عندئذ يبتعد عن التطهُّر والتسامي، ويندفع إلى تحقيق ذاته، وإشباع غرائزه، وإيثار مصالحه الخاصة، فيبني مجده على أنقاض الآخرين، وغناه على فقرهم، وسعادته الموهومة على شقائهم، ويظل كذلك سادراً في غفلته وممعناً في طغيانه، حتى يوافيه الموت بغتة فيواجه مصيره المجهول دون تنبه له، ولا استعداد فيدفع ثمن غفلته، وجهله، وانحرافه، شقاءً أبدياً وحينئذ يندم حين لا ينفع الندم، ويرجو الخلاص، ولات حين خلاص.

## ٣- هدف خلق الإنسان عبادة الله وحده:

أما الإنسان العاقل فيبادر، يسأل نفسه هذا السؤال:

لماذا خُلقت؟.. وما مهمتي في هذا الوجود؟.. وما رسالتي في هذه الحياة... والقرآن الكريم يجيبه عن هذه الأسئلة قائلاً:

**( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ )**

[ سورة الذاريات ]

والعبادة غاية الخضوع لله عز وجل، في أمره ونهيه، لأن الجهة الصانعة هي الجهة الوحيدة التي تعرف ما يَصلُح لصنعتها وما لا يصلح، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ )**

[ سورة البقرة ]

والعبادة غاية المحبة لله، لأن الإنسان مفطور على حب ذاته، وحب وجوده وسلامة وجوده، وكمال وجوده، واستمرار وجوده، وهذا لا يتحقق إلا بمشيئة الله وفضله، فما عَبَدَ الله من خضع له ولم يُحبه، ولا من أحبه ولم يخضع له.

هناك من يعيش ليأكل، ومن يأكل ليعيش، أما المؤمن فيعيش ليعرف ربه ويعبده ويسعد بقربه، وقد ورد في الأثر القدسي:

**(( يا عبادي إني ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة، ولا لأستكثر بكم من قلة، ولا لأستعين بكم على أمرٍ عجزت عنه، إنما خلقتكم لتعبدوني طويلاً، وتذكروني كثيراً، وتسبحوني بكرة وأصيلاً ))**

وفي حديث قدسي آخر:

**(( ابن آدم خلقت لك ما في السماوات والأرض من أجلك فلا تتعب وخلقتك من أجلي فلا تلعب، فبحقي عليك لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته عليك ))**

## ٤ـ شُرعت التوبة لضعف الإنسان:

لقد رُكّب الإنسان من عقل وشهوة، كما قال الإمام علي كرم الله وجهه، وقد جاء الإسلام، وهو دين الفطرة ليقيم توازناً دقيقاً عن طريق المنهج الرباني الذي رُسم للإنسان، من خلال آيات القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وبما أن الإنسان مُنح حرية الاختيار، في دائرة التكليف، والابتلاء، وهي الأمانة التي حملها... مع حرية الاختيار، لتُثمَّن أعماله الكسبية، فتكون سبباً لدخوله روضات الجنات، أو التردي في حفر النيران، وبما أن الإنسان خُلق ضعيفاً، ليفتقر إلى الله في ضعفه، فيسعد في افتقاره، ومن لوازم ضعفه أنه ينسى ويسهو، ويغفل ويغفو، ويضعف ويُغلب، فقد يعصي ربه، ويخرج عن المنهج الذي رُسم له.

لهذا شرع الله للإنسان التوبة ، وفي تشريع التوبة وقبولها صيانة لحركة الهداية في الأرض.

## ٥ـ التوبة مخرجُ النجاة:

إن التوبة مخرجُ النجاة للإنسان حينما تُحيط به خطيئاته، وهي صمام الأمان حينما تضغط عليه سيئاته، وهي تصحيح للمسار حينما تُضلّه أهواؤه، وإنها حبل الله المتين الذي ينقذ الإنسان حينما تُغرقه زلاته.

**(( وإذا رجع العبد العاصي إلى الله، نادى مناد في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله ))**

وقال بعض العارفين: لأهل الذنوب ثلاثة أنهار يتطهرون بها في الدنيا، فإن لم تف بطهرهم طُهِّروا في نهر الجحيم يوم القيامة، نهر التوبة النصوح، ونهر الحسنات المستغرقة للأوزار المحيطة بها، ونهر المصائب العظيمة المُكفِّرة، فإذا أراد الله بعبد خيراً أدخله أحد هذه الأنهار الثلاثة، فجاء يوم القيامة طيباً طاهراً، فلم يحتج إلى التطهير الرابع.

ولو لم تُشرع التوبة لهلك الناس، ولعم الفساد في الأرض، لأن الإنسان إذا طُرد من رحمة الله، لمجرد معصية واحدة، فلن يرجع إلى منهج ربه لانعدام أمله في القَبول، ولِمَ يرجع وقد طُرد من رحمته؟ عندئذ سيعربد في الأرض انحلالاً وانحرافاً وطغياناً.

## ٦ـ الله أرحم بعباده من الأم بولدها:

رأى بعض العارفين في بعض سكك المدينة باباً قد فُتح، وخرج منه صبي يستغيث، ويبكي، وأمه خلفه تطرده، حتى خرج فأغلقت الباب في وجهه، ودخلت فذهب الصبي غير بعيد ثم وقف مفكراً، فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أخرج منه، ولا من يؤويه غير والدته، فرجع مكسور القلب

حزيناً، فوجد الباب مُرتجاً، فتوسده ووضع خده على عتبة الباب، ونام، فخرجت أمه فلما رأته على تلك الحال لم تملك إلا أن رمت بنفسها عليه، والتزمته تقبله، وتبكي وتقول: يا ولدي أين تذهب عني، ومن يؤويك سواي؟ ألم أقل لك لا تُخالفني، ولا تحملني بمعصيتك على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة بك والشفقة عليك وإرادة الخير لك.

ثم أخذته ودخلت... لنتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( للهُ أرحم بعبده من الأم بولدها ))**

[ حديث صحيح رواه البخاري ]

## حقيقة التوبة:

فحقيقة التوبة الرجوع إلى الله عز وجل، ولا يصح الرجوع إلا بمعرفة الله بأسمائه وصفاته، وآثارها في نفسه، وفي الآفاق، ومعرفة أنه كان فارًّا من ربه، أسيراً في قبضة عدوه، وأنه ما وقع في مخالب عدوه إلا بسبب جهله بربه، وجرأته عليه، فلا بد من أن يعرف كيف جهل، ومتى جهل؟.. وكيف وقع أسيراً، ومتى وقع..؟

والتوبة هي التخلص من العدو، والرجوع إلى الكريم الرحمن الرحيم، والسير على الصراط المستقيم، إنها خلعُ ثياب المعصية، وارتداء ثياب الطاعة، وترك المحظورات، وفعل المأمورات، والتزام فعل ما يحب الله، وترك ما يكره، وقد علّق الله سبحانه وتعالى الفلاح كله على فعل المأمور، وترك المحظور، بقوله:

**( وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ )**

[ سورة النور ]

فكل تائب مفلح، وتارك الأمر ظالم لنفسه، أشد الظلم، وفاعل المحظور ظالم لنفسه أشد الظلم، قال تعالى:

**( وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ )**

[ سورة الحجرات ]

والتوبة حقيقة الدين، والدين كله داخل في التوبة، لهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله، قال تعالى:

**( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ )**

[ سورة البقرة ]

ولذلك يفرح الله الفرح العظيم بتوبة عبده المؤمن، فقد ورد في الحديث الشريف:

**(( إنّ الله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد، والظمآن الوارد، والعقيم الوالد ))**

[ ذكره السيوطي في الجامع الصغير عن أنس ]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

**(( للَّه أشدُّ فرحاً بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دَوِّيَةٍ - لا نبات فيها - مَهلَكَةٍ، معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام، فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجعُ إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته، عليها زاده وطعامه، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده ))**

[ أخرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم ]

## مراحل التوبة:

التوبة كما يرى الإمام الغزالي، علم.. وحال.. وعمل..

### ١- مرحلة العلم:

إنها علمٌ، لأن أول مرحلة في حلِّ أية مشكلة أن تعلم أن هناك مشكلة، وإن أول مرحلة في التوبة من الذنب أن تعلم أنه ذنب، وأنه يحجبك عن الرب.

فكيف يتوب المرء من الشرك الخفي، أو الجلي، وهو لا يعلم ما الشرك؟ وما التوحيد؟ ولا كيف يصل إلى التوحيد؟ ولا كيف ينزلق في الشرك الذي هو أعظم الذنوب؟

وكيف يتوب المرء من سوء الظن بالله، قال تعالى:

**( وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً )**

[ سورة الفتح ]

وهو لم يبذل جهداً، ولم يُخصص وقتاً لمعرفة الله حق المعرفة، ومعرفة أسمائه، أسماء ذاته، وصفاته، وأفعاله، كذلك لا يعرف مصادر المعرفة، ولا منهج المعرفة؟

وكيف يتوب المرء من سوء الظن بالأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله من خيرة خلقه، وطهرهم، وزكاهم، وعصمهم، وجعلهم أسوة حسنة، وقدوة صالحة، ومثلاً أعلى لخلقه؟.. كيف يتوب المرء من هذا الذنب، وهو لم يسأل الراسخين في العلم، عن حقيقة عصمتهم، وسر مواقفهم، وتأويل الآيات المتشابه عنهم.

وكيف يتوب المرء من كسب المال الحرام، وهو لا يعرف حدود الحلال والحرام، ولا حقيقة الربا، ولا شروط البيع، ولا ما يلابسه من حالات تجعله فاسداً أو باطلاً، كما لا يعرف طرق الكسب المشروعة وغير المشروعة، وقد قال بعض العلماء:

**(( ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام ))**

[ قول محمد بن سهل التستري ]

وكيف يتوب من الذنوب المتعلقة بإنفاق المال، وهو لا يعرف الحقوق والواجبات، ولا الحلال والحرام في الإنفاق، ولا قيمة المال في الإسلام، ولا دوره الخطير في صون العرض والتقرب إلى الرب.

وكيف يتوب المرء من ذنب البغي على الشريك، وهو لا يعلم متى يكون عقد الشركة صحيحاً، ومتى يكون فاسداً أو باطلاً، كذلك لا يعلم أن الله ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه.

وكيف يتوب المرء من ذنوب العلاقات الاجتماعية، ولا سيما الاختلاط، وهو لا يعرف آداب الإسلام وأخلاق المسلم، كما بينها النبي صلى الله عليه وسلم.

وكيف يتوب المرء من ذنب عقوق الوالدين، والجور في معاملة الأبناء، وهضم حقوق الزوجة، وحرمان البنات من الميراث، وهو لا يعلم أوامر الله، ونواهيه في كل ما يتعلق بالأسرة.

وكيف يتوب المرء من الكذب، والتدليس، والغش، والاحتكار، ورفع الأسعار، وهو لا يعلم ما عند الله من عظيم الإكرام، إذا هو نفع عباده، وخفف عنهم أعباء الحياة، ولا يعلم ما عند الله من شديد العقاب إذا هو أكل أموالهم بالباطل، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله ))**

هذا على سبيل الاصطفاء لا الاستقصاء، فما من مشكلة يعاني منها المجتمع البشري إلا بسبب الخروج عن منهج الله، الذي ارتضاه لعباده وما من خروج عن هذا المنهج إلا بسبب الجهل، الذي هو أعدى أعداء الإنسان.

## ٢ـ مرحلة الحال:

والتوبة علم، وحال، وعمل، العلم بالله.. وبأمره.. وبضرر الذنب، وما يفوِّت على المرء من خير كثير، وما يجلب له من ضُرٍّ كبير، إن العلم بخطورة الذنب، وما يترتب عليه من آثار وبيلة تبدأ في الدنيا، وتمتد إن لم يتب إلى الآخرة، إن هذا العلم يُولِّد حالة نفسية مؤلمة وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها الندم، فقال:

**(( الندم توبة ))**

[ رواه الإمام أحمد ٣٧٦/١ وابن ماجه وغيره وفي سنده خلاف ]

وقد قال العلماء في تفسير هذا الحديث: لا يخلو الندم من علم سبَّبه أو عمل أورثه، وربما وضّحت قصة سيدنا عمر رضي الله عنه مع المرأة المرضع، حالة الندم هذه، قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

**(( قدمت المدينة قافلة نزلت في المُصلى، فقال لي عمر: هل لك أن نحرسهم الليلة؟ فباتا يحرسانهم ويُصليان ما كتب الله لهما، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه، وقال لأمه: اتقي الله، وأحسني إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه ثانية، فعاد إلى أمه فقال: اتقي الله، وأحسني إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال: ويحك إني أراك أمَّ سوء، ما لي أرى ابنك لا يقرُّ هذه الليلة؟ قالت: يا عبد الله، قد أضجرتني هذه الليلة، إني أجبره على الفطام فيأبى، قال: ولِمَ؟ قالت: لأن عمر لا يفرض العطاء إلا للفطيم قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهراً، قال: ويحك لا تعجلي عليه، ثم صاح مخاطباً نفسه، والألم يعتصر قلبه: ويحك يا ابن الخطاب كم قتلت من أولاد المسلمين.. فلما صلى الفجر إماماً، ما استبان الناس قراءته من شدة بكائه، ثم أمر منادياً فنادى: لا تعجلوا على صبيانكم في الفطام، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام عطاءه، وكتب بذلك إلى الآفاق ))**

## ٣ـ مرحلة العمل:

وقد سُمع عمر رضي الله عنه، وهو يصلي بالليل في المسجد، يُناجي ربه ويقول:

**(( ربِّ هل قبلت توبتي فأهنِّئ نفسي، أم رددتها فأعزيها؟ ))**

التوبة علم، وحال، وعمل.. حالة الندم هذه التي ولّدها العلم، تولد بدورها إرادة، وقصداً إلى فعل له تعلُّق بالحال، وبالماضي، وبالاستقبال، فالتائب يترك الذنب الذي كان متلبساً به في الحال، ويقلع عنه إذ تستحيل التوبة مع مباشرة الذنب، وحينما يعرف المرء من هو الآمر إنه خالق السماوات والأرض، وهو على كل شيء وكيل، ومن إليه يُرجع الأمر كله، وإليه المصير، وحينما يعرف المرء أن سعادته في الدنيا والآخرة، متوقفة على فعل أوامره، وترك نواهيه، وحينما يعرف المرء أن مخالفة أمره تعني شقاء لا حدود له، حينما يعرف المرء كل هذا يقلع عن الذنب لتوه. وأما الفعل التعلق بالاستقبال، فهو العزم الصادق الأكيد على ألا يعود إلى مقارفة الذنب، كما يكره الإنسان أن يُلقى في النار، وقد فسَّر سيدنا عمر رضي الله عنه التوبة النصوح بأن يتوب العبد من الذنب، ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن في الضرع، وقال سعيد بن المسيب، في التوبة النصوح إنها توبة تنصحون بها أنفسكم.

أما الفعل المتعلق بالماضي.. فهو الاستغفار، إذا كان الذنب بين العبد وربه، والإصلاح إذا كان الذنب متعلقاً بحق آدمي، إذ لابد للتائب أن يخرج من هذا التعلق، إما بأداء الحق إلى صاحبه، أو إلى ورثته، أو بالتصدُّق عنه، وإما باستحلاله منه، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

**(( من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فليتحلله اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات ))**

[ رواه البخاري بلفظ يُقاربه ٧٣/٥ ورواه غيره ]

فحق الآدمي لا يسقط إلا بأدائه، أو استحلاله، إن حقوق العباد مبنية على المشاحة، بينما حقوق رب العباد مبنية على المسامحة، قال تعالى:

**( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ )**

[ سورة النور ]

وكلمة أصلحوا في الآية تعني كل ذلك.

**الخطبة الثانية:**

## ملك الموت:

رُوي أن ملك الموت إذا ظهر للعبد أعلمه أنه قد بقي من عمرك ساعة، وأنك لا تستأخر عنها طرفة عين، فُيبدي العبد من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لتخلى عنها، على أن يُضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليتدارك تفريطه، فلا يجد إلى ذلك سبيلاً.

[ إحياء علوم الدين للغزالي ]

قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ )**

[ سورة المنافقون ]

وفي معنى الأجل القريب الذي يطلب العبد أن يقول عند كشف الغطاء: يا ملك الموت أخرني يوماً، أعتذر فيه إلى ربي، وأتوب، وأتزود صالحاً، فيقول ملك الموت: فنيت الأيام فلا يوم، فيقول: أخرني ساعة، فيقول: فنيت الساعات فلا ساعة، فيغلق عليه باب التوبة ، فيتغرغر بروحه، قال تعالى:

( وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً )

[ سورة النساء ١٨ ]

( إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً )

[ سورة النساء ١٧ ]

وفسر العلماء كلمة قريب في الآية: أي عن قرب عهد بالخطيئة.

إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب والقبر، ونقصاً في الرزق، ووهناً في البدن، وبغضاً في قلوب الخلق، والمسيء هان على ربه، وسقط من أعين الناس.

**قم في الدجى يا أيها المتعبـد حتى متى فوق الأسرة ترقـــد**

**قم و ادع مولاك الذي خلق الدجـى والصبح وامض فقد دعاك المسجد**

**واستغفر الله العظيم بذلّـــة واطلب رضاه فإنه لا يحقـــد**

**واندم على ما فات واندُب ما مضى بالأمس واذكر ما يجيء به الغدُ**

**واضرع و قل يا رب عفوك إننـي من دون عفوك ليس لي ما يعبـد**

**يا ربِّ هب لي توبة أقضي بهـــا دينا عليَّ به جلالك يشهـــد**

* * *

وأنتم أيها الثائرون في الأراضي المحتلة، بوركت سواعدكم، وسلمت أيديكم، لقد ضربتم المثل في التضحية والفداء، فأقلقتم مضاجع الصهاينة الأعداء، يقول لكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

**(( إن تقوى الله أفضل العُدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، والمعاصي أضر على الجند من أعدائهم ))**

( إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ )

[ سورة محمد من الآية ٧ ]

ونصر الله طاعته، وتمكين دينه.

وقال تعالى :

( وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ )

[ سورة المائدة من الآية ١٢ ]

فتوبوا إلى الله:

**( وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً )**

[ سورة النساء ]

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (١٤) : خ١ - المسجد الأقصى ، خ٢ - مدينة القدس.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٩-١١-١٠

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

## مقدمة:

## الإسلام هو النظام الأمثل للإنسان:

الإسلام هو النظام الأمثل للإنسان، منفرداً أو مجتمعاً، مهتماً بجسده، أو متطلعاً إلى روحه، ناظراً إلى دنياه، أو مستشرفاً لآخرته، مسالماً أو محارباً، مطالباً بحق نفسه، أو معطياً حقَّ غيره، فلا يكون المسلم مسلماً إذا ترك دنياه لآخرته، ولا إذا ترك آخرته لدنياه، إلا أن يأخذ منهما معاً، فإن الأولى مطية للثانية.

والإسلام رسالة الإنسان، ومنهجه في كل مجالات الحياة، وفي جميع ميادين النشاط البشري، فلا يدع الإسلام جانباً من جوانب الحياة إلا كان له فيه موقف، قد يتمثل هذا الموقف في الإقرار والتأييد، أو في التصحيح والتعديل، أو في الإتمام والتكميل، أو في التغيير والتبديل، وقد يتدخل بالإرشاد والتوجيه، أو بالتشريع والتقنين، وقد يسلك سبيل الموعظة الحسنة، وقد يتخذ أسلوب العقوبة الرادعة، كلٌ في موضعه.

## ١- الغاية من الحياة إرضاء الله تعالى:

والغاية الأخيرة والهدف البعيد، هو الحصول على مرضاة الله، لأن مرضاة الله عز وجل ثمنٌ لحسن الصلة به، وحسن الصلة به سبب للسعادة الأبدية في قربه، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ )**

[ سورة الانشقاق من الآية ٦ ]

وفي الإسلام غايات، وأهداف أخرى، إنسانية واجتماعية، ولكنها بعد التأمل فيها لا تخرج عن خدمة الهدف الأكبر، وهو مرضاة الله تعالى، وحسن مثوبته، فهو هدف الأهداف وغاية الغايات.

ففي الإسلام تشريع ومعاملات، ولكن المقصود منها تنظيم حياة الناس، حتى يستريحوا، ويبرؤوا من الصراع على المتاع الأدنى، ويفرغوا لمعرفة الله تعالى وعبادته، والسعي لمرضاته، وفي

الإسلام حث على المشي في مناكب الأرض، والأكل من طيباتها ليكون العمل أساساً للابتلاء، والنعمة وسيلةً لمعرفة المنعم وأداء حقه وشكره، قال تعالى:

**( كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ )**

[ سورة سبأ من الآية ١٥]

## ٢- جهاد الإسلام ضد الأعداء جهادا شريفا نبيلا:

وفي الإسلام جهاد وقتال للأعداء، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله، فكل ما في الإسلام من تشريع، وتوجيه، وإرشاد إنما يقصد إلى إعداد الإنسان ليكون عبداً خالصاً لله، يعرفه ويطيعه، ويوحده ويعبده، قال تعالى:

**( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ )**

[ سورة الأنبياء ]

كل هذا من أجل أن يستحق الإنسان رحمة الله في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

**( مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ )**

[ سورة هود ]

لقد ضمَّن القرآن الكريم الجهاد معنىً إنسانياً نبيلاً وفريداً، وحدد له مقاصده العليا منزهةً عن الهوى، والأغراض المادية العاجلة، والمطامح الشخصية، أو العنصرية، من شهوة العلو في الأرض، أو التوسع فيها، لتكون أمة هي أربى من أمة، وجرد الإسلام الجهاد وسيلةً رئيسة لترسيخ القيم، والمثل العليا في الوجود البشري، والحفاظ عليها، وإن الإسلام لم يجعل الجهاد مفروضاً في أعلى مراتب الفرضية، وأعظمها مثوبة من أجل الدفاع عن الوجود، أو الحفاظ على مقوماته فحسب، بل أولاه عناية فائقة، إذ جعله سنداً مكيناً لدعوته التي تسعى إلى نشر رسالة السماء إلى الأرض، لتتحقق خلافة الإنسان فيها عن طريق التمسك بمبادئ الحق والخير، وقيم العدل والإحسان.

فجعل الإسلام الجهاد خالصاً ومخلصاً لوجه الله تعالى، وابتغاء مرضاته، ومرضاته لا تتم إلا إذا سادت تعاليمه، وعلت في الأرض مُثله، وحتى لا تكون فتنةٌ، ويكون الدين لله، ولا أدل على صحة هذه المبادئ، وتلك المفاهيم من هذه السعادة التي تملأ جوانح الإنسان حينما يكتشف سر وجوده، وجوهر رسالته، وينطلق في طريق الهدف الكبير الذي خُلق من أجله..

## ٣- مشاهد عظيمة عَزَّت أن تتكرر:

واليكم هذا المشهد:.. لما فرغ الناس لقتلاهم في أحد، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( من رجلٌ ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع: أفي الأحياء هو أم في الأموات؟... فذهب رجل من الأنصار فوجده جريحاً في القتلى، وبه رمق، فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات، أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله، إذا خُلص إلى نبيكم، وفيكم عين تطرف.. قال: فلم أبرح حتى مات فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبري فبكى حتى أخضل لحيته ))**

ما هذه السعادة التي كانت تملأ جوانح سعد بن الربيع؟..

لقد ظهرت في ضوء هذه المبادئ، وتلك القيم بطولات فذة يندر أن نرى مثلها في المجتمعات التي أدارت ظهرها لمنهج الله، وانغمست في وحول الشهوات، قال تعالى:

**( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً )**

[ سورة مريم ]

من هذه البطولات الفذة بطولة سيدنا جعفر في مؤتة، لما وصل المسلمون إلى مؤتة، وهي قرية واقعة على مشارف الشام في الأردن، وجدوا أن الروم قد أعدوا لهم مائة ألف تظاهرهم مائة ألف أخرى، أما جيش المسلمين فكان ثلاثة آلاف، وما أن التقى الجمعان، ودارت رحى المعركة حتى خر زيد بن حارثة صريعاً مقبلاً غير مدبر، فما أسرع أن وفد القائد الثاني سيدنا جعفر بن أبي طالب وثب عن ظهر فرسه الشقراء، وحمل الراية، وأوغل في صفوف الروم، وهو ينشد:

**يا حبذا الجنة واقترابها طيّبةٌ و باردٌ شرابها**

**الروم رومٌ قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها**

**عليَّ إذ لاقيتها ضِرابها**

* * *

وظل سيدنا جعفر رضي الله عنه يجول في صفوف الأعداء بسيفه، ويصول حتى أصابته ضربةٌ قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، فما لبث أن أصابته ضربة أخرى قطعت شماله، فأخذ الراية بصدره وعضديه، فما لبث أن أصابته ثالثة شطرته شطرين.

بلغ النبي صلى الله عليه وسلم مصرع سيدنا جعفر، فانطلق إلى بيت جعفر بنفسه، فوجد زوجته أسماء تتأهب لاستقبال زوجها الغائب، وقد عجنت عجينها، وغسلت بنيها، ودهنتهم، وألبستهم، قالت أسماء:

**(( فلما أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت غلالة من الحزن توشح وجهه الكريم، فسرت المخاوف في نفسي، غير أني لم أشأ أن أسأله عن جعفر مخافة أن أسمع منه ما أكره، فحيى النبي عليه الصلاة والسلام وقال ايتوني بأبناء جعفر، فدعوتهم له، فهبوا نحوه فرحين مزغردين، وأخذوا يتزاحمون عليه، كل يريد أن يستأثر به، فأكب عليهم صلى الله عليه وسلم، وجعل يتشممهم، وعيناه تذرفان من الدمع فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك، أبلغك عن جعفر وصاحبيه شيء؟ قال: نعم لقد استشهدوا هذا اليوم، عند ذلك غاضت البسمة من وجوه الصغار لما سمعوا أمهم تبكي، وتنشج، وجمدوا في أماكنهم كأن على رؤوسهم الطير، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد مضى، وهو يكفكف عبراته، ويقول: اللهم اخلف جعفراً في ولده، اللهم اخلف جعفراً في أهله ))**

ثم قال:

**(( رأيت جعفراً في الجنة له جناحان مضرجان بالدماء، وهو مصبوغ القوادم ))**

## المسجد الأقصى:

أخوة الإيمان في كل مكان، إن هذه المبادئ، وتلك المثل، وهذه البطولات نضعها بين أيدي إخوتنا في الأراضي المحتلة، وقد مضى على انتفاضتهم أربعة وعشرون شهراً، تصدوا خلالها للعدو الصهيوني بحجارتهم، وتلقوا ضرباته بصدورهم.

### ١ـ المسجد الأقصى تحت أنياب الصهاينة:

واليوم، يتعرض المسجد الأقصى، موطن أبيكم إبراهيم، ومتعبد الأنبياء السابقين، ومسرى خاتم النبيين، المسجد الذي نوه الله به في الآيات المفصلة، وتُليت فيه الكتب المنزلة، أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين الشريفين، لا تُشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه، كما ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم، المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، ببركات الدين والدنيا، والذي أضحى بالإسراء إليه والمعراج منه رمزاً للشخصية المعنوية للمسلمين، وهذا المسجد يتعرض اليوم لاعتداءات متكررة على بنائه، حيث تجري أعمال الحفريات في حرمه، وما حوله، بزعم التنقيب عن هيكل سيدنا سليمان.. إنها حجة واهية تخفي وراءها نياتٍ عدوانية، تستهدف تخريبه، وإزالته من الوجود، وطمس هذا المعلم الإسلامي البارز من المعالم والمقدسات الإسلامية، وتدنيس فاضح لحرمة هذا المكان الطاهر.

## ٢- احذروا المؤامرة: (مسجد الصخرة ليس هو المسجد الأقصى):

فإنها مؤامرة تُحاك ضد هذا المسجد، حيث يحلم الصهاينة ببناء معبد يهودي على أنقاضه، لذلك هم ينشطون لإبراز مسجد الصخرة على أنه المسجد الأقصى، تمهيداً لإزالته، وبناء المعبد المزعوم مكانه.

إن مسجد الصخرة الذي يبرزه الإعلام الصهيوني على أنه المسجد الأقصى بصورته المعهودة عند عامة الناس ليس هو المسجد الأقصى الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، بل مسجد الصخرة هو الذي تم منها عروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى، حيث دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفي وصف القرآن الكريم المسجد الأقصى بالبركة إيماءٌ قوي للعرب حملة رسالة الإسلام، وإلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أنه مفروض عليهم - وقد بارك الله حوله - أن يحفظوا له هذه البركة، ومتى أعتدي عليها فعليهم أن يصطلحوا مع ربهم أولاً، ويعدوا لعدوهم ما يستطيعون من قوة ثانياً كي يحرروه، ويحرروا ما حوله من أيدي الغزاة، ويحيوا بتحريره سيرة فاتحيه الأبطال، عمر بن الخطاب، وصلاح الدين الأيوبي، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، قال تعالى:

**( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ )**

[ سورة البقرة ]

فإن الخزي والعار في الدنيا، والعذاب العظيم في الآخرة جزاء من يمنع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه، ويسعى في خرابها، أما الذي يعمر مساجد الله، يعمرها بالبنيان، وينوِّرها بالإيمان فعمله هذا علامة مميزة على صحة الإسلام، وصدق الإيمان، قال تعالى:

**( إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ )**

[ سورة التوبة ]

## ٣- على المسلمين الحفاظ على بركة الأقصى:

في المسجد يتعرف الناس إلى ربهم، ويتعلمون أحكام دينهم، وفيه يقفون على المنهج الأمثل لتطبيق هذه الأحكام، وفيه تقام الصلوات وأنواع العبادات، ومن دون المسجد تؤول وحدة المسلمين إلى شتات، وتفرقهم الأهواء والشهوات، لذلك سارع النبي صلى الله عليه وسلم منذ أن وطئت قدماه أرض المدينة، وهي أول دار للإسلام، سارع إلى بناء المسجد ليكون الركيزة الأولى في بناء المجتمع الإسلامي.

روي أن تميماً الداري، أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حمل من الشام إلى المدينة، قناديل، وزيتاً وحبالاً، فلما انتهى إلى المدينة، وافق ذلك ليلة الجمعة، فأمر غلاماً له فربط الحبال، وعلق القناديل، وصب فيها الزيت، وجعل فيها الفتيل، فلما غربت الشمس أمر غلامه فأسرجها، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد، فإذا هي تزهر فقال:

**(( من فعل هذا؟ ))**

قالوا: تميم الداري يا رسول الله .. فقال:

**(( نوّرت الإسلام، نور الله عليك في الدنيا والآخرة، أما لو كانت لي ابنة لزوجتكها ))**

فقال نوفل بن الحارث: لي ابنة يا رسول الله، تسمى المغيرة، فافعل بها ما أردت، فزوجه إياها.

**الخطبة الثانية:**

## مدينة القدس:

ننتقل بكم الآن إلى مدينة القدس حيث المسجد الأقصى، متعبد الأنبياء السابقين ومسرى خاتم النبيين، ونعود بكم القهقرى عبر بعد الزمان إلى يوم الجمعة الواقع في السابع والعشرين من شهر رجب عام خمسمائة وثلاثة وثمانين للهجرة، الموافق الثاني من تشرين الأول عام ألف ومائة وسبع ثمانين للميلاد.. ففي هذا اليوم تم فتح مدينة القدس من قبل المسلمين بقيادة البطل صلاح الدين، وتم تحريرها من أيدي الغزاة الطامعين، وها نحن أولاء نرى القلوب قد امتلأت بالفرح، والوجوه قد عمها البشر، ونسمع الألسنة، وقد لهجت بالشكر، لقد علت الرايات، وعلقت القناديل، ورُفع الأذان، وتُلي القرآن، وصفت العبادات، وأقيمت الصلوات، وأديمت الدعوات، وتجلت البركات، وانجلت الكربات، وزال العبوس، وطابت النفوس، وفرح المؤمنون بنصر الله.

## ١ـ قصة المسجد الأقصى مع صلاح الدين:

وها نحن أولاء ندخل المسجد الأقصى، فإذا المسلمون وفيهم صلاح الدين وجنده يجلسون على الأرض، لا تتفاوت مقاعدهم، ولا يمتاز أميرهم عن أحد منهم، قد خشعت جوارحهم، وسكنت حركاتهم هؤلاء الذين كانوا فرساناً في أرض المعركة، استحالوا رهباناً خُشعاً، كأن على رؤوسهم الطير، في حرم المسجد، وها هو ذا خطيب المسجد محي الدين القرشي قاضي دمشق يصعد المنبر، ويلقي خطبته، ولو ألقيت على رمال البيد لتحركت، وانقلبت فرساناً، ولو سمعتها الصخور الصم لانبثقت فيها الحياة.. لقد افتتحها بقوله تعالى:

**( فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ )**

[ سورة الأنعام من الآية ٤٥ ]

## ٢- خطبة صلاح في فتح الأقصى:

وها نحن أولاء نستمع إلى فقرات من خطبته:

**(( أيها الناس، ابشروا برضوان من الله، الذي هو الغاية القصوى، والدرجة العليا، لما يسّره الله على أيديكم، من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة، وردّها إلى مقرها من الإسلام، بعد ابتذالها في أيدي المعتدين الغاصبين قريباً من مائة عام، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يُرفع، ويُذكر فيه اسمه، من رجس الشرك والعدوان.**

**ثم قال محذراً: إياكم عباد الله أن يستزلكم الشيطان، فيُخيل إليكم أن هذا النصر كان بسيوفكم الحداد، وخيولكم الجياد.. لا والله، وما النصر إلا من عند الله.. فاحذروا عباد الله بعد أن شرَّفكم الله بهذا الفتح الجليل أن تقترفوا كبيرة من مناهيه، انصروا الله ينصركم.. خذوا في حسم الداء وقطع شأفة الأعداء ))**

## ٣- شهادة الفرنجة بحضارة المسلمين وعدلهم:

وها نحن أولاء نخرج من المسجد الأقصى، ونلتقي بأحد الفرنجة الذين شهدوا فتح القدس، وها هو ذا يحدثنا فيقول:

**(( إن المسلمين لم يؤذوا أحداً، ولم ينهبوا مالاً، ولم يقتلوا مُسالماً، ولا مُعاهداً، وإن من شاء منا خرج، وحمل معه ما شاء، وإنا بعنا المسلمين ما فضُل من أمتعتنا، فاشتروها منا بأثمانها، وإننا نغدو، ونروح آمنين مطمئنين، لم نرَ منهم إلا الخير والمروءة، فهم أهل حضارة وتمدُّن ))**

وصدق من قال:

**(( ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم منهم ))**

والآن أيها الإخوة الأكارم نعود بحضراتكم إلى دمشق لنتابع خطبة الجمعة...

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (١٥) : خ١ - التقوى ، خ٢ - متى لا يستجاب الدعاء؟ .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٠-٠١-٢٦

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## التقوى:

### ١ ـ أهمية التقوى:

إخوة الإيمان في كل مكان، التقوى موضوع هذه الخطبة، لها شأن كبير في القرآن الكريم، فقد وردت في أكثرَ من ثلاثمائة موضع فيها، والتقوى لغةً من وقى، وهل تكون الوقاية إلا من الخطر ؟ فالإنسان في حياته الدنيا إن لم يتبع هدى ربه فهو مُعرّض لكثير من المخاطر، فالدنيا خضرةٌ نضرة، سُمها في دسمها، فيها منزلقات ومتاهات، مالها يُغري، ويردي، ويشقي، ونساؤها حبائل الشيطان، الأهل والولد مشغلة مجبنة مبخلة، الشهوات فيها مستعرة في أبهى حُللها، والفتن فيها يقظة في أجمل أثوابها.

### ٢ ـ أسئلة لابد لها من جواب:

فكيف يتقي الإنسان الضياع في تلك المتاهات والضلالات ؟
وكيف يتقي الإنسان الانجذاب إلى هذه الفتن المُهلكات ؟..
وكيف يتقي الإنسان خطر الانغماس في تلك الشهوات ؟..
وكيف يتقي الإنسان حمأة المزاحمة في جمع الدراهم والثروات ؟
وكيف يتقي الإنسان شقاء الدنيا وعذاب الآخرة ؟..
للإجابة عن هذه الأسئلة نقول:

حينما يبني الإنسان تصوراته عن الكون والحياة والإنسان وَفق ما جاء في البيان الإلهي، وحينما ينطلق في حركته اليومية، وفق التشريع الرباني، يكون قد أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان، أما إذا ضل عقله وساء عمله فقد أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم. وعبادة الله الحقيقية الخالصة تقي الإنسان شقاء الدنيا وعذاب الآخرة، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ )**

( سورة البقرة )

لعلكم تتقون شقاء الدنيا وعذاب الآخرة.

فهل غير الله واجب الوجود الذات الكاملة، الحي القيوم ذوي الأسماء الحسنى والصفات الفضلى، الواحد الأحد الفرد الصمد، الأول والآخر، والظاهر، والباطن، من بيده ملكوت كل شيء، ومن إليه يُرجع الأمر كله مالك الملك، إيجاداً وتصرفاً ومصيراً ؟

وهل غير الله تعالى يُتقى سخطه، ويُرجى رضوانه ؟ وهل غير الله تعالى يُتقى عذابه، وتُرجى رحمته ؟ وهل غير الله تعالى تتقى ناره، وترجى جنته ؟

## ٣ ـ الله يأمرنا بالتقوى:

إن الله يأمرنا بالتقوى، لأنه بكل شيء عليم، ولأنه سريع الحساب، ولأنه إليه الحشر والمصير، ولقد صدق الله العظيم إذ يقول:

**( أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ )**

( سورة النحل )

## ٤ ـ الله أهل التقوى:

نحن أيها الإخوة لا نتقي الله لأننا في قبضته، أو لأن أمرنا كله راجع إليه فحسب، بل لأنه ذو الجلال والإكرام، وذو الطول والإنعام، رحمن رحيم، منعم كريم، إنه كما قال عن نفسه:

**( هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ )**

( سورة المدثر )

## ٥ ـ التقوى تحصل لمن آمن بها وبثوابها:

ولكن الإنسان لن يتقي سخط جهة، ولن يسعى لمرضاتها، إلا إذا أيقن بوجودها أولاً، وأيقن بما يناله منها من مغنم كبير إذا هو أطاعها، وما يصيبه منها من خسارة فادحة إذا هو عصاها، هذا شأن الإنسان، فلن يتقي ربه، أي لن يجتنب ما نهاه عنه، ولن يفعل ما أمره به إلا إذا عرفه، فأصل الدين معرفته، قال تعالى:

**( وَاتَّقُوا اللّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ )**

( سورة المائدة )

فالإيمان أساس التقوى.. حيث قال تعالى:

**( وَلَوْ أَنّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السّمَاءِ وَالْأَرْضِ )**

( سورة الأعراف )

## التفكر في الكون باب إلى معرفة الله:

وأبواب معرفة الله كثيرة من أهمها خلق السماوات والأرض، قال تعالى:

( إِنّ فِي خَلْق السّمَاوَاتِ وَالْأَرْض وَاخْتِلَافِ اللّيْلِ وَالنّهَار لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ )

( سورة آل عمران )

( فَلْيَنظُرْ الْإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ )

( سورة الطارق )

( فَلْيَنْظُرْ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ )

( سورة عبس )

( أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ )

( سورة الغاشية )

( أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطّيْر فَوْقَهُمْ صَافّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنّ إِلّا الرّحْمَانُ إِنّهُ بِكُلّ شَيْءٍ بَصِيرٌ )

( سورة الملك )

إن النظر والتأمل والتفكر في الآيات التي بثها الله في السماوات والأرض يصل بصاحبه إلى اليقين القطعي، بأن لهذا الكون خالقاً عظيماً، ورباً رحيماً، ومسيّراً حكيماً، هو أهل لأن يطيعه ليتقي بطاعته عذابه، قال تعالى:

( إِنّ فِي اخْتِلَافِ اللّيْلِ وَالنّهَار وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السّمَاوَاتِ وَالْأَرْض لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتّقُونَ )

( سورة يونس )

## القرآن الكريم باب لمعرفة الله:

ومن أبواب معرفة الله: القرآن الكريم.. ذلك المنهج القويم، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين، فإذا تدبر الإنسان آياته، ونظر فيها رأى تطابق مضامين هذا الكتاب المعجز، مع مبادئ العقل وملامح الفطرة، ومع مصالح الإنسان الحقيقية، منفرداً ومجتمعاً، وإن تدبر القرآن يصل بصاحبه إلى اليقين القطعي بأنه كلام الله تعالى، المُنزل على نبيه، وأنه المنهج الوحيد، والأمثل، لإسعاد الإنسان، في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

( قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلّهُمْ يَتّقُونَ )

( سورة الزمر )

## ٦ ـ لماذا لا يتقي ربه ؟

وإن تعجب فعجب من هؤلاء الذين لا يتقون، بل إذا قلت لأحدهم ؛ اتق الله أخذته العزة بالإثم، لم لا يتقي الإنسان ربه ؟ لم لا يتقي أن يعصيه ؟ لم لا يهتدي بهديه في أعماله كلها، وأقواله كلها،

وأحواله كلها ؟ مع أن الله يُعلِّم الإنسان من خلال العقل الذي أودعه فيه، ومن خلال الفطرة التي فطره عليها، ومن خلال الكتاب الذي أنزله على رسوله، ومن خلال السنة التي بينت كتابه، ومن خلال الحوادث التي تؤكد حكمته وعدالته، ومن خلال دعوة الدعاة، وإلهام الملائكة، لِمَ لا يتقي الإنسان ربه، مع أن الله يُعلِّمه ؟، قال تعالى:

**( وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ )**

( سورة البقرة )

## الوسائل الفعّالة التي تسرّع الخطى إلى التقوى:

ومن الوسائل الفعالة التي تُسرّع الخطى إلى التقوى:

### ١ ـ الصدق:

أن تكون صادقاً مع نفسك، وصادقاً مع ربك، و صادقاً مع الآخرين، فلا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(٧٠)يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)**

( سورة الأحزاب )

### ٢ ـ صلاح البيئة الاجتماعية:

ومن الوسائل الفعّالة، التي تسرّع الخطى إلى التقوى، أن تكون البيئة الاجتماعية التي تحتضن المرء بيئة طيبة صالحة مؤمنة، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ )**

( سورة التوبة )

### ٣ ـ ابتغاء الوسيلة إلى الله:

ومن هذه الوسائل، أن تبتغي إلى الله الوسيلة، وهي تَعلُّم العلم الموصل إلى الله عز وجل، على أيدي علماء عاملين مخلصين، ومن الوسيلة العمل الصالح الخالص، ومن الوسيلة العبادات المخلصَة الدؤوبة، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ )**

( سورة المائدة )

## ٤ ـ الصبر:

وطريق التقوى ليست مفروشة بالرياحين، بل هي طريق محفوفة بالمكاره لماذا ؟ لأن سلعة الله غالية، ولأن عمل الجنة حَزْنٌ بربوة، وعمل النار سهلٌ بسهوة، فلا بد من الانضباط الذاتي، ولا بد من البذل والتضحية، قال تعالى:

**( إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ )**

( سورة يوسف )

## ٥ ـ استنفاذ الجهد كله:

والتقوى لا تقبل أن يعطيها الإنسان بعضه، بل لا بد من أن يعطيها كله، فلا يُقبل من المتقي بذل بعض الجهد، بل لا بد له من بذل كل الجهد، ولذلك فحجم الإنسان عند ربه بحجم عمله الصالح، وإخلاصه وصوابه، فلكلٍّ درجات مما عملوا، والعمل الصالح يرفعه، قال تعالى:

**( فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ )**

( سورة التغابن: ١٦ )

أي استنفذوا كل الجهد.

# إكرام الله للمتقين:

## ١ ـ تكفير السيئات:

ومن عظيم إكرام الله عز وجل أن الإنسان حينما يخطو الخطوة الأولى في طريق التقوى يكفّر الله عنه سيئاته، وينسي حافظيه، وبقاع الأرض كلها، خطاياه وذنوبه، ويعظم له أجراً..

**( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا )**

( سورة الطلاق )

## ٢ ـ تيسير الأمور:

ومن عظيم إكرام الله عز وجل أن الإنسان حينما يخطو الخطوة الأولى في طريق التقوى يجعل الله له من أمره يسراً، فتنحل العقد، وتفرّج الكرب، ويصبح الحزن سهلاً، قال تعالى:

**( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا )**

( سورة الطلاق )

## ٣ ـ التقوى مخرَجَ الإنسان من كل ضيق:

ومن عظيم إكرام الله عز وجل أنه جعل التقوى مخرجاً للإنسان من كل ضيق، قال تعالى:

**( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا )**

( سورة الطلاق )

## استنباطات هامة من الآية:

وإعجاز هذه الآية في إيجازها، وبلاغتها في إطلاقها، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم، ثم تلا هذه الآية ))**

[ مسند الفردوس عن أبي ذر ]

فحينما تضيق الأمور، وتستحكم الحلقات، وتُسد المنافذ، وتنتصب العقبات، ويقنط الإنسان تأتي التقوى، فيتسعُ بها الضيق، وتُحل بها العقد، وتُفتح بها المسالك، وتذلل بها العقبات.

فمن يتق الله عند نزول المصيبة، فيوحّده، ويصبر لحكمه ويرضى بقضائه، ويثبت على مبدئه واستقامته، يجعل الله له مخرجاً منها، ويبدل ضيقه فرجاً، وخوفه أمناً، وعسره يسراً.

ومن يتق الله فلا يسمح للأفكار الزائفة، أن تأخذ طريقها إلى عقله، ويجعل الله له مخرجاً من الضياع والحيرة والضلال وخيبة الأمل.

ومن يتق الله فيبرأ من حوله وقوته وعلمه، يجعل الله له مخرجاً مما كلفه به بالمعونة عليه.
ومن يتق الله فيقف عند حدود الله فلا يقربها، ولا يتعداها يجعل الله له مخرجاً من الحرام إلى الحلال، ومن الضيق إلى السعة، ومن النار إلى الجنة.

ومن يتق الله في كسب الرزق، فيتحرى الحلال الذي يُرضي الله عز وجل يجعل الله له مخرجاً من تقتير الرزق بالكفاية، ومن إتلاف المال بحفظه ونمائه.

ومن يتق الله في اتّباع السنة، يجعل الله له مخرجاً من ضلال أهل البدع ونتائج ابتداعهم.

ومن يتق الله في اختيار زوجته، وفي التعامل معها، يجعل الله له مخرجاً من الشقاء الزوجي.

ومن يتق الله في تربية أولاده، يجعل الله له مخرجاً من عقوقهم، ومن شقائه بشقائهم.

ومن يتق الله في اختيار عمله، وحسن أدائه، يجعل الله له مخرجاً من إخفاقه فيه.

## التقوى مستويات:

وللتقوى مستويات عديدة، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ )**

( سورة آل عمران: ١٠٢ )

فمن التقوى، أن تستقيم على أمر الله، الذي وصلك بالنقل الصحيح، فإذا صحت استقامة العبد، انعقدت صلته بالله ومن خلال هذه الصلة يقذف الله في قلب المؤمن التقي النور، فيرى به الحق من الباطل والخير من الشر، والصحيح من الزائف، فيرى المؤمن بنور ربه حقائق الأمور، وبواطنها ومؤدّاها ونتائجها، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ )**

( سورة الحديد: ٢٨)

قد تضع يدك وأنت مُغمض العينين على شيء ناعم الملمس، لين المجس، انسيابي الخطوط، ثم تفتح عينيك فإذا هي حيّة رقطاء، في أنيابها السم الناقع، عندئذ تنتفض مُبتعداً عنها، وتصرخ مذعوراً منها، لقد ركنت إلى ملمسها الناعم، ومجسّها اللين قبل أن تفتح عينيك، وابتعدت عنها حينما رأيت حقيقتها، وكذلك الدنيا تغرُّ وتضرُّ وتمرُّ.

فالتقوى كما يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "نور يقذفه الله في القلب"، وهذا النور هو أساس الرؤية الصحيحة، تلك الرؤية الصحيحة، أساس صحة العمل وصحة العمل أساس سعادة الدارين.

## إذا كنت تريد تحقيق هذه الأمنيات فاتق الله:

ألا يتمنى أحدنا أن يكون أكرم الناس على الله ؟.. إذاً فليتق الله، قال تعالى:

**( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ )**

( سورة الحجرات )

وقد ورد في الحديث الشريف:

**(( إذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتق الله، وإذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله، وإذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك ))**

[ كنز العمال بلفظ قريب من هذا عن أبي الدرداء ]

ألا يتمنى أحدنا أن يحبه الله خالق السماوات والأرض ؟ وإذا أحبك الحق ألقى محبتك في قلوب الخلق، أنزل السكينة على قلبك، وجعل لك مقعد صدق عنده.

**فليتك تحلو والحيـاةُ مريـرةٌ  وليتك ترضى والأنامُ غضابُ**

**وليت الذي بيني وبينك عامر  وبيني وبين العالمين خـرابُ**

**إذا صح منك الوصلُ فالكل هين  وكلُّ الذي فوق التراب تُراب**

***

إذا أردت أن تكون كذلك فاتق الله، لأن الله تعالى يقول:

**( بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ )**

( سورة آل عمران )

ألا يتمنى أحدنا أن يكون الله ربُّ العالمين ذو الجلال والإكرام وليّه، يُخرجه من الظلمات إلى النور، ويُدافع عنه، ويكون في موضع عنايته وحفظه ؟ إذاً فليتق الله، يقول الله تعالى:

**( وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ )**

( سورة الجاثية )

ألا يتمنى أحدنا أن يكون الله معه ؟ وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟ ومعيّة الله، هذه معيّة خاصة، تعني الحفظ، والتأييد، والرعاية، والتكريم، والتشريف.. إذاً فلنتق الله، يقول الله تعالى:

**( إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ )**

( سورة النحل )

## الفوز الكبير في تقوى الله تعالى:

الفلاح كلُّ الفلاح، والنجاح كل النجاح، والفوز كل الفوز، والرشاد كل الرشاد، والتفوق كل التفوق، والغنى كل الغنى، والتوفيق كل التوفيق، والسعادة كل السعادة في تقوى الله عز وجل، قال تعالى:

**( وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ )**

( سورة البقرة )

وقال تعالى:

**( وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا )**

( سورة الأحزاب )

## المتقي يضع قدَمه على طريق الشكر:

وإذا شعر الإنسان أنه مغمور بفضل الله، وتاقت نفسه إلى شكره نظر حواليه كيف يشكر الله عز وجل ؟ وهو قائم به غارق في فضله ؟.

**( وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ )**

( سورة النحل: ٥٣ )

**( وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا )**

( سورة إبراهيم: ٣٤ )

فنحن عاجزون عن إحصاء خيرات نعمة واحدة، فلأن نكون عاجزين عن إحصاء كل النعم فمن باب أولى، وإذا كنا عاجزين عن إحصائها فنحن عن شكرها أشد عجزاً، لكن الله عز وجل لعظيم كرمه يُبين لنا أن الإنسان الذي يتقي ربه يضع قدمه في طريق الشكر، قال تعالى:

**(فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ )**

[سورة آل عمران]

ومجمل القول: التقوى أن تتقي الكفر بالإيمان، والشرك بالتوحيد، والرياء بالإخلاص، والكذب بالصدق، والغش بالنصيحة، والمعصية بالطاعة، والابتداع بالاتباع، والشبهة بالورع، والدنيا بالزهد والغفلة بالذكر والشيطان بالعداوة.

**تزود من التقوى فإنـك لا تـدري   إذا جن ليلٌ هل تعيش إلى الفجر**
**فكم من فتى أمسى و أصبح ضاحـكاً   وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدري**
**و كم من صغارٍ يُرتجى طول عمرهم   وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبـر**
**وكم من عروس زيّنوها لزوجهـا   وقد قبضت أرواحُهم ليلة القدر**

***

## جانب من التقوى في حياة السلف الصالح:

وسيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان له مستشار خاص اسمه عمر بن مهاجر قال له: يا عمر بن مهاجر، إذا رأيتني ضللت الطريق فخذ بمجامع ثيابي، وهزني هزاً عنيفاً، وقل لي: اتق الله يا عمر، فإنك ستموت..

وسيدنا أبو حنيفة النعمان، رحمه الله تعالى امتنع عن الجلوس في ظل شجرة لرجل له عليه دين.. لما ورد في الخبر: أن كل قرض جر نفعاً فهو ربا.

جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى: فقال يا إمام: السماء لا تمطر، فقال: استغفر الله، و جاءه آخر فقال يا إمام زوجتي لا تنجب، فقال: استغفر الله، وجاءه ثالث، فقال: أشكو الفقر، فقال: استغفر الله، فقال أحد الجالسين، يا إمام، أو كلما جاءك رجل يشكو تقول له: استغفر الله، فقال الإمام الحسن البصري: ألم تقرأ قوله تعالى:

( فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا(١٠)يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا(١١)وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا)

( سورة نوح )

**الخطبة الثانية:**

## متى لا يستجاب الدعاء ؟

النبي عليه الصلاة والسلام، استعاد بالله من قلب لا يخشع، وعين لا تدمع، ونفس لا تشبع، ودعوة لا يُستجاب لها، ولكن، لمَ، ومتى لا يُستجاب الدعاء، مع أن الله تعالى يقول:

( وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ )

( سورة غافر )

ونبيه صلى الله عليه وسلم يقول:

(( إن الله حييٌّ كريم، يستحي من عبده، أن يبسط إليه يديه، ثم يردهما خائبين ))

[ أبو داود وابن ماجه ]

وليس شيء أكرم على الله من الدعاء.

### ١ ـ لا يستجيب الرب لدعاء العبد حتى يستجيب العبد لأمر الله:

يبدو أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء العبد حتى يستجيب العبد لأمر الرب، قال تعالى:

( وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ )

( سورة البقرة )

أي إذا آمنوا بي استجابوا لي، وإذا استجابوا لي يُرشدون إلى الدعاء المُجاب.

### ٢ ـ بالمثال يتّضح المقال:

لنضرب على ذلك مثلاً: كلنا يعلم أن المركبة مبنية على علم متطور، وفيها أجهزة وتوصيلات بالغة الدقة والتعقيد، فإن توقفت هذه المركبة عن السير فلا بد أن نعكف على دراسة مبادئ الحركة، ونظام التوصيلات، وأن نراقب سلامة الأجهزة حتى نكتشف موطن الخلل تمهيداً لإصلاحه، أما إذا وقفنا إلى جانب المركبة، وملأنا الفضاء صياحاً، وضجيجاً، وبكاءً، وعويلاً، ودعاءً، فما الذي يحصل ؟ لا يحصل شيء، وتبقى المركبة معطلة، وكذلك حالنا مع الله.

لا بد من أن نعكف على دراسة السنن الثابتة التي سنها الله لتحديد وتنظيم علاقتنا بربنا، وبأنفسنا، وبمن حولنا، وبما حولنا، فإذا تعرفنا إلى هذه السنن، وأيقنا بمصداقيتها، فكشفنا في ضوء هذه المعرفة موطن الخلل في حياتنا وعلاقاتنا، وكشفنا زاوية انحرافنا عن منهج الله، وأصلحنا هذا الخلل، وعدنا إلى ذلك المنهج، عندئذ ندعوه فيستجيب لها.

## ٣ ـ عشرة أسباب تمنع من استجابة الدعاء:

أيها الإخوة، العارف بالله إبراهيم بن أدهم مرّ بسوق البصرة، فقيل له: يا أبا إسحاق، إن الله تعالى يقول:

**( أدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ )**

ونحن ندعوه فلا يستجيب لنا، فقال لهم: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء:

١ ـ عرفتم الله فلم تؤدوا حقه.

٢ ـ وقرأتم القرآن فلم تعملوا به.

٣ ـ وادعيتم حب رسوله فلم تعملوا بسنته.

٤ ـ وقلتم: إن الشيطان لكم عدو فاتخذتموه ولياً.

٥ ـ وقلتم: إنكم مشتاقون إلى الجنة فلم تعملوا لها.

٦ ـ وقلتم: إنكم تخافون من النار فلم تتقوها.

٧ ـ وقلتم: إن الموت حق فلم تستعدوا له.

٨ ـ واشتغلتم بعيوب الناس، وتركتم عيوبكم.

٩ ـ وتقلبتم في نعمة الله فلم تشكروه عليها.

١٠ ـ ودفنتم موتاكم فلم تعتبروا، فكيف يُستجاب لكم ؟

العدوان والكسب الحرام يحول بين الدعاء وبين الإجابة، قال تعالى:

**( ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ )**

( سورة الأعراف )

أي لن يستجيب له، لأنه لا يحبه، ويقول عليه الصلاة والسلام:

**(( يا سعد، أطب مطعمك تُكن مستجاب الدعوة ))**

[ الطبراني في المعجم الأوسط عن ابن عباس، وسنده ضعيف ]

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (١٦) : خ١ - الزكاة ، خ٢ - قصة ثعلبة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٠-٠٤-٢٠

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## مقدمة: الإسلام عقيدة وشريعة:

الإسلام هو دين الله الذي أوحاه إلى محمد صلوات الله وسلامه عليه، وفيه عقيدة وشريعة، والعقيدة بكلياتها أصل، والشريعة بأحكامها التفصيلية فرع، وإن صحّت عقيدة المرء صح عمله، وأركان العقيدة هي أركان الإيمان، وأركان الشريعة هي أركان الإسلام، من عبادات ومعاملات وأخلاق، وقد عبّر القرآن عن العقيدة بالإيمان، وعن الشريعة بالعمل الصالح، فورد الإيمان مُقترناً بالعمل الصالح في أكثر آيات القرآن الكريم، لأن العلاقة بين الإيمان والعمل الصالح هي علاقة سبب بنتيجة علاقة الشجر بالثمر.

والعبادات في الإسلام منها ما هو قولي كالنطق بالشهادتين، ومنها ما هو بدني كالصلاة، ومنها ما هو مالي كالزكاة، ومنها ما هو بدني ومالي كالحج.

## الزكاة:

### ١ ـ أهمية الزكاة:

فالزكاة: حارس على الأموال وعلى أصحابها، فإذا شبع الجائع، واكتسى العاري عم الأمن والسلام، إنها تطبع الفرد على حب البذل والسخاء، وتغرس في المجتمع بذور التعاون والإخاء، وهي لا تحل المشكلة المالية بالعصا والسوط، ولكن بإيقاظ الضمائر وتنوير العقول.

### ٢ ـ المال مال الله، والإنسان مستخلَف فيه:

المال مال الله، والغني مُستخلف فيه، والفقراء عيال الله، وأحب خلفاء الله إلى الله أبرهم بعياله، والبر ذمة وفريضة لا منة وعطاء، قال تعالى:

**( وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ )**

( سورة الحديد: ٧)

أنتم خلفاؤه في المال.

## ٣ ـ الزكاة ركن من أركان الإسلام:

إنها ركن من أركان الإسلام، ودعامة من دعائم الإيمان، وإيتاؤها مع إقامة الصلاة، والشهادة لله بالوحدانية، ولمحمد بالرسالة، عنوان على الدخول في الإسلام، واستحقاق لأخوّة المسلمين، قال تعالى:

**( فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ )**

( سورة التوبة: ١١)

إنها فريضة لازمة يُكفَّر مَن جاحدها، ويفسق من منعها، وإنها ليست تبرعاً، يتفضل به غني على فقير، أو يُحسن به واجدٌ إلى معدوم إنها أبعد من ذلك غوراً، وأوسع أفقاً.

## ٤ ـ الزكاة جزء مهم من نظام الإسلام الاقتصادي:

إنها جزء مهم من نظام الإسلام الاقتصادي، إنها نقل الأمة بعض مالها من إحدى يديها إلى اليد الأخرى، من اليد المستخلفة على حفظ المال، وتنميته، وهي يد الأغنياء، إلى اليد العاملة الكادحة، التي لا يفي عملها بحاجتها أو التي عجزت عن العمل، وهي يد الفقراء.

عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**(( إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بالقـدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا إلا بما يضّيع أغنياؤهم ألا وإن الله سيحاسبهم حساباً شديداً، ويعذبهم عذاباً أليماً ))**

[ الطبراني في المعجم الصغير ]

ويقول الإمام علي كرّم الله وجهه: **<<.. إذا بخل الغني بماله، باع الفقير آخرته بدنيا غيره >>.**

## استنباطات من آيةٍ قرآنية هي أصلٌ في فرضية الزكاة:

قال تعالى:

**( خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ )**

( سورة التوبة: ١٠٣)

وهذه الآية أصل في فريضة الزكاة، لذلك سنقف عندها وقفة مُتأنية:

## الاستنباط الأول: خُذْ

يُستنبط من كلمة " خذ " أن الزكاة ليست مجرد عمل طيب من أعمال البر، وليست خُلّةً حسنة من خِلال الخير، بل هي ركن أساسي من أركان الإسلام، وشعيرة كبرى من شعائره، إنها حجر الزاوية في النظام الاقتصادي للإسلام، وأساس من أسس التكامل الاجتماعي، وإنها ليست إحساناً اختيارياً،

ولا صدقة تطوعية، إنما هي فريضة تتمتع بأعلى درجات الإلزام الشرعي والخلقي، لذلك لم يأمر الله عز وجل المؤمنين بدفعها، بل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر من بعده بأخذها، فالزكاة تؤخذ، ولا تُعطى، تُفرض ولا تُستجدى.

## الاستنباط الثاني: مِنْ

ويُستنبط من كلمة " من " التي هي للتبعيض، أن الزكاة لا تطول جميع المال، بل بعضه، وقد بينت السنة مقادير هذا البعض، بحسب أنواع الأموال، وبحسب طريقة تحصيلها، وبحسب مقدار الجهد المبذول في جمعها.

## الاستنباط الثالث: أَمْوَالِهِمْ

ويُستنبط من كلمة " أموالهم " التي وردت جمعاً، أن الزكاة تطول كل أنواع المال، فتجب الزكاة في كل ما أخرجته الأرض من إنتاج زراعي، وفي الثروة الحيوانية، ومُنتجاتها، وفي الذهب والفضة، وفي كل أنواع النقد المتداول، والسندات، والديون، والسُلف، وفي عروض التجارة بشتى أنواعها، وفي الحلي التي ليست للاستعمال الشخصي، بل وتجب في الثروات المعدنية والنفطية.

## الاستنباط الرابع: الضمير ( هِمْ )

ويُستنبط من ضمير الجمع في " أموالهم " أن الزكاة مفروضة على جميع المسلمين كافة، ممن يملكون النصاب الذي بينته السنة، من دون استثناء، أو إعفاء، أو تخفيض أو طي..

## الاستنباط الخامس: صَدَقَة

ويُستنبط من كلمة " صدقة " أن المسلم حينما يدفع زكاة ماله، يؤكد صدقه، أي تطابق فعله مع اعتقاده، ويؤكد تصديقه لأمر الله، وتصديقه بيوم الدين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه:

**(( وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ))**

[ مسلم عن أبي مالك الأشعري ]

أي برهانٌ على صدقك، وعلى تصديقك.

فالزكاة عبادة مالية يؤكد بها المسلم تصديقه وصدقه، فلو لم يُطالبه بها السلطان طالبه بها القرآن.

## الاستنباط السادس: تُطَهِّرُهُم

ويُستنبط من كلمة " تطهرهم " أن الزكاة تطهير لنفس الغني، من الشح البغيض، تلك الآفة النفسية الخطرة التي قد تدفع بصاحبها إلى الدم فيسفكه، أو إلى العرض فيبذله، أو إلى الوطن فيبيعه، ولن يُفلح فرد أو مجتمع سيطر عليه الشح، وملك ناصيته، قال تعالى:

**( وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ )**

( سورة الحشر )

وهي تطهير لنفس الفقير أيضاً من الحسد والضغن على ذلك الغني الكانز لمال الله، والذي يمنعه عن عباد الله، فمن شأن الإحسان أن يستميل قلب الإنسان، ومن شأن الحرمان أن يملأه بالبغض والحقد، وهي تطهير للمجتمع كله من عوامل الهدم، والتفرقة، والصراع، والفتن.

وهي تطهير للمال من تلوثه بتعلق حق الغير به، فالحجر المغصوب في الدار سبب خرابها، وكذلك الدرهم الذي استحقه الفقير في المال رهن بتلويثه كله، بل وبإتلافه، قال صلى الله عليه وسلم:

**(( إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره ))**

[رواه ابن خزيمة وصححه الحاكم على شرط مسلم ]

وقال أيضاً:

**(( حصنوا أموالكم بالزكاة، وما تلف مال في برّ أو بحر إلا بحبس الزكاة ))**

[رواه الطبراني والبيهقي مرفوعاً متصلاً، ورواه أبو داود في المراسيل ]

## الاستنباط السابع: وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا

## الزكاة نماء لشخصية الغني:

ويُستنبط أيضاً من كلمة " وتزكيهم بها " في هذه الآية، النماء والزيادة نماء للغني، وللفقير، ولمال كل منهما، ونماء للعلاقات الاجتماعية، ونماء للقيم الإنسانية.

أما أن الزكاة نماء لشخصية الغني وكيانه المعنوي فالإنسان الذي يُسدي الخير، ويصنع المعروف ويبذل من ذات نفسه ويده، لينهض بإخوانه في الدين والإنسانية، وليقوم بحق الله عليه يشعر بامتدادٍ في نفسه، وانشراح، واتساع في صدره، ويُحسُّ بما يُحسُّ به من انتصر في معركة، وهو فعلاً قد انتصر على ضعفه، وأثرته، وشيطان شُحِّه، وهواه، فهذا هو النمو النفسي والزكاة المعنوية، ولعل

هذا بعض ما قصدته كلمة " وتزكيهم بها " **وما عناه عطف التزكية على التطهير وتأخُّرها عنه " تطهرهم وتزكيهم بها ".**

## الزكاة نماء لشخصية الفقير:

والزكاة أيضاً هي نماء لشخصية الفقير، حيث يشعر أنه ليس ضائعاً في المجتمع، ولا هيناً عليه، ولا متروكاً لضعفه وفقره، إن مجتمعه ليعمل على إقالة عثرته، ويحمل عنه أثقاله، ويمدُّ له يد المعونة، بكل ما يستطيع، وبعد ذلك هو لا يتناول الزكاة من يد فردٍ يشعر بالضعف أمامه، بل يأخذها من أولي الأمر، حرصاً على كرامته أن تُخدش، ولو قدّر للأفراد أن يُعطوا فإن القرآن يحذرهم من المن والأذى، قال تعالى:

**( قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى )**

( سورة البقرة: ٢٦٣)

## الزكاة نماء للمال:

والزكاة بعد ذلك نماء للمال، وبركة فيه، وكيف يكون ذلك ؟ وهي في الظاهر نقص من المال بإخراج بعضه، ولكن العارفين يعلمون أن هذا النقص الظاهر وراءه زيادة حقيقية، زيادة في مال المجموع، وزيادة في مال الغني نفسه، فتأدية الزكاة ترفع القوة الشرائية عند الفقير، وهذا يعود بالنفع على دافع الزكاة، وهذا معنى قوله تعالى:

**( وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ )**

( سورة سبأ )

وقال تعالى:

**( يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ )**

( سورة البقرة: ٢٧٦)

وقد يزيد مال دافع الزكاة بالعناية الإلهية المباشرة بغير ما نعرف من الأسباب.

## الزكاة وسيلة من وسائل الضمان الاجتماعي:

والزكاة بعد ذلك وسيلة من وسائل الضمان الاجتماعي الذي جاء به الإسلام، فالإسلام يأبى أن يوجد في مجتمعه، من لا يجد القُوت الذي يكفيه، والثوب الذي يستره، والمسكن الذي يُؤويه، فالمسلم مُطالب أن يحقق هذه الضروريات، وما فوقها من جهده وكسبه، فإن لم يستطع فالمجتمع المسلم يكفله ويضمنه، ولا يدعه فريسة للجوع والعري والتشريد، فالمسلمون كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

## الزكاة وسيلة لتقريب المسافة بين الأغنياء والفقراء:

والزكاة وسيلة من وسائل الإسلام لتقريب المسافة بين الأغنياء والفقراء، وما دام الإسلام دين الفطرة فإنه يعترف بنوازع الإنسان الفطرية لكسب المال وتملّكه، ولكنه يضع حدوداً ومسارات وتنظيمات فلا يدع الغني يزداد غنىً، ولا يرضى للفقير أن يزداد فقراً، فقد حرّم الربا، والاحتكار، والسرف، والترف، وأمر بالتعاون، والإنفاق والصدقة، وقد حرّم الإسلام كنز المال ليساهم المال في ميدان العمل، والتنمية، ويعود نفعه على الأمة كلها، رخاءً وقوةً وسيادة، ولئلا يكون المال قوة معطلة شلاّء ينفقه صاحبه إنفاقاً استهلاكياً تبذيرياً، يزيد الهوة عمقاً واتساعاً بين الأغنياء والفقراء، لذلك حرّم الله كنز المال، وأعلن القرآن عن سخط الله على الكانزين الأشحاء، قال تعالى:

**( وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٣٤)يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ )**

( سورة التوبة )

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن كل مالْ أُديت زكاته ليس بكنز، بل إن فريضة الزكاة تدفع أصحاب الأموال إلى استثمارها في مشاريع إنتاجية تنموية، لئلا تأكلها الزكاة لذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم الأوصياء على أموال اليتامى أن يتّجروا بأموال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة. والإسلام فوق كل ذلك حرم الإسراف في إنفاق المال، والتبذير فيه وإتلافه بشكل أو بآخر، لتعلق حق الغير به ورد في الأثر القدسي:

**(( الأغنياء أوصيائي، والفقراء عيالي، فمن منع مالي عيالي أذقته عذابي ولا أبالي ))**

[ ورد في الأثر ]

## هذه بعض آثار الزكاة:

وهذه بعض من ثمار الزكاة اليانعة، وكيف لا تكون يانعة، والقرآن يهدي للتي هي أقوم.

روي التاريخ: أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن أميراً عليها، فبعث معاذ إلى عمر بثلث الزكاة، فأنكر ذلك عمر، وقال له: **<< لم أبعثك جابياً، ولا آخذ جزية، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتردها على فقرائهم، فقال معاذ: ما بعثت إليك بشيء، وأنا أجد أحداً يأخذه مني، فلما كان العام الثاني بعث إليه بنصف الزكاة فتراجعا بمثل ذلك، فلما كان العالم الثالث بعث إليه بالزكاة كلها، فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل ذلك، فقال سيدنا معاذ: ما وجدت أحداً يأخذ مني شيئاً >>.**

وقد قيل: << ما مات سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد ولي الخلافة ثلاثين شهراً، حتى صار الرجل يأتينا بالمال العظيم فلا نجد من يأخذه، وقد قيل: أغنى عمر الناس.. والأصح أن نقول: لقد أغنى الإسلام الناس.. ولقد بشّر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخير العميم فقال:

**(( تصدقوا فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها يقول الرجل: لو جئت بها بالأمس لقبلتُها فأما اليوم فلا حاجة لي بها ))**

[ رواه الطبراني في الكبير ]

## القحط والجفاف والأوبئة نتائج منع الزكاة:

قد تشحُّ الأمطار، وتجف الأنهار، وتغور الينابيع، وقد يقضي الصقيع على الزرع والكلأ، وقد يكثر الشجر ويقل الثمر، وقد تُتلفُ الحشرات، والأوبئة بعض المحاصيل، وقد تهب الرياح العاتية فتقتلع الأشجار، وتهدم البيوت، وقد تُسلط ذبابة فتقضي على محصول كبير، ودودة على محصول آخر، وقد يأتي الجراد فيأكل الأخضر واليابس.. ويقف الإنسان حائراً أمام هذه الظواهر، ويحاول أن يبحث عن السبب.

يقول له العلم: إن ارتفاع نسبة غاز الفحم في الجو سببت تخلخلاً في طبقة الأوزون المحيطة بالأرض، الأمر الذي أدى إلى اضطراب درجات الحرارة وسرعة الرياح، واضطراب وانتقال خطوط المطر، وهذا التفسير العلمي لا يكفينا.. ولا يمنعنا أن نسأل مسبب الأسباب، وخالق الأكوان، ومُنزل القرآن عن السبب الأبعد والأهم لكل هذا، وعن السبب الحقيقي، وها هو القرآن ذا يجيبنا قائلاً:

**( وَلَوْ أَنّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السّمَاءِ وَالْأَرْض )**

( سورة الأعراف: ٩٦)

**( وَأَلّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا )**

( سورة الجن )

ولنسأل مبعوث العناية الإلهية النبي عليه الصلاة والسلام فيجيبنا قائلاً:

**(( ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين ))**

أي الفقر والقحط.

[رواه الطبراني في الأوسط، وصححه الحاكم على شرط مسلم انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩٦/٣]

**(( ولم يمنعوا زكاة مالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا ))**

[رواه الحاكم وصححه وغيره ]

**(( ما تلف مال في برٍ أو بحرٍ إلا بحبس الزكاة ))**

[رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي في المجمع ٩٣/٣: فيه عمر بن هارون وهو ضعيف ]

## زكاة الفطر:

### ١ ـ زكاة الفطر طهرة للصائم:

وبقي علينا في الخطبة موضوع صغير، ألا وهو زكاة الفطر، لأن صيامنا وقيامنا لا يُرفع إلى الله تعالى إلا بتأدية هذه الزكاة، لقد فرض الله علينا زكاة الفطر طُهرة للصائم مما بدر منه من لغو أو رفث، وطُعمة للمسكين وإغناءً له عن السؤال.

### ٢ ـ على من تجب زكاة الفطر ؟

وصدقة الفطر تجب على كل مسلم يملك قوت يومه حرٍ أو عبدٍ ذكرٍ أو أنثى، صغير أو كبير، غني أو فقير، يخرجها الرجل عن نفسه أولاً، وعن كل من يمونه، ويلي عليه، كزوجته، وأولاده، وعن أمه، وأبيه، وإخوته، وأخواته، إن كان يُنفق عليهم.

### ٣ ـ مقدار زكاة الفطر ؟

ومقدارها في الحد الأدنى ثمن نصف صاع من القمح، ونصف الصاع من القمح يعدل اثنين كيلو من القمح، عن كل فرد، أو ثمن اثنين كيلو من القمح، ولا حد لأكثرها، لقول الله عز وجل:

**( لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ )**

( سورة الطلاق: ٧ )

لا إسراف في الخير ولا خير في الإسراف.

### ٤ ـ حكمتها:

وحكمتها أن يذوق كل مسلم طعم الإنفاق حتى الفقراء، ولكي يتدرب الإنسان على الإنفاق في العسر واليسر، ولكي تكون يده هي العليا، ووقت أدائها من أول رمضان، وحتى قُبيل الخروج لصلاة العيد، ويفضل أن تعطى للأقارب عدا الأصول والفروع " الآباء مهما علوا، والأبناء مهما دنوا، وعدا الزوج والزوجة.

والحمد لله رب العالمين.

## الخطبة الثانية:

### ١ ـ عدم الإنفاق إلقاءٌ بالنفس إلى التهلكة:

يقول المولى عز وجل في كتابه العزيز:

**( وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ )**

( سورة البقرة: ١٩٥ )

من معاني هذه الآية: أن المسلم إن لم ينفق في سبيل الله، وإيتاء الزكاة من الإنفاق ، فقد ألقى نفسه بيده إلى التهلكة.

### ٢ ـ قصة ثعلبة حمامة المسجد !!!

وترسيخاً لهذا المعنى، ومن باب التطبيق العملي لهذه الآية ننتقل إلى المدينة المنورة... وندخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن في المسجد إذا برجل يسمى ثعلبة، وقد كان يسمى حمامة المسجد، لأنه كان لا تفوته تكبيرة الإحرام خلف سيد الأنام، رآه النبي صلى الله عليه وسلم يرتدي ثوباً بالياً فسأله، كيف حالك يا ثعلبة ؟ فيقول: حالي كما تراني، ولم يقل: الحمد لله.. لقد غفا قلبه، وانغمس في وحول الحياة، ثم قال ثعلبة: سل الله أن يغنيني يا رسول الله ؟ فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم بعين البصيرة، وقال له: " يا ثعلبة، قليل يكفيك خير من كثير يطغيك، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تؤدي حقه، يا ثعلبة ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، يا ثعلبة ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس، ومن أصبح حزيناً على الدنيا فقد أصبح ساخطاً على ربه، من شكا مصيبة نزلت به فكأنما يشكو الله عز وجل، من قعد إلى غني لينال من ماله فقد ذهب ثلثا دينه.. " لكن ثعلبة ألح في الطلب.. بل قال: لئن أغناني الله لأصدّقنّ، ولأكونن من الصالحين، عندها قال صلى الله عليه وسلم: " اللهم أغن ثعلة بما شئت، وكيف شئت " ودعوة الرسول ليس بينها وبين الله حجاب..

ورزق ثعلبة برؤوس الأغنام، وزادت وتوالدت حتى ضاقت بها شعاب المدينة، ثم ماذا حدث بعد هذا لقد قطع ثعلبة صلته بالمسجد فتفقده النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجده، فسأل عن حمامة المسجد فإذا بها قد قُصت أجنحتها، وتمرغت في وحول المال..

ما الحياة في جوهرها أيها الإخوة ؟ درهم ودينار.. لا والله، ولكنها طاعة للرحمن.

**إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عرياناً و لو كان كاسيـا**

**و خير لباس المرء طاعة ربـه ولا خير في من كان لله عاصيا**

***

قطع ثعلبة صلته بالمسجد، واستنكفت نفسه أن يجلس على الأرض، واستكبرت نفسه أن تسجد لله.. ومضى عام، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ثعلبة من يأخذ منه زكاة ماله..

نظر ثعلبة في الأمر، فإذا به ينطق بكلمة السوء، ويقول لعامل بيت المال: بلِّغ صاحبك " ولم يقل بلِّغ رسول الله " أن ليس في الإسلام زكاة، فقال له مبعوث رسول الله: أو ما تراه لك صاحباً ؟ لقد جمعت إلى منع الزكاة نقض العهد، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ثعلبة وقوله فقال: " يا ويح ثعلبة "، ثم نزل بثعلبة وبأمثاله قرآن يُتلى إلى يوم القيامة:

**( وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنْ الصَّالِحِينَ(٧٥)فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ(٧٦)فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ(٧٧)أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ )**

( سورة التوبة )

لقد صدق الله العظيم إذ قال:

**( وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ )**

( سورة البقرة )

وقال:

**( إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(١٩)إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا(٢٠)وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا(٢١)إِلَّا الْمُصَلِّينَ(٢٢)الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ(٢٣)وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ(٢٤)لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ(٢٥)وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ )**

( سورة المعارج )

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (١٧) : خ١ - الحب الإلهي ، خ٢ - دروس في المحبة والعبر.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٠-٠٦-١٥

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## المحبة:

### ١ ـ الإيمان يحمل الإنسان على محبة الخالق:

من خلال التأمل الدقيق، والنقل الصحيح يتضح أن الإنسان هو المخلوق المكرم، بدليل أن الكون كله، بسماواته وأرضه مسخر له، تسخير تعريف وتكريم، فإذا آمن الإنسان، بأنه خالقاً عظيماً، ورباً كريماً، ومسيراً حكيماً، خلقه في أحسن تقويم، وكرّمه أحسن تكريم، وفضله على كثير من العالمين، أنعم عليه بنعمة الإيجاد وبنعمة الإمداد، و بنعمة الهدى والرشاد.

إن هذا الإيمان، وذاك العرفان يحملان الإنسان على محبة خالقه ومربيه، فالإنسان بعقله يؤمن، وبقلبه يحب، وهل الإنسان إلا عقل يدرك، وقلب يحب.. وقد ورد في الأثر:

**(( أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً ))**

[ ورد في الأثر ]

### ٢ ـ القلب محرّك الجسد:

وورد في الخبر، أنه لا إيمان لمن لا محبة له، فالإيمان والحب متلازمان، تلازم الروح وبالجسد، فما قيمة الجسد من دون روح كذلك ما قيمة الإيمان من دون حب، وإذا صحّ أن العقل للإنسان كالمقود للمركبة، يقودها على الطريق الصحيح ونحو الهدف الصحيح فإنه يصحُ أيضاً أن القلب للإنسان كالمحرك لهذه المركبة، يحرّكها على هذه الطريق ونحو ذلك الهدف.. فما قيمة المقود من دون محرك ؟ إنه الجمود والموت، وما قيمة المحرك من دون مقود ؟ إنه الهلاك والدمار.

### ٣ ـ المحبة قوت القلوب، وغذاء الأرواح:

المحبة هي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وهي الحياة التي من حُرمها فهو في جملة الموات، وهي النور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، وهي الشفاء الذي من عَدِمه حلّت به الأسقام، وهي اللذة

التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، لذلك عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ ))**

[متفق عليه]

فإذا عرف الإنسان ربه أحبه، وإذا أحبه خطب وده، فاستقام على أمره، وعمل الصالحات، ابتغاء وجهه، عندئذ يجد حلاوة الإيمان بعد أن ذاق جحيم الكفر، إن الإنسان وقد عرف هذه المعرفة، وذاق هذه الحلاوة، يصبح شغله الشاغل، التقرب من المحبوب، يقول الله تعالى فيما رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه في حديث صحيح أخرجه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ:

**(( مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ... ))**

[ البخاري ]

## ٤ ـ المحبة لابد لها من دليل:

كثيرون هم الذين يدّعون محبة الله ورسوله، ولا تجد في أعمالهم ما يُثبت ذلك، إنهم خاضوا بحار الهوى دعوى، وما ابتلوا، ولو يُعطى الناس بدعواهم لادّعى الخلي حرقة الشجي، لذلك طولب المدّعون بإقامة الدليل على صحة دعواهم، فقال تعالى:

**( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ )**

( سورة آل عمران )

**تعصي الإله وأنت تُظهر حبّه  هذا لعمري في المقال بديـعُ**

**لو كان حبك صادقاً لأطعته  إن المحب لمن يحب مطيـعُ**

***

ولقد ردّ الله عز وجل على هؤلاء الذين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، فقال:

**( قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ )**

( سورة المائدة: ١٨)

ومن هنا استنبط الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ أن الله لا يعذب أحبابه.

## ٥ ـ محبة النبي عليه الصلاة والسلام فرعٌ عن محبة الله:

محبة الله أصل: ومن فروعها محبة النبي صلى الله عليه وسلم، فليس أحد بعد الله تعالى أمنّ علينا في هدايتنا، وسعادتنا من رسولنا صلى الله عليه وسلم.

( لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ )

( سورة التوبة )

## ٦ ـ محبة الرسول مقرونة بمحبة الله:

لذلك قُرنت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بمحبة الله تعالى في معظم آيات القرآن، وفي السنة المطهرة، قال تعالى:

( قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ )

( سورة التوبة )

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ))

[ مسلم ]

بل إن إرضاء الله، هو عين إرضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإرضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عين إرضاء الله، قال تعالى:

( وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ )

( سورة التوبة: ٦٢)

هكذا بضمير المفرد.. ولم يقل " يرضوهما " بضمير المثنى، وكذلك طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي عين طاعة الله تعالى، حيث يقول:

( مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ )

( سورة النساء: ٨٠ )

هذا خصم عنيد من خصوم النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة يقول: **<< ما رأيت أحداً يحبُّ أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً <<.**

## نموذجان للمحبة:

وإليكم نموذجين من هذه المحبة:

### النموذج الأول:

ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب له، قليل الصبر عنه، أتاه ذات ليلة، وقد تغير لونه، ونحل جسمه، وعُرف ذلك في وجهه، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم:

**(( يا ثوبان ما غير لونك " ؟ فقال: يا رسول الله، ما بي وجع ولا ضرّ غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك، واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ولولا أني أجيء فأنظر إليك، لظننت أن نفسي تخرج - أي أموت - ثم ذكرت الآخرة، وأخاف ألا أراك هناك، لأني عرفت أنك مع النبيين، فلم يردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ))**

[ ورد في الأثر ]

لكن الله جل في علاه أجابه عن تساؤله في القرآن الكريم فقال تعالى:

**( وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا )**

( سورة النساء )

### النموذج الثاني:

نموذج آخر: امرأة أنصارية من بني دينار تسمع إشاعة أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد قُتل في أحد، فيؤلمها النبأ، وتخرج لتستجلي الحقيقة، وتمر على أرض المعركة، وتجدُ في الشهداء ابنها وزوجها وأخاها، فلا تقف عندهم، بل تندفع باحثة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأل عنه كل من لقيت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون: أمامك حتى وصلت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، واطمأنت على سلامته، فأخذت بطرف ثوبه، ثم قالت: كل مصيبة بعدك جلل (هينة)، ولا أبالي ما سلمت من عطب.

أية امرأة أنتِ ؟ لله درك..

**ولو أن النساء كمن رأينـا لفُضِّلت النساء على الرجال**

### ٧ - من فروع محبة الله محبةُ أصحاب النبي:

محبة الله أصل، ومن فروعها محبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين عزروه، ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، والذين جاهدوا معه حق الجهاد، وبذلوا من أجل انتشار

الحق كل غالٍ ورخيص، ونفس ونفيس، والذين رضي الله عنهم جمعياً، والذين وصفهم المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال:

**(( علماء حكماء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء ))**

[ تخريج أحاديث الإحياء ]

وقد أمرنا صلى الله عليه وسلم وفاءً لحق صحبتهم وتقديراً لمكانتهم ألا نخوض فيما بينهم، فقال:

**(( إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ))**

[رواه الطبراني في الكبير، عن ابن مسعود]

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:

**(( لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِى، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ ))**

فهؤلاء الأصحاب، بإيمانهم، وثباتهم، وبطولاتهم، وولائهم لرسولهم صلى الله عليه وسلم استطاعوا في مثل سرعة الضوء أن يضيئوا الضمير الإنساني بحقيقة التوحيد، ويكنسوا إلى الأبد وثنية القرون، فأيُّ بذل هذا الذي بذلوا، وأي هولٍ هذا الذي احتملوا، وأيُّ فوزٍ هذا الذي أحرزوا.

## ٨ ـ من فروع محبة الله محبةُ المؤمنين:

محبة الله أصل، ومن فروعها محبة المؤمنين: تلك المحبة التي تؤلف القلوب، وتوحد الصفوف، وتبني المجتمعات، وتصنع المعجزات، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم مجتمع المؤمنين في توادهم، وتعاطفهم، وتراحمهم بالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وهم كالبنيان المرصوص، يشدُّ بعضه بعضاً، وهم لبعضهم بعضاً، نصحةٌ متوادُّون، ولو ابتعدت منازلهم، بينما المنافقون بعضهم لبعض، غششةٌ متحاسدون ولو اقتربت منازلهم.

لذلك يجب ألا نعجب إذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم حب المؤمنين علامة كافية على صحة الإيمان، وصدقه، بل جعل محبة المؤمنين شرطاً وحيداً لوجود الإيمان في الرجل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا... ))**

[أخرجه مسلم في صحيحه ]

روى الإمام أحمد في مسنده أَنَّ أَبَا مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ قَالَ:

**((... إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ أَقْبَلَ إِلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنْ اللَّهِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ، وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، نَاسٌ مِنْ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ**

**وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنْ اللَّهِ، انْعَتْهُمْ لَنَا، يَعْنِي صِفْهُمْ لَنَا، فَسُرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ، وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تَحَابُّوا فِي اللَّهِ، وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا، وَثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَفْزَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ))**

[ أحمد ]

وفي الحديث عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ الشَّامِ فَإِذَا أَنَا بِفَتًى بَرَّاقِ الثَّنَايَا، وَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ فَوَجَدْتُ قَدْ سَبَقَنِي بِالْهَجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: أَاللَّهِ ؟ فَقُلْتُ: أَاللَّهِ، فَقَالَ: أَاللَّهِ ؟ فَقُلْتُ: أَاللَّهِ، فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ: وَقَالَ: أَبْشِرْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

**(( وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ))**

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده والطبراني في الكبير ]

وفي حديث آخر عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

**(( الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ ))**

[أخرجه الترمذي ]

وروى مسلم في صحيحه عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ، أَوْ قَالَ: لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ))**

[ مسلم ]

وفي رواية:

**(( وحتى يكره له ما يكره لنفسه ))**

فالمراد بأحدكم في الحديث: كل المسلمين في كل العصور، وكل الأمصار، لرواية أخرى تقول:

**(( لا يؤمن أحدٌ أو عبدٌ ))**

وإن كان بهذه الصيغة خاصاً بالمشافهين، الذين عاصروا النبي، والمراد بالأخ في الحديث من له أخوة الإسلام مطلقاً.. كما ورد في بعض الروايات:

**(( لأخيه المسلم ))**

فالمسمون على اختلاف شعوبهم، وقبائلهم، وديارهم، وألسنتهم، وألوانهم هم أسرة واحدة، قال تعالى:

**( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ )**

( سورة الحجرات )

ويستفاد من كلمة إخوة التي تعني أخوة النسب أن أخوة الإيمان أعلى درجات الأخوة، ويستفاد من كلمة إنما أن الأخوة الحقة قاصرة على المؤمنين، وكل علاقة أخرى لا تقوم على الإيمان، علاقة أساسها المنافع تدوم بدوامها، وتزول بزوالها، وفي رواية للنسائي:

**(( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير ))**

وهذه الكلمة:

**(( من الخير ))**

قيد لا بد منه، لأن من كان يحب لنفسه شيئاً من المشتهيات المحرمة، ليس من الإيمان أن يحب لأخيه مثلها، فالمراد

**(( بالخير ))**

في الحديث ما هو خير شرعاً، والخير الشرعي يتناول الحظوظ الأخروية كلها، كالعلم النافع، والعمل الصالح، والعبادة الخالصة، والعاقبة الحُسنى.. ولا يتناول من حظوظ الدنيا إلا ما كان مباحاً غير مذموم، كسعة الرزق من الحلال، ونجابة الأولاد، وطول العمر، والسلامة من المكاره. رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه رجل فسلم عليه، ثم جلس فقال له ابن عباس: يا فلان، أراك مكتئبا حزيناً؟ قال: نعم، يا ابن عم رسول الله ؛ لفلان عليّ حق ولاءٍ، وحرمةِ صاحب هذا القبر ما أقدر عليه.. قال ابن عباس: ألا أكلمه فيك ؟ قال: إن أحببت، قال: فانتعل ابن عباس، ثم خرج من المسجد، فقال له رجل: أنسيت أنك معتكف ؟ قال: لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر، والعهد به قريب، فدمعت عيناه، وهو يقول:

**(( من مشى في حاجة أخيه، وبلغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق، كل خندق أبعد ما بين الخافقين ))**

[ورد في كنز العمال، ورواه الخطيب، وقال: غريب، ورواه الطبراني في الكبير، ورواه الحاكم ]

وفي الحديث:

**(( لأن أمشي مع أخ لي في حاجة خير لي من صيام شهر، واعتكافه في مسجدي هذا ))**

[ أورده السيوطي في الجامع الصغير ]

## التعاون من ثمار المحبة بين المؤمنين:

### ١ ـ التعاون على البر والتقوى:

ومن ثمار المحبة بين المؤمنين إذاً، التراحم، والتعاون، والتضامن، والتكافل، والمؤاثرة، فقد أمر الله المؤمنين بالتعاون فيما بينهم، إلا أنه قيد التعاون بأن يكون تعاوناً على البر والتقوى، لا تعاوناً على الإثم والعدوان.. قال تعالى:

**( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ )**

( سورة المائدة )

قال علماء التفسير: التعاون على البر هو التعاون على صلاح الدنيا، والتعاون على التقوى هو التعاون على صلاح الآخرة، وفي الدعاء النبوي الشريف: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**(( اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ))**

[ أخرجه مسلم ]

### ٢ ـ التناجي بين المؤمنين في صلاح دنياهم وآخرتهم:

فمن التعاون: التناجي بين المؤمنين في صلاح دنياهم وآخرتهم، والمشاركة في إبداء الآراء، وتوضيح الحقائق، وتشخيص المشكلات، والبحث عن الحلول، وتذليل العقبات، فليس من سمات المؤمن الصادق الفردية والانعزالية والسلبية، والهروب من حلّ المشكلات، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ )**

( سورة المجادلة )

### ٣ ـ الشورى بين المؤمنين:

لذلك تُعدُّ الشورى من مظاهر التعاون الفكري، أمر بها رسوله فقال:

**( وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ )**

( سورة آل عمران: ١٥٩ )

ووصف بها المؤمنين فقال:

( وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ )

( سورة الشورى: ٣٨ )

## ٤ ـ تنفيس الكروب، وتيسير الخطوب، وستر العيوب:

ومن التعاون بين المؤمنين تنفيس الكروب، وتيسير الخطوب، وستر العيوب، لقول النبي صلى الله عليه وسلم برواية مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ... ))**

[ مسلم ]

فتنفيس الكروب هو تفريجها وإزالتها، والكروب جمع كُربة، وهي الحزن والغم، الذي يأخذ بالنفس فيضغط عليها ضغطاً مؤلماً، وهنا يأتي دور المؤمن في مساعدة أخيه في تنفيس كربة، فإذا كانت كربة أخيه من جهة فقره، وحاجته ساعده حتى يسدّ حاجته، ويرفع عنه ضرورته، سواء أكان ذلك في ماله، أم في سعيه الحسن، وإن كانت كربة أخيه بسبب حاجته إلى قرض حسن ليدفع ضرورة مُلحّة أقرضه، وإن كانت كربة أخيه بسبب مصيبة حلّت به واساه، وساعده حتى تنفرج عنه الكربة، وإن كانت بسبب حاجته إلى شفاعة حسنة شفع له، وإن كانت بسبب حاجته إلى زواج سعى بتزويجه، وإن كانت بسبب حاجته إلى عمل، سعى في تهيئة العمل الملائم له، وإن كانت بسبب حاجته إلى تداوٍ من علة جسمية أو نفسية، سعى له في العلاج المناسب حتى يُنفِّس عنه كربته.. وقل مثل ذلك في التيسير والستر والمعونة.

## ٩ ـ من فروع محبة الله إنصاف الناس جميعًا:

محبة الله أصل، ومن فروعها أن تنصف الناس جميعاً على اختلاف مللهم ونحلهم، وأن ترحمهم، وتُعينهم في أمر دينهم ودنياهم، لأن الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، والنبي صلى الله عليه وسلم ينفي عن الرجل انتماءه للإسلام إذا غش كائناً من كان فقال:

**(( لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّنَا ))**

[رواه الإمام أحمد ]

## ١٠ ـ من فروع محبة الله الرفق بالمخلوقات جميعا:

محبة الله أصل، ومن فروعها أن ترفق بالمخلوقات جميعاً، وأن ترحمهم، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ:

**(( لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ مَثَّلَ بِالْحَيَوَانِ ))**

[رواه البخاري ومسلم]

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يُقتل شيء من الدواب صبراً، ونهى عن التحريش بين البهائم، وأن يتخذ شيء من الروح غرضاً، أي هدفاً في الرمي، روى الإمام البخاري عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ ))**

[رواه البخاري]

وروى أيضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ، فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ ))**

[رواه البخاري]

**الخطبة الثانية:**

## كيف تكون هذه المحبة والألفة ؟

يقول الله تبارك وتعالى:

**( لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ )**

( سورة الأنفال )

كيف تكون هذه المحبة والألفة ؟ وما شروطها وموجباتها ؟ وما ثمارها ونتائجها ؟

## قصة عمير بن وهب الجمحي: دروس في المحبة وعِبر:

يتضح ذلك كله من قصة عمير بن وهب الجمحي الذي نجا من الموت في معركة بدر، وخلّف ابنه وهباً أسيراً في أيدي المسلمين.. جلس ذات يوم في فناء الكعبة، مع صفوان بن أمية، سيد قريش وزعيم الشرك، يتذاكران بدراً، فقال عمير لصفوان: ورب الكعبة، لولا ديون عليَّ ليس عندي ما أقضيها، وعيال أخشى عليهم الضياع من بعدي لمضيت إلى محمد، وقتلته، وحسمتُ أمره، وأرحتكم منه، فقال صفوان: يا عمير، اجعل دينك كله علي، فأنا أقضيه عنك مهما بلغ، وأما عيالك فسأضمهم إلى عيالي ما امتدت بي وبهم الحياة، وإن في مالي من الكثرة ما يسعهم جميعاً، ويكفل لهم العيش الرغيد، فامض لما أردت، عندها أمر عمير بسيفه فشُحِذ، وسُقيَ سماً، ودعا براحلته فأعدّت، وقُدِّمت له، ويمّمَ وجهه شطر المدينة، وملءُ برديه الضغينة والشر، ولما بلغها مضى نحو المسجد، يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمحه سيدنا عمر رضي الله عنه، وهو على باب المسجد، فأقبل عليه، وأخذ بتلابيبه، وطوّق عنقه بحمالة سيفه، ومضى به نحو رسول الله صلى الله

عليه وسلم وقال: يا رسول الله هذا عدو الله عمير بن وهب جاء يريد شراً.. فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحال قال لعمر: أطلقه، فأطلقه، ثم قال له: استأخر عنه، فتأخر عنه، ثم توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمير، وقال له: ادن مني يا عمير، فدنا فقال له: ما الذي جاء بك يا عمير ؟ قال: جئت أرجو فكاك هذا الأسير، الذي في أيديكم فقال له: فما بال هذا السيف الذي في عنقك ؟ قال: قبّحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً يوم بدر ؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم تقل لصفوان في فناء الكعبة عند الحجر: لولا دين عليّ، وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمّل لك صفوان بن أمية دينك وعيالك على أن تقتلني، والله حائلٌ بينك وبين ذلك، فذهل عمير.. وقال: أشهد أنك لرسول الله، لأن خبري مع صفوان لم يعلم به أحد إلا أنا وهو، ووالله لقد أيقنت أنه ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي ساقني إليك، ليهديني إلى الإسلام فقال صلى الله عليه وسلم:

**(( فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه، وعلموه القرآن، وأطلقوا أسيره.. ففعلوا ))**

[كنز العمال ]

وموطن الشاهد في هذه القصة، أن سيدنا عمر رضي الله عنه قال بعد أن آمن عمير بن وهب بالله ورسوله، واصطلح مع الله ورسوله: دخل عمير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والخنزير أحبُّ إلي منه، وخرج من عنده وهو أحبُّ إلي من بعض أبنائي، ولنذكر قوله تعالى:

**( وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا )**

( سورة آل عمران: ١٠٣ )

حينما نؤمن بالحقيقة نفسها، ونسعى لهدف واحد، ونسلك سبيلاً واحداً، وحينما نتمثل القيم الإنسانية الرفيعة، ونتخلق بالأخلاق الأصيلة التي تسمو عن الزمان والمكان يكون اللقاء حتمياً، والحب صادقاً والتعاون مثمراً، وتحقق خلافة الإنسان في الأرض وتصبح البشرية في أرقى أطوارها.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (١٨) : خ١ - التواضع ، خ٢ - تقسيم غنائم حنين.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٠-٠٩-٠٧

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## الأخلاق في الإسلام:

### ١ ـ الإسلام يدعو إلى البناء الأخلاقي:

موضوع هذه الخطبة الدينية هو خلق التواضع، انطلاقاً من أن هناك تلازماً ضرورياً بين التدين الصحيح والخلق القويم، حدد النبي صلى الله عليه وسلم، حدد الغاية الأولى من بعثته، والمنهج الأمثل لدعوته، فقال فيما رواه الإمام أحمد رحمه الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ ))**

[أخرجه الإمام أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة]

فالهدف الأول لدعوته هو إرساء البناء الأخلاقي للفرد والمجتمع، لأنه ثمن سعادة الدنيا والآخرة، والوسيلة هي التعليم لا التعنيف، قال صلى الله عليه وسلم:

**(( علموا ولا تُعنِّفوا، فإن المعلم خير من المُعنِّف ))**

[أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، وابن عدي في الكامل]

### ٢ ـ التلازم الضروري بين التدين الصحيح والخلق القويم:

والمتتبع لنصوص القرآن الكريم، وللسنة المُطهرة الصحيحة يجد ذلك التلازم الضروري بين التدين الصحيح والخلق القويم، قال تعالى:

**( أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ(١)فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ )**

( سورة الماعون )

وقال تعالى:

**( فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ )**

( سورة القصص: ٥٠

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ:

**(( لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ ))**

[ أحمد في المسند ]

وقال أيضاً:

**(( الإيمان والحياء قُرنا جميعاً، فإذا رُفع أحدُهما رُفع الآخر ))**

[أخرجه الحاكم بسند صحيح عن ابن عمر ]

## ٣ ـ أحسن الناس إيمان أحسنهم خلقًا:

إذاً: فالإيمان أساس الفضائل ولجام الرذائل وقوام الضمائر، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً، وأن أكملهم إيماناً أحسنهم خلقاً، وأن من أحبِ عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً، وأن من أقرب المؤمنين مجلساً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة أحسنهم خلقاً، وأن خير ما أُعطي الإنسان خلق حسن، وأنه ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وأن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، بل إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، والخلق الحسن يُذيب الخطايا كما يُذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

وقد ورد في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ ))**

[ مسلم ]

## ٤ ـ التواضع فضيلة وسطٌ بين طرفين:

وانطلاقاً من أن الحق وسط بين طرفين، وأن الفضيلة مكرمة بين رذيلتين، وأن الكمال في الوسط، وأن النقص في التطرف، فقد ينحرف التواضع إلى الذل، وقد يصبح غلافاً للكبر.. وفي الطرفين انحراف بالتواضع عن الموقع الصحيح الذي أراده الله، وتزييف لهذا الخلق الكريم الذي سنه المصطفى عليه صلوات الله وسلامه.

## ٥ ـ الكِبر خلُقٌ سيئ:

فقد ينطوي المرء على نفس تتصف بأشد حالات الكبر، ولكنه يسلك مع بعض الناس سلوك المتواضع توصلا بهذا السلوك إلى تحقيق مصالحه المادية، إنه موقف ذكي أساسه المصلحة الراجحة.

فالكبرياء على العباد صفة رب العباد الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي إذا ظهر قهر، وإذا تجلى طاشت لأنوار جلاله ألباب البشر.

**( فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٣٦)وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ )**

( سورة الجاثية )

## ٦ ـ الذل لله عزة، وللعبد مذلة وهوان:

فذلُ العباد لربهم بالحق لا بالباطل، فهو الخالق العظيم، والرب الرحيم، والمسيّر الحكيم، بديع السماوات والأرض، ذو الفضل العظيم، رب العزة، ذو الجلال والإكرام، إليه يُرجع الأمر كله.

**( حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ)**

( سورة يونس )

فمصائر العباد رهن مشيئته، وطوع إرادته، وهم إنما يكونون في أزكى أحوالهم ساعة، تعنو جباههم لربهم خاضعين له، مُنيبين إليه عندئذ يعرفون حجمهم، ووضعهم فيلزمون حدهم، ولا يتجاوزونه.

عَن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْن العَاص أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**(( مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ أَكَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ ))**

[ رواه الإمام أحمد في مسنده ]

فالمتكبّر مبطل متطاول، يزعم لنفسه ما ليس لها، والكبر جملة من الخصال الخسيسة، في طليعتها جحد الحق، وتجاهل الواقع، وسوء العشرة، وتجاوز القدر، وتحقير الفضل.

وقد يجهل الإنسان حقائق التوحيد، أو يعتقد اعتقاداً فاسداً أساسه الشرك فيُذِّل نفسه ويقبل الدنية في دينه، ودنياه لواحد من أمرين ؛ إما خوف أن يصاب برزقه، أو أن يصاب بأجله، مع أن الله قطع سلطان البشر عن الآجال والأرزاق جميعاً، فليس لأحد إليهما سبيل، وبين لنا في كتابه العزيز أن البشر ولو اجتمعوا بأسرهم أذلٌ من أن يمنعوا شيئاً أعطاه الله، وأقلّ من أن يعطوا شيئاً منعه الله، قال تعالى:

( مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ )

( سورة فاطر )

( وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ )

( سورة يونس )

هذا الذل ذل الشرك والخوف، ليس من التواضع في شيء.

## ٧ ـ لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه:

وقد يقصِّر الإنسان في أداء واجبه، وقد يهمل عمله، أو صنعته، أو يسيء إلى الناس في تعامله معهم، فيأتيه اللوم والتقريع، فيتطامن ويستخذي، وهذا الذل ؛ ذل التقصير، والإهمال، والإساءة ليس من التواضع في شيء.

إذاً: ذلة العبد لعبد مثله باطلة لا ريب، فقد حرّم الإسلام على المسلم أن يهون أو يُستذل، أو يُستضعف، قال تعالى:

( وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ )

( سورة آل عمران: ١٣٩)

وفي الحديث الشريف:

**(( من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مُكره فليس منا ))**

[ الطبراني عن أبي ذر، وانظر مجمع الزوائد للهيثمي ]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه، ومن أصبح يشكو مصيبة، نزلت به فإنما يشكو الله تعالى، ومن تضعضع لغني لينال مما في يده أسخط الله تعالى ))**

[ الطبراني عن أنس، وانظر مجمع الزوائد للهيثمي ]

وفي رواية:

**(( من جلس لغني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه ))**

[أخرجه الخطيب عن ابن مسعود، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب، وقال رواه الطبراني في الصغير، ورواه أبو الشيخ في الثواب عن أبي الدرداء ]

إذاً: فلا ينبغي للمؤمن أن يُذل نفسه، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم:

**(( ابتغوا الحوائج بعزّة الأنفس، فإن الأمور تجري بالمقادير ))**

[ ابن عساكر عن عبد الله بن بسر ]

وقد قيل: **" احتج إلى الرجل تكن أسيره، واستغن عنه تكن نظيره، وأحسن إليه تكن أميره، وشرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس ".**

## ٨ ـ ينبغي للمؤمن من عزة بالحقّ:

إن اعتزاز المسلم بنفسه ودينه وربه، هو عزة الإيمان، وعزة الإيمان شيء و كبرياء الطغيان شيء آخر، إنها أنفة المؤمن أن يصغر لجهة أو أن يتّضع في مكان، أو أن يكون عبداً لإنسان، إنها ترفُّع عن مغريات الأرض، ومزاعم الناس، وأباطيل الحياة، وفيها انخفاض إلى خدمة المسلمين، والتبسُّط معهم، واحترام الحق الذي يجمعه بهم، إنها إتيان البيوت من أبوابها، وطلب العظمة من أصدق سبلها، قال تعالى:

**( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزّةَ فَلِلّهِ الْعِزّةُ جَمِيعًا )**

( سورة فاطر: ١٠)

**اجعل لربك كل عزك يستقر ويثـــبت**

**فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت**

والعزة حق يقابله واجب، وليس يسوغ لامرئٍ أن يطالب بماله من حق حتى يؤدي ما عليه من واجب، فإذا كُلِفت بعمل فأدّيته على أصح وجوهه، عندئذ لا سبيل لأحد عليك، ولا يستطيع من فوقك ولا من دونك أن ينالك بلفظ جارح، وتستطيع أن تحتفظ بعزة نفسك أمام كل الناس على اختلاف مراتبهم، حين تسدُّ الثغرات التي ينفذ منها إليك اللوم والتقريع، إن ألدّ أعدائك حينئذ يتهيبك، قال تعالى:

**( لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٢٦)وَالّذِينَ كَسَبُوا السّيّئَاتِ جَزَاءُ سَيّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلّةٌ مَا لَهُمْ مِنْ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ**

**كَأَنّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنْ اللّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ )**

( سورة يونس )

وقد قال صلى الله عليه وسلم:

**(( إياك و ما يعتذر منه ))**

[ ذكره الهندي في كنز العمال عن أنس ]

## التواضع:

### ١ ـ تواضع المؤمن في عزة وقوة:

وبعد الحديث عن الكبر وبطلانه، والذلة وأسبابها، والعزة ومقوماتها يطيب الحديث عن التواضع: إنه تواضع العزيز، لا تواضع الذليل، وإنه تواضع القوي، لا تواضع الضعيف، وإنه تواضع المنتصر لا تواضع المنهزم، وإنه تواضع الشريف، لا تواضع الخسيس، وإنه تواضع المؤمن الذي يؤمن أن الأمر كله بيد الله، لا تواضع المشرك الذي استحوذ الخوف على قلبه، وإنه تواضع المؤدي لواجبه لا تواضع المقصّر فيه، وإنه تواضع المتقن لعمله، لا تواضع المهمل له، وإنه تواضع المحسن، لا تواضع المسيء، ويدعم هذا التوجه.

### ٢ ـ تعريف التواضع لغة:

وذاك التعريف أن التواضع لُغةً مصدر قياسي لفعل تواضع، الذي على وزن تفاعل، حيث يفيد هذا الوزن إظهار ما ليس في الواقع، فالمتواضع ليس وضيعاً، كما أن المتمارض ليس مريضاً، والمتكبر ليس كبيراً، والمتعاظم ليس عظيماً.

### ٣ ـ حقيقة التواضع:

فالتواضع في حقيقته، رؤية صحيحة لعظمة خالق الأكوان، وشعور واقعي بضعف الإنسان، وسلوك أصيل أساسه الانضباط والإحسان، فهو مظهر لعبودية الإنسان تجاه خالقه، ونتيجة لرؤية افتقاره لفضله، وليس سلوكاً ذكياً، أساسه مصلحة راجحة، ولا ضعفاً نفسياً أساسه توهُّم باطل، أو رؤية ضبابية، وليس تقصيراً، أو إهمالاً، أو إساءة.

إنه فضيلة الفضائل، وهو بين دناءة الذلّ وغطرسة الكبر،

**(( ليس كل مُصَلٍّ يصلي، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي...))**

[من حديث قدسي طويل رواه الديلمي عن حارثة بن وهب]

والتواضع في أدق تعاريفه: خضوع العبد لسلطان الحق، والانقياد له، والدخول تحت مظلته، ومن تكبر عن الانقياد للحق، أذله الله، وصغّره وحقّره، ومن تكبّر عن الانقياد للحق، ولو جاءه من صغير أو بعيد أو عدو فإنما تكبّره على الله، فإن الله هو الحق، وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفته، والحق منه، والحق إليه، وحينما عرّف النبي صلى الله عليه وسلم الكبر فقال إنه:

**(( الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقّ ـ أي جحد الحق ـ وَغَمْطُ النّاس ))**

[رواه مسلم عن ابن مسعود ]

أي احتقارهم وازدراؤهم، وعرّف التواضع بقاعدة " مفهوم المخالقة "، أي إنه الخضوع للحق، وإنصاف الناس لهذا قيل: من عرف نفسه عرف ربه، ومن لم يعرف نفسه فهو مغرور، ومن نظر بعين المعرفة إلى سلطان الله، فني عنه سلطان نفسه، ومن نظر إلى عظمة ربه صغرت عنده نفسه، وقهرت تحت جلال هيبته.

المؤمنون قوم فرّغ الله قلوبهم من الكبر، وجعل رحيق محبته مشروبهم، وأطال على باب خدمته وقوفهم، وجعل رضاه وقُربه مطلوبهم، وغضبه وبعده مخوفهم، فهم من خشيته مشفقون، ومن هيبته مطرقون، إن تواضعوا فلرفعته، وإن تذللوا فلعزته، وإن طمعوا ففي فضله، وإن خضعوا فلعظمته، إلى الله افتقارهم وبالله افتخارهم، وإلى الله استنادهم، هو كنزهم، وعزهم، وفخرهم، وذخرهم، ومعبودهم، ومقصودهم.

وقل للواقفين بغير باب الله: يا طول هوانكم، وقل للعاملين لغير الله: يا عظيم خسرانكم، وقل للآملين لغير فضل الله: يا خيبة آمالكم، وقل للساعين لغير وجه الله: يا ضيعة أعمالكم.

هذه بعض المنطلقات النظرية، لخلق التواضع، ولكن أين هي التطبيقات العملية ؟.

## التطبيقات العملية لخُلق التواضع:

### ١ ـ الإسلام يرفض الفصل بين النظري والتطبيقي:

إن هذا الانفصال بين المُثُل النظرية، والواقع العملي، بين ما ينبغي أن يكون وبين ما هو كائن، يرفضه الإسلام أشد الرفض، لقد رفع الإسلام الواقع إلى مستوى المثل، وشد المثل لتكون واقعية، فصار ما في الإسلام يسمى بالواقعية المثالية، أو المُثُل الواقعية.

إليكم أنموذجاً واقعياً من خلق التواضع عند النبي صلى الله عليه وسلم:

### ٢ ـ النبي عليه الصلاة والسلام المثال التطبيقي للتواضع:

لقد كان صلى الله عليه وسلم جمّ التواضع، وافر الأدب، يبدأ الناس بالسلام، وينصرف بكله إلى محدثه، صغيراً كان أو كبيراً، ويكون آخر من يسحب يده إذا صافح، وإذا تصدق وضع الصدقة بيده في يد المسكين، وإذا جلس جَلس حيث ينتهي به المجلس، لم يُرَ ماداً رجليه قط، ولم يكن يأنف

من عمل لقضاء حاجته، أو حاجة صاحب أو جار، فكان يذهب إلى السوق، ويحمل حاجته بيده ويقول: أنا أولى بحملها، وكان يجيب دعوة الحرّ والعبد والمسكين، ويقبل عذر المعتذر، وكان يرفو ثوبه، ويخصف نعله، ويكنُس داره، ويخدم نفسه، ويعقل بعيره، وكان في مَهنة أهله، وكان يأكل مع الخادم، ويقضي حاجة الضعيف والبائس، وكان يمشي هوناً خافض الطرف، متواصل الأحزان، دائم الفكرة، لا ينطق من غير حاجة، طويل السكوت، إذا تكلم تكلّم بجوامع الكلم، وكان دمثاً ليس بالجاحد، ولا المهين، يعظم النِّعم، وإن دقّت، ولا يذمُّ منها شيئاً، ولا يذمُّ مذاقاً، ولا يمدحه، ولا تُغضبه الدنيا، ولا ما كان منها، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، كان يؤلِّف ولا يُفرق، ويُقرّب ولا يُنفّر، يكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، يُحسِّن الحسن ويصوّبه، ويُقبّح القبيح ويوهِّنه، لا يُقصِّر عن حق، ولا يجاوزه ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو ما يَسّره من القول، كان دائم البشر، سهل الخُلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخّاب، ولا فحّاش، ولا عيّاب، ولا مزّاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يُخيّب فيه مؤمله، وكان لا يذم أحداً، ولا يعيّره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يُرجى ثوابه، يضحك مما يضحك منه أصحابه، ويتعجب مما يتعجبون، ويصبر على الغريب وجفوته، في مسألته ومنطقه، لا يقطع على أحدٍ حديثه حتى يجوزه... والحديث عن شمائله لا تتسع له المجلدات، ولا خطب في سنوات، ولكن الله جل في علاه، لخّصها في كلمات فقال:

**( وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ )**

( سورة القلم )

## نماذج من تواضع النبي عليه الصلاة والسلام:

فمن عنايته بأصحابه، وتواضعه لهم:

### نموذج أول:

ما رواه الحاكم بإسناده أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته، فدخل عليه أصحابه حتى غصّ المجلس بأهله وامتلأ، فجاء جرير البجلي، فلم يجد مكاناً فقعد على الباب، فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه، وألقاه إليه، فأخذه جرير، ووضعه على وجهه، وجعل يقبّله، ويبكي، وأعاده إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ما كنت لأجلس على ثوبك، أكرمك الله كما أكرمتني، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يميناً وشمالاً، وقال:

**(( إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ ))**

[ أخرجه ابن ماجه من غير ذكر القصة ]

## نموذج ثان:

وعن عدي بن حاتم أنه قال: لما دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ألقى إلي وسادة من أدم محشوٍّ ليفاً، وقال: اجلس عليها، فقلت: بل أنت فاجلس عليها، قال: بل أنت، فقال عدي: فجلست عليها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض، فقلت: أشهد أنك لا تبغي علواً في الأرض ولا فساداً.. وأسلم عدي بن حاتم.

## نموذج ثالث:

وروى البيهقي في الدلائل أنه وفدَ وفدُ النجاشي على النبي صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه، فقال أصحابه: نحن نكفيك القيام بضيافتهم وإكرامهم، فقال صلى الله عليه وسلم إنهم كانوا لأصحابنا مُكرمين، وأنا أحب أن أكافئهم.

نموذج رابع:

وكان صلى الله عليه وسلم يمرُّ على الصبيان فيسلم عليهم، وكانت الأمة ( الطفلة الصغيرة) تأخذ بيده فتنطلق به حيث شاءت، لقد كان هين المؤنة لين الخُلق، كريم الطبع جميل المعاشرة، طلق الوجه، بساماً متواضعاً من غير ذلة، جواداً من غير سرف رقيق القلب، رحيماً بكل مسلم خافض الجناح للمؤمنين، ولين الجانب لهم.

نموذج خامس:

وفي مختصر السيرة للطبري أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فأمر أصحابه بإصلاح شاة دُبحت، فقال رجل: عليَّ سلخها، وقال آخر: عليَّ ذبحها، وقال صلى الله عليه وسلم " وعليَّ جمع الحطب " فقالوا: يا رسول الله، نحن نكفيك العمل، قال:

**(( قد علمت ذلك، ولكنني أكره أن أتميز عليكم، وإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً على أصحابه ))**

[ كشف الخفاء، وقال في السخاوي في المقاصد الحسنة: لا أعرفه ]

ما من موقف ينزلق فيه صاحبه إلى الكبر، والاستعلاء، والغطرسة، والعنجهية، كأن يفتح مدينة مستعصية ناصبته العداء أمداً طويلاً.

نموذج سادس:

لقد دخل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً متواضعاً لله، ذاكراً لفضله، حتى أن ذؤابة عمامته كادت تلامس عنق بعيره من شدة تواضعه وشكره، هذا هو تواضعه صلى الله عليه وسلم.

***

**الخطبة الثانية:**

## تقسيم غنائم حنين:

### ١ ـ النبي عليه الصلاة والسلام يخص المؤلفة قلوبهم بالغنائم:

حين انتهى المسلمون من غزوة حُنين راح النبي صلى الله عليه وسلم يوزّع غنائمها على المسلمين، واهتم يومئذٍ اهتماماً خاصاً بالمؤلفة قلوبهم، ورأى الني صلى الله عليه وسلم أن يساعدهم على أنفسهم بهذا العطاء، كما أعطى ذوي الحاجة من المقاتلين، أما أولو الإسلام المكين فقد وكلهم إلى إسلامهم، ولم يعطهم من غنائم هذه الغزوة شيئاً، وكان مجرد عطاء الرسول صلى الله عليه وسلم شرفاً عظيماً يحرص عليه جميع المؤمنين.

### ٢ ـ الأنصار وجدوا في أنفسهم من قسمة الغنائم:

تساءل الأنصار في مرارة: لِمَ لَمْ يُعطهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حظهم من الفيء والغنيمة؟ وسمع زعيم الأنصار قومه يتهامسون بهذا الأمر، فلم يُرضه هذا الموقف، واستجاب لطبيعته الواضحة الصريحة، وذهب من فوره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك ـ أي متألمون منك ـ في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، وسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأين أنت من ذلك يا سعد ؟. فأجابه سعد: ما أنا إلا من قومي.. أي أنا مثلهم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إذاً اجمع لي قومك.

### ٣ ـ النبي عليه الصلاة والسلام يملك غضب نفسه:

وقبل أن نتابع أحداث القصة، لا بد من أن نذكر بأن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه هذا النقد، أو ذلك التساؤل، وحينما شعر بهذا الغضب، أو ذلك الحزن من الأنصار، كان يتمتع بأعلى درجات القوة والسيطرة، لقد فتح الله على يديه مكة، التي ناصبته العداء عشرين عاماً، وانتصر في آخر

موقف قتالي، وهي غزوة حُنين، ودانت له الجزيرة العربية بأكملها، لقد كان من الممكن أن يلغي وجود هؤلاء المنتقدين، وكان من الممكن أن يهدر كرامتهم، ويصفهم بأنهم منافقون، وكان من الممكن أن يهملهم، وفلا يلتفت إلى نقدهم وتساؤلهم، وكان من الممكن أن يعاتبهم على موقفهم منه، وهو النبي المُرسل والقائد المنتصر.. أتدرون ما ذا قال لهؤلاء المنتقدين يوم جمعهم ؟.

## ٤ ـ كيف تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع اعتراض الأنصار:

لقد ذكرهم بفضلهم عليه، وتصديقهم له وذكرهم بإيوائهم له ومواساتهم.

أخرج أحمد في مسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:

**(( لَمّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي... قَالَ: فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ ؟ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ؟ قَالُوا: بَلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ، قَالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؟ قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا، وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَفَرَّقْنَا ))**

[ أحمد ]

## ٥ ـ قصة غنائم حنين جمعت أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام كلّها:

لو أردنا أن نؤلف كتاباً عن شمائله صلى الله عليه وسلم فأين نضع هذه القصة ؟ أنضعها في باب تواضعه تواضع القوي، وتواضع المنتصر، وتواضع الحكيم، أم نضعها في باب عفوه وهو في أعلى درجات القوة، أم نضعها في باب وفائه الشديد للذين اتّبعوه، ونصروه في ساعة العسرة، أم نضعها في باب حنكته السياسية، وكيف أنه امتص هذه النقمة، وأطفأ تلك الفتنة بكلمات صادقات، أم نضعها في باب قيادته الحكيمة التي تجعل من العدو صديقاً، ومن البعيد قريباً، ومن البغيض حبيباً ؟

كان الله في عون كُتّاب السير، كم يواجهون من صعوبات في تصنيف أفعال النبي عليه صلوات الله وسلامه ومواقفه.

يا سيدي يا رسول الله، يا سيد المتواضعين، حقاً إنك سيد ولد آدم، بلغت أعلى درجات الكمال البشري، واختارك الله على علم لتكون أسوة حسنة وقدوة صالحة، ومثلاً أعلى للمؤمنين الصادقين إلى يوم الدين، ورحم الله حسان بن ثابت الأنصاري إذ يقول:

**وأجمل منك لم تر قط عيني وأكملُ منك لم تلدِ النساءُ**

**خلقت مُبّرأ من كل عيـبٍ كأنك قد خُلقت كما تشاء**

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (١٩) : خ١ - الصحة ، خ٢ - الإخلاص.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٠-١١-٣٠

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## مقدمة:

## ١ ـ الإسلام دين الفطرة يحرص على صحة الجسد وطهارة النفس:

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، الإسلام دين الفطرة، يحرص في تعاليمه على صحة الجسد وطهر النفس، ويوازن بين المادة والروح، والحاجات والقيم، ويهدف إلى إصلاح الدنيا، وإصلاح الآخرة.

والإسلام أيها الإخوة يجعل من المسلم إنساناً متميزاً، يرى ما لا يراه الآخرون، ويشعر بما لا يشعرون، ويتمتع بوعي عميق، وإدراك دقيق، له قلب كبير، وعزم متين، وإرادة صلبة، هدفه أكبر من حاجاته، ورسالته أسمى من رغباته، يملك نفسه، ولا تملكه، ويقود هواه، ولا ينقاد له، تحكمه القيم، ويحتكم إليها، من دون أن يسخِّرها، أو يَسخَر منها، سما حتى اشرأبت إليه الأعناق، وصفا حتى مالت إليه القلوب.

## ٢ ـ الإسلام جعل قوة الجسد ورجاحة العقل ميزان الاصطفاء:

أيها الإخوة الكرام، هل يعقل أن تكون شخصية المسلم الفذة التي تجمع بين رجاحة العقل، وسمو النفس، هل تُعقل أن تكون هذه الشخصية الفذة مركبةً في جسد عليلٍ سقيم، كلا، إن صحة الجسد مرتكز لسلامة النفس وسموها، ومنطلق لصحة العقل وتفوقه، فالله تعالى، جعل صحة الجسد وقوته ورجاحة العقل واستنارته علّة الاصطفاء، فقال تعالى متحدثاً عن طالوت:

**( إِنّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ )**

( سورة البقرة: ٢٤٧)

## ٣ ـ قوة الجسد والأمانة ميزانُ تقليد الأعمال:

وقد أشار البيان الإلهي إلى أن القوة ـ ومن القوة قوة الجسم والأمانة، وبمصطلح العصر الكفاءة والإخلاص، هما المقياسان الصحيحـان اللذان نقيس بهما الأشخاص، حينما نقلدهم بعض الأعمال،

قال تعالى في معرض الحديث عن قصة سيدنا شعيب مع سيدنا موسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:

**( قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ )**

( سورة القصص: ٢٦ )

## ٤ ـ لابد من تقييد القوة الجسدية بالإيمان:

يا أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان، النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، ولم يقل: الإنسان القوي، لأن القوة من دون الإيمان مدمرة لصاحبها وللمجتمع معاً، كما أن الإيمان من دون قوة مُستضعَفٌ مقهور، أما إذا أضيفت القوة إلى الإيمان فإنها تصنع المعجزات الخيّرات الخالدات، لهذا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**(( الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضّعِيفِ وَفِي كُلّ خَيْرٌ ))**

[ أخره مسلم ]

## ٥ ـ القوة عامة بجميع أنواعها:

أخذاً من قوله تعالى:

**( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ )**

( سورة الأنفال )

والمطلق في القرآن على إطلاقه، فمن القوة قوة الجسد، كثرة العدد تفوق العُدَد، السبق العلمي، وأما كلمة ( ما استطعتم ) فإنها تعني استنفاد الجهد، لا بذل بعض الجهد.

والنبي عليه الصلاة والسلام جعل صحة الجسد ثلث الدنيا، عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**(( مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا ))**

[أخرجه ابن ماجه، والترمذي ]

والإمام علي كرم الله وجهه رأى في المرض مصيبة أشد من الفقر، وأهونَ من الكفر، ورأى في الصحة نعمة أفضل من الغنى، وأقل من الإيمان فقال رضي الله عنه: **<< ألا وإن من البلاء الفاقة،**

**وأشد من الفاقة مرض البدن، وأشد من صحة البدن مرض القلب، ألا وإن من النعم سَعَةَ المال وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب >>.**

[راجع الأمالي للطوسي ]

## الصحة:

### ١ ـ الطب الوقائي:

#### ١ ـ إزالة أسباب المرض أجدى من إزالة أعراضه:

أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان، ما أروع الإسلام حينما ينطلق من حقيقة خالدة، وهي أن إزالة أسباب المرض أجدى وأهون من إزالة أعراضه، ويقول الأطباء: " إن الأمراض وإن زالت أعراضها في الدواء فإن لها آثاراً جانبية تظهر في وقت لاحقٍ من دون سببٍ مباشر، لذلك يُعد الطب الوقائي سيد الطب البشري كله، لأن قوة الأمة تتجلى في قوة أفرادها، وإن دخلها يقاس بدخلهم، وإن الأمة التي تنزل بساحتها الأمراض، أو تستوطنها الأوبئة، تتعرض لخسران كبير، سواء في هذه القوى البشرية المريضة المعطلة التي كان من الممكن أن تسهم جهودها في زيادة الدخل القومي، أو في هذه الأموال الطائلة التي تنفق في معالجة هذه الأمراض، والتي كان من الممكن أن تنفق في بناء صرح الأمة الاقتصادي.

مثال ذلك:

ثبت في بعض الإحصائيات الدقيقة أن مجموع الضرائب الباهظة التي تحصل عليها بعض الدول من شركات التبغ، أقل بكثير مما تنفقه تلك الدول في معالجة الأمراض الناتجة عن التدخين، وأن بعض الدول الصناعية تفقد في كل عام خمسين مليون يومِ عملٍ، نتيجة الأمراض التي تصيب العمال والموظفين بسبب التدخين، وأن ما لا يقلّ عن خمسين ألف شخص يلاقون حتفهم قبل الأوان من كل عام بسبب التدخين.

#### ٢ ـ النظافة من الإيمان:

يا أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، بنى الإسلام تشريعه على الوقاية، فالنظافة من الطب الوقائي، والإسلام يأمر بالنظافة، لأنها تقي من انتقال كثير من الأمراض المعدية، وتنشط الدورة الدموية، بتنبيه الأعصاب، وتدليك الأعضاء، وتحفظ وظائف الجلد من أن تتعطل، فضلاً عن أثر النظافة في بناء الشخصية وفي العلاقات الاجتماعية، والله جل وعلا حثنا على النظافة، وجعلها سبباً لمحبته، فقال تعالى:

**( وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ )**

( سورة التوبة )

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الطهور شطر الإيمان، وقد فهم الإمام الغزالي فهماً دقيقاً، فهمه على أربعة مستويات:

الأول: تطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث.

والثاني: تطهير الجوارح عن المعاصي والآثام.

والثالث: تطهير النفس عن الأخلاق الذميمة والرذائل الممقوتة.

والرابع: تطهير القلب عما سوى الله.

وقد جعل الإسلام غسل الجمعة واجباً دينياً، ولو كان مد الماء بدينار، وجعل النظافة شرطاً لأول عبادةٍ في الإسلام، ألا وهي الصلاة، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ )**

( سورة المائدة: ٦)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:

**(( حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ ))**

[ رواه البخاري ومسلم ]

وقد أمرنا النبي عليه الصلاة والسلام بغسل اليدين قبل الطعام وبعده، فقد ورد في حديثٍ عَنْ سَلْمَانَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ ))**

[ أخرجه الإمام أحمد وأبو داود، وفي إسناد ضعف]

وضوء الطعام غسل اليدين والفم، وقد ورد في الأثر:

**(( مَن أكل التراب فقد أعان على قتل نفسه ))**

[ الطبراني عن سلمان، وفي إسناد ضعف، كما في الجامع الصغير ]

إشارةً إلى ضرورة غسل الفاكهة قبل أكلها، وقد تفضل علينا ربنا بالماء الطهور، أي الطاهر في ذاته المطهر لغيره، قال الله تعالى:

**( وَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا )**

( سورة الفرقان )

وقال تعالى:

**( وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ )**

( سورة الأنفال: ١١ )

اللهم اسقنا الغيث، وطهرنا به.

## ٣ ـ الصلاة من الطب الوقائي:

أيها الإخوة المؤمنون، أيها الأخوات المؤمنات، والصلاة فضلاً عن أنها عماد الدين، وعصام اليقين، وسيدة القربات، وغرة الطاعات، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات، إنها فضلاً عن كل ذلك هي من الطب الوقائي، فحركاتها من قيام، وركوع، وسجود، واعتدال نوع من الطب الوقائي، فقد أكد علماء التربية الرياضية أن أحسن أنواع الرياضة ما كان يومياً، ومتكرراً، وموزعاً على أوقات اليوم، وغير مجهد، ويستطيع أن يؤديها كل إنسان من كل جنس، وعمر، وفي كل ظرف وبيئة، وهذا كله متوافر في الصلاة، فهي تحرك جميع عضلات الجسم القابضة والباسطة، وتحرك جميع المفاصل حتى الفقرية منها، وتنشط القلب والدورة الدموية، وتقوي جدر الشرايين في المخ فتقاوم التصلب والتمزق.

## ٤ ـ الاعتدال في الطعام والشراب وسائر المباحات من الطب الوقائي:

أيها الإخوة المؤمنون، والاعتدال في الطعام والشراب وسائر المباحات من الطب الوقائي، قال الله تعالى:

**( وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا )**

( سورة الأعراف: ٣١ )

ففي نص الآية أمر بالطعام والشراب، ولكنه أمر إباحة، لكنه بنص الآية لا ينهى ربنا عن الإسراف في الطعام والشراب فحسب، بل ينهى عن الإسراف في كل شيء من المباحات، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم، حدود هذا الاعتدال فعَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**(( مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ ))**

[حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه ]

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن لذة الطعام لا تحصل باختيار أنفَس الأطعمة وأطيبها، ولكنها تحصل بحالةٍ تُلابس الآكل، ألا وهي الجوع، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال:

**(( نعم الإدام الجوع ))**

[ ورد في الأثر ]

وقد كتب على مدخل إحدى المستشفيات في بلد أوربي:

**(( نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع ))**

محمد بن عبد الله.

كُتب هذا الحديث الشريف لنبينا عليه الصلاة والسلام لأنه أصل كبير في الطب الوقائي، وقد وضح النبي الكريم أن في الطعام لذةً نتذوقها، وطاقة نستهلكها، وفضلات نطرحها، فقال داعياً:

**((الْحَمد لله الّذِي أذاقنِي لذّتَهُ - أي لذة الطعام - وَأبْقى مِنْهُ قوته، وأذهب عني أذاهُ ))**

[ ابن السني عن ابن عمر ]

## ٢ ـ الطب العلاجي:

### ١ ـ كلّ ما وقع فبإرادة الله ولحكمته:

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، أما الطب العلاجي، فينبغي للمؤمن حين يصاب بمرض خطير أو غير خطير، أن يعتقد اعتقاداً جازماً، استناداً إلى إيمانه بالله خالقاً ومربياً ومسيراً، وانطلاقاً من أن أسماءه تعالى كلها حسنى، وصفاته كلها فضلى، وتصديقاً بأن كل شيء وقع أراده الله، وأن كل ما أراده الله وقع، وأن إرادته متعلقة بحكمة مطلقة، وأن حكمته متعلقة بالخير المطلق، قال الله تعالى:

**( قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**

( سورة آل عمران آية: ٢٦ )

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

(( لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ ))

[ الترمذي ]

## ٢ ـ المرض نتيجة الخروج عن المنهج الإلهي في التعامل مع النفس والجسم:

وثانياً: ينبغي أن يعتقد المؤمن أنه حينما يصاب جسمه بمرض، أن الله تعالى الذي خلقه في أحسن تقويم، وصنعه فأتقن صنعه، وأرشده من خلال القرآن والسنة، إلى الأسباب والوسائل التي تحفظ له صحته وسلامته وسعادته في الدنيا قبل الآخرة، وأن الأمراض في الأعم الأغلب، هي نتيجة طبيعية، وحتمية لخروج الإنسان عن المنهج الإلهي في التعامل مع النفس ومع الجسم معاً، وهذا بسبب ضعف الإيمان بمصداقية هذا المنهج الذي يُعد بحق تعليمات الصانع.

يؤكد هذا قول الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم:

( الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ(٧٨)وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ(٧٩)وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ(٨٠)وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ(٨١)وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ(٨٢)رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ )

( سورة الشعراء )

لم يقل الله عز وجل: الذي خلقني، ويطعمني، ويمرضني، بل قال:

( والَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ )

( سورة الشعراء )

إشارة إلى أن المرض في أصله خروج عن تعليمات الصانع في صنعته، هذا في العم الأغلب.

## ٣ ـ الله قادر على الشفاء من كلِّ مرضٍ:

وثالثاً: ينبغي للمؤمن أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله قادر على شفائه من مرضه، ولو كان عضالاً، فقدرته تعالى متعلقة بكل ممكن، ولا نهاية لتعلقاتها كما جاء في جوهرة التوحيد، وهو تعالى لا يُعجزه شيء في الأرض والسماء، وهناك حالات شفاء كثيرة من أمراض مستعصية كثيرة، تمت من دون سبب كافٍ، الأمر الذي حدا بالأطباء أن يصنفوا هذه الأمراض تحت عنوان الشفاء الذاتي، وهو في حقيقة الأمر تدخل إلهي مباشر من دون أسباب دوائية، وهذا الاعتقاد وحده، يزيح عن كاهل المريض كابوس اليأس والقنوط، ومريض هذه حالته النفسية حالة الثقة، لأن الله جل في علاه قادر على أن يشفيه من مرضه، هذه الحالة النفسية المرتفعة تعين العضوية على الحد من انتشار المرض، ثم تعين العضوية على الشفاء منه، وهذه حقيقة مسلم بها في علم الطب، وهي أن الأثر الإيجابي للحالة النفسية المرتفعة له أثر كبير في حدوث الشفاء.

## ٤ ـ لابد من الأخذ بالأسباب:

ورابعاً، ينبغي للمؤمن أن يبادر إلى الأخذ بالأسباب التي وضعها الله عز وجل للشفاء، فيختار الطبيبَ الكفء في اختصاصه، المخلص في عمله، ثم ينفذ تعليماته بدقة بالغة تأدباً مع السنن التي سنّها الله لهذا الجسم، وانطلاقاً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

**(( مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزّ وَجَلّ، دَاءً إِلاّ أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ ))**

[حديث حسن صحيح رواه الترمذي، والنسائي وابن حبان والحاكم والإمام أحمد وغيرهم ]

## ٥ ـ الشفاء لابد له صحة تشخيص الداء وحسن اختيار الدواء:

وقد بين النبيل صلى الله عليه وسلم أن الشفاء من المرض يحتاج إلى شرطين اثنين، الأول: صحة تشخيص الداء، وصحة اختيار الدواء لهذا الداء، وهذا شرط لازم غير كاف، والثاني: إذنٌ من الله لهذا الدواء، أن يفعل فعله، فيزيل أسباب المرض وأعراضه، لهذا عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ:

**(( لِكُلّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللّهِ عَزّ وَجَلّ ))**

[حديث صحيح رواه مسلم، وأحمد ]

## ٦ ـ التداوي بالمحرّم محرّم:

أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان، قال الفقهاء: **" إن استعمال الدواء المقطوع بفائدته بإخبار الأطباء لعلاج مرض يودي بحياة إنسان، أو بعضو من أعضائه، واجب ديني يرقى إلى مستوى الفرض ".**

وقد نهى الإسلام عن التداوي بالمحرمات من غر ضرورة شرعية، وعن التداوي بالوسائل الوهمية غير العلمية، كتعليق الودع، واستعمال الرقى، لأن هذا يتنافى مع التوحيد، ومع التوكل الصحيح، وهنا محل الإشارة، إلى أن الطب في الإسلام اختصاص، وفي الحديث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**(( مَنْ تَطَبّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبّ ـ أي معرفة بالطب ـ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ ))**

أي مسؤول.

[رواه ابن ماجه، والنسائي ]

## الطبُّ ونهاية الأجل:

أخيراً أيها الإخوة: الطب شيء، وانتهاء الأجل شيء آخر.

**إن الطبيب له علم يدل بــه إن كان للناس في الآجال تأخيرُ**

**حتى إذا ما انقضت أيام رحلته حـار الطبيب وخانته العقاقيـرُ**

***

**كل ابن أنثى وإن طالت سلامت ه يوماً على آلة حدباء محمولُ**

**فإذا حملت إلى القبور جنـازة فاعلم بأنك بعدها محمــولُ**

***

الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر، كل مخلوق يموت، ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، والحمد لله رب العالمين.

**الخطبة الثانية:**

## فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا

أيها الإخوة المؤمنون، قال تعالى في كتابه العزيز:

**( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا )**

( سورة الروم: ٣٠)

## ١ ـ الإخلاص لله طريق الصحة النفسية:

آية دقيقة جداً، أن يقيم الإنسان وجهته الخالصة في استقامة إلى الله، وأن يقوّمها كلما انحرفت، وذلك بالتعرف إليه، والإكثار من ذكره، وأن يكون عند أمره ونهيه، وأن يتقرب إليه بالأعمال الصالحة، مائلاً إليه بالحب، تاركاً كل ما سواه.

هذا كله بعض ما تعنيه كلمة:

**( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً )**

إن الإنسان إن فعل هذا فقد لزم فطرته.

**( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا )**

( سورة الروم: ٣٠)

إن الإنسان إذا فعل هذا لزم فطرته التي فطره الله عليها فقد حقق الغاية من وجوده، وحقق سلامة وجوده، وكمال وجوده، واستمرار وجوده، ذلك أن في القلب شعثاً لا يلمُّه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، و حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله، و قلق لا يُسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، و نيرانُ حسراتٍ لا يطفئها إلا الرضى بأمره، ونهيه، وقضائه وقدره، والصبر على ذلك إلى يوم لقائه، وفيه فاقة لا يسدّها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له.

## ٢ ـ الإعراض عن الله تدميرٌ للصحة النفسية:

فإذا أعرض الإنسان عن ذكر ربه وتعدى حدوده، وأساء إلى عباده اختل توازنه الداخلي، وأحس بالضياع والكآبة، وأحس بالسآمة والضجر، وقذف في قلبه الرعب بشركه، وعاش معيشة ضنكًا، وكان من المعذبين، عندئذ تدمر صحته النفسية، ويصاب بالتوتر العصبي الذي هو مرض العصر، و سبب رئيس لكثير من الأمراض التي تصيب العضوية، كتسرع ضربات القلب واضطرابها، وتضيق الشريان الاختلاجي، وارتفاع ضغط الدم ذي المنشأ العصبي الذي هو في حقيقته ارتفاع لضغط الهم، وتقرحات الجهاز الهضمي، وأمراض الحساسية، وأمراض الأعصاب، والشلل العضوي ذي المنشأ النفسي، وحينما يصطلح الإنسان مع ربه، فيتوب من ذنوبه، ويستقيم على أمره ويعمل الصالحات تقرباً إليه، يشعر أنه قد أزيح عن صدره كابوس ضاغط، كأنه جبل جاثم، وأن ظلمات بعضها فوق بعض، قد تبددت من أمامه، وأن مشاعر الكآبة والضيق قد اختفت إلى غير رجعه، عندئذ يشعر أن في قلبه من الطمأنينة والسعادة، ما لو وُزعت على أهل بلد لأسعدتهم جميعاً، وعندها تتأثر العضوية بهذه الصحة النفسية تأثراً إيجابياً، فتزول أكثر الأمراض العضوية ذات المنشأ النفسي.

## ٣ ـ الاستقامة تجلب النِّعم والأمن والراحة:

أيها الإخوة، الإيمان، والتوبة، والطاعة، والعمل الصالح صحة للنفس وصحة النفس، أساس صحة الجسد، وقد روى الإمام أحمد في مسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا ))

[حديث صحيح أخرجه ابن ماجه]

وقد وضح الإمام المناوي في شرحه لهذا الحديث: أنكم إذا استقمتم فلن تحصوا الخيرات التي تجنونها من استقامتكم والصحة أحد هذه الخيرات.

## ٤ ـ الخروج عن منهج الله يجلب الأسقام والأمراض المستعصية:

وتأكيداً على أن كل خروج عن منهج الله له آثار خطيرة في الفرد والجماعة، ولاسيما على المستوى الصحي، ونظراً لأن الإنسان حينما يبتعد عن ربه، يؤثر الأخذ على العطاء، و استهلاك جهد الآخرين على بذل الجهد لهم، و الراحة على العمل، وحينما يبتعد الإنسان عن ربه، يبتعد عن فطرته، فيشعر بالضياع وبالصراع ويحس بالخوف والقلق، والراحة التي وفرها له استهلاك جهد الآخرين والتوتر النفسي الذي سببه له البعد عن الله عز وجل، هذان السببان الرئيسان وراء تفاقم الأمراض العضالة في العالم اليوم، ففي بعض المؤتمرات الطبية التي عقدت للبحث في أمراض القلب، اتفق المؤتمرون على أن سلامة القلب في بذل الجهد وراحة النفس، وأن طبيعة العصر تقتضي الكسل العضلي والتوتر النفسي، وهما وراء تفاقم أمراض القلب في معظم البلدان المتقدمة تقدماً مادياً.

وتشير التقارير المرفوعة إلى منظمة الصحة العالمية إلى أن عدد المصابين بمرض الإيدز في العالم يزيد عن سبعة عشر مليوناً وأن عدد حاملي هذا المرض يقترب من عشرين مليوناً، وأنه لم يسبق للبشرية من قبل أن واجهت تهديداً للصحة العالمية مثل الذي تواجهه الآن.. وأنه لا يمكن لهذا المرض أن يظهر إلا في حالات الانحراف، والشذوذ عن تعليمات الصانع، لذلك تجده نادراً أو معدوماً في المجتمعات المنضبطة بمنهج الله، والوقاية منه بالانضباط السلوكي أهون ألف مرة من البحث عن مضاد لفيروسه، ومن دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه الحاكم وابن ماجه والبزار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

**(( لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُمْ ))**

[ ابن ماجه عن عبد الله بن عمر ]

والطاعون يطلق مجازاً على كل وباء.. فلنتأمل مصداقية منهج الله، والثمن الباهظ الذي يدفعه من يريد أن يتفلت منه، فكفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى به جهلاً أن يعصي الله.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٢٠) : خ١ - غزوة بدر ، خ٢ - قصة الأحنف بن قيس.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩١-٠٣-٢٢

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## غزوة بدر: تاريخ ودروس وعبر:

### ١ ـ النبي يخاطب قتلى المشركين بعد الغزوة:

عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ:

**(( أنّ رَسُولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا، ثُمّ أَتَاهُمْ، فَقَامَ عَلَيْهِمْ، فَنَادَاهُمْ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، يَا أُمَيّة بْنَ خَلَفٍ، يَا عُتْبَة بْنَ رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَة بْنَ رَبِيعَةَ، أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبّي حَقًّا، فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النّبيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ، كَيْفَ يَسْمَعُوا ؟ وَأَنّى يُجِيبُوا ؟ وَقَدْ جَيّفُوا ! - أي أصبحوا كالجيفة - قَالَ: وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا، ثُمّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا، فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ ))**

[ راجع البخاري، ومسلم ]

يا لها من كلمات بليغات، تلك التي خاطب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى من كفار قريش، بعد أن أمر بطرحهم في قليب ( أي بئر ) لدفنهم، وذلك إثر انتصار المسلمين في أول مواجهة لهم مع أعدائهم، انتصروا وهم قلة قليلة مُستضعفة، على كثرة كثيرة من صناديد قريش، وهم أشداء مستكبرون.

وكان هذا النصر المؤزّر الحاسم في السابع عشر من رمضان لسنتين خلتا من الهجرة، وكانت الموقعة، موقعة بدر الكبرى، قال تعالى:

**( وَلَقَدْ نَصَرَكُمْ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلّة )**

( سورة آل عمران )

### ٢ ـ دعاء النبي وتضرعه لربه عشية المعركة:

لقد كان صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام حريصين حرصاً بالغاً على هذا النصر الذي قرر مصير هذا الدين الجديد، فإن هلكوا فلن يُعبد الله بعدها في الأرض.

ولقد كان من مناجاة الرسول الكريم لربه العظيم قُبيل التحام الفريقين، فقد قالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ:

**(( لَمّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَهُمْ أَلفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْقِبْلَة، ثُمّ مَدّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ: اللّهُمّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللّهُمّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللّهُمّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتّى سَقَط رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيّ اللّهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبّكَ، فَإِنّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ))**

[ مسلم ]

## ٣ ـ لماذا كان النبي أكثر تضرعا ؟

وهنا قد يسأل سائل، أو يُعقل أن يكون ثقة الصدِّيق بالنصر أشدّ من ثقة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم به ؟

قد يُجيب مجيب: أن لهفة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وضراعته بسبب خشيته من وجود تقصير في الإعداد للمعركة، وعندها لا يستحقّ المؤمن النصر، ولا يناله، لأن أمر الله بالإعداد ثابت وواضح، حيث قال الله عز وجل:

**( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّةٍ )**

( سورة الأنفال )

لقد كان جيش المسلمين في بدر ضئيل العدد، قليل العُدد، فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا معه لا يزيدون عن ثلاثمائة بل ينقصون، ولكن الواحد منهم كألف، والألف من أعدائهم كألف، فهم يحبون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة.

## ٤ ـ النبي يستعرض جيش المسلمين قبل المعركة:

لقد استعرض الرسول جيشه كما يفعل القادة قُبيل المعركة، لاستجلاء معنوياته فقال:

**(( أشيروا عليّ أيها الناس.. ويعني بذلك الأنصار -لأنهم كانوا أكثر عدداً - فقال له سعد بن معاذ: لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال: أجل، فقال: قد آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلّف منا رجل واحد.. وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، وإنا لصبُر في الحق، صُدُق عند اللقاء، فصِل حبال من شئت، واقطع حبال من شت، وعاد من شئت، وسالم من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت،**

**وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحبّ إلينا مما تركت، فلعل الله يُريك منا ما تقرٌ به عينك، فسِر على بركة الله ))**

[ ابن حبان عن أنس ]

هذا نموذج من مقاتلي جيش المسلمين عشية موقعة بدر، إنهم على أهبة الاستعداد للتضحية بالغالي والرخيص، والنفس والنفيس، دعماً للحق، ولدين الحق، ولرسول الحق.

وأما عن نوعية القيادة التي قادت جيش المسلمين عشية موقعة بدر إلى النصر فإليكم بعض ما روته كتب السيرة: لقد كان جيش المسلمين، فضلاً عن ضآلة العدد، قليل العُدد، فليس مع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحبه سوى سبعين بعيراً، والمسافة بين المدينة وبدر تربو على مائة وستين كيلو متراً، فأعطى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم توجيهاً، بأن يختص كل ثلاثة براحلة، وقال صلى الله عليه وسلم:

**(( وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة ))**

[ أحمد ]

## ٥ ـ النبي القائد القدوة:

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بأنه قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، أي يتعاقبونه، ويتناوبونه، وكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت عقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أي دوره في السير ـ فقالا له: نحن نمشي عنك ـ ليظل راكباً ـ فقال:

**(( لا.. ما أنتما بأقوى مني على السير، ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر ))**

فمشى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه راكبان، هذا الذي يمشي وصاحباه يركبان هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقائد الجيش.

فهل تدهشنا بعد هذا شجاعة أصحابه، وتضحياتهم، وإقبالهم على الموت، بعد أن سوّى نفسه بهم، في كل شيء، وهل يدهشنا تعلّقهم به وذوبانهم في محبته، وقد كان لهم أباً رحيماً وأماً رؤوماً وأخاً ودوداً ونبياً رسولاً، لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

**﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾**

( سورة القلم )

## ٦ ـ النصر من عند الله:

فهذا النصر المؤزر العزيز الذي فرح به، ويفرح له المؤمنون في كل عصر ومصر ما سرُّه ؟ ومن يصنعه ؟ وما العامل الحاسم فيه ؟

إنه الله عز وجل، استناداً لقوله تعالى:

**( وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ )**

( سورة الأنفال: ١٠)

وقوله تعالى:

**( إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ )**

( سورة آل عمران: ١٦٠ )

إذا كان الله معك فمن عليك، وإذا كان الله عليك فمن معك ؟

أليس لهذا النصر الذي هو من عند الله قواعد ؟ أليست له شروط ؟ أليس له ثمن ؟

## ٧ ـ شروط النصر: الإيمان والإعداد:

إن هذه القواعد، وتلك الشروط، وهذا الثمن يتلخص كله بكلمتين:

الإيمان والإعداد.. قال تعالى:

**( وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ )**

( سورة الروم )

وقال تعالى:

**( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ )**

( سورة الأنفال: ٦٠ )

فالإيمان وحده شرط لازم غير كاف، والإعداد وحده شرط لازم غير كاف، بل إن علاقة الإيمان بالنصر علاقة رياضية، أي ثابتة، توضحها الآية:

**( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ(٦٥)الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ )**

( سورة الأنفال )

يتضح من خلال هذه الآية الكريمة أن معادلة النصر في حالة قوة الإيمان واحد إلى عشرة، وفي حالة ضعف الإيمان واحد إلى اثنين، وفي حالة انعدام الإيمان النصر للأقوى عدداً وعدّةً، وما يتبع

ذلك، ذلك أن الإيمان يبدل طبيعة النفس، ويغير قيمها، ومطامحها، ويُصعّد ميولها ورغباتها، ويخفف من متاعبها وهمومها، ويُقوي رجاءها وأملها، ويقلب أحزانها أفراحاً، ومغارمها مغانم. فهذه الخنساء مات أخوها صخر في جاهليتها، فبكت وأبكت حتى عميت، وحينما أسلمت استشهد أولادها الأربعة في بعض الغزوات فقالت: **" الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته ".**

## ٨ ـ أهمية عامل الإيمان في النصر:

تؤكد هذه الحقيقة وصية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: **<< أما بعد ؛ فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله عز وجل، وعلى كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي، فإنها أحذر عليكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، فإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عُدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا بالقوة ".**

فالإيمان يعني أن يعتقد الإنسان، اعتقاداً جازماً أن له أجلاً لا يتقدم ولا يتأخر، وهذا الإيمان وحده يغرس في النفس الشجاعة والإقدام وروح التضحية والإيثار، فهذا سيدنا خالد بن الوليد يقول: وهو على فراش الموت: **<< لقد خُضت سبعين معركة، أو زُهاءها، وما في جسمي موضع شبر إلا وفيه ضربة سيف، أو طعنة رمح، وها أنذا أموت على فراشي حتف أنفي، فلا نامت أعينُ الجبناء>>.**

ومما يؤكد علاقة الإيمان بالنصر أن الظروف الصعبة التي يضعف أمامها الإنسان غير المؤمن وتذلّه، وتحدد مصيره لا يمكن لها أن تؤثر في المؤمن الحق، ولا أن تقعده عن متابعة سيره، ولا أن تحدد مصيره الذي رسمه له أعداؤه، قال تعالى:

**( وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ )**

( سورة آل عمران )

وهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وثب عن فرس شقراء كانت له في معركة مؤتة، وحمل الراية، وأوغل في صفوف الروم بسيفه حتى أصابته ضربة قطعت يمينه فأخذ الراية بشماله، فما لبث أن أصابته أخرى قطعت شماله، فأخذ الراية بصدره وعضديه، حتى سقط شهيداً، لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

**( إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(١٩)إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا(٢٠)وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا(٢١)إِلَّا الْمُصَلِّينَ(٢٢)الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ(٢٣)وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ(٢٤)لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ(٢٥)وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ(٢٦)وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ(٢٧)إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ(٢٨)وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٢٩)إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ )**

( سورة المعارج )

## ٩ ـ غزوة بدر التطبيق العملي لعلاقة النصر بالإيمان:

وهذا التطبيق العملي لعلاقة النصر بالإيمان، ففي معركة بدر كان المؤمنون قلة مستضعفين، وكان المشركون كثرة مستكبرين، وكان المؤمنون مفتقرين مقبلين، وكان المشركون مستغنين معرضين، فاستحق المؤمنون النصر بسبب إيمانهم، وافتقارهم، ودعائهم وإعدادهم جهد استطاعتهم.

**( وَلَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ )**

( سورة آل عمران )

أي نَصَرَهُم وهم ضعافٌ مستضعفون.. لكنهم يوم حُنين استجمعوا كل أسباب النصر المادية، من وفرة العدد، وكثرة العُدد واستجمعوا أسباب النصر المعنوية، حيث دانت لهم الجزيرة العربية، ولكن زلت بهم القدم إلى الاعتماد على هذه الأسباب، الأمر الذي أضعف افتقارهم إلى الله، واعتمادهم عليه، فجاء التأديب الإلهي بقوله تعالى:

**( لَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ )**

( سورة التوبة )

وأما الإعداد فهو وحده شرط لازم غير كاف أيضاً، وهو أمر إلهي قطعي الثبوت لقوله عز وجل:

**( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ )**

( سورة الأنفال )

## ١٠ ـ لابد من القوة المتاحة بجميع أنواعها:

فالمؤمنون بمجموعهم، مأمورون بإعداد العدة، ليواجهوا بها قوى البغي والكفر، فكلمة ما استطعتم تعني استنفاد الجهد، لا بذل بعض الجهد، والقوة التي ينبغي أن يعدها المؤمنون جاءت مُنكَّرة تنكير شمول، ليكون الإعداد شاملاً لكل القوى التي يحتاجها المؤمنون في مواجهة أعدائهم ؛ من قوة في العَدد، وقوة في العُدد، و التدريب والتخطيط، و الإمداد، و التموين، و الاتصالات، والمعلومات، و

تحديد الأهداف، و دقة الرمي، و الإعلام، وبل إن كلمة " من " التي سبقت القوة جاءت لاستغراق أنواع القوة واحدة إثر واحدة، فلقد أفادت استقصاء أنواع القوى، لا اصطفاء بعضها، وكلمة " ومن رباط الخيل " جاءت عطفاً للخاص المألوف وقت نزول القرآن، على العام، الذي يستغرق كل الأزمان والبيئات، والتطورات والتحديات، وهذا الإعداد يحقق أهم أهدافه، ولو لم تقع المواجهة مع العدو، إنها رهبة القوي التي تقذف في قلوب أعدائه، لقوله تعالى:

**( تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ )**

( سورة الأنفال: ٦٠ )

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى أن القوة كل القوة في إحكام الرمي، وإصابة الهدف، وهو مقياس خالد للقوة، وهو عنصر أساسي في كسب المعارك، مهما اختلفت أنواع الأسلحة، وتطورت مستوياتها الفنية، فَعَنْ عُقْبَة بْنَ عَامِرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ:

**(( ( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّةٍ ) أَلاَ إِنّ الْقُوّةَ الرّمْيُ، أَلا إِنّ الْقُوّةَ الرّمْيُ، أَلاَ إِنّ الْقُوّةَ الرّمْيُ ))**

[ رواه مسلم ]

هذه الحقائق المستنبطة من القرآن الكريم منهج الإنسان المؤمن، وتلك التوجيهات التفصيلية والتوضيحية، التي جاءت في سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه المواقف الأخلاقية الرائعة والحكيمة التي وقفها المصطفى صلى الله عليه وسلم أسوتنا وقدوتنا، وتلك البطولات الفذة التي ظهرت من أصحابه الكرام، أمناء دعوته، وقادة ألويته هذه كلها نضعها بين أيدي أبناء أمتنا العربية الإسلامية، وهي تخوض المعارك تلو المعارك مع أعدائها أعداء الحق والخير.

ومجمل القول: إن القرآن العظيم ضمّن الجهاد معنى إنسانياً نبيلاً وفريداً، وحدد له مقاصده العليا منزهة عن الهوى، والأغراض المادية العاجلة، والمطامح الشخصية والعنصرية، وبيّن مقوماته وشروطه وتطبيقاته.

## الخطبة الثانية:

### الأحنف بن قيس يبحث عن نفسه في آيات القرآن:

### ١ ـ فيه ذكركم:

نحن في رمضان شهر القرآن شهر تلاوته، شهر تدبره، شهر فهمه، فقد ذكر الحافظ محمد بن نصر المروزي في جزء قيام الليل عن الأحنف بن قيس أنه كان يوماً جالساً فقرأ هذه الآية، قال تعالى:

**( لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ )**

( سورة الأنبياء )

فانتبه الأحنف، فقال عليّ بالصحف لألتمس ذكري اليوم حتى أعلم من أنا ومن أشبه، فإنه لما علم أن القرآن الكريم قد ذكر جميع صفات البشر، وبيّن طبقاتهم ومراتبهم، أراد أن يبحث عن نفسه في أي الطبقات، وفي أي المراتب هو، فنشر المصحف وقرأ، فمر بقوم:

**( كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(١٧)وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(١٨)وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ )**

( سورة الذاريات )

ومر بقوم:

**( تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ )**

( سورة السجدة )

ومر بقوم يبيتون لربهم سجداً وقياماً:

**( وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا )**

( سورة الفرقان )

ومر بقوم ينفقون في السراء والضراء:

**( الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ )**

( سورة آل عمران )

ومر بقوم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

## ٢ ـ اللهم لست أعرف نفسي هاهنا:

فوقف الأحنف ثم قال: اللهم لست أعرف نفسي هاهنا، أي لم يجد هذه الصفات في نفسه حتى يعد نفسه من هؤلاء، ولعله قال هذا تواضعاً وهذا شأن المؤمن.

ثم أخذ الأحنف سبيلاً آخر، فمر في المصحف بقوم يقال:

**( مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(٤٢)قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ(٤٣)وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ(٤٤)وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ(٤٥)وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(٤٦)حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ(٤٧)فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ )**

فوقف الأحنف ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك من هؤلاء، وما زال الأحنف يقلب ورق المصحف ويلتمس في أي الطبقات هو حتى وقع على هذه الآية:

**( وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ )**

( سورة التوبة )

## ٣ ـ أنا من هؤلاء، فلينظر كلّ أين هو:

فقال أنا من هؤلاء.

يا أيها الإخوة الأكارم، إذا قرأ أحدنا القرآن فلينظر موضع نفسه من كتاب الله، وهذا من التدبر.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٢١) : خ١ - الإخلاص ، خ٢ - من هو زيد الخير؟.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩١-٠٦-١٤

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## الإخلاص:

### ١ ـ الغاية من خلق الإنسان عبادة الله:

يقول الله جل وعلا:

**( وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ )**

( سورة البينة )

تعلق أمر الله لهذا المخلوق الأول والمكرم الإنسان بشيئين، واقتصر عليهما، الأول: العبادة أي الانقياد التـام لأمره، الثاني: الإخلاص له، وهو تصفية القلب عن الشك والشرك، العبادة للظاهر، والإخلاص للباطن، العبادة للجوارح، والإخلاص للقلب، العبادة لما يظهر، والإخلاص لما يخفى، أي أن المؤمن الحق منقاد إلى أمر الله بأعضائه، وجوارحه، مخلص له في قلبه.. ولا يخفى أن الإخلاص شطر الإيمان، بل هو الإيمان كله.

### ٢ ـ العمل له بواعث:

إن البواعث التي تسوق المرء إلى العمل، وتدفعه إلى إجادته، وتُغريه بتحمّل التعب فيه، أو بذل الكثير من أجله، إن هذه البواعث كثيرة متباينة، من هذه البواعث ما هو قريب، يكاد يُرى مع العمل، ومنها ما هو بعيد يحتاج في إدراكه إلى كدٍّ، وبُعد نظر، منها الواضح الذي لا يختلف فيه اثنان، ومنها الغامض الكامن في أعماق النفس، حيث يسهر الخلق، ويختصمون في تحديده، وتقييمه.

من البواعث ما هو فطري، مركب في جبلة الإنسان، تدفعه إلى الحفاظ على وجوده، وعلى سلامة وجوده، وعلى كمال وجوده، وعلى استمرار وجوده.

ومن البواعث ما هو كسبي ينبعث في النفس، إثر معرفتها بربها ومعرفتها بذاتها، ومعرفتها بما أعد لها من نعيم مقيم في جنة عرضها السماوات والأرض.

وكلما ارتقى الإنسان في سُلم العلم النافع، الذي أراده الله، ارتقى معه الباعث الذي يبعث النفس إلى جلائل الأعمال، ورفيع الخصال.

وكلما ابتعد عن العلم الموصل إلى الله هبط الباعث النفسي عنده إلى مستوى يبعث النفس إلى الدنيء من الأعمال والخسيس من الخصال

والعمل الصالح مظهر للإيمان، وبرهان عليه، بل إن الإيمان بلا عمل كالشجر بلا ثمر، وهو ثمن الجنة بل مفتاح أبوابها، ونوعه وحجمه يحددان منزلة المؤمن فيها، قال تعالى:

**( الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ )**

( سورة النحل )

وقال أيضاً:

**( وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ )**

( سورة الأنعام )

## ٣ ـ النية هي الفارق في الأعمال:

وقيمة العمل ترجع قبل كل شيء إلى طبيعة البواعث التي وراءه، بل إن الباعث وحده يحدد قيمة العلم، فلو رأى إنسان في الطريق قطعة نقدية كبيرة، فانحنى والتقطها، وفي نيته أن يبحث عن صاحبها، فقد قام بعمل يُثاب عليه، ولو رأى إنسان آخر هذه القطعة الكبيرة من النقود فانحنى، والتقطها، وفي نيته أن يأخذها، من دون أن يبحث عن صاحبها فقد قام بعمل يُعاقب عليه، إن العملين متشابهان، بل هما متطابقان، لكن الذي جعل من الأول صالحاً، والثاني عملاً سيئاً هو النية ليس غير.

عن أمير المؤمنين عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**(( إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ))**

[ رواه البخاري ومسلم ]

## ٤ ـ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا: أخلصه وأصوبه:

وقال تعالى:

**( الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ )**

( سورة الملك )

وقال الفضيل بن عياض مفسراً:

**( أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا )**

هو أخلصه وأصوبه، قيل: يا أبا علي ما أخلصه، وما أصوبه ؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً، ولم يكن خالصاً لم يقبل، ولا يقبل حتى يكون خالصاً وصواباً، والخالص أن يبتغي بعمله وجه الله، لقوله تعالى:

**( إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا )**

( سورة الإنسان )

والصواب ما وافق السنة لقوله تعالى:

**( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ )**

( سورة آل عمران )

ثم قرأ الفضيل:

**( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا )**

( سورة الكهف: ١١٠ )

وقال تعالى:

**( وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا )**

( سورة الفرقان )

قيل: هي الأعمال التي كانت على غير السنة، أو التي أُريد بها غير وجه الله، وفي الحديث القدسي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

**(( أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ ))**

[ مسلم ]

وفي حديث آخر:

**(( الإخلاص سرٌ من سري، أستودعه قلب من أحببت من عبادي ))**

[ ورد في الأثر ]

### ٥ ـ الإخلاص يقلب العمل الدنيوي إلى عبادة:

إن الإخلاص في طلب مرضاة الله، يرفع العمل الدنيوي المحض فيجعله عبادة متقبلة، فعمل الإنسان الذي يرتزق منه إذا كان مشروعاً في الأصل، وسلك فيه الطرق المشروعة، وابتغى به أن يكفّ نفسه عن سؤال الناس، وأن ينفق منه على أهله، ومن يعول، وابتغى به خدمة الناس بعامة

الذين هم عيال الله، وخدمة المسلمين بخاصة، ولم يحمله عمله هذا على معصية الله، كما لم يشغله عن فرض، أو واجب ديني، أو طاعة، إذا توافرت في العمل الذي يرتزق منه الإنسان، هذه الشروط انقلب هذا العمل إلى عبادة متقبلة.

وقد ورد عن بعض الصالحين، أنه رأى رجلاً يصلي في المسجد، ولا يعمل فسأله: **<< من يطعمك ؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك >>.**

عَنْ مُعَاذٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

**(( مَنْ بَنَى بُنْيَانًا مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ وَلَا اعْتِدَاءٍ، أَوْ غَرَسَ غَرْسًا فِي غَيْرِ ظُلْمٍ وَلَا اعْتِدَاءٍ كَانَ لَهُ أَجْرٌ جَارٍ مَا انْتُفِعَ بِهِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ))**

[ رواه الإمام أحمد ]

وروى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتْ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ ))**

[ رواه الإمام مسلم في صحيحه]

فالأعمال الدنيوية المحضة تنقلب بالنيات الطيبة إلى عبادات، وأعمال صالحة، وإن واجبات الإنسان تجاه نفسه وأهله وأولاده التي يؤديها الناس كافة إذا رافقتها النيات الحسنة تنقلب إلى أعمال صالحة يُثاب الإنسان عليها، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ زَوْجَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ خَادِمَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ ))**

[ رواه الإمام أحمد في مسنده ]

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ ))**

[ رواه الإمام البخاري ]

## ٦ ـ الإخلاص في طلب مرضاة الله تعالى وحده يُعدُّ عملاً صالحاً:

وقد يعجب الإنسان أن الإخلاص في طلب مرضاة الله تعالى وحده يُعدُّ عملاً صالحاً حينما تحول الظروف القاهرة بين الإنسان وبين أعماله التي يبتغي بها مرضاة الله، ففي غزوة العسرة تقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال يريدون أن يقاتلوا الكفار معه، وأن يجودوا بأنفسهم في سبيل

الله، غير أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستطع تجنيدهم، فعادوا وفي حلوقهم غُصة لتخلفهم عن الميدان، وفيهم نزل قوله تعالى:

**( وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ )**

( سورة التوبة )

وقد نوه النبي صلى الله عليه وسلم بإيمان هؤلاء القوم وإخلاصهم فقال للجيش السائر:

**((إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ ))**

[ رواه البخاري ]

بل إنه صلى الله عليه وسلم يَعدُّ المرض والسفر إذا رافقه الإخلاص في طلب مرضاة الله يوجب لصاحبه أجر الأعمال الصالحة التي كان يفعلها في صحته وحضره، حيث قال:

**(( إن الله تعالى يكتب للمريض أفضل ما كان يعمل في صحته مادام في وثاقه، وللمسافر أفضل ما كان يعمل في حضره ))**

[ ذكره الهندي في كنز العمال ]

## ٧ ـ الرياء نقيض الأعمال:

أما الرياء الذي هو نقيض الإخلاص، فإذا داخل الأعمال الصالحة في أتم صورها، بل إذا داخل العبادات المحضة يقلبها إلى أعمال توجب اللوم والعقوبة، قال تعالى:

**( فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ(٤)الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ(٥)الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ(٦)وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ )**

( سورة الماعون )

حتى إن إنفاق المال الذي زُين للناس عامة حيازته إذا داخله الرياء فَقَدَ قيمته وأجره، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ )**

( سورة البقرة )

لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( أخلص دينك يكفك العمل القليل ))**

[أخرجه الحاكم عن معاذ ٣٠٦/٤ وصححه ]

## أقوال العلماء في الإخلاص:

ومن أقوال بعض العلماء في الإخلاص:

الإخلاص: استواء أعمال العبد، في الظاهر والباطن، والرياء أن يكون ظاهر العبد خيراً من باطنه، والصدق في الإخلاص أن يكون باطن العبد أعمر من ظاهره.

إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة، وتصفية هذه الطاعة عن ملاحظة الخلق.

المخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق، ولا يتم الصدق إلا بالإخلاص، ولا يتمان إلا بالصبر.

الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله.

وقيل: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

والإخلاص سرٌ بين الله وبين العبد، لا يعلمه مَلَك فيكتبه، ولا شيطان فيُفسده، ولا هوى فيميله.

الإخلاص ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله، ولا مُجازياً سواه

من شهد في إخلاصه الإخلاص، احتاج إخلاصه إلى إخلاص، وحينما ينجو المؤمن من إعجابه بإخلاصه، يصبح مخلِصاً مخلَصاً فأشدُ شيء على النفس الإخلاص، لأنه ليس لها فيه نصيب.

**الخطبة الثانية:**

مَن هو زيد الخير ؟

لقد كان زيد الخير من أشجع الناس، وأجودهم في الجاهلية، بلغته أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، ووقف على شيء مما يدعو إليه، فأعدّ راحلته، ودعا السادة الكبراء من قومه إلى زيارة يثرب، ولما بلغوا المدينة، توجهوا إلى المسجد النبوي، وأناخوا ركائبهم ببابه، وصادف عند دخولهم أنه كان صلوات الله وسلامه عليه يخطب المسلمين فوق المنبر، فراعهم كلامه، وأدهشهم تعلّق المسلمين به، وإنصاتهم له، وتأثّرهم بما يقول، ولما أبصرهم النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**(( إني خير لكم من العُزّى، ومن كل ما تعبدون إني خير لكم من الجمل الأسود الذي تعبدونه من دون الله - مكنياً عن أنْفس المال في الجزيرة - فلما انتهى الرسول صلى الله عليه وسلم من خطبته وقف زيد بين جموع المسلمين، وكان من أجمل الرجال، وأتمهم خلقة، وأطولهم قامة، وقف، وأطلق صوته الجهير، وقال: يا محمد أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: من أنت ؟ قال: أنا زيد الخيل، فقال عليه الصلاة والسلام: بل زيد الخير، لا زيد الخيل، والحمد لله الذي جاء بك من سهلك وجبلك، ورقق قلبك للإسلام، ثم مضى به الرسول صلى الله عليه وسلم إلى منزله تكريماً له ومعه عمر بن الخطاب، ولفيف من**

**الصحابة ))** وفي البيت طرح النبي صلى الله عليه وسلم لزيد مُتَّكأ، فعظم على زيد وهو حديث عهد بالإسلام أن يتَّكئ في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، والله لا أتكئُ في حضرتك، ولما استقر بهم المجلس، قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: يا زيد ما وُصف لي رجلٌ قطُّ ثم رأيته إلا كان دون ما وصف إلا أنت يا زيد، ثم قال له: يا زيد، إن فيك لخصلتين يحبُّهما الله ورسوله، قال: وما هما يا رسول الله ؟ قال: الأناة والحلم، فقال زيد: الحمد لله الذي جعلني على ما يحبُّ الله ورسوله، ثم التفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله أعطني ثلاثمائة فارس، وأنا كفيل لك بأن أُغير على بلاد الروم، وأنال منهم، فأكبر النبي صلى الله عليه وسلم همته هذه، وقال له: لله درك يا زيد، أيُّ رجل أنت ؟.. ثم أسلم مع زيد جميع من صحبه من قومه، ولما همَّ بالرجوع إلى ديار قومه في نجد، ودَّعه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أيُّ رجل هذا ؟ وفي الطريق إلى دياره وافته المنية، ولم يكن بين إسلامه وموته متَّسع، ولكن إخلاصه في إسلامه، ونواياه الكبيرة في نشر هذا الدين أغنته عن كثير من العمل الذي يشوبه الرياء، قال صلى الله عليه وسلم:

**(( يا معاذ أخلص دينك يكفك القليل من العمل ))**

[ الجامع الصغير عن معاذ، وسنده ضعيف ]

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٢٢) : خ١ ـ المولد ، خ٢ ـ شمائله.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩١-٠٩-١٣

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## مقدمة:

## ١ ـ الحاجة ماسّة لهدي النبي:

يا سيدي يا رسول الله، بعد أيام قليلة تطل علينا ذكرى مولدك الشريف، ونحن يا سيدي يا رسول الله في أمسّ الحاجة إلى هديك الرباني، الذي لا تزيده الأيام إلا رسوخاً وشموخاً، ونحن في أمسّ الحاجة إلى سنتك المطهرة التي هي المنهج القويم، والصراط المستقيم.

ونحن في أمسّ الحاجة يا سيدي يا رسول الله إلى أخلاقك العظمى التي لا يزيدها التأمل والتحليل إلا تألقاً ونضارة.

## ٢ ـ تزكية الله للنبي:

يا سيدي يا رسول الله، لقد زكى الله عقلك فقال:

**( مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى )**

( سورة النجم )

.. وزكى لسانك فقال:

**( وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى )**

( سورة النجم )

وزكى شرعك فقال:

**( إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى )**

( سورة النجم )

وزكى جليسك فقال:

**( عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى )**

( سورة النجم )

وزكى فؤادك فقال:

**( مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى )**

( سورة النجم )

وزكى بصرك فقال:

**( مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى )**

( سورة النجم )

وزكاك كلك فقال:

**( وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ )**

( سورة القلم )

لقد أقسم بعمرك الثمين فقال:

**( لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ )**

( سورة الحجر )

**الحق أنت، وأنت إشراق الهدى ولك الكتاب الخالد الصفحات**

**من يقصد الدنيا بغيرك يلقهـا تيهاً من الأهوال والظلمـات**

***

## ٣ ـ هذه هي أخلاق النبي:

يا سيدي يا رسول الله، يوم كنت طفلاً عزفت عن لهو الأطفال، وعن ملاعبهم، وعن أسمارهم، وكنت تقول لأترابك، إذا دعوك إلى اللهو: **أنا لم أخلق لهذا ".**

ويوم جاءتك رسالة الهدى، وحُمِّلت أمانة التبليغ، قلت لزوجتك، وقد دعتك إلى أخذ قسط من الراحة: **" انقضى عهد النوم يا خديجة ".**

ويوم فتحت مكة التي آذتك، وأخرجتك، وكادت لك، وائتمرت على قتلك، وقد ملأت راياتك الأفق ظافرةً عزيزة، قلت لخصومك الذين أصبحت حياتهم معلقة بكلمة تخرج من فمك: **" اذهبوا فأنتم الطلقاء ".**

ويوم دانت لك الجزيرة العربية، وجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، صعدت المنبر، واستقبلت الناس باكياً وقلت لهم: **" من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليقتَد منه، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ".**

يا سيدي يا رسول الله ؛ كنت تصلي في أصحابك، وعلى غير عادة منك أنهيت صلاتك على عجل، وأنت في قمة الغبطة والنشوة مع ربك، لا لشيء ذي بال، بل لأنك سمعت بكاء طفل رضيع، كانت أمه تصلي خلفك في المسجد، كان ينادي أمه ببكائه، لقد أنهيت صلاتك على عجل رحمة بهذا الرضيع.

يا سيدي يا رسول ؛ الله لقد كنت ترتجف، حين تبصر دابة تحمل على ظهرها أكثر مما تطيق.
لقد كنت تجمع لأصحابك الحطب في بعض أسفارهم، ليستوقدوه ناراً تنضج لهم الطعام.
حقاً يا سيدي يا رسول الله ؛ لقد كنت أحسن الناس خلقاً، وأجود الناس صدراً، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرةً، لقد صدق ملك عمان حينما قال بعد أن التقى بك ؛ **" والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، ويفي بالعهد، وينجز الوعد ".**
يا سيدي يا رسول الله ؛ لقد رأى أصحابك رأي العين كل فضائلك ومزاياك، رأوا طهرك وعفافك، رأوا أمانتك واستقامتك، رأوا شجاعتك وثباتك، رأوا سموّك وحنانك، رأوا عقلك وبيانك، رأوا كمالك كالشمس تتألق في رابعة النهار.

## مولد النبي:

### ١ ـ ميلاد النبي ميلاد للنور قبل ميلاد الشخص:

أيها الإخوة المؤمنون، في شهر ربيع الأول شهر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الهدى والرحمة، وللنبوة والأنبياء في عقيدة المسلم قصة، فقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه أعظم تكريم، حمّله أمانة التكليف وأعطاه مقوّمات هذا التكليف، كونٌ ناطق بوجود الله ووحدانيته وكماله، وإكرامه، وعقل يتفق في مبادئه، مع سنن الكون، وهو أداة المعرفة ومناط المسؤولية، وفطرة سليمة تكشف للإنسان خطأه وشهوة دافعة رافعة، وحرية اختيار مقوّمة مثمّنة، وقوة محققة للكسب كاشفة للطوية، ومنهج تفصيلي يقي الزلل ويحقق الهدف.
ومع كل هذا فقد يغفل الإنسان عن مهمته، وينسى ما كُلّف به وتغلبه شهواته، وتُرديه رغباته، ويسير في طريق الهاوية، وهو يحسب أنه يُحسن صنعاً ولأن الله الذي خلق الإنسان هو أرحم به من نفسه خلقه لجنة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فلا بد وهو أرحم الراحمين من أن يخاطب البشر، من حين إلى حين، مذكراً بمهمتهم، مبيناً لمنهجهم، محذراً عواقب غفلتهم، وإعراضهم، وبما أنه يستحيل أن يخاطب الله كل البشر، لأن تحمّل الخطاب وتلقي الوحي عن الله لا يستطيعه، ولا يستأهله إلا نخبة من صفوة البشر، قال تعالى:

**( إِنّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ )**

( سورة آل عمران: ٣٣ )

من أجل هذا كان الأنبياء والمرسلون، وكان من بعدهم الأئمة والداعون والهداة والمهديون.

## ٢ ـ النبي بشر كسائر البشر:

ولأن النبي لا يستطيع تحقيق رسالته إلا إذا كان من بني البشر ليبلغهم بلسانهم، قال تعالى:

**( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ )**

( سورة إبراهيم )

ولا يستطيع نبي تحقيق رسالته إلا إذا جرت عليه كل خصائص البشر حتى يكون انتصاره على بشريته، قدوةً ومثلاً لكل البشر، وبهذا يُحقق النبي الكريم مهمة القدوة، تكميلاً لمهمة التبليغ، لذلك يُعدُّ من سنة النبي أقواله وأفعاله وإقراره وصفاته، قال تعالى:

**( وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ )**

( سورة القلم )

وقال:

**( فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ )**

( سورة آل عمران )

## ٣ ـ من سنن الله الجارية: أن يكون للنبي معارضون:

وحينما يأتي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بعقيدة، ومنهج يُسفِّه بهما ضلالات البشر، وانحرافاتهم، يظهر المعارضون المتضررون من تطبيق منهج الله، هؤلاء المعارضون الذين حدّت رسالة السماء من انحرافهم وطغيانهم، ما يكون منهم إلا أن يكذِّبوا رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:

**( وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ )**

( سورة الرعد )

## ٤ ـ لابد للنبي من معجزة تشهد على رسالته:

لذلك لا بد من أن يشهد الله لكل البشر أن هذا الإنسان الذي خصه الله بالنبوة والرسالة هو رسوله، وهو صادق فيما يقول، وتكون شهادة الله للبشر بأن يؤيد رسوله بمعجزة، يعجز عن الإتيان بمثلها كل البشر، وينبغي أن يكون موضوع المعجزة مما نبغ فيه القوم ليصح التحدي، ولتقوم الحجة. لقد كانت معجزات الأنبياء السابقين حسّية، محدودة بمكان، وزمان، تألقت مرة واحدة كعود الثقاب، ثم أصبحت خبراً يصدقه مصدق، ويكذبه مكذب، أما معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو

خاتم النبيين فهي معجزة مستمرة لكل البشر ؛ لأنها بين يدي البشر في كل عصر ومصر إلى يوم القيامة، إنها معجزة عقلية بيانية إنها القرآن.. ففي القرآن الكريم إعجاز بياني، وإعجاز علمي، وإعجاز تشريعي، وإعجاز إخباري، وكلما تقدم البحث العلمي كشف عن جانب من إعجاز القرآن، قال تعالى:

**( سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ )**

( سورة فصلت )

فبالعقل يحكم الإنسان بأنه لا بد لهذا الكون من خالق موجد، ورب مُمِدّ، ومسير حكيم، واحد في ذاته، وفي أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وبالعقل يحكم الإنسان بأن هذا القرآن هو كلام الله من خلال إعجازه، وبالعقل يحكم الإنسان بأن الذي جاء بالقرآن المعجز هو رسوله.

وبعدئذ يأتي القرآن ليخبر الإنسان عما لا يستطيع العقل أن يدركه بذاته، إنها قصة خلق السماوات والأرض، وحقيقة الحياة الدنيا والآخرة، وخلق الإنسان، أين كان، وإلى أين المصير، وما سر وجوده على هذه الأرض، وما المهمة التي كُلف بها، وما المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه، ليحقق ذاته، ويدرك السعادة، في الدنيا والآخرة ؟

فالدين عقل ونقل: عقلٌ لمعرفة الله، وللتحقق من صحة النقل عنه، ولفهمه، ونقل يُبين للعقل ما خفي عنه، وما عجز عن إدراكه، وما يضمن سلامته وسعادته.

هذه باختصار شديد قصة النبوة والأنبياء، ونحن في شهر ربيع الأول شهر مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فمن أي الجوانب يكون الحديث عن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، إن أبرز هذه الجوانب هي شمائله الشريفة.

## ماذا يعني الحديث عن شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ؟

أيها الإخوة الأكارم في كل مكان، ماذا يعني الحديث عن شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ولا سيما وقد جعله الله أسوةً صالحة لنا:

## ١ ـ تلازماً ضرورياً بين التدين الصحيح والخلق القويم:

### البناء الأخلاقي هو الهدف الأمثل لدعوة النبي:

إنه يعني أن هناك تلازماً ضرورياً بين التدين الصحيح والخلق القويم، فالنبي صلى الله عليه وسلم حدد الغاية الأولى من بعثته، والمنهج الأمثل لدعوته، فقال فيما رواه الإمام مالك:

**(( إنما بُعثتُ معلماً، إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق ))**

فالهدف الأول لدعوته، هو إرساء البناء الأخلاقي للفرد، والمجتمع، لأنه ثمن سعادة الدنيا والآخرة، والوسيلة هي التعليم لا التعنيف، قال صلى الله عليه وسلم:

**(( علموا ولا تُعنِّفوا، فإن المعلم خير من المُعنِّف ))**

[ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، وابن عدي في الكامل ]

والمتتبع لنصوص القرآن الكريم وللسنة المُطهرة الصحيحة يجد ذلك التلازم الضروري بين التدين الصحيح والخلق القويم، قال تعالى:

**( أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ(١)فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ(٢)وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ(٣)فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ(٤)الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ(٥)الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ(٦)وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ )**

( سورة الماعون )

وقال تعالى:

**( فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ )**

( سورة القصص )

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ:

**(( لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ ))**

[جزء من حديث طويل أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في السنن عن أنس ]

وقال أيضاً:

**(( الإيمان والحياء قُرنا جميعاً، فإذا رُفع أحدُهما رُفع الآخر ))**

[أخرجه الحاكم]

إذاً: فالإيمان أساس الفضائل، ولجام الرذائل، وقوام الضمائر.

وقد ورد في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمّ طُرِحَ فِي النّارِ ))**

## ٢ ـ أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً:

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً، وأن أكملهم إيماناً أحسنهم خلقاً، وأن من أحبّ عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً، وأن من أقرب المؤمنين مجلساً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة أحسنهم خلقاً، وأن خير ما أُعطي الإنسان خلق حسن، وأنه ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وأن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، بل إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، والخلق الحسن يُذيب الخطايا كما يُذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

## مقتطفات من شمائل النبي صلى الله عليه وسلم:

هذه مقتطفات من شمائل النبي صلى الله عليه وسلم:

## ١ ـ عنايته بأصحابه وتواضعه له:

فمن عنايته بأصحابه، وتواضعه لهم ما رواه الحاكم بإسناد أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته، فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس بأهله، وامتلأ، فجاء جرير البجلي، فلم يجد مكاناً فقعد على الباب فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فألقاه إليه، فأخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي، وأعاده إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله: ما كنت لأجلس على ثوبك أكرمك الله كما أكرمتني فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يميناً وشمالاً فقال:

**(( إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ ))**

وعن عدي بن حاتم قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فألقى إلي وسادة من أدم محشوة ليفاً، فقال: اجلس عليها، قلت: بل أنت قال: بل أنت فقال عدي: فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض، فقلت اشهد أنك لا تبغي علواً في الأرض ولا فساداً، وأسلم عدي بن حاتم.

وروى البيهقي في الدلائل أنه وَفَد وفدُ النجاشي على النبي صلى الله عليه وسلم فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخدمهم بنفسه فقال له أصحابه: يا رسول الله نحن نكفيك القيام بضيافتهم، وإكرامهم، فقال صلى الله عليه وسلم:

**(( إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وأنا أحب أن أكافئهم بنفسي ))**

[ ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق عن أبي قتادة ]

## ٢ ـ رحمته بالمخلوقات:

ومن رحمته بالخلق: ما روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

**(( أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ، فَأَسَرّ إِلَيّ حَدِيثًا لا أُحَدّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النّاسِ، فكَانَ أَحَبّ مَا يَسْتَتِرُ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِحَاجَتِهِ هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ يَعْنِي حَائِطَ نَخْلٍ، فَدَخَلَ حَائِطَ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا فِيهِ جَمَلٌ، فَلَمّا رَأَى النّبيّ صلى الله عليه وسلم، جَزِعَ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ قَالَ: فَأَتَاهُ فَمَسَحَ سُرّتَهُ إِلَى سَنَامِهِ فِرَاهُ وَذِفْرَاهُ فَسَكَنَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ، وَقَالَ: هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: أَلا تَتّقِ اللّهَ عَزّ وَجَلّ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الّتِي مَلّكَكَ اللّهُ تَعَالَى إِيّاهَا، فَإِنّهُ يَشْكُو إِلَيّ أَنّكَ تُدْئِبُهُ وَتُجِيعُهُ ))**

أي تُتعبه.

[ الحاكم في المستدرك ]

## ٣ ـ عدله:

ومن عدله صلى الله عليه وسلم ما رواه الشيخان واللفظ للبخاري عن عَائِشَةَ:

**(( أَنّ قُرَيْشًا أَهَمّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيّةِ الّتِي سَرَقَتْ، فَقَالَ: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئ عَلَيْهِ إِلاّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَكَلّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ؟ ثُمّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمّ قَالَ: إِنّمَا أَهْلَكَ الّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدّ ؛ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا ))**

## ٤ ـ صبرُه:

ومن صبره صلى الله عليه وسلم: ما رواه الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**(( لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا وَارَى إِبِطُ بِلَالٍ ))**

## ٥ ـ صبرُه:

ومن شجاعته صلى الله عليه وسلم ما قال سيدنا علي كرم الله وجهه: كنا أي معشر الصحابة، إذا حمي البأس، واحمرت الحِدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقربَ إلى العدو منه.

## ٦ ـ خشيته لله:

ومن خشيته لله: أنه غضب صلى الله عليه وسلم ذات مرة من غلام، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: دَعَا رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيه وسلّم وَصِيفَةً لَهُ فَأَبْطَأَتْ، فَقَالَ:

**(( لولا مَخَافَةُ الْقَوْدِ ـ القصاص ـ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لأَوْجَعْتُكِ بِهَذَا السِّوَاكِ ))**

[ الأدب المفرد للبخاري ]

## ٧ ـ هيبته:

ومن هيبته صلى الله عليه وسلم: أنه كان صلى الله عليه وسلم فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ:

**(( أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ ))**

[ ابن ماجه ]

## ٨ ـ حياؤه:

ومن حيائه أنه كان أعظم الناس حياءً، لأنه أعظمهم إيماناً، عَن ابْنِ عُمَرَ:

**(( أَنّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرّ بِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ: دَعْهُ، فَإِنّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيْمَانِ ))**

[ البخاري ]

فكان أشد حياءً من العذراء في خدرها، وقد بلغ من حيائه أنه لا يواجه أحداً بما يكره.
ورحم الله من قال في مدح خير الأنام:

**يا من له الأخلاق ما تهوى العُلا منها وما يتعشق الكبـــراء**

**فإذا سخوت بلغت بالجود المدى وفعلت ما لا تفعل الأنـــواء**

**وإذا عفوت فقادراً ومقـــدراً لا يستهين بعفوك الجُهــلاء**

**وإذا رحمت فأنــت أم أو أب هذان في الدنيا هـما الرحمـاء**

**وإذا غضبت فإنما هي غضبــة في الحق لا ضغن ولا بغضاء**

**وإذا خطبت فللمنابر هـــزة تعرو النـدي و للقلوب بكـاء**

**يا أيها الأميُّ حسبك رتبـــة في العلم أن دانت لـك العلمـاء**

***

أيها الإخوة المؤمنون، هذه بعض شمائل النبي صلى الله عليه وسلم، فعلينا أن نقتدي بها، لأنه أسوةٌ لنا وقدوة.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، والحمد لله رب العالمين.

**الخطبة الثانية:**

## تتمة ذكر شمائله عليه الصلاة والسلام:

### ٩ ـ عفوه:

ومن عفوه: عفوه عن سفانة بنت حاتم طيّئ، فنقد عُرض الأسرى على النبي صلى الله عليه وسلم عقب بعض الغزوات، فوقفت امرأة أسيرة فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علي من الله عليك، وخلّ عني، ولا تُشمت بي أحياء العرب، فإن أبي كان سيد قومه يفُكُّ العاني، ويعفو عن الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الذمار، ويفرجُ عن المكروب، ويطعم الطعام، ويُفشي السلام، ويحمل الكلّ، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد في حاجة فردّه خائباً، أنا بنت حاتم طيّئ.. فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( يا جارية هذه صفات المؤمنين حقاً، ثم قال صلى الله عليه وسلم: خلوا عنها ؛ فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، ثم قال صلى الله عليه وسلم: ارحموا عزيز قوم ذلّ وغنياً افتقر، وعالماً ضاع بين الجُهّال ))**

فاستأذنته بالدعاء، وقالت: **أصاب الله ببرك مواقعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا جعلك سبباً في ردِّها، ورجعت إلى أهلها، وقالت لأخيها عدي: ائت هذا الرجل،**

**فإني قد رأيت هدياً، وسمتاً، ورأياً ؛ يغلب أهل الغلبة، ورأيت فيه خصالاً تعجبني رأيته يحب الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود، ولا أكرم منه، فإن يكن نبياً فللسابق فضله، وإن يكن ملكاً فلا تزال في عز ملكه.**

**قيل وأسلمت.. واستجاب لها أخوها، وقدِمَ إلى المدينة وهو يظن انه سيلقى ملكاً فقال: دخلت على محمد وهو في المسجد، فسلمت عليه فقال: من الرجل ؟ فقلت عدي بن حاتم، فقام، وانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة، ضعيفة كبيرة، في الطريق فاستوقفته، فوقف طويلاً تكلمه في حاجتها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك، ثم مضى بي حتى دخل بيته، فتناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها إليّ فقال: اجلس علي هذه، قلت: بل أنت فاجلس عليها فقال: بل أنت فجلست عليها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض، ثم قال لي: لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من فقرهم.. فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه..ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى ن كثرة عدوهم، وقِلّة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها فتزور هذا البيت لا تخاف.. ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين أنك ترى المُلك والسلطان في غيرهم، وايمُ الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم، وأن كنوز كسرى قد صارت لهم قال: فأسلمت، ولقد عُمِّر عدي حتى رأى بنفسه كيف تحققت كلُّ بشارات النبي صلى الله عليه وسلم ".**

[ السيرة النبوية لابن كثير، ودلائل النبوة للبيهقي، سير أعلام النبلاء للذهبي، والإصابة، وأسد الغابة ]

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٢٣) : خ١ - الأخوة الإيمانية ، خ٢ - الجانب العملي للأخوة الإيمانية.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-٠١-١٧

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## الأخوة الإيمانية:

### ١ - لا ينفع نسب بلا إيمان:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسيدنا سعد بن أبي وقاص، وسيدنا سعد بن أبي وقاص صحابي جليل، هو الصحابي الوحيد الذي قال له النبي يوم أحد:

**(( ارْمِ سَعْدُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ))**

[ الترمذي، ابن ماجه عن سعد ]

وهو الصحابي الوحيد الذي إذا قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حيّاه وداعبه، وقال له:

**(( هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ ))**

[ الترمذي عن جابر ]

هذا الصحابي الجليل ذاته، قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: << يا سعد، لا يغرّنّك أنه قد قيل: خال رسول الله، فالخلق كلهم عند الله سواسية، ليس بينهم وبينه قرابة إلا طاعتهم له >>.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأقول لكم: لو أن رجلاً عاصر النبي صلى الله عليه وسلم، واستطاع بذكاء حاد وحُجة قوية، وطلاقة لسان أن ينتزع من فم النبي صلى الله عليه وسلم حكماً في خصومة لصالحه، وهو ليس محقاً لا ينجو من عذاب الله، لقول النبي عليه الصلاة والسلام في حديث أمّ سَلَمَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ ))**

[البخاري]

فالشريعة عدل كلها، مصالح كلها، رحمة كلها، فكل قضية خرجت من العدل إلى الجور، ومن الرحمة إلى القسوة، ومن المصلحة إلى خلافها، فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل.

## ٢ ـ الناس من طبيعة نفسية وفطرة واحدة:

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، الناس مهما اختلفت أعراقهم، وبيئاتهم، ومستوياتهم، وأحوالهم هم من طبيعة نفسية واحدة، قال تعالى:

**( هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ )**

( سورة الأعراف )

ولهم فطرة واحدة، قال تعالى:

**( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ )**

( سورة الروم )

ولهم جبلة واحدة، فقد ورد في الحديث القدسي:

**(( يا داود، ذكر عبادي بإحساني إليهم، فإن النفوس جُبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها ))**

[حديث قدسي رواه البيهقي عن عمير بن وهب]

## ٣ ـ الشرع جاء ليحافظ على الأخوة الإيمانية:

فمن لوازم هذه الخصائص المشتركة التي يلتقي عندها بنو البشر أن تسود الأخوة الإنسانية فيما بينهم، لكن الناس وحينما تتحكم أهواؤهم في تصرفاتهم، وتحملهم شهواتهم المستعرة على أخذ ما ليس لهم من أموال الناس، والعدوان على أعراضهم، وتأتي قوى الشر، وعلى رأسها الشيطان لينزغ بينهم، ويوقع العداوة والبغضاء فيما بينهم، عندها تنعدم الأخوة والتعاون، ليحل محلها فيهم العداوة والبغضاء والعدوان.

لقد جاء التشريع الإلهي ؛ إنْ في الكتاب أو في السنة يحضُّ على الحفاظ على هذه الأخوة الإنسانية، والعمل على تنميتها منطلقاً من وحدة البنية النفسية لبني البشر، ومن أن الإنسان يتكامل في حاجاته الأساسية والثانوية مع أخيه الإنسان، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ )**

( سورة الحجرات )

أما أخوة الإيمان فهي أصل من أصوله وألزم لوازمه، والمظهر الصارخ له، وقد قرر القرآن الكريم هذا الأصل الكبير في العلاقة بين المؤمنين، فقال جلّ من قائل:

**( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ )**

( سورة الحجرات )

## وقفة مع هذه الآية:

وللمفسرين عند هذه الآية وقفات متأنية، جملة اسمية ركناها المبتدأ والخبر، ومن شأن التركيب الاسمي الثبات والاستمرار، ومن شأن التركيب الفعلي الحدوث والانقطاع، في الأعم الأغلب. و "إن" في صدر الآية تفيد تأكيد الأخوة بين المؤمنين، و "إنما" أداة قصر وحصر، تفيد أن المرء ما لم يشعر بالانتماء لمجموع المؤمنين، وما لم يشعر بالاخوة الصادقة بينه وبينهم فليس مؤمناً على قول، وليس كامل الإيمان على قول آخر، والمؤمنون في الآية إخوة، وليسوا إخواناً، أي أن العلاقة بينهم ترتقي إلى أمتن علاقة، وهي أخوة النسب، بل تفوقها في أكثر الأحيان، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

**(رب أخ لك لم تلده أمك)**

أما العداوة، والبغضاء، والتنافس، والحسد فهي علاقات مَرَضية بين المؤمنين، يجب إصلاحها، لذلك قال تعالى:

**( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ )**

( سورة الحجرات )

## ٤ ـ الأخوة الإنسانية:

**(( لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ))**

[رواه البخاري، ومسلم عن أنس ]

وحتى يكره له ما يكره لنفسه، وقد ذكر بعض شُرّاح الحديث أن كلمة أخيه في الحديث لم تُقيد بصفة تحدُّ إطلاقها، والمُطلق في النصوص المحكمة على إطلاقه.

إذاً فالأخوة التي قصدها المصطفى صلى الله عليه وسلم هي الأخوة الإنسانية، ويؤكد هذا قوله الآخر:

**(( الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ ))**

[رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي البزار عن أنس ]

## ٥ ـ الشرع نهى عن كل ما يقوّض الأخوّة كالعداوة وأسبابها:

والبيان الإلهي نهى عن كل ما يُقوّض هذه الأخوة بين المؤمنين فنهى عن السخرية، والتنابز بالألقاب، وسوء الظن، والتجسس، والغيبة فقال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(١١)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ )**

( سورة الحجرات )

والبيان النبوي نهى أيضاً عن أسباب العداوة والبغضاء والتي تُضعف الأخوة بين المؤمنين أو تهدمها، فقد ورد ذلك في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَخُونُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْتَقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ))**

[رواه البخاري ومسلم، واللفظ للترمذي ]

ولا شك أن النفي في هذه الأحاديث أبلغ من النهي، وأن التركيب الخبري آكد في البلاغة من التركيب الإنشائي.

ثم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تعاطي أسباب العداوة والبغضاء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ))**

[رواه البخاري ومسلم وغيرهما ]

## ٦ ـ الشيطان يسعى إلى الإفساد بين المؤمنين:

بل إن الشيطان حينما ييأس أن يُعبد غير الله في الأرض يتجه إلى التحريش بين المؤمنين، وإيقاع العداوة والبغضاء فيما بينهم، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**(( إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ ))**

[ مسلم ]

وقد نُدهش حينما نرى النبي صلى الله عليه وسلم يُبين أن فساد الأخوة بين المؤمنين هي من الخطورة حيث تُفسد عليهم دينهم، وتقطع صلتهم بربهم، فقد قال صلى الله عليه وسلم:

**(( إيّاكُمْ وسُوءَ ذَاتِ البَيْن، فإنّهَا الحَالِقَةِ ))**

[ أخرجه الترمذي، وصححه]

## طُرُق ترسيخ الأخوة الإيمانية:

ولم يكتف التشريع الإسلامي بالنهي عن كل ما من شأنه أن يُضعف الأخوة الإيمانية أو يُقوضها، بل أمر بكل ما من شأنه أن يُرسخ الأخوة الإيمانية، ويمتنها، وينميها، ويطورها.

### ١ ـ إفشاء السلام:

فقد أمر الشارع الحكيم بإفشاء السلام، فقال عز وجل:

**( وَإذَا حُيّيتُمْ بتَحِيّةٍ فَحَيّوا بأحْسَنَ مِنْهَا أوْ رُدّوهَا إنّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا )**

( سورة النساء )

عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْن عَمْرٍو رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا:

**(( أنّ رَجُلًا سَألَ النّبيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أيُ الْإسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قالَ: تُطْعِمُ الطّعَامَ، وَتَقْرَأُ السّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ ))**

[حديث صحيح أخرجه الترمذي ١٨٥٦]

فأعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخلهم من بخل بالسلام.

ومما رواه الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( يَا أيُّهَا النّاسُ، أفْشُوا السّلَامَ، وَأطْعِمُوا الطّعَامَ، وَصِلُوا الْأرْحَامَ، وَصَلّوا باللّيْلِ وَالنّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنّةَ بسَلَامٍ ))**

[أخرجه ابن ماجه وأحمد ]

ومن خصائص إفشاء السلام بين الأنام أن يعُمَّ السلام، وينحسر الخصام، حيث قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم:

**(( أفْشُوا السّلَامَ تَسْلَمُوا ))**

[ رواه الإمام أحمد في مسنده عن البراء ]

## ٢ ـ عيادة المريض وتفقد أحواله:

ومما أمر به الشارع الحكيم ترسيخاً للأخوة الإيمانية، وتمتيناً لأواصرها ؛ عيادة المريض، فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( أَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِيَ ))**

[أخرجه البخاري]

ويلحق بعيادة المريض، تفقد أحواله، وتعهده، والتلطف به، وحسبك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

**(( يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ... ))**

[ رواه مسلم ]

وإضافة المرض إلى ذاته تعالى تشريف للمريض، وتطييب لقلبه، وكلمة وجدتني عنده تشير إلى أن العبد إذا سُلب الصحة مُنح السكينة والقُرب.

## ٣ ـ إجابة الدعوة:

ومما أمر به الشارع الحكيم ترسيخاً للأخوة الإيمانية، وتمتيناً لأواصرها: إجابة الدعوة، فَعَنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( مَنْ دُعِيَ فَلَمْ يُجِبْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ))**

[أخرجه أبو داود ]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ ))**

[ البخاري ]

## ٤ ـ النصح لكل مسلم:

ومما أمر به الشارع الحكيم ترسيخاً للأخوة الإيمانية، وتمتيناً لأواصرها: النصح لكل مسلم، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَكِتَابِهِ، وَرَسُولِهِ، وَأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَامَّتِهِمْ ))**

[أخرجه مسلم ]

## ٥ ـ الإحسان إلى الإنسان:

وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم تمتيناً لهذه الأخوة، أن نرحم الصغير، ونوقر الكبير، وأن نُعين الضعيف، وأن ننصر المظلوم، وأن نكظم الغيظ، وأن نعفو عن الناس، وأن نُحسن إليهم. ومُجمل القول أن النبي صلى الله عليه وسلم فضلاً عن أنه نهى عن كل ما من شأنه أن يُضعف الأخوّة الإيمانية أو يقوضها، وأمر بكل ما من شأنه أن يُمتِّن أواصر هذه الأخوّة، فضلاً عن كل ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم قُدوة لأصحابه في حياته ولأمته من بعده، ففي موقعة بدر كانت الرواحل قليلة، فقال صلى الله عليه وسلم:

**(( كل ثلاثة على راحلة وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة ، فلما جاء دور النبي صلى الله عليه وسلم في المشي توسّل صاحباه أن يبقى راكباً فقال صلى الله عليه وسلم: ما أنتما بأقوى مني على السير ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر ))**

[ أحمد ]

وحينما أراد أصحابه أن يعالجوا شاة قال أحدهم: عليَّ ذبحها، وقال آخر: وعليَّ سلخها، وقال ثالث: وعلي طبخها، فقال صلى الله عليه وسلم: **" وعليّ جمع الحطب "**، فقال أصحابه: نكفيك ذلك.. قال:

**(( أعلم ذلك، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه ))**

[ ورد في الأثر ]

## التفسير العلمي للأخوة الحقيقية بين المؤمنين:

وإذا أردنا أن نبحث عن التفسير العلمي للأخوة الحقيقية بين المؤمنين نجد أن في شخصية كلٍّ منا سماتٍ، وصفات، وتصورات، وقيماً، ومبادئ، وأهدافاً، وطباعاً، وأخلاقاً، وعاداتٍ، وتقاليد، وعواطف، ومشاعر، وميولاً، ورغبات، ونوازع، واتجاهات، ويمكن أن ينطوي تحت كل بند من هذه البنود بضع عشرات من الفروع، والأقسام، وما شخصية الإنسان إلا مجموع هذه الملامح والصفات، وبما أن الإيمان الحقيقي يطبع الإنسان بطابع عميق، وراسخ، وصارخ، ومتميز في تصوراته، ومبادئه، وأهدافه، وقيمه، وأخلاقه، وطباعه، وعاداته، وعواطفه، ومشاعره، وميوله، ورغباته، ونوازعه، واتجاهاته، وأنه كلما كثرت الصفات المشتركة والملامح المتوافقة بين شخصيتين ازدادت الألفة والمحبة بينهما، لأن كلاً منهما يرى ذاته، وصفاته في أخيه. لذلك قالوا: في حياة كلٍّ منا شخصية نكونها، وهي شخصيتنا، وشخصية نكره أن نكونها، وهي الشخصية المتنافرة في صفاتها مع شخصيتنا، وشخصية نحبها وهي التي تتوافق في صفاتها مع شخصيتنا، وشخصية نتمنى أن نكونها وهي الشخصية القدوة التي نصبو إليها.

لذلك أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، فبين أن إنفاق أموال الأرض كلها لا يمكن أن يؤلف وحدة القلوب، ولكن وحدة المبادئ والقيم والمشاعر التي تنبع من منهل علوي واحد هي التي تؤلف القلوب وتجمع النفوس قال تعالى:

**( وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ )**

( سورة الأنفال )

ولقد ورد في الحديث الشريف:

**(( أن المؤمنين نَصَحَةٌ متوادون ولو ابتعدت منازلهم، والمنافقين غششة مُتحاسدون ولو اقتربت منازلهم ))**

[كنز العمال ١/٧٥٧]

**الخطبة الثانية:**

## الجانب العملي للأخوة الإيمانية:

هذه هي مبادئ الأخوة الإيمانية فماذا عن التطبيقات العملية ؟ هذا هو الفكر النظري فماذا عن الممارسة العلمية ؟ وهذه هي المنطلقات فماذا عن الوقائع ؟ هذا هو الإسلام في الكتب، فأين الإسلام في الحياة ؟

### ١ ـ المؤاخاة بين المهجرين والأنصار:

من أروع صور الأخوة بين المؤمنين: المؤاخاة التي كانت بين المهاجرين والأنصار، بعد الهجرة إلى المدينة.. فقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه اثنين اثنين مهاجر وأنصاري، ومن هؤلاء الذين آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم: **" سعد بن الربيع الأنصاري، وعبد الرحمن بن عوف المهاجر فقال سعد لعبد الرحمن: أي أخي، أنا أكثر أهل المدينة مالاً، عندي بستانان فانظر أي بستانيّ أحب إليك حتى أخرج لك عنه ؟ فقال عبد الرحمن لأخيه الأنصاري: بارك الله لك في مالك، ولكن دلني على السوق فدله عليه، فجعل يتّجر، وطفق يشتري، ويبيع، ويربح، ويدّخر حتى اجتمع لديه مهر امرأة فتزوج ".**

[رواه البخاري]

### ٢ ـ بين أبي بكر وبلالٍ:

ومن أمثلة الأخوة الحقيقية بين المؤمنين التي تنعدم فيها الفوارق الكبيرة بين الطبقات التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي، ما فعله سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما مرّ بأمية بن خلف

وهو يُعذب بلالاً الحبشي، فقال له: ألا تتقي الله عز وجل في هذا المسكين حتى متى تعذبه ؟ فقال أمية: أنقذه مما ترى ؟ فقال أبو بكر: أفعل، خذ أكثر من ثمنه، واتركه حراً، نقد أبو بكر أمية الثمن، وحرر بلالاً من رق العبودية، وتأبط ذراعه، إشعاراً بالمساواة التامة، فقال أمية: خذه فو اللات والعُزى لو أبيت إلا أن تشتريه بدرهم واحد لبعتكه.. فرأى الصديق في هذه مساً بكرامة بلال، فقال له: والله لو طلبت فيه مائة ألف لأعطيتكها.. وسار الصديق متأبطاً ذراع بلال قائلاً: هذا أخي حقاً، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون، إذا ذكروا أبا بكر، هو سيدنا وأعتق سيدنا يعنون بلالاً.

وحينما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ذهب بلال إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال: يا خليفة رسول الله أردت أن أرابط في سبيل الله حتى أموت قال أبو بكر: ومن يؤذن لنا ؟ فقال بلال، وعيناه تفيضان من الدمع: ما كنت لأؤذن لأحد بعد رسول الله، فقال أبو بكر: بل ابق وأذن لنا يا بلال فقال بلال: إن كنت أعتقتني لأكون لك فليكن ما تريد، وإن كنت أعتقتني لله فدعني وما أعتقتني له، فقال أبو بكر: بل أعتقتك لله يا بلال، فامض لما أردت.

### ٣ ـ بين أبي بكر جيرانه:

وتتجلى الأخوة الحقيقية بين المؤمنين مع البون الشاسع بين مراكزهم الاجتماعية في هذا الموقف: فقد كان لسيدنا الصديق جيران عجائز مات أزواجهن، أو استشهدوا في سبيل الله، وكان رضي الله عنه، يؤم بيوت جيرانه فيحلب لهن الشياه، ولما آلت إليه الخلافة تناهى إلى سمعه حسرة هؤلاء العجائز، لأنهن سيحرمن من هذه الخدمة الجليلة، التي يؤديها هذا الرجل الصالح، ولكنه أخلف ظنونهن، وفي اليوم التالي لتوليه الخلافة يقرع باب إحدى تلك الدور، وتُسارع فتاة صغيرة لتفتح الباب، ولا تكاد ترى أبا بكر رضي الله عنه، حتى تصيح: جاء حالب الشاة يا أماه.. أتدرون من حالب الشاة ؟ إنه سيدنا الصديق خليفة المسلمين.

لقد وصف الله المؤمنين بأنهم:

**( وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)**

( سورة الحشر )

### ٤ ـ الإيثار في الماء بين الجرحى في المعركة:

وخير ما يجسد الوصف الرباني لعباده المؤمنين ما رواه حذيفة العدوي حيث قال: **انطلقت يوم اليرموك، أطلب ابن عم لي في القتلى، ومعي شيء من الماء، وأنا أقول: إن كان به رمقٌ سقيته،**

**فإذا أنا به بين القتلى، فقلت له أسقيك ؟ فأشار إلي أن نعم ( والجريح يتحرق على شربة ماء كما هو معروف ) فسمع رجلاً يقول: آه.. فأشار إلي ابن عمي أن انطلق واسقه، فإذا هو هشام بن العاص قلت: أسقيك فأشار إليّ أن نعم، فسمع آخر يقول: آه.. فأشار إلي أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات ".**

هذا هو التطبيق العملي، وهذه هي الممارسة الفعلية وهذا هو الإسلام في الحياة.

## نعمة الأمطار:

### العادة الدعاء بالسقيا:

جرت العادة أيها الإخوة أن ندعو الله بالسقيا في أيام الشتاء، ولا سيما في سنوات الجفاف، ندعوه، ونبتهل إليه أن يسقينا الغيث، رحمة بالشيوخ الركع، وبالأطفال الرضع، والبهائم الرتع، وندعوه أن لا يعاملنا بما يفعل السفهاء منا، وفي السنوات الماضية قلت الأمطار كما تعلمون، وجفت بعض الأنهار، وغارت أكثر الينابيع، وكاد القنوط يتسلل إلى النفوس، وأوشك اليأس أن يداخل القلوب.

### ٢ ـ إمساك الله للغيث تأديب العباد:

ويبدو أن الله سبحانه وتعالى، أراد أن يبين لعباده من خلال الأمطار الغزيرة التي هطلت خلال هذا العام، أن تقنين السماء ليس تقنين عجز ولكنه تقنين تأديب، قال تعالى:

**( وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ )**

( سورة الشورى )

وقال تعالى:

**( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ )**

( سورة الحجر )

وقال تعالى:

**( وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا )**

( سورة الجن )

وقال تعالى:

**( وَلَوْ أَنّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ )**

( سورة الأعراف )

## ٣ ـ وجوب شكر النعم:

فلك الحمد يا ربنا على هذه الأمطار الغزيرة التي تفضلت بها علينا، لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً بعدد خلقك، وبعدد كل نفس من أنفاسهم.

أيها الإخوة من خلال النشرات الرسمية لكميات الأمطار الهاطلة حتى تاريخ الثالث عشر من الشهر الأول لهذا العام الجديد يتضح أن كمية الأمطار الهاطلة في ثماني محافظات ثلاثة أمثال ما هطل حتى التاريخ نفسه في العام الماضي، وأن نسبة هذه الكميات إلى المعدلات السنوية بلغت من سبعين إلى ثمانين في المائة في خمس محافظات وأما كميات المياه في بعض السدود بلغت ضعف مخزونها في العام الماضي، لك الحمد يا رب حمداً طيباً كثيراً مباركاً.

روي أن سعداً رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم سأله أن يدعو له بأن يكون مستجاب الدعوة، قال له:

**(( يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ))**

[ الطبراني في المعجم الصغير عن ابن عباس ]

وحين دعانا ربنا في القرآن الكريم أن ندعوه ذكرنا بأنه لا يحب المعتدين، أي لا يستجيب دعاءهم، قال تعالى:

**( ادْعُوا رَبّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ )**

( سورة الأعراف )

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٢٤) : خ١ - حكمة الحج ، خ٢ - خطبة حجة الوداع.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-٠٤-٢٤

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## الحج:

### ١ ـ العبادات الشعائرية هدفها السمو بالإنسان:

في الإسلام فضلاً عن العقائد التي تعد أساس الدين عبادات تنظم علاقة الإنسان بربه، ومعاملات تنظم علاقة الإنسان بأخيه، وإذا صحت العبادات ارتقت المعاملات، وكان ارتقاء المعاملات مؤشراً على صحة العبادات، والعبادات تهدف أول ما تهدف إلى السمو بالإنسان نفساً وقولاً وعملاً، عن طريق إحكام الصلة بالله رب العالمين، والاهتداء بهديه، والتنعم بقربه، والتقلب في رحمته، والارتشاف من عذب شرابه، وقطف ثمار فضله، ومن هذا المنطلق شُرعت العبادات الشعائرية، كالصلاة والصيام والحج.

### ٢ ـ الحج عبادة مالية بدنية:

الحج هو أحد أركان الإسلام الخمسة، وهو عبادة مالية، بدنية شعائرية، وهو تلك الرحلة الفريدة في عالم الأسفار، ينتقل فيها المسلم ببدنه، وقلبه إلى البلد الأمين الذي أقسم الله به، في القرآن الكريم ليقف في عرفات، وليطوّف ببيت الله الحرام، الذي جعله الإسلام رمزاً لتوحيد الله، ووحدة المسلمين، ففرض على المسلم أن يستقبله كل يوم خمس مرات في صلواته، قال تعالى:

**( قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ )**

( سورة البقرة )

ثم فرض عليه أن يتوجه إليه بشخصه، ويطوف به بنفسه في العمر مرة واحدة.

## ٣ ـ البيت العتيق: بناء إبراهيم ودعوته بالرزق لأهله:

إن هذا البيت العتيق هو أول بيت وُضع للناس، هو أول بيت أُقيم في الأرض لعبادة الله، ومجدِّدُ بنائه الخليل إبراهيم وولده الذبيح إسماعيل، وهما الرسولان الكريمان اللذان جعل الله من ذريتهما هذه الأمة المسلمة، واستجاب دعوتهما الخالصة، وهما يُشيدان هذا البناء العتيد، قال تعالى:

**( وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(١٢٧)رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(١٢٨)رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ )**

( سورة البقرة )

قال صلى الله عليه وسلم:

**(( دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ))**

[ أحمد عن أبي أمامة ]

## ٤ ـ الحج برهان عملي يقدمه المؤمن لربه ولنفسه:

والحج برهان عملي يقدمه المؤمن لربه ولنفسه، على أن تلبية دعوة الله بدافع محبته وابتغاء رضوانه ـ أفضل عنده من ماله، وأهله، وولده، وعمله، ودياره، ومما تتميز به هذه العبادة أنها تحتاج إلى تفرغ تام، فلا تؤدى إلا في بيت الله الحرام.

إذاً: لا بد من مغادرة الأوطان، وترك الأهل، والخلان، وتحمُّل مشاقّ السفر، والتعرض لأخطاره، وإنفاق المال في سبيل رضوانه.

## ٥ ـ ثمار الحج:

وإذا صح أن ثمن هذه العبادة باهظ التكاليف فإنه يصحُّ أيضاً أن ثمرة هذه العبادة باهرة النتائج، حيث قال المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم:

**(( مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ))**

[ رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ]

وقال أيضاً:

**(( وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ))**

[ مسلم عن عمرو بن العاص ]

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ ))**

[ أحمد ]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

**(( الْحَاجُّ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللَّهِ، إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ، وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ ))**

[ البيهقي في السنن الكبرى ]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ ))**

[ رواه الترمذي والإمام أحمد ]

عَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

**(( النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَبْعِينَ ضِعْفًا ))**

[ البيهقي في السنن الكبرى ]

## ٦ ـ التلبية معزاها ومدلولها:

يذهب المسلم إلى بيت الله الحرام، ويُخلِّف في بلدته هموم المعاش والرزق، هموم العمل والكسب، هموم الزوجة والولد، وهموم الحاضر والمستقبل، وبعد أن يُحرم من الميقات يبتعد عن الدنيا كلياً، ويتجرّد إلى الله عز وجل ويقول: **" لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك ".**

هذه التلبية كأنها استجابة لنداء ودعوة يقعان في قلبه، أن يا عبدي خلِّ نفسك وتعال، تعال يا عبدي، لأريحك من هموم كالجبال، تجثم على صدرك، تعال يا عبدي لأطهرك من شهوات تُنغِّص حياتك.

**إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمته مسؤول ؟**

**تعالَ يا عبدي، وذق طعم محبتي.. تعال يا عبدي، وذق حلاوة مناجاتي.**

**" لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك ".**

تعال يا عبدي لأريك من آياتي الباهرات، تعالى لأريك ملكوت الأرض والسماوات، تعالى لأضيء جوانحك بنوري الذي أشرقت به الظلمات، تعال لأعمر قلبك بسكينة عزت على أهل الأرض والسماوات تعال لأملأ نفسك غنىً ورضىً شقيتْ بفقدهما نفوس كثيرة، تعال لأخرجك من وحول الشهوات إلى جنات القربات، تعال لأنقذك من وحشة البعد إلى أنس القرب، تعال لأخلصك من رُعب الشرك وذل النفاق إلى طمأنينة التوحيد وعز الطاعة.

**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك ".**

تعال يا عبدي لأنقلك من دنياك المحدودة، وعملك الرتيب، وهمومك الطاحنة إلى آفاق معرفتي، وشرف ذكري، وجنة قربي، تعال يا عبدي وحُطَّ همومك ومتاعبك، ومخاوفك عندي، فأنا أضمن لك زوالها، تعال يا عبدي واذكر حاجاتك، وأنت تدعوني فأنا أضمن لك قضاءها **"، إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عُمارها، فطوبى لعبد تطهّر في بيته ثم زارني، وحقّ على المزور أن يكرم الزائر "..**

فكيف يكون إكرامي لك إذا قطعت المسافات، وتجشمت المشقات، وتحملت النفقات، وزرتني في بيتي الحرام، ووقفت بعرفة تدعوني، وتسترضيني.

**" لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد، والنعمة لك، والملك، لا شريك لك ".**

تعال يا عبدي، وزرني في بيتي، لتنزاح عنك الهام، ولتعاين الحقائق ولتستعد للقاء، فعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىّ يَرْفَعُهُ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزّ وَجَلّ:

**(( إِنّ عَبْدًا أَصْحَحْتُ جِسْمَهُ، وَأَوْسَعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ تَأْتِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لَمْ يَفِدْ إِلَيّ لَمَحْرُومٌ ))**

[ سنن البيهقي ]

## ٧ ـ الطواف وتقبيل الحجر الأسود:

تعال يا عبدي، وطُف حول الكعبة طواف المحب حول محبوبه، واسعَ بين الصفا والمروة سعي المشتاق لمطلوبه، تعال يا عبدي، وقبّل الحجر الأسود، يميني في الأرض، واذرُف الدمع على ما فات من عمر ضيعته في غير ما خُلقت له، وعاهدني على ترك المعاصي والمخالفات على الإقبال على الطاعات والقربات، **" وكن لي كما أريد لأكن لك كما تريد، كن لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك، فإذا سلّمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تُسلِّم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد خلقت لك ما في الكون من أجلك فلا تتعب، وخلقتك من أجلي فلا تلعب، فبحقي عليك لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته عليك ".**

**" لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك ".**

## ٨ ـ الوقوف بعرفة نفحة ودعاء ومعرفة:

تعال يا عبدي إلى عرفات، يوم عرفة فهو يوم اللقاء الأكبر، تعالى لتتعرض لنفحة من نفحاتي تطهر قلبك من كل درن وشهوة، وتُصفي نفسك من كل شائبة، وهذه النفحات تملأ قلبك سعادة وطمأنينة، وتشيع في نفسك سعادة لو وُزّعت على أهل بلد لكفتهم، عندئذ لا تندم إلا على ساعة أمضيتها في قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال.

تعال لعرفات يوم عرفة، لتعرف أنك المخلوق الأول من بين كل المخلوقات، ولك وحدك سخرت الأرض والسماوات، وأنك حُمِّلت الأمانة التي أشفقت منها الجبال والأرض والسماوات، وأني جئت بك إلى الدنيا لتعرفني، وتعمل عملاً صالحاً يؤهلك لجنة الخلد، تعال إلى عرفات يوم عرفة، لتعرف أن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، وأنك إن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فُتُّك فاتك كلُّ شيء.

وبعد أن يذوق المؤمن في عرفات، من خلال دعائه، وإقباله، واتصاله، روعة اللقاء، وحلاوة المناجاة، ينغمس في لذة القرب، عندئذ تصغر الدنيا في عينيه، وتنتقل من قلبه إلى يديه، ويصبح أكبر همه الآخرة فيسعى إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر، وقد يُكشف للحاج في عرفات أن كل شيء ساقه الله له مما يكرهه، هو محض عدل، ومحض فضل، ومحض رحمة، ويتحقق من قوله تعالى:

**( كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ )**

( سورة البقرة: ٢١٦ )

## ٩ ـ رمي الجمرات: معرفة عداوة إبليس:

وبعد أن يفيض الحاجُ من عرفات، وقد حصلت له المعرفة واستنار قلبه، وصحت رؤيته يرى أن السعادة كلها في طاعة الله، وأن الشقاء كله في معصيته عندئذ يرى عداوة الشيطان، وكيف أنه يَعِدُ أولياءه بالفقر إذا أنفقوا، ويخوفهم مما سوى الله، إذا أنابوا وتابوا، ويعدهم، ويمنيهم، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، قال تعالى:

**( وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ )**

( سورة إبراهيم )

عندئذ يُعبّر الحاج عن عداوته للشيطان تعبيراً رمزياً برمي الجمار، ليكون الرمي تعبيراً مادياً، وعهداً موثقاً في عداوة الشيطان، ورفضاً لوساوسه وخطراته.

يقول الإمام الغزالي: **" اعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى في العقبة، وفي الحقيقة ترمي بها وجه الشيطان، وتقصم ظهره، ولا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله تعالى ".**

## ١٠ ـ الهدي والأضاحي: شكر وتضحية:

وحينما يتجه الحاج لسوق الهدي، ونحر الأضاحي، وكأن الهدي هدية إلى الله تعبيراً عن شكره لله على نعمة الهدى، التي هي أثمن نعمة على الإطلاق، وكأن ذبح الأضحية ذبح لكل شهوة، ورغبة لا تُرضي الله، وتضحية بكل غالٍ ورخيص، ونفس ونفيس في سبيل مرضاة رب العالمين، قال تعالى:

**( لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرْ الْمُحْسِنِينَ )**

( سورة الحج )

## ١١ ـ طواف الإفاضة والوداع: تهيئة العودة وتفكر في الرحلة الأخيرة:

ثم يكون طواف الإفاضة تثبيتاً لهذه الحقائق، وتلك المشاعر، ثم يطوف طواف الوداع لينطلق منه إلى بلده إنساناً آخر استنار قلبه بحقائق الإيمان، وأشرقت نفسه بأنوار القرب، وعقد العزم على تحقيق ما عاهد الله عليه، وإذا صحّ أن الحج رحلة إلى الله، فإنه يصحُ أيضاً أنه الرحلة قبل الأخيرة، لتجعل الرحلة الأخيرة مُفضية إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

## ١٢ ـ زيارة المدينة النبوية حنين وطاعة:

وبعد أن ينتهي الحجاج من مناسك الحج يتجهون إلى المدينة المنورة، التي هي من أحب بلاد الله إلى الله، يتجهون إليها لزيارة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم، فقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ))**

[ الترغيب والترهيب، وإسناده ضعيف ]

وقد عُلِّقت في مكان بارز من الحجرة الشريفة الآية الكريمة:

**( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا )**

( سورة النساء: ٦٤ )

## طاعة النبي من طاعة الله:

وقد أشار القرطبي إلى أن الآية تصدق على زيارة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته، وليس هذا لغير النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد أورد القاسمي في تفسيره أن في هذه الآية تنويهاً بشأن النبي صلوات الله وسلامه عليه، فالرجل حينما يظلم نفسه بمعصية ربه، من خلال خروجه عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه أن يستغفر الله، وأن يعتذر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا تتم التوبة إلى الله، ولا تُقبل إلا إذا ضمّ إلى استغفار الله استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم عين طاعة الله، ورفض سنة النبي صلى الله عليه وسلم عين معصية الله وإرضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عين إرضاء الله، يستنبط هذا من إفراد الضمير في قوله تعالى عند كلمة يرضوه:

**( يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ )**

( سورة التوبة )

هكذا بضمير المفرد، ولا أدل على ذلك من قول الله تعالى:

**( مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا )**

( سورة النساء: ٨٠ )

ولعل سرّ السعادة التي تغمر قلب المسلم حينما يزور مقام النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما إن يرى معالم المدينة حتى يزداد خفقان قلبه، وما إن يبصر الروضة الشريفة حتى يجهش بالبكاء، وعندئذ تُصبح نفس الزائر صافية من كل كدر، نقية من كل شائبة، سليمة من كل عيب، منتشية بحبها له صلى الله عليه وسلم وقُربها منه، وهذه حقيقة الشفاعة التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: **"من جاءني زائراً، لم تنزعه حاجة إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً يوم القيامة ".**

[رواه ابن خزيمة في صحيحه والبزار والدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما ]

وإذا شئت الدليل القرآني على ما يشعر به المسلم من سكينة وسعادة حينما يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو أو بآخر، فهو قوله تعالى:

**( خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**

( سورة التوبة )

وقال الرازي في تفسيره: إن روح محمد صلى الله عليه وسلم كانت روحاً قوية صافية مشرقة باهرة لشدة قربه من الله، ولأن قلبه الشريف مهبط لتجليات الله جل وعلا، فإذا ذكر أصحابه بالخير والود، أو ذكره المؤمنون بالحب والتقدير فاضت آثار من وقته الروحانية على أرواحهم، فأشرقت بهذا السبب نفوسهم، وصفت سرائرهم، وهذه المعاني تفسر قوله تعالى:

**( إِنّ اللّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النّبِيّ يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا )**

( سورة الأحزاب )

رُوي أن بلالاً رضي الله عنه سافر إلى الشام، وطال به المقام، بعد وفاة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم، ولقد رأى وهو في منامه وهو بالشام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: " ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن لك أن تزورني " ؟ فانتبه حزيناً، وركب راحلته، وقصد المدينة، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يبكي عنده كثيراً، فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما وجعل يضمهما، ويقبلهما فقالا: نشتهي أن نسمع أذانك، الذي كنت تؤذن به لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصرّا عليه، فصعد وعلا سطح المسجد، ووقف موقفه الذي كان يقفه.

ولما بدأ بقوله: الله أكبر.. وتذكر أهل المدينة عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجّت المدينة، وخرج المسلمون من بيوتهم، فما رأيت يوماً أكثر باكياً وباكية في المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليوم.

لقد صدق أبو سفيان رضي الله عنهم حينما قال: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.. وهذه الحقيقة ينبغي أن تنسحب على كل مؤمن إلى يوم القيامة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ:

**(( فَوَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى أَكُونَ أَحَبّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ ))**

[رواه البخاري ومسلم٤٤]

**الخطبة الثانية:**

## خطبة حجة الوداع مبادئ ودروس:

لقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع خطبة جامعة مانعة تضمنت مبادئ إنسانية سيقت في كلمات سهلة سائغة، كيف لا وقد أوتي النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، فلقد استوعبت هذه الخطبة جملة من الحقائق التي يحتاجها العالم الشارد المعذب ليرشد ويسعد، قال تعالى:

**( قالَ اهْبِطا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمّا يَأْتِيَنّكُمْ مِنّي هُدًى فَمَنْ اتّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلّ وَلَا يَشْقَى )**

( سورة طه )

إن الله جل وعلا ربى محمداً صلى الله عليه وسلم ليُربي به العرب، وربى العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم ليُربي بهم الناس أجمعين، قال تعالى:

**( وَجَاهِدُوا فِي اللّهِ حَقّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمّاكُمْ الْمُسْلِمينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النّاسِ فَأَقِيمُوا الصّلَاةَ وَآتُوا الزّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النّصِيرُ )**

( سورة الحج )

فمن المبادئ التي انطوت عليها خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع:

## ١ ـ الإنسانية متساوية القيمة:

الإنسانية متساوية القيمة في أي إهاب تبرز، على أية حالة تكون وفوق أي مستوى تتربع،

**(( يَا أَيُّهَا النّاسُ، أَلَا إِنّ رَبّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيّ عَلَى أَعْجَمِيّ، وَلَا لِعَجَمِيّ عَلَى عَرَبِيّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلّا بِالتّقْوَى، أَبَلّغْتُ ؟ قَالُوا: بَلّغَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ))**

[ أحمد عن أبي نضرة ]

## ٢ ـ حرمة الدماء والأموال والأعراض:

النفس الإنسانية ما لم تكن مؤمنة بربها مؤمنة بوعده ووعيده مؤمنة بأنه يعلم سرّها وجهرها، لأن النفس الإنسانية تدور حول أثرتها، ولا تُبالي بشيء في سبيل غايتها، فربما بنت مجدها على أنقاض الآخرين، وبنت غناها على فقرهم، وبنت عزها على ذلهم، بل ربما بنت حياتها على موتهم، لذلك قال الرسول الكريم في حجة الوداع:

**(( أيها الناس إن دماءكم وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، إنما المؤمنون إخوة، لا يحل لامرئ مالُ أخيه إلا عن طيب نفس منه، وإنكم ستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ))**

[ الحاكم والبيهقي ]

## ٣ ـ المال قوام الحياة:

والمال قوام الحياة، وينبغي أن يكون مُتداولاً بين كل الناس، وأنه إذا ولد المالُ المال من دون جهد حقيقي يسهم في عمارة الأرض وإغناء الحياة، تجمّع في أيدٍ قليلة، وحُرمت منه الكثرة الكثيرة، عندها تضطرب الحياة، ويظهر الحقد، ويُلجأ إلى العنف، ولا يلد العنف إلا العنف، والربا يسهم بشكل أو بآخر في هذه النتائج المأساوية التي تعود على المجتمع البشري بالويلات، لهذا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع:

**(( أَلَا وَإِنّ كُلّ رِبًا فِي الْجَاهِلِيّةِ مَوْضُوعٌ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ غَيْرَ رِبَا الْعَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ فَإِنّهُ مَوْضُوعٌ كُلّهُ ـ أي أسقطه ـ ))**

[ مسلم عن جابر ]

## ٤ ـ النساء شقائق الرجال:

النساء شقائق الرجال، ولأن المرأة مساوية للرجل تماماً من حيث إنها مكلفة كالرجل بالعقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، ومساوية له من حيث استحقاقُها الثواب والعقاب، وأنها مساوية له تماماً في التشريف والتكريم، لهذا قال صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع:

**(( اتقوا الله بالنساء واستوصوا بهن خيراً، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد...))**

## ٥ ـ وصايا عامة:

ثم يُتابع خطبته فيقول:

**(( لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ))**

[ البخاري عن ابن عباس ]

**(( أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقرونـه من أعمالكم، فاحذروه على دينكم، وقد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً: كتاب الله وسنة نبيه، وإنكم ستسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت فجعل يُشير بإصبعه المسبحة إلى السماء ثم إلى الناس وهو يقول: اللهم اشهد، اللهم اشهد ))**

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٢٥) : خ١ - قواعد الدعوة ، خ٢ - حليب الأم.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-٠٩-١١

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## مقدمة لموضوع قواعد الدعوة:

### ١ ـ النبي عليه الصلاة والسلام أفضل الدعاة إلى الله:

سيدي يا رسول الله، ما من كلمة تُقال في يوم مولدك أبلغ من كلمة سيدنا جعفر بن أبي طالب، ابن عمك يا رسول الله، يوم كان في الحبشة مهاجراً، وسأله ملكها عنك فقال:

**(( أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ ))**

[ أحمد عن أم سلمة ]

سيدي يا رسول الله، خاطبك الله جل جلاله، فقال:

**( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا(٤٥)وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا(٤٦)وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا(٤٧)وَلَا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا )**

( سورة الأحزاب )

### ٢ ـ دعوة النبي خرّجت رجالا هذه أوصافهم:

لقد دعوت إلى الله، وتلوت على قومك آيات الله، وعلمتهم الكتاب والحكمة، وزكيت الذين آمنوا بك، وساروا على نهجك حتى صاروا أبطلاً، رهباناً في الليل فرساناً في النهار، يقومون الليل إلا

قليلاً.

هم:

( يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً )

[ البقرة: ٢٧٤ ]

( وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ )

[ الرعد: ٢٢ ]

هم:

( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(٢)وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ(٣)وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ(٤)وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ )

[ المؤمنون ]

( وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ )

[ المؤمنون ]

هم:

( الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا(٦٣)وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا )

[ المؤمنون ]

هم:

( التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنْ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ )

[ التوبة: ١١٢ ]

هم:

( يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ )

[ المائدة: ٥٤ ]

هم:

( الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ )

[ آل عمران ]

هم:

( رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا )

[ الأحزاب ]

هم:

( الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ )

[ الأحزاب: ٣٩ ]

( وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ )

[ الحشر: ٩ ]

هم:

( الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ )

[ الأنفال ]

هم الذين أوذوا:

( فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ )

[ آل عمران: ١٤٦ ]

وكانوا:

( قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ )

[ المائدة: ٨ ]

( أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ )

أحبوا الله، وأحبهم، ورضي عنهم، ورضوا عنه.

## ٣ ـ الدعاة إلى الله مصابيح الدجى:

أيها الإخوة الأكارم في دنيا العروبة والإسلام، نحن إذ نحتفل بمولد النبي صلى الله عليه وسلم نقف عند الجانب التربوي في دعوته، ونستنبط بعض القواعد من أقواله، ومن أفعاله ومن إقراره، هذه القواعد التي يمكن أن تكون منارات للدعاة إلى الله من بعده يهتدون بها.

المسلمون من دون دعاة إلى الله جُهّال تتخطفهم شياطين الإنس والجن، من كل حدب وصوب، وتعصف بهم الضلالات من كل جانب، لذلك كان الدعاة إلى الله مصابيح الدجى، وأئمة الهدى، وحجة الله في أرضه، بهم تُمحق الضلالات وتنقشع الغشاوات، هم ركيزة الإيمان، وغيظ الشيطان، وهم قوام الأمة، وعماد الدين، هم أمناء على دين الله يدعون الناس إلى الله بلسان صادق، وجنان ثابت، وخلق كريم فأعمالهم تؤكد أقوالهم، لذا فهم أسوة ونبراس يصلحون ما فسد ويقوّمون ما اعوجّ، لا يستخفون من الناس، ولا يخشون أحداً إلا الله، ولا يقولون إلا حسناً.

## ٤ ـ نجاح الدعوة في اتباع النبي:

ولن يفلح الدعاة إلى الله في دعوتهم إلا إذا اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم الذي عصمه الله عن الخطأ في الأقوال، والأفعال والأحوال، وأوحى إليه وحياً متلواً وغير متلو، وألزمنا أن نأخذ منه كل ما أمرنا به، وأن ندع كل ما نهانا عنه، وأن نتأسى بمواقفه وسيرته، لأنه القدوة، والأسوة الحسنة، والمثل الأعلى.

## القواعد المستنبطة من دعوة النبي:

فمن القواعد المستنبطة من دعوته صلى الله عليه وسلم:

## القاعدة الأولى: القدوة قبل الدعوة:

كان صلى الله عليه وسلم عابداً متحنثاً، وقائداً فذاً، شيّد أمّةً من الفُتات المتناثر، ورجل حرب يضع الخطط، ويقود الجيوش، وأباً عطوفاً، وزوجاً، تحققت فيه المودة، والرحمة، والسكن، وصديقاً حميماً، وقريباً كريماً، وجاراً تشغله هموم جيرانه، وحاكماً، تملأ نفسه مشاعر محكوميه، يمنحهم من مودته وعطفه ما يجعلهم يفتدونه بأنفسهم، ومع هذا كله فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض، الدعوة التي حققت للإنسان وجوده الكامل، وتغلغلت في كيانه كله، ورأى الناس الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تتمثل فيه هذه الصفات الكريمة كلها، فصدقوا تلك المبادئ التي جاء بها كلها، ورأوها متمثلة فيه، ولم يقرؤوها في كتاب جامد، بل رأوها في بشر متحرك، فتحركت لها نفوسهم، وهفت لها مشاعرهم، وحاولوا أن يقتبسوا قبسات من الرسول الكريم، كلٌ بقدر ما يُطيق فكان أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، وكان هادياً ومربياً بسلوكه الشخصي، قبل أن يكون بالكلم الطيب الذي ينطق به.

ولأن القدوة هي أعظم وسائل التربية ذلك، لأن دعوة المترف إلى التقشف دعوة ساقطة، ودعوة الكذوب إلى الصدق دعوة مضحكة، ودعوة المنحرف إلى الاستقامة دعوة مخجلة، لذلك كانت مواقف النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله، وفضائله، ومكارمه قدوةً صالحة، وأسوة حسنة، ومثلاً يُحتذى، وهي ليست للإعجاب السلبي، ولا للتأمل التجريدي، ولكنها وُجدت فيه لنحققها في ذوات أنفسنا، كل بقدر ما يستطيع.

وقد ورد في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا معاذ أن:

**(( يا معاذ أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، ولزوم الإيمان، والتفقه في القرآن، وحب الآخرة والجزع من الحساب، وخفض الجناح، وأنهاك أن تَسُبّ**

**حكيماً، أو تكذب صادقاً، أو تُطيع آثماً، أو تعصي إماماً عادلاً، أو تُفسد أرضاً، وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر، وشجر، ومدر، وأن تُحدث لكل ذنب توبة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية ))**

[أخرجه البيهقي في كتاب الزهد]

يستطيع الإنسان أن يكون عالماً جهبذاً في الطب، أو العلوم، أو الهندسة من دون أن تتطلب هذه العلوم ممن يتعلمها قيداً سلوكياً، ولا يُفسد حقائقها أن يتبع النابغ فيها هوى نفسه، في حياته الخاصة، إلا علم الدين، فإنك إن كنت من المتدينين المخلصين، أو من علمائه أو الداعين إليه، فلا بد أن تكون قدوة حسنة لمن تدعوهم إليه، وإلا ما استمع إليك أحد، ولو كنت أكثر الناس اطلاعاً وعلماً في دين الله، ولن ينظر إليك أحد نظرة احترام جديرة بك، إلا إذا كان سلوكك وفقاً لقواعد الدين.
قال ملك عمان، وقد التقى النبي صلى الله عليه وسلم: **" والله ما دلني على هذا النبي الأمي إلا أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، ويفي بالعهد وينجز الوعد ".**

قال أحد كُتاب السيرة الغربيين الذين أسلموا: " كان محمد ملكاً، وسياسياً، ومحارباً، وقائداً، ومشرّعاً، وقاضياً، وفاتحاً، ومهاجراً "، فقد مارس بالفعل جميع المبادئ التي كان يلقنها للناس، ولن تجد في القرآن حُكماً أو أمراً لم يعمل به النبي صلى الله عليه وسلم، إذا كان يمارس بالفعل كل ما كان يدعو إليه بالقول، فالمرء مثلاً لن يكون عفواً، إلا أن يكون له عدو يلقى منه أشد الإساءة، ثم تدور الدائرة على هذا العدو فيقع في قبضته، ويصبح تحت رحمته، ثم يملك القدرة على الانتقام منه، ثم يعفو عنه.. ثم يقول الكاتب: **" تأمل دخول النبي صلى الله عليه وسلم مكة دخول الظافر المنتصر، وقد خرّت جزيرة العرب صريعة تحت قدميه، وأصبحت مكة قلعة العدو تحت رحمته، فلو شاء لقطع رؤوس القوم، الذين كانوا بالأمس ألد أعدائه، الذين اتخذوه هزواً، وأمعنوا في اضطهاده والاستخفاف به، ولو أنه عاقبهم بذنبهم لكان مُحقّاً، ولم يكن ملوماً، ولم تظهر فضيلة العفو قط بصورتها الكاملة في تاريخ أي دين من الأديان حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم، ولولاه لظلت هذه الفضيلة معطلة إلى الأبد ".**

## ٢ ـ القاعدة الثانية: الإحسان قبل البيان:

لقد علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نكون رحماء قبل أن نكون أوصياء، فمن لا يرحم لا يُرحم..

**( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ )**

( سورة الأنبياء )

فالنفوس جُبلت على حُب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، فهو صلى الله عليه وسلم فتح أقفال القلوب برحمته ورفقه، حتى لانت له القلوب القاسية، واستقامت الجوارح العاصية، قال صلى الله عليه وسلم:

**(( إنما بُعثت بمدارات الناس ))**

[ البيهقي في شعب الإيمان عن جابر ]

وحرف الجر ( الباء ) في كلمة المداراة يفيد معنى الاستعانة، أي أن النبي الكريم يستعين على هداية الناس بمداراتهم، والمداراة شيء، والمداهنة شيء آخر، المداراة بذل الدنيا من أجل الدين، والمداهنة بذل الدين من أجل الدنيا.

بعث النبي الكريم خيلاً قِبَل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يُقال له " ثمامة بن آثال "، وكان ثمامة قد أوقع أشدّ الأذى بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

**((بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ: لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ، فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي، وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى، فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ))**

[ البخاري ]

وهذا نوع من الحصار الاقتصادي.

## القاعدة الثالثة: الترغيب قبل الترهيب:

لقد علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقدّم للمدعو الترغيب قبل الترهيب، والتبشير قبل الإنذار، وأن نرغّبه في الإخلاص، قبل أن نرهبه من الرياء، وأن نرغبه في طلب العلم ونشره، قبل أن نرهبه من الإعراض عنه وكتمانه، وأن نرغبه في الصلاة في وقتها، قبل أن نرهبه من تركها أو تأخيرها، لأن تقديم أسلوب الترغيب يكون أنفع وأجدى من تقديم أسلوب الترهيب، يتّضح هذا من موقف النبي صلى الله عليه وسلم وحديثه لعدي بن حاتم حينما أسلم.

يروي عديُ بن حاتم الطائي عن نفسه فيقول: **ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يُذكر مني، وكنت ملكاً في قومي فالتقيت به فقال لي: لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ـ أي فقر المؤمنين ـ فو الله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم، وقلة عددهم، تقول: إنما اتّبعه ضعفة الناس، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف أحداً إلا الله، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن المُلك والسلطان في غيرهم، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض في أرض بابل قد فُتحت عليهم، قال عدي: فلما سمعت بذلك أسلمتُ ".**

## القاعدة الرابعة: التيسير لا التعسير:

لقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نُيسر ولا نُعسر، وأن نُبشر ولا ننفّر، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا ))**

[ رواه البخاري ومسلم ]

قال الإمام النووي رحمه الله: **لو اقتصر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله على: (( يَسِّرُوا )) لصدق على أن يسّر مرة، وعسّر كثيراً فلما قال: (( وَلَا تُعَسِّرُوا ))، فلكي نجتنب التعسير في كل الأحوال، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "<< كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام، كراهة السآمة علينا >>.**

أي كان يعظنا من حين لآخر، دون تتابع لئلا نسأم الموعظة، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تكليف الناس ما لا يطيقون ليستمر سيرهم في طريق الإيمان، فالداعية المتبع لسنة النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ نفسه بالعزائم، ويسمح للمدعوين بالرخص، تخفيفاً عليهم وتيسيراً لهم.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ:

**(( أنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَأَى رَجُلًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ فَسَأَلَ عَنْهُ، فقالُوا: نَذَرَ أنْ يَمْشِيَ، فقالَ: إنّ اللّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ، وَأَمَرَهُ أنْ يَرْكَبَ ))**

[ أبو داود، الترمذي، أحمد ]

عَنْ طَاوُوسٍ:

**(( أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم مَرّ بأَبي إسْرَائِيلَ وَهُوَ قَائِمٌ فِي الشّمْسِ فقالَ: مَا لَهُ ؟، فقالُوا: نَذَرَ أنْ لاَ يَسْتَظِلّ، ولاَ يَقْعُدَ، ولاَ يُكَلِّمَ أحَدًا، ويَصُومَ، فَأَمَرَهُ النّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنْ يَسْتَظِلّ، وَأَنْ يَقْعُدَ، وَأَنْ يُكَلِّمَ النّاسَ، وَيُتِمّ صَوْمَهُ، وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِكَفّارَةٍ ))**

[ البيهقي في السنن الكبرى ]

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

**(( كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَدَخَلَ عَلَيّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ: مَنْ هَذِهِ ؟ قُلْتُ: فُلَانَةُ، لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ، فَذُكِرَ مِنْ صَلَاتِهَا، فقالَ: مَهْ، عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنْ الْأَعْمَالِ، فَإِنّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا ))**

[ البخاري ]

وقد قال الإمام علي كرم الله وجهه: **<< إن للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإن أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض >>.**

[راجع المائة المختارة للجاحظ، وغرر الحكم للآمدي ص١١٣]

## القاعدة الخامسة: التربية لا التعرية:

لقد علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم من خلال أقواله وأفعاله ومواقفه من أصحابه في شتى مستوياتهم، وأحوالهم أن الدعوة مهمة تربوية أساسها النفسي الحب الصادق، والرحمة الواعية، والشفقة الحانية على المدعو، وأساسها العقلي: المعرفة الدقيقة والعميقة والشاملة لطبيعة النفس الإنسانية، في قوتها وضعفها، في تألقها وفتورها، في إقبالها وإدبارها.

لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتح مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بذلك، فعن عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

**(( بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ، فقالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوا مِنْهَا، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنّ الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا ـ أي من ضفائر شعرها ـ فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا ؟ قَالَ: يَا**

**رَسُولَ اللّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيّ، إِنّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفًا، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنْ النّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَمَا إِنّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: إِنّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلّ اللّهَ اطّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ))**

[ البخاري ومسلم ]

إنه القلب الكبير، والصدر الواسع، والتفهُّم العميق للحظة ضعف طارئة ألمّت بهذا الصحابي، وأراد النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الموقف الرحيم أن يعينه، وينهضه من عثرته فلا يطارده بها، ولا يدع أحداً يطارده... وسر التفاوت بين موقف النبي صلى الله عليه وسلم وموقف عمر رضي الله عنه أن عمر نظر إلى الذنب نفسه، فإذا هو خيانة عظمى لله ولرسوله ولدينه، بينما نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى لحظة الضعف الطارئة التي ألمت بصاحب الذنب فتفهمه ورحمه.

## القاعدة السادسة: مخاطبة العقل والقلب معاً:

علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم من خلال سنته وسيرته، أن الإنسان عقل يدرك وقلب يحب، وأن العقل غذاؤه العلم، وأن القلب غذاؤه الحب، وأن العقل أمير القلب، لذلك ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن:

**(( أرجحكم عقلاً أشدُّكم لله حباً ))**

[ روي في الأثر ]

وإذا كان العقل للنفس كالعين تبصر به فإن الهدي الرباني نور لهذه العين، فأنى للعقل أن يرى الحقائق من دون نور يكشفها له ؟ وإذا كان القلب وما ينطوي عليه من حب محركاً للإنسان ينتقل ويرقى به فإن العقل مقودٌ يوجه الحركة نحو الهدف، ويجنبها الانحراف والهلاك.

لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب العقل في الإنسان، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ:

**(( إِنّ فَتًى شَابًّا أَتَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟ قَالَ: لَا وَاللّهِ، جَعَلَنِي اللّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمّهَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ قَالَ: لَا وَاللّهِ، يَا رَسُولَ اللّهِ، جَعَلَنِي اللّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ ؟ قَالَ: لَا وَاللّهِ، جَعَلَنِي اللّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمّتِكَ ؟ قَالَ: لَا وَاللّهِ،**

**جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ ))**

[ مسند أحمد ]

وإذا كانت مخاطبة العقل تُحدث قناعة فإن مخاطبة القلب تُحدث موقفاً، فلقد خاطب الأنصار الذين وجدوا عيه في أنفسهم، عقب غزوة حنين، وتوزيع الغنائم فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ:

**(( لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي، كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ ؟ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ ))**

[ البخاري ومسلم ]

## القاعدة السابعة: الدليل والتعليل:

علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم من خلال ما أوحي إليه أن القرآن الكريم كلام خالق السماوات والأرض.. قال تعالى:

**( قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا )**

( سورة الفرقان )

إذاً: لا بد من تطابق دقيق وتام بين مضامين القرآن الكريم، وقوانين الكون بسماواته وأرضه ومخلوقاته، ولا سيما الإنسان، كما أن العقل بمبادئه ؛ مبدأ السببية والغائية وعدم التناقض، يتفق مع سنن الكون الثابتة، ودعوة القرآن الكريم إلى إعمال العقل في خلق السماوات والأرض، كأداة لمعرفة الله، وكمناط لمسؤولية الإنسان، يؤكد هذا التوافق، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الفطرة الإنسانية تتفق اتفاقاً تاماً مع الإيمان بالله واليوم الآخر وطاعة الله، واللجوء إليه والسعادة بقربه، قال تعالى:

**( قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا )**

( سورة الروم )

لهذا نستنتج أن كل دعوة إلى الله لا يتقاطع في دائرتها النقل الصحيح، مع العقل الصريح مع الفطرة السليمة، مع الواقع الموضوعي هي دعوة غير مقبولة، ولا يمكن أن تحقق نجاحاً لذلك قال صلى الله عليه وسلم:

**(( إنّمَا الطّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ ))**

[رواه البخاري، وسلم عن علي ]

***

**الخطبة الثانية:**

## تتمة قواعد الدعوة:

## القاعدة الثامنة: الآمر قبل الأمر:

علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم من خلال ما أوحي إليه أن العلم وحده هو الوسيلة والطريق إلى الله، قال تعالى:

**( وَمِنْ النّاسِ وَالدّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنّ اللّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ )**

( سورة فاطر )

وإن المرء ما لم يتعرف إلى الله من خلال آياته الكونية، وآياته التكوينية، وآياته القرآنية، فإنه لا يملك الخشية الكافية التي تحمله على طاعته، واتباع سنة نبيه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول:

**(( اللّهُمّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ))**

[ الترمذي عن ابن عمر ]

لذلك كان التفكّر في خلق السماوات والأرض طريقاً إلى خشية الله التي هي طريق إلى طاعته، وطاعته طريق إلى سعادة الدارين، قال تعالى:

**( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعْ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلّ يُعَذّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا )**

( سورة الفتح )

وأي دعوة إلى الله تقتصر على التعريف بأمره ونهيه، ولا تُقدم على التعريف بأمره التعريف به هي دعوة لا يُكتب لها النجاح، قال تعالى:

**( سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ )**

( سورة فصلت )

## حليب الأم آية معجزة:

لبن المرأة الذي يُعدُّ مدهشاً ومبهراً، تعجز عن تركيبه بخصائصه قوى البشر ولو اجتمعت، وأضخم المعالم ولو تضافرت، فتركيبه في تبدل مستمر، بحسب حاجات الرضيع، ومتطلباته، وبحسب احتمال أجهزته وأعضائه، وهو أكثر ملائمة، وأكثر احتمالاً، وهو آمن طرق التغذية، من حيثُ الطهارة والتعقيم، إذا يؤخذ من الحُلمة مباشرة دون التعرض للتلوث الجرثومي، وحرارته ثابتة خلال الرضعة الواحدة ومتناسبة مع حرارة الرضيع، ويصعُب توافر هذه الشروط في الإرضاع الصناعي، وفوق ذلك فهو لطيف الحرارة صيفاً دافئ في الشتاء، وهو سهل الهضم فلا تتجاوز فترة هضمه، الساعة والنصف، بينما تزيد فتره هضم حليب القوارير عن ثلاث ساعات.

والطفل الذي يرضع من ثدي أمه، يكتسب مناعة ضد كل الأمراض لن في حليب الأم كل مناعاتها، وفيه مواد مضادة للالتهابات المعوية والتنفسية، ومواد تمنع التصاق الجراثيم بجُدُر الأمعاء، ومواد حامضية لقتل الجراثيم، والإرضاع يقي الأم أورام الثدي الخبيثة، ويقي الرضيع الآفات القلبية والوعائية، وأمراض التغذية والاستقلاب.

بل إن الفطام السريع يُحدث عند الطفل رضًّا نفسياً، وانحرافات سلوكية، وهو أي حليب الأم، سهل التحضير ليلاً ونهاراً، في السفر وفي الحضر، لأنه جاهز دائماً بالحرارة المطلوبة، والتعقيم المثالي والسهلة في الهضم والمناعة الشاملة، قال تعالى:

**( لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ(٤)أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ(٥)يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا(٦)أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ(٧)أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ(٨)وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ(٩)وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ(١٠)فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ(١١)وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ(١٢)فَكُّ رَقَبَةٍ )**

( سورة البلد )

قال عكرمة وابن المسيب: النجدان هما الثديان.

**تداركتنا باللطف في ظلمة الحشا  وخير كفيل في الحشا قد كفلتنا**

**وأسكنت قلب الأمهات تعطفـاً  علينا وفي الثديين أجريت قوتنا**

**وأنشأتنا طفلا وأطلقت ألسـناً  تترجم بالإقرار أنك ربنـــا**

**وعرفتنا إياك فالحمد دائمـــاً  لوجهك إذ ألهمتنا منك رشدنـا**

***

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٢٦) : خ١ - الوقت ، خ٢ - طول العمر.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠١-٠١

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## مقدمة:

## ١ ـ ماذا يعني أن يمضي عام وأن يأتي عام ؟

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، نحن في اليوم الأول من العام الجديد، لقد مضى عام وأقبل عام، وماذا يعني أن يمضي عام وأن يأتي عام ؟ إنه الزمن في حركته، وما حقيقة الزمن؟ إنه البعد الحركي الرابع للأشياء، فالجسم المادي له بُعدان سطحيان: طول وعرض، وبُعد حجمي: هو عمق أو ارتفاع.. فإذا تحرك هذا الجسم صار الزمن بعداً رابعاً له، ويضيف علماء الفيزياء أن الجسم إذا تحرك بسرعة الضوء توقف الزمن، وأصبحت كتلته لا نهائية، وإذا تجاوز سرعة الضوء تراجع الزمن، وإذا قصّر عنها تراخى الزمن، وشرح هذا يطول، ويحتاج إلى محاضرات على مدرجات الجامعات، قال تعالى:

**( وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ )**

( سورة يس )

فحركتها سبب حصول الزمن، لولاها ما اتسقت أيامه، ولا انتظمت شهوره وأعوامه، ولا اختلف نوره وظلامه.

## ٢ ـ أين نجد مفهوم الزمن في التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان ؟

والسؤال الآن: أين نجد مفهوم الزمن في التصور الإسلامي للكون، والحياة والإنسان ؟ وأين موقعة في الكتاب والسنة ؟ وما علاقة الزمن بالمخلوق الأول المكرم الإنسان ؟ وهل يمكن أن تتسع تلك العلاقة وتقوى حتى تبلغ درجة التطابق ؟ أي هل يمكن أن نقول: الإنسان في حقيقته " زمن " ؟ حينما يتفكر الإنسان في خلق السماوات والأرض، ويحكم من خلال مبادئ عقله أن لهذا الكون خالقاً عظيماً، ومربياً رحيماً ومسيّراً حكيماً.

الأقدام تدل على المسير، والماء يدل على الغدير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟ وأن هذا الخالق عظيم في خلقه، كامل في أفعاله، ومن لوازم كماله ألا يدع

عباده بلا تعريف، ولا تبيين، ولا منهج من أمر، ونهي، وإعذار، وإنذار، ووعد، ووعيد. لهذا بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

ففي الكتب المنزلة تعريف للإنسان بخالقه ومربيه، تعريف بحقيقة الحياة الدنيا، ومهمة الإنسان فيها، وقد ورد في البيان الإلهي أن البشر مخلوقون لجنة عرضها السماوات والأرض تجري من تحتها الأنهار، أكلها دائم وظلها، لهم فيها ما يشاؤون خالدين فيها أبداً، ذلك الفوز العظيم.

## ٣ ـ الحياة الدنيا مرحلة إعدادية للحياة الأخروية:

وشاءت حكمة الله أن يجعل لهذه الحياة العليا الأبدية حياة دنيا إعدادية، وخلق الإنسان فيها ليزكي نفسه، ولتكون هذه التزكية ثمناً لتلكم الجنة، لهذا منح الله الإنسان مقومات هذه التزكية ؛ كوناً مسخراً تسخير تعريف وتكريم، وعقلاً هو أداة المعرفة ومناط التكليف، وفطرةً تكشف للإنسان خطأه وانحرافه، وشهوةً يرقى الإنسان بها صابراً وشاكراً وحرية اختيار تثمن العمل وتقي الزلل، وقوةً فيما يبدو تحقق الاختيار، ومنهجاً يصحح المسار، كل هذا على مسرح مكاني هو الأرض، وفي ظرف زماني هو العمر، فالعمر رأسمال الإنسان في حياته الدنيا، إذا أنفقه الإنسان في تزكية نفسه كان ثمناً لجنة ربه، قال تعالى:

**( إنّ الْمُتّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ(١٥)آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبّهُمْ إنّهُمْ كَانُوا قبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ(١٦)كَانُوا قلِيلًا مِنْ اللّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(١٧)وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(١٨)وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقّ لِلسّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)**

( سورة الذاريات: ١٥ )

وقال تعالى:

**( فَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقرَءُوا كِتَابِي(١٩)إِنّي ظنَنتُ أَنّي مُلَاقٍ حِسَابِي(٢٠)فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(٢١)فِي جَنّةٍ عَالِيَةٍ(٢٢)قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ(٢٣)كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيّامِ الْخَالِيَةِ )**

( سورة الحاقة: ١٩ )

## الوقت:

### ١ ـ الوقت رأس مال الإنسان:

من خلال هذه المقدمة في كليات العقيدة يتضح أن الزمن الذي هو عمر الإنسان هو رأس ماله الوحيد، وهو وعاء عمله الصالح الذي جعله الله ثمناً للجنة، قال تعالى:

**( وَالْعَصْرِ(١)إِنّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢)إِلّا الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقّ وَتَوَاصَوْا بِالصّبْرِ )**

( سورة العصر )

العصر هو الزمن، بل مطلق الزمن وهو من خلق الله تعالى، إذ لا يصح أن نسأل: متى كان الله ؟ لأنه خالق الزمان، ولا أين الله ؟ لأنه خالق المكان، وقد أقسم الله به:

**( وَالْعَصْرِ )**

ومن الثابت لدى المفسرين أن الله إذا أقسم بشيء من خلقه فذلك ليلفت أنظارهم إليه، ولينبههم إلى جليل منفعته وعظيم أثره، وما أقسم الله للإنسان بالعصر إلا لأن الإنسان في حقيقته زمن، إنه بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، أو لأن أثمن ما يملكه الإنسان هو الزمن.

**ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها**

***

ويأتي جواب القسم:

**( إِنّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ )**

( سورة العصر )

من هو الإنسان الخاسر ؟ إنه أي إنسان لأن ( أل ) تفيد استغراق جنس الإنسان وكيف يخسر الإنسان ؟ ولماذا ؟

### ٢ ـ الخسارة الحقيقية أن يخسر الإنسان رأس ماله:

ألم نقل: إن الإنسان زمن، أو إن أثمن ما يملكه هو الزمن، أو إن رأس ماله هو الزمن، وهل الخسارة الحقيقية في التجارة إلا أن يخسر الإنسان رأس مال ؟ والزمن يعني الحركة نحو هدف ثابت، وهو الموت، أليست هذه الحركة التي هي مضي الزمن تستهلك عمر الإنسان، ورأس ماله ؟

خسارة الإنسان تعني أن الزمن يستهلكه ويقربه من أجله فإذا بلغ أجله، ووصل العد التنازلي إلى الصفر، انتهى الإنسان واستهلكه الزمن، وأصبح خبراً بعد أن كان مخبراً، قال الشاعر:

**حكم المنية في البرية جـار ما هذه الدنيا بدار قـرار**

**بينا يُرى الإنسان فيها مُخبراً حتى يُرى خبراً من الأخبار**

***

ولقد شاءت إرادة الله وحكمته أن يكون الموت نهاية كل حي:

**فكل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت**

**والليل مهما طــال فلا بد من طلوع الفجر**

**والعمر مهما طــال فلا بد من نزول القبر**

***

**كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباءَ محمولُ**

**فإذا حملت إلى القبور جنـازة فاعلم بأنك بعدها محمـولُ**

***

إذاً: فرأس مال الإنسان عُمُره، ومضي الزمن وحده.. مضي الثواني والدقائق والساعات، مضي الأيام والشهور والسنوات، يستهلك رأسماله شيئاً فشيئاً، فإذا استهلكت حركة الزمن كل عمره، فَقَدَ رأسماله، وتحققت خسارته، قال تعالى:

**( فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنّ الْخَاسِرِينَ الّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ )**

( سورة الزمر )

وقال تعالى:

**( قُلْ هَلْ نُنَبّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا(١٠٣)الّذِينَ ضَلّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(١٠٤)أُولَئِكَ الّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا(١٠٥)ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا )**

( سورة الكهف )

خسارة الإنسان أن ينفق عمره الذي هو رأسماله الوحيد إنفاقاً استهلاكياً في غير ما خلق له. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في خطبته:

**(( أيها الناس، لا خير في العيش إلا لعالم ناطق، أو مستمع واع، أيها الناس، إنكم في زمن هدنة، وإن السير بكم لسريع، وقد رأيتم الليل والنهار يُبليان كل جديد، ويُقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فقال له المقداد: يا رسول الله، وما الهدنة ؟ قال: (( دار بلاء وانقطاع، فإذا التبست**

**عليكم الأمور، كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وشاهد مصدق، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو أوضح دليل إلى خير سبيل، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل ))**

[ ذكره الهندي في كنز العمال عن علي ]

أما إذا أنفق الإنسان الوقت فيما خُلق له من معرفة لله، والتزام بمنهجه، ودعوة إليه، وصبر على كل ذلك فقد تلافى الخسارة، بل حقق ربحاً مجزياً، قال تعالى:

**( وَالْعَصْرِ(١)إِنّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢)إِلّا الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقّ وَتَوَاصَوْا بِالصّبْرِ )**

( سورة العصر )

## ٣ ـ لابد من الإيمان في الوقت المناسب:

فالإيمان معرفة الله من خلال آياته الكونية، والتكوينية، والقرآنية، وتصديق بما أنزل على رسوله، من وحي متلو وغير متلو، ثم الاتصال به اتصالاً محكماً، يكون أساساً لإشراق الحقائق في النفس واصطباغها بالكمالات الإنسانية، وانغماسها في سعادة روحية، عندئذ يصبح الإيمان أساس الفضائل، ولجام الرذائل، وقوام الضمائر، وسند العزائم في الشدائد، وبلسم الصبر عند المصائب، وعماد الرضى بالحظوظ، ونور الأمل في الصدور.

## ٤ ـ العمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان:

والعمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان، لأن الإيمان حقيقة إيجابية متحركة، فما إن تستقر في النفس حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها في صورة عمل صالح، فإن لم يتحرك هذه الحركة الطبيعية، فهو مزيف أو ميت، لأن الإيمان ليس انكماشاً وسلبية وانزواءً، وليس مجرد نوايا طيبة لا تتمثل في حركة أو عمل.

## ٥ ـ التواصي بالحق ضرورة:

والتواصي بالحق ضرورة، لأن النهوض بالحق عسير، والمعوقات عن الحق كثيرة، والتواصي بالحق: حق الفرد على الجماعة، أو حق الجماعة على الفرد، وهو حركة الحق في اتجاه النمو، ومحاصرة الباطل، وما من أحد في المجتمع المسلم أصغر من أن يوصي بالحق، وما من أحد أكبر من أن يصغي إلى الحق وهو يُسدى إليه، وإذا كان التواصي بالحق ضرورة للنهوض به وتوسيع رقعته، فإن التواصي بالصبر ضرورة للحفاظ عليه ومنع انكماشه وتراجعه.

## ٦ ـ في القرآن الكريم إشارات لطيفة ودقيقة إلى قيمة الوقت في حياة الإنسان:

في القرآن الكريم إشارات لطيفة ودقيقة إلى قيمة الوقت في حياة الإنسان، وحضٌ على الاستفادة منه، ونهيٌ عن الغفلة والتسويف وما كلمات ( سارعوا ) و( سابقوا ) إلا تأكيد لهذه المعاني، قال تعالى:

**( وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ )**

( سورة البقرة )

تُشير هذه الآية إلى أن وجهة الإنسان الصحيحة، أو المنحرفة، ومواقفه المشرفة، أو غير المشرفة، وأعماله الصالحة أو الطالحة هي من كسبه وحده:

**( وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ )**

( سورة البقرة )

وسوف يُسأل عنها ويُجازى عليها، قال تعالى:

**( فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٩٢)عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ )**

( سورة الحجر )

وإن هذه الحرية في الكسب، هي التي تثمّن عمله، إذ لولاها لما كان لأعماله من قيمة، ولما سعد بها وهذه الحرية في الكسب التي هي سر سعادته، فرصة ثمينة لا تتكرر، ولا تُعوض، مرتبطة بعمر الإنسان، وتنتهي بالموت، لذلك أكدها ربُنا بكلمتين الأولى:

**( فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ )**

والثانية:

**( أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا )**

تنتهي حرية الكسب، ويختم العمل ليجازى الإنسان.

## خصائص الوقت :

هذا الوقت الذي هو رأسمال الإنسان، له خصائص منها:

## ١ ـ سرعة انقضائه:

فهو يمر مرّ السحاب، ويجري جري الرياح، سواء أكان زمن مسرةٍ أو فرح، أم كان زمن اكتئاب وترح، وإن كانت أيام السرور تمرُ أسرع، وأيام الهموم تسير أبطأ، لا في الحقيقة، ولكن في شعور صاحبها، ومهما طال عمر الإنسان، فهو قصير، مادام الموت نهاية كل حي.

وعند الموت تنكمش الأعوام والعقود، حتى لكأنها لحظات كالبرق الخاطف، قال تعالى:

**( وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ )**

( سورة يونس )

## ٢ ـ ما مضى منه لا يعُود ولا يُعوّض:

ومن خصائص الوقت أن ما مضى منه لا يعود ولا يُعوض، قال الحسن البصري: " ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا بن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة ".

ولما كان الوقت سريع الانقضاء وكان ما مضى منه لا يرجع ولا يعوض كان الوقت أنفس وأثمن ما يملك الإنسان، وترجع نفاسة الوقت إلى أنه وعاء لكل عمل، فهو رأسمال الإنساني الحقيقي، إنه الحياة من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة، قال الحسن البصري: " يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم ذهب بعضك ".

## موقفان خطيران: ساعة الاحتضار، اليوم الآخر:

ومن جهل قيمة الوقت فسيأتي عليه حينٌ يعرف قيمته ونفاسته، ولكن بعد فوات الأوان، وقد ذكر القرآن موقفين يندم فيهما الإنسان على ضياع وقته، حيث لا ينفع الندم:

الموقف الأول: ساعة الاحتضار، حين يودع الدنيا، ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو مُنح مهلة من الزمن وأخر إلى أجل قريب، ليُصلح ما أفسد، وليتدارك ما فات.. قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ(٩)وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنْ الصَّالِحِينَ(١٠)وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ )**

( سورة المنافقون )

ويأتي الرد على هذه الأمنية الفارغة قاطعاً ومانعاً، بقوله تعالى:

**( وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ )**

( سورة المنافقون )

الموقف الثاني: في الآخرة، حيث تُوفى كل نفس ما عملت، وتُجزى بما كسبت، ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النارَ، هناك يتمنى أهل النار لو يعودون إلى دار التكليف، ليعملوا عملاً صالحاً، ولكن هَيهات هيهات، فقد انتهى زمن العمل، وجاء زمن الجزاء، يقول تعالى:

**( وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ(٣٦)وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ )**

( سورة فاطر )

## القرآن يحذر من الغفلة والتسويف:

والقرآن يحذر من الغفلة أشد التحذير، قال تعالى:

**( وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ )**

( سورة الأعراف )

وآفة أخرى هي التسويف، قال الحسن البصري رحمه الله: **" إياك والتسويف، فإنك بيومك، ولست بغدك، فإن يكن غدٌ لك فكن في غد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غد لن تندم على ما فرطت في اليوم ".**

وقيل لعالم: أوصنا، قال: **" احذروا ( سوف ) فهي جند من جنود إبليس ".**

**تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جنّ ليل هل تعيش إلى الفجـر**
**فكم من سليم مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر**
**وكم من فتى يُمسي ويُصبح آمناً وقد نُسجت أكفانه و هو لا يـدري**

***

عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

**(( لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ))**

[ رواه الحاكم وصححه ]

***

## الخطبة الثانية:

## طول العمر:

### ١ ـ طول العمر مع العمل الصالح نعمة من الله:

أكثر الناس يدعون لمن يحبونهم، أو لمن يُسدي لهم معروفاً، يدعون له بطول العمر، وهل يطول العمر ؟ وإذا كان العمر يطول فما الذي يطيله ؟

إن الإنسان مفطور على حب وجوده، وعلى سلامة وجوده، وعلى كمال وجوده، وعلى استمرار وجوده، قال تعالى:

**( قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ )**

( سورة البقرة )

والدين نفسه يعدّ طول العمر نعمة إذا اقترن بالعمل الصالح، فقد سُئل النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( أيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ فقالَ: طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ ))**

[ رواه الترمذي عن عبد الله بن بسر، وقال: حديث حسن ]

### ٢ ـ العمر محدود، والموت ينغص على الإنسان حياته:

لكن الموت ينغص على الإنسان حياته، فكثيراً ما يختطف الشاب، وهو في ريعان شبابه، والعروس ليلة زفافها، والوحيد لمدلل من بين يدي أهله، والغني المترف من أحضان نعمته، والقوي المرهوب من بين يدي خدمه وحشمه، لهذا سُمي الموت هادم اللذات، مُفرّق الأحباب، مُشتت الجماعات، وفي الحديث الشريف عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيه وسَلّم: قَالَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

**(( يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ لَاقِيهِ))**

[ قال العجلوني في كشف الخفاء: رواه أبو الشيخ وأبو نعيم والحاكم وصحح إسناده، وحسنه العراقي]

ولم يصل الطب الذي وصل إلى زرع قلب مكان قلب، ولا العلم الذي وصل بالإنسان إلى سطح القمر أن يُقاوم الهرم، ويُعيد إلى الشيخ الشباب بعد أن رُدَّ إلى أرذل العمر، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً ))**

[ أخرجه البخاري ]

إذاً: فما دام عمر الإنسان محدوداً بهذه الصورة فأنى له أن يُطيله ؟ وكيف يستطيع ؟

## ٣ ـ عمر الإنسان الحقيقي هو حجم عمله الصالح الخالص:

الحقيقة أنه ليس عمر الإنسان الحقيقي هو تلك السنوات التي يعيشها الإنسان من يوم ولادته إلى يوم وفاته، إن عمره الزمني أتفه أعماره، إنما عمره الحقيقي هو حجم العمل الصالح الخالص لله عز وجل.

قال صاحب الحكم: **" رُبّ عُمُرٍ اتّسعت آماده، وقلّت أمداده، ورُبّ عُمُرٍ قليلةٌ آماده، كثيرة أمداده، ومن بورك له في عمره، أدرك في يسير من الزمن من المنن ما لا يدخل تحت دائرة العبارة، ولا تلحقه وَمضة الإشارة ".**

لهذا ورد في بعض الأدعية:

**(( لا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله علماً، ولا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله قرباً ))**

[ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، و]

فالإنسان يستطيع أن يُطيل عمره بمقدار ما يُوفقُ إليه من عباده الله تعالى، والإحسان إلى خلقه، وكلما توافر لعمله الإخلاص والإتقان كان الأجر والفضل أعظم عند الله.

وكلما اتسعت رقعة العمل فشملت أعداداً كبيرة من البشر حتى دخلت فيه الأمم والشعوب، وكلما امتد أمد العمل، وطال حتى توارثت ثماره أجيال وأجيال، وكلما تغلغل العمل في كيان الإنسان كله المادي والنفسي والاجتماعي والروحي، حتى تحقق به وجود الإنسان وتألقت من خلال إنسانيته، وكان كما أريد له أن يكون إذاً كلما اتسعت رقعة العمل وعمّ خيره وطال أمده، واشتد تأثيره كان أعظم عند الله.

النبي صلى الله عليه وسلم أخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن دركات الجاهلية إلى أعلى مراتب الإنسانية، وغير وجه التاريخ البشري كله، إلى اليوم وإلى ما شاء الله، في ثلاث وعشرين سنة أقام فيها دينا جديداً، وربى عليه جيلاً فريداً، وأنشأ أمة مثالية، وأسس دولة عالمية في هذا الزمن اليسير، على الرغم من كل الصعوبات والمعوقات التي اعترضت سبيله من أول يوم.

## العمل الصالح تزداد أهميته بالمعوقات وفساد المجتمعات:

ويزداد ثقل العمل في ميزان الحق، وتتضاعف قيمته ومثوبته عند الله كلما كثرت المعوقات في سبيله، وعظمت الصوارف عنه قلّ المُعين عليه.

ويزداد ثقل العمل في ميزان الحق وتتضاعف قيمته ومثوبته عند الله حينما تفسد المجتمعات، وتضطرب الأحوال، فيجور الأمراء، ويتجبر الأقوياء، ويترف الأغنياء، ويداهن العلماء، وتشيع الفاحشة، ويظهر المنكر، ويختفي المعروف، عَن مَعْقِلِ بْن يَسَارٍ عَن النَّبِيِّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ:

**(( الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيّ ))**

[ أخرجه مسلم، والترمذي ]

## ٤ ـ للإنسان أن يطيل عمره بعد موته:

وهنا محلُّ الإشارة إلى أن الإنسان إذا رُزق التوفيق في إنفاق وقته يستطيع أن يُطيل عمره إلى ما شاء الله بعد موته، فيحيا وهو ميت، ويؤدي رسالة وهو تحت التراب، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ:

**(( إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ))**

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

وفي حديث آخر تضمن تفصيلات لهذه الثلاث، فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**(( إِنّ مِمّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ))**

[رواه ابن ماجه، وابن خزيمة في صحيحه ]

وأخرج مسلم في صحيحه:

**(( مَنْ سَنّ فِي الْإِسْلَامِ سُنّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ))**

[رواه مسلم، والنسائي عن جرير ]

ويلٌ لمن انقضت آجالهم وآثامهم باقية من بعدهم:

وويل لمن انقضت آجالهم وضلالاتهم وآثامهم باقية من بعدهم، وهنيئاً لمن كانوا تحت الثرى، والناس مهتدون بهديهم سعداء بأعمالهم.

يقول الإمام علي كرم الله وجهه: **<< إنه ليس شيء شر من الشر إلا العقاب، وإنه ليس شيء خير من الخير إلا الثواب، وكل شيء في الدنيا سماعه خير من عيانه، وكل شيء في الآخرة عيانه أعظم من سماعه، فليكفكم من العيان السماع، ومن الغيب الخبر، واعلموا أن ما نقص من الدنيا، وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة، وزاد في الدنيا، فكم من منقوص رابح، وكم من مزيد خاسر، واعلموا أن الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه، وما أحل لكم أكثر مما حُرم عليكم، ذروا ما قل لما كثر، وما ضاق لما اتسع وقد تُكُفِّل لكم بالرزق، وأمرتم بالعمل، فلا يكن المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم، فبادروا العمل، وخافوا بغتة الأجل >>.**

[ نهج البلاغة ]

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٢٧) : خ١ - أحكام الحج ، خ٢ - الإعجاز العلمي في قوله تعالى من كل فج عميق.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠٤-٣٠

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## الحج:

### ١ ـ الحج فرض عين:

إخوة الإيمان في دنيا العروبة والإسلام، يقول الله جل جلاله:

**( إِنّ أَوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلّذِي بِبَكّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ(٩٦)فِيهِ آيَاتٌ بَيّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ )**

( سورة آل عمران )

الحج فرض عين على كل مسلم ومسلمة، بالغ، عاقل، حر مستطيع، مرةً في العمر كله، يُكفّر جاحده، ويُفسّق تاركه، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فعَنْ عَلِيّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**(( مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تُبَلّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللّهِ وَلَمْ يَحُجّ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًا أَوْ نَصْرَانِيًا، وَذَلِكَ أَنّ اللّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ( وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ) ))**

[ رواه الترمذي، وقال: في إسناده مقال ]

### ٢ ـ الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام:

وهو الركن الخامس من أركان الإسلام، الذي عُلم من الدين بالضرورة، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**(( بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ، وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللّهِ، وَإِقَامِ الصّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزّكَاةِ، وَالْحَجّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ))**

[ رواه البخاري، ومسلم ]

## ٣ ـ الحج واجب في العمر مرة واحدة:

والحج عبادة قولية، وقلبية، وبدنية، ومالية، وشعائرية، تؤدى في أمكنة مُخصصة، وفي أزمنة مُخصصة، وبأعمال مُخصصة، وإذا كانت الصلاة تتكرر في اليوم الواحد خمس مرات، وفريضة الجمعة تؤدى كل أسبوع، وفريضة الصوم تؤدى في العام شهراً، فإن فريضة الحج تجب في العمر كله مرة واحدة، لقوله صلى الله عليه وسلم:

**(( الْحَجُّ مَرَّةٌ فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ ))**

[أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد ]

## ٤ ـ الحج رحلة خالصة إلى الله:

الحج رحلة إلى الله.. فقد شاءت إرادته، لحكمة مطلقة، مراعاة للنزعة المادية في كيان الإنسان، أن يضع للناس في الأرض بيتاً له يُمكِّن المؤمنين به، من أن يعبروا من خلال إتيانه، من كل فج عميق أن يُعبّروا عن حبهم لله، وشوقهم إليه، فالمؤمن يؤكد من خلال قصده البيت الحرام، مُلبياً دعوة ربه، أن الله أحب إليه من أهله، وولده، وماله، وعمله، وبلده، والناس أجمعين، فيتحمل نفقات الحج التي ربما كانت باهظة، ويتحمل ترك الأهل، والولد الذي ربما كان صعباً، ويتحمل ترك العمل والكسب الذي ربما كان أثيراً، كل ذلك حُباً لله وطمعاً بالقرب منه.

## خصوصية مكان بيت الله الحرام:

وشاءت حكمة الله، أن يكون بيته الحرام، في المنطقة الحارة من الأرض، وفي وادٍ غير ذي زرع، ليكون واضحاً لدى الحجاج أن الاتصال الحقيقي بالله، يحقق للمرء سعادة، يستغني بها عن كل الشروط المادية، التي يتوهم أنها سبب سعادته، وأن سعادة الإنسان تنبع من داخله، لا مما يحيط به نفسه من ألوان النعيم.

ولو كان بيت الله الحرام في المنطقة المعتدلة من الأرض حيث الجبال الخضراء، والمياه العذبة، والبحيرات الصافية، والبساتين الغناء، والجو اللطيف، والنسيم العليل، وكان الحج على مدار العام دفعاً للازدحام، لأقبل كل الخلق على أداء الفريضة الممتعة طلباً للاستجمام، لا حُبًّا بخالق الأكوان، قال تعالى:

**( رَبّنَا إِنّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرّيّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرّمِ رَبّنَا لِيُقِيمُوا الصّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثّمَرَاتِ لَعَلّهُمْ يَشْكُرُونَ )**

( سورة إبراهيم )

## ٥ ـ أشياء يحرم فعلُها على المُحرِم:

وفضلاً عن موقع البيت الحرام، وعن طبيعة الجو فيه، فإن الحاج المحرم يُحظر عليه لُبس المخيط من الثياب، ويُحظر عليه التطيب بكل أنواع الطيب، ويُحظر عليه الحلق والتقصير، ويُحظر عليه مقاربة المتع المباحة خارج الحج، كل ذلك ليُحكم اتصاله بالله، وليسعد بقربه وحده بعيداً عن كل مداخلة من مُتع الأرض، ليتحقق الحاج أنه إذا وصل إلى الله وصل إلى كل شيء، وأن الدنيا كلها لا يمكن أن تُسعد الإنسان، ولينطلق لسانه بشكل عفوي قائلاً: يا رب، ماذا فقد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟..

## مجمل القول:

ومجمل القول: إن الحج عبادة قوامها اتصال متميز بالله عز وجل، وثمنه التفرُّغ التام، إذا لا يُؤدى إلا في بيت الله الحرام، إذاً لا بد من مغادرة الأوطان، وترك الأهل والخلاّن، وتحمُّل مشاقّ السفر، والتعرض لأخطاره، وإنفاق المال ابتغاء مرضاة الله، وإذا صحَّ أن ثمن هذه العبادة باهظ التكاليف، فإنه يصحُّ أيضاً أن ثمارها باهرة النتائج.

## ثمار الحج:

## ١ ـ مغفرة الذنوب:

قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم عَنْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**(( مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ))**

وإن الحج يهدم ما كان قبله، وإن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

## ٢ ـ الحجاج والعُمّار وفد الله:

والحجاج والعُمّار وفد الله إن دَعَوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ دُونَ الْجَنَّةِ ))**

عن بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ ، رَضِيَ الله عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيه وسَلّم:

**(( النّفقةُ فِي الْحَجّ، كَالنّفقةِ فِي سَبِيلِ الله سبْعِمِئَة ضعْف ))**

[ أحمد ]

## ماذا على المسلم فعْلُه قبل الحج حتى يُقبل منه ؟

ولكي تؤدى هذه العبادة العظيمة على نحو يقبلها الله، ويرضى عنها، ولئلا يُنفق الإنسان المال الكثير، والوقت الثمين، ويتجشم المشاقّ، ثم لا تُقبل حجته، ويُقال له: لا لبيك ولا سعديك، وحجك مردود عليك، لئلا تضيع حجته سدى:

### ١ ـ التوبة إلى الله:

عليه أن يتوب قبل الذهاب إلى الحج، من كل الذنوب والآثام، كبيرها وصغيرها، جليلها وحقيرها.

### ٢ ـ أداء حقوق الناس وردّ المظالم:

فيجتنب كل كسب حرام، وكل علاقة متلبسة بالآثام، عليه أن يؤدي الحقوق التي عليه بالتمام والكمال، وبخاصة تلك الحقوق المتعلقة بالخلق، لأن حقوق العباد مبنية على المشاححة، بينما حقوق الله مبنية على المسامحة، عليه أن يؤدي الحقوق، ويُقلع عن الذنوب.

### ٣ ـ عقدُ العزمِ على ألا يعود إلى الذنوب والمظالم بعد الحج:

وأهمّ من هذا أن يعقد العزم على ألا يعود إليها بعد الحج، وإلا أصبح الحج من الطقوس لا من العبادات، فمن الخطأ الكبير، والوهم الخطير، أن يظن الحاج أن الحج يهدم كل ما قبله من الذنوب، وفيه تُغفر كل خطيئة، وقد اتُفق على أن الأحاديث الشريفة التي تبين أن الحاج يعود من الحج كيوم ولدته أمه، وقد غُفرت ذنوبه كلها، هذه الذنوب التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم هي الذنوب التي بين العبد وربه حصراً، أما الذنوب التي بينه وبين الخلق، وأما الحقوق التي في ذمته، وأما الواجبات التي قصّر في أدائها ؛ فهذه لا تسقط، ولا تُغفر إلا بالأداء أو المسامحة، فالذنوب ثلاثة ؛ ذنب لا يُغفر وهو الشرك، وذنب لا يُترك، وهو ما كان بين العبد والخلق، وذنب يُغفر وهو ما كان بين العبد وربه.

## مشاعر الحج:

قال تعالى:

**( إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ )**

( سورة البقرة )

### ١ ـ معنى المشاعر:

وقد ورد في معاجم اللغة أن الشعائر هي المعالم والمناسك، أي: الأعمال التي يُؤمر بها الحاج في تلك الأماكن، ومفردها ؛ شعيرة وفي قوله تعالى:

**( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنْ الضَّالِّينَ )**

( سورة البقرة )

والمَشعر: المَعْلَم الظاهر، وجمعها " مشاعر "، والمشاعر المقدسة هي الأماكن المقدسة.

والآن ألا ينبغي للحاج، وهو في المشاعر المقدسة، أن يشعر بمشاعر مقدسة ؟

### ٢ ـ مشاعر الحج شعور المحب مع محبوبه:

ألا ينبغي للحاج وهو في بيت الله الحرام يطوف حول الكعبة، أن يشعر بمشاعر المحب، يطوف حول محبوبه.

وأن يشعر وهو يسعى بين الصفا والمروة بمشاعر الساعي المشتاق لمطلوبه ؟

ألا ينبغي للحاج أن يشعر وهو يفاوض الحجر الأسود بمشاعر التوبة والإنابة ؟

ألا ينبغي للحاج أن يشعر وهو في عرفات أن يشعر بروعة اللقاء ونشوة الاتصال.. ألا ينبغي للحاج أن يشعر وهو ينحر الأضاحي أنه ينحر شهوته التي تحجبه عن ربه ؟

ألا ينبغي للحاج أن يشعر وهو يرجم الشيطان، أن الرجم تعبير يرمز إلى معاداة الشيطان الأبدية ؟

ألا ينبغي للحاج أن يشعر وهو في الروضة الشريفة أنه في روضة من رياض الجنة ؟

مجمل القول: ينبغي للحاج وهو يؤدي نسك الحج في المشاعر المقدسة أن يشعر بمشاعر مقدسة، تتنوع بتنوع الأمكنة وتنوع النسك، فكل منسك له شعوره الخاص، وهذا الشعور هو محصلة إيمانه.

## سقوط القيم المادية في الحج:

في حياة الإنسان الشارد قيم مادية طاغية هي بشكل أو بآخر موازين غير صحيحه، يوزن بها الإنسان في المجتمع المادي، كالمال، والقوة والوسامة، والذكاء.. وهي قيم مضللة، تحجب الإنسان عن حقيقته الإنسانية، وعن رسالته الربانية، تحجبه عن سر وجوده، وغاية وجوده، وعن مصيره الأبدي، وحينما يرحلُ الإنسان من حياته الدنيا الفانية إلى حياته الأخرى الباقية، يُصعَق حينما تنهار أمامه القيم المادية، وتتعطل الموازين غير الصحيحة، وتسقط الأقنعة المزيفة، وتنزاح الحجب المضللة، كل هذا بعد فوات الأوان، يُصعق حينما لا يُقيم عمله وفق مدى معرفته بربه، ومعرفته بمنهج ربه، واستقامته على منهج ربه، وبحجم أعماله الصالحة التي نفع بها الخلق، ولئلا يُصعق الإنسان في رحلته الأخيرة، فرض الله الحج على المستطيع، وهو الموسر ليكون رحلة إلى الله قبل الأخيرة، فلعله يستعد من خلال دروسها البليغة للرحلة الأخيرة.

يأتي الحاج المستطيع إلى بيت الله الحرام، حاسرَ الرأس، بادي القدمين، مشتمل الإزار، مجرداً من الثياب التي يُعبّر بها الإنسان في أكثر الأحيان عن غناه المادي، أو عن مرتبته الاجتماعية، أو عن منصبه الرفيع، لقد نزع الحاج ثيابه، ونزع معها أقنعة المال، والجاه والسلطان يأتي البيت الحرام ليطوف، ويسعى فلا يجد أمكنة لعلية القوم، وأخرى لسوقتهم، إنه مكان واحد يطوف فيه الغني والفقير، والأمير والخفير، والقوي والضعيف، في بيت الله الحرام تزول الفوارق بين البشر، وتتحقق المساواة بين الخلق، ولا يبقى من المرجحات إلا مرجحٌ واحد، وهو التقوى، لقوله تعالى:

**( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ )**

( سورة الحجرات )

التجرد والمساواة سِمَتان بارزتان في الحج، فيهز الحاجَ جلالةُ الموقف، ويغمر قلبَه الخشوعُ، وتفيض بالدمع عيناه، ويتوجه إلى الله داعياً متضرعاً، تائباً مستغفراً، وهو يرى الجموع الحاشدة، وقد لُفّت أبدانُها بأقمشة بيضاء بشبه الأكفان، يذكِّره هذا الموقف بيوم القيامة حيث يقوم الناس لرب العالمين.

حقاً إن الحج رحلة قبل الرحلة الأخيرة تُذكِّر الحاج بالرحلة الأخيرة.

## الاستطاعة أصلٌ في فرضية الحج:

والاستطاعة التي وردت في الآية، التي تعد أصلاً في فرضية الحج، وهي قوله تعالى:

**( فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ )**

( سورة آل عمران: الآية ٩٧ )

## ١ ـ استطاعة الحج عامة:

هي استطاعة بدنية ومالية وأمنية، فالمسلم الذي لا يقوى جسمه على تحمُّل أداء مناسك الحج بَغَلبة يقينية، أو بإخبار طبيب متخصص مسلم حاذق ورع، يُجزئه أن يُكلِّف من يحج عنه في حياته، أو يوصي بحجة بدل بعد مماته، وفق أحكام هذا النوع من الحج، والمسلم الذي لا يملك المال الكافي الذي يغطي نفقات الركوب بأنواعها، ونفقات السكن في مكة والمدينة، وثمن الطعام والشراب، فضلاً عن نفقات أهله وولده في غيبته ليس مستطيعاً.

## ٢ ـ لا ينبغي للمسلم غير المستطيع اللجوء إلى طرق ملتوية للحج:

لا ينبغي للمسلم غير المستطيع أن يبذل ماء وجهه من أجل جمع نفقة الحج، ولا أن يسلك المسالك الملتوية من أجل أن يحصل على نفقة الحج، فإنه في الأصل ليس مستطيعاً، ولا حج عليه. وحينما يقرر أولوا الأمر في ديار المسلمين أن يعتمدوا نظاماً يُتيح لمن لم يحج أن يحج، ويَمنع من حج حجة الفريضة قبل أقل من خمس سنوات أن يحج، حينما يكون الباعث على هذا التنظيم إفساح المجال للمسلمين الذين لم يحجوا حجة الفريضة أن يؤدُّوها بيسر وطمأنينة، فلا ينبغي للمرء أن يرتكب معصية ليحج حجة نافلة، فالمسلم الذي لم يُسمح له أن يحج لا يُعَدُّ مستطيعاً.

## ٣ ـ لا بد أن يكون مال الحج طيباً حلالاً:

وما دام الحج من العبادات المالية التي تستوجب إنفاق المال فلا بد في المال الذي سينفقه الحاج في هذه الفريضة من أن يكون مالاً طيباً وحلالاً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( أَيُّهَا النَّاسُ، إِنّ اللّهَ طَيّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلّا طَيّبًا... ))**

[ أخرجه مسلم ]

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

**(( إذا خرج الحاج حاجاً بنفقة طيبة ووضع رجله في الغَرز ـ ركاب الدابة ـ فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه منادٍ في السماء: لبيك وسعديك زادُك حلال، وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة، فوضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه منادٍ من السماء: لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور ))**

[ رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ]

وبما أن الحج فريضة فرضها الله على المستطيع، والفقيرُ ليس مستطيعاً، فلا ينبغي للفقير أن يقترض ليحج، فعن عبد الله بن أبي أوفى قال:

(( سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يحج أوَ يستقرض ؟ قال: لا))

[رواه البيهقي]

والمدين لا تُقبل حجته إلا بموافقة دائنه.

## ينبغي اجتناب الوقوع في محظورات الحج:

وبما أن عبادة الحج فرضها الله على المستطيع في العمر كله مرة واحدة، فإنْ أخلّ الحاج في مناسكها، فلم يؤدِ ركناً، أو نسي واجباً، أو ترك سنّة، أو حرص على سنة أدّت إلى انتهاك حرمة، أو اقتراف معصية، أو فعل محظوراً فقد أبطل حجه، أو لَزمه الدمُ، أو أساء، أو قصر، أو ترك الأولى، إنْ فعل هذا فقد ضيّع فرصة فريدة لا تتكرر، فرصة لمغفرة ذنبه، واستحقاقه جنة ربه، كل هذا بسبب الجهل الذي هو أعدى أعداء الإنسان، فالجاهل يفعل بنفسه ما لا يستطيع أن يفعله عدوه به، لذلك نقول: أيها الحجاج ؛ تفقهوا قبل أن تحجوا، فعالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، وقليل من الفقه خير من كثير من العبادة، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، وكما أن انتظار الصلاة يُعَدّ من الصلاة، كذلك الإعداد الفقهي للحج من الحج، فكم من حاجّ أهمل التفقّه قبل الحج، وعاد من الحج، ولم يطف طواف الركن، فبطل حجُه، وكم من حاج اجتاز الميقات المكاني، غير محرم فلزمه الدم، وكم من حاج فعل محظورات الإحرام وهو يحسب أنه يُحسن صنعاً.

## هل الحاج تكرار الحج ؟

### ١ ـ يجوز تكرار الحج لمن استوفى الشروط:

من فقه الرجل أن يتحرك في حياته وفق سُلّم للأوليات، فإذا أدى حجة الإسلام وهي حجة الفريضة، وتاقت نفسه إلى أن يحج مرة ثانية وثالثة، وكان مستطيعاً بماله وبدنه، وموافقة أولي الأمر له، ولم يسهم من خلال تصريح غير مطابق للواقع في حرمان مسلم من حجة الفريضة، وكان قد أدى كل ما عليه من واجبات تجاه والديه، وأولاده، وإخوته، وأخواته، وأصدقائه، وجيرانه، فلا عليه أن يحج ثانية وثالثة ورابعة، فالحج جهاد لا شوكة فيه، وهو جهاد الكبير والمرأة والضعيف، وقد ورد في الحديث القدسي عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىّ حَدِيثًا يَرْفَعُهُ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزّ وَجَلّ:

**(( إنّ عَبْدًا أصْحَحْتُ جِسْمَهُ، وَأوْسَعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ تَأتِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أعْوَامٍ لَمْ يَفِدْ إلَيّ لَمَحْرُومٌ ))**

[ البيهقي في السنن الكبرى، وانظر الجامع الصغير للسيوطي]

## ٢ ـ تزويج الابن الذي يغشى عليه الانحراف أولى من حج النفل:

لكن حينما يحج المسلم حجة الفريضة، وله ولد في سن الزواج، ويخشى عليه الانحراف فالأولى أن يزوّجه بدل من أن يحج حجة النفل، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، وأن الله لا يقبل نافلة أدّت إلى ترك واجب.

ومن يُؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثراً، ومن أدعية النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( اللهم حجة لا سُمعة فيها ولا رياء ))**

[ الجامع الصغير عن أنس، وسنده صحيح ]

ومعنى هذا أن من انحراف الحاج أن يبتغي من حجه السمعة والرياء.

## ٣ ـ إعانة الفقراء وذوي الحاجات أولى من حج النفل:

قال ابن كثير: خرج عبد الله بن المبارك إلى الحج، فاجتاز ببعض البلاد، فمات طائرٌ معهم، فأمر بإلقائه في قمامة البلدة، وسار أصحابه أمامه، وتخلف هو وراءهم، فلما مر بالقمامة إذا بجارية قد خرجت من دار قريبة، وأخذت ذلك الطائر الميت، ثم أسرعت به إلى الدار، فجاء ابن المبارك، وسألها عن أمرها، وأخْذها الطائرَ الميت، واستحيت أولاً، ثم قالت: أنا وأمي هنا، وليس لنا شيء إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يُلقى على هذه القمامة، وكان لنا والد ذو مال عظيم، أُخذ ماله، وقتل لسبب أو بآخر، ولم يبق عندنا شيء نتبلغ به، أو نقتات منه، سمع ذلك ابن المبارك فدمعت عيناه، وأمر برد الأحمال والمؤونة، وقال لوكيله: كم معك من النفقة، قال: ألف دينار، فقال له: أبق لنا عشرين ديناراً تكفينا لإيابنا، وأعط الباقي إلى هذه المرأة المصابة، فوالله لقد أفجعتني بمصيبتها. يقول ابن المبارك: وإن هذا أفضل عند الله من حجنا هذا العام، ثم قفل راجعاً، ولم يحج، واعتقد أن هذه الصدقة فوق الحج المبرور، والسعي المشكور.

وسأل رجل ذا النون المصري قائلاً له: عندي مائة درهم أأحج بها أم أتصدق ؟ قال ذو النون: أحَجَجْتَ الفرض ؟ قال: نعم، قال: إن قسمتها على عشرٍ من العائلات الفقيرة، وأعطيت كلاً عشرة دراهم كان ذلك خيراً عند الله من حجة النفل، فإن شئت فاسمع مني ما أقول، ففعل الرجل، وتصدّق بالمال.

## من الإعجاز العلمي في آية الحج: مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

بقيت إشارة لطيفية إلى نوع من الإعجاز العلمي في آية الحج، وهي قوله تعالى:

**( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ )**

( سورة الحج )

أي من كل فج بعيد، هذا هو المعنى، والسؤال، لمَ قال الله جل جلاله:

**( مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ )**

ولم يقل: من كل فج بعيد ؟

إن كلمة عميق تشير إلى خاصة في الأرض لم تكن معروفة يوم نزول القرآن.. ما الخاصة، وما نوع الإعجاز ؟

أيها الإخوة الأكارم، تأملوا في كلمة:

**( مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ )**

لمَ لمْ يقل ربنا: من كل فج بعيد ؟ فإن لم تهتدوا إلى الإجابة الصحيحة فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٢٨) : خ١ - الهجرة ، خ٢ - قصة سراقة بن مالك.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠٦-٢٥

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## مقدمة:

### ١ ـ وَمَا آتَاكُمْ الرّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، تتميز حياة النبي صلى الله عليه وسلم عن حياة العظماء من القادة والمصلحين بأن حياته صلى الله عليه وسلم كل ما فيها من أقوال، أو أفعال، أو إقرار، أو مواقف تعد قدوةً وتشريعاً، فقد عصمه الله جل جلاله عن الخطأ في أقواله، وفي أفعاله، وفي مواقفه، فهو لا ينطقُ عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، لذلك أمرنا الله جل جلاله بالأخذ عنه، قال تعالى:

**( وَمَا آتَاكُمْ الرّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتّقُوا اللّهَ إِنّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ )**

( سورة الحشر )

وجعل الله جل جلاله إتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وتطبيق سنته دليلا عمليا على محبة الله، قال تعالى:

**( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ )**

( سورة آل عمران )

### ٢ ـ مهمة النبي التبليغ والتبيين ومهمة القدوة والأسوة:

لهذا كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين مهمتان كبيرتان، مهمة التبليغ والتبيين، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الرّسُولُ بَلّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النّاسِ إِنّ اللّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ )**

( سورة المائدة )

والمهمة الثانية مهمة القدوة والأسوة، قال تعالى:

( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا )

( سورة الأحزاب )

## ٣ ـ ظروف النبي قبل الهجرة مقدّرة بعناية كبيرة:

أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان، إن الظروف التي أحاطت بالنبي صلى الله عليه وسلم، والأحداث التي واجهها هي ظروفٌ وأحداثٌ خُلقت، وقُدرت بعنايةٍ تامة، وبحكمةٍ بالغة، ليقف النبي صلى الله عليه وسلم منها الموقف الكامل الذي ينبغي أن يقفه الإنسان ليؤكد إنسانيته، وليحقق غاية وجوده، إن هذه الظروف وتلك الأحداث من شأنها أنها تكرر بسبب أن طبيعة النفس واحدة، قال تعالى:

( هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا )

( سورة الأعراف )

وبسبب أن معركة الحق والباطل، والخير والشر، والإيمان والكفر معركة قديمة ومستمرة، وأن الإنسان هو الإنسان في أي زمان ومكان، أنه يكرر نفسه في ارتفاعه وانحطاطه، في قوته وفي ضعفه، في إيمانه وفي كفره.

لذلك أيها الإخوة / كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الظروف التي أحاطت به، ومن الأحداث التي واجهته هو الموقف الذي يريدنا الله أن نقفه إذا أحاطت بنا مثل تلك الظروف، أو واجهتنا مثل تلك الأحداث.

## ٤ ـ الإنسان فطر على حب الأرض التي وُلِد فيها:

أيها الإخوة المؤمنون، أيتها الأخوة المؤمنات، والإنسان فطر على حب الأرض التي وجد فيها والتعلق بالمعالم التي لابست نشأته، حينما ينتزع الإنسان من بيئته التي ترعرع فيها، ويخرج من أرضه التي أحبها تتمزق نفسه، ويعظم همُّه، وربما آثر الموت على هذا الخروج الذي هو اقتلاع من جذوره، لذلك أشارت الآية الكريمة إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى:

( وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا )

( سورة النساء )

## ٥ ـ مهمة الإنسان عبادة الله:

هذا من جهة، ومن جهة ثانية، الإنسان مكلفٌ أن يعبد الله تعالى من خلال التعرف إليه، والتعرف إلى منهجه، ومكلف أن يعبد الله عز وجل من خلال أدائه فروض العبودية، من صيام، وصلاة،

وحج، ومن خلال التزامه بالأمر، والنهي، ومن خلال الأعمال الصالحة التي هي ثمن سعادته في الآخرة الأبدية، قال تعالى:

**( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ )**

( سورة الذاريات )

**( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ )**

( سورة البقرة )

## ٦ ـ الأرض التي تمنع المسلم من عبادة الله يجب الهجرة منها:

هاتان حقيقتان أساسيتان ينشأ عنهما معا أن الإنسان إذا وُجد في أرض حالت قوى الشر فيها بينه وبين أن يستجيب لنداء فطرته في عبادة ربه، وحالت بينه وبين أن يصغيَ لصوت العقل في تطبيق منهج خالقه، وكان هذا الإنسان من الضعف حيث لا يستطيع أن يقنع هذه القوى بالكف عنه، ولا أن يقف في وجهها فيلزمها ماذا يفعل ؟ أيخسر سعادته الأبدية من أجل النوازع الأرضية ؟ قال تعالى:

**( إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا )**

( سورة النساء )

هذا هو الجواب، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا هو المنطلق الفلسفي لهجرة النبي عليه الصلاة والسلام، ونحن في مناسبة الهجرة.

## الهجرة دروس وعبر:

## ١ ـ إيثار الجانب الأسمى على النوازع النفسية:

إخوةَ الإيمان في كل مكان، تُعَلِمنا الهجرة أولاً إن الإنسان إذا تنازعت فيه النوازع الأرضية، والنداءات السماوية عليه أن يُؤثِر الجانبَ الأسمى والأبقى، فلا أحدٌ يستطيع أن ينجيه من عذاب الله، ولا عذر له فيما يرديه.

## ٢ ـ هجران للباطل وانتماء للحق:

إن الهجرة في حقيقتها موقفٌ نفسي قبل أن تكون رحلة جسدية، إنها هجران للباطل وانتماء للحق، إنها ابتعاد عن المنكرات، وفعل للخيرات، إنها ترك للمعاصي، وانهماك في الطاعات.

## ٣ ـ انتقالٌ من دار الكفر إلى دار الإسلام:

ثم إنها فضلاً عن كل ذلك انتقالٌ من دار الكفر إلى دار الإسلام، قال عليه السلام فيما رواه البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ))**

[ البخاري ومسلم ]

## ٤ ـ باب الهجرة مفتوح:

يا أيها الإخوة المؤمنون، يا أيتها الأخوات المؤمنات، إذا كان باب الهجرة من مكة إلى المدينة قد أُغلق بعد الفتح، لقول النبي علية الصلاة والسلام:

**(( لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ... ))**

[ البخاري عن ابن عباس، ومسلم عن عائشة ]

فان باب الهجرة مفتوحٌ بين كل مدينتين تشبهان مكة والمدينة زمن الهجرة، بل إن أبواب الهجرة من مجتمع الكفر إلى مجتمع الإيمان مفتوحةٌ على مصاريعها إلى يوم القيامة، بل إن عبادة الله في زمن كثرت فيه الفتن، واستعرت فيه الشهوات، وعمّ فيه الفساد، إن عبادة الله المخلصة الصادقة في هذه الأجواء الموبوءة تُعد هجرة خالصة إلى الله ورسوله، عن مَعْقِلِ بن يسار رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

**(( العِبَادَةُ في الهَرْجِ ـ أي في زمن الفتن ـ كَهِجْرَةٍ إليّ ))**

[ رواه مسلم والترمذي ]

## ٥ ـ استحقاق التأييد الإلهي لا يعني التفريط في استجماع أسبابه:

أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان، وتعلمنا الهجرة ثانياً من خلال الخطة المحكمة التي رسمها النبي صلى الله عليه وسلم، أن استحقاق التأييد الإلهي لا يعني التفريط قيد أنملة في استجماع أسبابه، وتوفير وسائله، لقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم لهجرته خطةً محكمة، حيث كتم تحركه تضليلاً للمطاردين، واستأجر دليلاً ذا كفاءة عالية، واختار غار ثور الذي يقع جنوب مكة لإبعاد مظنة الوصول إليه، وحدد لكل شخص مهمة أناطها به، فمن واحد لتقصي الأخبار، وآخر لمحو الآثار وثالث لإيصال الزاد، ثم إنه بعد كل ذلك كلف سيدنا عليا كرم الله وجهه أن يرتدي برده، ويتسجى على سريره تمويها على المحاصرين الذين أزمعوا قتله.

إخوتي المؤمنين، لقد أعد النبي لكل أمرٍ عدتَه، ولم يدعْ مكاناً للحظوظ العمياء، لقد اتخذ الأسباب، وكأنها كل شيء في النجاح، ثم توكل على الله، لأنه لا قيام لشيء إلا بالله، إن هذه التدابير التي

اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم على كثرتها، ودقتها ليست صادرةً عن خوف شخصي، بل كانت طاعة لله عن طريق الأخذ بالقوانين التي قننها الله، وبالسنن التي سنها الله، وتشريعاً لأمته من بعده، ثم إنه في الوقت نفسه لم يعتمد عليها، بدليل أنه كان في غاية الطمأنينة حينما وصل المطاردون إليه، فعَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا فِي الْغَارِ:

**(( لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا ))**

[ متفق عليه ]

**(( مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا ))**

يا أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان، حينما فهم المسلمون الأوائل التوكل على الله هذا الفهم الصحيح، وبهذه الطريقة رفرفت راياتهم في مشارق الأرض ومغاربها، واحتلوا مركزاً قيادياً بين الأمم والشعوب، واليوم إذا أراد المسلمون أن ينتصروا على أعدائهم وما أكثرهم، وأن يستعيدوا دورهم القيادي بين الأمم لينشروا رسالة الإسلام الخالدة، رسالة الحق والخير والسلام، إذا أراد المسلمون ذلك فعليهم أن يستوعبوا جيداً هذا الدرس البليغ الذي علمنا إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال هجرته، ونحن نحتفل في هذه الأيام بذكرى هجرته صلى الله عليه وسلم. وملخص القول أن التوكل هو الأخذ بالأسباب من دون الاعتماد عليها، وافتقارٌ إلي تأييد الله، وحفظه، وتوفيقه من دون تقصير في استجماع الوسائل

## ٦ ـ من يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مُراغماً كثيراً وسعة:

إخوة الإيمان في كل مكان، وتعلمنا الهجرة من خلال النتائج الباهرة التي حققها المهاجرون، أنه من يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مُراغماً كثيراً وسعةً تُيَسر أموره، يحفظه الله عز وجل، يوفر الله له حاجاته، وأنه ما ترك عبد شيئاً لله عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه، وأنه من شغلته طاعةُ الله عن تحقيق مصالحه الدنيوية أعطاه الله خير الدنيا والآخرة، وقد ورد في الحديث القدسي:

**(( عبدي، أنت تريد، وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وان لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد ))**

[ تخريج إحياء علوم الدين ]

و:

**(( من آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً، ومن آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً ))**

[ ورد في الأثر ]

## قصة هجرة عقبة بن عامر الجهني:

يقول عقبة بن عامر الجهني أحد أصحاب رسول الله رضي الله عنه: **" قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا في الفلوات أرعى غنيمات لي، فما إن تناهى إلي خبر قدومه حتى تركتها، ومضيت إليه لا ألوي على شيء، فلما لقيته قلت له: يا رسول الله أتبايعني، فقال عليه الصلاة والسلام: فمن أنت، قلت: أنا عقبة بن عامر الجهني، قال: يا عقبة، أيهما أحب إليك أن تبايعني بيعة أعرابية أم بيعة هجرةٍ قلت: بل بيعة هجرة، وكنّا اثني عشر رجلاً ممن أسلموا نقيم بعيداً عن المدينة لنرعى أغنامنا في بواديها، فقال بعضنا لبعض: لا خير فينا، والله إذا نحن لم نقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد يوم ليفقهنا في ديننا، ويُسمعنا مما ينزل عليه من وحي السماء، فليمض كل يوم واحد منا إلى يثرب، وليترك غنمه لنا فنرعاها له، فقلت: اذهبوا أنتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً بعد آخر، وليترك لي الذاهب غنمه، لأني كنت شديد الإشفاق على غنيماتي من أن أتركها لأحد، ثم طفق أصحابي يغدو الواحد منهم بعد الآخر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويترك لي غنمه أرعاها له، فإذا جاء أخذت منه ما سمع، وتلقيت عنه ما فقه، لكنّني ما لبثت أن رجَعت إلى نفسي، وقلت لها: ويحك يا نفس، أمنْ أجل غنيمات لا تُسمن ولا تغني تفوّتي عليك صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأخذ عنه مشافهة من غير واسطة، ثم تخليت عن غنيماتي، ومضيت لأصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

[ كنز العمال ]

أيها الإخوة المؤمنون حضوراً ومستمعين، لم يكن عقبة بن عامر الجهني، يخطر له على بال حين اتخذ هذا القرار، قرار صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترك غنيماته، لم يكن يخطر له على بال حينما اتخذ هذا القرار الحاسم والحازم أنه سيغدو بعد عِقد من الزمان عالماً من أكابر علماء الصحابة، وقارئاً من شيوخ قرّائها، وقائداً من قوّاد الفتح المرموقين ووالياً من ولاة الإسلام المعدودين، ولم يكن يخطر له على بالٍ أيضاً، وهو يتخلى عن غنيماته، ويمضي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه سيكون طليعة الجيش الذي يفتح أمّ الدنيا وقتها دمشق، ويتخذ لنفسه داراً بين رياضها النضرة عند باب توما، ولم يكن يخطر له على بال أنه سيكون أحد القادة الذين سيفتحون زمردة البلاد مصر، وأنه سيغدو والياً عليها، ويتخذ لنفسه فيها داراً في سفح جبلها المقطن، وبعدها اشترك هذا الصحابي الجليل في قيادة حملة بحرية لفتح جزيرة رودس في البحر الأبيض المتوسط.

ماذا نقول ؟ لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، حينما قال:

**(( ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه ))**

[ ابن عساكر عن ابن عمر ]

وقد ورد في الحديث القدسي:

**(( مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ ))**

[ الترمذي عن أبي سعيد ]

## الهجرة في سبيل الشيطان:

### ١ ـ معالم الهجرة في سبيل الشيطان:

يا أيها الإخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، هذا عن الهجرة في سبيل الرحمن، فماذا عن الهجرة في سبيل الشيطان، موضوع آخر.

حينما يرفض المرء الحق وأهله، وينضم إلى الباطل وأهله، حينما يؤثر المرء الدنيا الفانية على الآخرة الباقية، حينما يفضل الرجل مصالحه على مبادئه وحاجاته على قيمه، حينما تكون الهجرة ابتغاء دنيا يصيبها الرجل، أو ابتغاء مال وفير يحصله على حساب مصيره الأبدي.

حينما تكون الهجرة بذلاً للخبرات والطاقات لغير بلاد المسلمين، حينما تكون الهجرة إضعافاً للمسلمين، وتقويةً لأعدائهم، حينما تكون الهجرة هروباً من تحمل المسؤولية، وفراراً من البذل والتضحية.

حينما تكون الهجرة تمكيناً للعدو من احتلال الأرض، واستثمار خيراتها.

حينما تكون الهجرة من بلد تقام فيه شعائر الدين إلى بلد فرغت منه كل القيم، وحينما تكون الهجرة تضييعاً للعرض والدين، وكسباً للدرهم والدينار فهي هجرة في سبيل الشيطان، وشتان بين الهجرتين.

### ١ ـ جبلة بن الأيهم مثال حيّ عن الهجرة في سبيل الشيطان:

أيها الإخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، لقد قدم جبلة بن الأيهم أحد ملوك الغساسنة على سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، معلناً إسلامه، وقد رحب به عمر أشد الترحيب، وأنزله منزلته، وفيما جبلة بن الأيهم، هذا الملك الغساني يطوف حول الكعبة داس بدوي من فزارة خطأً على طرف ردائه، فأزاحه عن كتفه، فالتفت جبلة إليه، وضربه ضربة هشّمت أنفه، فما كان من هذا البدوي من فزارة إلا أن يتجه إلى عمر بن الخطاب ليشكوا جبلة، فاستدعى عمر جبلة، وقال

له، يا ابن أيهم، جاءني هذا الصباح مشهد يبعث في النفس المرارة، بدوي من فزارة بدماءٍ تتظلم، بجراح تتكلم، مقلةٌ غارت، وأنف قد تهشّم، وسألناه، فألقى فادح والوزر عليك، بيديك.

أصحيح ما قاله هذا الفزاري الجريح ؟

قال جبلة: لست ممن ينكر أو يكتم شيًا، أنا أدّبت الفتى أدركت حقي بيدي.

قال عمر: أي حق يا ابن أيهم، عند غيري يقهر المستضعف العافي ويظلم، عند غيري جبهة بالإثم بالباطل تلطم، نزوات الجاهلية ورياح العنجهية، قد دفنّاها، وأقمنا فوقها صرحاً جديداً، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً.

يا جبلة أرض الفتى، لابد من إرضائه، ما زال ظفرك عالقاً بدمائه، أو يُهشمن الآن أنفك، وتنال ما فعلته كفك.

فقال جبلة: كيف ذاك يا أمير المؤمنين، هو سوقة،وأنا صاحب تاج كيف ترضى أن يخرّ النجم أرضاً، كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعزُّ، أنا مرتدٌّ إذا أكرهتني.

فقال عمر: عالم نبنيه كل صدع فيه بشبا السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى.

يا إخوة الإيمان في كل مكان، لقد ارتد جبلة عن الإسلام، وأخذته العزة بالإثم، وأبى أن يخضع لحكم الله، وتسلّل في جنح الظلام من المدينة مُتَّجهاً نحو الشمال، نحو أعداء المسلمين لينضم إليهم، ويمضي عمره بالمعاصي والآثام، وحينما دنا أجله، تقطع قلبه ندماً على ما فعل، فقد باع آخرته بدنياه، وقال بعض الأبيات:

**يا ليت أمي لم تلدني وليتنـــي رجعت إلى الأمر الذي قاله عمـر**

**ويا ليتني أرعى الشياه بقفــرة و كنت أسيراً في ربيعة أو مضـر**

**ويا ليت لي بالشام أدنى معيشـة أجالس قومي ذاهب السمع والبصر**

***

هذه هجرة في سبيل الشيطان، ولكن متى عرف الحقيقة، بعد فوات الأوان.

أيها الإخوة الأكارم، كل مخلوق يموت، ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت، الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر

**كل ابن أنثى وإن طالت سلامت ه يوماً على آلة حدباء محمولُ**

**فإذا حملت إلى القبور جنــازةً فاعلم بأنك بعدها محــمولُ**

***

لذلك حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخطبة الثانية:**

## قريش تتبع أثر النبي في الهجرة لقتله:

### ١ ـ سراقة بن مالك يريد أسرَ النبي طمعا في المال:

إخوة الإيمان في كل مكان، لا زلنا في موضوع الهجرة، بعد أن صعقت قريش حينما علمت أن محمداً صلى الله عليه وسلم خرج من مكة، أعلنت في القبائل أنه من يأتيها بمحمد صلى الله عليه وسلم حياً أو ميتاً، فله مائة من كرائم الإبل، وكان سراقة بن مالك فارساً من فرسان قومه المعدودين، طويل القامة عظيم الهامة بصيراً باقتفاء الأثر، صبوراً على أهوال الطريق، فلما سمع بالنوق المائة، اشرأبت إليها أطماعه، واشتد عليها حرصه، فلبس لأمته ـ أي درعه ـ وتقلد سلاحه، وامتطى جواده، وطفق يغذُّ السير ليدرك محمداً صلى الله عليه وسلم قبل أن يسبقه أحدٌ إليه، وإلى الجائزة، ومضى يطوي الأرض طياً.

### ٢ ـ عصمة الله لنبيّه:

سراقة بن مالك أدرك محمداً وصاحبه، فمد يده إلى قوسه، فجمدت في مكانها، لأنه رأى قوائم فرسه تسيخ في الأرض ـ أي تغوص ـ ويتصاعد الغبار من بين يديها، ويغطي عينيه وعينها، فالتفت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه، وقال بسوط ضارع: يا هذان، ادعوا لي ربكما ليطلق قوائم فرسي، ولكما علي أن أكف عنكما، فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم، فأطلق الله له قوائم فرسه، لكن أطماعه ما لبثت أن تحركت من جديد، فدفع فرسه نحوهما مرةً ثانيةً، فساخت قوائمها أكثر من ذي قبل، فاستغاث بهما مرةً ثانية، وقال إليكما زادي، وإليكما متاعي، وإليكما سلاحي فخذاه، ولكما علي عهد الله، أن أردّ عنكما من ورائي من الناس، فقالا له، لا حاجة لنا بزادك ومتاعك، ثم دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان ارحم الخلق بالخلق، دعا له ربه مرةً ثانية فانطلقت فرسه.

**( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ )**

( سورة المائدة )

هذه عصمة الله عز وجل.

## ٣ ـ النبيّ يبشِّر سراقة بن مالك بفتح مدائن كسرى:

ولما همّ سراقة بالانصراف قال له النبي صلى الله عليه وسلم: كيف بك يا سراقة إذا لبست سواري كسرى، قال سراقة كسرى بن هرمز صاحب القصر الأبيض في المدائن، قال عليه السلام كسرى بن هرمز ـ وكان من أقوى الأقوياء في عصره ـ ودارت الأيام دورتها فإذا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي خرج من مكة طريداً شريداً مستتراً بجنح الظلام مهدوراً دمه يعود إليها سيداً فاتحاً تَحُفُّه الألوف المؤلفة من بيض السيوف، وسمر الرماح، ويأتي سراقة النبي صلى الله عليه وسلم، ويعلن إسلامه بين يديه، ويتراءى له ذلك اليوم الذي هم فيه بقتل محمد صلى الله عليه وسلم من أجل مائة من النوق، وبعد أن أسلم أصبحت نوق الدنيا لا تساوي عنده قلامة من ظفر النبي صلى الله عليه وسلم.

ودارت الأيام دورتَها كرةً ثانية وآل أمر المسلمين إلى الفاروق عمر رضوان الله تعالى عليه، وفي ذات يوم من آخر أيام خلافته قَدِم على المدينة رُسُلُ سعد بن أبي وقاص، يبشرون عمر بالفتح، ويحملون إلى بيت مال المسلمين الغنائم، وكان من بين هذه الغنائم تاج كسرى المرصع بالدر، وثيابه المنسوجة بخيوط الذهب، ووشاحه المنظوم بالجوهر، وسواراه، وما لا حصر له من النفائس، نظر عمر إلى هذا كله في دهشة، وجعل يقلبها بقضيب كان بيده زهداً بها، ثم قال: إن قوماً أدوا هذا لأمناء، وكان في حضرته سيدنا علي كرم الله وجهه، قال يا أمير المؤمنين: أعجبت من أمانتهم، لقد عففت فعفوا، ولو رتعت لرتعوا، وهنا دعا الفاروقُ عمر سراقة بن مالك فألبسه قميص كسرى، ووضع على رأسه تاجَه، وألبسه سواريه، ثم قال عمر لسراقة: بخٍ بخٍ أعيرابي من بني مدلج على رأسه تاج كسرى، وفي يديه سواره، ماذا قال الله عز وجل ؟ قال الله:

**( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ )**

( سورة النور )

وقال تعالى:

**( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا )**

( سورة مريم )

## ٤ ـ اللبيب بالإشارة يفهم:

وفهمكم أيها الإخوة يغني عن كثرة الشرح، فلن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا.
لقد رويتُ لكم هذا القصة باختصار شديد نظراً لضيق الوقت، ولعل اختصاري لها، وتركي التفاصيل أخلّ بروعتها ودلالتها، فعودوا إليها مفصلة في كتب السيرة، ففيها دلائل كثيرة على صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى صدق وعد الله للمؤمنين بالاستخلاف والتمكين والتأمين.
أيها الإخوة المؤمنون روى أبو نعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله دعا ربه.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٢٩) : خ١ - الذكر ، خ٢ - التجاذب الحركي بين الكواكب والنجوم.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-١٠-١٥

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## مقدمة:

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، الله جل جلاله الذات الكاملة واجب الوجود، صاحب الأسماء الحسنى والصفات الفضلى، واحدٌ أحدٌ في ذاته، وفي أفعاله، وفي صفاته، خالق كل شيء، رب العالمين، لا إله إلا هو لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، فوق كل شيء، وليس تحته شيء، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، ليس بجسم، ولا صورة، ولا محدود، ولا متبعض، ولا متجزئ، ولا متناه، ولا متلون، لا يُسأل عنه بمتى كان، لأنه خالق الزمان، ولا بأين هو، لأنه خالق المكان، نوكل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك، علِم ما كان، وعلِم ما يكون، وعلِم ما سيكون، وعلِم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، لا يخفى عليه إغماض الجفون، ولا لحظ العيون، ولا ما استقر في المكنون، يحتاجه كلُ شيء في كل شيء، وهو غنيٌ عن كل شيء، لأنه متصف بالكمال التام في كل شيء، فلم يسبق وجوده عدم، ولم يلحق به فناء، وهو غني عن أن يمده بالبقاء أو النفع أحد، ذلكم الله ربكم خالق كل شيء، لا إله إلا هو فأنى تؤفكون.

إخوة الإيمان في كل مكان، أما الإنسان فهو المخلوق الضعيف الذي يفتقر إلى ربه في كل شيء، فجسمه مفتقر إلى الطعام والشراب حتى يبقى، وقلبه مفتقر إلى الذكر إلى ذكر الله حتى يحيا، وعقله مفتقر إلى العلم حتى يرقى، أغذية ثلاثة لابد منها حتى يحقق الإنسان وجوده، وسلامته، وكمال وجوده، واستمرار وجوده.

## ذِكرُ الله:

ولنترك لعلماء التغذية شؤون تغذية الجسد، ولندع لعلماء العقيدة شؤون تغذية العقل، ونتحدث في هذه الخطبة على غذاء القلب، ألا وهو الذكر.

### ١ ـ للذِّكر شأن كبير:

أيها الإخوة المؤمنون، أيتها الأخوات المؤمنات، روى الإمام مالك في الموطأ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا: وَذَلِكَ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ))

[ رواه مالك والترمذي وأحمد في المسند والحاكم في المستدرك ]

أيها الإخوة المؤمنون حضورا ومستمعين، يبدو من خلال هذا الحديث الشريف أن الذكر له شأن كبير في حياة المؤمن كيف لا، وقد ورد الذكر في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثمائة آية، تؤكد في مجموعها أن الذكر ينبغي أن يدور مع الإنسان في كل شؤونه، وفي كل أحواله، وفي كل أطواره، لأنه عبادة القلب، ولأنه عبادة الفكر، ولأنه عبادة اللسان.

## ٢ ـ ذكرُ اللهِ في آياته الكونية:

أيها الإخوة الأكارم، من الذكر أن تذكر الله في آياته الكونية، ومن الذكر أن تذكره في آياته القرآنية، ومن الذكر أن تذكره في نعمه الظاهرة ونعمه الباطنة، أن تذكره في أمره ونهيه، أن تذكره لعباده معرفاً به، وأن تذكره في قلبك، وأن تذكره في لسانك مسبحاً، وحامداً، وموحداً، ومكبراً، وأن تذكر ربوبيته فتوحده في أحوالك كلها، وأطوارك جميعها، وأن تذكره ذكراً كثيراً ليطمئن قلبك، ولينجلي همك، ولينشرح صدرك، وليتسع رزقك، ولينصرك الله على عدوك.

## أوجُهُ ورود الذكر في القرآن وفوائدُه:

## ١ ـ ورودُه مطلقا:

أيها الإخوة الأكارم، أيها الإخوة المؤمنون، ورد الذكر في القرآن الكريم على أوجهٍ منها الأمر به مطلقاً ومقيداً، قال تعالى:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا )

( سورة الأحزاب )

## ٢ ـ النهي عن ضده:

ومن هذه الوجوه النهي عن ضده، قال تعالى:

( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ )

( سورة الحشر: ١٩ )

قال بعض المفسرين: نسيانهم لله عز وجل هو سبب نسيانهم أنفسهم، فلم يعرفوا حقيقة أنفسهم، ولا حقيقة مهمتهم بالدنيا، ولا ما ينتظرهم من سعادة أبدية إذا هم أطاعوه.

## ٣ ـ تعليق الفلاح والفوز بدوام ذكر الله وكثرته:

ومن وجوه الذكر تعليق الفلاح والفوز بدوام ذكر الله وكثرته، قال تعالى:

**( وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ )**

( سورة الجمعة )

## ٤ ـ الغفلة عن ذكر الله سبب لأكبر خسارة للإنسان:

ومن هذه الوجوه التي وردت في القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى جعل الغفلة عن ذكر الله سبباً لأكبر خسارة تنزل بالإنسان، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ )**

( سورة المنافقون: ٩ )

## ٥ ـ ذكر الله للعبد لذِكر العبد ربّه:

ما من عطاء يناله المؤمن من ربه أعظم من أن يذكره الله عز وجل، وذكر الله للعبد جزاء على ذكر العبد لربه، أو تذكير العبد عباد الله بربهم، قال تعالى:

**( فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ )**

( سورة البقرة )

## ٦ ـ ذكر الله أكبر من كل عبادة:

ذكر الله أيها الإخوة، غاية الغايات، وعلة العبادات، ومآل الطاعات، لذلك جعله الله أكبر من كل عبادة، وأعظم من كل قربة وغاية كل عمل، قال تعالى:

**( وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا )**

( سورة الكهف )

## معنى: وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ

وللعلماء المفسرين عند قوله تعالى:

**( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ )**

( سورة العنكبوت: ٤٥ )

مذاهب شتى في التفسير، فذكر الله عبادة هي أكبر من أية عبادة، هذا هو المعنى الأول.

والثاني: إذا ذكرتموه في الصلاة ذكركم، فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له.

والمعنى الثالث: وذكر الله عز وجل أكبر من أن يكون معه فاحشة ومنكر.

الرابع: وقال بعض المفسرين: ذكر الله على حقيقته أكبر ما في الصلاة، استنباطاً من قوله تعالى:

**( إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي )**

( سورة طه )

وفي مجمل القول، جعل الله الذكر قرين الأعمال الصالحة، وروحها، فمتى خلا العمل من الذكر كان هذا العمل كالجسد بلا روح.

## ٧ ـ الذكر حياة للقلب:

الذكر حياة للقلب، ففي الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ ))**

[ أخرجه البخاري ومسلم ]

ولفظ مسلم:

**(( مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ ))**

وقد قال بعض العلماء الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟
وفي الحديث القدسي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

**(( أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ))**

[ أخرجه البخاري ومسلم ]

وإنْ لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى به فضلاً وشرفاً.

## ٨ ـ الذكر يطرد الشيطان:

الذكر يطرد الشيطان، ويقمعه، ويرضي الرحمن، ويدني منه، يزيل الهم، والغم عن القلب، يجلب له الفرح والغبطة، يقوي القلب والبدن، ينور الوجه والقلب، يجلب الرزق، يكسو الذاكر المهابة

والحلاوة والنضرة، يورث الذكر محبة الله التي هي روح الإسلام، وقطب رحى الدين، ومدار السعادة والنجاة.

أيها الإخوة المؤمنون، أيتها الأخوات المؤمنات، الذكر يطرد الشيطان، ويقمعه، يقول ابن عباس رضي الله عنه: **<< الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس >>**، ( أي تراجع )، ولهذا سُمي الشيطان بالوسواس الخناس، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ))**

[ رواه مالك في الموطأ والترمذي ]

## ٩ ـ في الاشتغال بالذكر اشتغال عن الكلام الباطل:

وفي الاشتغال بالذكر اشتغال عن الكلام الباطل، من غيبة، ونميمة، ولغو، ومدح، وذم، فإن اللسان لا يسكت البتة، فإما لسان ذاكر، وإما لسان لاغ، فالنفس إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر، والقلب إن لم تسكنه محبة الله سكنته محبة المخلوقين، واللسان إن لم تشغله بالذكر شغلك باللهو، قال تعالى:

**( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(١)الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(٢)وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ(٣)وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ(٤)وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ )**

( سورة المؤمنون )

أيها الإخوة الكرام حضورا ومستمعين:

## ١٠ ـ ذكر الله يذيب قسوة القلب:

من فوائد الذكر أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله عز وجل، فالقلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله ذابت تلك القسوة، كما يذوب الرصاص بالنار، فالذكر شفاء للقلب، ودواء له، والغفلة مرض للقلب، وهلاك له، قال أحد العلماء: **" ذكر الله تعالى شفاء وذكر الناس داء "**.

**إذا مرضنا تداوينا بذكركم  فنترك الذكر أحياناً فننتكس**

***

## ١١ ـ الذكر أصل مُوالاة الله عز وجل، والغفلة أصل معاداته:

أيها الإخوة، الذكر أصل مُوالاة الله عز وجل، والغفلة أصل معاداته، فإن العبد ما يزال يذكر ربه حتى يحبه، فيواليه، وما يزال العبد يغفل عن ربه حتى يبغضه، فيعاديه، وما عادى عبدٌ ربه بشيء

أشد عليه من أن يكره ذكره، ويكره من يذكره، وما استجلبت نِعَمُ الله عز وجل، ولا استدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى، فذكر الله تعالى جلاب للنعم، دافع للنقم.

## ١٢ ـ ذكر الله تعالى جنة الدنيا:

أيها الإخوة المؤمنون، ذكر الله تعالى جنة الدنيا، فقد قال أحد العارفين: " في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة، إنها ذكر الله "، **وأشار أحد العلماء إلى هذه الجنة فقال: " ماذا يستطيع أن يصنع أعداء بي، جنتي وبستاني في صدري، إن رحلت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة ".**

وقال آخر: **" مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها، وما ذاقوا أطيب ما فيها قيل له: وما أطيب ما فيها ؟ قال: معرفة الله تعالى، ومحبته، ودوام ذكره ".**

وقال أحد الذاكرين: إنه لتمر بي أوقات أقول: إذا كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب.

ويُروى أن شاباً من الذاكرين بدرت منه هفوة حجبته عن الله عز وجل فضاقت نفسه، وانقبض قلبه، وبات ينتظر العقاب من الله والتأديب، ولكن لم يحدث شيء من هذا، فكان من مناجاته لربه: أن يا رب لقد عصيتك فلم تعاقبني، فوقع في قلبه: أن يا عبدي لقد عاقبتك، ولم تدر، ألم أحرمك لذة مناجاتي وذكري.

وقال الحسن البصري **" تفقدوا الحلاوة في ثلاثة، في الصلاة، وفي الذكر، وفي قراءة القرآن، فإن وجدتمْ وجدتم، وإلاّ فالباب مغلق، فابحثوا عن السبب.**

## ١٣ ـ الذكر سبب لعطاء الله:

أيها الإخوة الأكارم في دنيا العروبة والإسلام، الذكر سبب لعطاء الله عز وجل، فالله عز وجل يعطي الذاكر أكثر مما يعطي السائل، في الحديث القدسي الذي رواه سيدنا عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه:

**(( مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِى عَنْ مَسْأَلَتِى أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِى السَّائِلِينَ ))**

[ كنز العمال ]

## ١٤ ـ الذكر لرحمة الله ولسكينة القلب:

الذكر سبب لرحمة الله ولسكينة القلب، ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

(( لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزّ وَجَلّ إِلّا حَفّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ))

وبالمقابل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

(( مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا فَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ إِلّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مَشَى طَرِيقًا فَلَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عَزّ وَجَلّ إِلّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً، وَمَا مِنْ رَجُلٍ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ إِلّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً - أي نقصاً في حسناتهم وتبعة يحاسبون عليها ))

[ مسند أحمد ]

وعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(( ما من ساعة تمر بابن آدم لا يذكر الله فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة))

[أخرجه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب الإيمان وهو حسن]

وإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر أم من أهل الغفلة ؟ وهل يحكمه الوحي أم الهوى، فإن كان من أهل الغفلة والهوى كان أمره فرطاً، قال تعالى:

( وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا )

( سورة الكهف )

## ١٥ ـ يؤنس المؤمن، ويرقى به:

أيها الإخوة الأكارم، ذكر الله سبحانه وتعالى يؤنس المؤمن، ويرقى به، وذكر الله تعالى يجب أن يكون كثيراً، لقوله تعالى:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا(٤١)وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا(٤٢)هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا(٤٣)تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا )

( سورة الأحزاب )

## ١٦ ـ من أنواع الذكر أن تذكر اسم الله:

أيها الإخوة المؤمنون، من أنواع الذكر أن تذكر اسم الله، أن تقول: الله، الله، لقوله تعالى:

( وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ )

( سورة الإنسان: ٢٥ )

## ١٧ ـ من أنواع الذكر التسبيحُ:

ومن أنواع الذكر أن تسبحه أن تقول: سبحان الله، ومن أنواع الذكر أن تحمده، أن تقول: الحمد لله، ومن أنواع الذكر أن توحده، أن تقول: لا إله إلا الله.

## ١٨ ـ من أنواع الذكر التسبيحُ:

ومن أنواع الذكر أن تكبره، أن تقول: الله أكبر، فالعبرة للمقاصد، والمعاني، وليس للألفاظ والمباني فقط.

## الْبَاقِيَاتُ الصّالِحَاتُ:

فسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تلك هي الباقيات الصالحات التي قال الله تعالى عنها، قال تعالى:

**( الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا )**

( سورة الكهف )

وعندما وصف الله تسبيحه وحمده وتوحيده وتكبيره بأنها باقيات صالحات وصف زينة الحياة الدنيا بشكل ضمني بأنها الفانيات، فالدنيا عرض حاضر، يأكل منه البر والفاجر، وأن هذه الفانيات قد تكون سبباً لشقاء الإنسان وهلاكه، إذا ألهته عن ذكر الله، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ )**

( سورة المنافقون )

## ١٨ ـ من أنواع الذكر الاستغفارُ:

ومن أنواع الذكر أن تستغفره، قال تعالى:

**( فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبّكُمْ إِنّهُ كَانَ غَفّارًا(١٠)يُرْسِلْ السّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا(١١)وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا(١٢) )**

( سورة نوح )

## ١٩ ـ من أنواع الذكر الدعاء:

ومن الذكر أن تدعوه فالدعاء مُخُّ العبادة، قال تعالى:

( وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ )

( سورة البقرة )

## ٢٠ ـ من أنواع الذكر ذكرُ الأمر والنهي والحلال والحرام:

ومن الذكر أن تذكر أمره ونهيه، وحلاله وحرامه، ووعده ووعيده، وجنته وناره، ومن الذكر أن تذكر أعمال الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وأن تبتعد عن المغضوب عليهم، وعن الضالين، والمضلين كي تصح عبادتك.

## ٢١ ـ من أنواع الذكر ذكرُ الآيات القرآنية:

ومن الذكر أن تذكر آياته القرآنية، قال تعالى:

( أَقِمْ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا )

( سورة الإسراء )

فلا يحزن قارئ القرآن، ومن تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت.

## ٢١ ـ من أنواع الذكر ذكرُ الآيات الكونية والتكوينية:

ومن الذكر أن تذكر آياته التكوينية أي أفعاله، قال تعالى:

( قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ )

( سورة الأنعام )

( إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ )

( سورة غافر: ٥١ )

ومن الذكر أن تذكر آياته الكونية، فالمؤمنون الصادقون يتفكرون في خلق السماوات والأرض، ويقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك، والله تعالى يقول:

( سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ )

( سورة فصلت )

***

**الخطبة الثانية:**

## من الآيات الكونية: التجاذب الحركي بين الكواكب والنجوم:

أيها الإخوة الأكارم حضورا ومستمعين، من الآيات الدالة على عظمة الله عز وجل، والتي بثها في الآفاق التجاذب الحركي بين الكواكب والنجوم، هذا التجاذب ينتظم الكون كله بدءًا من الذرة، وانتهاء بالمجرة، فالشمس مثلا تجذب الأرض إليها بقوة هائلة، حيث تجري الأرض في مسار مغلق حول الشمس، ولو انعدم جذب الشمس للأرض لخرجت الأرض عن مسارها حول الشمس، ولاندفعت في متاهات الفضاء الكوني، حيث الظلمة والتجمد، وبزوالها عن مسارها، أي بانحرافها عنه تزول، وتنعدم الحياة فيها، إذ تصل حرارتها إلى درجة الصفر المطلق، قال تعالى:

**( إِنّ اللّهَ يُمْسِكُ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا )**

( سورة فاطر )

ولو أردنا من باب الافتراض، لو أردنا أن نستعيض عن قوة جذب الشمس للأرض بأعمدة من فولاذ نربط بها الأرض بالشمس لاحتجنا إلى مليون مليون حبل، أو عمود فولاذي، طول كل حبل مئة وستة وخمسون مليون كيلومتر، وقطره خمسة أمتار، وكل حبل من هذه الحبال يتحمل من قوى الشد ما يزيد على مليوني طن.

أعرفتم أيها الإخوة كم هي قوة جذب الشمس للأرض، ثم إذا زرعنا هذه الحبال على سطح الأرض المقابل للشمس لفوجئنا أننا أمام غابة من الأعمدة الفولاذية، حيث تقلّ المسافة بين العمودين عن قطر عمود ثالث، هذه الغابة من الأعمدة تحجب عنا أشعة الشمس، وتمنعنا من كل حركة ونشاط، كل هذه القوة قوة جذب الشمس للأرض والتي تزيد على مليوني طن مضروبة بمليون مليون من أجل أن تنحرف الأرض عن مسارها المستقيم ثلاث ملم في كل ثانية، من أجل أن تشكل مساراً مغلقاً حول الشمس.

الآن أيها الإخوة دققوا في قوله تعالى:

**( اللّهُ الّذِي رَفَعَ السّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخّرَ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبّرُ الْأَمْرَ يُفَصّلُ الْآيَاتِ لَعَلّكُمْ بِلِقَاءِ رَبّكُمْ تُوقِنُونَ )**

( سورة الرعد )

أي بعمد لا ترونها، إنها قوى التجاذب، كلمة ترونها صفة لعمد، وهي قيد لها، وهي تفيد فيما تفيد أن الله رفع السماوات بعمد لا نراها، إنها قوى التجاذب الحركي التي تنتظم الكون كله، قال تعالى:

**( سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ )**

( سورة فصلت )

وقال:

**( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ )**

( سورة فاطر: ٢٨)

هذه آية من آيات الآفاق، فماذا عن بعض آيات النفس.

## من آيات الله في الأنفس: آلية معقدة في الإدراك:

أيها الإخوة في دنيا العروبة والإسلام، لو أن رجلاً كان يتنزه في بستان ولمح فجأة حشرة مؤذية قاتلة فما الذي يحدث في جسمه، ينطبع خيال هذه الحشرة على شبكية العين إحساساً، وينتقل هذا الإحساس الضوئي إلى المخ إدراكاً، وعندها يأمر المخ الغدة النخامية ملكة الجهاز الهرموني، يأمرها أن تواجه هذا الخطر بحكمتها، هذه الملكة الغدة النخامية التي لا يزيد وزنها على نصف غرام، هذه الغدة تصدر أمراً هرمونياً لغدة الكظر فوق الكليتين كي تعطي الجسم الجاهزية القصوى لمواجهة الخطر، و الكظر بدوره يعطي أمراً هرمونياً إلى القلب ليسرع نبضاته.

فالخائف تزداد نبضات قلبه ويعطي الكظر أمراً هرمونياً ثانياً إلى الرئتين ليتوافق وجيبهما مع ازدياد نبضات القلب، الخائف يزداد وجيب رئتيه، " أي يلهث " ويعطي الكظر أمراً ثالثاً هرمونياً إلى الأوعية الدموية المحيطية فتضيق لمعتها ليتجول الدم في العضلات بدل الجلد، الخائف يصفر وجهه، ويعطي الكظر أمراً هرمونياً رابعاً للكبد ليطرح في الدم كمية إضافية من السكر لأنه وقود العضلات، ويعطي الكظر أمراً هرمونياً خامساً فترتفع نسبة هرمون التجلط لئلا ينزف الدم سريعاً، كل هذا يتم في لمح البصر والإنسان لا يعلم ماذا يجري في جسمه، هذا خلق الله، فأروني ماذا خلق الذين من دونه، وفي أنفسكم أفلا تبصرون.

## ٢٢ ـ من أنواع الذكر تذكيرُ العباد بربّهم:

أيها الإخوة الأكارم، من الذكر أن تذكر العباد بربهم أن تدعو إليه معرفاً إياهم بوجوده وكماله ووحدانيته معرفاً إياهم بكتابه الذي يهدي للتي هي أقوم، معرّفاً إياهم برسوله صاحب الخلق العظيم، وبسنة رسوله، وبسيرته مخاطباً عقولهم تارةً، وقلوبهم تارةً أخرى، أن تذكرهم، وأن تكون قدوة لهم، قال تعالى:

**( سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمْ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ )**

( سورة آل عمران )

كما اهتديت إلى الله اسع في هداية الخلق كن هادياً مهتدياً كن نافعاً منتفعا، وهذا أيها الإخوة من أعظم أنواع الذكر إنه عمل الأنبياء والمرسلين، إنه عمل الصديقين والموحدين، إنه عمل العلماء العاملين المخلصين، إنهم السابقون المقربون في جنات النعيم، وقد وسّع الإمام النووي رحمه الله تعالى مفهوم الذكر فقال: **" اعلموا أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله تعالى بطاعته هو ذاكر له، فأية طاعة تطيع الله بها فأنت ذاكر له ".**

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٣٠) : خ١ - الإسراء والمعراج ، خ٢ - حقيقة المعجزة في الإسلام .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-٠١-١٤

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## مقدِّمة: نظام السببية:

### ١ ـ نظام السببية تلازمُ شيئين وجوداً وعدماً:

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، إن الله جل جلاله خلق الكون بسماواته وأرضه، وخلق العوالم، وعلى رأسها الإنسان وفق أنظمة بالغة الدقة، ومن أبرز هذه الأنظمة نظام السببية، وهو تلازم شيئين وجوداً وانعداماً، أحدهما قبل الآخر، فنسمي الأول سبباً، ونسمي الثاني نتيجة، ومما يكمل هذا النظام الرائع أن العقل البشري يقوم على مبدأ السببية، أي أن العقل لا يفهم حدثا من دون محدث.

ومن رحمة الله بنا أن هذا النظام في الكون، وذاك المبدأ في العقل يقودنا برفق إلى معرفة الله مسبب الأسباب، الأقدام تدل على المسير، والماء يدل على الغدير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟

### ٢ ـ ثبات الأشياء حاصلٌ بتلازم الأسباب مع النتائج:

ومن رحمة الله بنا أيضا أن تلازم الأسباب مع النتائج يضفي على الكون طابع الثبات، ويمهد الطريق لاكتشاف القوانين، ويعطي الأشياء خصائصها الثابتة ليسهل التعامل معها، ولو لم تكن الأسباب متلازمة مع النتائج، ولو لم تكن النتائج بقدر الأسباب لأخذ الكون طابع الفوضى العبثية، ولتاه الإنسان في سبل المعرفة، ولم ينتفع بعقله.

### ٣ ـ حقيقة اتخاذ الأسباب:

لكن، أقول: لكن، استدراكا، لكن من اعتقد أن الأسباب وحدها تخلق النتائج، ثم اعتمد على الأسباب وحدها فقد أشرك، لذلك يتفضل الله على هذا الإنسان الذي وقع بالشرك الخفي فيؤدبه بتعطيل فاعلية الأسباب التي اعتمد عليها، فيفاجئ بنتائج غير متوقعة، ومن ترك الأخذ بالأسباب متوكلاً في زعمه

على الله فقد عصى، لأنه لم يعبأ بهذا النظام الذي ينتظم الكون، ولأنه طمع بغير حق أن يخرق الله له هذه السنن.

أما المؤمن الصادق فيأخذ بالأسباب من دون أن يعتقد أنها تصنع النتائج، وبالتالي من دون أن يعتمد عليها، يأخذ بها، وكأنها كل شيء، ويعتمد على الله صانع كل شيء معتقداً أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الأسباب وحدها لا تقود إلى النتائج إلا بمشيئة الله، وهذا التوحيد الإيجابي الذي يغيب عن كثير من المؤمنين فضلاً عن غير المؤمنين، قال تعالى:

**( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ )**

( سورة يوسف )

قال بعض المفسرين هذا هو الشرك الخفي.

## ٤ ـ خرقُ نظام السببية:

ولكنْ يا أيها الإخوة المؤمنون، لكنّ هذا النظام نظام السببية يخرق أحيانا متى وكيف ؟ حينما يأتي إنسان، ويقول: إنه رسول من عند الله، جاء ليبلغ منهج الله، فلابد أن يطالبه الناس ببرهان، على أنه رسول الله، وعلى أن الكتاب الذي جاء به هو من عند الله، وهنا تأتي المعجزة لتكون برهاناً على صدق إرسال النبي، ومصداقية منهجه.

والمعجزة أيها الإخوة في بعض تعاريفها خرق لنواميس الكون ولقوانينه، ولا يستطيعها إلا خالق الكون، لأنه هو الذي وضع القوانين والنواميس، يعطيها لرسله لتكون برهاناً على صدقهم في إرسالهم، وصدقهم في إبلاغهم عن ربهم، والمعجزة ممكنة عقلاً غير مألوفة عادة، فهناك فرق بين أن يحكم العقل على شيء باستحالته، وبين أن يعلن عجزه عن فهم هذا الشيء، فعدم العلم بشيء ليس علماً بعدم ذلك الشيء.

## ٥ ـ عدمُ حرق النار لإبراهيم خرقٌ لقانون السببية:

أيها الإخوة المؤمنون حضورا ومستمعين، تأكيداً لهذه الحقيقة، فقد جاء قوم سيدنا إبراهيم عبدة الأوثان، جاؤوا بسيدنا إبراهيم عليه السلام بعد أن حطم أصنامهم، وأوقدوا له ناراً هائلة ليحرقوه، ليحرقوه أمام آلهتهم ليكون انتقامهم من سيدنا إبراهيم انتقاماً تباركه آلهتهم، جاؤوا بالحطب، فأوقدوا النار العظيمة، كل شيء مُعدٌ لتمجيد آلهة غير الله، سبحانه وتعالى، والسؤال هنا: لماذا سمح الله لهم أن يأتوا بإبراهيم ليحرقوه بالنار أمام آلهتهم، وهو رسول الله ؟

كان من الممكن أن يختفي إبراهيم عليه السلام ولا يظهر، وعندئذ ينجو إبراهيم من الحرق، ولكنْ لو حدث هذا لقالوا: لو قبضنا على إبراهيم لأحرقناه، وعندئذ ستظل قوة الآلهة المزيفة مسيطرة على عقولهم، وأنها تنفع من يعبدها، وتضر من يؤذيها، لذلك لابد أن يقع سيدنا إبراهيم في أيديهم

ليشهد القوم عجز آلهتهم المزعومة أمام قدرة الله، وكان من الممكن أن يطفأ الله النار بسبب أرضي، كأن ينزل الأمطار فتنطفئ النار، ولو حدث هذا لقالوا: إن آلهتنا قادرة على أن تحرق إبراهيم، ولكن السماء أمطرت، ولو أن السماء لم تمطر لانتقمت آلهتنا منه بالحرق، ما الذي حدث؟ الذي حدث لحكمة بالغة أن إبراهيم عليه السلام لم يختف، بل وقع في أيديهم، وأن النار لم تنطفئ، بل ازدادت اشتعالاً، ثم ألقوا بإبراهيم في النار، فإذا الله سبحانه وتعالى يعطل فاعلية الأسباب، ويبطل إحراق النار، وتكون النار بردا وسلاماً على إبراهيم، قال تعالى:

**( قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ )**

( سورة الأنبياء )

ولنسأل إخوتنا المستمعين والحاضرين، ماذا سيكون لو أن الله تعالى قال:

**( قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ )**

( سورة الأنبياء )

وماذا سيكون لو أن الله تعالى قال: يا نار كوني بردا وسلاماً، ولم يقل على إبراهيم، ابحثوا أيها الإخوة عن الجواب ؟ أو اسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون.

## الإسراء والمعراج:

### ١ ـ القرآن يصرّح بالإسراء والمعراج:

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، إلى موضوع الخطبة، إنه الإسراء والمعراج، قال تعالى مشيراً إلى الإسلام بدلالة قطعية:

**( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ )**

( سورة الإسراء )

وقال تعالى مشيراً إلى المعراج بدلالة ظنية رحمة بنا:

**( وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(١)مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى(٢)وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(٣)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(٤)عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى(٥)ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى(٦)وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى(٧)ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى(٨)فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى(٩)فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى(١٠)مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى(١١)أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى(١٢)وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى )**

( سورة النجم )

## ٢ ـ حكمة الإسراء والمعراج:

أما حكمة الإسراء فقد أجملها الله تعالى في قوله:

**( لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا )**

وأما حكمة المعراج، لقد أجملها الله تعالى في قوله:

**( لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى )**

## وقفة تأمُّل مع الآية الأوْلى من سورة الإسراء:

إنّ كلمة:

**( سُبْحَانَ )**

في الآية تفيد أن الإسراء والمعراج لا يخضعان لقوانين الأرض، ولا لقوانين الزمان والمكان، وهو من الموضوعات الإخبارية التي لا يستطيع العقل أن يخضعها لمبادئه ومقاييسه. وحينما قال الله سبحانه وتعالى:

**( لِنُرِيَهُ )**

ولم يقل: لنريهم، أراد أن تكون هذه المعجزة تكريماً لنبيه علية الصلاة والسلام بأن يريه ما شاء من آيات قدرته، وعجائب صنعته، وعظيم ملكه، ومصائر خلقه، ليطمئن قلبه، وتستنير بصيرته، ويزداد يقينه، وليكون عالم الغيب بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم مشهوداً، وليكون اليقين به يقيناً حسياً لا إخباريا، فهناك فرق بين علم اليقين، وهو اليقين الإخباري، وحق اليقين، وهو اليقين الشهودي، وعين اليقين، وهو يقين المعاينة.

وأما كلمة:

**( بِعَبْدِهِ )**

فتفيد أن الإنسان مهما خرقت له العادات، ومهما نال من الله أعظم المكرمات لا يمكن إلا أن يكون عبداً لخالق الأرض والسماوات.

وأما كلمة:

**( إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ )**

فلها قصة تأتي بعد حين.

## ٣ ـ الإسراء والمعراج مسحٌ لجراح النبي وتطمين لمستقبل دعوته:

أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان، لقد كان الإسراء والمعراج بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم مسحاً لجراح الماضي، وتثبيتاً لقلبه، وتطميناً له على مستقبل الدعوة، وتعويضاً عن جفوة الأرض بحفاوة السماء، وعن قسوة عالم الناس بتكريم الملأ الأعلى.

لقد كان الإسراء والمعراج تكريماً فريداً من نوعه للنبي صلى الله عليه وسلم، لقد عرف الله نبيه بعد محنة الطائف أنه سيد ولد آدم، وأنه سيد الأنبياء والمرسلين، ولقد أراه ملكوت الأرض والسماوات، وما تؤول إليه الخلائق بعد الممات، لقد كان الإسراء والمعراج عقب عام الحزن، ففي هذا العام توفيت السيدة خديجة صديقة النساء التي حنت عليه ساعة العسرة، وواسته في أيام الشدة بنفسها ومالها، في هذا العام أيضاً توفي عمه أبو طالب الذي أظهر من النبل في كفالته، ومن البطولة في الدفاع عنه الشيء الكثير.

وقد نالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم تنل منه في أي وقت مضى، وفي هذا العام بالذات خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس هداية أهلها، ونصرتهم، فردوا دعوته رداً منكراً، وأغلظوا له بالقول، وأغروا به سفهاءهم، لقد تحمل النبي صلى الله عليه وسلم في هذا العام من الشدائد ما لا يحتمله بشر على الإطلاق، إلا أن يكون نبياً.

## ٤ ـ امتحان النبي قبل الإسراء والمعراج تعليم للمسلمين خُلقَ الصبر:

أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان، إذا كان الإسراء والمعراج تكريماً عظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم بعد نجاح باهر في امتحان صعب، فما هذا الامتحان الصعب الذي اجتازه النبي حتى استحق هذا التكريم الفريد ؟ إنه امتحان الطائف.

أيها الإخوة المؤمنون، إن ما لاقاه النبي صلى الله عليه وسلم من مختلف ألوان المحنة، ولاسيما هذا الذي رآه في ذهابه إلى الطائف، إنما كان من جملة أعماله التبليغية للناس، فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء يبلغنا العقيدة الصحيحة عن الكون، وخالقه، وحقيقته، وعن الحياة، وعن الإنسان، ورسالته، وعن أحكام العبادات والمعاملات، وعن مكارم الأخلاق، كذلك جاء ليبلغ المسلمين عن طريق السلوك العملي، أن ما كلفهم الله به من واجب الصبر والمصابرة يجب أن يكونوا في مستواه، فقال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ )**

( سورة آل عمران )

فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم علّم الناس بأقواله كذلك علمهم بأفعاله، وكما أنه قال للناس:

**(( وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ))**

[ البخاري عن مالك بن الحويرث ]

و:

**(( خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ ))**

[ مسلم ]

كذلك قال لهم بلسان حاله: اصبروا كما رأيتموني أصبر، وربما توهم متوهم أن النبي صلى الله عليه وسلم غُلب على أمره في الطائف، وأن الضجر نال منه، لذلك توجه لله بالدعاء والشكوى. والحقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُغلبْ على أمره، ولم يضجر، وإنما استقبل هذه المحن راضياً، وتجرع تلك الشدائد صابراً محتسباً، لأنه كان بوسعه أن ينتقم من الذين آذوه ومن الزعماء الذين أغروا به أولئك السفهاء، والدليل ما رواه الإمام البخاري و مسلم من أن جبريل عليه السلام جاء النبي صلى الله عليه وسلم في قرن الثعالب ( مكان )، فعَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ))**

[ أخرجه البخاري ]

انظروا أيها الإخوة الكرام، لم يتخل النبي عن قومه قال:

**(( قومي ))**

ودعا لهم فقال:

**(( اللهم اهد قومي ))**

واعتذر عنهم، فقال:

**(( فإنهم لا يعلمون ))**

[ البيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن عبيد بن عمير مرسلاً ]

ورجا أن تكون ذريتهم عابدة لله موحدة، هذه مادة من مواد الامتحان الصعب الذي وُفِق بها النبي عليه الصلاة والسلام، وصدق الله العظيم حينما وصف نبيه الكريم بأنه على خلق عظيم.

## ٥ ـ لا تناقض بين الصبر والشكوى إلى الله:

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، ليس بين الصبر على الشدائد والتضرع إلى الله تعالى بالشكوى أو الدعاء أيُّ تعارض أو تناقض، فالشكوى إلي الله تعبد، قال تعالى:

**( قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ )**

( سورة يوسف )

والضراعة له والتذلل على بابه عز وجل تلبس العبد جلباب العبودية، ولقد علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم في حياته كلا الأمرين، كان بصبره الشديد على المصائب والمحن يعلمنا أن على المسلمين عامة والدعاة خاصة أن يصبروا، وأن يصابروا، وكان بطول دعائه وضراعته والتجائه إلى الله يعلمنا أن هذا من لوازم العبودية لله عز وجل، وهل من دعاء أكثر دلالة على عبودية النبي صلى الله عليه سلم من هذا الدعاء الذي دعاه في الطائف:

**(( اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك ))**

[ الطبراني عن عبد الله بن جعفر ]

## ٦ ـ النبي يتألم كما يتألم البشر:

أيها الإخوة الأكارم، النفس الإنسانية مجبولة في أصل فطرتها على الإحساس والشعور، الشعور بلذة النعيم، والشعور بألم العذاب، وهي مجبولة على الركون إلى الأول والفزع من الثاني، وحينما يوطن الإنسان نفسه على تحمل كل أنواع الضر والعذاب، وهو يؤدي رسالة ربه مبتغياً بهذا وجهه ورضوانه، لا يعني هذا أنه لا يتألم للضر، ولا يستريح للنعيم، فالنفس مهما تسامت لا تخرج عن دائرة بشريتها، ولكن حينما يفضل الإنسان الضر مهما تكن آلامه على النعيم مهما تكن لذائذه إرضاء لوجه ربه، وأداء للرسالة التي أنيطت به عندئذ يستحق جنة ربه إلى أبد الآبدين، حيث يجد فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولولا أن النبي بشر تجري عليه كل خصائص البشر لما كان سيد البشر.

## ٧ ـ إنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا

أيها الإخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، حين يتأمل الإنسان في سيرة النبي مع قومه يجد أنه لاقى من قومه من الأذى ما لا يحتمله بشر على الإطلاق، بيد أن الإنسان يجد أيضاً مع كل نوع من أنواع الأذى، ومع كل مرحلة من مراحله رداً إلهياً على هذا الإيذاء مواساةً، وتطميناً، وإكراماً، وتأييداً، حتى لا يتجمع في النفس من عوامل التألم والضجر ما قد يدخل إليها اليأس، وما الإسراء والمعراج في حقيقته إلا ردّ إلهي تكريمي على المحنة القاسية التي كشفت حقيقة الحرص النبوي على هداية قومه، وكشفت صبره الجميل على إيذائهم، وموقفه النبيل والرحيم منهم حينما عرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الجبلين، وهو الرد الإلهي على دعائه في الطائف، ولعل معنى قوله تعالى في آخر آية الإسراء:

**( إنّه هُوَ السّمِيعُ الْبَصِيرُ )**

( سورة الإسراء )

أي سمع الله دعاءك يا محمد في الطائف، وعلم منك حرصك على هداية قومك الذين بالغوا في الإساءة إليك.

أيها الإخوة الكرام، هذه الحقيقة يمكن أن تنسحب على المؤمن بشكل أو بآخر، فقوله تعالى:

**( فَإِنّ مَـعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٥) إِنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا )**

( سورة الشرح )

هذا قانون، فشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر بعد ضيق الأمر هي سنة الله في خلقه. ربنا سبحانه وتعالى نكر كلمة يسراً تنكير تعظيم، المراد به اليسر العظيم، أو يسر الدارين، وكلمة مع تفيد الإشعار بمجيء اليسر كأنه مقارن للعسر، والتكرير يفيد التأكيد، أو يفيد أن يسر الآخرة يأتي بعد يسر الدنيا، وفي اللغة العربية أن المعرف إذا كُرّر يكون الثاني عين الأول، وأن المنكر إذا كُرر يكون الثاني مغايراً للأول، فصار في الآية يسران وعسر واحد، لذلك بناء على هذه القاعدة أثر عن النبي أنه قال:

**(( لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ ))**

[ أخرجه مالك في الموطأ عن عمر بن الخطاب ]

**كن عن همومك معرضا وكِلِ الأمور إلى القضا**

**و أبشر بخير عاجــل تنسَ به ما قد مضــى**

**فلرب أمر مسخـــط لك في عواقبـه رضـى**

**ولربما ضاق المضيـق ولربما اتسع الفضـــا**

**الله يفعل ما يشــــاء فلا تكن معتـرضــاً**

**الله عودك الجميـــل  فقس على ما قد مضــى**

***

## درس من أحداث الطائف قبل الإسراء والمعراج:

أيها الإخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، درسٌ آخر نتعلمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في الطائف، فعندما سأله زيد بن حارثة متعجباً، يا رسول الله كيف تعود إلى مكة وقد أخرجوك، فأجابه النبي، يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجا، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه.

كلّ هذا الذي رآه النبي في الطائف من أهوال التكذيب، ومن أهوال السخرية والإيذاء، كل هذا الذي كان قد رآه في مكة من كفر وجحود، وتنكيل وإخراج، كل هذا على كثرته، وعلى شدته، وعلى قسوته لم يكن له أي تأثير على ثقته بالله تعالى، وعلى قوة عزيمته الإيجابية في نفسه، فما كان الله ليتخلى عن دينه، وعن نبيه، وعن المؤمنين مهما بدت هجمة أعداء الدين قوية وشاملة، فالباطل عقيدة أو قوة إلى انهيار محقق، قال تعالى:

**( وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا )**

( سورة الإسراء )

ومن ظن أن الله سبحانه وتعالى لا ينصر رسله، ولا يتم أمره، ولا يؤيد جنده، ولا يعليهم، ولا يظهرهم على أعدائهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالاً لا يقوم بعده أبداً، من ظن ذلك فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى ما لا يليق بكماله وجلاله، وأسمائه الحسنى، وصفاته الفضلى، فإن عزته وحكمته تأبى ذلك، ويأبى أن يذل أولياءه، وأن يكون النصر المستقر والظفر الدائم لأعدائه، فمن ظن به ذلك فما عرفه، ولا عرف أسماءه، ولا عرف صفاته.

سبحانك إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً والحمد الله رب العالمين.

***

**الخطبة الثانية:**

## المعجزة:

### ١ ـ إذا كان أصل الاعتقاد ضعيفا فلا عبرة بالحديث عن المعجزة:

أيها الإخوة الكرام، كلمة قصيرة عن حقيقة المعجزة، بادئ ذي بدئ لا معنى للحديث عن المعجزات التي هي خرق للنواميس والعادات، وعن جزئياتها، وعن وقوعها أو توهمها، إذا كان أصل الدين الذي يتلخص في الإيمان بالله، موجوداً، وواحداً، وكاملاً، والإيمان أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وفعال لما يريد، إذا كان هذا الأصل محل إنكار أو شك فلا معنى للحديث عن المعجزات أصلاً، فالناس يخاطبون عادة بأصول الدين، والمؤمنون يخاطبون بفروع الدين، والحديث عن المعجزات من فروع الدين، فإذا كان الأصل مهتزاً فلا جدوى من الحديث عن المعجزات.

### ٢ ـ الكون كلّه معجزة:

ثم إن الكون بمجراته وكازاراته، بكواكبه ومذنباته بالمسافات البينية والسرعات الضوئية بحجوم النجوم وسرعاتها، بدورانها، وتجاذبها، والأرض بجبالها، ووديانها، وسهولها، وقفارها، ببحارها، وبحيراتها، بينابيعها، وأنهارها، بحيواناتها، ونباتاتها، بأسماكها، وأطيارها، بمعادنها، وثرواتها، والإنسان بعقله، وعاطفته، وأعضائه، وأجهزته، بفطرته، وطباعه، بزواجه، وذريته هذه كلها معجزات، وأية معجزات، الكون بسماواته، وأرضه هو في وضعه الراهن من دون خرق لنواميسه، ومن دون خروج عن نظامه، هو في حد ذاته معجزة وأية معجزة، والدليل قوله تعالى:

**( إِنّ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللّيْلِ وَالنّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ(١٩٠)الّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكّرُونَ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النّارِ )**

( سورة آل عمران )

### ٣ ـ جسم الإنسان كلّه معجزة:

أيها الأخ الكريم، جسمك الذي هو أقرب شيء إليك إنه معجزة:

ففي رأس الإنسان ثلاثمائة ألف شعره لكل شعرة، بصلة ووريد وشريان وعضلة وعصب وغدة دهنية وغدة صبغية، أليست هذه معجزة، في شبكية العين عشر طبقات، في أخراها مائة وأربعون مليون مستقبل للضوء ما بين مخروط وعصية، ويخرج من العين إلى الدماغ عصب بصري يحوي خمس مائة ألف ليف عصبي، ولو درجنا اللون الأخضر مثلاً ثمان مائة ألف درجة لاستطاعت العين السليمة أن تميز بين درجتين أليست هذه معجزة ؟

وفي الأذن ما يشبه شبكية العين، وفيها ثلاثون ألف خلية سمعية لنقل أدق الأصوات، وفي الدماغ جهاز يقيس التفاضل الزمني لوصول الصوت إلى كل من الأذنين، وهذا التفاضل يقل عن جزء من ألف وستمائة جزء من الثانية وهو يكشف للإنسان جهة الصوت، أليست هذه معجزة ؟

وعلى سطح اللسان تسعة آلاف نتوء ذوقي لمعرفة الطعم الحلو والحامض، والمر والمالح، وإن كل حرف ينطقه اللسان يسهم في تكوينه سبع عشرة عضلة، فكم حركة تحرّكتها عضلات اللسان في خطبة تستغرق ساعة من الزمن، أليست هذه معجزة.

وفي الإنسان مضخة تعمل دون كلل أو ملل، تضخ ثمانية أمتار مكعبة من الدم في اليوم الواحد، وتضخ في العمر المتوسط ما يملأ أكبر ناطحة سحاب في العالم، إنه القلب أليس القلب معجزة ؟

وفي دماغ الإنسان أربعة عشر مليار خلية قشرية، ومائة مليار خلية استنادية لم تعرف وظيفتها بعد، بل إن دماغ الإنسان أعقد ما في الإنسان، وهو عاجز عن فهم ذاته أليس الدماغ معجزة ؟

وفي جدار المعدة مليار خلية تفرز من حمض كلور الماء ما يزيد على عدة أمتار في اليوم الواحد، وقد جهد العلماء في حل هذا اللغز، لمَ لا تهضم المعدة نفسها ؟ أليست المعدة معجزة ؟

وفي الأمعاء ثلاثة آلاف وستمائة زغابة معوية للامتصاص في كل سم مربع وهذه الزغابات تتجدد كلياً في كل ثمان وأربعين ساعة، أليست الأمعاء الدقيقة معجزة وتحت سطح الجلد يوجد حوالي ستة عشرة مليون مكيف لحرارة البدن هي الغدد العرقية، أليست هذه الغدد معجزة، وفي الكبد ثلاث مائة مليار خلية يمكن أن تجدد كلياً خلال أربعة أشهر ووظائف الكبد كثيرة وخطيرة ومدهشة في الإنسان، حيث لا يستطيع الإنسان أن يعيش بلا كبد أكثر من ثلاث ساعات، أليس الكبد معجزة ؟

وفي الكُليتين مليونا وحدة تصفية طولها مجتمعة مائة كيلومتر يمر فيها الدم في اليوم مرات كثيرة أليست الكلية معجزة ؟

## خاتمة:

أيها الإخوة الكرام، غير أن الإنسان لانهماكه بمشاغله، وغفلته عن خالقه، ولطول إلفته لما حوله ينسى وجه الإعجاز فيما حوله، وعظمة الخالق فيما خلق، فيحسب جهلا منه، وغرورا أن المعجزة هي تلكم التي تفاجئ ما ألفه واعتاده، ثم يمضي هذا الإنسان الجاهل يتخذ مما ألفه، واعتاده مقياساً لإيمانه بالأشياء، أو كفره بها، وهذا جهل عجيب في الإنسان، مهما ارتقى في مدارج المدنية والعلم،

تأمل يسير من الإنسان يوضح له بجلاء أن الخالق جل وعلا الذي خلق معجزة هذا الكون كله ليس عسيراً عليه أن يزيد فيه معجزة أخرى، أو أن يبدل، أو أن يغير في بعض أنظمته التي أنشأ العالم عليها.

يقول بعض العلماء الغربيين: القدرة التي خلقت العالم لا تعجز عن حذف شيء منه، أو إضافة شيء إليه، ولو لم يكن هذا العالم موجودا، وقيل لواحد ممن ينكر المعجزات والخوارق: سيوجد عالم كذا وكذا، فإنه سيجيب فوراً: هذا غير معقول، ولا متصور، ويأتي إنكاره هذا أشد بكثير من إنكار بعض المعجزات.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٣١) : خ١ - الوسطية في الإسلام ، خ٢ - الوسطية في الآفاق و الأنفس.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-٠٤-٠٨

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## الوسطية من أبرز خصائص هذا الدين الحنيف:


الوسطية من أبرز خصائص الإسلام

من خصائص هذا الدين الحنيف أنه رباني المنهج، رباني الغاية، رباني الوجهة، وأن هذا الدين الحنيف إنساني الطابع، يشمل كل مكان وكل زمان، ويصلح لكل مكان وكل زمان، وأن هذا الدين الحنيف واقعي، بمعنى أنه لا يقبل الواقع السيئ، لكنه يطوره بأدوات واقعية، وأن هذا الدين الحنيف واضح لا يزيغ عنه إلا ضال، وأنه يجمع بشكل معجز بين الثبات والتطور، ومن أبرز خصائص هذا الدين الحنيف الوسطية أو التوازن، وهو موضوع الخطبة اليوم، وسيكون تناول هذا الموضوع إن شاء الله تعالى من زاوية معاني الوسطية في الإسلام، ومن زاوية مظاهرها في العقيدة، والمنهج، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والنظم.

## الإسلام وسط بين المادية المقيتة والروحية الحالمة:


الإسلام وسط بين المادية المقيتة والروحية الحالمة

أيها الأخوة المؤمنون في كل مكان، من أبرز خصائص هذا الدين القويم الوسطية أو التوازن، ونعني بالوسطية التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، حيث لا ينفرد أحدهما في التأثير، ويطرد الطرف الآخر، حيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على الطرف الآخر، ويحيف

عليه، فلا إفراط، ولا تفريط، ولا غلو، ولا تقصير، ولا طغيان، ولا إخسار، ولا شطط، ولا وكس، بل كلٌ يأخذ حقه بالقسطاس المستقيم، فالإسلام أيها الأخوة وسط بين المادية المقيتة والروحية الحالمة، بين الواقعية المرة والمثالية التخيلية، بين الفردية الطاغية والجماعية الساحقة، بين الثبات الرتيب والتغير المضطرب، بين الحاجات الملحة والقيم البعيدة، بين العقلانية الباردة والعاطفية المتقدة، بين نوازع الجسد ومتطلبات الروح.

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، والوسطية في الإسلام تنطلق من قوله تعالى:

**( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (١٤٣) )**

( سورة البقرة )

## الوسطية شعار مميز للأمة الإسلامية:

يا أيها الأخوة الأكارم، من حكمة الله تعالى أنه اختار الوسطية أو التوازن شعاراً مميزاً لهذه الأمة، التي هي آخر الأمم، ولهذه الرسالة التي ختمت بها الرسالات، إذ بعث بها خاتم أنبيائه رسولاً للناس جميعاً، ورحمة للعالمين قاطبةً، وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الوسطية في قوله تعالى:

**( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (١٤٣) )**

( سورة البقرة )

فسرها بالعدل، والعدل هو توسط بين طرفين متنازعين دون ميل أو تحيز لطرف أو لجهة، والعدل إعطاء كل ذي حقّ حقه دون بخس أو جور، قال المفسرون في قوله تعالى:

**( قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨))**

( سورة القلم )

أوسطهم أي أعدلهم، فأعدل بقاع الشيء وسطه، ووسط الدائرة مركزها، ثم استُعير الوسط للخصال البشرية المحمودة، لأنها وسط بين الخصال المذمومة، فالشجاعة مثلاً وسط بين الجبن وبين التهور.

## الوسطية في الإسلام تعني الخيرية والفضل والتميز في الأمور المادية والمعنوية:

ويا أخوة الإيمان حضوراً ومستمعين، الوسطية تعني أيضاً استقامة المنهج، والبعد عن الميل والانحراف، فالصراط المستقيم هو كما قال أحد المفسرين: الطريق السوي، الواقع وسط الطّرف



الخط المستقيم هو أقصر طريق إلى الهدف

المنحرفة عن القصد، فإذا فرضنا خطوطاً كثيرةً واصلة بين نقطتين متقابلتين، فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية أو المنكسرة، هو وسطها، وأقصرها إلى الهدف، والمسلم أيها الأخوة يسأل ربه أن يهديه إلى الصراط المستقيم كل يوم ما لا يقلُّ عن سبع عشرة مرة، وذلك حينما يقرأ الفاتحة:

**( اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧))**

( سورة الفاتحة)

فالمغضوب عليهم هم الذين أفرطوا، والضالون هم الذين فرطوا، المغضوب عليهم هم الذين عرفوا وانحرفوا، والضالون هم الذين جهلوا فانحرفوا.

والوسطية في الإسلام تعني الخيرية، والفضل، والتميز في الأمور المادية و المعنوية، فأفضل حبات العقد في واسطته، ورئيس القوم في الوسط والأتباع من حوله، وفي الأمور المعنوية نجد التوسط خير من التطرف، ومن حكم العرب: خير الأمور الوسط، وقال أحد الحكماء:

الوسطية تعني الخيرية وأفضل حبات العقد في واسطته

الفضيلة وسط بين رذيلتين، وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى

**( وكذلك جعلناكم أمة وسطاً )**

الوسط هاهنا الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسباً، أي خيرها، وكان عليه الصلاة والسلام وسطاً في قومه، أي أشرفهم نسباً، والصلاة الوسطى أفضل الصلوات.

في الإسلام جانب فكري، وجانب نفسي، وجانب سلوكي، فحينما ينمو جانب من هذه الجوانب نمواً زائداً عن حدّه الطبيعي، ويكون هذا عادة على حساب الجوانب الأخرى عندئذ يكون التطرف، أما حينما تنمو الجوانب الثلاثة نمواً طبيعياً متوازناً حيث لا يطغى جانب على جانب عندئذ يكون التفوق، فنحن نتطلع إلى التفوق لا إلى التطرف.

## الوسطية تمثل الأمان والبعد عن الخطر:


الوسطية تمثل نقطة القوة في كل شيء

أيها الأخوة المؤمنون: الوسطية أيضاً تمثل الأمان والبعد عن الخطر، فالأطراف عادة تتعرض للخطر والفساد بخلاف الوسط، فهو محمي محروس بما حوله، والتوسط أمن واستقرار، والتطرف غلو وانحراف وفساد، والوسطية تمثل القوة، فالوسط هو مركز القوة، أشعة الشمس لا تكون أقوى تأثيراً ـ إضاءة وحرارة ـ إلا وهي في وسط النهار وفي وسط قبة السماء، ولا يكون الإنسان في أقوى حالاته إلا في شبابه وهو وسط بين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، والوسطية تمثل نقطة الوحدة ومركز التلاقي، فعلى حين تتعدد الأطراف تعدداً قد لا يتناهى يبقى الوسط واحداً يمكن لكل الأطراف أن تلتقي عنده، فهو المنتصف وهو المركز، مركز الدائرة في وسطها، فيمكن الآيبة من المحيط أن تلتقي عنده، والفكرة الوسطى يمكن للأفكار المتطرفة أن تلتقي بها في نقطة ما، إذاً فالتوسط والاعتدال هو طريف الوحدة الفكرية ومركزها، ولهذا أيها الأخوة تثير الأفكار المتطرفة من الفرقة والخلاف في أبناء الأمة الواحدة ما لا تثيره المذاهب المعتدلة في العادة التي وفق الكتاب والسنة.

## مظاهر الوسطية:

### ١ ـ الإسلام وسط بين اعتقاد الخرافيين واعتقاد الماديين:

هذا عن معان الوسطية في الإسلام فماذا عن مظاهر هذه الوسطية ؟ في العقيدة الإسلام وسط بين اعتقاد الخرافيين الذين يصدقون كل شيء، ويؤمنون بكل برهان، وبين الماديين الذين ينكرون كل شيء وراء الحس، ولا يصغون إلى صوت الفطرة، ولا إلى نداء العقل، ولا إلى صراخ المعجزة، فالإسلام الحق يدعو إلى الإيمان، والاعتقاد بما قام عليه الدليل القطعي، والبرهان اليقيني، ويعد اليقين الحسي، واليقين الاستدلالي، واليقين الإخباري مسالك يقينية للتلقي، ويرفض كل ما وراء ذلك من الأوهام، قال تعالى:

( وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) )

( سورة البقرة)

( وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ (١١٧))

( سورة المؤمنون)

## ٢ـ الإسلام وسط بين الذين يعدون الكون هو الوجود الحق وبين الذين يعدونه وهماً:

الإسلام وسط بين الذين يعدون الكون هو الوجود الحق، وما عداه مما لا تراه العين خرافة، ووهم، وبين الذين يعدون الكون وهماً لا حقيقة له، وسراباً يحسبه الظمآن ماء، فالإسلام يعد الكون حقيقة، ولكنه يعبر من هذه الحقيقة إلى حقيقة أكبر منها، يعبر من الكون إلى المكون، ومن الخلق إلى الخالق، ومن النظام إلى المنظم، ومن الصور إلى المصور، ومن التسيير إلى المسير، ومن التربية إلى المربي، فالكون حقيقة ينقلنا إلى حقيقة أكبر، وهي أن لهذا الكون خالقاً، ومربياً، ومسيراً، موجوداً، وواحداً، وكاملاً.

## ٣ ـ الإسلام وسط في نظرته إلى الأنبياء:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، الإسلام وسط في نظرته إلى الأنبياء، فهم بشر مثلنا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، ولكثير منهم أزواج، وذرية، ولكنهم قمم في معرفة ربهم، وطاعتهم له، وإخلاصهم إليه، اصطفاهم، وطهرهم، وعصمهم، وامتن عليهم بالوحي، وأيدهم بالمعجزات، هذه نظرة الإسلام إلى الأنبياء.

## ٤ ـ الإسلام وسط بين الذين يؤمنون بالعقل وبين الذين لا يؤمنون إلا عن طريق الإلهام:

والإسلام وسط بين الذين يؤمنون بالعقل وحده أداة لمعرفة حقائق الوجود، وبين الذين لا يؤمنون إلا عن طريق الإلهام، أو الأوهام، ولا يعترفون للعقل بدور في نفي أو إثبات، إن الإسلام يقرر أن الدين في الأصل وحي ونقل، وبما أن أخطر ما في النقل صحته فللعقل مهمتان حيال النقل، مهمة إثبات صحة النقل، ومهمة فهم النقل تمهيداً لتطبيقه، فبالعقل تصل إلى الإيمان بالله يقيناً، وبالعقل تؤمن بكتابه يقيناً عن طريق إعجازه، وبالعقل تؤمن برسوله يقيناً عن طريق الكتاب، وهنا ينتهي دور العقل في البحث ليبدأ دوره في التلقي إثباتاً وفهماً، فالحقائق التي عجز العقل عن إدراكها لافتقارها إلى آثار تدل عليها يتلقاها العقل عن الوحي دون أن يكون حكماً عليها، وهذه وسطية الإسلام في منهج التلقي.

### ٥ ـ الإسلام وسط في العبادات التي فرضها أي بين إلغائها وبين الانقطاع لها:

والإسلام وسط في العبادات التي فرضها، فهو في العبادات الشعائرية بين إلغائها وبين الانقطاع لها، فالعبادات الشعائرية في الإسلام محدودة ومعقولة ومعللة بمصالح الخلق، وهي فضلاً عن هذا فهي مرتبطة بالعبادات التعاملية فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لا يعد مصلياً، ومن لم يدع قول الزور والعمل به لا يعد صائماً، ومن حجّ بمال حرام يقال له عند التلبية إذا قال: لبيك اللهم لبيك، يقال له: لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك، والإنفاق مع الفسق غير متقبل لقوله تعالى:

**( قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ )**

( سورة التوبة )

وركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط، والخلط هو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وترك درهم من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام، ومن لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عبادته وعمله، فالإسلام عبادة وعمل، عبادة متقبلة أساسها عمل صالح، وعمل صالح ينطلق من عبادة صحيحة.

### ٦ ـ الإسلام وسط بين أن تدير خدك الأيسر لمن ضربك على خدك الأيمن وبين أن تكيل له:

وفي المعاملات الإسلام وسط بين أن تدير خدك الأيسر لمن ضربك على خدك الأيمن، وبين أن تكيل له الصاع عشرة أصوع، قال تعالى:

**( وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ )**

( سورة الشورى )

**( وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ (٤٠) )**

( سورة الشورى)

**( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) )**

( سورة النحل)

أخوة الإيمان في كل مكان، يتضح من هذه الآيات الكريمة أن على المسيء أن يدفع ثمن إساءته ملزماً، وأن لصاحب الحق أن يعفو عنه مختاراً، فالعدل قسري، والعفو والإحسان طوعي.

### ٧ ـ الإسلام وسط بين غلاة المثاليين وبين غلاة الواقعيين:

وفي الأخلاق، الإسلام وسط بين غلاة المثاليين الذين تصوروا الإنسان ملاكاً أو شبه ملاك ليس غير، فرسموا له مستوى لم يستطع أن يصل إليه، وبين غلاة الواقعيين الذين حسبوا أن الإنسان حيوان أو كالحيوان يعيش لشهوة، ولكن الإسلام ينطلق من أن الإنسان ركب من عقل وشهوة، فإن

قاده عقله إلى معرفة ربه، وضبط شهوته وفق منهج خالقه سما وسما حتى تجاوز في سموه الملائكة المقربين، وإن عطل عقله، أو أساء استخدامه فنسي سرّ وجوده، وجهل منهج ربه، وتحكمت به شهواته ونزواته سقط حتى صار أدنى من الحيوان.

## ٨ ـ الإسلام وسط في نظرته إلى الحياة الدنيا:

والإسلام وسط في نظرته إلى الحياة الدنيا، فهو بين الذين عدّوا الحياة الدنيا هي كل شيء، وقالوا: إن هي إلا حياتنا الدنيا، وما نحن بمبعوثين، فعبدوا شهواتهم ومصالحهم المادية، وبين الذين عدّوا وجودهم في الدنيا شراً فانسحبوا من الحياة، وحرموا أنفسهم من زينتها المشروعة، لقد عدّ الإسلام الحياتين الدنيا والآخرة متكاملتين، فالأولى مطية للثانية، وقد ورد في الحديث الشريف:

**(( ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه، حتى يصيب منهما جميعاً ))**

[الديلمي وابن عساكر عن أنس]

## ٩ ـ الإسلام وسط بين الروحية و المادية:

أيها الأخوة المؤمنون حضوراً ومستمعين، والإسلام يحقق توازناً بين الروحية والمادية، وهو وسط بينهما، بين الدين والدنيا، بين القيم والحاجات، بين الغريزة والعقل، بين الشهوة وبين المبدأ، الإنسان كما أراده الله عز وجل ليس الذي ينقطع عن العالم، وينسحب من الحياة، ويتفرغ للعبادة، ويتبتل فلا يعمل، ويتقشف فلا يتمتع، ويتبتل فلا يتزوج، ويتعبد فلا يفتر، ليله قائم، ونهاره صائم، يده من الدنيا صفر، وحظه من الحياة خبز الشعير، ولبس المرقع، ليس هذا هو الإنسان الذي أراده الله، كما أنه ليس كصاحب الجنتين يفخر على صاحبه منتفخاً بثروته، مختالاً بجنته قائلاً: أنا أكثر منك مالاً، وأعز نفراً، قال تعالى:

**( وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) )**

( سورة الكهف)

فأرسل الله على جنته حسباناً من السماء فأصبحت صعيداً زلقاً، وأصبح ماؤها غوراً، وليس كقارون الذي آتاه الله من الكنوز ما إن فاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، فبغى على قومه، واغتر بماله، وعزا الفضل إلى نفسه، وقال: إنما أوتيته على علم عندي، فخسف الله به وبداره الأرض، الإنسان الحق ليس هذا ولا ذاك.

## الإنسان في نظر الإسلام مخلوق مزدوج الطبيعة:

الإنسان في نظر الإسلام مخلوق مزدوج الطبيعة، يقوم كيانه على قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله، قال تعالى:

**( إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) )**

( سورة ص)

الإنسان بعنصره الطيني يسعى في الأرض ليعمرها

الإنسان بعنصره الطيني المادي قادر على أن يسعى في الأرض، وعلى أن يعمرها، على أن يكتشف ما أودع الله فيها من كنوز ونعم، وعلى أن يسخر قواها لمنفعته، والنهوض بمهمته، وهو بعنصره الروحي مهيأ للتحليق في أفق أعلى، والتطلع إلى عالم أرقى، والسعي إلى حياة هي خير وأبقى، وبهذا يسخر المسلم المادة، ولا تسخره، ويستخدم ما على الأرض من ثروات وخيرات دون أن تستخدمه، ودون أن تستعبده، وهذا ما يؤكده البيان الإلهي:



الإنسان بعنصره الروحي مهيأ للتحليق عاليا

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨) )**

( سورة المائدة)

قال تعالى:

**( هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) )**

( سورة الملك)

( فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(١٠) )

( سورة الجمعة)

## النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرص على الوسطية والتوازن بين الدنيا والأخرة:

أيها الأخوة الأكارم حضوراً ومستمعين، كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على الوسطية والتوازن بين الدنيا والآخرة، وكان يتمثل الدعاء القرآني:

( وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١))

( سورة البقرة)

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول:

**((اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمـــري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر))**

[ مسلم عن أبي هريرة]

كان صلى الله عليه وسلم يأكل من طيبات الحياة الدنيا، ولم يحرمها على نفسه، ولكنه لم يجعلها شغل نفسه، ولا محور تفكيره، وكان من دعائه:

**(( اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ))**

وكان صلى الله عليه وسلم حينما يرى من بعض أصحابه إفراطاً في التعبد، والصيام، والقيام على حساب الجسم والأهل والعمل يقول له:

**(( إنّ لربّكَ عليك حقًا، وإنّ لِنَفسكَ عليك حقًا، ولأهلك عليك حقا، فأعْطِ كلّ ذي حقّ حقّهُ،))**

[ البخاري عن سلمان]

وكان عليه الصلاة والسلام يقول:

**(( أما إني أخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء هذه سنتي فمن رغب عن سنتي فليس من أمتي))**

[ البخاري عن عائشة]

وكان عليه الصلاة والسلام يحذر أصحابه من أن تفتنهم الدنيا فيقول:

**(( والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكـم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم))**

[ابن ماجه عن المِسْوَر بْن مَخْرَمَةَ]

## الإسلام تتوازن فيه حرية الفرد و مصلحة الجماعة و تتكافئ فيه الحقوق والواجبات:

أيها الأخوة الكرام، هنا محل الإشارة إلى أن برّ الوالدين من خلال الأحاديث النبوية العديدة يعدل الجهاد في سبيل الله، وأن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله، وأن حسن تربية الأولاد، ولاسيما البنات منهم طريق إلى الجنة، وهو العمل الذي لا ينقطع عند موت صاحبه، بل إن العمل الذي يرتزق منه المسلم إذا كان في الأصل مشروعاً، وسلك فيه الطرق والأساليب المشروعة، وأراد منه المسلم كفاية نفسه، وأهله، وخدمة المسلمين، ولم يشغله عن فرض ديني، أو واجب، أو طاعة، أو طلب علم، أصبح عمل المسلم أو حرفته نوعاً من أنواع العبادة يتقرب بها إلى الله تعالى.


تضطرب نفس المؤمن إن عزل نفسه عن المجتمع

فبالإسلام تلتقي الفردية والجماعية في صورة متزنة رائعة، تتوازن فيها حرية الفرد ومصلحة الجماعة، وتتكافأ فيها الحقوق والواجبات، وتتوزع فيها المغانم والتبعات بالقسطاس المستقيم، إن المشرع في الإسلام هو خالق الإنسان، فمن المستحيل أن يشرع الخالق الحكيم من الأحكام والنظم ما يعطل فطرة الإنسان، أو يصادمها، وقد خلق الله الإنسان على طبيعة مزدوجة فردية واجتماعية في آن واحد، فالفردية جزء أصيل في كيان الإنسان، ولهذا يحب الإنسان وجوده، وسلامة وجوده، وكمال وجوده، واستمرار وجوده، ومع ذلك نرى فيه نزعة فطرية إلى الاجتماع بغيره، لذلك تضطرب نفسه، ويختل توازنه لو عزل نفسه عن المجتمع، أو عزل مقهوراً بالحبس الانفرادي، والنظام الأكمل لهذا الإنسان هو الذي يرعى فيه هذين الجانبين الفردية والجماعية، فلا يطغى أحدهما على الآخر، لذلك فلا عجب أن يكون الإسلام، وهو دين الفطرة نظاماً وسطاً عدلاً، فلا يجور على الفرد لحساب المجتمع، ولا يحيف على المجتمع من أجل الفرد، ولا يدلل الفرد بكثرة الحقوق التي تمنح له، ولا يرهقه بكثرة الواجبات التي تلقى عليه، وإنما يكلفه من الواجبات في حدود وسعه من دون حرج.

## الإسلام يحفظ للإنسان كرامته و يصون له إنسانيته:

والإسلام بوسطيته يقرر للإنسان من الحقوق ما يكافئ واجباته، ويلبي حاجاته، ويحفظ له كرامته، ويصون له إنسانيته، لهذا ومراعاة للجانب الفردي في الإنسان قرر الإسلام حرمة الدم، فحفظ للفرد حق الحياة، وأعلن القرآن أنه:

**( مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا (٣٢))**

( سورة المائدة)

لذلك أوجبت الشريعة القصاص في القتل، وأكدت أن في القصاص حياةً للفرد والمجتمع.

## الإسلام يحفظ للإنسان:

### ١ ـ حرية الاعتقاد:

قرر الإسلام حرية الاعتقاد، فلا يجوز أن يكره الإنسان على ترك دينه، واعتناق دين آخر، قال تعالى:

**( لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) )**

( سورة البقرة)

### ٢ ـ حرمة العِرض:

وقرر الإسلام حرمة العرض، أي سمعة الإنسان، فصان للفرد حق الكرامة فلا يجوز أن يهان في حضرته، ولا أن يؤذى في غيبته، قال تعالى:

**( لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) )**

( سورة الحجرات)

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ (١٢) )**

( سورة الحجرات)

## ٣ ـ حرمة المال:

وأكد الإسلام حرمة المال، فصان للفرد حق التملك، فلا يجوز أخذ ماله إلا بطيب نفس منه، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ (٢٩) )**

( سورة النساء)

## ٤ ـ حرمة البيت:

وأكد الإسلام حرمة البيت، فصان بذلك للفرد حق الاستقلال الشخصي، فلا يجوز لأحد أن يقتحم عليه بيته بغير إذنه، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) )**

( سورة النور)

## ٥ ـ حرية النقد البنّاء المخلص:

وأكد الإسلام حرية النقد البناء المخلص، قال تعلى:

**( وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٠٤) )**

( سورة آل عمران)

## ٦ ـ المسؤولية الفردية التي هي ثمرة التكليف وحرية الكسب:

وأكد الإسلام المسؤولية الفردية التي هي ثمرة التكليف، وحرية الكسب، وحتمية الجزاء، قال تعالى:

**( كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) )**

( سورة المدثر )

**( لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ (٢٨٦))**

( سورة البقرة )

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ(١٨) ﴾

( سورة فاطر )

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) ﴾

( سورة الحجر)

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾

( سورة البقرة)

## حقّ الجماعة أولى بالتقديم في المجتمع الإسلامي:

أيها الأخوة الكرام، ثم إن الإسلام مراعاة للجانب الاجتماعي للإنسان، فقد فرض عليه للمجتمع واجبات تكافئ حقوقه عليه، وقيد هذه الحقوق والحريات والفردية بأن تكون في حدود مصلحة الجماعة، وألاّ يكون فيها مضرة للغير، وليس للفرد في مجتمع المسلمين أن يستخدم حقه فيما يؤذي الجماعة، ويضرها، كما أن حق الفرد إذا تعارض مع حقوق الجماعة، فإن حق الجماعة أولى بالتقديم.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما والحمد لله رب العالمين.

* * *

**الخطبة الثانية:**

## الوسطية في الآفاق:

أيها الأخوة المؤمنون حضوراً ومستمعين، بما أن هذا الدين بأصليه القرآن والسنة أمر الله التكليفي، وبما أن هذا الكون بسماواته وأرضه أمر الله التكويني، وبما أن الله واحد في خلقه، واحد في أمره، فلا بد أن نرى الوسطية والتوازن في خلقه، كما نراها في أمره، فأين هي الوسطية في خلقه ؟ من ملامح الوسطية أو التوازن في الكون أن الكواكب والنجوم والمجرات كلها تتحرك في مسارات مغلقة حول بعضها، وقد لخص القرآن الكريم هذه الحقيقة بشكل معجز، قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) ﴾

( سورة الطارق)

أي أن كل متحرك في السماء، أي في الكون يرجع بعد حين إلى مكان انطلاقه النسبي، وينشأ من حركة كل نجم حول نجم آخر قوة نابذة تكافئ قوة جذب النجم المركزي، فلولا هذه القوة النابذة الناشئة عن الحركة المغلقة لعملت قوى التجاذب وحدها، فجمعت الكون كله في كتلة واحدة، قوى التجاذب تتوازن مع قوى النبذ، فالكون على حاله الراهن، بما أن مسار الأرض حول الشمس

بيضوي الشكل فحينما تقترب الأرض من الشمس تزداد سرعتها لئلا تنجذب إلى الشمس، لتنشأ قوة نابذة جديدة تكافئ القوة الجاذبة الجديدة، وحينما تبتعد الأرض عن الشمس تتباطأ سرعتها لئلا تتفلت من جاذبيتها، أرأيتم إلى هذا التوازن بين قوى الجذب وقوى النبذ ؟ ولو أن الأرض ازدادت، أو تباطأت سرعتها فجأة لانهدم كل ما عليها، ولكن تسارعها بطيء، وكذلك تباطؤها، وهذا يدل على علم الله، وعلى حكمة الله، وعلى رحمة الله، وعلى لطف الله.

## الوسطية في الأنفس:

بسبب هرمون في الجسم يحافظ الدم على سيولته

أيها الأخوة الكرام، هذه الوسطية أو التوازن في الآفاق، فماذا عن الوسطية أو التوازن في الأنفس ؟ من الثابت أيها الأخوة أن دم الإنسان إذا زادت ميوعته نزف كله من جرح صغير، وعندها يموت، ولو زادت لزوجته عن الحد المعقول تجمد في العروق كالوحل في الطرقات، فإذا وصلت خثرة منه إلى القلب أو الدماغ قضى الإنسان نحبه، لذلك يفرز الجسم هرموناً يميع الدم وهرموناً آخر يجلطه، ومن التوازن الدقيق بين إفراز الهرمونين يحافظ الدم على مستوى من السيولة تسمح له بالحركة عبر الأوعية الدقيقة، ويحافظ الدم على مستوى من اللزوجة تمنع نزيفه من أدق الجروح.

أرأيتم إلى هذا التوازن بين هرمون التميع وهرمون التجلط ؟

ومن الثابت أيضاً أن الغدة النخامية ( ملكة الغدد الصماء )، وأن من مفرزاتها ما يحث الغدة الدرقية المسؤولة عن الاستقلاب ( أي تحويل الغذاء إلى طاقة )، وأن من مفرزات الغدة الدرقية ما يثبط الغدة النخامية، وأنه من خلال التأثير المتبادل بين الغدتين يستقيم التوازن بين حاجة الإنسان إلى الغذاء، وحاجته إلى الطاقة، أرأيتم إلى هذا التأثير المتبادل بين الغدتين ؟ وكيف أن كل إفراز غدة يثبط أو ينشط الغدة الثانية.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٣٢) : خ١ - يوم عرفة - الله أكبر ، خ٢ - الأضحية ومشروعيتها.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-٠٥-٢٠

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## الخـطـبـة الأولـى:

### العبادات الشعائرية وسائل ينطلق الإنسان بها من حدود ذاته الصغيرة إلى رحابة الكون الكبيرة:

العبادات الشعائرية ومنها الحج وسائل ينتظر أن ينعقد من خلالها اتصال بين هذا الإنسان الحادث، الفاني، المحدود، الصغير، وبين الخالق المطلق، الأزلي، الباقي، الذي خلق هذا الوجود، وعندها ينطلق الإنسان من حدود ذاته الصغيرة إلى رحابة الكون الكبير، ومن حدود قوته الهزيلة إلى عظمة الطاقات الكونية، ومن حدود عمره القصير إلى امتداد الآباد التي لا يعلمها إلا الله.

أيها الأخوة، هذا الاتصال لا ينعقد إلا أن يكون الإنسان ملتزماً بالمنهج التعبدي، والتعاملي، والأخلاقي فيما بينه وبين الخلق، هذا الاتصال هو جوهر الدين، فالصلاة عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين.

### فوائد الاتصال بالله عز وجل:

#### ١ ـ يطهر الإنسان من عوامل انحطاطه وشقائه:

من ثمار هذا الاتصال أنه يطهر الإنسان من عوامل انحطاطه وشقائه، الصلاة طهور كما قال عليه الصلاة والسلام.

#### ٢ ـ يسعد المتصل سعادة تنبع من ذاته:

ومن ثمار هذا الاتصال أنه يسعد المتصل سعادة تنبع من ذاته، قال أحد العارفين: **"ماذا يصنع أعدائي بي، بستاني في صدري، إن حبسوني فحبسي خلوة، وإن أبعدوني فإبعادي سياحة، وإن قتلوني فقتلي شهادة".**

## ٣ ـ المتصل بالله طاهر السرير مستنير البصيرة:

المتصل بالله طاهر السرير مستنير البصيرة، منغمس في سعادة لا تستطيع سبائك الذهب اللامعة، ولا سياط الجلادين اللاذعة أن تصرفه عنها.

## الاتصال بالله يتفاوت نوعا وأمداً من عبادة إلى أخرى:

هذا الاتصال يتفاوت نوعا وأمداً من عبادة إلى أخرى، ففي الصلاة يشحن المصلي شحنة روحية تطهره، وتنوره، وتسعده إلى الصلاة التي تليها، لكن فريضة الجمعة وخطبتها ينبغي أن تشحنه شحنة أكبر وأطول، ينبغي أن تشحنه إلى الجمعة التي تليها.

أما الصيام فقد أراده الله ثلاثين يوماً يترك فيها الصائم طعامه وشرابه، لتكون الشحنة الروحية كافية لعام كامل، أما الحج فهو عبادة تؤدى في العمر مرة واحدة فرضاً، وهو عبادة شعائرية مالية بدنية، تؤدى في أوقات معلومة وأمكنة مخصوصة، لذلك تحتاج إلى تفرغ تام من تعلقات الدنيا، كالوطن، والأهل، والأولاد، والعمل، وتفريغ كامل من كل الحجب والأقنعة التي تبعد النفس عن خالقها، فلابدّ للحاج أن يخلع ثيابه التي تعبر بشكل أو بآخر عن دنياه ولابدّ أن يبتعد عن أكثر المباحات التي تشده إلى الدنيا، كل هذا من أجل أن يشحن المؤمن في الحج شحنة روحية كبيرة، تكفي لأن يلتزم بمنهج الله، وأن يقبل عليه، وأن يعمل للدار الآخرة إلى أن يلقى ربه.

## الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأكبر:

ركن الحج الأكبر هو الوقوف بعرفة، كما قال علية الصلاة والسلام:

**(( الحج عرفة ))**

[ الترمذي و أبو داود عن النعمان بن بشير]

لذلك يعد يوم عرفة، ونحن في يوم عرفة، يوم اللقاء الأكبر بين العبد المنيب المشتاق وبين ربه التواب الرحيم، فيوم عرفة يوم المعرفة، ويوم عرفة يوم المغفرة، ويوم عرفة يوم تتنزل فيه الرحمات على العباد من خالق الأرض والسماوات، ومن هنا قيل من وقف في عرفات، ولم يغلب على ظنه أن الله قد غفر له فلا حج له.

**(( ما من أيام عند الله افضل من عشر ذي الحجة، فقال رجل هن أفضل أم من عدتهن جهاداً في سبيل الله ؟ قال: هن أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، يقول: انظروا**

**عبادي جاءوني شعثاً غبراً ضاحين، جاؤوني من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم يُر يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة))**

[المنذري رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان واللفظ له عن جابر رضي الله عنه]

وروى ابن المبارك عن سفيان الثوري عن الزبير بن علي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات، وقد كادت الشمس أن تثوب فقال: يا بلال أنصِت لي الناس، فقام بلال فقال: أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنصت الناس، فقال عليه الصلاة والسلام:

**(( معشر الناس أتاني جبريل عليه السلام آنفاً فأقرأني من ربـــي السلام وقال: إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات ))**

[ابن المبارك عن أنس بن مالك رضي الله عنه ]

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله هذه لنا خاصة ؟ قال: هذه لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة، فقال عمر رضي الله عنه، كثر خير الله وفاض.

و:

**(( ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنوا عز وجل ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ماذا أراد هؤلاء))**

[مسلم عن عائشة رضي الله عنها ]

و:

**((ما رئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أغيظ فنه من يوم عرفة وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما أري من يوم بدر، قيل: وما رأى يوم بدر يا رسول الله ؟ أما إنه رأى جبريل يزع الملائكة))**

[رواه الإمام مالك مرسلاً والحاكم موصولاً عنْ طَلحَة بْن عُبَيْدِ اللَّهِ]

أي يقودهم.

## خير الدعاء دعاء يوم عرفة:

أيها الأخوة الكرام:

**(( خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير))**

[أحمد والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ]

ويروى عن حسين المروزي قال: سألت سفيان بن عيينة عن أفضل الدعاء يوم عرفة فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقلت له: هذا ثناء، وليس بدعاء، فقال: أما تعرف حديث مالك بن الحارث، هو تفسيره ؟ قلت: حدِّثنيه أنت، فقال: حدثنا مالك بن الحارث قال يقول الله عز وجل:

**(( إذا شغل عبدي ثناؤه علي عن مسألتي أعطيتــه أفضل ما أعطي السائليــن))**

قال: وهذا تفسير قول النبي، ثم قال سفيان: أما علمت ما قال أمية بن أبي الصلت حين أتى عبد الله بن جدعان يطلب نائله " أي عطاءه "، قلت: لا، قال، قال أمية:

**أأذكر حاجتي أم قد كفانــي حياؤك إن شيمتك الحيـاء**

**وعلمك بالحقوق و أنت ورع لك الحسب المهذب والثناء**

**إذا أثنى عليك المرء يومـاً كفاه من تعرضه الثنــاء**

***

ثم قال: يا حسين هذا مخلوق يكتفى بالثناء عليه دون مسألة فكيف بالخالق ؟

## المؤمن الحق لا يقنط من رحمة الله:

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، قصة سيدنا يونس عليه السلام، خير ما يؤكد هذا المعنى، ما من مصيبة أشد من أن يجد الإنسان نفسه فجأة في ظلمة بطن الحوت، وفي ظلمة أعماق البحر، وفي ظلمة الليل، وما من مصيبة انقطعت معها كل أسباب الخلاص كهذه المصيبة، فنادى يونس عليه السلام:

**( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ )**

( سورة الأنبياء )

فاستجبنا له، دققوا في كلمة فاستجبنا، أي أن الله جلّ جلاله عدّ ثناء يونس دعاء، ( فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ )، انتهت القصة، ولئلا يظن قارئ القرآن أنها قصة تاريخية وقعت مرة ولن تقع مرة أخرى جعلها الله قانوناً بهذا التعقيب، جعلها الله قانوناً ساري المفعول في كل زمان ومكان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، التعقيب:

**( وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) )**

( سورة الأنبياء )

أي مؤمن إذا دعا الله عز وجل مضطراً، فإن الله سبحانه وتعالى يجيبه، فالمؤمن الحق لا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من نصر الله.

## اللهُ أكبر أكبرُ من كل شيء يشغل الإنسان عن الخشوع لربه:

لذلك لا يسع الحاج بعد أن أفاض من عرفات، وقد حصل له هذا اللقاء الأكبر، وأشرقت في نفسه أنواره، واصطبغت نفسه بصبغة الله، لا يسعه وقد ذكر فضل الله عليه عند المشعر الحرام، ذكره وشكره على نعمة الهدى والقرب، لا يسعه وقد عبر تعبيراً رمزياً عن عداوته الأبدية للشيطان برمي جمرة العقبة، لا يسعه بعد أن لبى دعوة ربه وحظي بقربه، ورأى طرفاً من جلال ربه وإكرامه، لا يسعه إلا أن يكبر الله على نعمة الهدى والقبول والقرب، لذلك قطع النبي صلى الله عليه وسلم التلبية بعد رمي جمرة العقبة والحلق، وبدأ بالتكبير، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، كلمة موجزة لكنها خطيرة، الله أكبر مع أخواتها، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، هي الباقيات الصالحات في قوله تعالى:

**(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا(٤٦))**

( سورة الكهف )

فالمرء إذا سبّح الله حقيقة، وحمده، ووحده، وكبره، فقد عرفه، وإذا عرفه أطاعه، وإذا أطاعه استحق جنته، وما عند الله خير وأبقى من الدنيا الدنية الفانية، والله أكبر يفتتح بها الأذان، ويختم بها، ليشعر المسلم وهو يسمع الأذان، وهو منغمس في عمله وتجارته، أن ما عند الله حينما يمتثل العبد أمره بتلبية النداء أكبر من كل شيء بين يديه مهما يكن كبيراً، والله أكبر نفتتح بها صلاتنا، ونرددها في أثناء الصلوات الخمس ما يزيد عن مئتين وخمسين مرة في اليوم الواحد، وقد أصاب بعض الفقهاء حين عدّها أقربَ إلى الشرط الذي ينبغي أن يستمر طوال الصلاة منها إلى الركن الذي ينقضي بأدائه، فالمصلي ينبغي أن يلحظ في أثناء صلاته أن الله أكبر أكبرُ من كل شيء يشغله عن الخشوع لربه.

والله أكبر نرددها عقب انتصارنا على أنفسنا، عقب عبادة الصيام في عيد الفطر السعيد، وعقب عبادة الحج في عيد الأضحى المبارك، لذلك سنّ لنا النبي صلى الله عليه وسلم التكبير في العيدين، لأنه تحقيق للعبودية لله والعودة إليه.

المؤمن مهما ازدادت معرفته بربه فالله أكبر مما عرف:

أيها الأخوة الكرام، إذا رجع العبد إلى الله نادى مناد في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله، والله أكبر نرددها، ونحن نواجه أعداءنا، وبعد أن ننتصر عليهم من أجل أن نشعر أن الله أكبر من كل كبير، وأن النصر من عند الله:

**( وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) )**

( سورة آل عمران)

والله أكبر يرددها المؤمن السالك إلى الله، فتعني عنده أنه كلما كشف له جانب من عظمة الله، جانب من قدرة الله، جانب من رحمة الله، جانب من إكرام الله، تعني عنده أن الله أكبر مما رأى. وكما قال الإمام الشافعي: **( كلما ازددت علماً ازددت علماً بجهلي ).**

ومجمل القول إن المؤمن مهما ازدادت معرفته بربه فالله أكبر مما عرف، والعبرة كل العبرة لا في ترديد لفظها بل في معرفة مضمونها، ومضمون هذا الكلمة يؤكده، ويحدده سلوك المؤمن، والنبي صلى الله عليه وسلم قمة البشر في معرفة مضمون كلمة **" الله أكبر ".**

## المرء إن أطاع مخلوقاً وعصى خالقه فهو ما قال الله أكبر ولا مرة:

أرسلت قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقول له: " لقد أتيت قومك بأمر عظيم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها، إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سوّدناك علينا فلا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، فلم يفلح في هذا المحاولة.

ثم حاولت قريش عن طريق عمه أبي طالب أن تكفه عن دعوته فقال له عمه أبو طالب: " يا بن أخي أبق على نفسك، وعليّ، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أطيق، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن قال قولته الشهيرة:

**(( والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ))**

[ السيرة النبوية ]

الله أكبر قالها أصحاب رسول الله، قالوها بألسنتهم، وامتلأت بها قلوبهم، وصدقتها أعمالهم، ففعلوا وهم قلة ما نعجز عن فعل معشاره، ونحن كثرة، فالواحد ممن يقولها، ويصدقها عمله كألف، والألف ممن يقولها ولا يصدقها عمله كأف.

سيدنا سعيد بن عامر، أرادت زوجته أن تحمله على الكف عن الإنفاق في سبيل الله، قال لها: " لقد كان لي أصحاب سبقوني إلى الله، وما أحب أن أنحرف عن طريقهم، ولو كانت لي الدنيا وما فيها ـ وقد خشي أن تتدلل عليه بجمالها، وهو سلاح النساء ـ فقال لها: تعلمين أن في الجنة من الحور العين ما لو أطلت واحدة منهن على الأرض لغلب نور وجهها ضوء الشمس والقمر، فلأن أضحي بك من أجلهن أحرى وأولى من أن أضحي بهن من أجلك، قال هذا الصحابي الجليل: الله أكبر بلسانه، وامتلأ بها قلبه، وصدقها عمله.

راعٍ من عامة المسلمين يرعى شياهاً قال له ابن عمر ممتحناً: بِعْنِي هذه الشاة، وخذ ثمنها، قال: ليست لي، قال: قل لصاحبها: ماتت، أو أكلها الذئب، وخذ ثمنها، قال والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني، فإني عنده صادق أمين، ولكن أين الله ؟!.
قال هذا الراعي، الله أكبر بلسانه، وامتلأ بها قلبه، وصدقها عمله.

فإذا أطاع المرء مخلوقاً كائناً من كان، وعصى خالقه فهو ما قال الله أكبر ولا مرة ولو ردّدها بلسانه ألف مرة، لأنه إنما أطاع الأقوى في تصوره.

وإذا غشّ المرء الناس ليجني المال الوفير، فهو ما قال الله أكبر ولا مرة، ولو رددها بلسانه ألف مرة، لأنه إنما رأى أن هذا المال أكبر عنده من طاعة الله ورسوله.

وإذا لم يقم المرء الإسلام في بيته إرضاء لأهله ولأولاده فهو ما قال الله أكبر ولا مرة ولو ردّدها بلسانه ألف مرة، لأنه إنما رأى أن إرضاء أهله أكبر عنده من إرضاء ربه.

## من عرف مضمون الله أكبر تغير حاله من حال إلى حال:

أيها الأخوة الكرام، كلمة الله أكبر التي سوف نرددها غداً إن شاء الله، لو عرف المسلمون مضمونها فرددوها بألسنتهم، وامتلأت بها قلوبهم، وصدقتها أعمالهم، لكانوا في حال آخر مع الله، وموقف آخر مع الخلق.
أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين، لنردد الله أكبر بألسنتنا، ولنتعرف إلى مضمونها، ولتكن أعمالنا مصدقة لها، حتى نستحق أن يرحمنا الله، وأن ينصرنا على أعدائنا.
اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخطبة الثانية:**

## الأضحية ومشروعيتها:

الأضحية شعيرة من شعائر المسلمين في عيد الأضحى المبارك، ومشروعيتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( من وجد سعة ولم يضح فلا يقربن مصلانا ))**

[ أحمد وابن ماجة عن أبي هريرة]

وقد استنبط أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ من هذا الحديث أنها واجبة، فمثل هذا الوعيد لا يلحق بترك غير الواجب، وقال غير الأحناف: إنها سنة مؤكدة، ولهم أدلتهم.

فهي واجبة مرة في كل عام على المسلم الحر البالغ العاقل المقيم الموسر، فقد قال عليه الصلاة و السلام:

**(( ما عمل ابن آدم يوم النحر عمــلاً أحب إلى الله تعال من إراقة الدم، إنـها - أي الأضحية - لتأتي يوم القيامة بقرونـها وأظلافهـــا و أشعارها، وإن الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بـها نفساً ))**

[رواه ابن ماجه والترمذي عن عائشة]

ومن حديث أنس رضـي الله عنـه قال:

**(( ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر، قال: رأيته واضعا قدمه على صفاحهما ويذبحهما بيده ))**

[ البخاري عن أنس]

وحكمتها أن المسلم الموسر يعبر بها عن شكره لله تعالى على نعمه المتعددة، منها نعمة الهدى، ومنها نعمة البقاء على قيد الحياة من عام إلى عام، فخيركم من طال عمره وحسن عمله، ومنها نعمة السلامة، والصحة، ومنها نعمة التوسعة في الرزق، وهي فضلاً عن ذلك تكفير لما وقع من الذنوب، وتوسعة على أسرة المضحي، وأقربائه، وأصدقائه، وجيرانه، وفقراء المسلمين.

## شروط الأضحية ووقت نحرها:

ومن شروط وجوبها اليسار، فالموسر هو مالك نصاب الزكاة زائداً عن حاجاته الأساسية، أو هو الذي لا يحتاج إلى ثمن الأضحية أيام العيد فقط، أو هو الذي لا يحتاج إلى ثمن الأضحية خلال العام كله، على اختلاف بين المذاهب في تحديد معنى الموسر.

وينبغي أن يكون الحيوان المضحى به سليماً من العيوب الفاحشة التي تؤدي إلى نقص في لحم الذبيحة، أو تضر بآكلها، فلا يجوز أن يضحي بالدابة البين مرضها، ولا العوراء، ولا العرجاء، ولا العجفاء، و لا الجرباء، ويستحب في الأضحية أسمنها، وأحسنها.

وكان صلى الله عليه وسلم يضحي بالكبش الأبيض الأقرن.

وقت نحر الأضحية بعد صلاة عيد الأضحى وحتى قبيل غروب شمس اليوم الثالث من أيام العيد، على أن أفضل الأوقات هو اليوم الأول ما بعد صلاة عيد الأضحى وحتى قبل زوال الشمس. ويكره تنزيهاً الذبح ليلاً، ولا تصح الأضحية إلا من النعم، من الإبل والبقر والغنم من ضأن ومعز، بشرط أن يتم الضأن ستة أشهر، وأن تتم المعز سنة كاملة عند بعض الأئمة، ويُجزئُ المسلم أن يضحي بشاة عنه، وعن أهل بيته المقيمين معه، والذين ينفق عليهم، وهم جميعاً مشتركون في

الأجر، ومن مندوبات الأضحية أن يتوجه المضحي نحو القبلة، وأن يباشر الذبح بنفسه إن قدر عليه، وأن يقول:

**((بسم الله والله أكبر، اللهم هذا منك وإليك، اللهم تقبل مني ومن أهل بيتي))**

ولـه أن يوكل غيره وعندها يستحب أن يحضر أضحيته، لقول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة:

**(( قومي إلى أضحيتك فاشهديها، فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها))**

ويستحب أن يوزعها أثلاثاً، فيأكل هو وأهل بيته الثلث، ويهدي لأقربائه، وأصدقائه، وجيرانه الثلث، ويتصدق بالثلث الأخير على الفقراء والمسلمين، لقوله تعالى:

**( فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرّ (٣٦) )**

( سورة الحج )

قال تعالى:

**( وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا صَوَافّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرّ كَذَلِكَ سَخّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنَالَ اللّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبّرُوا اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧))**

( سورة الحج )

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٣٣) : خ١ - الرزق - فلسفة المال في الإسلام ، خ٢ - المثل الحي.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-٠٧-٢٩

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولـى:**

## حرص الإنسان على رزقه كحرصه على حياته:

يقول الله في الحديث القدسي:

**(( يا عبادي كلكـم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهْدِكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعَمْتُه فاستطعموني أطْعمْكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكْسِكم، يا عبادي لو أن أولكم وآخركـم وإنسكم وجنكم وقفوا على صعيد واحد وسألني كلُ واحد منكم مسألته وأعطيت كل سائل مسألته، ما نقص ذلك في ملكي، إن هـي أعمالكم أحصيها عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ))**

[أخرجه مسلم عن أبي ذر]

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، قال:

**(( إن روح القدس نفثت في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله عبادَ الله، وأجملوا في الطلب واستجملوا مهنكم ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده بمعصيته ))**

[حديث صحيح بشواهده، ابن ماجه وأبو نعيم في الحلية والحاكم وابن حبان.]

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين.

**انظر لتلك الشجرة ذات الغصون النضرة**

**كيف نمت من حبة وكيف صارت شجرة**

**فابحث وقل من الذي يخرج منها الثمرة**

**وانظر إلى الشمس التي جذوتها مستعرة**

**فيها ضياء و بها حرارة منتشرة**

**من ذا الذي أوجدها في الجو مثل الشررة**

**وانظر إلى الليل فمن أوجد فيه قمره**

**و زانه بأنجـــم كالدرر المنتـــشرة**

**وانظر إلى الغيم فمن أنزل منه مـــطره**

**فصير الأرض به بعد اصفرار خضـــرة**

**ذاك هو الله الــذي أنعمه منهمـــرة**

**ذو رحمة بالـــغة وقدرة مقتــــدرة**

***

عباد الله في كل مكان، أوصيكم بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير. موضوع الخطبة اليوم الرزق، والإنسان حريص على رزقه كما هو حريص على حياته فكيف يدفع المرء عن نفسه القلق من أجل الرزق ؟ وكيف يمتنع الرجل عن ارتكاب المعاصي من أجل الرزق ؟ وكيف يحترز الإنسان عن أن يقف موقف مذلة من أجل الرزق ؟

## المال الذي في أيدي الناس ملك لله تعالى وحده:

ما فلسفة المال في الإسلام ؟ من يملكه ؟ وكيف أن الإنسان مستخلف فيه، ولماذا ينبغي أن نحافظ عليه، ولماذا حرم الله التبذير والإسراف وإتلاف المال ؟ ولماذا فرض الإسلام على المسلم فرضاً عينياً أن يكسب رزقه بنفسه ؟ وهل هناك مكاسب للرزق محرمة تخفى على كثير من المسلمين ؟ وكيف يزيد الرزق من خلال الكتاب والسنة ؟ أرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون في فقرات هذه الخطبة إجابات لهذه الأسئلة.

أخوة الإيمان في كل مكان، لقد خلق الله السماوات والأرض وما فيهما، وهو المالك الواحد لكل ما في السماوات الأرض وبينهما وما تحت الثرى، قال تعالى:

**( لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) )**

( سورة طه)

فلسفة المال، المال أيها الأخوة الذي في أيدي الناس ملك لله تعالى وحده، والدليل قوله تعالى:

**( وَآَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آَتَاكُمْ (٣٣) )**

( سورة النور )

لقد سمى الله المال الذي في أيدي الناس مال الله، إلا أن الله جل جلاله تفضل على عباده باستخلافهم فيه، قال تعالى:

**( آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ(٧) )**

( سورة الحديد)

## المال بنص القرآن الكريم نعمة من نعم الله تعالى الدالة على رحمته بالإنسان:

أصل الملك لله سبحانه وتعالى، والعبد ليس له إلا التصرف، والله جل جلاله سيحاسبه عن هذا المال من أين اكتسبه ؟ وفيمَ أنفقه ؟ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( إنّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنّ اللّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ))**

[ مسلم وعَنْ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ]

أما حينما يضاف المال إلى العباد، كقوله تعالى:

**( لَتُبْلَوُنّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنّ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتّقُوا فَإِنّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦) )**

( سورة آل عمران)

لتبلون في أموالكم، أضيف المال إلى العباد، وأنفسكم، فهذه الإضافة في رأي علماء التفسير لا تعني أن الإنسان ملك المال، وإنما تعني أن الإنسان ملك حق الانتفاع به ابتلاء وامتحاناً. والمال أيها الأخوة بنص القرآن الكريم نعمة من نعم الله تعالى الدالة على رحمته بالإنسان، فقد منّ الله على نبيه به فقال:

**( أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (٨))**

( سورة الضحى)

نعمة من نعم الله.

## المال قوام الحياة:

سمى الله المال في القرآن الكريم خيراً، قال تعالى:

**( كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتّقِينَ (١٨٠) )**

( سورة البقرة)

وقد امتدح النبي صلى الله عليه وسلم المال فقال:

**(( نعم المال الصالح للمرء الصالح ))**

[رواه أحمد عن عمرو بن العاص]

وقد نقل عن بعض أصحاب رسول الله رضوان الله تعالى عليهم أن أحدهم قال: **"حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي".**

وقد بين الله تعالى أن المال قوام الحياة، وأن معايش الناس وقيامهم بالمال، قال تعالى:

**( وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً (٥) )**

( سورة النساء)

أي قياماً بها، يقول بعض المفسرين: أي أنكم تقومون بها وتنتعشون، ولو ضيعتموها لضعتم، فكأن فيها قيامكم وانتعاشكم.

أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين، بما أن المال نعمة وخير، وقوام الحياة، فينبغي أن نحفظه، وأن نحافظ عليه كي نلبي به حاجاتنا الأساسية، وألاّ نضيعه، وآية الدّين التي هي أطول آية في القرآن الكريم تؤكد ضرورة حفظ المال، ورعايته، وعدم تضييعه من خلال كتابة الدّين، والاستشهاد بالشهود، وأخذ الرهان.

نهى الإسلام عن إضاعة المال الذي استخلف الله العباد فيه، يقول عليه الصلاة والسلام:

**(( إن الله نهى عن ثلاث، قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ))**

يقول الإمام النووي في شرح هذا الحديث: **"إضاعة المال صرفه في غير وجوهه المشروعة وتعريضه للتلف، وسبب النهي أنه إفساد، والله لا يحب المفسدين، ولأن من أضاع ماله تعرض لأموال الناس بالاحتيال والعدوان، وهل بعد هذا الفساد من فساد"**، لا زلنا في فلسفة المال في الإسلام.

## التبذير والإسراف:

أيها الأخوة الكرام، قد حرم الله التبذير أشد التحريم، حين وصف المبذرين بأنهم أخوان للشياطين، قال تعالى:

**( وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا أَخوان الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً (٢٧) )**

( سورة الإسراء)

التبذير في التعريف الدقيق هو الإنفاق في معصية الله، وفي غير حق، وقد نقل عن الإمام البخاري الذي نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: **" لا تبذر ـ أي لا تنفق ـ في باطل "**، ونقل عن ابن مسعود: **" لا تبذر "**، أي لا تنفق في غير حق، وقد ذكر الإمام الشوكاني: **" أن الشيطان كفور وأن المبذر أخ للشيطان "**، فبالقياس المنطقي المبذر كفور، لو أخذ الناس بهذا الأمر فامتنعوا عن تبذير أموالهم في المعاصي وفي الفساد لبقيت أموال ضخمة لتلبية الحاجات الأساسية للناس في الحياة، هذا عن التبذير فماذا عن الإسراف؟

## نهى الله سبحانه عن الإسراف والتقتير:

قد لا ينفق المرء ماله في المعاصي لكنه ينفقه في المباحات من طعام، وشراب، ومسكن، وملبس، وزينة متجاوزاً حد الاعتدال، باعتبار الكم، أو متجاوزاً حد الاعتدال باعتبار النوع، أو كلاهما معاً، قال تعالى:

**( يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) )**

( سورة الأعراف)

أمر إباحة.

أباح الله سبحانه وتعالى الأكل والشرب، ونهى عن الإسراف، قال ابن عباس في تفسيره: " أحل الله تعالى في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة "، وقال بعض المفسرين: حذف مفعول ولا تسرفوا **( وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا )** لم يذكر المفعول به، حذف المفعول في: ولا تسرفوا، يدل على العموم، أي لا تسرفوا في الأكل والشرب، وفي أي شيء آخر، ويؤيد تعليل النهي بأنه لا يحب المسرفين، أي لا يحب جنس المسرفين لأنهم يظلمون أنفسهم، ويؤذون أبدانهم، ويضيعون أموالهم، ويخسرون آخرتهم، وفي هذا وعيد للمسرفين بأنه لا يحبهم، ولا يرضى عنهم، والى جانب هذا نهى الله تعالى عن الإقتار الذي يسبب اللوم، قال تعالى:

**( وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً (٢٩) )**

( سورة الإسراء)

قال البيضاوي: في تفسيره في الآية تمثيلان لمنع الشحيح، وإسراف المبذر، نهى عنهما آمراً بالاقتصاد والاعتدال بينهما الذي هو الكرم.

وقال ابن كثير في تفسيره

**( فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً )**

أي فتقعد إن بخلت ملوماً، يلومك الناس ويذمونك، وتقعد محسوراً متى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير، أي كالدابة التي عجزت عن السير فتوقفت ضعفاً وعجزاً.

## النجاة في القصد:

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، النجاة في القصد أي الاعتدال، روى البيهقي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**(( ثلاث منجيات وثلاث مهلكات، فأما المنجيات فتقوى الله في السر والعلانية، والقول بالحق في الرضى والسخط، والقصد - الاعتدال - في الغنى والفقر، وأما المهلكات، فهوىً متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه، وهو أشدهن ))**

[البيهقي عن أبي هريرة]

بهذا القصد في الإنفاق من صفات عباد الرحمن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا، ولم يقتروا، وكان بين ذلك قواماً، قال تعالى في سورة الفرقان:

**( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً (٦٧) )**

( سورة الفرقان)

أخوة الإيمان في كل مكان، لقد فرض الإسلام على العباد أن يسعوا، ويبذلوا الجهد لكسب العيش، فقد روى الطبراني عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

**(( طلب الحلال واجب على كل مسلم ))**

[ الطبراني عن أنس]

وجوباً فرضياً، وفي حديث صحيح أيضاً:

**(( طلب الحلال فريضة بعد الفريضة ))**

[ الجامع الصغير عن ابن مسعود]

معنى فريضة بعد الفريضة، أي فريضة تأتي بعد فريضة الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، أو هي فريضة مستمرة، وقال بعض الأئمة: القصد بالقدر الذي لا بد منه فريضة، لأن ما يقيم المرء صلبه حتى يؤدي الفريضة يُعد فريضة، فما لا تؤدى الفريضة إلا به يُعد فريضة، وكذلك يعد التكسب فريضة عينية لتأدية الدّين لأن الدين يجب أن يقضى، وكذلك يعد التكسب فريضة عينية للإنفاق على الزوجة والأولاد، لأن الإنفاق عليهم واجب، وكذلك يعد التكسب فريضة عينية للإنفاق على الأبوين، لأن الإنفاق عليهما واجب أيضاً، وقد نقل ابن الجوزي عن محمد بن عاصم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا رأى شاباً فأعجبه سأل عنه هل له من حرفة، فإن قيل: لا، سقط من عينه، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: "إني لأكره الرجل فارغاً لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة ".

## الأنبياء والمرسلون قدوة في كسب الرزق:

أيها الأخوة المستمعون، أيتها الأخوات المستمعات، هذه هي النصوص التي تؤكد وجوب العمل، فماذا عن القدوة في كسب الرزق ؟ لقد كان الأنبياء والمرسلون قدوةً في هذا، فما من أحد أكبر من أن يكسب رزقه بنفسه، قال تعالى:

**( وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً (٢٠) )**

( سورة الفرقان)

أي إنهم بشر، وتجري عليهم كل خصائص البشر، وهم قدوة للبشر، ومن بشريتهم أنهم مفتقرون في وجودهم إلى تناول الطعام، ومفتقرون من أجل الحصول عليه إلى المشي في الأسواق أي إلى كسب الرزق. وقد روى الإمام البخاري عن المقداد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

**(( مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ))**

[ البخاري عَن المِقْدَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

ونبينا عليه الصلاة والسلام إمام الأنبياء والمرسلين، وأكرم الأولين والآخرين، وحبيب رب العالمين كان يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة، فقد روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

**(( مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ ))**

[ البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

فالعمل شرف للإنسان.

## من واجب ولي أمر المسلمين أن يوقِّر الأعمال للعاطلين:

أيها الأخوة المؤمنون حضوراً ومستمعين، النبي صلى الله عليه وسلم يبين من خلال توجيهاته ومواقفه، لا بوصفه نبي هذه الأمة ورسول الله إليها، ولكن بوصفه ولي أمر المسلمين، يبين لأولي الأمر من بعده أن من واجب ولي أمر المسلمين أن يوقِّر الأعمال للعاطلين، وأن يؤهلهم تأهيلاً نفسياً ومادياً، فقد روى أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله مالاً، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( أما في بيتك شيء ؟ قال: بلى، حلس - بساط - نجلس عليه، وقعب نشرب فيه الماء، قال: ائتني بهما، فأتاه بهما فأخذهم رسول الله بيده صلى الله عليه وسلم، وقال لأصحابه: من يشتري هذين ؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: من يزيد على درهم ؟ قالها مرتين أو ثلاثاً فقال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما للأنصاري وقال: اشتر بإحداهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً وائتني به فأتاه به، فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة عوداً ثم قال: اذهب فاحتطب**

**وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً، فذهب الرجل يحتطب ويبيع وجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً، فقال عليـه الصلاة والسلام: هذا خير لك من أن تجيء المسالة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة، لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفزع، أو لذي دم موجع ))**

[ أبو داود عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ]

ماذا نستفيد من هذه القصة ومن توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام نستفيد أنه صلى الله عليه وسلم أهّل هذا العاطل تأهيلاً نفسياً، حيث أمره بتزويد أهله بالطعام كي يفرغ من التفكير في شأنهم لبعض الوقت، ولينقطع عن العمل، وأهّله مادياً حيث زوده بآلة العمل بعد ما شد عليها عوداً بيده الكريمة، والأهم من هذا متابعة النتائج، حيث أعطاه فرصة خمسة عشر يوماً لينظر بعدها إلى مدى نجاحه أو إخفاقه.

أيها الأخوة الكرام، ومن توجيهات عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبعض ولاته قال له: **إن الله قد استخلفنا على خلقه لنسد لهم جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر لهم حرفتهم، فإذا وفيناهم ذلك تقاضيناهم شكرها، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية ".**

## مِنْ أكْلِ أموال الناس بالباطل الربا حيث يلد المالُ المال:

أخوة الإيمان في كل مكان، هذا عن فلسفة المال في الإسلام، وعن وجود العمل المشروع لكسبه، وتحري الوجوه المشروعة في إنفاقه، فماذا عن الكسب الحرام وأكل أموال الناس بالباطل ؟ قال تعالى:

**( وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨) )**

( سورة البقرة)

لقد أشارت كلمة لا تأكلوا أموالكم إلى حقيقة خطيرة وهي: أشارت إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون من إخوة صادقة، أو مشاركة وجدانية حانية، يجسدها الشعور بأن مال أخيك هو مالك من زاوية، ومن زاوية أنه يجب أن تحافظ عليه وكأنه مالك، وأن تصونه من التلف والضياع، فلأن تمتنع عن أكله بالباطل من باب أولى، وتشير هذه الكلمة ولا تأكلوا أموالكم، أن هذا المال هو مالك من زاوية أخرى، من زاوية أنه إذا أكلت مال أخيك أضعفته، وفي إضعافه إضعاف لك، فأنت بهذا كأنك قد أكلت مالك. وقد ثبت في الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:

**(( كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ))**

[ مسلم، الترمذي، أبو داود، ابن ماجه عن أبي هريرة ]

( وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨) )

( سورة البقرة)

مِن أكل أموال الناس بالباطل الربا حيث يلد المالُ المال، وتتعطل الأعمال، وتفشو البطالة، وترتفع الأسعار، ويصبح المال دولة بين الأغنياء، وتتسع الهوة بين الأغنياء والفقراء، وروى مسلم عن جابر قال:

**(( لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال هم سواء))**

[مسلم عن جابر]

## مِنْ أَكْلِ أموال الناس بالباطل الغش:

من أكل أموال الناس بالباطل الغش، وللغش أنواع كثيرة وصور شتى ترجع في معظمها إلى المخادعة في إظهار شيء، وإخفاء شيء في باطنه من ذلك الكذب في التعريف بالشيء، فيعرف الرديء بأنه جيد وذو السعر الرخيص بأنه من الصنف ذي السعر العالي، ومن الغش دس الرديء في ثنايا الجيد، وبيعه جميعاً بقيمة الجيد دون بيان الواقع والحقيقة، ومن الغش أن يقول البائع اشتريته بكذا كذباً ليخدع المشتري في هامش ربحه، ومن الغش إخفاء العيب، والتلاعب بالوزن والكيل، والعدد، والطول، والمساحة، والحجم، ومن الغش تزوير منشأ البضاعة، ومصدرها، أو الكذب في صفاتها، وفي تاريخ صلاحيتها، ومن الغش عرضها بطريقة تزيد من مزاياها، وتخفي من عيوبها، ومن الغش توجيه المشتري إلى بضاعة رديئة كاسدة استغلالاً لجهله في نوع البضاعة، ومن الغش استغلال جهل المشتري بثمن البضاعة، ورفع السعر أضعافاً مضاعفة، وهذا الجهول في نوعية البضاعة وفي ثمنها سماه النبي صلى الله عليه وسلم مسترسلاً، فقال عليه الصلاة والسلام:

**((غبن المسترسل حرام ))**

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة]

وكما يكون البائع غاشّاً يكون المشتري أيضاً غاشاً، حينما يستغل جهل البائع بقيمة بضاعته الحقيقية لذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تلقي الركبان لأنهم يجهلون قيمة بضاعتهم، ولا يعرفونها إلا إذا دخلوا السوق.

## مِنْ أَكْلِ أموال الناس بالباطل الاحتكار:

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، ومن أكل أموال الناس بالباطل الاحتكار، وهو بالتعريف الدقيق حبس مال أو منفعة أو عمل والامتناع عن بيعه وبذله حتى يغلو سعره غلاء فاحشاً غير معتاد بسبب قلته أو انعدام وجوده في مظانه مع شدة الحاجة إليه، قال الإمام أبو يوسف: **" كل**

**ما أضر بالناس حبسه فهو احتكار "**، وقال بعض الفقهاء المحدثين: كل إيهام، أو كل تضليل من شأنه أن يزيد في الطلب على السلعة مع قلة العرض تمهيداً لرفع السعر فهو احتكار، وهذا الربح الزائد الذي يجنيه المحتكر حرام، لأنه ليس نظير زيادة في البضاعة، ولا في صفاتها، أو نظير خدمة خاصة يقدمها البائع، ولم يؤخذ هذا المبلغ الزائد بالرضا الحقيقي من المشتري إنما هو إلجاء أصحاب الحاجات إلى شراء حاجاتهم بأكثر من أثمانها الحقيقية، والمحتكر من خلال أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون وخاطئ، وقد برئت منه ذمة الله وتوعده الله بالنار، فقال عليه الصلاة والسلام:

**(( لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ ))**

[ مسلم عَنْ مَعْمَر بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]

وقال:

**(( الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ، وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ ))**

[الدارمي عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب]

وقال:

**((من احتكر الطعام أربعين ليلة يريد به الغلاء فقد برئ من الله وبرئ الله منه ))**

[ مشكاة المصابيح عن ابن عمر]

وقال:

**(( بئس العبد المحتكر إن أرخص الله الأسعار حزن وإن أغلاها فرح ))**

[البيهقي عن معاذ]

وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على من ترك الاحتكار خوفاً من الله، وإشفاقاً على خلقه وتيسيراً لهم، فقال عليه الصلاة والسلام:

**((من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به))**

[ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف]

أيها الأخوة الكرام، قد تخفى بعض المكاسب المحرمة على كثير من المسلمين، لكن الميسر والسرقة والغلو والرشوة والغصب والنهب، هذه أنواع كثيرة من أكل أموال الناس بالباطل لكنها لا تخفى على المسلمين.

## وسائل أظهرها القرآن الكريم وبينتها السُّنة الشريفة لزيادة الرزق:

### ١ ـ الاستقامة:

أيها الأخوة المسلمون، والآن هل من وسيلة ذكرها القرآن الكريم وبينتها السنة المطهرة تزيد في الرزق، وكل واحد من الخلق حريص على زيادة رزقه، هل من وسيلة ذكرها القرآن الكريم، وبينتها السنة تزيد في الرزق ؟ أضعكم بين النصوص وأترك لكم الاستنباط:

السؤال الأول: هل من علاقة بين الرزق وبين الاستقامة ؟ قال تعلى:

**( وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً (١٦) )**

( سورة الجن)

وقال:

**( وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) )**

( سورة الأعراف)

آيتان قرآنيتان من عند خالق الكون، هل من علاقة بين الرزق وبين الاستقامة ؟

### ٢ ـ الصلاة:

هل من علاقة بين الرزق وبين الصلاة ؟ انظروا في قوله تعالى:

**( وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢) )**

( سورة طه)

### ٣ ـ الاستغفار:

هل من علاقة بين الرزق وبين الاستغفار ؟ انظر في قوله تعالى:

**( فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً (١٢) )**

( سورة نوح)

## ٤ ـ الشكر:

هل من علاقة بين الرزق وبين الشكر ؟ انظروا في قوله تعالى:

**( وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) )**

( سورة إبراهيم)

## ٥ ـ صلة الرحم:

هل من علاقة بين الرزق وصلة الرحم ؟ انظروا في هذا الحديث الشريف، قال عليه الصلاة والسلام:

**((مَنْ أحَبّ أنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أثرِهِ ـ أي في أجله ـ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))**

[ البخاري عن أنَس بْن مَالِكٍ ]

## ٦ ـ الصدقة:

هل من علاقة بين الرزق وبين الصدقة ؟ انظروا في هذا الحديث الشريف:

**(( استمطروا الرزق بالصدقة))**

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم

الصدقة تجلب الرزق.

## ٧ ـ الأمانة:

هل من علاقة بين الرزق وبين الأمانة ؟ انظروا في هذا الحديث الشريف:

**(( الأمانة غنًى ))**

[الجامع الصغير عن أنس]

بالمعنى المادي الأمانة غنًى، والأمين ينال أثمن شيء وهو ثقة الناس.

## ٨ ـ الإتقان:

هل من علاقة بين الرزق وبين الإتقان ؟ انظروا في هذا الحديث الشريف:

**(( إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه ))**

[الجامع الصغير عن عائشة]

من أتقن عمله أحبه الله بنص هذا الحديث وأحبه الناس بديهةً، ومن أحبه الله وأحبه الناس كان رزقه وفيراً.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخطبة الثانية:**

## المثل الحي:

أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين، المبادئ والقيم والمثل لا تعيش إلا بالمثل الحي، والمثل الحي يؤكد المبادئ، ويحقق القيم، ويجعل المثالية واقعاً، والمثل الحي حقيقة مع البرهان عليها والمثل الحي نموذج إنساني خالد، والمثل الحي نبراس للأجيال من بعده.
أبو حنيفة النعمان الفقيه الكبير رحمه الله تعالى أكرم علمه ونفسه وحزم أمره على أن يأكل من كسب يمينه، وأن تكون يده هي العليا دائماً، وقد علم وأيقن أنه ما أكل امرؤ لقمةً أزكى ولا أعز من لقمة ينالها من كسب يده، لذلك خصص شطراً من وقته الثمين لكسب رزقه فاتّجر بالخز أي بالقماش، وكان له متجر معروف يقصده الناس فيجدون فيه الصدق في المعاملة، والأمانة في الأخذ والعطاء، وكانوا يجدون فيه أيضاً الذوق الرفيع، وكان يأخذ المال من حله ويضعه في محله، وكان كلما حال عليه الحول أحصى أرباحه من تجارته واستبقى منها ما يكفيه لنفقته، ثم يشتري بالباقي حوائج القراء، وحوائج المحدثين، وحوائج الفقهاء، وطلاب العلم، وأقواتهم وكسوتهم.
هذا أبو حنيفة النعمان، هذا الفقيه الكبير الذي ضرب للناس مثلاً أعلى في كسب الرزق.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٣٤) : خ١ - الجانب الإجتماعي عن الإنسان ، خ٢ - النحل.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-١٠-٢٨

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولـى:**

## الفضائل الاجتماعية والمصالح المادية:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، في شخصية الإنسان جانب مادي، وجانب فكري، وجانب نفسي، وجانب اجتماعي، وجوانب أخرى، والخطبة اليوم عن الجانب الاجتماعي في الإنسان وعلاقته بالإسلام، الدين الذي ارتضاه الله لعباده، وختم به رسالات السماء، وأخبر بأنه سيظهره على الدين كله.

أخوة الإيمان في كل مكان، من حاجات الفرد الأساسية حاجة الإنسان إلى المحبة أي إلى أن يُحِب، والى أن يُحَب، وحاجته إلى التقدير أن يقدره الآخرون، وحاجته إلى الأنس، وحاجته إلى الأمن، وحاجته إلى معونة الآخرين، وحاجته إلى نصرتهم والتقوي بهم، وحاجته إلى الأخذ من معارفهم وخبراتهم ومنجزاتهم، بل إن هناك حاجات عضوية لا تتحقق مع الإنسان إلا بغيره، كل هذه الحاجات تولد في نفس الفرد الميل إلى الجماعة، الميل إلى الانخراط فيها والاندماج معها تلبية لحاجاته العضوية، والنفسية، والفكرية، والى جانب هذا الدافع الاجتماعي في الإنسان نجد الفردية والأثرة التي تغذيها الغرائز والمصالح، وحينما تصطدم النزعة الاجتماعية في الفرد مع مصالحه المادية نجد الإنسان المتفلت من منهج الله يؤثر مصالحه المادية، ويلقي بفضائله الاجتماعية عرض الطريق، وهذا ما نجده في الأفراد والمجتمعات المادية.

أيها الأخوة الكرام، هذا هو الإنسان قبل أن يعرف الواحد الديان، وقبل أن يستنير عقله، وقبل أن تزكو نفسه، وقبل أن يصلح عمله، لكن الإسلام حينما غذّى في الفرد الدافع الاجتماعي، وحث على لزوم الجماعة، ووهن فردية الإنسان وانعزاليته أراد أن يصعد هذا الدافع الاجتماعي، وأن يسمو به في كل مراحله ومستوياته، فجعل الإسلام الدافع الاجتماعي في المسلم ينبعث من عبادة الله وطلب مرضاته عن طريق خدمة عباده لا من تلبية حاجاته المادية والمعنوية، وجعل الإسلام النشاط الاجتماعي للمسلم يسري في قنوات نظيفة حددها الشرع الحكيم ضماناً لسلامة الفرد، وضماناً لسلامة المجتمع من الفساد والانحلال، وجعل كثيراً من الفضائل الخلقية والأعمال الجليلة لا تتحقق إلا عن طريق العمل الجماعي، وجعل الفردية والانعزالية سبباً لكثير من الرذائل الخلقية والأعمال

الخسيسة، أما حينما يفسد المجتمع، وتنهار فيه القيم، وتداس فيه المبادئ بأقدام المصالح عندئذ يأمر الإسلام بجفوة هذا المجتمع واعتزاله.

## النصوص القرآنية والنبوية التي تؤكد بعض الأسس الاجتماعية:

هذه أيها الأخوة، بعض الأسس الاجتماعية من خلال مبادئ الإسلام وتشريعاته، والآن إلى النصوص القرآنية والنبوية التي تؤكد تلك المنطلقات.

روى الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**((عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة))**

[الترمذي عن عمر بن الخطاب ]

وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن بأنه مَألف أي أنه يألف ويؤلف، فقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**(( المؤمن مألف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف ))**

[أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ]

وتعميقاً لوحدة جماعة المؤمنين شبه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين بالبنيان يشد بعضه بعضاً، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**(( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه الشريفة))**

[متفق عليه عن أبي موسى الأشعري ]

وزاد النبي صلى الله عليه وسلم في تعميق معنى وحدة المؤمنين حينما بيّن أن كتلتهم الواحدة المتماسكة وبناءهم المتشابك بناء تسري فيه روح واحدة، وحس مشترك، فهم كالجسد الواحد تتعاون جميع أعضائه تعاوناً تاماً، روى مسلم عن النعمان بن البشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**(( المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى عينَه اشتكى كلُّه وإن اشتكى رأسَه اشتكى كلُّه))**

[ أخرجه أحمد في مسنده وصحيح مسلم عن النعمان بن بشير ]

وقال أيضاً:

**((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))**

[ أخرجه أحمد في مسنده وصحيح مسلم عن النعمان بن بشير ]

## أشار القرآن الكريم إلى ضرورة انتماء المؤمن إلى مجموع المؤمنين:

أخوة الإيمان في كل مكان، أما القرآن الكريم فقد أشار إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من انتماء عميق إلى مجموع المؤمنين، ومن سمو المشاعر الجماعية عنده، ومن إيجابية مواقفه الغيرية، قال تعالى:

**( وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ (١٨٨) )**

( سورة البقرة)

قال تعالى:

**( وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ )**

ولم يقل: ولا تأكلوا أموال أخوانكم، وكأن الآية تقول أيها المؤمن مال أخيك هو في الحقيقة مالك من زاوية أن قوة أخيك المالية قوة لك، وفي أكل ماله إضعاف للمجموع وإضعاف لك، ومال أخيك هو في الحقيقة مالك من زاوية ثانية، من زاوية وجوب المحافظة عليه فلأن تمتنع عن أكله بالباطل من باب أولى، ومال الفرد المسلم هو مال للجماعة، فينبغي أن ينفق وفق المنهج الإلهي الذي يوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، فلو أنفق المال إسرافاً وتبذيراً أضر بالجماعة، لذلك يأمر الإسلام أن يحجر على تصرفات السفيه، وأن تكف يده عن ماله، قال تعالى:

**( وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً (٥) )**

( سورة النساء)

ومثل هذا قوله تعالى:

**( وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ (١١) )**

( سورة الحجرات)

ومعلوم في البديهة أن الإنسان لا يلمز نفسه، وإنما يلمز غيره أي يحقره، ولكن لما كان المعنى الجماعي سارياً في كل الأفراد كان من يلمز أخاه كأنما يلمز نفسه، لأن له نصيباً من مضرة ما فعل، بوصفه جزءاً من الجماعة التي آذى بعض أفرادها، فسرى الإيذاء إلى الجماعة كلها.

## بعض الأحاديث النبوية عن تعميق روح الجماعة بين المؤمنين:

أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين، ترسيخاً لروح الجماعة أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجتمع المسلمون على الطعام ليبارك لهم فيه، قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما نأكل ولا نشبع، فقال عليه الصلاة والسلام:

**(( فلعلكم تفترقون، قالوا نعم، قال: فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه))**

[أبو داود عن وحشي بن حرب]

حينما يعتذر بعض الانعزاليين بأنهم يريدون أن يسلموا من أذى الناس بسبب مخالطتهم، لذلك هم يؤثرون الابتعاد عن المجتمع، يأتيهم البيان النبوي يؤكد لهم أن المسلم الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم، حتى إن بعض العبادات في الإسلام لا تؤدى إلا بشكل جماعي كعبادة الحج، وصلاة الجمعة، وصلاة العيدين، وصلاة الجنازة، بل إن الإسلام حرص على أن تؤدى الصلوات الخمس جماعة في المساجد، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه:

**((من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله))**

[مسلم عن جندب بن عبد الله]

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**((صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ - أي الفرد - بسبع وعشرين درجة))**

[متفق عليه عن عبد الله بن عمر]

ولعل من أبلغ ما قيل في تعميق روح الجماعة بين المؤمنين قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال:

**(( لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتّى يُحِبّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه ))**

[ أخرجه البخاري ومسلم عن أنس ]

## الدافع الاجتماعي الذي غذاه الإسلام وسمى به ينبغي أن تضبطه ضوابط:

أيها الأخوة المستمعون، أيتها الأخوات المستمعات، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الدافع الاجتماعي الذي غذاه الإسلام وسمى به ينبغي أن تضبطه ضوابط، وأن تنظمه أوامر، وأن تحصنه أخلاقه، وأن تحكمه قيم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

**((لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله أخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى هاهنا وأشار إلى صدره الشريف ثلاث مرات، بحسب مريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه))**

[رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة]

وقال الإمام النووي عن هذا الحديث ما أعظم نفعه وما أكثر فوائده، وقال عنه ابن حجر الهيثمي: هذا الحديث حوى أكثر أحكام الإسلام منطوقة ومفهومة، وحوى أكثر الآداب إيماءً وتحقيقاً، فالنبي عليه الصلاة والسلام ينهى عن الحسد الذي يرجع إلى ضعف الإيمان بحكمة الله وعدالته، وتمني

زوال النعمة عن الآخرين، وهذا التمني مناقض للأخوة الإيمانية، فلا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النجش، وهو شراء صوري بسعر مرتفع بقصد الإضرار بالمشتري الحقيقي، وتحقيق ربح غير مشروع، وهو بالمعنى الموسع مطلق الخديعة والمكر، قال تعالى:

**( وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ (١١) )**

( سورة الحجرات)

وفي الحديث الشريف:

**((المكر والخداع في النار))**

[ورد في الأثر]

وفي الحديث الآخر:

**(( ملعون من ضار مؤمناً أو مكر به))**

[الترمذي عن أبي بكر الصديق]

## نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التباغض والتدابر والهجران:

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التباغض بسبب الأهواء والمصالح، وحقيقة النهي عن التباغض هو نهي عن أسباب التباغض، فكل موقف، أو تصرف، أو كلام من شأنه أن يجرح أخاك فيبغضك محرّم في دين الله، والتباغض أيها الأخوة يتناقض مع الألفة والمحبة، التي هي من خصائص المؤمنين، قال تعالى في سورة آل عمران:

**(اَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ أخوانا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) )**

( سورة آل عمران )

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التدابر والهجران، ففي صحيح البخاري:

**((لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث. ))**

[البخاري عن أنس بن مالك]

ومن هجر أخاه ستة أيام فهو كسفك دمه.

وبعد أن نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أسباب العداوة والبغضاء أمر بكل ما من شأنه أن يمكِّن المحبة والألفة والتآخي بين المؤمنون فقال عليه الصلاة والسلام:

**((وكونوا عباد الله أخوانا))**

[رواه مسلم عن أنس بن مالك]

فأنتم عباد الله، ومن شأن العبد أن يطيع الله ربه فيما أمر وفيما نهى، والله يريدكم أن تكونوا أخواناً. في حديث آخر يبين النبي صلى الله عليه وسلم حقوق المسلم على المسلم، ولا شك في أن أداء هذه الحقوق تورث المحبة والألفة والأخوة، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**(( حق المسلم على المسلم خمس، رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس، وفي رواية لمسلم، وإذا استنصَحَك فانصحْه))**

[متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه ]

من حقه عليك.

## حرم النبي الكريم ظلم المسلم وخذلانه وتكذيبه وتحقيره أشد التحريم:

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كل ما من شأنه أن يسبب تنافر القلوب واختلافها، فقد حرم النبي عليه الصلاة والسلام أشد التحريم ظلم المسلم، فلا يدخل عليه ضرراً في نفسه، أو دينه، أو عرضه، أو ماله، وحرم النبي صلى الله عليه وسلم أشد التحريم خذلان المسلم في دنياه، كأن يقدر الرجل على نصرة أخ مظلوم، وكف يد ظالمه، ثم لا يفعل، وكأن يقدر المسلم على نصرة أخيه في آخرته، كأن يقدر على نصحه وكفه عن غيه فلا يفعل، روى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

**((من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة))**

[أحمد عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه]

وحرم النبي صلى الله عليه وسلم أشد التحريم أن يُكذب المسلم، أو يُكذّب عليه، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

**((كبرت خيانةً أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت به كاذب))**

[أحمد وابن عدي والبيهقي عن النواس بن سمعان]

وحرم النبي صلى الله عليه وسلم أشد التحريم تحقير المسلم، لأن الله لما خلقه كرمه ورفعه وكلفه، واحتقار المسلم تطاول على مقام الربوبية، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

**(( بحسْبِ المرْء مِنَ الشرّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ ))**

[ رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ]

والاحتقار ناشئ عن الكبر، لما رواه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**((الكبر بطر الحق - أي رده - وغمص الناس))**

[ أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود ]

أي احتقارهم، وفي صحيح مسلم:

**(( لا يَدْخُلُ الجَنّةَ مَنْ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرّةٍ مِنْ كِبْرٍ ))**

[ رواه مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ]

وتعليل ذلك أن الكبر يتناقض مع العبودية لله، فكما أن قطرة من النفط واحدة تفسد قربة من العسل، كذلك ذرة من الكبر تفسد العبادة كلها.

ويبين النبي صلى الله عليه وسلم أن للمسلم حرمة في دمه، وحرمةً في ماله، وحرمةً في عرضه، وهذه الحرمات الثلاث يقوم عليها المجتمع المسلم الآمن، وحفاظاً على الدم من أن يسيل، وعلى المال من أن يسرق، وعلى العرض من أن ينتهك شرّع القصاص في الإسلام، وأعلنت الحدود، قال تعالى:

**( وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) )**

( سورة البقرة)

بل إن ترويع المسلم محرم في الإسلام، قال عليه الصلاة والسلام:

**((لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً))**

[الطبراني عن النعمان بن بشير، ابن المبارك عن أبي هريرة]

## قصة تُظهر التعاون والإخلاص للمبدأ والتناصح:

أيها الأخوة المسلمين، أيتها الأخوات المسلمات، بعد أن تحدثت عن المنطلقات النظرية للجانب الاجتماعي في شخصية المسلم، وبعد أن تحدثت عن النصوص القرآنية والنبوية التي تعد أصلاً في الروح الجماعية التي ينبغي أن يكون عليها المؤمنون، ننتقل الآن إلى الوقائع، فهذه قصة جرت وقائعها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ممكن أن نستشف منها روح التعاون والإخلاص، وروح التناصح بين المؤمنين.

غلام صغير اسمه عمير بن سعد الأنصاري تجرع كأس اليتم والفاقة منذ نعومة أظفاره، وتزوجت أمه من ثري من أثرياء الأوس يدعى الجلاس بن سويد، أحب عمير عمه الجلاس حب الابن لأبيه، وأولع الجلاس بعمير ولع الوالد لولده، وكان عمير لا يتخلف عن صلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي السنة التاسعة للهجرة أعلن النبي صلى الله عليه وسلم عن عزمه على غزو الروم في تبوك، وأمر المسلمين أن يستعدوا، ورأى عمير كيف أن المسلمين يبذلون كل ما في وسعهم

لتجهيز هذا الجيش الغازي، فهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يأتي بألف دينار ذهباً ويضعها بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يحمل مئتي أوقية من الذهب ويضعها بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام، وهؤلاء نساء المهاجرين والأنصار ينزعن حليهن ليقدمنه لرسول لله صلى الله عليه وسلم، وهذا رجل يعرض فراشه للبيع ليشتري بثمنه سيفاً يقاتل به، وهؤلاء النفر الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يضمهم إلى الجيش فردهم لأنه لم يجد ما يحملهم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً.

وعجب عمير الفتى الأنصاري من تباطأ عمه الجلاس عن البذل لهذا الجيش، وعرض عليه هذه الصور المشرقة من بذل الصحابة الأغنياء والفقراء على حد سواء، فما كان من الجلاس إلا أن قال: يا عمير إن كان محمد صادق فيما يدّعيه من النبوة فنحن شر من الحمير، شده عمير مما سمع، ورأى أن في السكوت على الجلاس والتستر عليه خيانة لله ورسوله، وإن في إذاعة ما سمعه عقوقاً بالرجل، فقال لعمه الجلاس: والله يا عم ما كان على ظهر الأرض أحد بعد محمد بن عبد الله أحب إلي منك، ولقد قلت مقالة إن ذكرتها فضحتك، وإن أخفيتها خنت أمانتي، وأهلكت نفسي، وقد عزمت على أن أمضي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما قلت قبل أن ينزل وحي يشركني في إثمك، فكن على بينة من أمرك، ومضى الفتى عمير إلى المسجد، وأخبر النبي بما سمع، واستدعى النبي صلى الله عليه وسلم الجلاس، وسأله عن مقالته لعمير فقال: كذب علي يا رسول الله وافترى فما تفوهت بشيء من ذلك، فقال بعض الحاضرين: فتىً عاقّ أبى إلا أن يسيء لمن أحسن إليه، وقال آخرون: بل إنه غلام نشأ في طاعة الله، والتفت النبي عليه الصلاة والسلام إلى عمير فرأى وجهه قد احتقن بالدم، والدموع تنحدر من عينيه، وهو يقول: اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به، فانبرى الجلاس، وقال: يا رسول الله إني أحلف بالله ما قلت شيئاً مما نقله إليك عمير، ثم غشيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم السكينة، فعرف أصحابه أنه الوحي، فلزموا أماكنهم حتى سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما سُرّي عنه تلا قوله عز وجل:

**(يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ (٧٤) )**

( سورة التوبة )

ارتعد الجلاس من هول ما سمع ثم التفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: بل أتوب يا رسول الله، صدق عمير، وكنت من الكاذبين، اسأل الله أن يقبل توبتي جُعلت فداك يا رسول الله، ثم توجه النبي الكريم إلى عمير بن سعد فإذا دموع الفرح تبلل وجهه المشرق، فمد يده الشريفة إلى أذنه فأمسكها برفق وقال: وفّت أذنك يا غلام ما سمعت، وصدقك ربك، وعاد الجلاس إلى حظيرة الإسلام، والشيء الغريب أن الصحابة عرفوا صلاح حاله مما كان يغدقه على عمير من بر، فقد

كان يقول كلما ذكر عمير: جزاه الله عني خيراً لقد أنقذني من الكفر وأعتق رقبتي من النار.
أرأيتم أيها الأخوة إلى التعاون والإخلاص للمبدأ والتناصح.

## الأمر التكويني والأمر التكليفي:

أيها الأخوة المؤمنون، الأمر التكويني فعل الله، والأمر التكليفي أمر الله ونهيه، لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وكرمه أعظم تكريم بأمر تكويني، وكلفه أن يبني مجتمعاً فاضلاً أساسه التعاون والتنظيم والعمل المنتج وتحكمه القيم، قيم العدل والرحمة والإحسان بأمر تكليفي، خلقه بأمر تكويني وأمره أن يبني هذا المجتمع الفاضل بأمر تكليفي، فإذا ظهر الخلل والفساد في المجتمع البشري فسببه الخروج عن الأمر التكليفي، وشاءت حكمة الله أن يخلق مجتمعاً قائماً على أعلى مستويات التعاون، والتكامل، والاختصاص، والعمل الدؤوب المنتج، والتنظيم المعجز بأمر تكويني لا تكليفي، لذلك لا يمكن أن تجد في هذا المجتمع خللاً ولا فساداً، كمال مطلق لان أمره هنا تكويني لا تكليفي، هذا ما نجده في مجتمع النحل فخلية النحل مجتمع موحد متكامل على رأسه ملكة واحدة لا تنازعها أخرى، تشعر كل نحلة في الخلية بوجود الملكة عن طريق مادة تفرزها الملكة، وتنقلها العاملات إلى كل أفراد الخلية، فإذا ماتت الملكة اضطرب النظام في الخلية وعمت الفوضى، وشلت الأعمال، والملكة تضع كل يوم في فصل الربيع قريباً من ألفي بيضة ما بين ذكور، وإناث، وملكات، وتضع الملكة كل جنس في مكان مخصص ليتلقى غذاءً خاصاً، وعناية خاصة بحسب جنسه، ولإناث النحل أعمال متنوعة كثيرة توزع فيما بينها بحسب أعمارها واستعدادها الجسماني، وعند الضرورة، وعند الخطر، وفي المواسم الجيدة تعمل كل نحلة أيّ عمل يفرض عليها، هناك وصيفات للمكلة يقمن على خدمتها وجلب الطعام الملكي لها، وهناك حاضنات ومربيات يقمن برعاية الصغار وجلب الغذاء المناسب، وهناك شغالات يحضرن الماء إلى الخلية، وهناك شغالات يقمن بتهوية الخلية صيفاً وتدفئتها شتاءً، وترطيبها في وقت الجفاف، وهناك شغالات يقمن بتنظيف الخلية، وجعل جدرانها ملساء ناعمة لامعة عن طريق مواد خاصة، وهناك حارسات يقمن بحراسة الخلية من الأعداء، ولا يسمحن لنحلة أن تدخل الخلية ما لم تذكر كلمة السر وإلا تقتل، وكلمة السر تبدل عند الضرورة، وهناك شغالات يقمن بصنع أقراص الشمع ذات الشكل السداسي الذي تنعدم فيه الفراغات البينية بتصميم معجز، وبأسلوب يعجز عن تقليده كبار المهندسين، وهناك رائدات يقمن بمهمة استكشاف مواقع الأزهار، فإذا عثرن عليه عدن إلى الخلية، ورقصن رقصة خاصة تحدد هذا الرقصة لبقية النحلات العاملات الموقع من حيث المسافة، ومن حيث الاتجاه، ودرجة النشاط في الرقص تدل على وفرة الغذاء أو تناقصه، والجمهرة الكبيرة من الشغالات تنطلق إلى مواقع الأزهار لجني رحيقها، لأنه المادة الأولية للعسل، وقد تبتعد هذه المواقع عن الخلية أكثر من عشرة كيلو مترات، وتعود النحلات إلى الخلية بعد أخذ الرحيق بطريقة لا تزال مجهولة حتى اليوم.

## إعجاز الله في خلق النحل:

النحل أكفأ الحشرات في جمع، ونقل، وتخزين أكبر قدر من رحيق الأزهار في أقصر وقت، وفي أقل مجهود، وهي أكفأ الحشرات على تلقيح النباتات لتساعدها على إنتاج البذور والثمار، وتخرج النحلات إلى مكان واحد محدد مسبقاً لتجني رحيق أزهار نوع واحد محدد مسبقاً، والذي يلفت النظر أن أمراض النحل كلها لا تنتقل إلى الإنسان عن طريق العسل، ويتمتع النحل بقدرة يصعب تفسيرها على الإحساس بالزمن فيعرف متى تفرز أزهار كل نوع من النبات رحيقها ؟ ومتى تنثر حبوب لقاحها ؟ ثم يداوم على زيارة كل منها في الموعد المناسب فقط، وجني الرحيق الذي يكفي لصنع كيلو واحد من العسل يحتاج إلى طيران أربعمئة ألف كيلو متر، أي ما يعادل عشرة أضعاف محيط الأرض، وقيمة العسل العلاجية أضعاف قيمته الغذائية، ففوائده العلاجية في مختلف أجهزة الجسم وأعضائه ونسجه ثابتة، بل تفوق الحد المعقول، كيف لا وقد قال الله عز وجل:

**( وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) )**

( سورة النحل)

لماذا خوطِب النحل في القرآن الكريم بضمير المؤنث، حيث قال تعالى:

**( وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) )**

( سورة النحل)

بينما خوطب النمل في القرآن الكريم بضمير المذكر، حيث قال تعالى:

**( حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) )**

( سورة النمل)

الإجابة عن هذا السؤال تدخل في موضوع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٣٥) : خ١ - الإنسانية ، خ٢ - ارحموا عزيزاً ذلّ.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٢-١٧

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولـى:**

## القرآن الكريم ضَمّن الجهاد معنىً إنسانياً نبيلاً وفريداً وحدد له مقاصده العليا:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، نحن في السابع عشر من رمضان، وفي مثل هذا اليوم لسنتين خلتا من الهجرة كانت موقعة بدر الكبرى، وفيها انتصر المسلمون نصراً مؤزراً عزيزاً، في أول مواجهة جماعية مع قوى الكفر والشرك، قال تعالى:

**( وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلّةٌ فَاتّقُوا اللّهَ لَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) )**

( سورة آل عمران)

وقال تعالى:

**( أُذِنَ لِلّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنّ اللّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) )**

( سورة الحج)

أيها الأخوة الكرام لقد ضمن القرآن الكريم الجهاد معنىً إنسانياً نبيلاً وفريداً، وحدد له مقاصده العليا، منزهة عن الهوى، منزهة عن الأغراض المادية العاجلة، والمطامح الشخصية والعنصرية، من شهوة العلو في الأرض أو التوسع فيها، لتكون أمة هي أربى من أمة، قال تعالى:

**( وَقَاتِلُوهُمْ حَتّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدّينُ لِلّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلّا عَلَى الظّالِمِينَ (١٩٣) )**

( سورة البقرة)

## الجهاد سند مكين للإسلام لنشر العدل و الإحسان:

وإن الإسلام أيها الأخوة لم يجعل الجهاد مفروضاً في أعلى مراتب الفرضية وأعظمها مثوبة من أجل الدفاع عن الوجود، أو الحفاظ على مقوماته فحسب، بل أولاه عناية فائقة، إذ جعله سنداً مكيناً لدعوته التي تسعى إلى نشر رسالة السماء إلى الأرض، لتتحقق خلافة الإنسان فيها عن طريق التمسك بمبادئ الحق والخير السامية، وقيم العدل والإحسان الرفيعة، فجعله الله جلّ جلاله خالصاً، ومخلصاً لوجهه الكريم تعالى، وابتغاء مرضاته، ومرضاتُه أيها الأخوة لا تتم إلا إذا سادت تعاليمه، وعلت في الأرض مُثله، وحتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، ولا أدل على صحة هذه

المبادئ، وتلك المفاهيم من هذه السعادة التي تملأ جوانح الإنسان حينما يكتشف سرّ وجوده، وجوهر رسالته، وينطلق في الطريق الكبير الذي خلق من أجله.

## كرم الله تعالى الإنسان بالخلافة على الأرض ومن مظاهر هذا التكريم :

### ١ ـ خلقه في أحسن تقويم وصوره فأحسن صوره:

أخوة الإيمان في كل مكان، الإنسان في نظر الإسلام مخلوق متميز، مكرم، ميزه الله، وكرمه، وفضله على كثير من خلقه، ومن مظاهر هذا التكريم استخلافه في الأرض، قال تعالى:

**( وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) )**

( سورة البقرة)

لقد كرمه الله تعالى بالخلافة على الأرض، وهيأه بالعقل، والعلم، والإرادة، والتكليف، ومن مظاهر هذا التكريم أنه خلقه في أحسن تقويم، وصوره فأحسن صوره، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يكرر هذا الدعاء في سجوده، كان يدعو ويقول:

**((سجد وجهي للذي خلقه، وصوره، وشق سمعه، وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين))**

[أخرجه الترمذي والنسائي عن عائشة]

### ٢ ـ نفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته إكراماً له:

ومن مظاهر هذا التكريم أن الله سبحانه وتعالى نفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته إكراماً له، قال تعالى:

**( إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) )**

( سورة الحجر)

وهذه النفخة ليست خاصة بآدم أبي البشر، فإن بنيه ونسله قد نالهم حظ منها.

### ٣ ـ سخر له ما في السماوات وما في الأرض تسخير تعريف وتكريم:

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، ومن مظاهر هذا التكريم الإلهي للإنسان أنه سخر له ما في السماوات وما في الأرض تسخير تعريف وتكريم، قال تعالى:

( وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣))

( سورة الجاثية)

وفي آية أخرى:

( أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٢٠))

( سورة لقمان)

ومعنى هذا التسخير أن الطاقات الكونية كلها مهيأة ومبذولة للإنسان، لا يستعصي منها شيء عليه، وأن الإنسان هو واسطة العقد في هذا العالم، وإن صغر حجمه بالنسبة إلى المكان، أو قصر عمره بالنسبة إلى الزمان، فلا يجوز لهذا الإنسان أن يؤله شيئاً في هذا العالم، أو أن يتعبد له رغباً أو رهباً، والذين عبدوا بعض ما في الكون قلبوا الحقائق، فحولوا الإنسان من سيد سخر له الكون إلى عبد ذليل يسجد لنجم، أو شجرة، أو بقرة، أو حجر، أو غير ذلك.

## ٤ ـ فتح له باب التقرب إليه أنى شاء ومتى شاء:

ومن دلائل تكريم الله للإنسان أنه فتح له باب التقرب إليه أنى شاء، ومتى شاء، قال تعالى:

( وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (١٨٦) )

( سورة البقرة)

يدعوه فيجده، أقرب إليه من حبل الوريد، دون وسيط أو شفيع، قال تعالى:

( فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥) )

( سورة البقرة)

وليس هذا لخاصة الأولياء والصالحين دون العصاة المذنبين، قال تعالى:

( قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) )

( سورة الزمر)

## ٥ ـ اعترف بكيانه كله جسماً ونفساً وعقلاً وقلباً ووجداناً وإرادةً:

ومن تكريم الإسلام للإنسان أنه اعترف بكيانه كله جسماً، ونفساً، وعقلاً، وقلباً، ووجداناً، وإرادةً، لهذا أمره بالسعي في الأرض، والمشي في مناكبها، والأكل من طيباتها، والاستمتاع بزينة الله التي أخرج لعباده، وحثه على النظافة، والتجمل، والاعتدال، ونهاه عن المسكرات، والمفتِّرات، وكل ما يضره تناوله وفاءً بحق جسده.

وأمره بعبادة الله وحده، والتقرب إليه بأنواع الطاعات من صلاة، وصيام، وصدقة، وزكاة، وحج، وعمرة، وذكر، ودعاء، وإنابة، وتوكل، وخوف، ورجاء، وبر، وإحسان، وغير ذلك من أنواع العبادات وفاءً بحق نفسه، وأمره بالنظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء، وفي مصير الأمم وسنن الله في المجتمعات، كما أمره بطلب العلم والتماس الحكمة، وأنكر عليه الجمود وتقليد الآباء والكبراء كل ذلك وفاءً بحق عقله.

ولفته إلى جمال الكون بأرضه وسمائه، ونباته وحيوانه، وما زانه الله به من الحسن والبهجة ليشبع حاسة الجمال في نفسه، وليشعره في أعماقه بعظمة ربه، الذي أحسن كل شيء خلقه، وذلك رعاية لجانب الوجدان والعاطفة فيه، لقد اعترف به، بكيانه كله، جسماً، ونفساً، وعقلاً، وعاطفة.

وقبل أن تسمع أذن الدنيا عن حقوق الإنسان لاثني عشر قرناً أو تزيد، ويوم كان العالم كله لا ينظر إلى الإنسان إلا من جهة ما عليه من الواجبات يُطالب بأدائها، وإلا كان عليه من العقاب ما يستحق، جاء الإسلام ليقرر جهرة أن للإنسان حقوقاً ينبغي أن تُرعى، كما أن عليه واجبات يجب أن تؤدى، وكما أنه يُسأل عما عليه يجب أن يعطى ماله، لك واجب يقابله حق، كما أن كل حق يقابله واجب، ومن هذه الحقوق التي أعلنها الإسلام جهرة قبل خمسة عشر قرناً، حق الحياة، وحق الكرامة الإنسانية، وحق التفكير، وحق التدين، وحق الاعتقاد، وحق التعبير، وحق التعلم، وحق التملك، وحق الكفاية، وحق الأمن من الخوف.

## الحقوق التي قدسها الإسلام للإنسان عديدة منها:

### ١ ـ حق الحياة:

أخوة الإيمان حضوراً ومستمعين، لقد قدس الإسلام حقّ الحياة، وحماه بالتربية والتوجيه، وبالتشريع والقضاء، وبكل المؤيدات النفسية والفكرية والاجتماعية، وعدّ الحياة هبة من الله تعالى لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يسلبها منه، فالإنسان بنيان الله، وملعون من هدم بنيان الله. وقد أنكر الإسلام على أهل الجاهلية قتلهم أولادهم سفهاً بغير علم، قال تعالى:

**( وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) )**

( سورة التكوير)

ولم يفرق الإسلام في حق الحياة بين أبيض وأسود، ولا بين شريف ومشروف، ولا بين حر وعبد، ولا بين رجل وامرأة، ولا وبين كبير وصغير، حتى الجنين في بطن أمه له حرمة لا يجوز المساس

بها، ومن هنا جاء تحريم الإجهاض، حتى الجنين الذي ينشأ من طريق حرام، لا يجوز لأمه ولا لغيرها أن تسقطه، لأنه نفس بريئة، لا يحل الاعتداء عليها، فلا تزر وازرة وزر أخرى، لذلك شُرع القصاص صوناً لحياة كل الأطراف، وشرعت الدية والكفارة في القتل الخطأ، وقد حمى الإسلام حياة الحيوان أيضاً إن لم يكن منه أذىً، وفي الحديث الصحيح:

**(( دخلت النار امرأة في هرة حبستها حتى ماتت ؛ لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ))**

[ مُتَّفَقٌ عَلَيْه عن ابن عمر]

## ٢ ـ حق الكرامة و حماية العرض:

وأما حق الكرامة، وحماية العرض فقد أكد الإسلام حرمة العرض والكرامة للإنسان، مع حرمة الدماء والأموال، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم أعلن ذلك في حجة الوداع أمام الجموع المحتشدة في البلد الحرام والشهر الحرام، واليوم الحرام فقال عليه الصلاة والسلام:

**((إن الله حرم عليكم دماءكم وأعراضكم وأموالكم))**

[متفق عليه عن ابن عمر]

فلا يجوز أن يُؤذى إنسان في حضرته، ولا أن يهان في غيبته، سواء أكان هذا الإيذاء للجسم بالفعل أم للنفس بالقول، فربما كان جرح القلب بالكلام أشد من جرح الأبدان بالسياط أو بالسنان. لقد حرم الإسلام أشد التحريم أن يُضرب إنسان بغير حق، وأن يُجلد ظهره بغير حدّ، وأنذر باللعنة من ضرب إنساناً ظلماً، ومن شهده يضرب ولم يدفع عنه.

كما حرم الإسلام الإيذاء الأدبي للإنسان، حرم الهمز، وحرم اللمز والتنابز بالألقاب، والسخرية، والغيبة، وسوء الظن بالناس، وكفل الإسلام صون كرامة الإنسان بعد مماته، ومن هنا جاء الأمر بغسل الميت، وتكفينه، ودفنه، والنهي عن كسر عظمه، أو الاعتداء عليه، أو على جثته، وقد جاء في الحديث النبوي:

**((كسر عظم المَيْت ككسره حياً))**

[رواه أبو داود عن عائشة]

وكما حمى الإسلام جسم المَيْت بعد الموت حمى عرضه وسمعته لئلا تلوكها الأفواه، فقال عليه الصلاة والسلام:

**((لا تذكروا موتاكم إلا بخير))**

[رواه النسائي عن عائشة]

## ٣ ـ حق الكفاية:

أخوة الإيمان في كل مكان، وأما حق الكفاية التامة فمن حق كل إنسان أن تُهيأ له كفايته التامة من العيش، حيث تتوافر له الحاجات الأساسية للمعيشة، من مأكل، وملبس، ومسكن، وعلاج، والأصل أن يكون للإنسان دخل كاف يحقق كفايته منه عن طريق مشروع؛ من زراعة، أو تجارة، أو صناعة، أو وظيفة، أو حرفة، فإن لم يكن للإنسان دخل يكفيه كان على أقاربه الموسرين أن يحملوه لأنه جزء منهم، قال تعالى:

**( وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥) )**

( سورة الأنفال)

فإن لم يكن له أقارب موسرون يستطيعون حمله وجبت كفايته من الزكاة التي فرضها الله على المسلمين، تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم، والزكاة فرضت لتحقيق تمام الكفاية للإنسان، وذكر الفقهاء أن الزواج لمن لا زوجة له من تمام الكفاية، وأن آلات الحرفة من تمام الكفاية، وأن كتب العلم من تمام الكفاية، وهذه الكفاية التامة تجب للإنسان الفقير، تجب له ولأسرته مدة عام بأكمله على مذهب، ومدة العمر كله على مذهب آخر، حيث يغدو آخذ الزكاة دافعاً للزكاة، يقول عمر عملاق الإسلام رضي الله عنه: "إذا أعطيتم فأغنوا ".

## من ثمرات الإنسانية في الإسلام:

## ١ ـ مبدأ الإخاء البشري:

أيها الأخوة المؤمنون، من ثمرات الإنسانية في الإسلام مبدأ الإخاء البشري الذي نادى به الإسلام، وأساس هذا المبدأ أن البشر جميعاً أبناء رجل واحد وامرأة واحدة، ضمتهم هذه البنوة الواحدة المشتركة، والرحم الواصلة، قال تعالى

**( وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥) )**

( سورة الأنفال)

و ربما فهمت كلمة الأرحام في هذه الآية بالمعنى الإنساني الواسع لتتسق مع بداية الخطاب، و قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو دبر كل صلاة ويقول:

**((اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أنك الله وحدك لا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أن محمداً عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة ))**

[الإمام أحمد في مسنده عن زيد بن أرقم رضي الله عنه]

ويزداد هذا الإخاء توثقاً إذا أضيف إليه عنصر الإيمان، قال تعالى:

**( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) )**

( سورة الحجرات)

فالمسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ولا يحقره، ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، لقد غسل الإسلام أرجاس الجاهلية، وطهرها من الغل والحسد، ونقاها من الأنانية والشح والبخل، ومحا منها فوارق الجنس واللون والقبيلة والطبقة.

## ٢ ـ مبدأ المساواة الإنسانية:

ومن ثمرات الإنسانية في الإسلام مبدأ المساواة الإنسانية، أساس هذا المبدأ أن الإسلام يحترم الإنسان، ويكرمه من حيث هو إنسان، الإنسان من أية سلالة ومن أي لون من غير تفرقة بين عنصر وعنصر، وبين قوم وقوم، وبين لون ولون، يقول الله تبارك وتعالى:

**( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) )**

( سورة الحجرات)

وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، وقال في معنى هذه الآية:

**(( يا أيها الناس ! إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ))**

[رواه ابن النجار عن أبي سعيد]

## العصر الإسلامي الأول عصر مبادئ لا عصر أشخاص:

أيها الأخوة، في خلافة سيدنا عمر ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ جاءه إلى المدينة جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة يعلن إسلامه، فيرحب به عمر أشد الترحيب، وفي أثناء طواف هذا الملك حول الكعبة داس بدوي طرف إزار الملك الغساني، فيغضب الملك ويلتفت إلى هذا البدوي فيضربه فيهشم أنفه، فما كان من هذا البدوي من فزاره إلا أن توجه إلى الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، فيستدعي عمر ـ رضي الله عنه ـ الملك الغساني إلى مجلسه، ويجري بينهما حوار صيغ على الشكل

التالي:

قال عمر: جاءني هذا الصباح مشهد يبعث في النفس المرارة، بدوي من فزارة بدماء تتظلم، بجراح تتكلم، مقلة غارت، وأنف قد تهشم، وسألناه فألقى فادح الوزر عليك بيديك، أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟

قال جبلة: لست ممن ينكر أو يكتم شيئاً، أنا أدبت الفتى، أدركت حقي بيدي.

قال عمر: أي حق يا بن أيهم ؟ عند غيري يقهر المستضعف العافي ويظلم، عند غيري جبهة بالإثم بالباطل تلطم، نزوات الجاهلية، ورياح العنجهية، قد دفناها، وأقمنا فوقها صرحاً جديداً، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً.

أرضِ الفتى، لابدّ من إرضائه ما زال ظفرك عالقاً بدمائه، أو يهشمن الآن أنفك، وتنال ما فعلته كفك.

قال جبلة: كيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟ هو سوقة، وأنا صاحب تاج، كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً ؟ كان وهماً ما مشى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز، أنا مرتد إذا أكرهتني.

قال عمر: عالم نبنيه كل صدع فيه بشبا السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى ".

أما جبلة فلم يستوعب هذا المعنى الكبير في الإسلام، وفرّ من المدينة هارباً مرتداً، ولم يبال عمر ولا الصحابة معه بهذه النتيجة، لأن ارتداد رجل عن الإسلام أهون بكثير من التهاون في تطبيق مبدأ عظيم من مبادئه، وخسارة فرد لا تقاس بخسارة مبدأ.

## الدين كله لله:

أيها الأخوة الكرام عود على بدء، انطلقت معركة بدر الكبرى، ونحن في ذكراها من قوله تعالى:

**( وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) )**

( سورة البقرة)

فإذا كان الدين كله لله، كرم الإنسان هذا التكريم، وحفظت حقوقه هذا الحفظ، وساد الإخاء بين بني البشر محبة، وألزم الناس بالمساواة عدلاً.

***

## الخـطـبـة الثانية:

### ارحموا عزيزاً ذلّ:

أيها الأخوة الكرام، عقب بعض الغزوات عرض على النبي صلى الله عليه وسلم الأسرى فوقفت من بينهم امرأة أسيرة اسمها سفّانة، وقالت بأدب جم: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد فامنن علي منّ الله عليك، وخلّ عني ولا تشمت بي أحياء العرب، فإن أبي كان سيد قومه، يفك العاني،

ويعفو عن الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الذمار، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ويحمل الكَلّ، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد في حاجة فرده خائباً، أنا بنت حاتم طيّئ.

فقال عليه الصلاة والسلام:

**(( يا جارية هذه صفات المؤمنين حقاً، ثم قال: خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ))**

وقال عليه الصلاة والسلام:

**(( ارحموا عزيز قوم ذلّ، وغنياً افتقر، وعالماً ضاع بين الجهّال ))**

عندها استأذنته أن تدعو له، فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: **(( اسمعوا وعوا ))**. قالت: أصاب الله ببرك مواقعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا جعلك سبباً في ردها، ورجعت إلى أهلها، وقالت لأخيها عدي بن حاتم: يا عدي ائت هذا الرجل فإني قد رأيت هدياً، وسمتاً، ورأياً، يغلب أهل الغلبة، ورأيت فيه خصالاً تعجبني، رأيته يحب الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود ولا أكرم منه، فإن يكن نبياً فللسابق فضله، وإن يكن ملكاً فلا تزال في عزّ ملكه، قيل: وأسلمت.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٣٦) : خ١ - الحب في الله ، خ٢ - الحب يقود إلى الطاعة والطاعة ثمن الاستخلاف و النصر.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٥-١٩

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## الخـطـبـة الأولــى:

### المحبة من أخصّ خصائص الإنسان وبطولة الإنسان أن يعرف من ينبغي أن يحب:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، موضوع الخطبة اليوم تلخصه هذه الحكاية القصيرة:

مرّ حكيم على رجل يبكي على قبر، فسأله عن سبب بكائه، فقال: إن لي حبيباً قد مات، فقال له الحكيم: لقد ظلمت نفسك بحب حبيب يموت، فلو أحببت حبيباً لا يموت لما تعذبت بفراقه.

أيها الأخوة المؤمنون، المحبة من أخص خصائص الإنسان، ولكن البطولة ليست في أن تحب، ولكن البطولة كل البطولة في أن تعرف من ينبغي أن تحب، هذا موضوع الخطبة.

للإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، والإنسان مفطور على حبّ الكمال، وحبّ الجمال، وحبّ النوال ( أي العطاء )، وحينما يدرك العقل من خلال التفكر الدقيق في خلق السماوات والأرض أن الكون مسخر للإنسان تسخير تعريف وتكريم، وحينما ينظر الإنسان في الحوادث التي هي أفعال الله، فيرى أنها تنطق بالعدل والرحمة والإحسان، وحينما يفهم الإنسان الفهم القويم للنقل الصحيح، حيث أخبر الله من خلاله أن الإنسان هو المخلوق الأكمل، خلقه في أحسن تقويم، وكرمه أعظم تكريم، خلقه لجنة عرضها السماوات والأرض، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

حينما يتفكر الإنسان في خلق الله، وينظر في أفعال الله، ويتدبر كلام الله، يقوده عقله الذي هو أداته لإدراك الحقائق، وتقوده فكرته التي جبلت على من أحسن إليها، إلى محبة الله ذي الجلال والإكرام، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

**(( أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً ))**

[ ورد في الأثر]

وقد ورد في الأثر أنه:

**((لا إيمان لمن لا محبة له))**

[ ورد في الأثر]

إن الله جلّ ثناؤه، وتقدست أسماؤه، جعل هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها للخير والرشاد، وشرها أوعاها للغي والفساد، وسلط عليها الهوى لتنال بمخالفته جنة المأوى، وهيأها لأمر عظيم، وأعدها لجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر من النعيم المقيم، واقتضت حكمته جلّ شأنه ألاّ تصل النفس إليها إلا من طريق المصائب والنصب، ولا تعبر إليها إلا على جسر من المشقة والتعب:

**(( أَلَا إِنّ عَمَلَ الْآخرة حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ، و إِنّ عَمَلَ النّارِ سَهْلٌ بِشَهْوَةٍ ))**

[ ضعيف عن عبد الله بن عباس ]

## المحبة قوت القلوب وغذاء الأرواح:

أيها الأخوة المؤمنون، المحبة هي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وهي الحياة التي من حرمها فهو في جملة الأموات، وهي النور الذي من فَقَدَه فهو في بحار الظلمات، وهي الشفاء الذي من عدمه حلت به الأسقام، وهي اللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

**(( ثَلَاثٌ مَنْ كُنّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبّ إِلَيْهِ مِمّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلّا لِلّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النّارِ ))**

[ متفق عليه عن أنس بن مالك ]

إذا عرف الإنسان ربه أحبه، وإذا أحبه خطب ودّه، فاستقام على أمره، وعمل الصالحات ابتغاء وجهه، عندئذ يجد حلاوة الإيمان بعد أن ذاق جحيم الكفران، يقول الله تعالى فيما رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه في حديث صحيح:

**((لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولأن سألني لأعطينه، ولأن استعاذني لأعيذنه))**

[ رواه البخاري عن أبي هريرة ]

## المحبة معقد النسبة بين الرب وبين العبد:

أيها الأخوة المؤمنون، المحبة معقد النسبة بين الرب وبين العبد، فإنه لا نسبة بين الله وبين العبد إلا محض العبودية من العبد، ومحض الربوبية من الرب، والمحبة هي معقد هذه النسبة، وهي روح الإيمان والأعمال، وقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة، إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، فالمرء مع من أحب، والمحبة هي الميل الدائم بالقلب الهائم، وإيثار المحبوب على جميع

المصحوب، وموافقة المحبوب في المشهد والمغيب، وهو استكثار القليل من التقصير، واستقلال الكثير من الطاعة، وهي أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منه شيء، وهي أن تهب إرادتك، وعزمك، وأفعالك، ونفسك، ومالك، ووقتك لمن تحب، وتجعلها حبساً في مرضاه ومحابّه، وقد جرت مسألة في المحبة بمكة المكرمة أيام الموسم، فتكلم الشيوخ جميعاً، وكان فيهم الجنيد، كان الجنيد أصغرهم سناً، قالوا: هاتِ ما عندك يا جنيد، فقال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، فإذا تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فهو مع الله، فهو بالله ولله ومع الله.

## من علامات المحبين لربهم:

### ١ ـ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين:

أيها السادة الأعزاء، آية كريمة في القرآن الكريم تؤكد هذه المحبة، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) )**

( سورة المائدة)

الذي أجمع عليه العارفون أن الله جلّ جلاله يحبهم، وأنهم يحبونه، فمحبة الرب لرسله وأنبيائه ولأوليائه صفة زائدة على رحمته وإحسانه وعطائه، بل إن رحمته وإحسانه وعطاءه أثر لمحبته، وموجب لها، فإنه لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبره أتم نصيب، ومحبة العبد لربه فوق كل محبة، ولا نسبة بينها وبين سائر المحابِّ، وهي حقيقة لا إله إلا الله، ومن علامات المحبين لربهم أنهم أذلة أعزة، أذلة على المؤمنين، أي رحماء بهم، مشفقون عليهم، فهم للمؤمنين كالوالد لولده، أعزة على الكافرين، أي هم أشداء عليهم لا يداهنونهم، ولا يرهبونهم.

### ٢ ـ يجاهدون في سبيل الله بأنفسهم وألسنتهم وأموالهم وأيديهم:

والعلامة الثانية أنهم يجاهدون في سبيل الله، يجاهدون بأنفسهم، وبألسنتهم، وبأموالهم، وبأيديهم.

## ٣ ـ لا تأخذهم بالله لومة لائم:

والعلامة الثالثة أنهم لا تأخذهم بالله لومة لائم، لأن الله معهم، وإذا كان الله معهم فمن يستطيع أن يكون عليهم ؟ قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) )**

( سورة المائدة)

## المؤمنون أشد حبا لله من حب المشركين لأندادهم الذين يحبونهم ويعظمونهم:

آية ثانية تؤكد هذه المحبة، قال تعالى:

**( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) )**

( سورة البقرة)

لقد أخبر الله تعالى من خلال هذه الآية الكريمة أنه من أحب من دون الله شيئاً كما ينبغي أن يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، إن هذا الند ند في المحبة والولاء، لا ند في الخلق والإنشاء، بل إن أكثر أهل الأرض اتخذوا أنداداً من دون الله في الحب والتعظيم، والذين آمنوا أشد حباً لله، أي إن المؤمنين أشد حباً لله من حبّ المشركين لأندادهم الذين يحبونهم ويعظمونهم، ولو ترى هؤلاء المشركين في المحبة والتعظيم لأندادهم وآلهتهم، لو تراهم وهم في النار، وأندادهم معهم يقولون:

**( قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٩٨) )**

( سورة الشعراء )

بل إن هؤلاء المشركين في المحبة والتعظيم يحبون أندادهم وآلهتهم حباً من جنس حب المؤمنين لله، وهو محبة ممزوجة بذل وتعظيم وتقديس يحملهم على عبادتهم بالدعاء، وعلى طاعتهم فيما يشرعون لهم.

**( أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) )**

( سورة الشورى)

## على كل إنسان أن يعطي دليلاً على صدق محبته لله و لرسوله :

**أيها الأخوة المستمعون، أيتها الأخوات المستمعات، لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يُعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرقة الشجي، فقيل لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة، قال تعالى:**

**( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) )**

( سورة آل عمران)

فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه.

ثم طولبوا بتزكية البينة إذ أن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم، فهلموا إلى البيعة.

**( إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) )**

( سورة التوبة)

فلما رأوا عظمة الثمن وجلال المشتري، ورأوا أن من أعظم الغبن أن يبيعوا أنفسهم وأموالهم لغير الله بثمن بخس، فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار، فلما تمّ العقد، وسلموا المبيع، قِيل لهم: مذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معها إذا غرست شجرة المحبة بالقلب، وسقيت بماء الإخلاص، ومتابعة الحبيب، أثمرت أنواع الثمار، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت في قرار القلب وفرعها في السماء.

## من الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها:

### ١ ـ قراءة القرآن بالتفهم والتدبر لمعانيه:

يا أيها الأخوة الأحباب، من الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها، قراءة القرآن بالتفهم والتدبر لمعانيه، وما أريد به، والتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصل إلى درجة المحبوبية بعد المحبة، ودوام ذكر الله على كل حال باللسان والقلب، فنصيب العبد من المحبوبية على قدر نصيبه من الذكر، وإيثار محاب الله على محاب العبد عند غلبات الهوى، والتسنم إلى محابّه، وإن صعب المرتقى.

## ٢ ـ مطالعة القلب لأسماء الله وصفاته ومعرفتها ومشاهدة آثارها:

ومن الأسباب الجالبة للمحبة، مطالعة القلب لأسماء الله، وصفاته، ومعرفتها، ومشاهدة آثارها، والتقلب في رياض هذه المعرفة، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته أحبه لا محالة، ومشاهدة بره، وإحسانه، وآلائه، ونعمه الظاهرة والباطنة، فإنها داعية إلى المحبة، والخلوة مع الله، ومناجاته، وتلاوة كلامه، والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ومجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما تنتقى أطايب الثمر، ومباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

## أوسع باب إلى أن يكون العبد محبوباعند الله أن يكون على شاكلة الذين يحبهم الهم تعالى:

أيها الأخوة الكرام، سالكو طريق المحبة إن أقصر طريق وأوسع بابٍ إلى أن يكون العبد محبوباً عند الله أن يكون على شاكلة الذين يحبهم الله جلّ جلاله، وأن يبتعد عن الصفات التي لا يحبها الله في عباده.

فالله يحب الصابرين، والله يحب التوابين، والله يحب المتطهرين، والله يحب المحسنين، وإن الله يحب المتوكلين، وإن الله يحب المقسطين، ويحب المتقين.

والله لا يحب الظالمين، ولا يحب المعتدين، ولا يحب المفسدين، ولا يحب المسرفين، ولا يحب المستكبرين، ولا يحب الفرحين - أي في الدنيا - ولا يحب الكافرين، ولا يحب الخائنين، ولا يحب من كان مختالاً فخوراً، والسنة المطهرة طافحة بالنماذج الإيمانية التي يحبها الله.

فالله يحب إغاثة اللهفان، وإتقان العمل والعدل بين الأولاد ولو في القبل، ويحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال، ويحب حفظ الود القديم، ويحب الرفق في الأمر كله، ويحب سمح البيع سمح الشراء، ويحب السهل الطلق، ويحب الشاب التائب، ويحب المؤمن المحترف، ويحب الفقير المتعفف، ويحب الغيور، ويحب القلب الحزين.

وإن الله يبغض البخيل، والسائل الملحف، والغني الظلوم، والفاحش البذيء، والوسخ والشعث، ويبغض البذخين الفرحين المرحين، ويبغض كل عالم بالدنيا، جاهل بالآخرة، ولا يحب الطلاق، والعقوق، ولا يحب كل فاحش متفحش.

## أحب الأعمال إلى الله:

وأحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المسلم، والحب في الله، والبغض في الله، وحفظ اللسان، والصلاة لوقتها، وإطعام الطعام، وأحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم، وأحب البلاد

إلى الله مساجدها، وأحب الحديث إلى الله أصدقه، وأحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيادي، وأحب العباد إلى الله أنفعهم لعياله، وأحسنهم خلقاً، وأبغض الرجال إلى الله الألد الخصم، ومن كان ثوبه خيراً من عمله، وأبغض الخليقة إلى الله الكذابون.

وفي الأثر القدسي:

**((أحب ثلاثاً، وحبي لثلاث أشد، أحب الطائعين، وحبي للشاب الطائع أشد، أحب الكرماء، وحبي للفقير الكريم أشد، وأحب المتواضعين، وحبي للغني المتواضع أشد، وأبغض ثلاثاً، وبغضي لثلاثٍ أشد، أبغض العصاة، وبغضي للشيخ العاصي أشد، وأبغض البخلاء، وبغضي للغني البخيل أشد، وأبغض المتكبرين، وبغضي للفقير المتكبر أشد))**

[ ورد في الأثر ]

## الحب في الله و الحب مع الله:

أيها الأخوة أحباب الله، هناك موضوع بالغ الدقة والخطورة، هناك فرق كبير وخطير بين الحب في الله وبين الحب مع الله، فالحب في الله هو من كمال الإيمان، بينما الحب مع الله هو عين الشرك، إذا تمكنت محبة الله في قلب العبد أوجبت هذه المحبة أن يحب العبد ما يحب الرب، عندئذ يحب العبد رسل الله جميعاً، وأنبياءه جميعاً، وأولياءه، والدعاة إليه، وعامة المؤمنين، ويبغض تبعاً لذلك ما يبغض الله عز وجل من العصاة، والفجار، والكفار، وعلامة الحب في الله والبغض في الله ألاّ ينقلب البغض لبغيض الله حباً إذا أحسن إليك، وقضى حوائجك، وألاّ ينقلب الحب لحبيب الله بغضاً إذا وصل إليك من جهته ما تكرهه ؛ إما خطأً، أو عمداً، مطيعاً لله فيه، أو متأولاً، أو مجتهداً، أو باغياً.

## الحب مع الله نوعان ؛ نوع يقدح في أصل التوحيد ونوع يقدح في كمال الإخلاص:

أيها الأخوة المؤمنون، الدين كله يدور على أربع قواعد، حب وبغض، ويترتب عليهما فعل وترك، فمن كان حبه، وبغضه، وفعله، وتركه لله فقد استكمل الإيمان، هذا هو الحب في الله، وأما الحب مع الله فنوعان، نوع يقدح في أصل التوحيد، وهو شرك لا محالة، ونوع يقدح في كمال الإخلاص، ولا يخرج من الإسلام.

النوع الأول: حب كما يحب المشركون أوثانهم، وأصنامهم، وآلهتهم التي يعبدونها من دون الله، محبة تألُه وميالات، يتبعها خوف ورجاء ودعاء، وهذه المحبة هي عين الشرك الذي لا يغفره الله.
والنوع الثاني: محبة ما زينه الله تعالى في النفوس، من النساء، والبنين، والقناطير المقنطرة من

الذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث، فيحبها محبة شهوة كالجائع للطعام، والظمآن للماء، هذه المحبة ثلاثة أنواع، إن أحبها لله توسلاً إليه بها، واستعانة بها على طاعته، ومرضاته، أثيب عليها، يقول أحد الأصحاب الكرام: **" حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي ".**

إن أحب هذه الأشياء توسلاً بها إلى الله، وابتغاء مرضاته أثيب عليها، وإن أحبها لموافقة طبعه وهواه، ولم يؤثرها على ما يحبه الله ويرضاه، بل نالها بحكم الميل الطبيعي، كانت من المباحات، ولم يعاقب عليها، وإن أحبها وسعى جاهداً لتحصيلها، والظفر بها، وقدمها على ما يحب الله، ويرضاه كان غارماً لنفسه متبعاً لهواه، فالأولى محبة السابقين، والثانية محبة المقتصدين، والثالثة محبة الظالمين.

## بطلان مسألة المحبة يبطل مقامات الإيمان و الإحسان:

أخوتنا الأكارم، لو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان، ولتعطلت منازل السير إلى الله، فإنها روح كل مقام، وكل منزلة، وكل عمل، وإذا خلا منها العمل كالميت لا روح فيه، ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها، بل هي حقيقة الإخلاص، بل هي الإسلام نفسه، إذ أنه الاستسلام بالذل، والحب، والطاعة لله، فمن لا محبة له لا إسلام له البتة، بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، وإن الإله الذي يؤلهه العباد حباً، وذلاً، وخوفاً، وتذللاً له، والعقول تحكم بوجوب تقديم محبته على محبة النفس، والأهل، والمال، والولد، فالعقل، والفطرة، والشرع، والنظر كلها تدعو إلى محبته سبحانه، بل إلى توحيده في المحبة، وإنما جاءت الرسل بتقرير ما في الفطر والعقول، إن الله لا يحب القلب المشترك، والعمل المشترك، العمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يقبل عليه.

قال بعض العلماء: **"عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها، قلب فارغ من محبة الله، والشوق إليه، والأنس به، ومحبة لا تتقيد برضاء الله تعالى، وامتثال أمره، وعلم لا يعمل به، وعمل لا إخلاص فيه، ولا اقتداء، وبدن معطل من طاعة الله، وخدمة عباده، وفكر يجول فيما لا ينفع، ومال لا ينفق منه، فلا يستمتع به جامعه في الدنيا، ولا يقدمه أمامه في الآخرة، ووقت معطل على اغتنام بر، وقربة إلى الله عز وجل، وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله، ولا تعود عليك بصلاح دنياك، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله، وهو أسير في قبضته، ولا يملك ضراً، ولا نفعاً، ولا موتاً، ولا حياةً، ولا نشوراً ".**

***

**الخـطـبـة الثانية:**

## المعرفة تقود إلى الحب و الحب يقود إلى الطاعة والطاعة ثمن الإستخلاف و النصر:

أيها الأخوة الأحباب، المعرفة تقود إلى الحب، والحب يقود إلى الطاعة، والطاعة ثمن الاستخلاف، والتمكين، والنصر العزيز المؤزر، وقد ورد في تاريخ الطبري الجزء السادس في الصفحة الواحدة بعد الخمسمئة، وفي كتاب البداية والنهاية الجزء التاسع في الصفحة الواحدة والأربعين بعد المئة أن قتيبة بن مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ توغل في بلاد المشرق فاتحاً، وبعد أن فتح كشغر، واقترب من الصين كتب إليه إمبراطور الصين أن ابعث إلينا رجلاً من أشراف من معكم يخبرنا عنكم، ونسأله عن دينكم، فانتخب قتيبة من عسكره اثني عشر رجلاً، لهم جمال، وأجسام، وألسن، وشعور، وبأس، فكلمهم قتيبة وفاطنهم - أي امتحن ذكاءهم - فرأى عقولاً وجمالاً، فأمر لهم بعدة حسنة من السلاح، والمتاع الجيد، وقد أمر عليهم الهبيرة بن المشمرج، وكان مفوهاً طليق اللسان، وقال لهم: سيروا على بركة الله، وبالله التوفيق، وإذا دخلتم على ملكهم فأعلموه أني قد حلفت ألاّ أنصرف حتى أطأ بلادهم، وأجبي خراجهم، فساروا وعليهم الهبيرة، فلما قدموا إليه أرسل إليهم ملك الصين يدعوهم، فدخلوا عليه وقد لبسوا ثياباً بيضاً تحتها الغلائل، ولبسوا النعال، وتطيبوا، دخلوا عليه وعنده عظماء أهل مملكته، فجلسوا فلم يكلمهم الملك، ولا أحد من جلسائه فنهضوا وانصرفوا، وقال الملك لجلسائه: كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا: رأينا قوماً أشبه بالنساء، فلما كان الغد أرسل إليهم، فلبسوا الوشي، وعمائم الخز، والمطارف، وغدوا عليه فلما دخلوا قيل لهم: ارجعوا، فقال لأصحابه: كيف رأيتم هذه الهيئة، هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال من تلك الأولى، فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم، فشدوا عليهم سلاحهم، ولبسوا البيض، والمغافر، وتقلدوا السيوف، والرماح، وتنكبوا القسي، وغدوا فقيل لهم: ارجعوا قبل أن يدخلوا عليه لِما دخل قلبهم من الخوف، فقال الملك لأصحابه: كيف ترونهم؟ قالوا: ما رأينا مثل هؤلاء قط، فلما أمسى أرسل إليهم الملك أن ابعثوا إلي زعيمكم، وأفضلكم رجلاً، فبعثوا إليه الهبيرة، فقال الملك له حين دخل عليه، قد رأيتم عظيم ملكي، وأنه ليس أحد يمنعكم مني وأنتم في بلادي بمنزلة البيضة في كفي، وأنا سائلك عن أمر، فإن لم تصدقني قتلتكم جميعاً، قال سل: قال: لِمَ صنعتم ما صنعتم من الزي في اليوم الأول، والثاني والثالث ؟ فقال الهبيرة: أما زينا الأول فلباسنا في أهلنا، وأما زينا في اليوم الثاني فإذا أتينا أمراءنا، وأما زينا في اليوم الثالث فزينا لعدونا، فقال الملك: ما أحسن ما دبرتم دهركم، فانصرفوا إلى صاحبكم قتيبة فقولوا له: لينصرف، فإني عرفت حرصه، وقلة أصحابه، وإلا أبعث عليكم من يهلككم ويهلكه، فقال له هبيرة: كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك، وآخرها في نابت الزيتون، وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها، وغزاك في عقر دارك، وأما تخويفك إيانا بالقتل، فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه، قال: فما الذي يرضي صاحبك، قال: إنه

حلف ألاّ ينصرف حتى يطأ أرضكم، قال: فإنا نخرجه من يمينه، فنبعث إليه بتراب من أرضنا فيطأه ونبعث إليه بالمال الذي يطلب نظير أمننا وحمايتنا، وهكذا نزل ملك الصين عند مطلب قتيبة من دون أن يخوض حرباً رهبةً وخوفاً:

**( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) )**

( سورة النور)

## إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم:

وقد يدور في الأذهان سؤال لا يخفى عليكم، أجاب عنه القرآن فقال:

**( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) )**

( سورة مريم)

وقد يقول قائل: ما العمل ؟ يجيب القرآن الكريم:

**( وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩) )**

( سورة الأنفال)

**( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ (١١) )**

( سورة الرعد)

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) )**

( سورة محمد)

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٣٧) : خ١ - الفطرة ، خ٢ - محنة المذنب مع نفسه.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٨-١١

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

## الله عز وجل زكى نبينا محمد في القرآن الكريم في عدة آيات:

يا سيدي يا رسول الله، نحن في ذكرى مولدك نقول لقد زكى الله عقلك، فقال:

**( مَا ضَلّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢))**

( سورة النجم )

وزكى لسانك فقال:

**( وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) )**

( سورة النجم )

وزكى شرعك فقال:

**( إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) )**

( سورة النجم )

وزكى جليسك فقال:

**( عَلّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) )**

( سورة النجم )

وزكى فؤادك فقال:

**( مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) )**

( سورة النجم )

وزكى بصرك فقال:

**( مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) )**

( سورة النجم )

وزكاك كلك فقال:

**( وَإِنّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) )**

( سورة القلم )

اللهم صلِّ على سيدنا محمد، وعلى آله، وأصحابه الطيبين الطاهرين، أمناء دعوته، وقادة ألويته وارض عنا، وعنهم يا رب العالمين.

عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

## النفس الإنسانية منذ تكوينها ألهمت في فطرتها إدراك طريق فجورها وطريق تقواها:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، موضوع خطبة اليوم الفطرة التي فطر الناس عليها.

لقد أودع الله في مدارك الأفكار، وفي مشاعر الوجدان ما تدرك به فضائل الأخلاق ورذائلها، وهذا ما يجعل الناس يشعرون بقبح العمل القبيح، وينفرون منه، ويشعرون بحسن العمل الحسن، ويرتاحون إليه، وبذلك يمدحون فاعل الخير ويذمون فاعل الشر، لقد أرشدت النصوص الإسلامية إلى وجود الحس الأخلاقي في الضمائر الإنسانية، وأحالت المسلم المؤمن إلى استفتاء قلبه في الحكم على أي سلوك قد تميل النفس إليه، قال تعالى:

**( وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) )**

( سورة الشمس)

فالنفس الإنسانية منذ تكوينها وتسويتها ألهمت في فطرتها إدراك طريق فجورها، وطريق تقواها، وهذا هو الحس الفطري الذي تدرك به الخير من الشر.

الإنسان لديه بصيرة يستطيع أن يحاسب بها نفسه محاسبةً أخلاقيةً على أعماله ومقاصده، ولو حاول في الجدل اللساني الدفاع عن نفسه وإلقاء معاذيره على غيره، قال تعالى:

**( بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥) )**

( سورة القيامة)

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

**((البرُ حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس))**

[ مسلم عن النواس بن سمعان ]

هذا الحديث يدل على أن في النفس الإنسانية حساً خلقياً بالإثم، لذلك يكره فاعل الإثم أن يطلعَ عليه الناس، لأنه يعلم أنهم يشعرون بمثل ما يشعر، وذلك بحسٍ أخلاقي موجودٍ في أعماق النفس، هذا الحس هو ما أسماه الباحثون الأخلاقيون بالضمير، روى الإمام أحمد والدارمي بإسنادٍ حسن عن وابصة بن معبد قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

**(( جِئتَ تسأل عن البر ؟ قلت: نعم، قال عليه الصلاة والسلام: استفت قلبك، البر ما طمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك ))**

[أحمد عن وابصة بن معبد ]

في هذا الحديث الشريف أيها الأخوة الكرام تبيانٌ واضحُ للحس الأخلاقي، وليس هناك ما يمنع بالضمير الأخلاقي، هذا الضمير إذا كان نقياً صافياً سليماً من العلل والأمراض فإنه يستطيع أن يحس بفضائل الأخلاق ومحاسن السلوك، وأن يحس برذائل الأخلاق ومساوئ السلوك، وأن يميز بين الصنفين.

## الطمأنينة علامة البر والتردد والاضطراب وخوف إطلاع الناس علامة الإثم:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، البر المفسر في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه حسن الخلق، يفعله الإنسان السوي، وهو مطمئن القلب، مطمئن النفس، أما الإثم فإن الإنسان السوي لا يقدم عليه إلا وفي نفسه قلق منه، وفي صدره تردد واضطراب، فالطمأنينة علامة البر، والتردد والاضطراب وخوف إطلاع الناس علامة الإثم، ولكن قد يختلط الأمر في بعض الأعمال على العقل والضمير، ويلتبس عليهما وجه الحق، فيكونان حينئذ في حاجة إلى هداية وتبصير، وقد تطغى الأهواء والشهوات أو العادات والتقاليد، أو يؤثر فيهما الموجهون المضللون أو الشياطين الموسوسون من الجن والإنس، وطريقة المسلم في هذه الحالة هي اتقاء الشبهات، فإذا كان اتقاء الشبهات في جانب الترك لأن الأمر مشتبه بين الحلال والحرام كان الأفضل للمسلم أن يترك العمل المشتبه فيه خشية الوقوع في الحرام، وإذا كان اتقاء الشبهات في جانب الفعل لأن الأمر مشتبه بين الحلال والواجب كان الأفضل للمسلم أن يأتي بالعمل المشتبه فيه خشية الوقوع في ترك الواجب، والدليل على هذه الطريقة التي ينبغي للمسلم أن يتبعها ما رواه البخاري ومسلم من عدة طرق عن النعمان بن البشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

**(( إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، من وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب ))**

[متفق عليه عن النعمان بن البشير]

## الشبهات:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، هذا الحديث الشريف الصحيح من أحاديث الأصول الجوامع، وفيه كليات عظيمة تتصل بأمهات السلوك، وفيه تقسيم ثلاثي للأحكام الشرعية،

فالقسم الأول هو الحلال الصرف البين الواضح الذي لم تخالطه شبهة، ولا يختلف فيه الناس، ولا تتأثم منه النفوس ولا تتحرج، والقسم الثاني الحرام الصرف البين الواضح لا يختلف فيه عقلاء الناس وأصحاء البصيرة، ولا يفعله فاعل إلا وفي نفسه حرج، وشعور بالإثم، وخوف من سوء المصير، والقسم الثالث المشتبهات، وسميت بذلك لأن لها شبهاً بالحلال يزيد وينقص، وشبهاً بالحرام يزيد وينقص، هي تلتبس وتختلط على كثير من الناس، ولكن لا على كل الناس بل العلماء المحققون، وقد جاءت كلمة الشبهات جمعاً لأنها كثيرة جداً بالنسبة إلى الحلال والحرام، وجاءت جمعاً لأنها متفاوتة في قربها من الحلال، وقربها من الحرام، والأسلم للمسلم الصادق في استسلامه إلى ربه أن يدع هذه الشبهات استبراءً لدينه عند الله، وعرضه عند الناس، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( دع ما يَريبك إلى ما لا يريبك ))**

[الترمذي عن الحسن بن علي]

وعن عطية بن عروة السعدي، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

**((لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس))**

[رواه الترمذي عن عطية بن عروة السعدي ]

أخوتي المؤمنين، لما كان الإنسان مزوداً في أصل كيانه بعقل إذا أعمله متفكراً في خلق السماوات والأرض أوصله إلى الإيمان بالله خالقاً، ومربياً، ومسيراً، وموجوداً، وواحداً، وكاملاً. ولما كان الإنسان مزوداً في أصل فطرته بحسٍ أخلاقي كافٍ لإدراك الخير والشر، والحق والباطل من دون معلم، ولا موجه، ولا كتاب منير، إنه مزود بعقل يدله على الله، ومزود بفطرة تدله على خطئه، لذلك بما أنه مزود في أصل كيانه بعقل، وفي أصل فطرته بضمير كافيين لمعرفة عظمة الله، ولمعرفة حال نفسه، يُقال له يوم القيامة عندما يُسلم كتاب عمله في الحياة الدنيا:

**( اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً (١٤) )**

( سورة الإسراء)

أي إنك ستحاسب نفسك لأنك تملك ميزانين، ميزان العقل وميزان الفطرة.

## قواعد هادية للبصيرة الأخلاقية:

فضلاً عن الحس الأخلاقي الذي أودعه الله في الإنسان إدراكاً وشعوراً، هنالك قواعد هادية للبصيرة الأخلاقية، نبه عليها النبي صلى الله عليه وسلم، من هذه القواعد عامل الناس كما تحب منهم أن يعاملوك، وقد جاء هذا المعنى في حديث طويل رواه الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر وفيه يقول عليه الصلاة والسلام:

**((من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتَأْتِه مَنِيَّتُهُ وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يُؤتى إليه))**

[مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما]

كلما اشتبه على الإنسان أمر السلوك، عليه أن يضع نفسه مكان الطرف الآخر ويفترض أن الأمر كان معكوساً، فالأمر الذي يستحسنه لنفسه من الآخرين مما لا معصية فيه هو الأمر الذي ينبغي أن يفعله معهم، لذلك على المؤمن أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأن يكره له ما يكره لنفسه، روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال:

**((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))**

[البخاري عن أنس رضي الله عنه ]

ومن هنا يندفع المسلم إلى أن يكون صادقاً مع أخيه لأنه يحب أن يصدقه الناس إذا حدثوه، ويكره أن يكذبه، ويندفع المؤمن إلى أن يكون أميناً على مال أخيه وعرضه وشرفه، لأنه يحب أن يعامله الناس بأمانة على ماله وعرضه وشرفه، ويكره أن يخونوه بشيء من ذلك، ويندفع المؤمن إلى مساعدة أخيه ومعاونته في مال، أو علم، أو جاه، أو خدمة، أو نصيحة، أو دعوة صالحة، أو شفاعة حسنة، لأنه يحب لنفسه مثل ذلك من أخوانه، ويندفع المؤمن إلى دعوة أخيه إلى الإيمان الصادق والعمل الصالح، لأنه أحب هذا لنفسه، وهكذا تجد المسلم مدفوعاً إلى الصبر، والعفو، والصفح، والمسامحة محاولاً جهده ستر العيوب، وعدم نشرها بين الناس، بل يبادر إلى نصحهم سراً ما وجد إلى ذلك سبيلاً، إنه يفعل ذلك، لأنه يحب أن يعامل هكذا.

## الإيمان أساس الفضائل:

ما الهدف من التزام مكارم الأخلاق التي ترتاح إليها الفطرة، والتي أمر بها الإسلام أو رغب بفعلها ؟ وما الهدف من اجتناب نقائص الأخلاق والتي تنكرها الفطرة، والتي نهى عنها الإسلام أو رغب في تركها ؟

الهدف من هذا وذاك هو الفوز بسلامة القلب وسعادته، ونيل الجزاء المعجل في الدنيا، والنجاة من العقاب المعجل فيها، ثم الفوز العظيم بالسعادة المطلقة الأبدية في الآخرة.

لذات الجسد وآلامه أهون اللذات، والآلام قيمة في حياة الإنسان، ولكنها تدخل ضمن الوحدات الجزئية التي تمنح الإنسان قسطاً من السعادة، لكنها كرذاذ سريع الجفاف، لا يملأ ساحة النفس والقلب والفكر، وتأتي فوق لذات الجسد لذات النفس الدنيوية وآلامه، وهي أعمق، وأشمل، وأطول، ثم تأتي فوق لذات النفس الدنيوية سعادة النفس الأخروية، وهي تتغلغل إلى أعمق أعماق الإنسان، وتتسع حتى تشمل كل حياته، وكل نشاطاته، وكل حركاته وسكناته، وهي أبدية لا تزول أبداً، لها بداية مع بداية الإيمان، وليس لها نهاية، وهي متنامية دائماً.

قد تطغى لذة النفس على ألم الجسد فلا يشعر الإنسان بألم الجسد، وقد تطغى سعادة النفس الأخروية على ألم النفس الدنيوي فلا يشعر الإنسان بهذا الألم، وقد تطغى آلام النفس على لذات الجسد فلا تكون لهذه اللذات أية قيمة.

أيها الأخوة المؤمنون، مجمل القول أن الإنسان إذا لزم مكارم الأخلاق التي ترتاح إليها الفطرة، والتي يطمئن إليها القلب يحقق الغاية من وجوده، ومن سلامة وجوده، ومن كمال وجوده، ومن استمرار وجوده، ذلك لأن في القلب شعثاً لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفي القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفي القلب نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه، وقضائه وقدره، والصبر على ذلك إلى يوم لقائه، وفي القلب فاقة لا يسدها إلا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، والإخلاص له.

مجمل القول أن الإيمان أساس الفضائل، ولجام الرذائل، وقوام الضمائر، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً، وأن أكملهم إيماناً أحسنهم خلقاً، وأن من أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً، وأن خير ما أعطي الإنسان خلق حسن، وأنه ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وأن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، بل إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الجنة، والخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

***

**الخـطـبـة الثانية:**

## محنة المذنب مع نفسه:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، إليكم قصة صحابي جليل، هو كعب بن مالك، تخلف عن غزوة تبوك من دون عذر، كيف كانت محنته مع نفسه ؟ وكيف كان موقفه من رسول الله ؟ ثم كيف انتهت محنته إلى منحة إلهية ؟ وكيف انتهت شدته إلى شدة إلى الله ورسوله ؟ هذه القصة متوافقة مع موضوع الخطبة توافقاً دقيقاً، خرّج البخاري ومسلم حديث الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك، فقد نزل فيهم قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، فقد روى الإمام مسلم عن كعب بن مالك قال: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة قط إلا غزوة تبوك، ولم أكن حين تخلفت عنه أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت، لقد غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً، ومفازاً ـ أي صحارى ـ واستقبل عدواً كثيراً، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجمعهم كتاب حافظ، لقد غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار، وانتشرت الظلال، وأنا إليها أميل، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع، ولم

أقض شيئاً، وأقول لنفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غازياً، والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، ثم غدوت، ورجعت، ولم أقض شيئاً، فلم يزل كذلك يتمادى بي حتى أسرعوا، وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل، وأدركهم، فيا ليتني فعلت، ثم لم يقدر لي ذلك، فطفقت إذا خرج الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو يحزنني أني لا أرى لي أسوة في الناس إلا رجلاً منافقاً، أو عاجزاً ضعيفاً، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك، فقال عليه الصلاة والسلام وهو جالس في القوم: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه، فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بلغني أن رسول الله قد توجه قافلاً من تبوك حضرني حزني، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول بما أخرج من سخطه غداً، وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادماً زاح عني الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه، وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، وصلى فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً، فقبل عليه الصلاة والسلام منهم علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل إلى الله تعالى سرائرهم، حتى جئت فلما سلمت تبسم عليه الصلاة والسلام تبسم المغضب، ثم قال: تعال، تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك يا كعب ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهراً ـ أي ناقة ـ فقلت: يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر تقبله، ولقد أُعطيت جدلاً ـ أي فصاحةً وقوةً إقناع ـ ولكنني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه ـ تغضب علي فيه ـ إني لأرجو فيه عقبى الله عز وجل، والله يا رسول الله ما كان لي عذر أبداً، ووالله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال عليه الصلاة والسلام ـ قبل من بضعة وثمانين أعذارهم، واستغفر لهم، وبايعهم، ووكل سرائرهم إلى الله ـ قال عليه الصلاة والسلام بعد قول كعب بن مالك الصادق: أما هذا فقد صدق ـ يعني هؤلاء الذين اعتذروا لم يكونوا صادقين ـ أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضيَ الله فيك، فقمت فقال لي رجال من بني سلمة: والله ما علمنا أنك أذنبت ذنباً قبل هذا، لو اعتذرت إلى رسول الله بما اعتذر إليه المتخلفون، قد والله مازالوا يؤنبونني حتى هممت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذبَ نفسي.

## قصة المخلفين ورد ذكرها في القرآن الكريم:

أيها الأخوة الأكارم، للقصة تتمة مثيرة، ارجعوا إذا شئتم كتب السيرة، أو اسألوا أهل الذكر لتتابعوا ماذا حدث بعد ذلك، لكن الفصل الأخير من هذه القصة ذكره القرآن في سورة التوبة، قال تعالى:

**( لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) )**

( سورة التوبة )

كعب بن مالك أحد هؤلاء الثلاثة الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم.

أيها السادة المستمعون أيتها السيدات المستمعات، نظراً لضيق الوقت أدع لكم أن تربطوا بين أحداث القصة وبين موضوع الخطبة، وأذكركم بقوله تعالى:

**( بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥))**

( سورة القيامة )

أذكركم بقول النبي صلى الله عليه وسلم:

**((إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة))**

[متفق عليه عن عبد الله رضي الله عنه ]

وما علاقة هذا الحديث الشريف بأحداث القصة ؟

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٣٨) : خ١ - الإيدز يتهدد المنحرفين ، خ٢ - درهم وقاية خير من قنطار علاج.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-١٠-٢٧

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

## الوقاية من مرض الإيدز لا يكون إلا بالتزام منهج الله القويم وصراطه المستقيم:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، موضوع الخطبة اليوم حول خطر داهم يهدد العالم بأسره، ينتشر بمتوالية انفجارية، ولا سبيل إلى الوقاية من هذا الخطر إلا بالتزام منهج الله القويم، وصراطه المستقيم الذي ارتضاه لعباده.

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، يقول الله تعالى:

**( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ )**

( سورة الروم )

صنع الله متقن غاية الإتقان، محكم غاية الإحكام، كامل غاية الكمال قال تعالى:

**( صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ )**

( سورة النمل: الآية ٨٨)

قال تعالى:

**( فَارْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ(٣) )**

(سورة الملك )

## معنى الفساد:

قال تعالى:

**( الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) )**

(سورة الملك )

ذلك لأن كمال الخالق يظهر في كمال الخلق، وكذلك علمه وقدرته وحكمته، أما الفساد ففي تعريفه الدقيق: هو خروج الشيء عن كمال خصائصه، وصفاته، فخصائص الماء مثلاً الكاملة أنه لا لون له، ولا طعم له، ولا رائحة له، ففساده تلوثه بعناصر غريبة عنه، وجراثيم فتاكة لشاربه، وكذلك

فساد الهواء، وكذلك فساد الأخلاق، وكذلك فساد العلاقات، فساد الشيء خروجه عن كمال خصائصه وصفاته.

الفساد مستحيل في أصل الخلق، لأن كمال الله مطلق، ولكن الفساد ممكن من جهة المخلوق، حيث أودعت فيه الشهوات ليرقى بها صابراً أو شاكراً إلى رب الأرض والسماوات، الفساد ممكن من جهة مخلوق منح حرية الاختيار ليُثمَّن علمه، ووضِعَ له منهج دقيق، إذا تحرك من خلاله وقاه الضلال والشقاء، قال تعالى:

**( فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى )**

## بعض أسباب الفساد:

لكن الإنسان حينما جهل حقيقته، وشرد عن ربه جعل شهوته هدفاً، بل إلهاً عبدها من دون الله، قال تعالى:

**( أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) )**

( سورة الفرقان)

وجعل حريته تفلتاً من كل قيد، قال تعالى:

**( إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٤))**

( سورة الفرقان )

وجعل المنهج القويم الذي أنزله الله على رسوله جعله وراء ظهره، ولم يعبأ به:

**( وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً (٣٠) )**

( سورة الفرقان )

وقال:

**( أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) )**

( سورة الجاثية)

هذه هي أسباب الفساد مخلوق تفلت من منهج ربه، واستخدم حرية الاختيار ليفعل ما يشاء، وجعل شهوته هدفاً عبدها من دون الله.

## ما من مصيبة تحل بالبشرية إلا بسبب خروج الإنسان عن منهج ربه:

من النتائج الحتمية لاتباع الهوى بغير هدى من الله أن الإنسان الضال يظلم نفسه فيشقيها، ويظلم مجتمعه فيفسده ويشقيه، ويظلم البيئة فيلوثها، قال تعالى:

**( وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) )**

( سورة القصص)

ومما يؤكد هذه الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى قال في محكم تنزيله:

**( الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢))**

( سورة الشعراء)

لقد عزي الخلق إلى الله، وعزيت الهداية إلى الله، وعزي الرزق إلى الله، ولكن المرض عزي إلى الإنسان بسبب خروجه عن منهج الله:

**( الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢))**

( سورة الشعراء)

بل إنه ما من مصيبة تحل بالبشرية إلا بسبب خروج الإنسان عن منهج ربه، قال تعالى:

**( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠) )**

( سورة الشورى)

## علاقة المعصية بنتائجها:

الفساد يستحيل أن يكون في أصل الخلق، بل هو طارئ من كسب الإنسان، وهذا ما تؤكده الآية الكريمة:

**( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(٤١))**

( سورة الروم)

لحكمة بالغةٍ جُعلت علاقة المعصية بنتائجها علاقة علمية، أي علاقة سبب بنتيجة، ففي كل معصية بذور نتائجها، وهذا ما يليق بالتشريع الإلهي ؛ تشريع الخبير الذي هو في حقيقته تعليمات الصانع، لكن هذه النتائج الوبيلة للمعاصي ليست هي كل النتائج، بل بعضها، فالعاصي فضلاً عن أنه يخسر الدنيا يخسر الآخرة، وفضلاً عن أنه يعذب في الدنيا يعذب في الآخرة، لكن عذاب الدنيا ليس بشيء إذا قيس بعذاب الآخرة، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة:

( لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا )

( سورة الروم )

قال: بعض الذي عملوا، ولم يقل: كل الذي علموا، كل هذا من أجل أن نرجع إلى الله في الوقت المناسب، وقبل فوات الأوان، قال تعالى:

( وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) )

( سورة السجدة )

## هناك باعثان وراء كل أعمال الإنسان:

أيها الأخوة في كل مكان، آية أخرى قال تعالى:

( فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) )

( سورة القصص)

هناك باعثان وراء كل أعمال الإنسان ؛ باعث العقل أو باعث الشهوة، باعث المبدأ أو باعث الحاجة، باعث الآخرة أو باعث الدنيا، باعث إرضاء الله تعالى أو باعث إرضاء الذات، باعث الخير أو باعث الشر، هذه الثنائية في البواعث ليس لها ثالث، لذلك قال تعالى ـ ودققوا في هذه الآيةـ:

( فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) )

( سورة القصص)

حكماً، وقال أيضاً:

( وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) )

( سورة القصص)

## انهيار المجتمعات و شقاء البشرية يتأتى من اتباع الهوى بغير هدى من الله:

يُفْهَم من معاني الآية السابقة أنه من اتبع هواه وفق هدى الله ومنهجه وشرعه فلا شيء عليه، فمن أراد أن يقضي وطره من الجنس الآخر تزوج، لأن الزواج كما قال عليه الصلاة والسلام:

**((أغض للبصر وأحصن للفرج))**

[رواه البخاري عن علقمة ]

فلا شيء عليه، إنه اتبع هواه وفق هدى الله وشرعه، ومن أراد أن يحوز المال الذي زين للناس تملكه فسلك في كسبه الطرق المشروعة فلا شيء عليه، لأنه اتبع الهوى وفق هدى الله ومنهجه وشرعه، لكن انهيار المجتمعات وشقاء البشرية يتأتى من اتباع الهوى بغير هدى من الله.

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، حينما يصبح الهوى هدفاً يسعى إليه الإنسان فلا بد أن عدواناً على الآخرين يقع بسببه، يقع على حقوقهم، وعلى أموالهم، وعلى أعراضهم، وهذا من أشد أنواع الظلم، قال تعالى بعد أن قال:( وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ.

قال:

**( إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) )**

( سورة القصص)

## ثمن الجنة مخالفة الهوى:

الإنسان بين هدفين متعاكسين في الاتجاه، فكلما اقترب من أحدهما ابتعد حكماً عن الآخر، فإذا اقترب من الهوى ابتعد عن سبيل الله، وإذا اقترب من سبيل الله ابتعد عن الهوى، قال تعالى:

**( وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) )**

( سورة ص)

بل إن الجنة التي خلق الإنسان لها والتي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، إن هذه الجنة التي لا تعلم ما أخفي لها من قرة أعين فيها، إن هذه الجنة ثمنها مخالفة الهوى، قال تعالى:

**( وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) )**

( سورة النازعات)

هذا الإنسان أعقد آلة في الكون، هو المخلوق الأول، هو المخلوق المكرم، هو المخلوق المكلف، في خلاياه، وأنسجته، وأعضائه، وأجهزته من التعقيد والدقة والإتقان ما يعجز عن فهم بنيتها وطريقة عملها أعلم علماء الطب، وفي هذا الإنسان نفس تختلج فيها المشاعر والعواطف، وتصطرع فيها الشهوات، والقيم، والحاجات، والمبادئ، حيث يعجز عن إدراك خصائصها أعلم علماء النفس، وفي هذا الإنسان عقل فيه من المبادئ والمسلمات، والقوى الإدراكية والتحليلية والإبداعية ما أهّله ليكون سيد المخلوقات.

## خلق الله الإنسان في أحسن تقويم فلما انحرف عن منهج ربه رددناه إلى أسفل سافلين:

لقد خص الله عز وجل الإنسان بأجهزة دفاع بالغة الدقة، أولى هذه الأجهزة: الجلد، وهو درع سابغة على البدن ترد عنه الجراثيم والأخطار، وهو خط الدفاع الأول، وخص المولى عز وجل كل عضوٍ، وكل جهازٍ، وكل حاسةٍ بجهاز دفاع خاص به، فللعين مثلاً الأهداب والأجفان والدمع، وهذه الأجهزة الخاصة بكل عضو وبكل جهاز هي خط الدفاع الثاني، وأما خط الدفاع الثالث هو الدم وجنوده، كريات الدم البيضاء، وعددها خمسة وعشرون مليون كرية في أيام السلم، ويتضاعف هذا العدد في أيام الاستنفار، وقد يصل إلى مئات الملايين في حال القتال، في فترة زمنية لا تتجاوز الساعات والأيام.

لهذه الجيوش الجرارة من الكريات البيضاء سلاح إشارة مؤلف من بضع مواد كيماوية، يُعد هذا السلاح وسيلة التفاهم فيما بينها، أما خطة جهاز المناعة في الدفاع عن الجسم فهي من الدقة والتنسيق والفعالية حيث يصعب تصديقها، ذكية جداً خلايا الدم البيضاء ـ كما يقول بعض العلماء ـ سواء في نظام عملها، أو في توزيع الأدوار القتالية على أفرادها، أو في تحقيق المهمات المنوطة بها، فبعد ثوان معدودات من اجتياز أي جسم غريب لخطوط الدفاع الأولى والثانية تتوجه هذه الكريات البيضاء إلى الجسم الغريب بمهمة استطلاعية فقط، حيث تأخذ الشيفرة الكيماوية من هذا الجسم الغريب، وتحتفظ بها، ثم تنقلها إلى المراكز اللمفاوية مراكز تصنيع السلاح، وهنا تنتهي مهمتها، وفي المراكز اللمفاوية تقوم الكريات البيضاء الأخرى ؛ الكريات المحصنة الصانعة بتفكيك رموز هذه الشيفرة تمهيداً لصنع المصل المضاد، وهذه الكريات البيضاء اسمها الكريات المصنعة المحصنة، وبعد صنع المصل المضاد تنتهي مهمتها، ثم تأتي الكريات المقاتلة، وتحمل هذا المصل المضاد والسلاح الفعال وتتوجه به لتهاجم الجسم الغريب، وتنشب المعركة بين هذه الكريات المقاتلة وهذا العدو المهاجم إلى أن تصرعه، وعندئذ تنتهي مهمتها، ثم تأتي الكريات اللاقمة لتنظف ساحة المعركة من جثث الأعداء.

كريات مستطلعة، وكريات مصنعة، وكريات مقاتلة، وكريات منظفة، وهذه الكرية لا يزيد قطرها عن خمسة عشر مكروناً وفي الميليمتر المكعب هناك سبعة آلاف كرية.

**( لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) )**

( سورة التين)

لكن الإنسان حينما ينحرف عن منهج ربه، ويستجيب لنداء غريزته من دون ضابط من شرع، أو رادع من فطرة، أو زاجر من عقل يبطل عمل هذا الجهاز، ويموت الإنسان لأدنى سبب، وما مرض نقص المناعة المكتسب بالإثم ـ الإيدز ـ إلا تأكيد لهذه الحقيقة،

**( لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ )**

فلما انحرف عن منهج ربه رددناه إلى أسفل سافلين.

## من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام:

لو نظرت إلى شاب مصاب بهذا المرض الخطير، مرض نقص المناعة المكتسب بالآثام:

**لرأيته صار إلى فتـىً هـزيل الجسم منجرد**
**متلجلج الألفاظ مضطرب متواصل الأنفـاس مطّرد**
**عيناه عالقتان في نفـق كسـراج كـوخ نصف متقد**
**تهتز أنمله فتحسبهـا ورق الخريف أصيب بالبرد**
**ويمج أحياناً دماً فعلـى منديله قطع مـن الكبـد**
**قطع تقول له: تموت غداً وإذا ترق تقول بعد غـد**

*  *  *

**الموت الزؤام هو المصير المحتوم لكل مسرف مصاب بهذا المرض:**

**مات الفتى فأقيم في جدث مستوحش الإرجاء منفرد**
**كتبوا على حجراته بدم سطر به عظة لذي رشد**
**هذا قتيل هوى ببنت هوىً فـإذا مررت بأختها فحد**

*  *  *

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام ما رواه ابن ماجه والبيهقي واللفظ له عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( يا معشر المهاجرين خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشت فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ))**

[ابن ماجه والبيهقي واللفظ له عن ابن عمر رضي الله عنهما]

هذا الحديث الشريف من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم يأخذ بعض ما في أيديهم))**

[رواه ابن ماجه والحاكم في المستدرك وقال هذا حديث صحيح الإسناد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ]

## أوامر الدين ضمان لسلامتنا وليست قيوداً لحريتنا:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، لقد عمَّ العالم مرض وبائي معد سببه فيروس لم يكن معروفاً من قبل، وبحسب إحصائيات منظمة الصحة العالمية قبل ستة أشهر هناك أربعة وثلاثون مليون مصاب في العالم، لكن هناك خبراء يؤكدون أن العدد الحقيقي قد يكون ضعف هذا العدد أو أكثر، ومما يزيد الحالة سوءاً عجز العالم بكل مؤسساته وهيئاته العلمية وإمكاناته المالية عن صنع لقاح مضاد لهذا المرض، إن هذا الفيروس لا ينتشر في أكثر حالاته إلا من خلال الإباحية، والفوضى الجنسية، والإدمان على المخدرات، ومن خلال انتشار السياحة من أجل الجنس، أي إنه ـ وهذه حكمة الخالق ـ مرتبط بالسلوك الشخصي، في الدرجة الأولى، وهناك مفارقة حادة يختص بها هذا الوباء، فبينما نجد أن معالجته مستعصية إلى درجة الاستحالة فالموت الزؤام مصير كل مصاب به، نجد في الوقت نفسه أن الوقاية منه سهلة إلى درجة أن كل إنسان لم يصب بهذا المرض يملك الوقاية التامة من خلال التزامه بالمنهج الإلهي من حيث العفة والاستقامة، فكل شهوة أودعها الله بالإنسان جعل الله لها قناةً نظيفة تتحرك فيها، وأوامر الدين ضمان لسلامتنا، وليست قيوداً لحريتنا.

أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين، الشيء المحير أن هذا الفيروس يستطيع أن يغير شكله في أي وقت، فلو أنفقت ألوف الملايين في البحث العلمي عن لقاح مضاد له تذهب هذه الأموال، أو تلك الجهود أدراج الرياح حينما يغير هذا الفيروس شكله، فضلاً عن أن لهذا الفيروس سلالات عديدةً، فمن نجا من سلالة أردته أخرى، وكأن الله جل جلاله يريد من الإنسان المتفلت أن ينجو من هذا المرض بالعفة والاستقامة لا باللقاح والدواء قال تعالى:

**( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ )**

( سورة الروم)

شيء آخر يقوله العلماء وهو: أنه لو افترض جدلاً، وهذا أقرب إلى المستحيل، أن جهود العلماء في السنوات الخمس القادمة توصلت إلى لقاح مضاد لهذا الفيروس، فإن تكاليف معالجة المريض الواحد تزيد عن عشرة ملايين.

## الإيدز آية صارخة تدل على أن الله جعل هذ المرض الفتاك عقابا على السلوك الأباحي:

أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين، في دراسة إحصائية دقيقة أجريت في بلد تفاقم فيه انتشار هذا المرض بسبب الإباحية والفوضى الجنسية وجدوا أنه في كل عشر ثوانٍ يموت إنسان بهذا المرض، وأُذيعت هذه الدراسة في بعض الإذاعات العالمية، ذلك بأن هذا المرض ينتشر بمتوالية هندسية، ويبدو أن المتوالية الهندسية لا تعبر عن حجم انتشاره، ينبغي أن نقول: إن هذا المرض

ينتشر بمتوالية انفجارية مخيفة، وهناك دراسات إحصائية أخرى تتوقع أن يكون عدد المصابين في العالم في عام ألفين مئة وعشرين مليون مصاب، نشر هذا في صحيفة تصدر في دمشق، وهناك من يعتقد أن هناك مصاباً بهذا المرض وحاملاً له، لكنه وجد أن الحامل لفيروس هذا المرض مصاب به حتماً، لكنه لا يزال في دور الحضانة، وأما أعراضه المرعبة ففي طريقها إلى الظهور، فلا معنى للتفريق بين المصاب والحامل لأن الفرق بينهما فرق وقت لا فرق نوع.

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، من المفارقات الحادة أن العالم كله، ولاسيما الدول المتقدمة بمقياس العصر المادي، العالم كله بكل إمكانياته المادية والعلمية يقف عاجزاً مكتوف اليدين أمام أضعف فيروس حتى الآن، يفتك بالملايين الذين انحرفوا بأخلاقهم عن المنهج القويم، وكأن هذا الفيروس جند من جنود الله، وما يعلم جنود ربك إلا هو، جعله الله عقاباً عاجلاً لمن خرج عن الفطرة السليمة فضلّ وأضل، وفسّد وأفسد، إذ لا سبيل إلى الخلاص منه إلا بالعودة إلى المنهج القويم، والصراط المستقيم، ومما يؤكد ذلك وهذا ما حير العلماء أن البعوضة تغرس خرطومها في جسم مصاب بهذا المرض، وتأخذ من دمه الملوث، ثم تنتقل إلى إنسان سليم من هذا الفيروس، وتغرس خرطومها في دمه النظيف ويختلط دم السليم بدم المصاب، ولا ينتقل المرض، أليست هذه آية صارخة تدل على أن الله جل جلاله جعل هذا المرض الفتاك عقاباً على السلوك الإباحي ليس غير، ولم يجعل الإصابة به عشوائية.

## درهم وقاية خير من قنطار علاج:

أيها الأخوة الكرام، لو أن بلدةً تشرب ماءً ملوثاً، فظهر في أبنائها الأمراض والأوبئة فهل من العقل والحكمة أن ندع الماء الملوث يفتك بأبناء هذه البلدة، ثم نبحث عن المصل المضاد واللقاح الشافي، وأن نستقدم الأطباء، ونشيد المشافي، ونستورد الأجهزة، أم العقل والحكمة يقتضي أن نوقف الماء الملوث، أو أن نطهره من التلوث، وعندها نطوق المشكلة ونحد من انتشارها، ثم نلتفت إلى معالجة المصابين.

أيها الأخوة الكرام، من المؤسف أن هذا ما لا يجري في العالم كله، إنهم لا يقفون في وجه أسباب المرض، بل يحاولون أن يمنعوا أعراضه ونتائجه، إن درهم وقاية خير من قنطار علاج.

**( أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) )**

( سورة الجاثية)

الشاب الذي يبحث عن عمل، ثم يبحث عن زوجة، هو في الظاهر يبحث عن كفايته، ويقضي حاجته، وهو في الحقيقة يسهم في بناء أمته، لأن الأسرة النظيفة المتماسكة هي الخلية الأولى في

جسم المجتمع السوي المتقدم، والشاب الذي يهمل عمله، ويقضي وطره من طرق غير مشروعة، ومع فتيات ساقطات، يسهم من حيث يريد أو لا يريد، من حيث يعلم أو لا يعلم في تدمير نفسه، وأسرته، ومجتمعه، وهل الأمة إلا بشبابها الأصحاء الأقوياء المستقيمين وشاباتها.

**يا بنات الجيل هيـا  حصنوا هذا البناء**

**احفظوا جيل الشباب  أرشدوهم للصواب**

**فهم النبع الغزيـــر  ولك عذب الشراب**

**حصنوا كل الشبـاب  لينيروا كالبـدور**

**يسروا أمر الـزواج  لا تغالوا بالمـهـور**

**واحذروا داء التباهي  بالأثاث و القصـور**

**إنما نبع السعـادة  كامن ضمن الصدور**

** * **

**احذروا الفيروس فهو الآن  جمر يختفي تحت الرمــاد**

**إن تجاهلنا الحقيقة فاجأتنا  النار يوماً واكتوى كل العباد**

**بددوا الجهل بعلـــم  أيقظوا أهل الرقـــاد**

**توجوا العلم بطـــهر  صادق فهو العمــــاد**

**هاهو الفيروس يغتــال  الضحايا قاصداً كل البـلاد**

**وهو أعمى عن شبـاب  طاهر يأبى الفســـاد**

* * *

إنما العفة ماء بارد عذب زلال، يطفئ الجمر، ويروي كل من طلب الحلال.

لكن أيها الأخوة ينبغي أن ننوه أنه بفضل الله علينا، وبسبب تمسك مجتمعنا بمبادئ دينه القويم، فإن هذا المرض الخطير الذي يعد الخطر الأول في العالم كله لا يعد مشكلة في بلدنا الطيب، فالإصابات لا تزيد عن مئة أو أكثر بقليل، وأكثر هذه الإصابات من الوافدين من بلاد أجنبية، وهناك إجراءات حازمة تحد من انتشاره:

**( فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) )**

( سورة طه)

وقال:

**( فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) )**

( سورة البقرة)

لا يضل عقله ولا تشقى نفسه ولا يندم على ما فات ولا يخشى مما هو آت.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٣٩) : خ١ - الصيام ، خ٢ - فوائد التمر .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٦-٠١-١٩

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

## الصيام عبادة كبرى من العبادات الشعائرية:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، بعد أيام عدة يطل علينا شهر رمضان، شهر التوبة والغفران، شهر الطاعة والإحسان، شهر الذكر والحب، شهر التقوى والقرب، قال عليه الصلاة والسلام:

**(( رغم أنف عبد ـ أي خاب وخسر ـ أدرك رمضان فلم يغفر له، إن لم يغفر له فمتى ))**

[ الترمذي عن أبي هريرة]

ينبغي للمرء في رمضان وفي غيره أن يخرج من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، ومن مدافعة التدني إلى مدافعة الترقي. موضوع الخطبة اليوم محاولة متواضعة لفهم آيات الصيام في القرآن الكريم، وقبل الحديث عن حكم الصيام وعن أسراره لا بد من وقفة قصيرة عند حقيقة العبادة وجوهرها، لان الصيام عبادة كبرى من العبادات الشعائرية.

أيها الأخوة المؤمنون في كل مكان، الإسلام دين الله الذي ارتضاه لعباده، والمنهج القويم الذي اختاره الله لخلقه، فينبغي للإنسان أن يسير عليه، وتطبيق هذا المنهج عن إيمان وإخلاص هو جوهر العبادة التي هي علة وجودنا، قال تعالى:

**( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالْإِنسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) )**

( سورة الذاريات )

من العبادات ما هو تعاملي كالأمر بالصدق، والأمانة، والعفاف، وإنجاز الوعد، والوفاء بالعهد، وتحري الحلال، وضبط الجوارح والأعضاء، هذه العبادات التعاملية تقوم أصولها على حسن العلاقة مع الخلق، وأما العبادات الشعائرية كالصلاة والصوم والحج فتقوم أصولها على حسن العلاقة مع الله عز وجل إقبالاً واتصالاً واستنارة وطمأنينة.

## الآية التالية لخصت شطري الدين:

أيها الأخوة الكرام، لا تصح العبادات الشعائرية ومنها الصيام إن لم تصح العبادات التعاملية:

**(( ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط. ))**

[أبو نعيم عن أنس]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه ))**

[ البخاري في الصوم عن أبي هريرة]

ولقد لخصت الآية الكريمة شطري الدين فقال تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:

**( وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ )**

( سورة مريم )

حسن العلاقة مع الحق.

**( وَالزَّكَاةِ )**

( سورة مريم )

حسن العلاقة مع الخلق.

**( مَا دُمْتُ حَيّاً )**

( سورة مريم )

لكن حينما يقبل المصلي على تطبيق أمر تكليفي لعلة فيه تتفق مع مصلحته، أو لما فيه من أسرار وحكم، يكون إيمان هذا المرء بالأمر لا بالآمر، والمفروض أن يكون الإيمان بالآمر، والقصد عبادة الله، وطلب مرضاته، لا الوصول إلى السلامة، وبلوغ السعادة في الدنيا.

## علة كل أمر إلـهي أنه أمر إلـهي:

المؤمن بالله يقبل على امتثال أمره، لأنه أمر من خالقه ذي القدرة المقتدرة، والحكمة البالغة، والكمال المطلق، يقبل على الائتمار بالأمر، لأنه أمر من خالقه وكفى، فهمت العلة أم لم تفهم، والمهم أن يكون الدافع إلى فعل الأمر وترك النهي هو عبادة الله وطاعته لا جني ثمار الأمر واجتناب تبعات النهي، وإن كان هذا يحصل ممن يطيع الله عز وجل، لكن الله جلت حكمته حينما يرى عبداً من عباده المتقين يقبل على الطاعات لأنها أوامر خالقه، حينما يراه كذلك يكشف له بعد تطبيق الأمر علته المعجزة، وحكمته البالغة، وأسراره العظيمة، وبهذا يحقق العبد عبوديته لربه وتفقهه لعلة الأمر وحكمته وأسراره، أما الذي يعلق تطبيق الأمر على فهم حكمته ورؤية ثمرته فهو لا يعبد الله ولكن يعبد ذاته.

علة كل أمر إلهي أنه أمر إلهي، هذه اللفتة من أجل أن يرتقي صيامنا من سلوك ذكي إلى عبادة خالصة، يقول الله تعالى:

**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١٨٣))**

( سورة البقرة)

لقد جرت سنة الله في خطابه أن يخاطب الناس جميعاً بأصول الدين: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ )، بينما يخاطب المؤمنين الذي آمنوا بوجوده، وكماله، ووحدانيته، يخاطبهم بفروع الدين، كالأمر، والنهي، والحلال، والحرام، فكأن الله جل في علاه في هذه الآية الكريمة يرقق الأمر بالصيام، كأنه يقول: يا من آمنتم بي، يا من آمنتم بعلمي وحكمتي، يا من آمنتم برحمتي ومحبتي، يا من أحببتموني، لقد كتبت عليكم الصيام، وحينما يأتي الحكم ممن آمنت به، وممن وثقت برحمته وحكمته تثق أن هذا الأمر تأتي منه فائدة لك، لكن لا ينبغي أن تقيس هذا الأمر بمقياس عقلك المحدود، بل ينبغي أن تقيسه بعلم خالقك وحكمته ورحمته، فالله يعلم وأنتم لا تعلمون.

## مبدأ الصوم هو ركن تعبدي موجود في الديانات السماوية السابقة للإسلام:

قد يقول الأب الرحيم: يا بني ألست والدك ؟ ألا تثق بخبرتي المزيدة، ورحمتي الأكيدة، وحرصي على سلامتك وسعادتك ؟ دع هذا الأمر، ولا تقسه بعقلك الفتي، ولا بخبرتك المحدودة، ولا بنظرك القاصر، بل قِسْهُ بعقل أبيك وخبرته ومحبته، لعل في هذا الشرح توضيحاً من ارتباط قوله تعالى:

**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١٨٣))**

( سورة البقرة)

الصيام إمساك عن الطعام والشراب، وسائر المفطرات من الفجر حتى الغروب بنية العبادة والطاعة، ولأن هذا النهي عن شهوة الطعام والشراب وشهوة أخرى، شهوات مباحة وفق منهج الله عز وجل ومحببة للإنسان، ورد في الحديث القدسي:

**((كل عمل بن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به))**

[متفق عليه عن أبي هريرة]

وفي رواية:

**(( يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ))**

[متفق عليه عن أبي هريرة]

أما قوله تعالى:

**( كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ (١٨٣) )**

( سورة البقرة)

تشير هذه الآية إلى أن مبدأ الصوم لا يختلف من زمن إلى آخر، فهو ركن تعبدي موجود في الديانات السماوية السابقة للإسلام، إنه منهج الله في تربية الإنسان، أما قوله تعالى:

**( لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) )**

( سورة البقرة)

أي لعلكم تدعون المعاصي وتلزَمون الطاعات، لا في شهر رمضان فحسب بل في كل أشهر العام.

## معنى الصيام الحقيقي:

ليس القصد أن ننتصر على أنفسنا في رمضان ثم نتخاذل أمامها بقية العام، ولكن الصيام الحقيقي أن نحافظ على هذا النصر على طول الدوران وتقلبات الزمان والمكان، ليس القصد أن نضبط ألسنتنا في رمضان فننزهها عن الغيبة، والنميمة، وقول الزور، ثم نطلقها بعد رمضان إلى الكذب والبهتان، ولكن الصيام الحقيقي أن تستقيم منا الألسنة وأن تصلح فينا القلوب ما دامت الأرواح في الأبدان.

ليس القصد أن نغض أبصارنا عن محارم الله، وأن نضبط شهواتنا غير المشروعة في رمضان، ثم نعود إلى ما كنا عليه بعد رمضان، إنا إذاً كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، ولكن الصيام الحقيقي أن تصوم جوارحنا عن كل معصية في رمضان وبعد رمضان حتى نلقى الواحد الديان.

ليس القصد أن نتحرى الحلال خوفاً من أن يرد علينا صيامنا، ثم نتهاون في تحريه بعد رمضان، على أنه عادة من عاداتنا، ونمط شائع من سلوكنا، ولكن الصيام الحقيقي أن يكون الورع مبدأً ثابتاً وسلوكاً مستمراً في حياتنا.

ليس القصد أن نبتعد عن المجالس وعن المشاغب التي لا ترضي الله إكراماً لشهر رمضان، ثم نعود إليها، وكأن الله ليس لنا بالمرصاد في بقية الشهور والأعوام.

ليس القصد أن نراقب الله في أداء واجباتنا وأعمالنا ما دمنا صائمين، فإذا ودعنا شهر الصيام آثرنا حظوظ أنفسنا على أمانة أعمالنا وواجباتنا، مثل هذا الإنسان لم يفقه حقيقة الصيام، ولا جوهر الإسلام، إنه كالناقة حبسها أهله، ثم أطلقوها فلا تدري لا لما عقلت ولا لما أطلقت.

الشيء المهم الذي ينبغي أن نستوعبه هو أن الله تعالى لم يصطف رمضان من بقية الشهور ليكون شهر الطاعة والقرب، فحسب بل أراده شهراً يتدرب فيه الإنسان على الطاعة، حتى يذوق حلاوة القرب، وعندها تنسحب هذه الطاعة وذاك القرب على كل شهور العام، فيكون رمضان عندئذ قفزةً نوعية مستمرة في مجال الطاعة والقرب.

## الحكمة من الاصطفاء:

الحكمة من أن الله تعالى أمرنا بالإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غياب الشمس هي أن الإنسان حينما يدع ما هو مباح امتثالاً لأمر الله لا يستطيع ولا يتوازن مع نفسه أن يقترف ما هو محرم في هذا الشهر، فترك المحرمات أولى من ترك المباحات، فحينما يصطفي الله شهراً من الشهور لتصفو فيه العلاقة بالله يصطفيه من أجل أن يشيع هذا الصفاء مع الله في كل الشهور، لأن الله مع المؤمن في كل زمان، وحينما يصطفي الله مكاناً كبيته الحرام، ويدعو المؤمنين إليه ليذوقوا حلاوة القرب فيه، يريد أن ينسحب هذا القرب على كل الأمكنة، لأن الله مع المؤمن في كل مكان، وحينما يصطفي الله إنساناً فيكشف له الحقائق، إنما يصطفيه ليكشف من خلاله الحقائق لكل الناس، وحينما يصطفي الله إنساناً ليوحي إليه الأمر والنهي والمنهج القويم، إنما يصطفيه ليكون هذا المنهج مطبقاً لدى كل الناس.

**( فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢))**

( سورة هود)

إن الله أمر المؤمنين بما أمر المرسلين، وحينما يصطفي الله إنساناً ليسعده سعادة أبدية، إنما يصطفيه ليسعد بدعوته كل الناس.

مجمل القول، حينما يصطفى الله زماناً كرمضان، ومكاناً كبيته الحرام، وإنساناً كسيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام، إنما شاء الله جل جلاله أن يشيع اصطفاء الإنسان في كل الناس، واصطفاء المكان في كل الأمكنة، واصطفاء الزمان في كل الأزمنة.

## الله جل جلاله يعطي الرخصة للإفطار عندما يكون التكليف فوق الوسع:

ثم يقول الله تعالى:

**( أيّاماً مَعْدُودَاتٍ (١٨٤) )**

( سورة البقرة)

إنها أيام قليلة تعد على الأصابع، أياماً معدودات، إنها أيام قليلة اصطفاها الله لتكون أيام طاعة وقرب، فلعل الطاعة والقرب تستغرق كل أيام العام، ثم يقول الله تعالى:

**( فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ (١٨٤) )**

( سورة البقرة)

الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وسع النفس لا يستطيع أي إنسان أن يقدره بعقله لكن الله وحده الذي خلق، والذي صنع بعلمه، وخبرته، وحكمته، ورحمته هو وحده الذي يقدر الوسع، فهو جل جلاله يعطي الرخصة عندما يكون التكليف فوق الوسع، وتحديد المرض الذي يبيح الفطر يكون بغلبة

الظن أو بإخبار طبيب مسلم ورع حاذق، وكذلك السفر الذي تقصر فيه الصلاة يعد علة للإفطار في رمضان، لذلك لا يقبل في الدين أن يقول إنسان من خلال تحكيم عقله في موضوع تكليفي: هذا الأمر لا أقدر عليه، والله لن يؤاخذني على تركه إلا أن ترد في هذا الأمر رخصة من الذي خلق الإنسان، ويعلم حقيقة وسعه في أحد الوحيين الكتاب أو السنة، وحينما يطيق المسلم الصيام مع السفر أو المرض فالأولى أن يصوم، لقول الله عز وجل في سورة البقرة:

**( وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) )**

( سورة البقرة)

هذا وجه من وجوه تفسير الآية، لأن القرآن حمال أوجه.

## الإهتداء إلى الله والتزام منهجه و الوصول إليه والتنعم بقربه ثمرة يانعة من ثمار الصيام:

أيها الأخوة المؤمنون:

**( وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) )**

( سورة البقرة)

تتمة الآيات، الشريعة رحمة كلها، مصلحة كلها، عدل كلها، فكل قضية خرجت من الرحمة إلى القسوة، ومن المصلحة إلى المفسدة، ومن العدل إلى الجور، فليست من الشريعة، ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل. ويقول الله عز وجل:

**( وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ (١٨٥) )**

( سورة البقرة)

العدة أيام رمضان:

**( وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ )**

( سورة البقرة)

الاهتداء إلى الله، والتزام منهجه، والوصول إليه، والتنعم بقربه ثمرة يانعة من ثمار الصيام، عندئذ تقتضي فطرة الإنسان التي فطر عليها شكر المنعم على نعمه، وهل من نعمة أجل وأبقى من نعمة الهدى ؟ فماذا وجد يا رب من فقدك ؟ وماذا فقد من وجدك ؟

## فطرة الإنسان تقتضي بعد أن هداه الله إليه أن يتوجه إليه بالشكر و الدعاء:

ما دام الصائم قد ذاق حلاوة القرب في شهر الصيام، فهو سيتجه بحكم فطرته بالشكر لله عز وجل على ما أولاه من نعم المعرفة والقرب، وهنا من المناسب جداً أن يقول الحق جل جلاله عقب آيات:

**( وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) )**

( سورة البقرة)

قال تعالى:

**( وَإِذَا سَأَلَكَ )**

ولم يقل: إن سألك، لأن (إذا) في اللغة تفيد تحقق الوقوع، بينما (إن) تفيد احتمال الوقوع، قال تعالى:

**( إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) )**

( سورة النصر)

وقال:

**( إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا (٦) )**

( سورة الحجرات)

فالفاسق قد يأتي وربما لا يأتي، لكن نصر الله محقق، فرق كبير بين (إذا) وبين (إن)، قال تعالى:

**( وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي (١٨٦) )**

( سورة البقرة)

## أي فطرة الإنسان تقتضي بعد أن هداه الله إليه أن يتوجه إليه بالشكر والدعاء:

**( وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ (١٨٦) )**

( سورة البقرة)

## حقيقة التوحيد:

من لوازم معرفة الله والوصول إليه والتنعم بقربه التوجه إليه وحده بالسؤال والدعاء، وهذه هي حقيقة التوحيد وهي جوهر الدين وكل دين سماوي. قال عليه الصلاة والسلام:

**((ثلاثة لا ترد دعوتهم ؛ الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، يقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين))**

[أخرجه الترمذي وأحمد في مسنده عن أبي هريرة ]

لو تأملتم في آيات القرآن مادة السؤال لوجدتم أن كل سؤال ورد في القرآن ورد في جوابها كلمة (قل):

( وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ (٢١٩) )

( سورة البقرة)

وقال:

( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً (١٠٥))

( سورة طه)

إلا في هذه الآية:

( وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ (١٨٦) )

( سورة البقرة)

لم ترد كلمة (قل) بين السؤال والجواب، لذلك يقول العلماء: إن عدم ورود كلمة (قل) في هذه الآية هي إشعار من الله لعباده المؤمنين بأنه ليس بين العبد وبين ربه في سؤاله له ودعائه إياه وسيط:

( فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢))

( سورة هود)

## العبد الذي جمعه عبيد هو عبد القهر لكن العبد الذي جمعه عباد هو عبد الشكر:

**(( سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى: "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب".))**

[ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن الصلت بن حكيم عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده]

وقفنا عند إذا، وعند السؤال، أما هنا كلمة عباد غير كلمة عبيد، فكل من في الأرض من البشر هم عبيد لله، لأنهم مفتقرون في وجودهم وفي استمرار وجودهم، وخصائصهم، وحاجاتهم، ومقهورون في هذا الوجود إلى الله، لكن العباد هم الذين تعرفوا إليه، والتزموا منهجه، وتقربوا منه مبادرةً منهم وبمحض اختيارهم، فالعبد الذي جمعه عبيد هو عبد القهر، لكن العبد الذي جمعه عباد هو عبد الشكر، قال تعالى:

( وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦) )

( سورة فصلت)

العبيد جمع عبد قهر، لكن الله سبحانه وتعالى يقول:

( وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ (١٨٦) )

( سورة البقرة)

هؤلاء الذين عرفوني والتزموا منهجي وشكروا نعمائي. لماذا قال الله تعالى:

( فَإِنِّي قَرِيبٌ (١٨٦) )

( سورة البقرة)

ليشعر المؤمن أن الله معه في كل مكان، وفي كل زمان، وفي كل حال، وأنه ما عليه إلا أن يدعوه مؤمناً ومخلصاً فيجيب دعوته، لكن الإنسان لضعف إيمانه، أو لضعف توحيده يدعو غير الله، لذلك يقول الله عز وجل:

( إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤))

( سورة فاطر)

## حظ المؤمن من الدعاء الإجابة أو التعبد:

سؤال آخر، لماذا لا يستجيب الله أحياناً لمن يدعوه ؟ هذا السؤال أجاب عنه النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه قال:

**((إن الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يقول: يا رب يا رب ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له ؟ ))**

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة ]

لذلك قال الله تعالى:

( وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) )

( سورة البقرة)

(وَلْيُؤْمِنُواْ بِي)

تؤمن به، وتستجيب لأمره، فيجيب دعاءك،

( لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ )

يرشدون إلى الدعاء المستجاب، أو إلى سعادة الدنيا والآخرة.

حينما لا يستجاب الدعاء يعزى ذلك إما إلى فساد الداعي وانحرافه عن منهج الله، أو أنه ليس من الرحمة والحكمة أن يستجاب له، فلو كشف الغطاء لاخترتم الواقع، وعلى كل فحظ المؤمن من الدعاء الإجابة أو التعبد، فالدعاء كما قال عليه الصلاة والسلام:

**((هو العبادة ))**

[ابن ماجة وهو حديث صحيح من حديث النعمان بن بشير ]

لقول الله عز وجل:

( وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ (٦٠))

( سورة غافر)

* * *

**الخـطـبـة الثانية:**

## فوائد التمر:

أخوتنا الكرام في دنيا العروبة والإسلام، قال العلماء: إن الصيام يخفف العبء عن جهاز دوران القلب والأوعية، حيث تهبط نسب الدسم والحموض في الدم إلى أدنى مستوى، الأمر الذي يقي من تصلب الشرايين، وعمر الإنسان بحسب قول الأطباء من عمر شرايينه، والصيام أيضاً يريح الكليتين، وجهاز الإفراز، حيث تقل نواتج استقلاب الأغذية إلى أدنى مستوى، عندها يكون هذا وقاية من آلام المفاصل، ويتحرك سكر الكبد، ويحرك معه الدهن المخزون تحت الجلد، ويحرك معه بروتين العضلات، إذاً صيام رمضان يعد عند الأطباء دورة وقائية سنوية تقي من كثير من الإمراض، ويعد دورة علاجية أيضاً بالنسبة لبعض الأمراض، وإنه يقي من أمراض الشيخوخة التي تنجم عن الإفراط في إرهاق العضوية، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**((صوموا تصحوا))**

[رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة]

وشيء آخر:

**((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على تمرات قبل أن يصلى، فإن لم تكن تمرات حسا حَسَوَاتٍ من الماء))**

[رواه أبو داود والترمذي عن أنس بن مالك ]

عن سلمان بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

**((إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة، فإن لم يجد تمراً فالماء طهور))**

[أخرجه الترمذي وأبو داود عن سلمان بن عامر]

هذان الحديثان من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام.

## الحكمة من تناول التمر في رمضان:

العلماء قالوا: التمر الذي يتناوله الصائم مع الماء فيه خمس وسبعون بالمئة من جزئه المأكول مواد سكرية أحادية، سهلة الهضم، سريعة التمثل، إلى درجة أن السكر الذي فيها ينتقل من الفم إلى الدم في أقل من عشر دقائق، وفي الحال يتنبه مركز الإحساس بالشبع في الجملة العصبية، فيشعر الصائم بالاكتفاء، فإذا أقبل على الطعام بعد صلاة المغرب أقبل عليه باعتدال، وكأنه في أيام

الإفطار، بينما المواد الدسمة الدهنية والبروتينية يستغرق هضمها وامتصاصها أكثر من ثلاث ساعات، فمهما أكثر الإنسان من الطعام الدسم لا يشعر بالشبع، ولكن يشعر بالامتلاء، وفرق كبير بين أن تشعر بالشبع بلقيمات في معدتك وبين أن تشعر بالامتلاء فقط بعد أن تكتظ المعدة بالطعام، لذلك كان عليه الصلاة والسلام يفطر على تمرات، ويصلي المغرب ثم يجلس إلى الطعام، ومن لم يطبق سنة النبي صلى الله عليه وسلم في إفطاره فاته خير كثير من صيامه.

أيها الأخوة في كل مكان، تتركب التمور من السكريات الأحادية، وهذا النوع من السكر هو أسرع السكاكر امتصاصاً في جسم الإنسان، حيث ينتقل سكر التمر من الفم إلى الدم في أقل من عشر دقائق، وتتركب التمور أيضاً من الألياف السليلوزية التي لها آثار مدهشة في عملية الهضم، وفي وقاية الأمعاء من الأمراض الوبيلة، وتتركب التمور أيضاً من المواد البروتينية المرممة للأنسجة ومن نسب ضئيلة من الدهون، وتحتوي التمور على خمسة أنواع من الفيتامينات الأساسية التي يحتاجها الإنسان، وتحتوي التمور على ثمانية معادن، ومئة غرام من التمور فيها من نصف إلى خمس حاجة الجسم من المعادن، ويحتوي التمر على اثني عشر حمضاً أمينياً، وفيه مواد قابضة وملونة، وهناك خمسون مرضاً يسببها الإمساك، والتمر يقي من الإمساك، وله آثار إيجابية للوقاية من فقر الدم، ومن ارتفاع الضغط، ويعين على التئام الكسور، وهو ملين، ومهدئ، وقد أثبتت الأبحاث أن التمر لا يتلوث بالجراثيم، حتى في أيام الإفطار ينبغي أن تقدم الفاكهة إن وجدت، لما فيها من سكاكر أحادية على وجبات الطعام الدسمة التي تحوي غالباً مواد يطول هضمها، استنباطاً ظنياً من قوله تعالى وهو يصف أهل الجنة:

**( وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) )**

( سورة الواقعة)

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٤٠) : خ١ - العبادة ، خ٢ - جنون البقر.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٦-٠٣-٠٥

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

## تعريف العبادة:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، موضوع الخطبة اليوم العبادة في الإسلام ؛ حقيقتها، وغايتها، وخصائصها.

العبادة علة وجودنا وسر سعادتنا في الدنيا وثمن جنة ربنا في الآخرة قال تعالى:

**( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالْإِنسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) )**

( سورة الذاريات )

إنها غاية الخضوع لأمر الله، وغاية محبته فمن أطاعه ولم يحبه لا يكون عابداً له، ومن أحبه ولم يخضع له لا يكون عابداً له.

**تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقـال شنيعُ**

**لو كان حبك صادقاً لأطعتـه إن المحب لمـن يحب مطيـعُ**

* * *

في العبادات جانب سلوكي، إنه الطاعة الطوعية والانقياد التام إلى الأمر التكليفي فعلاً وتركاً، وفي العبادة جانب نفسي، هو الحب الغامر للمنعم الذي أنعم، أنعم بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والإرشاد.

لا بد لهذه الطاعة الطوعية من معرفة يقينية تسبقها، كما أنه لا بد لهذه الطاعة الطوعية من سعادة حقيقية تفضي إليها، تلك السعادة التي خلق الإنسان من أجلها قال تعالى:

**( إِلّا مَنْ رَحِمَ رَبّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ (١١٩) )**

( سورة هود )

## أهداف العبادة الكبرى وغاياتها:

اسمه لا تنفعه عبادة من عبده، ولا يضره إعراض من صد عنه، ولا يزيد في ملكه حمد الحامدين، ولا ينقصه جحود الجاحدين، هو الغني ونحن الفقراء إليه، هو الودود الكريم والبر الرحيم، لا يأمرنا إلا بما فيه خيرنا وصلاحنا.

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، إذا انتقلنا من تعريف العبادة إلى غاياتها العظيمة، وأهدافها النبيلة نجد:

### ١ـ العبادة غذاء النفس:

أولاً: العبادة غذاء النفس، فكما أن الجسم غذاؤه الطعام والشراب فالنفس التي بين جنبيك غذاؤها العبادة، فليس الإنسان هو الغلاف المادي الذي نحسه ونراه، ولكن حقيقة الإنسان هو ذلك الجوهر النفيس الذي صار به سيد المخلوقات، هذا الجوهر الذي يحيى ويسعد بذكر الله والإقبال عليه، ويهلك ويشقى بالغفلة والبعد عنه، قال تعالى:

**( قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) )**

( سورة الشمس)

أيها الأخوة الكرام، إن القلب الإنساني دائم الشعور بالحاجة إلى الله، وهو شعور أصيل لا يملأ فراغه شيء في الوجود إلا حسن الصلة برب الوجود، وهذا هو جوهر العبادة.

### ٢ـ العبودية الحقة لله سبيل إلى الحرية الحقيقية:

ثانياً: العبودية الحقة لله سبيل إلى الحرية الحقيقية، إن العبودية الخالصة لله جل جلاله هي عين الحرية، وسبيل السيادة الحقيقية، فهي وحدها تعتق القلب من رق المخلوقين، وتحرره من الذل والخضوع لكل ما سوى الله من أنواع الآلة والطواغيت التي تستعبد الناس وتسترقهم أشد ما يكون الاسترقاق والاستعباد، ذلك أن في قلب الإنسان حاجة ذاتية إلى رب، إلى إله، إلى معبود يتعلق به، ويسعى إليه، ويعمل على رضاه، ويلتجئ إليه، ويلوذ بحماه، لأن الإنسان خلق ضعيفاً، ليفتقر في ضعفه فيسعد في افتقاره، ولو خلق قوياً لاستغنى بقوته، فشقي في استغنائه، فإذا لم يكن هذا المعبود هو الله الواحد الأحد تخبط في عبادة آلهة شتى وأرباب أخر مما يرى ومما لا يرى، ممن يعقل ومما لا يعقل، مما هو موجود وما ليس بموجود إلا في الوهم والخيال، يقول أحد العلماء: كل من استكبر عن عبادة الله لا بد أن يعبد غيره، يسترقه ويذله، ولن ينجو القلب من استعباد المخلوقين واسترقاقهم إلا أن يكون الله خالق السماوات والأرض ورب العالمين هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه، ولا

يستعين إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه، ولا يكره إلا ما يبغضه ويحرمه، ولا يوالي إلا من يواليه، ولا يعادي إلا من يعاديه، ولا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله، وكلما قوي إخلاصه لله كملت عبوديته له، واستغناؤه عن خلقه، وبكمال عبوديته لله تكمل براءته من الكبر والشرك.

## ٣ـ العبادة ابتلاء إلهي:

ثالثاً: من أهداف العبادَة العبادة ابتلاء إلهي، فالحياة الدنيا التي نحياها طالت أو قصرت ليست هي الغاية، ولا إليها المنتهى، إنها حياة دنيا فانية، جعلها الله إعداداً لحياة عليا باقية، وشاءت حكمة الله جل جلاله أن يركب في الإنسان عناصر مزدوجة، بعضها يسمو به، وبعضها يهوي به، ففيه العقل والإرادة، وفيه الغريزة والشهوة، والحظوظ التي منحه الله إياها كالمال، والجمال، والقوة، والذكاء حيادية، يمكن أن يجعلها الإنسان سلماً يرقى بها، ويمكن أن يجعلها دركاتٍ يهوي بها، تسعده أو تشقيه، تكون سبباً لدخوله الجنة أو سبباً لدخوله النار، لقد أودعت فيه، ومنح نعمة العقل والإرادة، ثم رُسِم له منهجٌ من عند خالقه كُلف أن يسير عليه، وأن يطبق تفاصيله، فإما أن يُحَكِّم عقله، ويستعمل إرادته، فيطبق منهج ربه، فيسعد في الدنيا والآخرة، وإما أن يحكم غريزته، ويستجيب لشهوته، فيعرض عن منهج ربه، فيشقى في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

**( إنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) )**

( سورة الكهف)

وقال:

**( إنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (٢) )**

( سورة الإنسان)

## ٤ـ العبادة حق الله على عباده:

رابعاً: العبادة حق الله على عباده، روى البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل قال:

**(( كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً ))**

[رواه البخاري عن معاذ بن جبل ]

وقد ورد في الأثر القدسي:

**(( إني والأنسَ والجنّ في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل وشرهم إلي صاعد، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي ))**

[رواه البيهقي والحكيم والترمذي عن أبي الدرداء]

ليس بمستَنكرٍ أن يكون لله علينا حق عبادته وحده، بل المستنكر أن يكون غير هذا، المستنكر أن نعبد ما دون الله، أو من دون الله فنؤدي الحق لغير أهله، إننا لم نكن شيئاً مذكوراً، خرجنا من ظلمة العدم إلى نور الوجود، ثم كنا نوعاً مكرماً من الخليقة، خُلقنا في أحسن تقويم، وصورنا في أحسن صورة، علمنا البيان، أوتينا العقل والإرادة، سخرت الكائنات لخدمتنا، فالعبادة نوع من الخضوع لا يستحقه إلا المنعم بأعلى أنواع النعم، كنعمة الحياة والرزق والهداية، وأقل القليل من العبادة أكبر من أن يستحقه أي مخلوق كائناً من كان، لذلك لا يستحق العبادة إلا الله، العبادة حق الله على عباده.

## ٥ـ العبادة طلب للجنة ونجاة من النار:

خامساً: العبادة طلب للجنة ونجاة من النار، لا يضير العابد ولا يقلل من قيمة عبادته أن تكون عبادته طلباً لثوابه، وخوفاً من عقابه، طلباً لجنته، وهرباً من ناره، لقد وصف الله تعالى صفوته من خلقه، وصف الأنبياء والرسل والصديقين والصالحين بأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، ولو لم يكن هذا مطلوباً لما وصف الله الجنة للعباد، وزينها لهم، وأخبرهم عن تفاصيل لا تصل إليها عقولهم منها، ولما وصف لهم النار وخوفهم منها، وأخبرهم عن تفاصيل لا تصل إليه عقولهم منها، والحقيقة أن الجنة ليست اسماً لمجرد الأشجار، والفواكه، والثمار، والطعام، والشراب، والحور العين، والأنهار، والقصور، بل هي اسم لدار النعيم المطلق الكامل، ومن أعظم نعيم الجنة النظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، وقرة العين بالقرب منه وبرضوانه، فأيسر اليسير من رضوانه، والنظر إلى وجهه الكريم أكبر من الجنان وما فيها، قال تعالى:

**( وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) )**

( سورة القيامة)

وقال:

**( وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ (٧٢) )**

( سورة التوبة)

هذا ما ورد في القرآن الكريم.

## ٦ـ عبادة المؤمن لربه نوع من الأخلاق:

سادساً: عبادة المؤمن لربه نوع من الأخلاق، لأنها من باب الوفاء لله عز وجل والشكر لنعمه، والاعتراف بالجميل والتوقير لمن هو أهل للتوقير والتعظيم، وكلها من مكارم الأخلاق عند الفضلاء من الناس، لذلك نجد القرآن الكريم يعقب على أوصاف المؤمنين القانتين المطيعين بقوله:

**( أولَئِكَ الّذِينَ صَدَقُوا (١٧٧) )**

( سورة البقرة)

وقال:

**( أولَئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ (١٥) )**

( سورة الحجرات)

وقال:

**( وَإِبْرَاهِيمَ الّذِي وَفّى (٣٧) )**

( سورة النجم)

لأن أعلى مراتب الصدق أن يكون الإنسان صادقاً مع الله، شاكراً لأنعمه، وفياً له بخدمة خلقه، أخلاق المؤمن لون من عبادته لربه، أخلاقه أخلاق ربانية، باعثها الإيمان بالله، وحاديها الرجاء في جنته، وغرضها رضوان الله ومثوبته، فهو يصدق الحديث، ويؤدي الأمانة، ويفي بالعهد، وينجز الوعد، ويغيث اللهفان، ويعين الضعيف، ويرحم الصغير، ويوقر الكبير، ويصبر في البأساء والضراء وحين البأس.

**( إِنّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً (٩) )**

( سورة الإنسان)

أخلاق المؤمن عبادة من زاوية أخرى، وهو أن مقياسه في الفضيلة والرذيلة هو أمر الله ونهيه، فالضمير وحده ليس بمعصوم، وكم من أفراد وجماعات رضيت ضمائرهم بقبائح الأعمال، والعقل وحده ليس بمأمون، لأنه محدود بالبيئة والظروف ومتأثر بالأهواء والنزعات، والعرف وحده لا ثبات له ولا عموم، لأنه يتغير من جيل إلى جيل، وفي الجيل الواحد، ومن بلد إلى بلد، وفي البلد الواحد، من إقليم إلى إقليم، لذلك التجأ المؤمن إلى المصدر المعصوم المأمون، الذي لا يضل ولا ينسى، ولا يتأثر ولا يجور، ذلك هو حكم الله، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون.

## ٧ـ العبادة هي السبب الوحيد لمكارم الأخلاق التي لا تنبع من المصالح ولا تتأثر بها:

سابعاً: العبادة هي الأداة الوحيدة لتربية الضمير، أو هي السبب الوحيد لمكارم الأخلاق الأصيلة التي لا تنبع من المصالح ولا تتأثر بها، فالله جل جلاله أهل الخير والحق والجمال، والإنسان من خلال عبادته واتصاله بربه يشتق من مكارم الأخلاق ما يتناسب مع حجم استقامته، وعمله الصالح، وإخلاصه، وصدقه، فأشد البشر اتصالاً بربه أعلاهم خلقاً:

**( وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) )**

( سورة القلم)

أعلاهم خلقاً ومنزلة.

**( فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) )**

( سورة الحجر)

لذلك ممكن أن يقوم الإنسان فلا يُجعل لعبادته وزنٌ في تقويمه وتقديره، وهذا ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم وتنبأ به حينما قال:

**(( يأتي على الناس زمان يقال للرجل فيه ما أظرفه ما أعقله ما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة من إيمان ))**

[رواه البخاري عن حذيفة رضي الله عنه ]

## صورة تفصيلية للشخصية المؤمنة:

إننا نقرأ القرآن الكريم فنجد صورةً تفصيلية للشخصية المؤمنة:

**( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١))**

( سورة المؤمنون )

انظر أيها الأخ الكريم كيف جعل الله أول أوصاف المؤمنين الخشوع في الصلاة، وآخر أوصافهم المحافظة عليها، وصفهم بفعل الزكاة، وهي عبادة مع الفضائل الخلقية الأخرى، إعراضهم عن اللغو، عفتهم، حفظهم للأمانة، رعايتهم للعهد.

## خصائص العبادة وشروطها:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، بعد أن انتهينا من أهداف العبادة الكبرى وغاياتها ننتقل إلى خصائصها وشروطها.

### ١ ـ لا يُعبد إلا الله وحده:

أولاً: لا يعبد إلا الله وحده، إن توحيد الله وعبادته هي مضمون الرسالات السماوية كلها، قال تعالى:

**( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) )**

( سورة الأنبياء)

بل إن سر الإسلام على سعة تعاليمه يتجلى في دستوره الخالد، الذي هو القرآن الكريم، وسر هذا الدستور يتركز في فاتحته أم القرآن الكريم، والسبع المثاني، وسر هذه الفاتحة يتلخص في هذه الكريمة:

**( إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) )**

( سورة الفاتحة )

أي لا نعبد أحداً غيرك، ولا نستعين بكائنٍ سواك، فالعبادة نوع من الخضوع لا يستحقه إلا المنعم، لذلك يعد الشرك هواناً لا يليق بكرامة الإنسان، وأي هوان يصيب الإنسان حينما يعبد ما سخر له، من حجر، ومدر، وشمس، وقمر، وجن، وبشر، كيف يسجد الإنسان لها وهي له مسخرة وفي مصلحته وخدمته مذللة ؟ كيف يسجد لها وقد سجد له الملائكة بأمر الله تحية له واحتفاءً به ؟ وقد سد الإسلام كل ذريعة تفضي إلى الشرك فقد روى أحمد والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم:

**(( ما شاء الله وشئت فقال عليه الصلاة والسلام: أجعلتني لله نداً قل ما شاء الله وحده))**

[أحمد والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما ]

وروى الطبراني أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم:

**(( قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله جل جلاله))**

[رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث ]

## ٢ـ لا وسطاء بين الله وخلقه:

ثانياً: لا وسطاء بين الله وخلقه، بالمعاني المستنبطة من الممارسات الخاطئة اعتقاد المسلم في الله يقوم على حقيقتين: أنه تعالى فوق عباده علواً، وقهراً، وسلطاناً، وتصرفاً، لا يشبهه شيء، ولا يحكم عليه شيء، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، وهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، والخلق جميعاً عبيد في قبضته، لا يملكون لأنفسهم فضلاً عن غيرهم ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، وهو مع عظمته وعلو شأنه قريب من خلقه، بل هو معهم أينما كانوا، في جلوتهم، وفي خلوتهم، يسمع، ويرى، ويرعى، ويهدي، ويعطي من سأله، ويجيب من دعاه، هو تعالى قريب في علوه، عليٌّ في دنوه، قد جمع الله تعالى بين العظمة والعلو، وبين القرب والدنو في آية واحدة، قال تعالى:

**( يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ(٢))**

( سورة سبأ)

والله أجل وأعلى من أن يكون له وسطاء بينه وبين خلقه، يعلمونه من أمر الناس ما لم يكن يعلم، ويوجهون إرادته إلى ما لم يكن يريد، وهو سبحانه وتعالى أكرم وأجل من أن يدع رحمته وجنته بأيدي أناس يوزعونها بالأسهم والقراريط، فله وحده الخلق والأمر، وله وحده الملك، وله وحده العقوبة والعفو، وهو على كل شيء قدير.

## ٣ـ العبادة المقبولة عند الله تعالى تصاحبها النية الصادقة ويسري فيها روح الإخلاص:

ثالثاً: العبادة المقبولة عند الله تعالى ليست هي الشبح الخالي من الروح، إنما تصاحبها النية الصادقة، ويسري فيها روح الإخلاص سريان العصارة في الشجرة النضرة، فتؤتي في النفس أكلها، وتثمر في الخلق والسلوك ثمرتها، روى الطبراني بإسناد صحيح عن أحد الصحابة قال: كان فينا رجل خطب امرأةً يقال لها أم قيس، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر إلى المدينة، فهاجر إلى المدينة وتزوجها، فكنا نسميه مهاجر أم قيس، قال عليه الصلاة والسلام:

**(( إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ))**

[ متفق عليه عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ]

قال الحافظ في الفتح: **" قد تواتر النقل عند الأئمة في تعظيم قدر هذا الحديث، فليس في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم شيء أجمع وأغنى وأكثر فائدةً من هذا الحديث "، واتفق الشافعي**

**وابن حنبل وأبو داود والترمذي على أنه ثلث الإسلام، وقال الشافعي: "يدخل هذا الحديث في ستين باباً من أبواب العلم".**

اللهم إنا نعوذ بك أن نقول قولاً فيه رضاك نلتمس به أحداً سواك.

## ٤ـ لا بد أن تكون عبادة الله بالصورة التي شرعها الله وبالطريقة التي ارتضاها:

رابعاً: لا يكفي أن يقصد المسلم بعبادته وجه الله وحده وألاّ يتجه إلى أحد غيره، بل لا بد أن تكون عبادة الله بالصورة التي شرعها الله وبالطريقة التي ارتضاها، قال تعالى:

**( قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (١١٠) )**

( سورة الكهف)

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: **"اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً ".**

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، قال: أخلصه وأصوبه، قيل: يا أبا علي ما أخلصه وما أصوبه ؟ قال: " إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لا يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لا يقبل "، والخالص ما ابتغي به وجه الله، والصواب ما وافق السنة، وجماع الدين أصلان ؛ ألاّ نعبد إلا الله، وألاّ نعبده إلا بما شرع، فقد ورد في الصحيحين:

**(( من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد، ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))**

[متفق عليه من حديث عائشة]

الله وحده هو المشرع، والنبي وحده هو المبلغ ونحن المتبعون، وفي الإتباع الخير كله، قال تعالى:

**( فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) )**

( سورة طه)

في أول خطبة خطبها سيدنا الصديق رضي الله عنه قال: **" إنما أنا متبع ولست بمبتدع ".**

## الابتداع في الدين:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، إن الابتداع في الدين هو الكوة التي تسلل منها الشيطان إلى عامة المتدينين، أفسد عليهم دينهم وحياتهم، وخرب عليهم عقائدهم وعباداتهم، وفتح عليهم أبواباً من الفساد لم يستطيعوا بعد ذلك إغلاقها، فعن طريق الابتداع زحف الشرك ودخلت

الوثنية على أمم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وعبدوا من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، قائلين: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وعن طريق الابتداع جاء الغلو في الدين، والتنطع فيه، ودخل الحرج، والعنت، والأغلال على أتباعه، واخترع الناس ألواناً شتى من العبادات، كلها عنت وإرهاق، وعن طريق الابتداع حرم الغلاة ما أحل الله من الزينة والطيبات، وأهملوا الدنيا باسم الدين، وخربوا العمران بدعوى الإيمان، وعذبوا الأجساد بدعوى تصفية الأرواح، وعن طريق الابتداع في الدين حدثت التحريفات الهائلة والانحرافات الشنيعة، وقع فيها رجال ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، إن مجال الابتداع والابتكار ليس هو الدين، الدين توقيف من الله يجب أن يبقى مصوناً منزهاً عن عبث العابثين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

أما مجال الابتداع الحقيقي، والابتكار، والتحديث، والتجديد فهو الدنيا وشؤونها، وما أحوج المسلمين إلى تطوير دنياهم، وتنويع سبل رزقهم، وتنمية دخولهم، واستغلال ثرواتهم التي أودعها الله في أرضهم، وتصنيعها بأيديهم، ما أحوجهم إلى أن يأكلوا مما يزرعون، وأن يلبسوا مما ينسجون، وأن يستخدموا من الآلات ما كان من اختراع عقولهم وصنع أيديهم ليتحرروا من تحكم الآخرين بهم.
مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببلدة من رعاياه فوجد فيها أن الفعاليات المعيشية ليست بأيدي أبناء هذه البلدة، فوبخهم، وعنفهم، وقال لهم: كيف بكم وقد أصبحتم عبيداً عندهم. لقد أدرك هذا الخليفة الراشد ببعد نظره أن المنتج هو القوي، وأن المستهلك هو الضعيف، وأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، وقد أمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد ابن مسعود وكانت خشنة من العمل، رفعها أمام أصحابه وقال:

**(( إن هذه اليد يحبها الله ورسوله ))**

[ ورد في الأثر ]

* * *

**الخـطـبـة الثانية:**

## مخالفة تعليمات الصانع:

أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين، الجهة الصانعة هي وحدها ينبغي أن تتبع تعليماتها في استعمال الآلة وصيانتها، وفي تحسين مردودها، لأنها الخبيرة بما تصنع، ولا ينبئك مثل خبير، والعبادة في جوهرها انقياد طوعي، واتباع تفصيلي لمنهج الله خالق الناس، ورب الناس، وإله الناس، وهذا المنهج منهج الله عز وجل مرتبط أشد الارتباط بسنن الخلق، وقوانين الكون، فالعلاقة

بين الأمر الإلهي ونتائجه، وبين النهي ونتائجه علاقة علمية، أي علاقة سبب بنتيجة، من بنود هذا المنهج أن الله جل جلاله حرم تحريماً مطلقاً تناول لحم الميتة والدم، فلما أُطعِم البقرُ في بلاد أخرى الدماءَ ولحومَ الجيفِ مسحوقةً ومجففة أصيبت بمرض خطير في دماغها اسمه الاعتلال الدماغي الإسفنجي، من أبرز أعراضه عدم التحكم العصبي، والسلوك العدواني، لذلك سمي هذا المرض اختصاراً بجنون البقر، والأخطر من هذا أن هناك احتمالاً كبيراً انطلق من حالات عدة يعكف الباحثون على دراستها بغية التحقق من انتقال المرض من البقر إلى البشر عن طريق تناول اللحوم المصابة، ودهونها، وشحومها، ومسحوق عظامها، ومنتجاتها، وألبانها، وأحشائها، ومخلفاتها، والأعلاف المصنوعة منها، ومواد التجميل المحضرة من دهونها، ومن أبرز أعراض هذا المرض في بني البشر قلق، واكتئاب، وفقدان للذاكرة، وفقد التناسق العضلي، وفقد التوازن الحركي، والعمى، وفقد النطق، ثم الوفاة بعد عام من ظهور الأعراض.

## العوامل المسببة لمرض جنون البقر:

العوامل المسببة للمرض بالغة الصغر لم تعرف حتى الآن، ذات دور حضانة طويل، يمتد إلى عدة سنوات، وليس له مظهر التهابي مناعي، هذه المسببات تتحمل حرارة تصل إلى مئة وعشرين درجة مئوية لمدة ساعة كاملة، هم في تلك البلاد مضطرون لإحراق أحد عشر مليون بقرة قيمتها ثلاث وثلاثون ملياراً من عملتهم.

لقد صممت البقرة لتأكل علفاً نباتياً، فلما أطعموها ما حرم الله تناوله ميتة ودماً أصيبت بالجنون، وما جنون البقر إلا من جنون البشر، حيث خالفوا تعليمات الصانع، قال تعالى ـ دققوا في هذه الآية ـ:

**( أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣) )**

( سورة يس)

إنهم يغيرون خلق الله، والأولى أن يتبعوا العليم الخبير، قال تعالى:

**( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(٤١))**

( سورة الروم)

اتخذ ـ ولله الحمد ـ بلدنا الطيب احتياطات بالغة لتمنع وصول هذه المشكلة إلينا.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٤١) : خ١ - رحمة النبي صلى الله عليه وسلم ، خ٢ - الحرص على وحدة الأمة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٦-٠٨-٠٢

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

## حقائق يجب علينا الالتزام بها تجاه نبينا الكريم:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، قبل أيام أطلت علينا ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحسن بنا وقد جعلت ذكرى مولده موضوعاً لهذه الخطبة أن نضع بين أيدي إخوتنا الكرام الحقائق التالية:

### ١ـ معرفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية والعملية فرض على كل مسلم:

أولاً: معرفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية والعملية فرض على كل مسلم، القولية والعملية فرض عين على كلم مسلم، لأن كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، وقد أمرنا ربنا جل جلاله أن نأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره، وأن نأتمر به، وأن نأخذ نهيه، وأن ننتهي عنه، وأن يكون صلى الله عليه وسلم لنا أسوةً وقدوةً، أي أمرنا أن نتبعه وأن نقتدي به، قال تعالى:

**( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً(٢١))**

( سورة الأحزاب )

كيف نأتمر بما أمر، وننتهي عما نهى عنه وزجر ؟ وكيف يكون لنا قدوةً وأسوة إن لم نعرف أحاديثه الشريفة الصحيحة، وسيرته الطاهرة الموثقة ؟ فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، هذه الحقيقة الأولى.

### ٢ـ أمِرنا أن نطيع النبي ونقتدي به لأنه معصوم بمفرده بينما أمته معصومة بمجموعها:

الحقيقة الثانية: أن الله سبحانه وتعالى ما أمرنا أن نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن نقتدي به إلا لأنه معصوم في أقواله، وأفعاله، وإقراره، وأحواله، معصوم بمفرده، بينما أمته المتبعة له معصومة بمجموعها، لقوله صلى الله عليه وسلم:

**(( لا تجتمع أمتي على ضلاله ))**

[ رواه الترمذي والحاكم وحسنه الغماري]

فهو صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به القرآن الكريم لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، لذلك عدّ علماء الأصول القرآن وحياً مَتلواً، وعدُّوا أقواله صلى الله عليه وسلم التشريعية وحياً غير متلوٍ، وهو الأصل الثاني بعد القرآن الكريم.

## ٣ـ الاستجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هي عين الاستجابة لله:

الحقيقة الثالثة: الاستجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هي عين الاستجابة لله، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي عين طاعة الله، وإرضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عين إرضاء الله، وإليكم الأدلة من القرآن الكريم، قال تعالى:

**( فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) )**

( سورة القصص)

وقال:

**( مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً (٨٠) )**

( سورة النساء)

وقال:

**( يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢) )**

( سورة التوبة)

بضمير المفرد.

## ٤ـ دليل محبة الله سبحانه اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم:

الحقيقة الرابعة: الله جل جلاله لا يقبل دعوى محبته إلا بالدليل، فكل امرئ يستطيع أن يدعي محبة الله، لكن ما كل مدعٍ بمستطيع أن يقدم الدليل، لقد جعل الله جل جلاله دليل محبته اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى:

**(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) )**

( سورة آل عمران)

## ٥ـ قصته صلى الله عليه وسلم تنور العقول وتطمئن القلوب لأنه أكمل خلق الله أجمعين:

الحقيقة الخامسة: قال تعالى:

**( وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) )**

( سورة هود)

إذا كان قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو سيد الخلق، وحبيب الحق يزداد ثبوتاً بسماع قصة نبي دونه في المرتبة، فكيف بمؤمن يستمع إلى قصة سيد الخلق، وحبيب الحق، إن قصته صلى الله عليه وسلم تنور العقول، وتطمئن القلوب، وتسعد النفوس، وتبعث في الإنسان روح البطولة، لأنه أكمل خلق الله أجمعين.

**وأجمل منك لم تر قط عيني وأكمل منك لم تلد النساء**

**خلقت مبرأ من كل عيــب كأنك قد خلقت كما تشاء**

* * *

## ٦ـ معرفة السيرة العملية والسنة القولية للرسول فرض عين على كل مسلم مدى الحياة:

الحقيقة السادسة: نخلص من هذا كله أن معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة سنته القولية الصحيحة، ومعرفة سيرته العملية الموثقة فرض عين على كلم مسلم، وهي من صلب الدين، لا في شهر المولد فحسب، بل في كل أعوام الحياة.

**( أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٦٩) )**

( سورة المؤمنون)

## رحمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

أيها الأخوة الكرام، هذه مقدمة والى الموضوع الأساسي:

في تاريخ البشرية كلها بروادها، بصفوتها، بقادتها لا نكاد نعرف حياةً نقلت إلينا أنباؤها، وحفظت لنا وقائعها في وضوح كامل، وتفصيل عميم شامل كما حفظت، وكما نقلت إلينا حياة محمد بن عبد الله، رسول الله رب العالمين، ورحمته المهداة إلى الناس أجمعين، فكل كلمة قالها، وكل خطوة خطاها، وكل بسمة تألقت على محيّاه، وكل دمعة تحدرت من مآقيه، وكل نفس تردد في صدره، وكل مسعىً سار لتحقيق أمره، كل مشاهد حياته حتى ما كان منها من خاصة أمره، وأسرار بيته وأهله، كل ذلك نقل إلينا بحروف كبار، موثقاً بأصدق ما عرف التاريخ الإنساني من وسائل وبينات،

لقد رحل النبي صلى الله عليه وسلم عن دنيانا من قرابة ألف وأربعمئة عام وزيادة، ومع هذا فنحن إذ نقرأ سيرته وتاريخه اليوم لا نحس أننا نقرأ عنه، بل كأننا نسمعه ونراه ونعيش المشاهد نفسها التي نطالعها مكتوبة ومسطورة، ولا عجب في هذا فمادام الله قد اختاره ليختم به النبوة والأنبياء، فمن الطبيعي أن تكون حياته منهجاً جليلاً لأجيال لا منتهى لأعدادها، وأن تكون هذه الحياة بكل تفاصيلها أشد وضوحاً وتألقاً من فلق الصبح ورابعة النهار، لا بالنسبة إلى عصره فحسب بل بالنسبة إلى كل العصور والأجيال.

أيها الأخوة الكرام، حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وشمائله، وجوانب شخصيته، ونتائج دعوته لا تستوعبها مجلدات ولا خطب في سنوات، فالرحمة مهجته، والعدل شريعته، والحب فطرته، والسمو حرفته، ومشكلات الناس عبادته، وحسبنا في هذه الخطبة أن نقف عند الفقرة الأولى من هذه المقولة، رحمته صلى الله عليه وسلم، هذا هو الموضوع المحدد لهذه الخطبة.

## الرحمة عند النبي الكريم خير من الإفراط في العبادة وأزكى:

لقد قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه:

**(( إنما أنا رحمة مهداة ))**

[ أخرجه الحاكم عن أبي هريرة ]

لكنها رحمة الأقوياء الباذلين لا رحمة الضعفاء البائسين، لقد حدث عنها حديث خبير بقيمها محيط بجوانبها فقال عليه الصلاة والسلام:

**((الراحمون يرحمهم الله))**

[الترمذي عن عبد الله بن عمرو]

وحدّثَ عن ربه فقال:

**(( إن كنتم تحبون رحمتي فارحموا خلقي ))**

[الديلمي عن أبي بكر]

لقد أعلن النبي الكريم أن الرحمة عنده خير من الإفراط في العبادة وأزكى، لقد خرج صلى الله عليه وسلم عام الفتح إلى مكة في رمضان حتى بلغ موضعاً يدعى كراع الغنيم فصام وصام الناس، ولما رأى صلى الله عليه وسلم بعض الناس قد شق عليهم الصيام بسبب جهد السفر، دعا بقدح من ماء، فرفعه حتى نظر الناس جميعاً إليه ثم شرب، ولما قيل له: إن بعض الناس لا يزال صائماً، قال عليه الصلاة والسلام:

**(( أولئك العصاة ))**

[رواه مسلم والترمذي عن جابر بن عبد الله]

إن مشقة السفر عذر مبيح للإفطار في رمضان، إن الرفق بالنفس يفوق في ميزان النبي صلى الله عليه وسلم كل شيء، هؤلاء الذين صاموا في السفر حتى أدركهم العياء، فلم يتخلوا عن صيامهم يدمغهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعصيان، لأنهم رفضوا رخصة أرحم الراحمين، إنهم حولوا العبادة إلى تعذيب، إنهم تخلوا عن أعظم فضائل الإنسان ألا وهي الرحمة، ولا سيما الرحمة بالنفس، واستبقاء عافيتها وقوتها، لأنها رأس مالها.

أيها الأخوة الكرام، لا شيء يكشف عن قيمة الرحمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن توضع الرحمة والعبادة في كفتي ميزان عندئذ ترجح كفة الرحمة أيّما رجحان.

## أحاديث تُظهر رحمته عليه الصلاة والسلام بالنفس والوالدين والأهل والزوجة:

رجل يسرع الخطى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يغشاه الفرح الكبير، تغمره الفرحة العارمة ليبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الهجرة معه، وعلى الجهاد في سبيل الله تحت رايته، يقول له النبي الكريم:

**((هل من والديك أحد حي ؟ قال الرجل: نعم كلاهما حي، فقال عليه الصلاة والسلام: فارجع إلى والديك وأحسن صحبتهما ))**

[متفق عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

يسأله رجل آخر يا رسول الله إني أشتهي الجهاد معك ولا أقدر عليه، فيقول عليه الصلاة والسلام:

**((هل بقي من والديك أحد ؟ فيقول الرجل: نعم يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: قابل الله في برهما فإن فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد))**

[رواه أبو يعلى في مسنده والطبراني في معجميه الأوسط والصغير عن أنس]

إن بسمة تعلو شفتي أبٍ حنون، وتكسو وجه أمٍ ملهفة لا تقدر عند محمد صلى الله عليه وسلم بثمن، حتى حينما يكون الثمن جهاداً في سبيل الله يثبت الدعوة، وينشر الراية في الآفاق، وإذا كانت العبادة تتحول إلى تعذيب حينما تكون على حساب الرحمة بالنفس فإنها ـ أي العبادة ـ تتحول إلى عقوق إذا تمت على حساب الرحمة بالوالدين، هذا عن رحمته بالنفس، وعن رحمته بالوالدين، فماذا عن رحمته بالأهل والزوجة.

أما رحمته بالأهل فشيء عجيب، لقد ربط صلى الله عليه وسلم الخيرية المطلقة برحمة المرء بأهله وإحسانه إليهم، فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

**(( خيركم خَيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ))**

[ الترمذي عَنْ عَائِشَةَ]

وقال عليه الصلاة والسلام:

**(( استوصوا بالنساء خيراً ))**

[متفق عليه عن أبي هريرة ]

وقال عليه الصلاة والسلام:

**((اتقوا الله في الضعيفين المرأة واليتيم))**

[أخرجه ابن عساكر عن ابن عمر]

وقال عليه الصلاة والسلام:

**(( أكرموا النساء فو الله ما أكرمهن إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم، وفي زيادة لهذا الحديث، يغلبن كل كريم ويغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون كريماً غالباً))**

[ ابن عساكر عن علي بسند فيه مقال كبير ]

ويقول عليه الصلاة والسلام:

**(( خَيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي ))**

[ ابن ماجه عن ابن عباس]

رحمة النبي الكريم في:

## ١ ـ الأزواج و الزوجات:

وتتجلى رحمته صلى الله عليه وسلم بالأزواج من خلال هذه القصة القصيرة:

**(( أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً بنا رفيقاً، فلما ظن أنا قد اشتقنا لأهلنا، سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه، فقال: ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم، ومروهم، وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم ))**

[متفق عليه عن أبي قلادة رضي الله عنه ]

تتجلى رحمته بالزوجات من خلال زوجة الصحابي الجليل عثمان بن مظعون رضي الله عنه إذ دخلت على السيدة عائشة تشكو بثها وحزنها، فعثمان زوجها مشغول عنها بالعبادة، يقوم الليل ويصوم النهار، لقي النبي عليه الصلاة والسلام عثمان بن مظعون فقال له: يا عثمان أما لك بي أسوة ؟ قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ماذا قال عليه الصلاة والسلام تصوم النهار وتقوم الليل، قال: إني لأفعل هذا، فقال عليه الصلاة والسلام:

**(( إن لربك عليك حقاً، و لنفسك عليك حقاً، و لأهلك عليك حقاً، فأعطِ لكل ذي حق حقه ))**

[ أخرجه البخاري عن عون بن أبي جحيفة ]

امتثل عثمان نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتزم أمره، وقرر أن يؤدي حق أهله، وفي صبيحة اليوم التالي ذهبت زوجة عثمان إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم عطرة نضرة كأنها عروس، واجتمع حولها النسوة، وأخذن يتعجبن من فرط ما طرأ عليها من بهاء وزينة، قلن لها: ما هذا يا زوج بن مظعون، فقالت وهي تضحك: أصابنا ما أصاب الناس.

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم وعد المرأة التي تحسن تبعُّل زوجها بأن لها درجة عند الله تعدل درجة المجاهد في سبيل الله، والجهاد كما تعلمون ذروة سنام الإسلام.

قال صلى الله عليه وسلم مجيباً عن سؤال لها:

**((اعلمي أيتها المرأة وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))**

[ ورد في الأثر ]

## ٢ ـ الأولاد:

هذا عن رحمته بالأهل والزوجة فماذا عن رحمته بالأولاد، كان صلى الله عليه وسلم إذا رأى طفلاً يظهر له البشر والسرور إيناساً له، كان يأخذ أطفال أصحابه بين يديه يحملهم ويداعبهم، كان إذا مر بصبية يقرئهم السلام، يقول: السلام عليكم أيها الصبية.

حدث جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى صبية يتسابقون فجرى معهم تطييباً لهم، وكان يلقى الصبي وهو يركب ناقته، فيدعوه إلى ركوب الناقة ليدخل السرور على قلبه. قالت عائشة رضي الله عنها:

**((جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أتقبلون الصبيان، نحن لا نقبلهم، فقال عليه الصلاة والسلام: وماذا أملك لك إن نزع الله من قلبك الرحمة))**

[متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها]

مات لإحدى بنات النبي صلى الله عليه وسلم طفل صغير، فلما رفع إليه فاضت عيناه، فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله ما هذا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام:

**(( هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ))**

[أخرجه البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنه ]

ورد عنه أنه أول من يمسك بحلق الجنة أنا، فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت: من هذه يا جبريل، قال: هي امرأة مات زوجها وترك لها أولاداً صغاراً فأبت الزواج من أجلهم "،

هذا المقام الرفيع الذي حظيت به هذه المرأة بسبب رحمتها بصغارها، فكم هي رحمته بالصغار.
وورد عنه أيضاً:

**((أن لاعب ولدك سبعاً وأدبه سبعاً وراقبه سبعاً ثم اترك حبله على غاربه ))**

[ ورد في الأثر ]

## ٣ ـ الصغار و الجيران:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، هذا عن رحمته بالأولاد فماذا عن رحمته بالصغار عامة، يقول بن سويد: " رأيت أبا ذر رضي الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**((هم أخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه))**

[ متفق عليه عن الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ]

أرأيتم إلى رحمته بالصغار عامة إذا كانوا مستخدمين في مكان ما، وقد مر النبي صلى الله عليه وسلم بصحابي يضرب غلاماً له، فقال له: اعلم أبا ذر أن الله أقدر عليك منك عليه. وكأنه بهذا ينهاه عن ضربه.

وقد سأله رجل يا رسول الله عندي يتيم أفأضربه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: " مم تضرب منه ولدك "، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم ينفي عن المرء انتماءه للإسلام إن لم يرحم الصغير، قال عليه الصلاة والسلام:

**(( لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ ))**

[ أحمد عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ]

وعن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**(( إني لأقوم إلى الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه ))**

[البخاري عن أبي قتادة ]

هكذا كانت رحمته صلى الله عليه وسلم، فماذا عن رحمته بالجيران ؟ من رحمته صلى الله عليه وسلم أنه حرص على أن يشيع الأمن والاستقرار بين المؤمنين، فالإساءات قلما تقع بين أناس متباعدين، إنها تقع نتيجة الاحتكاك اليومي، ومن يحتك مع أخيه يومياً ؟ إنهم الجيران، لذلك يوصي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجار:

**(( مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيُوَرِّثُهُ ))**

[متفق عليه من حديث ابن عمر]

يشدد النبي عليه الصلاة والسلام في وصيته تلك لئلا يطغى الجار القوي على الجار الضعيف، فكان عليه الصلاة والسلام ينفي الإيمان نفياً أكيداً عن كل جار يخافه جاره، ولا يأمن شروره، قال عليه الصلاة والسلام:

**(( والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن، كررها ثلاثاً: قيل من هو يا رسول الله، قال من لا يأمن جاره بوائقه ))**

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

قيل له يوماً: يا رسول الله، إن فلانة تذكر أنها تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، فماذا كان جواب النبي ؟ قال: هي في النار "، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام ليشير إلى حقوق الجار مطلق الجار فكيف بالجار المسلم ؟ فكيف بالجار المسلم القريب ؟ فكيف بالجار المسلم القريب الأدنى ؟ يقول عليه الصلاة والسلام فيما يروى عنه: أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أعنته وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن مرض عدته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإن مات شيعته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فأهد له منها فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقُتار قدرك إلا أن تغرف له منها.

## ٤ ـ الإنسان:

هذه رحمته بالجيران فكيف رحمته بالناس عامة ؟!

الرحمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ صاحب هذه الذكرى ـ ليست نافلة من نوافل البر، بل هي واجب من واجبات الرشد، وتبعة من تبعات الحياة، لهذا تعبر عن نفسها في كثير من صور الخير والمشاركة والأعمال النافعة، يقول أبو ذر رضي الله عنه: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: **يا رسول الله ماذا ينجي العبد من النار ؟ قال عليه الصلاة والسلام: الإيمان بالله، فقال أبو ذر: يا نبي الله أمع الإيمان عمل ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أن تعطي مما رزقك الله، قلت: يا نبي الله فإن كان فقيراً لا يجد ما يعطي؟ قال عليه الصلاة والسلام: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال: فإن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، ولا يستطيع أن ينهى عن المنكر، فقال عليه الصلاة والسلام: فليعن الأخرق ـ أي ضعيف الرأي ـ، قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع، قال: فليعن مظلوماً، قلت: فإن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يعين مظلوماً ؟ فتعجب النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: أما تريد أن تترك لصاحبك من خير ليمسك أذاه عن الناس ؟ قلت: يا**

**رسول الله أو إن فعل هذا يدخل الجنة ؟ قال: ما من عبد يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة "**

## ٥- الحيوان:

بقي شيء قد لا يخطر ببالكم، رحمته عليه الصلاة والسلام بالحيوان، هل وقفت رحمة محمد صلى الله عليه وسلم عند الإنسان وحده ؟ لا لقد شملت كل كائن حي لتدفع عنه الغوائل والشرور، هذه المخلوقات الضعيفة يفيض قلب النبي صلى الله عليه وسلم الكبير رحمة بها، يؤكد حقها في الحياة والرزق، بل لعلها أحق من غيرها لأنها لا تملك أن تشكو أو أن تتوجع، كان صلى الله عليه وسلم لا يطيق أن يرى دابة تحمل فوق طاقتها كان يقول:

**((عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت لا هي أطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض))**

[ مُتَّفَقٌ عَلَيْه عن ابن عمر]

وفي رواية أخرى لهذا الحديث:

**((دخلت امرأة النار في هرة حبستها))**

من فرط إحساس النبي صلى الله عليه وسلم بحاجة الحيوان إلى الرحمة كان كأنه يستمع إلى شكوى الحيوان المعذب وكأنه نداء النجدة، يقول عبد الله بن جعفر: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بستاناً لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل، فما إن رأى النبي صلى الله عليه وسلم حتى حن إليه، وذرفت عيناه، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح ذفريه فسكن الجمل، وقال النبي عليه الصلاة والسلام:

**(( من صاحب هذا الجمل ؟ قال فتى من الأنصار: هو لي يا رسول الله، قال له النبي الكريم: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه))**

أي تتعبه.

[الطبراني عن عبد الله بن جعفر]

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم واعلموا أن ملك الموت قد

تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

* * *

**الخـطـبـة الثانية:**

## الحرص على وحدة الأمة:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، أما رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته من بعده فقد كان حريصاً على وحدتهم من بعده، فكل ما من شأنه أن يوحد أمته من بعده، وأن يجمع شملها، وأن يرص صفوفها أمر به، وكل ما من شأنه أن يفرقها، أو أن يشتتها، أو أن يضعفها نهى عنه، ما من منهج دعا إلى الأخوة الحقيقية التي تتجسد في الاتحاد، والتضامن، والتساند، والتآلف، والتآزر، والتعاون، والتكاتف إلا منهج النبي عليه الصلاة والسلام، لقد حذر من التفرق، والاختلاف، والعداوة، والبغضاء، والتشرذم، هذا من صلب منهج النبي عليه الصلاة والسلام، يتبدى ذلك من سنته القولية والعملية، حدث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جاهلياً في المدينة المنورة غاظه ما رأى من ألفة المسلمين، غاظه ما رأى من صلاح ذات بينهم بعد الذي كان بينهم من العداوة والبغضاء في الجاهلية، أمر شاباً على شاكلته أن يجلس مع الأوس والخزرج، وأن يذكرهم بيوم بعاث، يوم اقتتالهم، وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوه فيه من أشعار، فتفاخر القوم، ثم تنازعوا، ثم تواثب رجلان من الحيين وتقاولا، فقال أحدهما: إن شئتم رددناها الآن جذعة، أي حامية، وغضب الفريقان، وكادت تقع فتنة، بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم غاضباً فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين، الله، الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ أبعد أن هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم دعوى الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألّف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدو لهم، وبكوا وعانق الرجال بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين.

لقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الخصومة بالكفر، ثم إن الله جل جلاله أنزل بهذه الحادثة قرآناً فقال:

**( وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ أخوانا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ**

**تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) )**

( سورة آل عمران)

ورد في أسباب النزول أن هذه الآيات نزلت في تلك الحادثة التي كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، صدق الله العظيم.

## حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على وحدة أمته من بعده:

قال تعالى:

**(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ(١٢٩))**

( سورة التوبة)

لقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على وحدة أمته من بعده، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ))**

[ البخاري عَنْ جَرِير]

وحينما نحتفل بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب أن نذكر حرصه صلى الله عليه وسلم على وحدتنا ورفعتنا بعده، فما من مرحلة في تاريخ أمتنا المعاصر تشتد فيها الحاجة إلى رأب الصدع، ولمّ الشمل، وتضميد الجراح، ورصّ الصفوف كهذه المرحلة التي نحن فيها، ولن نستطيع أن ننتزع حقنا وأرضنا إلا بالتعاون، والتضامن، والتساند، والتكاتف، والتآزر، والتآلف، وهذا ما يسعى إليه بلدنا الطيب، وأما السلام الذي ندعى إليه فنحن حريصون عليه راغبون فيه على أن يكون سلاماً عادلاً تسترد قبله الأرض، وتتوافر فيه الكرامة، هذا بعد أن نستوعب مضمون الآية الكريمة وأن نعمل بها:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) )

( سورة محمد)

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٤٢) : خ١ - الحج والقدس - مقام إبراهيم ، خ٢ - فتح مدينة القدس من قبل المسلمين.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٣-٢٨

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولـى:**

## المَقْصِد الأول من العبادات هو الامتثال لأمر الله والوفاء بحقه:

أيها الأخوة الكرام في كل مكان، إن المَقْصِد الأول من العبادات هو الامتثال لأمر الله، والوفاء بحقه، ومع هذا لا يخفى أن وراء العبادات أثاراً طيبة، ومنافع جمة في حياة الفرد والجماعة، والحجُّ هو أكثر هذه العبادات اشتمالاً على الأمور التعبدية التي لا تُعْرَفُ حكمتها معرفة تفصيلية على وجه التأكيد، لكن الحج أوضح هذه العبادات أثراً في حياة المسلمين أفراداً و شعوباً، كيف لا و قد قال الله عز وجل:

**( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ (٢٨) )**

( سورة الحج)

إن هذا التعليل القرآني لهذه الرحلة المباركة، التي يقطعها الناس قادمين من كل فج عميق، يفتح لنا باباً رحباً للتأمل في هذه المنافع المشهودة التي قدمها القرآن الكريم.

## الحج أوضح العبادات أثراً في حياة المسلمين أفراداً و شعوباً:

أيها الأخوة الكرام، حضوراً ومستمعين، الحج شحنة روحية كبيرة، يتزود بها المسلم فتملأ جوانحه خشيةً، وتقىً، وعزماً على طاعة الله، وندماً على معصيته، و تغذي فيه عاطفة الحب لله ولرسوله، ولمن عزّرُوه، ونصروه، واتَّبَعُوا النور الذي أُنْزِلَ معه، وتوقظ في المسلم مشاعر الأخوة لأبناء دينه في كل مكان، وتوقد في صدره شُعْلَةَ الحماسة الدينية لدينه، والغَيْرَةِ على حرماته.

أيها الأخوة الكرام، إن الأرض المقدسة وما لها من أثرٍ في النفس، و قوةَ الجماعة، وما لها من إيحاءٍ في الفكر و السلوك، كل هذا يترك أثراً واضحاً في أعماق المسلم، فيعود من رحلته أصفى قلباً، وأطهرَ مسلكاً، وأقوى عزيمةً على الخير، وأصلبَ عُوداً أمام مغريات الشر، وكلما كان الحجُّ مبروراً خالصاً لله عز و جل، كان أثرُه في حياة المسلم المستقبلية واضحاً، لأن هذه الشحنة الروحية

العاطفية تهز كيانه المعنوي هزاً، بل تُنْشِئُهُ خلقاً آخر، وتعيده كأنما هو مولود جديد يستقبل الحياة، وكله طُهْرٌ ونقاء، لهذا قال عليه الصلاة و السلام في الحديث الصحيح:

**(( مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ))**

[ متفق عليه أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

## الحج تمام نعمة الله على المؤمن:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة و الإسلام، أداء فريضة الحج، تمام نعمة الله على المؤمن، لقد جعل الله البيت الحرام قبلة للمؤمن يتجه إليه كل يومٍ خمس مرات في صلاته، وهكذا شاءت إرادة الله أن ينشغل فؤادُ المؤمن بهذا البيت، وهو بعيدٌ عنه إلى أن يؤدي فريضة الحج، والحج تمام نعمة الله على المؤمن، لأن المؤمن لا يحج إلا إذا كان مستطيعاً ببدنه الذي سلمه الله له، وقوّاه، وبماله الذي ادخره للحج فائضاً عن حاجاته الأساسية، وبنفقة أهله، وعياله في غيبته فهو نوع من الغنى، ومن تمام نعمة الله على المؤمن في الحج أن إيمانه بالله ورسوله كان في المستوى الذي حمله على مغادرة الأوطان، وترك الأهل، والخلان، وإنفاق الأموال، ومن تمام نعمة الله على المؤمن أنه ما حج بيت الله الحرام إلا وهو مؤدٍ لجميع ما كلف به من عبادات شعائرية كالصلاة، والزكاة، والصيام، وعباداتٍ تعاملية من توبة نصوح، وأداءٍ لجميع الوجبات ووفاءٍ لكل الحقوق.

## الحج عبادة شاملة لكل أركان الإسلام:

أيها الأخوة الأكارم في كل مكان، الحج عبادة شاملة لكل أركان الإسلام، ففيه من الصلاة: أنك تذهب إلى بيت الله الحرام لتصلي فيه، وقد قال عليه الصلاة و السلام:

**(( صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ ))**

[ أحمدعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

و في الحج من الزكاة: إنفاق الأموال في التنقل، والسُكْنَى، والطعام، والشراب، و الرسوم، و في الحديث الشريف:

**(( النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ ))**

[ أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ]

و في الحج من الصوم: أنك تبتعد عن المباحات من لبس المخيط، والتطييب، والحلق، والتقليم، وكلها مباحة خارج الحج.

و في الحج من معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله: أنك تحج بيته الحرام تلبية لأمره، وطاعة له، ولا أدل على ذلك من قولك في التلبية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، وتؤدي مناسك الحج كما علمنا إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال:

**(( خذوا عني مناسككم ))**

[مسلم عن جابر]

## من لوازم العبودية لله في الحج:

### ١ ـ أن يبتعد الإنسان عن التعالي على أخيه الإنسان:

أيها الأخوة الكرام، حضوراً ومستمعين، الحج عبوديةٌ لله عز وجل، عبودية لخالق السماوات والأرض رب العالمين، إنّ عبودية الإنسان لله تقتضي أن يبتعد عن التعالي على أخيه الإنسان، ففي المسجد مثلاً من يَصِلُ أولاً يجلس في الصف الأول، ومن يأتي متأخراً يجلس في الصف الأخير، والذي يحدث أنك تجد من كان في مجتمعه في الصف الأخير قد تجده في المسجد في الصف الأول، إنّ هذه المساواة في العبودية لله عز وجل تخرج الإنسان عن التعالي، وتجعله يتواضع حيث يُحسُّ جميع المؤمنين أنهم يقفون أمام إلهٍ واحد، لا ينظر إلى صورهم، وهيئاتهم، وإنما ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم، هذا في بيئة المسجد، ولكن الله جلّ جلاله أراد أن يجعل هذه المساواة، وهذا الخضوع ليس في بيئة محدودة، ولكن في نطاق عالمي، وفي بيئةٍ عالمية تجمع كل أجناس البشر، نتميز كما نشاء في بلادنا، وبين أهلينا، ولكن عندما نصل إلى بيت الله الحرام لابد أن نقف أمام الله متساوين كما خَلَقَنَا، وكما سنقف أمامه يوم القيامة.

### ٢ ـ التأدب مع كل أجناس الكون:

أيها الأخوة الكرام، الحج أدبٌ رفيع مع عناصر الكون كلها، فمن لوازم العبودية لله في الحج أن الله ألزم الحاج بالتأدب مع كل أجناس الكون، مع الجماد في تقبيل الحجر الأسود، ومع النبات في النهي عن قطعه، ومع الحيوان في تحريم صيده، ومع الإنسان في حرمة التشاجر معه ومجادلته.

### ٣ ـ البكاء في بيت الله الحرام:

ويا أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، البكاء في بيت الله الحرام من لوازم العبودية لله في الحج، وحينما يدخل الحاج بيت الله الحرام، ويطوف حول الكعبة المشرفة تنهمر عيناه بالدموع،

هذا البكاء تعبيرٌ عن الندم على ما سبق منه من ذنوب، وتضرعٌ إلى الله أن يقبل توبته، وأن يعفو عنه، هذا البكاء تعبيرٌ عن ترك العُجْبِ والكبرياء والتذلل لخالق الأرض و السماء، هذا البكاء تعبير عن أن الحاج تخلى عن كل شيء، وخضع إلى الله في كل شيء، ومع أن البكاء أيها الأخوة في الأصل مظهرٌ من مظاهر الضعف، والحزن فإنه في الحج ليس كذلك، هذا البكاء في الحج إحساسٌ عميق بأن السعادة الحقيقية هي في القرب من الله، "لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليها بالسيوف "، "يا ربّ ماذا وجد من فقدك ؟ وماذا فقد من وجدك ؟"، هذا القرب الشديد من الله عز وجل في أثناء البكاء هو الذي يجعل لهذا البكاء روحانيةً مفعمة بالفرح، فرح التخلص من الآثام، ونيل رضا خالق الأكوان، فرحة الانضمام إلى عباد الله الصالحين.

## من الآيات البينات في بيت الله الحرام:

### ١ ـ مقام إبراهيم عليه السلام:

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، في بيت الله الحرام آياتٌ بينات، مقام إبراهيم، أي أن هناك آياتٍ كثيرة في مقام إبراهيم.

### ٢ ـ أنّ إبراهيم عليه السلام كان أمة وحده:

من هذه الآيات أنّ إبراهيم عليه السلام كان أمة وحده، فقد اجتمعت فيه من خصال الخير ما لا تجتمع إلا في أمّة، تقول: هذا أمين، وهذا صادق، وهذا كريم، ولكن خِصال الخير كلها اجتمعت في إبراهيم عليه السلام، ومن هذا مقولة أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم معصومةٌ بمجموعها، بينما النبي صلى عليه و سلم معصومٌ بمفرده.

### ٣ ـ أن حجم الإنسان عند الله بحجم عمله:

ومن هذه الآيات البينات أنّ حجم الإنسان عند الله بحجم عمله، و أن إبراهيم عليه السلام من حيث العمل الذي أجراه الله على يديه، عملُهُ يساوي عملَ أمّة، فإذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك، وهذا يذكرنا بقول الله عز وجل يخاطب النبي عليه الصلاة و السلام:

**( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧) )**

( سورة الأنبياء)

## ٤ ـ أنّ إبراهيم عليه السلام أقبل على بناء الكعبة وإعلائها تنفيذاً لأمر الله بإتقانٍ شديد:

من هذه الآيات البينات أنّ إبراهيم عليه السلام أقبل على بناء الكعبة، وإعلائها تنفيذاً لأمر الله تعالى، بإتقانٍ شديد، والإتقانُ في تنفيذ الأمر دليل قطعي على محبة الآمر، وهذا يذكرنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه))**

[الجامع الصغير عن عائشة]

## ٥ ـ أن الله خلق الكون وجعله يعمل بالأسباب:

من هذه الآيات البينات أيها الأخوة في مقام إبراهيم: أن الله خلق الكون، وجعله يعمل بالأسباب، فالذي يأخذ بالأسباب ويتقنها تعطيه هذه الأسباب النتائج مؤمناً كان أو كافراً، لكن هناك حقيقة كبرى هي أن خالق الأسباب فوق الأسباب، بل هو مسببها، إن شاء أعطاك من دون سبب، و إن شاء منعك، و أنت آخذٌ بالسبب، فالسبب في علم التوحيد لا يخلق النتيجة، لذلك في حركة الإنسان في الحياة، ينبغي ألا يغفل عن أن خالق الأسباب ومسببها هو كل شيء، سيدنا إبراهيم عليه السلام جاء بزوجته هاجر وابنه إسماعيل إلى موقع الكعبة، الذي لا زرع فيه، ولا ماء، ولا وسائل للحياة، في هذا المكان الخالي من وسائل بقاء الحياة، ترك إبراهيم زوجته وابنه الرضيع إسماعيل، وانطلق راجعاً، فأمسكت هاجر بزمام دابته، وقالت له: يا إبراهيم لمن تتركنا ؟ فلم يجب إبراهيم، قالت هاجر: آالله أمرك بهذا، فأشار إليها أن نعم، قالت: إذاً لن يضيعنا، هذه قضية إيمانية كبرى، وهي أن الله إذا أمرك بأمرٍ فبدا لك أنه يضر بمصالحك، أو يحول بينك وبين ما تتمناه فاعلم علم اليقين أن الآمر ضامن، و أن العاقبة للمؤمن، و أن الدنيا تأتي، وهي راغمة، فمن أصبح و أكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه، وشتت عليه شمله، ولم يؤته من الدنيا إلا ما قُدِّر له، ومن أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا، وهي راغمة، وما من مخلوقٍ يعتصم بمخلوق دوني، أعرف ذلك من نيته إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه، وقطعت أسباب السماء بين يديه، وما من مخلوقٍ يعتصم بي من دون خلقي أعرف ذلك من نيته، فتكيده أهل السماوات والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجا.

## ٦ ـ أن حبّ إبراهيم عليه السلام لله عز وجل يفوق الدنيا وما فيها وهو أعلى من كل حبّ:

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، من هذه الآيات البينات في مقام إبراهيم، أنه أُمِرَ أن يذبح ابنه الوحيد إسماعيل، وهو في سن الشباب، فلما بلغ معه السعي، وأبوه شيخٌ كبير، وزوجته

عاقر، فلم يتباطأ في التنفيذ، ولم يدعُ الله أن يرحم شيخوخته، وأن يعفو عن ابنه، وعلى الرغم من قسوة الابتلاء فقد شَرَعَ في التنفيذ، أن يقدم الإنسان على ذبح ابنه الوحيد الشاب، والأب شيخٌ كبير، والزوجة عاقر لا تنجب، إنّ من يفعل هذا يحب الله حباً يفوق الدنيا وما فيها، حباً أعلى من كل حب، يقول عليه الصلاة والسلام:

**(( لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ))**

[ متفق عليه عَنْ أَنَس]

## من آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً:

يا أيها الأخوة الكرام، هذا ابتلاء حاد ما كلف به المؤمن، ولكن نستفيد من هذه القصة أنه لو استقبلنا كل حكمٍ من الله بالقبول نأخذ ثواب الطاعة لأمر الله، ويرفع الله عنا القضاء:

**( فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧))**

( سورة الصافات)

أيها الأخوة الكرام، حينما يقبل المؤمن على تنفيذ أمر الله، وهو يرى رؤيةً قاصرة أن تنفيذ هذا الأمر يضر بمصالحه المادية والمعنوية، لكنه يؤثر طاعة الله، والقرب منه على دنياه، ينال عندئذٍ ثواب الطاعة، وسعادة القرب، وبقانون خفي لا نعرفه تتحقق مصالحه الدنيوية في أعلى مستوى، وهذا معنى القول المأثور: **"من آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً، ومن آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً".**

## الله جلّ جلاله لا يريد لنا إلا الخير ولا يقضي لنا إلا بالخير:

أيها الأخ الكريم، إذا كلفك مساوٍ لك، نِدٌ لك، إذا أمرك بأمر تسأله دائماً: لماذا أفعل هذا ؟ و لكن إذا أمرك الله جلّ جلاله خالق السماوات والأرض، العليم الحكيم، الرحمن الرحيم، إذا أمرك الله أمراً ينبغي أن تأخذ أمره بالطاعة بمقدار ثقتك في علمه، ورحمته، وحكمته، فالله جلّ جلاله لا يريد لنا إلا الخير، ولا يقضي لنا إلا بالخير، وكلما قصر الفكر البشري عن إدراك الخير كان الخير أضخم وأكبر، لأن الخير في هذه الحالات أكبر من أن يدركه الإنسان بعقله القاصر، قال تعالى:

**( وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) )**

( سورة البقرة)

الله جلّ جلاله حينما يخاطب خلقه لا يخاطبهم بالتكليف، افعلوا، ولا تفعلوا، إنما يدعوهم إلى الإيمان به، فمن آمن به يكلفه، لذلك تجد كل تكليف مسبوقاً في القرآن الكريم بـ: يا أيها الذين آمنوا، لأن الإنسان حينما يدخل مع الله في عقدٍ إيماني فقد آمن إيماناً قطعياً أن لله الكمال المطلق، فإذا تلقيت الأمر الإيماني، ولم تفهمه، ونفذته فإنك ستجد الراحة في قلبك، والصفاء في نفسك، وحينما تقبل على تنفيذ أمر الله لثقتك بعلمه، وحكمته، ورحمته يكشف لك الحكمة منه فتعود بثمرتين: ثواب العابد، وفهم العالم.

## بيت الله الحرام هو المركز الهندسي لليابسة:

أيها الأخوة الكرام، إلى الموضوع العلمي: بيت الله الحرام مركز لدائرة تمر بأطراف قارات العالمَيْن القديم والجديد، والأرض اليابسة موزعة حول بيت الله الحرام بصورة منتظمة، هذه الحقيقة أكدتها أحدث الدراسات العلمية لمركز البحوث الفلكية في أحد الأقطار العربية الشقيقة، وذلك باستخدام الحاسب الآلي في حساب المسافات بين مكة المكرمة وعدد من المدن التي تقع في أطراف العالمين القديم والحديث، و قد ثبت بعد الحسابات التي أجريت على الحاسب الآلي أن أقصى أطراف الأرض في إفريقيا، وأوربا، وآسيا، وهذا العالم القديم تقع على مسافة ثمانية آلاف كيلو متر من مكة المكرمة، وأما بالنسبة لأطراف العالم الجديد، وهو القارة الأميركية شمالاً، وجنوباً، وأستراليا، والقارة المتجمدة الجنوبية جميع أطراف هذه القارات الثلاث تقع على مسافة ثلاثة عشر ألف كيلو متر من مكة المكرمة، ولا يقابل مكة المكرمة على سطح الأرض من الطرف الآخر يابسة، بل بحرٌ، إنه المحيط الهادي، إذاً بحسب هذه الدراسة التي أجريت على الحاسب الآلي تبين أن بيت الله الحرام هو المركز الهندسي لليابسة.

**( أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) )**

( سورة آل عمران)

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخـطـبـة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

## فتح مدينة القدس من قِبل المسلمين:

أيها الأخوة الكرام، عشنا في الخطبة الأولى في أجواء بيت الله الحرام، وها نحن أولاء ننتقل الآن بحضراتكم إلى مدينة القدس، حيث المسجد الأقصى، ثاني المسجدين، وثالث الحرمين الشريفين، متعبد الأنبياء السابقين، ومسرى خاتم النبيين، ونعود بكم القهقرى عَبْرَ بُعْدِ الزمان إلى يوم الجمعة الواقع في السابع والعشرين من شهر رجب عام خمسمئة وثلاث وثمانين للهجرة، الموافق للثاني من تشرين الأول عام ألف ومئة وسبع و ثمانين للميلاد، ففي هذا اليوم تمّ فتح مدينة القدس من قبل المسلمين، وبقيادة صلاح الدين، وتمّ تحريرها من أيدي الغزاة الطامعين، وها نحن أولاء نرى القلوب قد امتلأت بالفرح، والوجوه قد عمها البشر، ونسمع الألسنة، وقد لهجت بالشكر، لقد علت الرايات، وعلقت القناديل، ورفع الأذان، وتلي القرآن، وَصَفَتِ العبادات، وأقيمت الصلوات، وأُديمت الدعوات، و تجلت البركات، وانجلت الكربات، وزال العُبُوس، وطابت النفوس، وفرح المؤمنون بنصر الله، وها نحن أولاء ندخل المسجد الأقصى، فإذا المسلمون، وفيهم صلاح الدين وجنده يجلسون على الأرض، لا تتفاوت مقاعدهم، ولا يمتاز أميرهم عن واحد منهم، قد خشعت جوارحهم، وسكنت حركاتهم، هؤلاء الذين كانوا فرساناً في أرض المعركة استحالوا رهباناً خُشّعًا، كأن على رؤوسهم الطير في حرم المسجد.

## فقرات من خطبة محي الدين القرشي قاضي دمشق عند فتح القدس من قبل المسلمين:

ها هو ذا خطيب المسجد محي الدين القرشي قاضي دمشق يصعد المنبر، ويلقي خطبةً لو ألقيت على رمال البيد لتحركت وانقلبت فرساناً، ولو سمعتها الصخور الصم لانبثقت فيها الحياة، وها نحن أولاء نستمع معكم إلى فقرات من خطبته.

لقد افتتحها بقوله تعالى:

**( فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)**

( سورة الأنعام )

يقول هذا الخطيب: **" أيها الناس أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى، والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة، وردِها إلى مقرها من الإسلام بعد ابتذالها في أيدي المعتدين الغاصبين قريباً من مئة عام، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع، ويذكر فيه اسمه من رجس الشرك و العدوان، ثم قال محذراً: إياكم عباد الله أن يستزلكم الشيطان، فيخيل لكم أن هذا النصر كان بسيوفكم الحداد، وخيولكم الجياد، لا والله، ما النصر إلا من عند الله، فاحذروا عباد الله بعد أن شرفكم الله بهذا الفتح الجليل أن تقترفوا كبيرةً من مناهيه،**

**انصروا الله ينصركم، خذوا في حسم الداء، وقطع شأفة الأعداء، وها نحن أولاء نخرج من المسجد، ونلتقي بأحد الفرنجة الذين شهدوا فتح القدس، وها هو ذا يحدثنا ويقول: " إن المسلمين لم يؤذوا أحداً، ولم ينهبوا مالاً، ولم يقتلوا مسالماً، أو معاهداً، و أن من شاء منا خرج، وحمل معه ما شاء، و أننا بعناهم ما فضل من أمتعتنا فاشتروها منا بأثمانها، وأننا نغدو ونروح آمنين مطمئنين لم نر منهم إلا الخير والمروءة، فهم أهل حضارة و تمدن "، وصَدَقَ من قال: "ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم منهم "، وليته قال: " إن المسلمين لم يهدموا بيتاً، ولم يصادروا أرضاً، ولم ينشؤوا مستوطنة، ولم يكسروا عظماً ".**

و نعود الآن بحضراتكم إلى دمشق لنتابع خطبة الجمعة..

## المعركة بين حقين لا تكون و المعركة بين حق وباطل لا تدوم والمعركة بين باطلين لا تنتهي:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، ماذا حول المسجد الأقصى اليوم؟ حينما تسلب أرض شعبٍ، وتنهب ثرواته، وتنتهك حرماته، وتدنس مقدساته، وتداس كرامته، وتقهر إرادته، وتفسد عقائده، وتفرغ قِيَمُه، ويزوّر تاريخه، ويحمل على الفساد والإفساد، وتمارس عليه ألوان التجهيل، والتجويع، والتعذيب على يد أعدائه، أعداء الله، أعداء الحق، أعداء الخير، أعداء الحياة، عندئذٍ لا بد لهذا الشعب أن يتحرك ليسترد حقه في الحياة الحرة الكريمة.

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، هذه الحركة لا يمكن أن تسمى إرهاباً، ولا تخريباً، ولا انتحاراً، إن تعنت إسرائيل أوصل عملية السلام إلى طريق مسدود، كما قال السيد الرئيس فهي ترفض رفضاً مطلقاً كل مقومات السلام، وتنهج نهج المراوغة، والخداع، وتستفز الضمير الإسلامي، والعربي، والإنساني بإنشاء مزيد من المستوطنات، ويضيف السيد الرئيس قائلاً: إن الخلاص في الإسلام الذي عندما كنا متمسكين به، لم يستطع أحدٌ أن يذلنا، الإسلام دين الحق، والعدالة، و المساواة بين البشر، الإسلام مصدر قوةٍ لنا جميعاً، إن هذا يفرض علينا أن نناضل بكل قوانا، وبصدق، وإخلاص لحماية الدين الحنيف من هذه المؤامرات الاستعمارية لنحفظ له مهابته، وجلاله، وليبقى مصدر عزةٍ و قوة للمسلمين، وليبقى حافزاً لتقدمهم في كل مجال.

أيها الأخوة الكرام في الأراضي المحتلة، بوركت سواعدكم، وسلمت أيديكم، لقد كنتم رمز البذل والعطاء، لقد ضربتم المثل الأعلى في التضحية والفداء، لقد تحركت فيكم معاني العزة، والإباء فأقلقتم مضاجع الأعداء.

استمعوا معي أيها الأخوة إلى وصية سيدنا عمر بن الخطاب إلى سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، قال له: **" أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله عز وجل، فإن تقوى الله**

**أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي، فإنها أضر عليكم من عدوكم، وإنما تنصرون بمعصية عدوكم لله، فإن استويتم في المعصية كان لهم الفضل عليكم بالقوة ".**

لهذا قيل: المعركة بين حقين لا تكون، لأن الحق لا يتعدد، والمعركة بين حقٍ وباطل لا تدوم، لأن الله مع الحق، والمعركة بين باطلين لا تنتهي.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٤٣) : خ١ - الجانب الإنساني في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، خ٢ - رسول الله رحمة مهداة ونعمة مزجاة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٧-١٨

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولـى:**

## الجانب الإنساني في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، موضوع الخطبة اليوم الجانب الإنساني في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، فمن رحمته إلى عدله، من محبته إلى سموه، ومن سموه إلى حرصه.

أخوة الإيمان في كل مكان، إننا نرى في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الإنسان الحاني الرحيم، الذي لا تفلت من قلبه الذكي شاردة من آلام الناس وآمالهم إلا لباها و رعاها، وأعطاها من ذات نفسه كل اهتمام وتأييد، نرى فيه الإنسان الذي يكتب إلى ملوك الأرض طالباً إليهم أن ينبذوا غرورهم الباطل، ثم يصغي في حفاوة ورضىً إلى أعرابي حافي القدمين يقول في جهالة: "اعدل يا محمد، فليس المال مالك، ولا مال أبيك "، نرى فيه العابد الأواب الذي يقف في صلاته، يتلو سورةً طويلة من القرآن في انتشاء وغبطة لا يقايض عليها بملء الأرض تيجاناً وذهباً، ثم لا يلبث أن يسمع بكاء طفل رضيع كانت أمه تصلي خلفه في المسجد فيضحي بغبطته الكبرى، وحبوره الجياش، وينهي صلاته على عجل رحمة بالرضيع الذي كان يبكي، وينادي أمه ببكائه. نرى فيه الإنسان الذي وقف أمامه جميع الذين شنوا عليه الحرب والبغضاء، وقفوا أمامه صاغرين، ومثّلوا بجثمان عمه الشهيد حمزة، ومضغوا كبده في وحشية ضارية، فيقول لهم، وهو قادر على أن يهلكهم:

**(( اذهبوا فأنتم الطلقاء ))**

[السيرة النبوية]

نرى فيه الإنسان الذي يجمع الحطب لأصحابه في بعض أسفارهم، ليستوقدوه ناراً تنضج لهم الطعام، ويرفض أن يتميز عليهم.

نرى فيه الإنسان الذي يرتجف حين يبصر دابة تحمل على ظهرها أكثر مما تطيق.

نرى فيه الإنسان الذي يحلب شاته، ويخيط ثوبه، ويخصف نعله.

نرى فيه الإنسان، وهو في أعلى درجات قوته، يقف بين الناس خطيباً فيقول: **"من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقدْ منه".**

صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله، نشهد أنك أديت الأمانة، وبلغت الرسالة، ونصحت الأمة، وكشفت الغمة، وجاهدت في الله حق الجهاد، وهديت العباد إلى سبيل الرشاد.

## الرحمة خير من الإفراط في العبادة:

أيها الأخوة الأكارم حضوراً ومستمعين، من ومضات رحمته صلى الله عليه وسلم أنه قال عن نفسه:

**(( إنما أنا رحمة مهداة ))**

[ أخرجه الحاكم عن أبي هريرة ]

وقد روى عن ربه في الحديث القدسي:

**(( إن كنتم تحبون رحمتي فارحموا خلقي ))**

[الديلمي عن أبى بكر]

وبين صلى الله عليه وسلم أن الراحمين يرحمهم الله، وأرشد المؤمنين إلى التزام الرحمة فقال لهم:

**(( ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ))**

[الترمذي عن عبد الله بن عمرو]

وبيّن أيضاً أن الرحمة خير من الإفراط في العبادة، فقد خرج صلى الله عليه وسلم عام الفتح إلى مكة في رمضان، حتى بلغ موضعاً يدعى كراع الغميم فصام، وصام الناس، ولما رأى بعض الناس قد شقّ عليهم الصيام بسبب وعثاء السفر دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه، ثم شرب، ولما قيل له: إن بعض الناس لا يزال صائماً، قال:

**((أولئك العصاة))**

[ مسلم عن جابر]

رجل يسرع الخطا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يغشاه الفرح الكبير، تغمره الفرحة العارمة ليبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الهجرة معه، وعلى الجهاد في سبيل الله تحت رايته، يقول له: " يا رسول الله جئت أبايعك على الهجرة والجهاد، وتركت أبواي يبكيان " فيقول له عليه الصلاة والسلام:

**((ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما))**

[ النسائي عن عبد الله بن عمرو]

إن بسمة تعلو شفتي أبٍ حنون، وتكسو وجه أمٍ متلهفة، لا تقدر عند محمد صلى الله عليه وسلم بثمن، حتى حينما يكون الثمن جهاداً في سبيل الله، يثبت دعوته، وينشر في الآفاق البعيدة رايته، وحينما تتم العبادة على حساب رحمة الوالدين تتحول إلى عقوق، والنبي صلى الله عليه وسلم يركز على الرحمة تركيزاً شديداً كلما اشتدت إليها الحاجة.

## النبي صلى الله عليه وسلم جعل الرحمة فوق الفضائل الإنسانية كلها:

هؤلاء المساكين الذين تسوقهم ضرورات العيش إلى الدين، ثم تعجزهم ضحالة الدخل عن السداد، فيعانون من أجل الديون همّ الليل وذلّ النهار، هؤلاء يأسو جراحهم النبي صلى الله عليه وسلم، إنه لا يملك أن يقول للدائن: تنازل عن حقك، فمحمد صلى الله عليه وسلم خير من يصون الحقوق، لكنه يهب الدائن شفاعته، وقلبه، وحبه إذا هو أرجأ مدينه، وصبر عليه حتى تحين ساعة فرج قريب، فقال عليه الصلاة والسلام:

**((من أنظر معسراً أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله))**

[ أحمد و الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً ]

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً:

**((من أراد أن تستجاب دعوته، وأن تكشف كربته، فليفرج عن معسر))**

[ أحمد عن ابن عمر]

ويجعل النبي صلى الله عليه وسلم الرحمة فوق الفضائل الإنسانية كلها، فيجعل كل عمل رحيم عبادةً من أزكى العبادات، فعند النبي صلى الله عليه وسلم أن أعمالنا الرحيمة التي نسديها للآخرين إنما يراها الله قُربات توجه إليه ذاته، فإذا زرت مريضاً فأنت إنما تزور الله، وإذا أطعمت جائعاً فكأنما تطعم الله، يقول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه:

**(( يا بن آدم مرضت ولم تعدني، قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين، قال أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده، أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي))**

[ أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

ويصور النبي صلى الله عليه وسلم رحمة الله بصورة باهرة أخّاذة حينما رأى أماً تضم طفلها إلى صدرها في حنان بالغ، ورحمة بالغة، فالتفت إلى أصحابه وقال لهم:

**(( أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ قال أصحابه: لا والله يا رسول الله، قال لله أرحم بعبده من هذه بولدها ))**

[مسند البزار عن عمر بن الخطاب]

## النبي الكريم حطم كل معالم التمايز بينه وبين الناس:

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، ذات يوم تقدم منه أعرابي في غلظة وجفوة، وسأله مزيداً من العطاء، وقال: اعدل يا محمد، ويبتسم عليه الصلاة والسلام، ويقول له:

**(( ويحك يا أعرابي من يعدل إن لم أعدل))**

[ صحيح مسلم عن أَبَي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ]

أيها الأخوة الكرام إن الطمأنينة التي دفعت هذا الأعرابي إلى هذا الموقف المسرف في الجرأة، هذه الطمأنينة وحدها تصور عدل محمد صلى الله عليه وسلم، فما كان هذا الأعرابي قادراً على أن يقول مقالته تلك لو كان محمد صلى الله عليه وسلم أقام بينه وبين الناس حجباً، وبث في نفوسهم الخشية والرهبة، لكن هذا النبي الكريم حطم كل معالم التمايز بينه وبين الناس، وحينما دخل عليه رجل غريب يختلج، بل يرتجف من هيبته، استدناه وربت على كتفه في حنان وفرط تواضع، وقال له قولته الشهيرة:

**((هون عليك فإني ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة))**

[ ابن ماجه عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ]

لقد هيأه تفوقه صلى الله عليه وسلم ليكون واحداً فوق الناس، فعاش واحداً بين الناس، يسأله أعرابي يوماً، في بداوة جافة، يا محمد هل هذا المال مال الله أم مال أبيك ؟ ويبتدره عمر يريد أن يؤنبه، فيقول عليه الصلاة والسلام: " دعه يا عمر إن لصاحب الحق مقالاً ".

وانطلاقاً من قيم العدل التي آمن بها صلى الله عليه وسلم، ودعا إليها، يبين عليه الصلاة والسلام ويقول:

**((كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه))**

[ رواه مسلم عن أبي هريرة ]

وأن:

**(( لزوال الدنيا جميعاً أهون على الله من دم سفك بغير حق ))**

[ البيهقي ]

**(( إنّما أهلك الذين قبلكم: أنّهمْ كانوا إذا سَرقَ فيهم الشّريفُ تَرَكُوه، وإذا سَرَقَ فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ. وَأيْمُ اللّهِ لَوْ أنّ فاطمة بنْتَ محمدٍ سَرَقت لقطعتُ يَدَهَا ))**

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عائشة أم المؤمنين ]

لو أن إنساناً استطاع بطلاقة لسانه وقوة حجته أن ينتزع من فم النبي صلى الله عليه وسلم حكماً، ولم يكن محقاً فيه لا ينجو من عذاب الله، يقول عليه الصلاة والسلام:

**(( إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيّ، وَلَعَلّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنّمَا أَقطعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا ))**

[ متفق عليه عَنْ أُمّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا]

## ومضات من محبته صلى الله عليه وسلم:

أيها الأخوة الأكارم حضوراً ومستمعين، إلى ومضات من محبته صلى الله عليه وسلم. محمد صلى الله عليه وسلم محب ودود، أطاع الله كثيراً، لأنه أحبه كثيراً، بر الناس كثيراً، لأنه أحبهم كثيراً، أحبّ عظائم الأمور، وترك سفسافها ودنيها، أحبّ عظائم الأمور، ومارسها في شغف عظيم ممارسة محب مفطور، لا ممارسة مكلف مأمور، لقد سجد، وأطال السجود، وسُمع وجيبُ قلبه، ونشيج تضرعه وبكائه، لأنه في غمرة شوق جارف، ومحبة أخّاذة، كان ينتظر الصلاة على شوق، فإذا دخل وقتها قال:

**(( أرحنا بها يا بلال ))**

[ أبو داود عن سالم بن أبي الجعد ]

أرحنا بها لا أرحنا منها، وهذا هو الفرق بين الحب والواجب.

ذات يوم كان في الطائف يدعو قومها إلى الله، فقابلوه بالتكذيب والسخرية والإيذاء، أغروا به سفهاءهم، ألجؤوه إلى حائط، رفع رأسه إلى السماء، وناجى ربه فقال:

**(( يا رب، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولك العتبى حتى ترضى، لكن عافيتك أوسع لي ))**

[ الطبراني عن عبد الله بن جعفر ]

أي إنه لا يخشى العذاب والألم إلا إذا كان تعبيراً عن تخلي الله عنه.

ثم أدرك صلى الله عليه وسلم أنه لا ينبغي للمحب الصادق أن يشغله استعذاب التضحية عن رجاء العافية، فيستدرك ويقول: لكن عافيتك هي أوسع لي.

أيها الأخوة الأكارم حضوراً ومستمعين، ذات يوم أقبل على محمد صلى الله عليه وسلم رجلاً فظاً غليظاً، لم يكن قد رآه من قبل، غير أنه سمع أن محمداً يسب آلهة قريش والقبائل كلها، فحمل سيفه، وأقسم بالله لَيُسَوّيَنّ حسابه مع محمد، ودخل عليه، وبدأ حديثه عاصفاً مزمجراً، والنبي صلى الله عليه وسلم يبتسم، وتنطلق مع بسماته أطياف نور آسر، وما هي إلا لحظات حتى انقلب المَغِيظُ المتجهم محباً يكاد من فرط الوجد والحياء يذوب، وانكفأ على يدي محمد صلى الله عليه وسلم

يقبلهما ودموعه تنحدر غزيرةً، ولما أفاق قال: يا محمد والله لقد سعيت إليك وما على وجه الأرض أبغض إلي منك، وإني لذاهب عنك وما على وجه الأرض أحب إلي منك.

ما الذي حدث ؟ لقد أحب محمد الرجل من كل قلبه، فخرّ جبروت هذا الرجل صريع حب وديع، قلب محمد صلى الله عليه وسلم مفتوح دائماً لكل الناس، الأصدقاء والأعداء، وحينما اقترب الرجل من رسول الله صلى الله عليه وسلم مسّته شعاعة من فيض قلبه الكبير..! معذورة قريش حينما لم تدرك هذا السر، فقالت: إن محمداً لساحر.

## توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم في الحبّ والود:

أيها الأخوة الكرام، من توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم في الحب والود:

**((والذي نفس محمد بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا))**

[مسلم عن أبي هريرة]

**((إِذا أَحَبّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ أَنّهُ يُحِبُّهُ))**

[ أحمد و البخاري عن المقدام بن معد يكرب]

**((وإذا آخى الرجلُ الرجلَ، فليسأله عن اسمه، واسم أبيه، وممن هو ؟ فإنه أوصل للمودة))**

[الترمذي عن ن يزيد بن نعامة الضبي]

**((إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه))**

[مسلم عن أبي الربيع]

**(( من هجرة أخاه سنة فهو كسفك دمه))**

[أحمد عن أبي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ]

**((وكفى بك ظلما ألا تزال مخاصماً ))**

[ البيهقي عن ابن عباس ]

**(( من أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك محقاً كان أو مبطلاً))**

[أخرج الحاكم وصححه وضعفه الذهبي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا]

**((ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: الذين لا يقيلون عثرةً ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنباً))**

[الطبراني عن ابن عباس]

**((صل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا))**

[البزار عن أنس]

## جهاز المناعة:

يا أيها الأخوة الكرام، ما دام الحديث عن الحب، فإليكم هذا الموضوع العلمي، والمطلوب من الأخوة المستمعين أن يبحثوا عن علاقة هذا الموضوع العلمي بالحب.

هناك في الإنسان جهاز خاص للشفاء الذاتي، لم تأت على ذكره فهارس كتب الطب أو قواميسه، فهناك حالات مرضية مستعصية شفيت بشكل غامض ودون سبب واضح، وهذا الجهاز المسؤول عن الشفاء الذاتي هو جهاز المناعة، وهو من الأجهزة الرائعة التي أبدعها الخالق جلّ وعلا، ليس لهذا الجهاز مكان تشريحي ثابت، بل هو جهاز جوال، مبرمج على أن يتعرف على أية خلية غريبة عن خلايا الجسد ليقوم بتميزها، وأهم ما في هذا الجهاز ذاكرته العجيبة، فهو لا ينسى أبداً أي سلاح واجه به عدواً من أمد طويل، ولولا هذه الذاكرة العجيبة لما كان هناك من فائدة إطلاقاً من التلقيح ضد الأمراض، تُصنع عناصر هذا الجهاز في نقي العظام، ويتم إعدادها القتالي في الغدة الصعترية " التيموس "، معهد إعداد المقاتلين، وعناصر هذا الجهاز موزعة بين مهمات الاستطلاع وتصنيع المصل المضاد والقتال والخدمات، لكن فيروس الإيدز يدخل إلى الجسم متخفياً بشكل مشابه لعناصر هذا الجهاز، ثم يقضي عليها تماماً، لكن من بين عناصر هذا الجهاز فرقة المغاوير، ذات كفاءة عالية جداً، وقد اكتُشفت في أواخر السبعينات، وتستطيع عناصر هذه الفرقة التعرف على الخلايا السرطانية، وتتجه إليها وتدمرها، أخطر ما في هذا الجهاز أن القوة التي تشكله وتطوره وتأمره ليست من داخل الجسم بل من خارجه، إنه الله جلّ جلاله، وأخطر ما في هذا الجهاز أيضاً أن الاكتئاب، والحزن، والتوتر، والقلق، والحقد، والشدة النفسية، تضعف من قوة هذا الجهاز، وأن الأمل، والحب، والهدوء، والتفاؤل، تقوي إمكانات هذا الجهاز، ومن هنا يعد التوحيد صحةً بالمعنى الدقيق للكلمة، ويعد الشرك سبباً للخوف والقلق، والخوف والقلق سبب لإضعاف جهاز المناعة الذي أبدعه الله من أجل الشفاء الذاتي، قال الله تعالى:

**( فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ )**

( سورة الشعراء )

أيها الأخوة، ابحثوا عن علاقة الراحة النفسية الناتجة عن التوحيد بالشفاء، وعن علاقة الشدة النفسية الناتجة عن الشرك الخفي بالوباء.

## قصة جابر بن عبد الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أيها الأخوة المؤمنون، أيها الأخوات المؤمنات، إليكم قصة جابر بن عبد الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه القصة تصور مودة النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه، ورفقه بهم، واهتمامه بمشكلاتهم، وتواضعه، ومؤانسته لهم:

عن جابر بن عبد الله، قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع، مرتحلاً على جمل لي ضعيف، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت الرفاق تمضي (أي تسبقني )، وجعلت أتخلف ( لأن جمله ضعيف ) حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما لك يا جابر ؟ قلت: يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا، قال: فأنِخْهُ، وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم جمله، ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك، ففعلت، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخس بها الجمل نخسات ( أي وخزه بها )، ثم قال: اركب، فركبت، فانطلق جملي، والذي بعثه بالحق صار جملي يجاري ناقة رسول الله، وتحدث معي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أتبيعني جملك هذا يا جابر ؟ قلت: يا رسول الله بل أهبه لك، قال: لا ولكن بعنيهُ، قلت: فسُمْني به، قال: أخذته بدرهم، ( هكذا قال عليه الصلاة والسلام )، قلت: لا، إذاً يغبنني رسول الله صلى الله عليه وسلم، ( درهم قليل ) قال: فبدرهمين، قلت: لا، فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الثمن حتى بلغ الأوقية، فقلت: قد رضيت، قال: قد رضيت، قلت: نعم هو لك، قال: قد أخذته، ثم قال لي: يا جابر هل تزوجت ؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: أثيباً أم بكراً ؟ قلت: بل ثيباً، قال: أفلا تزوجت بكراً ؟ قلت: يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد، وترك بنات له سبعاً، فتزوجت امرأة جامعةً تجمع رؤوسهن، وتقوم عليهن، فقال: قد أصبت إن شاء الله، ثم قال: أخبرت امرأتي الحديث، وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: سمعاً وطاعة ( أي بع جملك لرسول الله ) قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلت به حتى أنَخْته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جلست في المسجد قريباً منه، قال: وخرج النبي عليه الصلاة والسلام، فرأى الجمل، قال: ما هذا ؟ قالوا: هذا جمل جاء به جابر، قال: فأين جابر ؟ فدعيت له، فقال: تعال يا بن أخي خذ برأس جملك فهو لك، ودعا بلالاً فقال: اذهب بجابر، وأعطه أوقية، فذهبت معه، وأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً، قال: فوالله ما زال ينمو هذا المال عندنا ونرى مكانه في بيتنا.

يا أيها الأخوة الأكارم، أرأيتم إلى ملاطفته، إلى رقته، إلى رفقه بأصحابه، إلى تواضعه لهم، هكذا كانت أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى:

**( وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ )**

( سورة القلم )

## ومضات من حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه:

أيها الأخوة الأكارم في دنيا العروبة والإسلام، إلى ومضات من حرصه على أصحابه.

كان من بين أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام صحابي جليل هو عثمان بن مظعون، وكان عثمان متبتلاً غير مشفق على نفسه، حتى لقد همّ ذات يوم أن يتخلص كلياً من نداء غريزته، وذات يوم

دخلت زوجته على السيدة عائشة رضي الله عنه، فوجدتها عائشة رثّة الهيئة مكتئبة، فسألتها عن أمرها، فقالت: إن زوجي عثمان صوام قوام، أي يصوم النهار، ويقوم الليل، فأخبرت السيدة عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحال هذه المرأة، امرأة عثمان بن مظعون فالتقى النبي عليه الصلاة والسلام بعثمان وقال له: يا عثمان، أما لك بي من أسوة ؟ قال عثمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ماذا فعلت ؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قال عثمان: إني لأفعل، قال عليه الصلاة والسلام: لا تفعل، إن لجسدك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه.

وفي صبيحة اليوم التالي ذهبت زوجة عثمان إلى بيت النبوة عطرة نضرة، كأنها عروس، واجتمع حولها النسوة اللاتي كانت تجلس بينهن بالأمس رثة بائسة، وأخذن يتعجبن من فرط ما طرأ عليها من بهاء وزينة، قلن لها: ما هذا يا زوج بن مظعون ؟ قالت وهي مغتبطة: أصابنا ما أصاب الناس. إنسانية النبي عليه الصلاة والسلام لم تحتمل حال زوجة يؤرقها هجر زوجها، فذكّر زوجها بما لها عليه من حق، كان عليه الصلاة والسلام أرحم الخلق بالخلق، فمن أقواله المؤكدة لهذه الحقيقة: "لأن أمشي مع أخ في حاجته أحب إلي من أن أعتكف في مسجدي هذا شهراً ".

سئل صلى الله عليه وسلم:

**((يا رسول الله أي الناس أحبهم إلى الله ؟ قال: أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس))**

[ أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عمر ]

وقال صلى الله عليه وسلم:

**((إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس، يفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله))**

[رواه الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عمر]

ويقول أيضاً:

**(( من كان وصلة لأخيه إلى ذي سلطان في مبلغ بر أو إدخال سرور رفعه الله في الدرجات العلى من الجنة ))**

[رواه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي الدرداء]

ويقول أيضاً:

**((إن لله أقواما اختصهم بالنعم لمنافع العبد و يقرها فيهم ما بذلوها فإذا منعوها نزعها عنهم و حولها إلى غيرهم))**

[شعب الإيمان عن ابن عمر]

ويقول أيضاً:

**((من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين))**

[الحاكم في المستدرك عن ابن عباس]

**(( إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع ؟))**

[ النسائي عن أنس]

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

## محمد صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة ونعمة مزجاة:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، هذا جانب واحد من جوانب شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الجانب الإنساني، إنه محمد صلى الله عليه وسلم، سيد الخلق، وحبيب الحق، إنه الرحمة المهداة والنعمة المزجاة، إنه أرحم الخلق بالخلق، أحرض الخلق على هداية الخلق، سيد الأنبياء والمرسلين، أقسم الله بعمره الثمين، فقال:

**( لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ )**

( سورة الحجر )

وأثنى على خلقه القويم، فقال:

**( وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ )**

( سورة القلم )

أيها الأخوة الأكارم، حضوراً ومستمعين، إن النبي صلى الله عليه وسلم في نظر المنصفين من خصومة الإنسان الأول من بين المئة الأوائل في تاريخ البشرية كلها، من حيث قوة التأثير، ومن حيث نوع التأثير، ومن حيث امتداد أمد التأثير، ومن حيث اتساع رقعة التأثير.

**وأجمل منك لم تر قط عيني وأكمل منك لم تلد النساء**

**خلقت مبرّأً من كل عيـب كأنك قد خلقت كما تشاء**

***

**وأسدت للبرية بنت وهب يداً بيضاء طوقت الرقاب**

لقد وضعته وهّاجاً منيراً  كما تلد السماوات الشهاب

***

## المسلمون يحترمون أنفسهم و تعاليم دينهم فلا يقابلون الأشياء المشينة بمثلها:

أيها الأخوة الأكارم، ومع أن النبي الكريم عليه أتم الصلاة والتسليم ألزم أتباعه المسلمين باحترام جميع الأنبياء والمرسلين، وجعل الإيمان بهم شرطاً لصحة الإيمان، ومع وفرة هذه الحقائق الناصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم التي يقر بها القاصي والداني، والعدو والصديق، تطالعنا الأخبار أن فتاةً إسرائيلية حاقدةً وجاهلة، تسيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم أيما إساءة، وتطعن في كتابنا العزيز أيما طعن، إنها تعبر عن قومها أصدق تعبير، وإنها مرحلة متطورة وإجرامية، من مراحل صراعنا مع الصهيونية، إن ما فعله الصهاينة مؤخراً، من الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم والتطاول عليه يعد عملاً خسيساً يقوض عملية السلام، ويوتر العلاقات، ويستفز المشاعر الدينية، ولا يخدم أحداً، وهو عمل جبان، وإجرامي، لا يمكن أن يصدر إلا عن حاقد مريض، ماذا ننتظر من قتلة الأنبياء ؟ وماذا ننتظر من قوم لا يحترمون شرائع السماء ؟ إن تاريخهم القديم والحديث مليء بالمواقف، والأعمال، والأقوال المخزية ضد الإسلام والمسلمين، فمن إحراق المسجد الأقصى المبارك ثاني القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومروراً بالحفريات المتزايدة تحته بقصد هدمه، ونقض بنيانه، ثم العدوان الصهيوني على المصلين في الحرم الإبراهيمي الشريف، ثم فتح النفق أسفل المسجد الأقصى المبارك، إن استعراض هذه الأعمال الإجرامية يجعلنا ندرك عن يقين أن هذا العمل الشائن الأخير لن يكون الأخير في سلسلة الأعمال الشائنة ضد الإسلام والمسلمين.
وإننا نحن المسلمين نُجل الأنبياء، ونحترمهم، ونوقرهم، ونؤمن بهم جميعاً، ولا يمكن أن نقابل هذا التصرف المشين بمثله لأننا نحترم أنفسنا، ونحترم تعاليم ديننا، وندرك أن من يتطاول على الأنبياء والمرسلين إنما يرتد سيفه إلى نحره، ويكون تدميره في تدبيره، والدائرة تدور عليه.
ونحن ندع العالم العربي والإسلامي إلى مزيد من الوعي، واليقظة، والتماسك، وإزالة أسباب الخلافات فيما بين المسلمين حتى يتفرغوا بحق لمواجهة المكائد والمؤامرات التي تحاك ضدهم وضد دينهم، وضد مستقبل أبنائهم فضلاً عن حاضرهم وتراثهم.

يقول السيد الرئيس: **( لا يمكن لإنسان عاقل أن يعتقد أن الله جلّ جلاله قال لمجموعة من الناس، لشعب، لأي شعب: سأعطيكم أراضٍ من هنا إلى هناك، وسأطرد أمامكم هذه الشعوب، نحن نتصور أن الله قوة عدل مطلقة تسير هذا الوجود، الله لنا جميعاً ونحن له جميعاً ).**

**ويتابع حديثه قائلاً: نحن نعتز بالإسلام اعتزازاً لا حدود له، ونقاوم الذين يشوهون هذا الإسلام، ونحن سندافع عن الإسلام، سندافع عنه كما جاء إسلام الصحابة، إسلام عمر وعلي، إسلام العدل، إسلام المساواة، إسلام المحبة ).**

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٤٤) : خ١ - الحلال والحرام ، خ٢ - فوائد زيت الزيتون.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٠-٢٤

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

## موضوع الحلال والحرام هو قوام الإسلام ودليل الإيمان:

موضوع الخطبة اليوم الحلال والحرام في الإسلام، فيها مقدمة حول الحلال والحرام في أعمال الجوارح وفي أعمال القلوب، وفيها إحدى عشرة قاعدة ذهبية أصولية في الحلال والحرام، وقصة تتصل بالموضوع بشكل أبو بآخر، وموضوعٌ علميٌّ، وخاتمة.

موضوع الحلال والحرام هو قوام الإسلام ودليل الإيمان وميزان الصدق عند الواحد الديان، فلا إيمان بلا عمل، ولا عمل إلا على مقتضى الأمر والنهي، ولا التزام بأمر آمر ولا نهي ناهٍ إلا عن حب، والحب دون اتباع كذب ونفاق.

أيها الأخوة الكرام، من هنا كانت خطورة موضوع الحلال والحرام في الإسلام، الذي هو شريعة خاتمة، لبناء حضارة أمة، هي خير أمةٍ أخرجت للناس، فكانت جميع الرسالات السابقة تدريباً للبشرية على تقبل تلك الشريعة الخاتمة، وتمهيداً لاكتمال الوعي في تلك الأمة المختارة، فما من أمة عدلت عن تشريع الله إلا أخذت بالدمار والهلاك، وما من فرد أهمل الأمر والنهي إلا اختل قوامه واضطرب حاله، قال تعالى:

**( الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣) )**

( سورة المائدة )

## الحلال والحرام يتصل بأعمال القلوب كما يتصل بأعمال الجوارح:

الشريعة رحمة كلها، عدل كلها، مصلحة كلها، حكمة كلها، إنها تعليمات الصانع الخبير:

**( وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ )**

( سورة فاطر )

لقد أراد الإسلام بناء شخصية المسلم متميزةً عن الشخصيات الأخرى من خلال الحلال والحرام، وقد اتجه الإسلام بأهله إلى بناء مجتمع الجسد الواحد، والأخوة الإسلامية الصادقة التي تنتهي إلى

الأخوة الإنسانية على هدي الحلال والحرام، لقد احترم الإسلام الإنسان وأعلى قدره حينما نظر إلى الاقتصاد من خلال الإنسان كرامة وكفاية وأمناً، لا من خلال قهره واستغلاله، فكان الحلال والحرام صوناً لكرامة الإنسان، شرائع الإسلام أيها الأخوة، صالحة لاستيعاب كل المعاملات والقضايا العصرية لتضعها في مكانها من الحلال والحرام.

الحلال والحرام يتصل بأعمال القلوب كما يتصل بأعمال الجوارح، والصحابة الكرام على جلالة قدرهم، وعمق إيمانهم، وقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا أحرص الناس على رعاية أعمال القلوب، حرصهم على رعاية أعمال الجوارح، إن الإنسان أيها الأخوة لا يتحرك في أعماله سواءً أكانت فعلاً أو تركاً، حركةً آلية بلا دافع قلبي يدفعه إلى العمل، وإلا كان جماداً لا روح فيه، هذا الدافع القلبي هو الإرادة والنية، وقد يدخله كثير من ألوان الخداع النفسي، حتى يتحول عمل الطاعة إلى إثم، ويتحول ترك الحرام إلى حرام.

إن أعمال القلوب دقيقة المأخذ، تتقارب فيها حدود الحلال والحرام تقارباً لا يمكن التمييز بينها إلا بعد تأملٍ دقيق، على هدى من علم شامل وفقه عميق، كالنفاق المحرم والمباهاة المباحة، كيف نميز بينهما ؟ وكالخوف من الماضي واليأس من رحمته، كيف نفرق بينهما ؟ وكرجاء رحمته والغِرة به، كإضمار ما يجب ستره، بنية الدعوة إلى العمل بالقدوة، ونية الإعجاب بالعمل والرغبة في ثناء الناس كيف نفرق بينهما ؟ وكالعجب والكبر، والمهابة والوقار، إن أعمال القلوب دقيقة جداً.

## قواعد أصولية في الحلال والحرام:

إن الأعمال تحتاج إلى شروط صحةٍ من زاوية الأحكام الفقهية التي تتعلق بالجوارح، وهذه الشروط موجودة في كتب الفقه، وتحتاج أعمال الإنسان إلى شروط صحةٍ أخرى من زاوية قبوله عند الله، وهذه تتعلق بمعرفة النفس وأحواله مع ربها.

العمل مطلق أيها الأخوة، والعمل الصالح بخاصة لا يُقبل عند الله إلا إذا كان خالصاً وصواباً ؛ خالصاً ما ابتُغي به وجه الله وهذا من عمل القلب، وصواباً ما وافق السنة وهذا من عمل الجوارح، وكل منهما شرط لازم غير كاف.

### ١ـ الأصل في الأشياء الإباحة:

القاعدة الأولى: الأصل في الأشياء الإباحة.

إن أول مبدأ قرره الإسلام أن الأصل فيما خلق الله من أشياء ومنافع هو الحلُّ والإباحة، ولا حرام إلا ما ورد فيه نص صحيح وصريح بتحريمه، من الله في كتابه، أو من رسوله صلى الله عليه وسلم

في سنته، فإذا لم يكن النص صحيحاً، أو لم يكن صريحاً في الدلالة على الحرمة، بقي الأمر على أصل الإباحة، قال تعالى:

**( وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) )**

( سورة الجاثية الآية: ١٣)

ما كان الله سبحانه وتعالى ليخلق هذه الأشياء ويسخرها للإنسان ويمنّ عليه بها، ثم يحرمه منها بتحريمها عليه، كيف وقد خلقها، وسخرها له، وأنعم بها عليه ؟ والذي حرمه جل جلاله جزئيات منها بسبب وحكمة بالغة، ومن هنا ضاقت دائرة المحرّمات في شريعة الإسلام ضيقاً شديداً، واتسعت دائرة الحلال اتساعاً بالغاً.

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً، ثم تلا هذه الآية: ( وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ) ))**

[البزار في مسنده و الحاكم من حديث أبي الدرداء]

إن أصل الإباحة تشمل الأفعال والتصرفات التي ليست من أمور العبادة، ففي الأشياء والأفعال الأصل أنها مباحة، ولا يُحرم شيئاً منها بنص، وفي العبادات الأصل هو الحظر، ولا تُشرّع عبادة إلا بنصٍ.

## ٢ـ التحليل والتحريم من حق الله تعالى وحده:

القاعدة الثانية: التحليل والتحريم من حق الله تعالى وحده.

التحليل والتحريم من حق الله تعالى وحده وليس من حق أحدٍ من خلقه، أياً كانت درجته في دين الله أو دنيا الناس، فمن فعل ذلك من بني البشر فقد تجاوز حده، واعتدى على حق الربوبية في التشريع للخلق، ومن رضي بعمله هذا واتبعه فقد جعله شريكاً لله، وعُدّ اتباعه هذا شركاً، قال تعالى:

**( أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) )**

( سورة الشورى)

وقال:

**( وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦)**

( سورة النحل)

كان السلف الصالح لا يصف شيئاً بأنه حرام ما لم يكن في كتاب الله، أو في سنة رسوله بيناً بلا تفسير، وكانوا لا يطلقون الحرام إلا على ما عُلم تحريمه بالضرورة قطعاً يقيناً، وكان أحمد ابن حنبل يقول حين يُسأل: "أكرهه، لا يُعجبني، لا أحبه، لا أستحسنه ".

## ٣ـ تحليل الحرام وتحريم الحلال من أكبر الكبائر:

القاعدة الثالثة: تحليل الحرام وتحريم الحلال من أكبر الكبائر.

تحليل الحرام وتحريم الحلال يقترن بالشرك، يقول عليه الصلاة والسلام، فيما يرويه عن ربه:

**(( إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً.))**

[مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي]

وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم نزعة التنطع والتشدد من دون موجب وذمها، وأخبر بهلاك أصحابها، فقال عليه الصلاة والسلام:

**((هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون))**

[رواه مسلم عن ابن مسعود ]

التحريم أيها الأخوة يستطيعه كل إنسان، حتى الجاهل، لكن العلماء المتمكنين العاملين بعلمهم، المخلصين في علمهم، هم الذين يبينون للناس ما هو حلال وما هو حرام، بالدليل والتعليل، فالتبليغ مهمة الأنبياء والرسل، والتبيين مهمة العلماء من بعدهم.

## ٤ـ الحلال طيب والحرام خبيث:

القاعدة الرابعة: الحلال طيب والحرام خبيث.

من حق الله تعالى، لكونه خالقاً ومربياً ومسيراً ومنعماً على خلقه بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والرشاد، من حقه أن يحل لهم وأن يحرم عليهم ما يشاء، كما له أن يتعبدهم بالتكاليف والشعائر بما يشاء، فهو حق ربوبيته لهم، ومقتضى عبوديتهم له، ولكنه تعالى، رحمة منه بعباده، جعل التحليل والتحريم لأسباب معقولة راجعةٍ لمصلحة البشر أنفسهم، فلم يحل سبحانه إلا طيباً، ولم يحرم إلا خبيثاً، قال تعالى:

**( الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ**

وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) )

( سورة الأعراف)

الطيبات هي الأشياء التي تستطيبها النفوس المعتدلة المتوازنة، ويستحسنها مجموع الناس ذوي الفطر السليمة، استحساناً غير ناشئ عن أثر العادة، فالعلاقة بين الحلال ونتائجه علاقة علمية، أي علاقة سبب بنتيجة، والعلاقة بين الحرام ونتائجه علاقة علمية أي علاقة سبب بنتيجة.

## ٥- في الحلال ما يُغني عن الحرام:

القاعدة الخامسة: في الحلال ما يُغني عن الحرام.

من محاسن الشريعة الإسلامية أنها لم تُحرم شيئاً إلا عوضت خيراً منه، مما يسد مكانه ويغني عنه، فالله تعالى لم يضيق على عباده من جانب إلا وسّع عليهم من جانب آخر من جنسه، فإنه سبحانه وتعالى لا يُريد بعباده عنتاً ولا إرهاقاً، بل يُريد بهم اليُسرَ والخير والهداية والرحمة، قال أحد العلماء: حرم الله عباده الاستقسام بالأزلام وعوضهم عنه دعاء الاستخارة، حرم عليهم الربا وعوضهم التجارة الرابحة، حرم عليهم القمار وأعاضهم عنه المسابقة في الدين، حرم عليهم الحرير وأعاضهم عنه الملابس الفاخرة، حرم عليهم الزنا وأعاضهم عنه الزواج الحلال، حرم عليهم شرب المسكرات وأعاضهم عنها بالأشربة اللذيذة، حرم عليهم الخبائث من الأطعمة وأعاضهم عنها بالمطاعم الطيبات.

ليس في الدين حرمان كما يتوهم الجهلة، فكل شهوة أودعها الله في الإنسان جعل لها قناةً نظيفةً تتحرك من خلالها، وكل حاجة ألجأ الله إليها عباده، جعل لهم أكثر من سبب لتحقيقها، فالحلال يُغني عن الحرام أيما غناء.

## ٦- ما أدى إلى حرام فهو حرام:

القاعدة السادسة: ما أدى إلى حرام فهو حرام.

من المبادئ التي قررها الإسلام أنه إذا حرّم شيئاً حرم ما يُفضي إليه من وسائل، وسد الذرائع الموصلة إليه، فإذا حرّم الزنا حرم كل مقدماته ودواعيه، من تبرج جاهلي، وخلوة آثمة، واختلاط عابث، وصور فاضحة، وأدب مكشوف، وغناء فاحش فما أدى إلى حرام فهو حرام.

وقرر أيضاً أن إثم الحرام لا يقتصر على فاعله المباشر وحده، بل تتسع الدائرة لتشمل كل من شارك فيه بجهد مادي أو أدبي، كل يناله من الإثم على قدر مشاركته، ففي الخمر لعن شاربها، وعاصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها.

## ٧- التحايل على الحرام حرام:

القاعدة السابعة: التحايل على الحرام حرام.

وكما حرّم الإسلام كل ما يفضي إلى المحرمات من وسائل ظاهرة حرم أيضاً التحايل على ارتكابها بالوسائل الخفية، والحيل الشيطانية، ومن الحيل الآثمة تسمية الشيء الحرام بغير اسمه، وتغيير صورته مع بقاء حقيقته، ولا ريب أنه لا عبرةَ بتغيير الاسم إذا بقي المسمى، ولا بتغيير الصورة إذا بقيت الحقيقة، فمن باع سلعةً ديناً لستة أشهر بمئة، ثم اشتراها نقداً بثمانين، وادعى أن هذا بيع وشراء، نجيبه: بأنه لا عبرة لصورة البيع والشراء إنه أقرض ثمانين ليستردها مئة وهذا هو الربا بعينه.

## ٨ ـ النية الحسنة لا تبرر الحرام:

القاعدة الثامنة: النية الحسنة لا تبرر الحرام.

الإسلام يقدر الباعث الكريم، والقصد الشريف، والنية الطيبة في تشريعاته وتوجيهاته كلها، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:

**(( إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى ))**

[ أخرجه البخاري عن عمر بن الخطاب ]

بالنية الطيبة تصبح المباحات والعادات طاعات وعبادات، فمن تناول غذاءه بنية حفظ الحياة، وتقوية الجسد على طاعة الله، وأداء واجبه نحو ربه وأمته، كان طعامه وشرابه عبادة وقربة، قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني:

**(( من طلب الدنيا حلالا، وتعففاً عن المسألة، وسعيا على عياله، وتعطفا على جاره، لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر))**

[البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف ]

وهكذا كل عمل مباح يقوم به المؤمن يدخل فيه عنصر النية، فتحيله إلى عبادة، أما الحرام فشيء آخر، الحرام هو حرام مهما حسنت نية فاعله، وشرف قصده، ومهما كان هدفه نبيلاً، لا يرضى الإسلام أبداً أن يُتخذ الحرام وسيلة إلى غاية محمودة، لأن الإسلام يحرص على شرف الغاية وطُهْر

الوسيلة معاً، ولا تقر شريعة الإسلام بحال مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، أو مبدأ الوصول إلى الحق بالخوض في كثير من الباطل، بل توجب شريعة الإسلام الوصول إلى الحق عن طريق الحق وحده، فمن جمع مالاً من ربا أو سحت أو لهوٍ حرام ليبني مسجداً، أو يُقيم مشروعاً خيرياً، لم يشفع له نبل قصده، لأن الحرام في الإسلام لا تؤثر فيه المقاصد والنيات، فالله طيب لا يقبل إلا طيباً.

## ٩ـ اتقاء الشبهات أولى:

القاعدة التاسعة: اتقاء الشبهات أولى.

من رحمة الله تعالى بالناس أنه لم يدعهم في ظلمة من أمر الحلال والحرام، لقد بيّن الحلال وفصل الحرام، قال تعالى:

**( وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) )**

( سورة الأنعام)

أما الحلال البين فلا حرج في فعله، وأما الحرام البين فلا رخصة في اتباعه، وهناك منطقة بين الحلال البين والحرام البين، هي منطقة الشبهات التي يلتبس بها أمر الحل بالحرمة على بعض الناس لا على كلهم، إما لاشتباهٍ في الأدلة عليه، أو لاشتباه في تطبيق النص على الواقعة، وقد جعل الإسلام من الورع أن يتجنب المسلم هذه الشبهات حتى لا يجره الوقوع فيها إلى مواقعة الحرام الصرف، قال عليه الصلاة والسلام:

**(( الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يدري كثير من الناس، أمن الحلال هي أم من الحرام، فمن تركها استبراءً لدينه وعرضه، فقد سلم، ومن واقع شيئاً منها يوشك أن يُواقع الحرام ))**

[رواه البخاري عن النعمان بن بشير]

## ١٠ـ الحرام حرام على الجميع:

القاعدة العاشرة: الحرام حرام على الجميع.

الحرام في شريعة الإسلام يتسم بالشمول والاطراد، فليس هناك شيء حرام على الأعجمي حلال على العربي، وليس هناك شيء محظور على الملون مباح للأبيض، وليس هناك جواز أو ترخيص ممنوح لفئة من الناس، تقترف باسمه ما طوع لها الهوى، بل ليس للمسلم خصوصية تجعل الحرام

على غيره حلالاً له، كلا إن الله رب الجميع، والشرع سيد الجميع، فما أحل الله بشريعته فهو حلال للناس كافة، وما حرّم فهو حرام على الجميع كافة إلى يوم القيامة.

السرقة مثلاً حرام، سواء أكان السارق ينتمي إلى المسلمين أو لا ينتمي، وسواء أكان المسروق ينتمي إلى المسلمين أو لا ينتمي، والجزاء لازم للسارق أياً كان نسبه أو مركزه، وهذا ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلنه حينما قال:

**((إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))**

[ البخاري عن عائشة رضي الله عنها ]

## ١١ـ ضابط الكسب الحلال:

القاعدة الحادية عشرة: حول ضابط الكسب الحلال، هي قاعدة مهمة جداً من القاعدة العامة في الكسب، أن الإسلام لا يُبيح لأبنائه أن يكتسبوا المال كيفما شاؤوا وبأي طرق أرادوا، بل هو يفرّق بين الطرق المشروعة باكتساب المعاش، نظراً إلى المصلحة الجماعية، وهذا التفريق يقوم على المبدأ الكلي وهو: إن جميع الطرق لاكتساب المال التي لا تحصل فيها المنفعة للفرد إلا بخسارة فرد غيره غير مشروعة، وإن الطرق التي يتبادل فيها الأفراد المنفعة فيما بينهم بالعدل والتراضي مشروعة، هذا المبدأ يبينه قوله تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً (٢٩))**

( سورة النساء)

لقد أشارت كلمة **( لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ )** ـ ولم يقل الله عز وجل لا تأكلوا أموال غيركم ـ في الآية إلى حقيقة أساسية، وهي ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون من أخوة صادقة، ومشاركة وجدانية حانية، يجسدها شعور المؤمن الحق أن مال أخيه هو ماله من زاوية واحدة، وهي وجوب الحفاظ عليه وصونه من التلف والضياع، فلأن يمتنع عن أكله بالباطل من باب أولى، وأن مال أخيه هو ماله من زاوية ثانية، وهي أن المؤمن إذا أكل مال أخيه أضعفه، وفي إضعافه إضعاف لذاته، فهو حمل عليه، فالمؤمن إذا أكل مال أخيه فكأنما أكل ماله، لذلك ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( كل المسلم على المسلم حرام، ماله ودمه وعرضه ))**

[ رواه مسلم عن أبي هريرة ]

## في الدين حقائق يجب أن تُعلم بالضرورة وهي فرض عين على كل مسلم:

هناك في الدين حقائق يجب أن تُعلم بالضرورة وهي فرض عين على كل مسلم ذكراً كان أو أنثى، بصرف النظر عن اختصاصه العلمي، وعمله المهني، ودوره الاجتماعي، وحاله النفسي، فإن لم يعلمها شقي وهلك في الدنيا والآخرة، حقائق يجب أن تعلم بالضرورة، أضرب على هذا مثلاً، حينما يهبط إنسان من طائرة بالمظلة، هناك حقائقُ كثيرة عن المظلة، نوع قماشها، مساحته، شكله، لونه، نوع حبالها، أطوالها، أقطارها، ألوانها، وطريقة فتح المظلة، فقد يجهل الذي يستخدم المظلة للهبوط من الطائرة نوع قماشها ومساحته وشكله ولونه، ونوع حبالها وأطوالها وأقطارها وألوانها ويهبط سالماً، أما إذا جهل طريقة فتح المظلة فلا بد من أن يصل إلى الأرض ميتاً، طريقة فتح المظلة يجب أن تُعلم بالضرورة لأي مظلي، والحلال والحرام جزء من الدين، وهو من أخطر أجزائه، وهو الذي ينبغي أن يُعلم بالضرورة، وحاجة المسلم إلى معرفة الحلال والحرام، كحاجة المظلي إلى معرفة طريقة فتح المظلة.

إليكم هذه القصة ؛ قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد فتح خيبر الحجاج بن علاط السلمي، فأسلم، وكان غنياً كثير المال، فقال: يا رسول الله، إن مالي عند امرأتي أم شيبة بمكة، ومتفرق في تجار مكة، فأذن لي يا رسول الله أن آتي مكة لآخذ مالي قبل أن يعلموا بإسلامي، عندئذ لا أقدر على أخذ شيء منه، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال الحجاج: يا رسول الله، لا بد من أن أقول أي أتقول ـ أذكر ما هو خلاف الواقع ـ حتى أحتال به لأخذ ماله، فقال عليه الصلاة والسلام لرحمته وكماله: قل ما شئت، قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالاً من قريش يستمعون الأخبار، ويسألون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بلغهم أنه سار إلى خيبر، وهي من أقوى قرى الحجاز، وهم يتجسسون الأخبار من الركبان، وكان بينهم تراهن عظيم على مئة بعير حول من سيغلب، أهل خيبر أم رسول الله ؟ فلما رأوا الحجاج ولم يكونوا علموا بإسلامه، قالوا: الحجاج والله عنده الخبر اليقين ؛ يا حجاج، إنه قد بلغنا أن القاطع ـ يقصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قد سار إلى خيبر، فقال الحجاج: عندي من الخبر ما يسركم، فاجتمعوا عليه يقولون إيه يا حجاج، قال الحجاج: فقلت لهم: لم يلق محمد وأصحابه قوماً يحسنون القتل مثلهم، فهزم هزيمةً لم يُسمع بمثلها، وأسر محمد وقالوا: لا نقتله حتى نبعث فيه إلى مكة، فنقتله بين أظهرهم، بمن كان أصاب من رجالهم، فانطلق هؤلاء الرجال فرحين أشد الفرح إلى أهل مكة، فقيل لهم: قد جاءكم الخبر، هذا محمد، إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم فيُقتل بين أظهركم، ثم قال لهم الحجاج: أعينوني على غرمائي أريد أن أقدم فأصيب من غنائم محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى هناك، فجمعوا إلي مالي على أحسن ما يكون، ففشا ذلك بمكة وأظهر المشركون الفرح والسرور، وانكسر من كان بمكة من المسلمين، وسمع بذلك العباس بن

عبد المطلب، فجعل لا يستطيع أن يقوم من شدة حزنه بهذا الخبر، ثم بعث العباس إلى الحجاج غلاماً ليقول له: يا حجاج، الله أعلى وأجل من أن يكون الذي جئت به حقاً، فقال الحجاج للغلام: اقرأ على أبي الفضل السلام، وقل له: ليُخلِ لي بعض بيوته لآتيه بالخبر على ما يسره، واكتم عني، فأقبل الغلام فقال: أبشر أبا الفضل فوثب العباس فرحاً كأن لم يمسه شيء، وأخبره بذلك، فأعتقه العباس رضي الله عنه لوجه الله، وقال: لله علي عتق عشر رقاب على هذا الخبر السار، فلما كان الظهر، جاءه الحجاج، فناشد العباس أن يكتم عنه ثلاثة أيام، وقال: إني أخشى الطلب، فإذا مَضَتْ ثلاثٌ فأظهر أمرك، وطالت على العباس تلك الأيام الثلاث، عمد العباس رضي الله عنه إلى حُلة فلبسها، وتخلق بخلوقٍ ـ أي تطيب بنوع من الطيب ـ وأخذ بيده قضيباً، ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش، وهم يقولون إذا مر بهم لا يصيبك إلا الخير يا أبا الفضل، هذا والله من التجلد بحر المصيبة، قال: كلا والله الذي حلفتم به، لم يصبني إلا خير بحمد الله، أخبرني الحجاج أن خيبر فتحها الله على يد رسوله صلى الله عليه وسلم، وجرت فيها سهام الله وسهام رسوله، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت ملكهم، وإنما قال لهم ذلك ليخلص ماله منكم، وإلا فهو ممن أسلم فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون: ألا يا عباد الله، انفلت عدو الله ـ يعنون حجاجاً ـ أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن، ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك.

تتصل هذه القصة من زاوية واحدة من زواياها بموضوع الخطبة، ويستنبط منها ثلاث حقائق ؛ الحقيقة الأولى تتعلق بسنة من سنن الله في خلقه، والثانية تتعلق بخلق عظيم من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثالثة تتعلق بحكم فقهي في المال، أترك لضيق الوقت للأخوة المستمعين الإجابة عن هذه الأسئلة الثلاثة.

أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

***

**الخـطـبـة الثانية:**

## فوائد زيت الزيتون:

**( يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ (١٥٧) )**

(سورة الأعراف )

إليكم هذا الموضوع العلمي: أهمل الطب الحديث البحث عما في غذاء الإنسان من فوائد وقائية، وعلاجية، وغذائية، لكن في عام ألف وتسعمئة وستة وثمانين، ظهرت أول دراسة موضوعية عن أثر زيت الزيتون في تخفيض شحوم الدم، ثم أظهرت دراسة أخرى تبعتها، أن أمراض شرايين

القلب واحتشاء العضلة القلبية، كانت نادرةً بل شبه معدومة في جزيرة كريت، بسبب أن أهل هذه الجزيرة يأكلون زيت الزيتون بكميات كبيرة، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

**(( كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة))**

[رواه الترمذي عن عمر بن الخطاب ]

يقول العلماء: زيت الزيتون أسهل أنواع الزيوت هضماً، فيه قيمة وقائية وعلاجية وغذائية، والأطباء الآن أجمعوا على أن هذا الزيت له تأثير علاجي عجيب، من هذا التأثير أنه يمكن أن يُستخدم لخفض الكولسترول الضار في الإنسان، ورفع الكولسترول النافع، ويستخدم أيضاً لخفض الضغط المرتفع، ويُستخدم أيضاً لمرضى السكر، ويستخدم لوقاية الشرايين والأوعية من تصلبها، وفيه مادة تمنع تخثر الدم وتقي الشرايين من ترسب المواد الدهنية، ومن التحليلات الدقيقة أن مئة غرام من زيت الزيتون فيه غرام بروتينات، وأحد عشر غرام من الدسم، وفيه البوتاسيوم والكالسيوم والمغنيزيوم والفسفور والحديد والنحاس والكبريت، وفيه ألياف، وهو غني بأهم الفيتامينات المتعلقة بتركيب الخلايا ونشاطها، والمتعلقة بالتناسل وبالعظام، وهو غذاء جيد للدماغ، وغذاء للأطفال، وله تأثير في تفتيت الحصيات ؛ حصيات المرارة والمثاني، وله أثر ملطفٌ لالتهابات الجلد، ولبعض الأمراض الجلدية، هذا الزيت له أثر طيب ونافع حتى في الاستعمال الخارجي والنبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يُوحى. هناك أحاديث كثيرة عن الزيت، اخترت لكم منها هذا الحديث:

**(( كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة))**

[رواه الترمذي عن عمر بن الخطاب ]

يكاد بلدنا الطيب بفضل الله تعالى أن يصل إلى البلد الأول في العالم في زراعة شجرة الزيتون.

## تفوق الإنسان في الدين بالاستقامة والعمل الصالح:

ختاماً لهذه الخطبة أضع بين أيديكم الحقيقة التالية، يتفوق الإنسان في الدين لا بحجم ثقافته الدينية، ولا بحجم عواطفه الجياشة نحو الإسلام والمسلمين، ولا بحجم المظاهر الدينية التي يحيط بها نفسه، ولكن يتفوق في الدين بمدى استقامته على منهج ربه قال تعالى:

**( إنّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ )**

( سورة الحجرات الآية: ١٣ )

يتفوق أيضاً بحجم عمله الصالح، الذي يعود نفعه على المسلمين بخاصة، وعلى الإنسانية بعامة، قال تعالى:

**( وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا(١٣٢) )**

( سورة الأنعام)

هذه الاستقامة وهذا العمل الصالح لا يُقبلان عند الله في الآخرة إلا إذا بُنيا على معرفة بالله صحيحة ومتينة، قال تعالى:

**( أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) )**

( سورة يونس)

قيل لأحد العارفين: **" من هو الولي، أهو الذي يمشي على وجه الماء ؟ قال: لا، قالوا: أهو الذي يطير في الهواء ؟ قال: لا، قال: الولي كل الولي، الذي تجده عند الحرام والحلال ".**

أن يجدك حيث أمرك، وأن يفتقدك حيث نهاك، وقد لفت نظري أيها الأخوة، كلمة قالها السيد الرئيس في الاتحاد الدولي للعمال العرب في عام واحد وثمانين، قال: " إن القريب من رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القريب بعمله، بخلقه، بقيمه، بجهاده "، هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٤٥) : خ١ - التعاون ، خ٢ - مجتمع النمل المتعاون

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٦-٢٦

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

## كل أمر في القرآن الكريم وفي السنة الصحيحة يقتضي الوجوب:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، موضوع الخطبة اليوم مضمون قوله تعالى:

**( وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢) )**

( سورة المائدة )

التعاون أمر إلهي، وكل أمر في القرآن الكريم وفي السنة الصحيحة يقتضي الوجوب، وليس الدين عبادات شعائريةً فحسب، بل إن الدين هو الحياة، كما أرادها الله عز وجل ؛ صلاح الدين، وصلاح الدنيا، وصلاح الآخرة.

في الإنسان نزعة فردية تنطلق من حبه لوجوده، ومن حبه لسلامة وجوده، ومن حبه لكمال وجوده، ومن حبه لاستمرار وجوده، وفيه أيضاً نزعة اجتماعية تنطلق من نزعته الفردية، لأن كثيراً من مطالب حياة الإنسان، وحاجاته الجسدية، والنفسية، والفكرية لا تتم إلى عن طريق الجماعة، كالأنس بالجماعة، والشعور بالأمن والطمأنينة معها، والتماس نصرتها، والتقوي بها، وتحقيق حاجاته ومصالحه من خلالها.

لكن النزعة الجماعية التي تنطلق ـ هذا نوع آخر ـ من طاعة الإنسان لله عز وجل والتقرب إليه وراء أكثر الفضائل الخلقية، فما من فضيلة يصل نفعها وخيرها إلى الآخرين إلا وفيها عنصر التخلي عن الأنا، وفيها نوع من التضحية في سبيل المجموع كوسيلة لنيل رضوان الله تعالى. والرذائل الخلقية تنبع من فردية الإنسان، وتفلته من منهج الواحد الديان، والفضائل الخلقية تنبع من انصياعه لمنهج ربه والتقرب إليه بخدمة عباده.

## جلائل الأعمال الكبرى لا تتحقق إلا عن طريق العمل الجماعي المتعاون:

أيها الأخوة الأكارم في كل مكان، الأنبياء ـ صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين ـ أعطوا كل شيء، ولم يأخذوا من الجماعة شيئاً، والذين على نقيضهم أخذوا كل شيء، ولم يعطوا الجماعة

شيئاً، والذين هم بينَ بينْ، أخذوا وأعطوا، الأنبياء ملكوا القلوب بكمالهم، وغيرهم ملكوا الرقاب بقوتهم.

إن جلائل الأعمال الكبرى لا تتحقق إلا عن طريق العمل الجماعي المتعاون، بخلاف العمل الفردي الذي لا يثمر إلا أعمالاً تتناسب مع مستوى طاقات الأفراد شدةً وضعفاً، والنزعة الفردية تنمو معها رغبة قبيحة بتهديم أعمال الآخرين حرصاً على التفرد لنيل التقدير بين الناس، ومع هذه الرغبة القبيحة تتبدد الأعمال الفردية نفسها أو تضيع ثمراتها فتحرم الإنسانية ثمرات الأعمال الجماعية، وكثيراً من ثمرات الأعمال الفردية.

إن القوة الانفرادية مع القوة الانفرادية مجتمعتين تساويان أكثر منهما متفرقتين، لأن عوامل الوهم والخوف والتخاذل تتسرب إلى الأفراد وتمتنع منها الجماعة. قال تعالى في كتابه العزيز:

**( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(٢))**

( سورة المائدة )

لأن الإنسان خليفة الله في الأرض، ولأنه مُكلف أن يأمرها بكل ما هو خير نافع، ليكون هذا الإعمار ثمناً لسعادته الأبدية في الجنة، ولأن مشيئة الله شاءت أن يُمكن الإنسان في إتقان شيء بينما هو في حاجة إلى كل شيء، إذاً كان التعاون ضرورة إيمانية وضرورة حياتية والتعاون حيادي ومطلق، فيمكن أن يكون في الخير صلاح الدنيا وصلاح الآخرة كما يمكن أن يكون في الشر في الإثم والعدوان، لذلك جاء الأمر الإلهي: بالتعاون مخصصة، بالبرّ والتقوى، والبر كما قال المفسرون: صلاح الدنيا، والتقوى صلاح الآخرة، وتأكيداً لهذا التخصيص جاء النهي عن النقيض، فقال تعالى:

**(وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ )**

كل من ساهم في خير البشرية في دينها ودنياها مخلصاً لله عز وجل له نصيب من هذا الخير يناله في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً.

## أصل الاعتصام اللجوء إلى حبل الله وكتابه وإلى سنة رسوله:

كل من ساهم في خير البشرية في دينها ودنياها مخلصاً لله عز وجل له نصيب من هذا الخير يناله في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً، وكل من ساهم في عمل آثم يبعد الإنسان عن خالقه، أو في عدوان على أخيه الإنسان يناله العقاب في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً.

**( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(٢))**

( سورة المائدة )

أيها السادة الأعزاء، يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

**( وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ أخوانا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) )**

( سورة آل عمران)

في هذه الآية يأمرنا الله جل جلاله أن نعتصم بحبله، ونحن مجتمعون غير متفرقين، وأصل الاعتصام اللجوء إلى حبل الله، إلى كتابه، إلى سنة رسوله للاعتصام به، وهذا يستلزم التمسك به، والقبض عليه بشدة، حتى يظفر المؤمنون باعتصامهم هذا بالنجاة من الهلاك.

## الاعتصام بحبل الله لا يكفي أن يكون فردياً بل لا بدّ من أن يكون جماعياً:

الاعتصام بحبل الله لا يكفي أن يكون اعتصاماً فردياً، بل لا بد أن يكون اعتصاماً جماعياً، لذلك قال الله تعالى:

**( وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ أخوانا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ )**

وأكد ذلك بالنهي عن التفرق، فقال تعالى عقب ذلك:

**( وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ أخوانا(١٠٣) )**

( سورة آل عمران)

ثم أجرى الله جل جلاله في هذا النص موازنة بين ما كانت عليه الأمة العربية في جاهليتها قبل الإسلام وما تحولت إليه بالإسلام الذي كان نعمة سيقت من الله إليهم:

**( وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ أخوانا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) )**

( سورة آل عمران)

## الإسلام ردّ النفس الإنسانية إلى فطرتها الخيّرة:

لقد كانت الأمة العربية قبل الإسلام مجزأةً متفرقة متعادية فيما بينها، وكانت على شفا حفرةٍ من النار بالشرك والظلم والعدوان، فأصبح تجزؤها وحدةً، وتفرقها اجتماعاً، وعداوتها محبة، فقد ألف الله بين قلوب أفرادها وجماعاتها بالإسلام فأصبحوا بنعمته أخواناً:

**( لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ (٦٣) )**

( سورة الأنفال )

وما كان سببَ إنقاذها، ووحدتها، وقوتها، ومجدها يظل هو السبب أبد الدهر في إنقاذها، ووحدتها، وقوتها، ومجدها، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

أخوة الإيمان في كل مكان، الإسلام رد النفس الإنسانية إلى فطرتها الخيرة، من التعاون والتناصر والتحابب، ونهى عن التفاخر والتحابب، وسوّى بين المسلمين، وجعلهم أخوة متحابين، فأصبح المسلمون أمة متعاونة على الخير، لا يفرق بين أفرادها لون ولا جنس ولا إقليم ولا مال، وجاء التوجيه الإلهي يدفع المسلمين إلى هذا السلوك الإنساني الرفيع فقال تعالى ـ دققوا في هذه الآية الكريمة:

**( وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) )**

( سورة التوبة )

لقد أنكر الإسلام النزعة الاستغلالية، وقاوم السلبية، ونبذ الأثرة والأنانية، والتهافت المسعور على التقاط جهد الآخرين، وأن يعيش الفرد على أنقاض الآخرين، يبني قوته على ضعفهم، وغناه على فقرهم، ومجده على ذلهم، وبين أن الناس جميعاً في حق الحياة وحق العمل وحق الكرامة سواء، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ))**

[أخرجه أبو داود وابن ماجة وأحمد عن عمرو بْن شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ]

## الإيمان ما إن يستقر في نفس المؤمن حتى يعبر عن ذاته بحركة خيّرة:

قال تعالى:

**( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(٧٢) )**

( سورة الأنفال )

وفي آية لاحقة:

( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) )

( سورة الأنفال)

توضح هذه الآية أن الإيمان ما إن يستقر في نفس المؤمن حتى يعبر عن ذاته بحركة خيرة نحو الآخرين، وما لم تكن هذه الحركة الخيرة نحو الآخرين، فهناك شك في وجود الإيمان أصلاً.

## المؤمنون كالجسد الواحد:

المؤمنون هاجروا، وجاهدوا، وآووا، ونصروا، لذلك هم كالجسد الواحد، إن اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، ولما لم يكن المؤمنون متناصحين، متعاونين، متباذلين، متضامنين، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، قال تعالى:

( إنّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(٧٢)وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ(٧٣) )

( سورة الأنفال)

أيها الأخوة الأكارم، عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:

(( بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِيناً وَشِمَالاً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لا حَقّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ ))

[أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ]

## مجتمع المدينة هو النموذج الأول للمجتمع الإسلامي على خلق التعاون:

المسلم الحق يعمل من أجل المجموع ولا يعيش لذاته، لكن أجره عند الله كبير، قال تعالى:

( آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ(٧) )

( سورة الحديد)

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

لقد أسس النبي عليه الصلاة والسلام مجتمع المدينة، وهو النموذج الأول للمجتمع الإسلامي على خلق التعاون، فقد ترك المهاجرون بلدهم مكة، وتركوا فيها أموالهم وكل ما يملكون، وانتقلوا إلى المدينة وليس معهم شيء، في حين كان الأنصار وهم أهل المدينة يملكون، ويقيمون في بيوتهم، ويعملون في أرضهم، فأقام النبي عليه الصلاة والسلام التوازن بين الذين يملكون والذين لا يملكون عن طريق الأخوة الإيمانية، التي تعني الحب، والإيثار، والبذل، والعطاء، فآخى بين المهاجرين والأنصار، فصار كل أخوين يتعاونان، ويتناصران، ويتشاركان في السراء والضراء، وكان الأنصاري يعرض على أخيه المهاجر أن يقاسمه كل ما يملك، لكنّ الشيء المدهش أن المهاجرين لم يستغلوا هذا السخاء، بل إن الكثير منهم اتجه إلى السوق ليأكل من كد يمينه، قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف، يا أخي دونك نصف مالي فخذه، فقال له عبد الرحمن بن عوف: بارك الله في مالك، ولكن دلني على السوق، وقد سجل القرآن الكريم هذه السورة الرائعة للإيثار، فقال تعالى:

**( وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٩) )**

( سورة الحشر)

## العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع تعود لسببين:

لو تتبعنا أسباب العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، بل بين أفراد مجتمع تربط بينهم عشرات القواسم المشتركة، قال تعالى:

**( لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ(١٤))**

( سورة الحشر)

لو تتبعنا هذه الأسباب في كتاب الله عز وجل ـ ولا ينبئك مثل خبير، والله تعالى هو الخبير ـ لوجدنا هذه الأسباب في علتين اثنتين:

## ١ـ الخروج عن منهج الله عز وجل اتباعاً للهوى:

الأولى: الخروج عن منهج الله عز وجل اتباعاً للهوى، قال تعالى:

**( وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(١٤) )**

( سورة المائدة)

## ٢ـ اتباع الشيطان:

والعلة الثانية: اتباع الشيطان، قال تعالى:

**( إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ(٩١) )**

( سورة المائدة)

كلا العلتين تجمعهما علة واحدة، وهي أن الإنسان فردي بطبعه والفردية من دون أن تُضبط بمنهج الله وراء أكثر الرذائل الخلقية من أثرةٍ، وأنانية، وغطرسة، وعداوة، وخيانة، وإجحاف. والجماعية تكليف إلهي أولاً، وصبغة يصطبغ بها المؤمن من خلال اتصاله بالله ثانياً، والروح الجماعية وراء أكثر الفضائل الخلقية من مؤاثرةٍ، وتواضع، ومحبة، وإخلاص، وإنفاق.

## الناس رجلان:

الناس رجلان ؛ رجل عرف الله فاتصل به، وانضبط بمنهجه، وأحسن إلى خلقه فسلم وسعد في الدنيا والآخرة، ورجل غفل عن الله فتفلت من منهجه، وأساء إلى خلقه فشقي في الدنيا والآخرة.
الإنسان هو سيد المخلوقات، وهو أفضل من يدرك أن الجماعة خير من الفرقة، وأن التعاون أجزى من التخاذل، ومن طبيعة الحياة الإنسانية أن يتفاوت الناس في المواهب والملكات والجهود والطاقات، فمنهم قوي ومنهم ضعيف، منهم صحيح ومنهم سقيم، منهم مستطيع ومنهم عاجز، منهم عالم ومنهم جاهل، منهم متقد الذكاء ومنهم محدود التفكير، منهم غني وفقير، منهم قائد ومقود، وتابع ومتبوع، فإذا تُركت هذه الفروق وشأنها اتسعت الهوة وظهر التناقض الحاد بين أفراد المجتمع، وأكل القوي الضعيف واستغل الغني الفقير فاختلت بنية المجتمع وانهار توازنه وسار في طريق الهاوية، عندها تسفل الأهداف وتنحط الميول، ويبيح الإنسان الشارد عن منهج الله لنفسه أكثر الوسائل قذارة لأشد الأهداف انحطاطاً، عندها تكون أزمة الأخلاق المدمرة التي تسبب الشقاء الإنساني، وحين ذلك تفسد علاقة الإنسان بأخيه، فتكون الغلبة لصاحب القوة لا لصاحب الحق، فتعيش الأمة عندها أزمة حضارية تعيق تقدمها، وتقوض دعائمها، وما يجري في العالم من حولنا أكبر دليل على ذلك.

لذلك ترى المؤمن إنساناً متميزاً، يرى ما لا يراه الآخرون، ويشعر بما لا يشعرون، يتمتع بوعي عميق، وإدراك دقيق، له قلب كبير، وعزم متين، وإرادة صلبة، هدفه أكبر من حاجاته، ورسالته أسمى من رغباته، يملك نفسه ولا تملكه، يقود هواه ولا ينقاد له، تحكمه القيم ويحتكم إليه من دون أن يسخرها لمصالحه أو يسخر منها، سما حتى اشرأبت إليه الأعناق، وصفا حتى مالت إليه القلوب.

## نموذجٌ من تعاون الفرد مع المجموع:

المؤمن شخصية فذة، لأن الإيمان درجة علمية، المؤمن عرف الحقيقة الكبرى، وانسجم معها، والإيمان درجة أخلاقية، فسلوك المؤمن تحكمه منظومة من القيم الأخلاقية، والإيمان درجة جمالية، ففي قلبه من السعادة من خلال اتصاله بالله ما لو وزعت على أهل بلدة لكفتهم.

الحظوظ التي ينالها الإنسان في الدنيا حيادية، يمكن أن تُوظف في الحق كما يمكن أن توظف في الباطل، يمكن أن تسخر في الخير كما يمكن أن تسخر في الشر، يمكن أن تكون للإنسان سلماً يرقى بها أو دركات يهوي بها، هذا نعيم بن مسعود، كان فتىً في الجاهلية فتىً يقظ الفؤاد، ألمعي الذكاء، ولاّجاً، خرّاجاً، يحسن التصرف، لا تعوقه معضلة ولا تُعجزه مشكلة، كان صاحب صبوة، وسبيل متعة، ولما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم برسالة الإسلام إلى العالمين أعرض نعيم عن هذا الدين الجديد أشد الإعراض، خوفاً من أن يحول هذا الدين بينه وبين متعه ولذاته، لكن نعيم وجد نفسه مسوقاً إلى الانضمام إلى خصوم المسلمين، مدفوعاً إلى إشهار السيف في وجوههم، لكن لحظة تفكير سليم، ولحظة محاكمة منطقية، ولحظة تأمل دقيق، ولحظة مراجعة مع النفس صادقة، ولحظة تبصر عميق، وقد تكون هذه اللحظة سبب سعادة أبدية، وفوز عظيم، قد تنقل هذه اللحظة التي فيها صدق مع النفس قد تنقل الإنسان من الشقاء إلى السعادة، من وحول الشهوات إلى جنات القربات، من سلوك المجرمين إلى بطولات الصديقين.

خرجت قريش بقضها وقضيضها، بخيلها ورجلها، بكل ما تملك، بكل وزنها، بكل ثقلها، بكل طاقتها، بقيادة أبي سفيان بن حرب متجهة شطر المدينة، كما خرجت غطفان من نجد بعدتها وعددها، بقيادة عيينة بن حصن، ومعهم نعيم بن مسعود متجهة شطر المدينة، ولن ندخل في تفاصيل معركة الخندق التي أراد خصوم المسلمين من خلالها استئصال المسلمين عن آخرهم، وفوق كل ذلك نقضت بنو قريظة عهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وانضمت إلى الأحزاب، وأصبحت قضية الدين الجديد قضية يكون أو لا يكون، قضية ساعات ـ هنالك ابتلي المؤمنين، وزلزلوا زلزالاً شديداً ـ وفوق كل ذلك انسل المنافقون من ساحة المعركة وقالوا: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ـ ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا بضع مئات من المؤمنين الصادقين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً. وفي ليلة من ليالي الحصار الذي دام عشرين يوماً، كان نعيم مستلقياً على فراشه في خيمته في معسكر المسلمين، يتقلب في مهده أرقاً، وفجأة سألته نفسه قائلة: ويحك يا نعيم، ما الذي جاء بك من تلك الأماكن البعيدة من نجد لحرب هذا الرجل ومن معه ؟ إنك لا تحاربه انتصاراً لحق مسلوب، ولا حمية لعرض مغصوب، وإنما جئت تحاربهم لغير سبب معروف، أيليق يا نعيم لرجل له عقل مثل عقلك أن يقاتل فيُقتل، أو يقتل لغير سبب ؟ ما الذي يجعلك تشهر سيفك في وجه هذا الرجل الصالح

؟ ولم يكن قد آمن بأنه نبي كريم، ما الذي يجعلك تُشهر سيفك في وجه هذا الرجل الصالح الذي يأمر أتباعه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ؟ ويحك يا نعيم ما الذي يحملك على أن تغمس رمحك في دماء أصحابه الذين اتبعوا ما جاءهم به من الهدى والحق ؟!

هذا الحوار الذاتي يحتاجه كلٌ منا كل يوم.

أيها الأخوة الكرام اتسم هذا الحوار الذاتي بالصدق والنزوح، وكان هذا الحوار الذاتي سبب سعادته الأبدية، اتخذ نعيم عقب هذا الحوار الصادق قراراً حاسماً وحازماً ونفذه مباشرة، تسلل من معسكر قومه تحت جيش الظلام ومضى يحث الخطى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه النبي ماثلاً بين يديه قال: نعيم بن مسعود ؟! قال: نعم يا رسول الله، قال: ما الذي جاء بك هذه الساعة ؟ قال: يا رسول الله جئت لأشهد أنه لا إله إلا الله، وأنك عبد الله ورسوله، وأن ما جئت به هو الحق، ثم قال: لقد أسلمت يا رسول الله، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فأمرني بما شئت، فقال عليه الصلاة والسلام: أنت فينا رجل واحد، فاذهب إلى قومك، وخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة.

هذا نموذجٌ أيها الأخوة من تعاون الفرد مع المجموع، وموضوع خطبتنا هو التعاون. الآن سيوظف نعيم عقله ولسانه وإمكاناته ومكانته لصالح هذا الدين الجديد، فقال: يا رسول الله سترى ما يسرك إن شاء الله.

مضى نعيم بن مسعود إلى بني قريظة، وكان لهم من قبل صاحباً ونديماً، وقال لهم: ماذا قال لهم ؟ ثم مضى نعيم بن مسعود إلى أبي سفيان قائد جيش قريش وقال له: ماذا قال له ؟ ثم مضى نعيم بن مسعود إلى غطفان قومه وقال لهم: ماذا قال لهم ؟ يا ترى ماذا قال لهؤلاء وهؤلاءِ وهؤلاء، هذا ما لا يتسع الوقت لذكره، ارجعوا إلى أي كتاب في سير الصحابة الكرام، وإلى سيرة نعيم بن مسعود بالذات، وعيشوا لحظات إيمانية ممتعة ونافعة مع رجل كان في صفوف المشركين، فراجع نفسه بصدق، وأعلن إسلامه، ثم كرمه الله بأن أجرى على يده خيراً عظيماً لا يزال المسلمين حتى يومهم هذا يقطفون ثماره.

## إذا كان الله معنا فمن علينا وإذا كان الله علينا فمن معنا ؟

إذا رجع العبد إلى الله نادى مناد في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله.

**( مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً(٢٩))**

( سورة الفتح)

لقد نجحت خطة نعيم مئة بالمئة، نجح في تمزيق صفوف الأحزاب، وتفريق كلمتهم، وأرسل الله على قريش وحلفائها ريحاً صرصراً اقتلعت خيامهم، وكفأت قدورهم، وأطفأت نيرانهم، وصفعت وجوههم، وملأت أعينهم تراباً، فلم يجدوا مفراً من الرحيل:

**( وَرَدّ اللّهُ الّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً(٢٥))**

( سورة الأحزاب)

هذا درس إيماني بليغ، إذا كان الله معنا فمن علينا وإذا كان الله علينا فمن معنا، ولكن معية الله التي نعقد عليها الآمال في أن تنصرنا على عدو متغطرس، سلب الأرض، وشرد الشعب، ونهب الثروات، وانتهك الحرمات، ودنس المقدسات، وأنشأ المستوطنات، هذه المعية التي نعلق عليها كل الآمال لها ثمن، ثمنها موضح في القرآن الكريم، قال تعالى:

**( وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللّهُ إِنّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمْ الصّلَاةَ وَآتَيْتُمْ الزّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمْ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنّ عَنْكُمْ سَيّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنّكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلّ سَوَاءَ السّبِيلِ(١٢))**

( سورة المائدة)

## لم يطالبنا ربنا بإعداد القوة المكافئة بل بإعداد القوة المتاحة:

لم يطالبنا ربنا بإعداد القوة المكافئة، بل بإعداد القوة المتاحة فقال تعالى:

**( وَأَعِدّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ(٦٠) )**

( سورة الأنفال )

أيها الأخوة الكرام، هذه الحقيقة الأساسية أشار إليها السيد الرئيس في مؤتمر القمة الإسلامي الثاني فقال: " يواجه العالم الإسلامي اليوم تحديات كبيرة تستهدف الإسلام وما يمثله من قيم نبيلة، وما يدعو إليه من أخوة وعدالة ومساواة وحرية، وإذا كان من واجبنا أن ندافع عن ديننا فإن لنا فيه ينبوع قوة ومصدر إلهام في مواجهة كل ما يقابلنا من أخطار وتحديات وقد جاء في الحديث الشريف عَن النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ:

**(( إِنّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً وَشَبّكَ أَصَابِعَهُ ))**

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد عَنْ أَبِي مُوسَى]

أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخـطـبـة الثانية:**

## مجتمع النمل المتعاون:

أمر تكليفي، كلف به هذا المخلوق الأول المكرم الإنسان، إن هذا يذكرني في أروع صورة من صور التعاون في مجتمع النمل، ولكن بأمر تكويني لا بأمر تكليفي.

النملة حشرة اجتماعية راقية، موجودة في كل مكان وفي كل وقت، بل إن أنواع النمل تزيد عن تسعة آلاف نوع، وبعض النمل يحيا حياة مستقرة في مساكن محكمة، وبعض النمل يحيا حياة الترحال كالبدو تماماً، وبعضه يكسب رزقه بجده وسعيه، وبعضه يكسب رزقه بالغدر والسيطرة، والنمل حشرة اجتماعية تموت إذا عُزلت عن أخواتها ولو توافر لها غذاء جيد، ومكان جيد، وظروف جيدة، كالإنسان إذا عزلته في مكان بعيد عن الضوء، والصوت، والساعة، والزمن، والليل، والنهار عشرين يوماً، فإنه يفقد توازنه العقلي.

النملة تعلم الإنسان درساً بليغاً في التعاون، فإذا التقت نملة جائعة بأخرى شبعى، تعطي الشبعى الجائعة خلاصات غذائية من جسمها ففي جهازها الهضمي جهاز ضخ تُطعم به - دققوا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم -: والله ما آمن والله ما آمن والله ما آمن من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم، ومن لم يتفقد شؤون المسلمين فليس منهم.

أيها الأخوة الكرام، للنمل ملكة كبيرة الحجم مهمتها وضع البيض، وإعطاء التوجيهات، ولها مكان أمين في مساكن النمل، وهي على اتصال دائم بكل أفراد المملكة، والنملات العاملات لها مهمات متنوعة، من مهمات العاملات تربية الصغار، وهذا يشبه قطاع التعليم، وفي النمل عساكر لها حجم أكبر، ولها رأس صلب كأن عليه خوذة، وهذا يشبه قطاع الجيش في حراسة الملكة، وحفظ الأمن، ورد العدوان، ومن مهمات العاملات تنظيف المساكن والممرات، وهذا يشبه قطاع البلديات، ومن مهمات العاملات سحب جثث الموتى من المساكن ودفنها في الأرض، وهذا يشب مكاتب دفن الموتى، ومن مهمات العاملات جلب الغذاء من خارج المملكة، وهذا يشبه قطاع المستوردين، ومن مهمات العاملات زرع الفطريات، وهذا يشبه قطاع الزراعة، ومن مهمات العاملات تربية حشرات تعيش النمل على رحيقها، وهذا يشبه قطاع مربي الماشية.

## وظائف النمل:

النمل يبني المدن، ويشق الطرقات، ويحفر الأنفاق، ويخزن الطعام في مخازن وفي صوامع، بعض أنواع النمل يقيم الحدائق، ويزرع النباتات، وبعض أنواع النمل يقيم حروباً على قبائل أخرى ويأخذ الأسرى من ضعاف النمل المهزوم الآن دققوا في قوله تعالى:

**( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) )**

( سورة الأنعام)

أيها الأخوة الأحباب، قال تعالى:

**( حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) )**

( سورة النمل)

لقد أثبت الله جل جلاله من خلال هذه الآية للنمل الكلام ونوع من المعرفة، للنملة مخٌّ صغير، وخلايا عصبية، وأعصاب لتقدير المعلومات والخرائط كي تهتدي بها إلى مواقع الغذاء وإلى أوكارها.

والنملة تملك نوعاً من التصرف العقلاني، وهي من أذكى الحشرات، وهي ترى بموجات ضوئية لا يراها الإنسان، ولغة النمل كيماوية، لها وظيفتان التواصل والإنذار، فلو سحقت نملةٌ فإن رائحة تصدر عنها تستغيث بها النملات أو تحذرها من الاقتراب من المجزرة ولا تستطيع نملة دخول وكرها إلا إذا بينت كلمة السر. للنمل جهاز هضم مدهش فيه فم ومري ومعدة وأمعاء وجهاز مص وجهاز ضخ.

أيها الأخوة الكرام أختم هذا الموضوع بقول الإمام علي كرم الله وجهه: **" انظروا إلى النملة في صغر جثتها، ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على أرضها، وصُبت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها، وتعدها في مستقرها، تجمع من حرها لبردها، وفي وردها لصدرها، مكفولة برزقها، مرزوقة بوسقها، لا يغفلها المنان، ولا يحرمها الديان، ولو في الصفا الوابد والحجر الجامد ولو فكرت في مجاري أكلها في علوها وسفلها، وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها، لقضيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعباً، فتعالى الله الذي أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه على خلقها قادر ".**

## الابتعاد عن التناقضات التي تُبعد الإنسان عن الاستجابة له:

أيها الأخوة الأحباب، سألني سائل قال لي: ما لنا ندعو الله فلا يستجيب لنا ؟ إن هو بهذا السؤال يريد أن يقلل من قيمة الدعاء.

قلت له: العارف بن أدهم مر ذات يوم بسوق البصرة، فقيل له: يا أبا إسحاق، إن الله تعالى يقول: ادعُني أستجب لكم ونحن ندعوه فلا يستجيب لنا.

فقال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء ؛ عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، قرأتم القرآن فلم تعملوا به، ادعيتم حب رسولكم فلم تعملوا بسنته، قلتم: إن الشيطان لكم عدو فاتخذتموه ولياً، قلتم: إنكم مشتاقون إلى الجنة فلم تعملوا لها، قلتم: إنكم تخافون من النار فلم تتقوها، قلتم: إن الموت حق فلم تستعدوا له، اشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم، تقلبتم في نعم الله فلم تشكروه عليها، دفنتم موتاكم فلم تعتبروا، فكيف يُستجاب لكم ؟!!

أرجو الله جل جلاله أن لا تنطبق هذه التناقضات علينا حتى يستجيب الله لنا.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٤٦) : خ١ - معركة بدر الأولى ، خ٢ - سرعة الضوء

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-٠١-٠٨

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

## أحاديث تبين ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون في شتى أقطارهم وأمصارهم:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ الواحد إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ))**

[ متفق عليه عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ]

وقال أيضاً:

**(( المؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَصَحَة مُتَوَادُّونَ، وَإِنِ افْتَرَقَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ، وَالْفَجَرَةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ غَشَشَةٌ مُتَخَاذِلُونَ، وَإِنِ اجْتَمَعَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ))**

[ الترغيب والترهيب للمنذري، والبيهقي في شعب الإيمان ]

وقال:

**((وَالْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ))**

[ البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى ]

وفي الحديث أيضاً:

**(( والْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، ويَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ))**

[ أبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ]

وقال أيضاً:

**(( إِنّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ، لاَ يُسَالَمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ إلاّ عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ ))**

[ انظر السيرة النبوية لابن هشام ]

هذا وصف دقيق مِن قِبَل مبعوثِ العنايةِ الإلهيةِ لِمَا عليه المؤمنون، أو لِمَا ينبغي أن يكونوا عليه في شتى أقطارهم وديارهم ؛ مِن تعاونٍ، وتناصرٍ، وتعاطفٍ، فهُمْ كالجسدِ الواحدِ، نَصَحَةٌ متوادُّون،

وهمْ بنيانٌ واحد يشدُّ بعضُه بعضاً، وهمْ يدٌ على مَن سواهم، سِلمُهم واحدة، وحربُهم واحدة، هذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون في شتى أقطارهم وأمصارهم.

## أوصاف المؤمنين في الكتاب والسنة مقاييسُ دقيقةٌ نقيسُ بها إيمانَنا:

أوصاف المؤمنين في الكتاب والسنة مقاييسُ دقيقةٌ نقيسُ بها إيمانَنا، أو هي أهدافٌ نضعها نصْبَ أعيننا، وينبغي أنْ نسعى إليها ۰

فلا بدّ للمسلمِ الصادق أن يحملَ همومَ أخوانه المسلمين في مختلف أصقاعهم وأمصارهم، ومَن لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم، بل إنّ تطلُّعَ المسلمِ إلى أن يكون أخوانه في شتى أقطارهم أعزّةً كرماء، يملكون أمرَهم ومصيرَهم لَهيَ علامةٌ من علاماتِ إيمانه، وإنّ حرصَ المسلم على أن يكونَ المسلمون متعاونين متناصرين لَهيَ علامةٌ من علاماتِ إخلاصِه، فالفردية طبْعٌ، والتعاونُ الجماعيُّ تكليفٌ، والإنسانُ المؤمنُ يتعاونُ مع أخوانه المؤمنين بقدْرِ طاعته لله، وينسلخُ منهم، ويؤكِّد فرديتَه بقدْرِ تفلُّتِه مِن منهج الله، وحينما ينهى الإنسانُ نفسَه عن خصائص طبعِه التي هي في الأصل تُناقِضُ التكليفَ، ليكون هذا التناقضُ ثمناً للجنة، وحينما ينهى الإنسانُ نفسَه عن خصائص طبعه، ويحمِلُها على طاعة ربّه يكون حينَئذٍ قد أخَذ بسببٍ مِن أسبابِ دخولِ جنة ربه، قال تعالى:

**( وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) )**

( سورة النازعات)

## من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم:

أيها الأخوة المستمعون، أيتها الأخوات المستمعات، قال تعالى:

**( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي )**

( سورة النور الآية: ٥٥ )

أنجزَ اللهُ وعدَه للمؤمنين يومَ عبدوهُ حقّ العبادةِ، فأطاعوه ولم يعصوه، وشكروه ولم يكفروه، وذكَروه ولم ينسَوه، فجعل اللهُ منهم قادةً للأمم بعد أنْ كانوا رعاةً للغنم، لكنّ الذي حدَث أنْ قلَبَ المسلمون لدِينهم ظَهْرَ المِجَنّ.

## ١ـ وصف نبينا الكريم في أحاديثه النبوية الغيّ الذي توّعد اللهُ به المقصّرين وبيّن أسبابه:

قال الله تعالى في كتابه:

**( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (٥٩) )**

( سورة مريم )

من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام أنه وصف هذا الغيّ الذي توّعد اللهُ به المقصّرين، وبيّن أسبابه، وكأنه صلى الله عليه وسلم بيْننا يَرى ما نَرى، ويسمع ما نسمع، فَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( يُوشِكُ الأمَمُ أنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأكَلَةُ إلَى قَصْعَتِهَا، فَقالَ قائِلٌ: يا رسول الله وَمِنْ قِلّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قالَ: بَلْ أنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنّ اللّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنّ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقالَ قائِلٌ: يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا الْوَهْنُ ؟ قالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))**

[ رواه أبو داود وأحمد عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ]

هذا وصف دقيق للغيّ الذي توعّد اللهُ به المقصّرين.

فالأمم اليوم يدعو بعضُها بعضاً لمقاتلةِ المسلمين، وكسرِ شوكتهم، وسلبِ ثرواتهم، وأخذِ أموالهم، واغتصابِ أراضيهم، كما تداعى الأكَلَةُ إلى قصعتها، يأخذون منها بلا مانع ولا منازع، فيأكلونها عفواً وصفواً، ويأخذون ما في أيديهم بلا تعبٍ ينالهم، أو ضررٍ يلحقهم، أو بأسٍ يمنعهم.

فانظروا إلى هذا الوهَن الذي هو سرُّ الضعف، الذي جعل الناس عبيداً لدنياهم، عشاقاً لأوضاعهم الرتيبة، تُحرّكهم شهواتُهم وشبهاتُهم، وتسيّرُهم رغائبُهم ونزواتُهم، وهذا هو الوهَن، حينما يكره الإنسان لقاء ربه، ويترقب الموت كامناً في كل اتجاه، فيفزع من الهمس، ويألم من اللمس، يُؤْثِر حياةً يموت فيها كلّ يوم موتات، على حياة كريمة عزيزة أبدية في جنة ربّه، فالعجبُ كل العجب أن يكون النورُ بين أيديهم، والرائدُ نصْبَ أعينهم، ثم هم يلحقون منهومين بركاب الأمم الشاردة عن الله، في نهجهم وسلوكهم، فلا يستطيعون رشاداً، ولا يهتدون سبيلاً، وحالهم لا يعدو ما وصفَ ذلك الشاعر بقوله:

**كالعِيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء مِنْ فوق ظهورها محمولُ**

* * *

## ٢ـ ذكر ما يصيب المسلمين آخر الزمان من بأساء وضراء بسبب إعراضهم وتقصيرهم:

من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام، ومن خلال إعلام الله له، أنه ذكر ما يصيب المسلمين ـ في آخر الزمان ـ من بأساء وضراء بسبب إعراضهم عن ربهم، وتقصيرهم في طاعتهم له، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ:

**(( أقبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللّهِ صلّى اللّهم عَلَيْهِ وَسَلّمَ فقالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنّ وَأَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قطُّ حَتّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلا فَشَا فِيهِمُ الطّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمِ الّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السّمَاءِ، وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلا سَلّطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُ بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمّتُهُمْ بِكِتَابِ اللّهِ، وَيَتَخَيّرُوا مِمّا أَنْزَلَ اللّهُ إِلا جَعَلَ اللّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ ))**

[ سنن ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ]

إنها المعاصي والذنوبُ، والمجاهرةُ بالفواحش والآثامِ، والتعرُّضُ لسخطِ جبّارِ السماواتِ والأرض، فإنه ما نزل بلاءٌ إلاّ بذنب، ولا رُفع إلاّ بتوبة، وإنه ما حصل البلاءُ العامُّ في بعض البلاد، ولا وقعت المصائبُ المتنوعةُ، والكوارثُ المروّعة، ولا فَشَتِ الأمراضُ المستعصيةُ التي لم يكن لها ذِكرٌ في ماضينا، ولا حُبِسَ القطرُ من السماء، إلاّ نتيجةَ الإعراض عن طاعة الله عز وجل، وارتكابِ المعاصي، والمجاهرةِ بالمنكرات، وكلما قلّ ماءُ الحياء قلّ ماءُ السماء.

## خطاب الرسول الكريم لقتلى بدر من المشركين:

الآن ننتقل بحضراتكم عبرَ البُعْدِ الزمانيّ إلى السابعَ عشر من رمضان عام اثنين لهجرة النبي عليه الصلاة والسلام، وعبْر البُعْدِ المكانيّ إلى بدر، وهو مكانٌ بيْن مكة والمدينةِ، جَرَتْ فيه أولُ معركةٍ بين المسلمين والمشركين، ولننظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد وقف أمام قليب ـ بئر مهجورة ـ طُرِحتْ فيه جثثُ القتلى مِن صناديدِ قريش، ولنستمع إليه وهو يخاطبهم، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**(( تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلاثاً ثُمّ أَتَاهُمْ فقامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ فقالَ: يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً فَإِنّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبّي حَقّاً ؟ فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فقالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيّفُوا ؟ قالَ: وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا ثُمّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلِيبٍ))**

[ رواه مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]

يا لها من كلماتٍ بليغات، تلك التي خاطب بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القتلى مِن كفار قريش، بَعْدَ أنْ أمرَ بطرحهم في قليبٍ ـ أي بئر ـ لدفنهم، وذلك إثرَ انتصارِ المسلمين في أولِ مواجهةٍ لهم مع أعدائهم، انتصروا وهم قلّة قليلة مُستضعَفة، على كثرة كثيرة مِن صناديد قريش، وهم أشداءُ مستكبرون.

لقد كان جيشُ المسلمين في بدر ضئيلَ العَدد، قليلَ العُدد، فأصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا معه لا يزيدون عن ثلاثمئة، بل يَنقصون عن ذلك، ولكنّ الواحدَ منهم كألفٍ، والألفُ مِن أعدائهم كأفٍّ، فَهُمْ يحبُّون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة.

## نوعية القيادة التي قادت جيشَ المسلمين إلى النصر عشية موقعة بدر:

استعرض الرسولُ جيشَه كما يفعل القادةُ قُبيل المعركة لاستجلاء معنوياته فقال:

**(( أشيروا عليّ أيها الناس.. ويعني بذلك الأنصار، لأنهم كانوا أكثر عدداً، فقال له سعدُ بنُ معاذ: والله فكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجلْ، فقال: قد آمنا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئتَ به هو الحقُّ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردتَ، فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضتَ بنا البحر فخضتَه لخضناه معك، ما تخلّف منا رجل واحد.. وما نكره أن تلقى بنا عدوَنا غداً وإنا لصبُر في الحق، صُدُق عند اللقاء، فصِلْ حبال مَن شئت، واقطعْ حبال مَن شئت، وعادِ مَن شئت، وسالم مَن شئت، وخذ مِن أموالنا ما شئت، وأعطِنا ما شئت، وما أخذتَ منا كان أحبّ إلينا ممّا تركتَ، فلعل اللهَ يُريك منا ما تقرُّ به عينُك، فسِرْ بنا على بركةِ الله))**

[ السيرة النبوية وكتاب الثقاة لابن حبان ]

هذا نموذج مِن مقاتلِي الجيش عشية موقعةِ بدرٍ، إنهم على أُهْبَةِ الاستعداد للتضحية بالغالي والرخيص، والنفس والنفيس، دعماً للحقّ، ولدين الحقّ، ولرسول الحقّ.

أمّا عن نوعية القيادة التي قادت جيشَ المسلمين إلى النصر عشية موقعة بدر فإليكم بعضَ ما روته كتبُ السيرة: لقد كان جيشُ المسلمين، فضلاً عن ضآلة العَدَد، في قِلّةٍ مِنَ العُدَد، فليس مع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحبه سوى سبعينَ بعيراً، والمسافةُ بين المدينة وبدرٍ تَرْبُو على مئة وستين كيلو متراً، فأعطى النبيُّ الكريمُ صلى الله عليه وسلم توجيهاً، بأنْ يختصّ كلُّ ثلاثةٍ براحلة، وقال صلى الله عليه وسلم:

**(( وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة، فكان أبو لُبابة وعليُّ بن أبي طالب زميلَيْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فكانت نوبةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أي دورُه في السير ـ فقالا له: نحن نمشي عنك ـ ليظل راكباً ـ فقال: لا.. ما أنتما بأقوى مني على السير، ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر ))**

[ أخرجه الحاكم وابن حبان عن ابن مسعود ]

فمشى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه راكبان، فهذا الذي يمشي وصاحباه يركبان هو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وقائدُ الجيش. فهل تُدهِشُنا بعد هذا شجاعةُ أصحابه وتضحياتُهم وإقبالُهم

على الموت بعد أنْ سوّى نفسَه بهم في كلِّ شيء ؟ وهل يُدهشنا تعلّقهم به، وتفانِيهم في محبّته، وقد كان لهم أباً رحيماً، وأمّاً رؤوماً، وأخاً ودوداً، ونبياً ورسولاً ؟ ولقد صدق الله العظيم إذ يقول:

**( وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ )**

( سورة القلم )

## وصف دقيق لأعداء اليوم:

والآن نعود بحضراتكم عبر البُعْدِ الزماني من السابع عشر من رمضان من العام الثاني للهجرة، إلى العشرين من رمضان من العام التاسع عشر بعد الأربعمئة والألف، وعبْر البعد المكاني من أرض المعركة في بدر قرب المدينة المنورة إلى فسطاط المسلمين، مدينة قرب الغوطة يقال لها دمشق، هي خيرُ بلادِ المسلمينَ للمسلمين يومئذٍ، والتي قال عنها سيّدُ الخلق، وحبيبُ الحقّ:

**(( إِنِّي رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ قدِ انْتُزِعَ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي فَإِذَا هُوَ نُورٌ سَاطِعٌ، فَعُمِدَ بِهِ إِلى الشّامِ، ألاَ وَإِنّ الإِيمَانَ إِذَا وَقَعَتْ الْفِتَنُ بِالشّامِ ))**

[ أحمد عن عمرو بن العاص ]

نعود بكم إلى دمشق لنتابع خطبة الجمعة المنقولة عبر الأثير.

أيها السادةُ الأعزاء، هذا النصرُ المؤزّرُ العزيزُ الذي فرح به ويفرحُ له المؤمنون في كلّ عَصرٍ ومَصرٍ، والذي نحن في أمسّ الحاجة إليه، لأننا نواجه أعداءً ماتت في ضمائرهم وضمائر الذين انتخبوهم كلُّ القيمِ الإنسانية، والأعراف الدولية، وداسوا على حقوق الإنسان بحوافرهم، وبَنَوْا مجدهم على أنقاض الشعوب، وغِنَاهم على إفقارها، وقوّتَهم على تدمير أسلحتها. إنهم يصفون المالكَ الطريدَ المشرّدَ للأرض إرهابياً لا حقّ له، والمتمسكَ بدينه القويم أصولياً، ويجعلون اللصّ الغالبَ على المقدسات ربَّ بيتٍ محترَماً، يملكون الأرضَ لا بالإحياء الشرعي ولكنْ بالإماتةِ الجماعيةِ والقهرِ النفسيّ، قال تعالى:

**( حَتّى إِذَا أَخَذَتْ الأرْضُ زُخْرُفَهَا وَازّيّنَتْ وَظَنّ أَهْلُهَا أَنّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأمْسِ )**

( سورة يونس: الآية ٢٤ )

بل إنّ هؤلاء المستكبرين ربّما طالبوا الشعوبَ المستضعفة أنْ يلعَقوا جراحهم، ويبتسموا للغاصب، وأن يَعُدُّوا حقّهم باطلاً، وباطلَ غيرهم حقاً، وفي مثل هذا يقول عليه الصلاة والسلام:

**(( كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَأْمُرُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تَنْهَوْا عَنْ مُنْكَرٍ؟ قالُوا: وَكَائِنٌ ذلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وأَشَدّ مِنْهُ سَيَكُونُ، قالُوا: وَمَا أَشَدُّ مِنْهُ؟ قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَراً وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفاً ؟ قالُوا: وَكَائِنٌ ذلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَأَشَدّ مِنهُ**

**سَيَكُونُ، قالُوا: وَمَا أَشَدُّ مِنْهُ ؟ قالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالْمُنْكَرِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ ؟ قالُوا: وَكَائِنٌ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَأَشَدّ مِنْهُ سَيَكُونُ))**

[رواه أبو يعلي من حديث أبي هريرة]

## ثمن النصر يتلخص بكلمتين الإيمان والإعداد:

هذا النصرُ المؤزّرُ العزيزُ ما سرُّه ؟ ومَن يصنعه ؟ وما العاملُ الحاسمُ فيه ؟ إنّه اللهُ عز وجل، وهذا استناداً لقوله تعالى:

**( وَمَا النَّصْرُ إِلاّ مِنْ عِندِ اللّهِ )**

( سورة الأنفال الآية: ١٠ )

وقوله:

**( إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ )**

( سورة آل عمران الآية: ١٦٠ )

إذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان الله عليك فمن معك ؟ والآن أليس لهذا النصرِ الذي هو مِن عند الله قواعدُ ؟ أليست له شروط ؟ أليس له ثمن ؟

إن هذه القواعدَ وتلك الشروطَ وهذا الثمنَ تتلخّص كلها بكلمتين: الإيمان والإعداد، أمّا الإيمان فقد قال تعالى:

**( وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِين )**

( سورة الروم )

وأمّا الإعداد فقال تعالى:

**( وَأَعِدّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّةٍ )**

( سورة الأنفال الآية: ٦٠ )

فالإيمان الذي يحمل صاحبَه على الاستقامة والعمل الصالح وحدَه شرطٌ لازمٌ غير كافٍ، والإعداد الذي يستنفد الطاقاتِ وحدَه شرطٌ لازمٌ غيرُ كافٍ، بل لا بد مِن الإيمان الحقّ والإعدادِ الصحيح

## علاقة الإيمان بالنصر علاقة ثابتة:

إن علاقة الإيمان بالنصر علاقة رياضية ـ أي ثابتة ـ توضِّحها الآية:

**( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مئة يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنْ الّذِينَ كَفَرُوا بِأَنّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ(٦٥)الْآنَ خَفّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنّ فِيكُمْ**

**ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مئة صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ(٦٦) )**

( سورة الأنفال )

يتضح من خلال هذه الآيةِ الكريمةِ أنّ معادلة النصر في حالة قوّةِ الإيمان واحدٌ إلى عشَرة، وفي حالة ضَعف الإيمان واحدٌ إلى اثنين، وفي حالة انعدام الإيمان يكون النصر للأقوى عدداً وعُدّةً، وما يتبع ذلك، ذلك أنّ المعركة بين حقّين لا تكون، لأنّ الحقّ لا يتعدّد، والمعركة بين حقّ وباطل لا تطول، لأنّ الله مع الحقّ، والمعركة بين باطلين لا تنتهي، وعندئذ تحدّثْ عن العَدَد والعُدَد، والخطط والحيل.

## الإعدادُ أمرٌ إلهيٌّ قطعيُّ الثبوتِ وهو وحده شرطٌ لازمٌ غير كاف:

إن الإيمان يبدِّل طبيعة النفس ويغيّر قيمَها ومطامحَها، ويُصعِّد ميولَها ورغباتِها، ويخفِّف مَن متاعبِها وهمومِها، ويُقوّي رجاءَها وأملَها، ويقلِّب أحزانَها أفراحاً، ومغارمَها مغانمَ. تؤكِّد هذه الحقيقة وصيةُ سيدِنا عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه إلى سيدنا سعدِ بن أبي وقّاص رضي الله عنه: " أمّا بعدُ، فإني آمرك ومَن معك من الأجناد بتقوى الله عز وجل على كل حالٍ، فإنّ تقوى الله أفضلُ العُدّة على العدوّ، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمُرُك ومَن معك أن تكونوا أشدّ احتراساً مِنَ المعاصي منكم مِنْ عدوِّكم، فإنّ ذنوبَ الجيش أخوفُ عليهم مِن عدوّهم، فإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوةٌ، إنّ عددَنا ليس كعددهم، ولا عُدّتنا كعدّتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضلُ علينا بالقوة. هذا هو الإيمان.

وأما الإعدادُ فهو وحده شرطٌ لازمٌ غير كاف أيضاً، وهو أمرٌ إلهيٌّ قطعيُّ الثبوتِ لقوله عز وجل:

**( وَأَعِدُّواْ لَهُم مّا اسْتَطَعْتُم مّن قُوّةٍ وَمِن رّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ )**

( سورة الأنفال الآية: ٦٠ )

المؤمنون بمجموعهم مأمورون بإعداد العُدّة، ليواجهوا بها قُوى البغي والكفر، فكلمة: ( مَا اسْتَطَعْتُمْ) تعني استنفادَ الجهدِ، لا بذلَ بعضِ الجهد، والقوةُ التي ينبغي أن يُعدّها المؤمنون جاءت في الآيةِ مُنكّرة تنكيرَ شمولٍ، ليكون الإعداد شاملاً لكل القُوى التي يحتاجها المؤمنون في مواجهة أعدائهم ؛ من قوةٍ في العَدد، وقوةٍ في العُدد، وقوةٍ في التدريب، وقوةٍ في التخطيط، وقوةٍ في الإمداد، وقوةٍ في التموين، وقوة في الاتصالات، وقوة في المعلومات، وقوةٍ في تحديدِ الأهداف، وقوةٍ في دقةِ الرمي، وقوةٍ في الإعلام، بل إن كلمة( مِن ) التي سبقت القوةَ جاءت لاستغراق أنواع القوةِ واحدةٍ إثر واحدة، فلقد أفادت استقصاء أنواع القُوى، لا اصطفاءَ بعضِها، وكلمة

**(وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ)**

جاءت عطفاً للخاص المألوف وقتَ نزولِ القرآن على العامِ الذي يستغرق كلّ الأزمان والبيئات، والتطوراتِ والتحديات، وهذا الإعدادُ يحققُ أهمّ أهدافِه، ولو لم تقع المواجهةُ مع العدو، إنها رهبةُ القويّ التي تُقذَف في قلوب أعدائِه، لقوله تعالى:

( تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ )

## كلّ القوةِ في إحكامِ الرمي وإصابةِ الهدف:

قال تعالى:

( سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الّذِينَ كَفَرُواْ الرّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ)

( سورة آل عمران الآية: ١٥١ )

وقال عليه الصلاة والسلام:

((نُصِرْتُ بِالرُعْبِ مَسِيرة شَهْرٍ))

[ أخرجه البخاري عن جابر ]

وحينما لا تّتبع أمتُه سُنتَه من بعده ربما تُهزم بالرعبِ مسيرةَ عام. بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى أن القوةَ كلّ القوةِ في إحكامِ الرمي وإصابةِ الهدف، وهو مقياس خالد للقوة، وهو عنصر أساسي في كسبِ المعارك مهما اختلفت أنواعُ الأسلحة وتطورت مستوياتُها الفنّية، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ:

((وَأَعِدّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّةٍ أَلَا إِنّ الْقُوّةَ الرّمْيُ أَلَا إِنّ الْقُوّةَ الرّمْيُ أَلَا إِنّ الْقُوّةَ الرّمْيُ))

[ رواه مسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ]

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ:

(( إِنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ يُدْخِلُ بِالسّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنّةَ صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرّامِيَ بِهِ وَمُنْبِلَهُ وَارْمُوا وَارْكَبُوا وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا لَيْسَ مِنْ اللّهْوِ إِلّا ثَلَاثٌ تَأْدِيبُ الرّجُلِ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلَهُ وَرَمْيُهُ بِقَوْسِهِ وَنَبْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ الرّمْيَ بَعْدَ مَا عَلِمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإِنّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا أَوْ قَالَ كَفَرَهَا ))

[ رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ]

## الله جلّ جلاله لم يكلِّفْنا أن نُعِّدَ القوة المكافئة لأعدائنا ولكن كلّفنا أن نُعِدّ القوة المتاحة:

والآن دققوا ـ أيها الأخوة ـ في هذا الاستنباط من قوله تعالى:

( وَأَعِدّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّةٍ )

، إن الله جل في عُلاه لم يكلِّفنا أن نُعِّدَ القوةَ المكافئة لأعدائنا، ولكن كلّفنا أن نُعِدّ القوةَ المتاحة، وهذا من رحمة الله بنا، وعلى الله أن ينجز وعده بالنصر.

كما أن من الواجبِ علينا أن نبحث في كل مظنّةِ ضَعْفٍ عن سببِ قوةٍ كامنةٍ فيه، ولو أخلصَ المسلمون في طلبِ ذلك لوجدوه، ولصار الضعفُ قوةً، لأنّ الضعفَ قد ينطوي على قوةٍ مستورةٍ يؤيّدها اللهُ بحفظِه ورعايته، فإذا قوةُ الضعفِ تَهُدُّ الجبال، وتدكُّ الحصون، قال تعالى:

**( وَلِلّهِ جُنُودُ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً(٧) )**

( سورة الفتح )

إن الحديثَ عن القوةِ النابعةِ من الضعفِ ليس دعوةً إلى الرضا بالضعفِ، أو السكوتِ عليه، بل هو دعوةٌ إلى استشعار القوة حتى في حالة الضعف، وربما صحّت الأجسامُ بالعلل، فينتزع المسلمون من هذا الضعف قوةً تحيل قوةَ عدوّهم ضعفاً، وينصرهم اللهُ نصراً مبيناً، قال تعالى:

**( وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنّ عَلَى الّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمّةً وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ(٥) )**

( سورة القصص )

هذه الحقائقُ المستنبَطةُ من القرآن الكريم هي منهجُ الله لخلقِه، وتلك التوجيهاتُ التفصيليةُ والتوضيحيةُ التي جاءت في سنةِ نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وهذه المواقفُ الأخلاقيةُ الرائعةُ والحكيمة التي وقفها المصطفى صلى الله عليه وسلم أسوتُنا وقدوتُنا، وتلك البطولاتُ الفذّةُ التي ظهرت من أصحابه الكرامِ، أمناءِ دعوتِه، وقادةِ ألويته، هذه كلُّها نضعها بين أيدي أبناءِ أمتِنا العربيةِ والإسلاميةِ، وهي تخوض المعاركَ تِلوَ المعاركِ مع أعدائها أعداءِ الحق والخير.

## الصدق والإخلاص مع متابعةِ الرسول صلى الله عليه وسلم هيَ سُلّمٌ للفلاح:

لأنّ البكاءَ لا يُحيي الميتَ، ولأن الأسف لا يَردُّ الفائتَ، ولأن الحزنَ لا يدفعُ المصيبة، ولكنّ العملَ مفتاحُ النجاح، والصدقَ والإخلاصَ مع متابعةِ الرسول صلى الله عليه وسلم هيَ سُلّمٌ للفلاح، قال تعالى:

**( وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(١٠٥))**

( سورة التوبة)

هذه الحقيقةُ الأساسيةُ أشار إليها السيدُ الرئيسُ في مؤتمر القِمة الإسلامي الثاني فقال: يواجِهُ العالمُ الإسلاميُ اليومَ تحدياتٍ كبيرةً تستهدفُ الإسلامَ وما يمثِّله من قيمٍ نبيلةٍ، وما يدعو إليه من أخوّةٍ وعدالةٍ ومساواةٍ وحرية، وإذا كان من واجبنا أن ندافعَ عن ديننِا فإنّ لنا فيه يَنبوعَ قوةٍ ومصدرَ إلهامٍ في مواجهةِ كلّ ما يقابلُنا من أخطارٍ وتحدياتٍ، وقد جاء في الحديث الشريف:

**((إنّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ))**

[ أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري ]

وأما السلامُ الذي نُدعى إليه فنحن حريصون عليه راغبونَ فيه، على أن يكون سلاماً عادلاً، تُسترجَع قبلَه الأرضُ، وتُستردُ فيه الحقوقُ، وتتوافرُ فيه الكرامة. وإن تعنُتَ إسرائيلَ أوصَلَ عملية السلام إلى طريقٍ مسدودٍ ـ كما قال السيدُ الرئيسُ ـ فهي ترفض رفضاً مطلقاً كلّ مقومات السلام، وتنهج نهجَ المراوغةِ والخداعِ، وتستفزّ الضميرَ الإسلاميَ والعربيَ والإنسانيَ بإنشاءِ مزيدٍ من المستوطناتِ، ويضيف السيدُ الرئيسُ قائلاً: إن الخلاص يكون في الإسلام الذي عندما كنا متمسكينَ به لم يستطع أحدٌ أن يُذلّنا، الإسلام دين الحق والعدالة والمساواةِ بين البشر، الإسلام مصدُر قوةٍ لنا جميعاً، إن هذا يفرض علينا أن نناضلَ بكل قِوانا وبصدقٍ و إخلاصٍ لحماية الدين الحنيفِ من هذه المؤامراتِ الاستعماريةِ، لنحفظ له مهابتَه وجلالَه، وليبقى مصدرَ عزةٍ و قوةٍ للمسلمين، وليبقى حافزاً لتقدُمِهم في كل مجال.

***

**الخـطـبـة الثانية:**

## دورة القمر حول الأرض:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

**( يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥))**

( سورة السجدة)

إنّ القرآن يخاطب أناساً يعتمدون السَنَةَ القمَرية، فالقمرُ يدور حول الأرض كلّ شهر دورةً، فلو قِسنا بُعْدَ مركزِه عن مركزِ الأرض، أي نصفَ قطرِ الدائرةِ التي هي مسارُ القمرِ حولَ الأرض، وحسبْنا محيطَ هذه الدائرة بعد معرفةِ نصفِ قُطرِها، لعرفنا عددَ الكيلو مترات التي يقطعها القمرُ في دورته حولَ الأرض كلّ شهر، ولو أخذنا طولَ محيطِ هذه الدائرة، وضربْناه في اثني عشر شهراً، لعرفنا كم يقطعُ القمرُ من الكيلومترات في رحلته حول الأرض في العام، هذه الكيلو مترات التي يقطعها القمرُ في رحلته حول الأرض في العام لو ضربناها في ألف، لعرفنا كم يقطع القمر في رحلته حول الأرض في ألفِ عام، هذا الرقم يساوي المسافة مقدرةً بالكيلو مترات التي يقطعها القمرُ في رحلته حول الأرض في ألف عام:

**( فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥) )**

( سورة السجدة)

ما يقطعه القمر في ألفِ عام يقطعه الضوءُ في يوم، بدليلِ أنّنا لو قسمنا ما يقطعه القمرُ في رحلته حول الأرض في ألف عام وهي المسافة على ثواني اليوم، وهي أربعةٌ وعشرون ساعة، تُضرَب

في ستين ضرب ستين، وهي الزمن، ولو قسمنا المسافة على الزمن لظهر معنا الرقم التالي، وهو مئتان وتسعٌ وتسعونَ ألفاً وسبعمئة واثنان وتسعونَ كيلومتراً ونصف كيلومتر، وهذه النتيجة تتفقُ تماماً مع سرعة الضوءْ المعلنةِ دولياً، طبقاً لبيان المؤتمر الدولي المنعقدِ في باريسَ، وسرعةُ الضوء هي أهمُّ قانون عرفتهُ البشرية في القرن العشرين، وهذه السرعةُ هي أعلى سرعةٍ في الكون، فالشيءُ إذا سار بسرعة الضوءِ أصبح ضوءاً، وأصبحت كتلتُه صفراً، وحجمُه لا نهائياً، وعندئذ يتوقف الزمنُ، فإذا سارَ الجسمُ أسرعَ من الضوء تراجع الزمنُ، فإذا قصّر عن الضوء تراخى الزمن.

المسافة التي يقطعها القمرُ في مداره الخاص حول الأرض في ألف سنةٍ قمريةٍ تساوي المسافة التي يقطعها الضوءُ في يوم أرضي واحد، وهذه هي النظرية النسبية التي يتيه الغرب بها.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٤٧) : خ١ - تربية الأولاد في الإسلام ، خ٢ - منعكس المص - حليب الأم .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-٠٤-٠٩

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

أنت ـ أيها الإنسان ـ المخلوق المكرم، والمخلوق المكلف، صانك الله فلا تبتذِل، أعزّك فلا تذِل، أعلاك فلا تسفُل، نقّاك فلا تتلطخ، يسرّ لك فلا تتعسر، قرّبك فلا تتباعد، أحبك فلا تتبغّضْ، جدّ بك فلا تكسَل، استخلفك فلا تتّكل، أعتقك فلا تتعبّد، أقالك فلا تتعثر، نسبك فلا تجحد، جبرك فلا تنكسر، أنبتك فلا تذوِ، حسّنك فلا تقبُح، حلّاك فلا تسمُج، علّمك فلا تجهل، نوّه بك فلا تخملْ، قوّاك فلا تضعُف، لطّفك فلا تكثُف، أسرّك فلا تنكشف، انتظرَك فلا تتوقف، أمّنَك فلا تتخوّف، قوّمك فلا تتقصف، ندّاك فلا تنشف.

## الأطفال هم غراس الحياة وقطوف الأمل وقرّة عين الإنسان:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، موضوع الخطبة اليوم: تربية الأولاد في الإسلام، ولأنّ الأطفال غراس الحياة، وقطوف الأمل، وقرّة عين الإنسان، وزهور الأمة المتفتحة، والبراعم الإنسانية المتألقة، عليهم المعوّل في الحفاظ على مكاسب الأمة، واستعادة ماضيها المجيد، وخوض معاركها الضارية والمصيرية ضد أعدائها .

إنّ للطفولة في الإسلام عالمَها الخاص، المفعم بالعناية والاهتمام، وحديث القرآن عن الطفولة يفيض بالمودة، فإنّ الله تعالى يقسِم بالطفولة:

**( لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) )**

( سورة البلد )

والأطفال هم البُشرى، قال تعالى مبشّراً نبيّه زكريا:

**( يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا(٧))**

( سورة مريم )

وهم قرة العين.

## المودة والرحمة هما الطفل الذي يقوّي العلاقة بين الزوجين ويجعلها أكثر أمناً:

لذلك أرشد الله عباد الرحمن إلى هذا الدعاء فقال:

**( رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً )**

( سورة الفرقان )

وهم زينة الحياة الدنيا، قال تعالى:

**(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا(٤٦))**

( سورة الكهف )

وهم المودة والرحمة، قال تعالى:

**( وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) )**

( سورة الروم )

قال بعض علماء التفسير: **" المودة والرحمة هما الطفل الذي يقوّي العلاقة بين الزوجين، ويجعلها أكثر أمناً واستقراراً ".**

## رعاية الأطفال واجبة وحبهم قربى إلى الله عز وجل:

وفي السنّة الصحيحة يرسم لنا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عالم الطفولة، وكأنه عالم قريب من عالم الجنة، فعَنْ أَبِي حَسَّانَ قَالَ: تُوُفِّيَ ابْنَانِ فَقُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا تُحَدِّثُنَاهُ تُطَيِّبُ بِنَفْسِنَا عَنْ مَوْتَانَا ؟ قَالَ: نَعَمْ:

**(( صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ، يَلْقَى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ أَوْ أَبَوَيْهِ فَيَأْخُذُ بِنَاحِيَةِ ثَوْبِهِ أَوْ يَدِهِ، كَمَا آخُذُ بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ))**

[ أخرجه أحمد في مسنده عَنْ أَبِي حَسَّانَ ]

والدعاميص: هي نوع من الفراشات الجميلة.

ورعاية الأطفال واجبة، وحبهم قربى إلى الله، أليس الرسول الكريم هو القائل:

**((لَوْلاَ شُيُوخٌ رُكَّعُ، وَشَبَابٌ خُشَّعٌ، وَأَطْفَالٌ رُضَّعٌ، وَبَهَائِمُ رُتَّعٌ، لَصُبَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ صَبًّا))**

[مسند أبي يعلى الموصلي، وسنن البيهقي الكبرى، والطبراني في المعجم الأوسط عن أبي هريرة]

لقد كان حُبُّ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للطفولة يملأ قلبَه الشريفَ، فَعَنْ بُرَيْدَةَ يَقُولُ:

**((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ، يَمْشِيَانِ، وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمِنْبَرِ، فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ، إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ، فَنَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ، وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا))**

[ أخرجه الترمذي وأحمد وغيرهما عن بريدة]

و النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يقول أيضاً:

**((إنِّي لَأَقُومُ فِي الصّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوّلَ فِيهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصّبِيّ فَأَتَجَوّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقّ عَلَى أُمِّهِ))**

[ رواه البخاري عَنْ أبي قَتَادَةَ ]

## أول حق من حقوق الطفل على أبيه أن يحسن اختيار أمِّه:

أيها الأخوة المستمعون، أيتها الأخوات المستمعات، أول حقوق الطفل على أبيه أن يحسن اختيار أمِّه، لأنّ الإسلام لم يهتمّ بالطفل بدءاً من مولده، بل إنه يرعاه فكرة، ويحضنه غيباً، ويخطِّط مستقبلَه، ولم يَزَلْ أمنيّةً هائمةً في ضمير الغيب، فبمجرّد تفكيرِ الأبِ في الزواج، وتكوينِ الأسرة، يحدِّد الإسلامُ له معالمَ الطريق، والأسرةُ في الإسلام لها نظامٌ بديعٌ غايةٌ في الحسن والنقاء، ولها خطورُتها ومكانتُها، ولهذا كان لابدّ للإسلامِ أنْ يصحِّح أوّلَ لَبِنَةٍ من لبناتها، والزواج مرحلةٌ أوّلِيّةٌ في بناءِ الأسرة، وعنايةُ الإسلامِ بهذه اللبنةِ تعني سلامة ما يترتبُ عليها من حياةٍ مستقرةٍ هانئةٍ سعيدةٍ لكلّ أفرادها.

فالإسلام يأمر الرجلَ عند الزواج أن يختارَ الزوجة ذاتَ دِينٍ، فقد قال النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**(( تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))**

[ أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

فلا ينبغي حينئذٍ أنْ يكونَ جمالُ المرأة، أو حسبُها، أو مالُها هو كلّ شيء، بل لابد أنْ ينضم إلى كل ذلك الدينُ، وأن تكون من بيت كريم ؛ لأنّ أولادَها سيرثون من أخلاقِها وصفاتِها وسلوكها الشيءَ الكثيرَ.

وبالمقابل أرشدَ النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلم أولياءَ المخطوبةِ إلى أنْ يبحثوا عن الخاطب الذي يرضَوْن دِينَه وخُلقَه ؛ ليرعى الأسرة رعايةً كاملةً، ويؤدّي حقوقَ الزوجة والأولاد، قال عليه الصلاة والسلام:

**(( إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ))**

[ انفرد به الترمذي عن أبي حاتم المزني ]

وانطلاقاً مِن هذا المبدأ أجاب الخليفةُ عمرُ بنُ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن سؤالٍ لأحدِ الأبناء حين سأله:

**((ما حق الولد على أبيه ؟ قال: أن يحسن انتقاء أمه، وأن يحسن اسمه، وأن يعلمه القرآن.. ))**

[ذكره القرطبي في تفسيره، وأخرج البزار نحوه، انظرْ مجمع الزوائد للهيثمي ]

## الفرد هو الخليةُ الأولى التي تُنسَج منها الأسرةُ والمجتمعُ والأمّةُ فبدأ الإسلام بإعداده:

من أجل ذلك وجّهَ الإسلامُ عنايتَه إلى تربيةِ الأبناءِ حتّى يَسعدَ بهم المجتمعُ، ويسعَدوا هم به، والإسلامُ وهو ينظِّم حياةَ الفردِ والأسرةِ والمجتمع لا ينسى أنّ هذه كلها أغصانٌ متشابكة، فأيّ تأثير في أحدها لابدّ أن يؤثِّر في الآخر، فأخذتْ تعاليمُه السمحة تنسّقُ الخطواتِ، وتوضّح المناهجَ ؛ لينشأ مِن مجموعها تقدمٌ متكاملٌ، أساسُه الإيمانُ والرحمةُ والتعاطفُ والمحبة، فالإسلامُ بهذا يسبق كلَّ محاولةٍ لتقويم الفردِ والأسرةِ والمجتمع، باعتبارِ أنّه يزاوج بين خطواتها في ثبات واتِّزان، على أساسٍ مِن عقيدةٍ وإيمان.

ويبدأ الإسلامُ بإعدادِ الفردِ لأنّه الخليةُ الأولى التي تُنسَج منها الأسرةُ والمجتمعُ والأمّةُ، وهو الوحدةُ الأساسيةُ التي تشكِّل العنصرَ الأولَ في التكوين العام، والفردُ ما هو إلا طفلٌ في بدايته، تشكّله فطرته، ومكارمُ الأخلاق التي يُربّى عليها في بيئته، والقيمُ والمفاهيمُ الإنسانيّةُ والحضاريةُ التي يتلقّاها من مجتمعه، فإذا ما تمّ تكوينُه في الحياةِ على النَّسَق القويم، وعلى الصراط المستقيم، والنهج الحكيم، كانت الأسرةُ وهي المجتمعُ الصغيرُ تامّة التكوين، متماسكة البنيان، ثم كان المجتمعُ بعد ذلك متقدماً نحوَ أهدافِه، وكانت الأمةُ قوية الدعائم، ثابتة الأركان.

## العناية بالأطفال وحسن معاشرتهم ومعاملتهم واجب على كل إنسان:

أخوة الإيمان في كل مكان ؛ الوالدان والمعلِّمون لهما أكبرُ الأثَر في بناء نفوس الأولاد، ويتأثر الطفلُ أولَ ما يتأثر بالوالدين اللذين يتَّخذُهُما مثلاً أعلى في سلوكه وحياته، ولذا وجَبَ على الوالدين ألاّ يَظهرَا أمامَ أطفالهما إلا بالمظهر الحسن، والخُلُق المستقيم، وأن يضربا أمامهم أكرمَ الأمثلة في الأقوال والأفعال.

وقد وجّه الإسلامُ إلى الوالدين إرشاداته السامية ؛ إذ أمَرَهما بالعناية بهم العناية الكاملة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أرحمَ الناس بالصبيان، وقد ورد في السنة الشيءُ الكثيرُ ممّا يحضُّ على العناية بالأطفال، وحسن معاشرتهم ومعاملتهم، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

**(( قَدِمَ نَاسٌ مِنْ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ فَقَالُوا نَعَمْ فَقَالُوا لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ ))**

[ البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ ]

وقالت أيضاً:

**(( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيُبَرِّكُ عَلَيْهِمْ وَيُحَنِّكُهُمْ))**

[ مسلم عَنْ عَائِشَةَ ]

وَحَدَّثَ أَنَسٌ:

**((أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ))**

[ رواه مسلم عن أَنَسٌ ]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ:

**(( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ قَالَ فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ))**

[عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ]

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**((مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**

[ الترمذي عن أبي أَيُّوبَ]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ:

**(( أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْتُولَةً فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ))**

[ البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ]

قَالَ أَنَسٌ:

**(( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي قَالَ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنَسٌ وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا))**

[ البخاري، واللفظ لمسلم عن أَنَسٌ]

فما أروع ما تضمّنته هذه الأحاديث.

## أهم ما تضمنته الأحاديث السابقة:

الحـــب: وهو الرباطُ الروحي الذي يجمع كلّ الناس على الخير، ولاسيما أقارب الإنسان، ومَنْ أولى مِنَ الولد، فلذة الكبد بهذا الحب ؟

والرحمة: واحة إنسانية عميقة، تجمع الناسَ في حضنها الحاني العطوفِ، فتؤكِّد فيهم نوازعَ الخيرِ والإنسانيةِ.

والوفاء بالوعد مِن الوالدِ للولد، دليلٌ على العواطفِ الصادقةِ النبيلةِ، الوفاءُ بالوعدِ واجبٌ أخلاقي تحتِّمه الشرائعُ، وتوجبُهُ فرائضُ الأديانُ، إلا أنه للولد أوجبُ ما يكون؛ لينظرَ إلى أبيه نظرةَ التقديرِ والإكبارِ.

وملازمةُ الوالدين لولدهم تغرسُ فيه نوازعَ كريمة، وتطبعُه بطابعٍ إنسانيّ نبيلٍ، وتقوّم طبعَه وخلقَه، وتُنشِّئة تَنْشئة صالحة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**((أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُم))**

[ رواه ابن ماجه عن أَنَسٌ]

يريد الرسول بذلك ألاّ تتركوهم هملاً دون راعٍ، أو تتركوهم وتدَعُوهم لغيركم، فذلك حريٌّ أن يهزّ معاييرَ الأخلاق بذواتهم، ويبذر بذورَ الشر في نفوسهم.

## دور المعلم الواعي في تربية الأولاد:

ولا يقل دور المعلم الواعي لخطورة رسالته، المخلص في أداء عمله، عن دور الأب، قال عتبة بن أبي سفيان يوصي مؤدِّب ولده: **" ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح ما استقبحت "**.

وروى ابن خلدون أن هارون الرشيد قال لمعلم ولده الأمين: **" إنّ أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصيّر يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرّفه الأخبار، وروّه الأشعار، وعلّمه السنن، وبصّره بمواقع الكلام، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، ولا تمرّن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها، من غير أن تحزنه، فتميت ذهنه، ولا تُمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ، ويألفه، وقوّمه ما استطعت بالحكمة والملاينة "**.

## أهمية تربية الطفل في سنّه الأولى:

وقد نبّه علماء التربية الإسلامية كالغزالي وابن خلدون على أهمية تربية الطفل في سنّه الأولى، لأنه في هذه الفترة تغرس فيه الأخلاق، وتربي فيها العواطف والمفاهيم، فقد قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ))**

[ أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

كما نبّه القرآنُ على أنّ الإسلام هو دين الفطرة، قال تعالى:

**( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فطرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه)**

( سورة الروم الآية: ٣٠)

إنّ الأدبَ مطلوبٌ في فترة الطفولة ؛ لينشأ الطفلُ على محامدِ الأفعال، ومكارمِ الأخلاق، قال تعالى:

**( يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ(٦) )**

( سورة التحريم الآية: ٦ )

قال ابن عباس: في معنى قوله تعالى:

**( قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا )**

أيْ أدِّبوهم وعلِموهم، وقد رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضاً:

**(( لَأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ))**

[ أخرجه الترمذي وأحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ]

## الإسلام قرَنَ تربية الأولاد بوعدين كبيرين للآباء في الدنيا والآخرة:

إنّنا حين نؤدِّب أولادَنا إنما نقدِّم للحياةِ عنصراً نظيفاً، وللمجتمع لبِنَة صالحة، وهذا ما تهدِفُ إليه التربيةُ الإسلاميةُ، والإسلامُ بدوره يَعِدُ الآباءَ سعادةً في الدنيا، وهي قُرّةُ العَيْن، قال تعالى:

**( رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً )**

( سورة الفرقان )

ويَعِدُ الآباءَ جنّةَ فِي الآخرةِ ففيها مَا لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بَشَرٍ، قال تعالى:

**( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ (٢١))**

( سورة الطور)

إن الإسلام قرَنَ تربية الأولاد بهذين الوعدين الكبيرين في الدنيا والآخرة ؛ ليكونَ ذلك حافزاً للأبِ والأمّ، على أنْ يربّيَا أولادهما، وأنْ يُحْسِنَا تأديبَهما، فَعَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ))**

[ انفرد به ابن ماجة عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ]

ورحم الله مَن قال: **" لاعِبْ ولدك سبعاً، وأدبْه سبعاً، وصاحبْه سبعاً، ثم اجعل حبله على غاربه ".**

والنبيُّ صلى الله عليه وسلم حدث أصحابه فقال:

**(( إنّ مِنَ الشّجَر شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ حَدِّثُونِي مَا هِيَ، فَوَقَعَ النّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنّهَا النّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ أَخْبِرْنَا بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ: هِيَ النّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللّه : فَحَدّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا))**

[ أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد عن عبدُ الله بن عمر]

## آدابُ الإسلام تهدف إلى العلم الذي يحقِق الفائدة للفرد والسعادة للجماعة والسلام للعالم:

أخوتي المؤمنين، أعزائي المستمعين، حق التعليم، ولأنّ الإسلام يرغِّب في العلم والتعليم، فطلبُ العلم فريضة على كل مسلم، أي على كل شخص مسلم، ذكر كان أو أنثى، فهو ليس وقفاً على جنسٍ دون جنسٍ، ولا طائفةٍ دون أخرى، إنه قدْر مُشاع، ومصلحة لكلّ مَن يتنسّم نسماتِ الحياة، الذكرُ والأنثى فيه سواء، والرجل والمرأة تجاهه سيّان، والمجتمع الذي ينشأ أفرادُه على وعْيٍ ومعرفة، وعلى هُدى وبصيرة، وثقافة وعلم، هو المجتمعُ الحقُّ الذي ينهض به أفرادُه، وينهضُ هو بأفراده، ومِن أجل ذلك كانت آدابُ الإسلام تهدف إلى العلم الذي يحقِق الفائدةَ للفرد، والسعادة للجماعة، والسلام للعالم، فعلِموا أولادكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم.

يتراءى للناس اليومَ أنّ مَن مَلَك ناصية العلمِ مَلَك ناصية العالَم، وما يجري في العالم اليوم يؤكد هذه الرؤيا، فمَن مَلَك العلم ملَك القوة، ومَن ملك القوة فَرَضَ إرادته ـ وقد تكون ظالمةً ـ على العالم، فالحقُّ عند الشاردين عن الله يعني القوةَ، ليس غير، والحق عند المؤمنين بالله فهو ما جاء به الوحي في تنزيله، وما بيّنه النبي صلى الله عليه وسلم في سنته، وينبغي أن يدعَّم بالقوةِ، ودعمُه بالقوة أمرٌ تكليفيٌّ لا تكوينيٌّ، قال تعالى:

**( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ(٦٠))**

( سورة الأنفال)

بل إن النبيَّ صلى الله عليه وسلم أشار إلى أن القوةَ كلّ القوةِ في إحكامِ الرمي، وإصابةِ الهدف، وهو مقياسٌ خالدٌ للقوة، وعنصرٌ أساسيٌّ في كسبِ المعارك، مهما اختلفت أنواعُ الأسلحة، وتطورتْ مستوياتُها الفنية، فعَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ:

**((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّةٍ أَلَا إِنّ الْقُوّةَ الرّمْيُ أَلَا إِنّ الْقُوّةَ الرّمْيُ أَلَا إِنّ الْقُوّةَ الرّمْيُ))**

[ رواه مسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ]

وعَنهُ أيْضاً:

**((إنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ يُدْخِلُ ثَلاثَةَ نَفَرٍ الْجَنّةَ بِالسّهْمِ الْوَاحِدِ صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صُنْعِهِ الْخَيْرَ وَالرّامِيَ بِهِ وَمُنَبِّلَهُ))**

[ رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ]

## العلم الذي يوصل إلى معرفة الله فرضُ عينٍ على كل إنسان كي يسلم و يسعد:

لكن العلم الذي يوصل إلى معرفة الله، ثم يحمل على طاعته فرضُ عينٍ على كل إنسان، كي يسلم ويسعد في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

**( إِنّ الّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنّةِ الّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ )**

( سورة فصلت )

بل إنّ وجودَ الإنسان لا معنى له من دون منهج يسير عليه، ويؤكِّد هذا ترتيبُ الآيات في مطلع سورة الرحمن، فتعليمُ القرآن جاء مقدّماً على خَلْق الإنسان، بترتيب رُتبي، لا ترتيب زمني، قال تعالى:

**( الرّحْمَنُ (١) عَلّمَ الْقُرْآَنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلّمَهُ الْبَيَانَ (٤) )**

( سورة الرحمن )

والتعليمُ في نظر الإسلامِ يمتدُّ فيشملُ جميعَ المعارفِ الإنسانيةِ، وكلّ ما يقع تحت إدراك الحسّ والعقل، إذ ما أجملَ وصيةَ الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

**(( علِّموا أولادَكم السباحة والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً))**

[الإصابة عن عمر، وانظر فتح الباري ]

فالرمايةُ والتدرُّبُ على ركوب الخيل كانت عند العربي كلّ حياته في ذلك الوقت، ولو امتدّ العمرُ بعُمَرَ رضي الله عنه حتى اليوم، لكان له مع هذا القول قولٌ وقولٌ، ربما يقول: علموا أولادكم الكومبيوتر، فهو سلاح العصر، والأمِّي ـ اليوم ـ هو الذي لا يحسن استخدامه

## الاستعانة عند تربية الطفل و تعليمه بتحقيق اهتماماته وخصائص طفولته:

وينبغي أنْ نستعين على تربيةِ الطفل وتعليمِه بتحقيق اهتماماتِه وخصائص طفولته، وفي سُنَّةِ النبيّ صلى الله عليه وسلم العمليةِ ما يؤكِّد ذلك، فعَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ شَدّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

**((خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي إِحْدَى صَلَاتَيْ الْعِشَاءِ، وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا فَتَقَدّمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَوَضَعَهُ، ثُمّ كَبّرَ لِلصّلَاةِ، فَصَلّى، فَسَجَدَ بَيْنَ**

**ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ))**

[ أخرجه النسائي وأحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ]

إنّ التُّحفة واللعبة تُدخِلان على الطفل الفرحة والسرورَ، وتزرع على ثغره البسمة والسعادةَ، وقد أصبحت وسيلةً لتنمية المعارف والمدارك، فمَن دَخَلَ السوق، واشترى تحفة، فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور.

هذه هي تعاليم الإسلام الغراء، ترشدنا إلى كل ما يسمو بنا وبأبنائنا نحو مراقي الفلاح والنجاح، ما أحْكَمَ هذه النظم الأخلاقية الحكيمة، وما أسمى مقاصدها، ولاسيما نحو قرّة أعيننا، وأعزّ مَن لنا في الحياة ؛ ليخلق بذلك روحَ الكمال المنشود، والخير المقصود، فالولدُ الصالح امتداد لحياة أبيه، وثمرة من ثمرات مجتمعه، وأمل أمته.

## حب الآباء للأبناء حُبٌّ غريزيٌّ فطريّ لا يقدر إنسانٌ على دفعه أو منعه:

كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام:

**((الْوَلَدُ الصَّالِحُ رَيْحَانَةٌ مِنْ رَيَاحِينِ الْجَنَّةِ))**

[ فيض القدير عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ]

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

**((قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟ قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا ))**

[ البخاري ومسلم عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وهو حُبٌّ غريزيٌّ فطريّ لا يقدر إنسانٌ على دفعه، أو منعه، ولذلك كله وصّى اللهُ الإنسانَ بوالديه، ولم يوصّ الوالدين بأولادهما، لأن حبّ الآباء للأبناء ورعايتهم طبع، والطبع لا يحتاج إلى تكليف، بينما رعايةُ الأبناء لآبائهم ليس طبعاً بل هو تكليف، قال تعالى:

**( وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ(١٤))**

( سورة لقمان)

## المساواة بين الأبناء و البنات:

أيها الأخوة والأخوات، حضوراً ومستمعين ؛ الإسلام والمساواة بين الأبناء ونظرته للإناث: إن الإسلام الذي يجعلُ الأطفالَ قرةَ أعين لابد أنْ تؤكِّد شعائرُه وآدابُه هذه النزعة الإنسانية، فالمساواة بينهم حتى في التقبيل أمرٌ يحتِّمه الإسلام، وتُقِرُّه أوامره السمحة، فما بالك في المساواة في العطية، فعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ:

**((انْطَلَقَ بِي أَبِي يَحْمِلُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْهَدْ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي، فَقَالَ: أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ ؟ قَالَ: لَا، قَالَ فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي، ثُمَّ قَالَ: أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَلَا إِذًا))**

[ البخاري ومسلم واللفظ له عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ]

أما الميلُ كلّ الميلِ إلى طفل بعينه دون إخوته، أو إلى جنس من الأولاد دون الآخر، فذلك ينافي نظرة الإسلام، ومبادئه الصحيحة، ومنطق المساواة التي بنيت عليها تعاليمه، فلا تفرقة في الإسلام بين فتى وفتاة، ولا بين ولد أو بنت، بل كلاهما في كِفَّتَيْ ميزان، لا يرجّح أحدهما على الأخرى إلا بمقدار العلم الذي يحصله، والعمل الصالح الذي يقدمه، يقول سبحانه وتعالى:

**( فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ )**

( سورة آل عمران الآية: ١٩٥ )

إنّ الخروجَ عن منطق المساواةِ والحقّ والإنصافِ ميلٌ عن الصراط المستقيم، ولذلك نرى الإسلامَ يأمرُ بالمساواة بين الأولاد، كما سبق، حتى لا تتأذّى مشاعرُ بعضهم، وعواطفُ بعضهم الآخر، فيُضمِرون السوءَ، ويحلُّ البغضُ مكانَ الحبِّ، والخصامُ محلّ الوئامِ، فيكون التعقيدُ، والانحرافُ، والشذوذُ، والعُقدُ النفسيّةُ، والكَبْتُ، والعزلةُ القاتلةُ التي تقتل الإحساسَ، وتَئِد المشاعر.

وكثيراً ما نهى الرسولُ عن تمييز الذكور، وتفضيلهم على الإناث دون موجب، بل إنه يرفع بذلك من شعور الإناث، وإحساسهن بقيمتهن في الحياة، فقد قَالَ:

**(( مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ))**

[ رواه مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]

وقال أيضاً:

**((مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ فَأَدَّبَهُنَّ وَرَحِمَهُنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ))**

[ رواه أحمد، وأبو داود عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ]

## منعكس المص عند الوليد من آيات الله الدالة على عظمته:

والآن إلى الموضوع العلمي:

يؤكِّد علماءُ نفس الأطفال، أنّ الطفلَ حينما يولد لا يملك أيّة قدرة إدراكية، بل إنّ كلّ ما يتمتع به الراشدُ مِن إمكانات وقدرات، ومفاهيم ومعقولات، وخبرات ومؤهلات، إنما هي نتيجة تفاعله مع البيئة، وهذا فحوى الآية الكريمة:

**( وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٧٨))**

( سورة النحل )

لكن منعكساً ـ على حدّ تعبير علماء النفس ـ يولد مع الطفل، ولا يحتاج إلى تعليم، إنه منعكس المصّ، إذ لولاه لما وجدتَ إنساناً واحداً على سطح الأرض في قاراتها الخمس، إنّ الطفلَ الذي يولد من توّه لا يستطيعُ أن يتلقّى توجيهاتِ والدِه في ضرورة التقامِ ثدي أمّه، وإحكام إطباقهما، ثم سحْبِ الهواء، كي يأتيَه الحليبُ، لا يستطيع أن يتلقى هذه التوجيهات بالفهم فضلاً عن التطبيق.

## حليبَ الأم من آيات الله الكبرى الدّالّةِ على عظمته:

إنّ حليبَ الأم من آيات الله الكبرى الدّالةِ على عظمته، فهو يتغيّر تركيبُه خلال الرضعةِ الواحدةِ، يبدأ حليبُ الأمّ بماءٍ كثير، يقلُّ الماء، ويزداد الدسم، إلى أن تصبح الموادُ الدسمةُ في نهايةِ الرّضعةِ أربعة أمثال، فهل بالإمكان أنْ تغذّي طفلاً بقارورةٍ، وتتغيّر نِسَبُ الدسم والمواد السكرية والمواد البروتينية في أثناء الرضعة الواحدة ؟

شيءٌ آخر، تتغيّر تراكيبُ مقوّماتِ لَبَن الأمّ بالكميات المعادِلة لنموّ الصغير، فكلّما نما الصغير الرضيع ازدادتْ الأحماضُ الأمينية، والأملاحُ المعدنيةُ، والمعادنُ النادرةُ، والفيتامينات.

أما الشيءُ الذي يُلفِتُ النظرَ فهو أنّ هذا الطفلَ الذي خلَقَهُ اللهُ عزّ وجل أَوْدَعَ فيه خمائرَ هاضمةً بمقاديرَ تتناسبُ مع حليب الأمّ، فلو أرضعناه حليبَ البقر، ولو كان طازجاً، أو كان مجففاً لَعَجَزَ الطفلُ عن هضمه، وتبقى كميّاتٌ كبيرةٌ من المواد الدسمة والبروتينيات والأحماض الأمينية دون هضم، وطَرْحُ هذه الموادِ عن طريق الكُلْيَةِ يجْهِدُها، لذلك نجد الطفلَ الذي يَرضعُ حليبَ البقر تجْهَد كُليتاه في طرح المواد الدسمة، والأحماض الأمينية، والبروتينات التي لم يستطع هضمها، فخمائرُ

الهضم عنده متوافقة مع حليب الأمّ، وليست متوافقة مع حليب البقر، لأنّ في حليب البقر أربعة أمثالِ ما في حليبِ الأمّ مِن الأحماض الأمينية .

قال العلماء: إنّ ارتفاعَ نسبة الأحماض الأمينية في الدم تُسَبّبُ للطفلِ الرضيع القصورَ العقلي، والآفاتِ القلبية، والآفاتِ الوعائية، وأمراضَ جهازِ الهضمِ والكبدِ، الأمراضَ المزمنة التي تلازم الإنسانَ طوال حياته، ولو سألتَ أطباءَ الأورامِ الخبيثةِ لأجابوك بقولهم: إنّ المرأة التي تُرْضِع ابنَها مِن ثديها أقلُّ عُرْضةً للإصابة بوَرَم الثدي مِنَ المرأة التي لا تُرْضِع ابنَها مِن ثديها.. أي أن نسبَ أورامِ الثدي الخبيثة في النساء اللواتي يُرضِعن أولادَهنّ قليلةٌ جداً، أما نِسَبُ الأورام الخبيثة في النساء اللواتي لا يرضعن أولادهن فهي نِسَبٌ عاليةٌ.

## منهج الله عزّ وجل في الرضاعة:

إنّ العطفَ والحنانَ الذي يتلقاه الطفلُ مِن أمّه في أثناء الرضاعة يكسبه رحمةً في قلبه، تنعكس على علاقاته بمَنْ حوله في مستقبل أيامه، قال تعالى:

**( وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمّ الرّضَاعَةَ(٢٣٣))**

( سورة البقرة)

وصيغة (يُرْضِعْنَ) جاءت خبراً في معرض الأمر، أي أيتها الوالدات أرضِعْن أولادكن، وكل أمر في القرآن يقتضي الوجوب ما لم تكن هناك قرينة تنصُ على خلاف ذلك.

وقد ألزمتْ حكوماتُ أكثرِ الدول معاملَ حليبِ الأطفالِ أنْ تكتب على كل عبوة: لاشيء يعدل حليب الأم

وقد جرى بحثٌ علميٌّ تمّ في بلد متقدم، قاسَ مستوى الذكاءِ الفطري لدَى عددٍ مِنَ الأطفال، مِن شعوبٍ متعددةٍ، بالنسبة للإرضاع الطبيعي والصناعي، فكانت النتائجُ مدهِشةً: أطفالُ جُزُرِ الباسيفيك (PACIFIC) يتمتّعون بأعلى نِسَبِ الذكاءِ مِن بين مجموعةِ الأطفال الذين تناولَهم البحثُ، وذلك بسببِ أنّهم لا يعرفون الإرضاعَ الصناعيّ إطلاقاً، لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

**( وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنّ حَوْلَيْن كَامِلَيْن )**

.هذا منهج الله عزّ وجل، إنه تعليمات الصانع، قال تعالى:

**( أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْن (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْن (٩) وَهَدَيْنَاهُ النّجْدَيْن (١٠) )**

( سورة البلد)

وقد أحسن الشاعر حين قال:

**تداركْتَنا باللطف في ظلمة الحشا وخير كفيلٍ في الحشا قد كفلـتنا**

**وأسكنْتَ قلبَ الأمـهاتِ تعطّـفاً علينا و في الثديين أجريتَ قُوتَنا**

**وأنشأتَنا طفلاً، وأطلقت ألسنـاً تترجم بالإقرار أنك ربـــنا**

**وعرّفتَنا إياك، فالحمد دائــماً لوجهك، إذ ألـهمتنا منك رُشْـدنا**

***

أيها الأخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيّس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

***

**الخـطـبـة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، واشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

## الله عز وجل أمر المسلمين بإعداد القوة المادية و المعنوية لأعدائهم:

والآن إلى موضوع الساعة: مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببلدةٍ مِن بلاد المسلمين في عهده، فوجد فيها أن الفعالياتِ المعيشية ليست بأيدي أبناءِ هذه البلدة، فوبّخهم، وعنّفهم، وقال لهم: كيف بكم وقد أصبحتم عبيداً عندهم ؟ لقد أدرك هذا الخليفةُ الراشدُ ـ ببُعْدِ نظره ـ أنّ المنتجَ هو القويُّ، وأنّ المستهلكَ هو الضعيفُ، ويمكن أنْ يُضافَ إلى ذلك أنّ التفوُّقَ العلميَّ سبيلٌ إلى امتلاك القوة، وأنّ صاحبَ الحقّ لا يستطيع أن يحميَ حقّه إنْ كان ضعيفاً، وما يجري في العالَم اليومَ خيرُ شاهدٍ على ذلك ؛ لذلك أمرنا ربُّنا أنْ نعدّ لأعدائنا ما نستطيع من قوة، فقال تعالى:

**( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ )**

( سورة الأنفال الآية: ٦٠ )

وقوةٍ في العَدد، وقوةٍ في العُدد، وقوةٍ في التدريب، وقوةٍ في التخطيط، وقوةٍ في الإمداد، وقوةٍ في التموين، وقوة في الاتصالاتٍ، وقوة في المعلوماتٍ، وقوةٍ في تحديد الأهداف، وقوةٍ في دقة الرمي، وقوةٍ في الإعلام .

## من رحمة الله بالمسلمين أنه أمرهم بإعداد القوة المتاحة فقط:

إن الله جل في علاه ـ رحمة بنا ـ لم يكلفنا أن نُعِّدَ القوةَ المكافئة لأعدائنا، ولكن كلفنا أن نُعِدَّ القوة المتاحة وهذا من رحمة الله بنا، لأن الله وعد المؤمنين حقاً، والمطبقين لمنهج الله، والمخلصين له، وعدهم بالنصر، قال تعالى:

**( فَلَا تَحْسَبَنّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٧) )**

( سورة إبراهيم )

**(( الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشّيْطَانِ))**

[ رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

## قوةُ الضعف تَهُدُّ الجبال وتدكُّ الحصون لأن الله مع المخلص دائماً:

يقول الله عز وجل في كتابه العزيز :

**( حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا (٢٤))**

( سورة يونس)

يظن بعض أهلها اليوم أنهم قادرون عليها استطلاعاً وتدميراً ، وأن أية بقعة في الأرض تحت استطلاع أقمارهم ، وتحت مرمى طائراتهم ، لكن حين يتوهم أهلها أنهم قادرون عليها :

**( أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ (٢٤))**

( سورة يونس)

وقال سبحانه :

**( وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ )**

( سورة إبراهيم )

وقال سبحانه :

**( وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً )**

( سورة آل عمران الآية : ١٢٠ )

## الآيات التالية تدل على أن الأمر كله لله :

قال سبحانه :

**( وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(٥٩))**

( سورة الأنعام )

وقال سبحانه :

**( اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ )**

( سورة الزمر )

وقال سبحانه :

**( أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ )**

( سورة الأعراف )

وقال سبحانه :

**( وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢))**

( سورة إبراهيم)

وقال سبحانه :

**( وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ (٥))**

(سورة القصص )

كما أن من الواجب علينا أن نبحث في كل مظنَّةِ ضَعْفٍ عن سببَ قوةٍ كامنةٍ فيه ، ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجدوه ، ولصار الضعف قوةً ، لأن الضعف قد ينطوي على قوةٍ مستورةٍ يؤيدها اللهُ بحفظِه ورعايته ، فإذا قوةُ الضعف تَهُدُّ الجبال ، وتدكُّ الحصون.

## التعاون والتكاتف والتناصر والتضامن أساس في انتصار الأمة الإسلامية:

إنَّ الحديثَ عن القوّةِ النابعةِ مِنَ الضّعفِ ليس دعوةً إلى الرضا بالضعفِ ، أو السكوتِ عليه ، بل هو دعوةٌ إلى استشعارِ القوةِ حتى في حالِ الضعفِ ، وربما صحَّت الأجسامُ بالعللِ ، فينتزعُ المسلمون مِن هذا الضّعف قوةً تحيلُ قوّةَ عدوِّهم ضعفاً ، وينصرهم اللهُ نصراً مبيناً وليس هناك مِن مرحلةٍ في تاريخ أمّتنا نحنُ في أمَسِّ الحاجةِ فيها إلى التعاونِ والتكاتفِ والتناصرِ والتضامنِ كهذه المرحلة الدقيقة التي تمرُّ بها أمّتنا العربيةُ والإسلاميةُ ، ولاسيما في ظلِّ النظامِ العالميِّ الجديدِ ، وفي ظلّ غيابِ التوازنِ الدوليِّ ، وتحَكُّمِ القُطبِ الواحد ، وازدواجيةِ المعايير ، وسيطرةِ الاحتكاراتِ الكبرى ، والتطوراتِ الهائلةِ في وسائل الاتصالاتِ والمعلوماتيةِ ، وازديادِ الهُوّةِ بين الدول الغنية المتقدِّمة والدول النامية ، وانفجارِ الحروبِ الإقليميةِ والمحليةِ ، والصراعاتِ

القبليةِ والدينيةِ والعِرْقيةِ في مناطق متعددة من العالم ... إضافة إلى نهج العَولمة الثقافيةِ والاقتصاديةِ .

إنّ عالَمَ اليومِ يكاد يتحوّلُ إلى غابةٍ تتحكّم فيها قواعدُ القوّةِ ، وتغيبُ عنها ضوابطُ المبادئ والقيم ، ومع ذلك فإن قُوى الهيمنة تتحدّث عن حقوق الإنسان ، في الوقت الذي يجري فيه انتهاكٌ لحقوق الإنسان ، كما قال السيد الرئيس في خطابه الأخير في مجلس الشعب: ويضيف قائلاً : (العالَمُ الإسلاميُ اليومَ يواجه تحدياتٍ كبيرةً تستهدفُ الإسلامَ وما يمثّله من قيمٍ نبيلةٍ ، وما يدعو إليه من أخوة وعدالةٍ ومساواةٍ وحرية ، وإذا كان من واجبنا أن ندافعَ عن دينِنا فإنّ لنا فيه يَنبوعَ قوةٍ ، ومصدرَ إلهام في مواجهةِ كلِّ ما يقابلُنا من أخطارٍ وتحدياتٍ)

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٤٨) : خ١ - السكينة ، خ٢ - ظاهرتي الخسوف والكسوف .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-٠٧-٠٩

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

## السّكِينة:




أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، نحن في ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن في أمس الحاجة إلى هديه الرباني، الذي لا تزيده الأيام إلا رسوخاً وشموخاً، ونحن في أمس الحاجة إلى سنته المطهرة، المنهج القويم، والصراط المستقيم، ونحن في أمس الحاجة إلى أخلاقه العظمى، التي لا يزيدها التأمل والتحليل إلا نضارة وتألقاً.

حقيقة إحياء هذه الذكرى أن نطبق سنته، وأن نتأسى بسيرته، لنقطف الثمار اليانعة التي قطفها أصحابه الكرام، وإحدى أكبر هذه الثمار تلك السكينة التي تتنزل على قلوب المؤمنين فتجعل الواحد منهم، وهو في الناس رجلاً، وهو في الرجال بطلاً، وهو بين الأبطال مثلاً. ذلك أن المؤمن استجاب لنداء فطرته، واهتدى إلى سر وجوده، فتوضحت لديه الغاية والطريق، وأنس بالوجود كله، وعاش في معية الله ومعية رسله وأوليائه، ونجا من عذاب الحيرة والشك.

إنّ السكينة وردت في القرآن الكريم في عدة آيات من أبرزها قوله تعالى:

**( هُوَ الّذِي أَنْزَلَ السّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلّهِ جُنُودُ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً(٤) )**

( سورة الفتح)

وقال تعالى:

( لَقدْ رَضِيَ اللّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السّكِينَة عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قرِيباً(١٨) )

( سورة الفتح)

فلا سعادة بلا سكينة، ولا سكينة بلا إيمان.

## السكينة لا تعز على طالب كائناً من كان في أي زمان ومكان:

السكينة هي الغاية المثلى للحياة الرشيدة، فلا سعادة بلا سكينة، وهذه السكينة تزهر بغير عون من المال، بل بغير مدد من الصحة، يسعد بها الإنسان ولو فَقَدَ كلّ شيء، ويشقى بفقدها ولو ملك كل شيء، هذه السكينة ليست مِلْكَ أحد، فيمسكَها أو يرسلَها، ولكنها في متناول كل واحد من البشر إذا هو دفع ثمنها. فما مِن نعمة تُحجب معها السكينة إلا وتنقلب بذاتها إلى نقمة، وما من محنة تحفها السكينة إلا وتكون هي بذاتها نعمة، ينام الإنسان على الشوك مع السكينة فإذا هو مهاد وثير، وينام على الحرير وقد أمسكت عنه السكينة فإذا هو شوك القتاد.

يعالج المرء أعسر الأمور ومعه السكينة فإذا هي هوادة ويسر، ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت عنه السكينة فإذا هي مشقّة وعسر، ويخوض المخاوف والأخطار ومعه السكينة فإذا هي أمنٌ وسلام، ويعبر المناهج والسبل وقد أمسكت عنه السكينة فإذا هي مهلكةٌ وبوار.

هذه السكينة لا تعز على طالب كائناً من كان في أي زمان ومكان، وفي أي حال ومآل، وجدها إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام في النار، ووجدها يوسفُ عليه الصلاة والسلام في الجُبِّ، كما وجدها في السجن، ووجدها يونس عليه الصلاة والسلام في بطن الحوت في ظلمات ثلاث، ووجدها موسى عليه الصلاة والسلام في اليم، وهو طفلٌ مجرد من كل قوة وحراسة، ووجدها أصحاب الكهف في الكهف، حينما افتقدوها في الدور والقصور، ووجدها نبينا عليه الصلاة والسلام وصاحبه في الغار، والأعداء يتعقبونه، ويَقُصُّون الآثار، ويجدها كل مؤمنٍ أوى إلي ربه يائساً ممن سواه، قاصداً بابه وحده من دون كل الأبواب.

## سكينة النفس هي الينبوع الأول للسعادة:

يبسط الله الرزق مع السكينة، فإذا هو متاع طيبٌ، ورخاء وفير، وإذا هو رغد في الدنيا، وزادٌ إلى الآخرة، ويمسك السكينة مع الرزق، فإذا هو مثار قلق

الخطب الإذاعية لفضيلة الدكتور محمد راتب

سكينة النفس ينبوع السعادة الأول

وخوف، وإذا هو مثار حسد وبغض، وقد يكون معه الحرمان ببخل أو مرض، وقد يكون معه التلف بإفراط واستهتار.

يمنح الله الذرية مع السكينة فإذا هي زينة الحياة الدنيا ومصدر فرح واستمتاع، ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح، ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاءٌ، ونكدٌ، وعنتٌ، وشقاءٌ، وسهرٌ بالليل، وتعب بالنهار.

الذرية الصالحة مصدر فرح واستمتاع

يهب الله الصحة والعافية مع السكينة فإذا هي نعمة وحياة طيبة، ويمسك سكينته فإذا الصحة والعافية بلاءٌ يسلطه الله على الصحيح المعافى فينفق الصحة والعافية فيما يحطم الجسم ويفسد الروح، ويزخر السوء إلى يوم الحساب.


يهب الله الصحة والعافية مع السكينة

يعطي الله الجاه والقوة مع السكينة فإذا هي أداة إصلاح، ومصدر أمنٍ، ووسيلة لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر، ويمسك سكينته فإذا الجاه والقوة مصدرا قلق على فوته، ومصدرا طغيان وبغيٍ، ومصدرا حقدٍ وكراهية، لا يقر لصاحبها قرار، ويدخر بها للآخرة رصيداً ضخماً إلى النار.

سكينة النفس هي الينبوع الأول للسعادة، ولكن كيف السبيل إليها إذا كانت شيئاً لا يثمره الذكاء، ولا العلم، ولا الصحة والقوة، ولا المال والغنى، ولا الشهرة والجاه، ولا غير ذلك من نعم الحياة المادية؟!!

## للسكينة مصدر واحد لا ثاني له هو الإيمان بالله واليوم الآخر:

إن للسكينة مصدراً واحداً لا ثاني له هو الإيمان بالله واليوم الآخر، الإيمان الصادق العميق الذي لا يكدره شك ولا يفسده نفاق، والعمل بمقتضى هذا الإيمان، هذا ما يشهد به الواقع الماثل، وما يؤيده التاريخ الحافل، وما يلمسه كل إنسان بصير منصف في نفسه وفيمَن حوله.

لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقاً، وضيقاً، واضطراباً، وشعوراً بالتفاهة والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان وبرد اليقين. إن حياتهم لا طعم لها ولا مذاق، وإن حفلت باللذائذ والمرفهات، إنهم لا يدركون لها معنى، ولا يعرفون لها هدفاً، ولا يفقهون لها سراً، فكيف يظفرون مع هذا بسكينة النفس وانشراح الصدر ؟!!

إن هذه السكينة ثمرة من ثمار دوحة الإيمان، وشجرة التوحيد الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

هي نفحة من السماء ينزلها الله على قلوب المؤمنين من أهل الأرض ليثبتوا إذا اضطرب الناس، وليرضوا إذا سخط الناس، وليوقنوا إذا شك الناس، وليصبروا إذا جزع الناس، وليحلُموا إذا طاش الناس.

هذه السكينة نور من الله وروح منه ؛ يسكن إليها الخائف، ويطمئن عندها القلق، ويتسلى بها الحزين، ويستروح بها المتعب، ويقوى بها الضعيف، ويهتدي به الحيران.

هذه السكينة نافذة على الجنة يفتحها الله للمؤمنين من عباده، منها تهب عليهم نسماتها، وتشرق عليهم أنوارها، ويفوح شذاها وعطرها، ليذيقهم بعض ما قدموا من خير، ويريهم نموذجاً لما ينتظرهم من نعيم، فينعموا من هذه النسمات بالروح والريحان، والأمن والإيمان، في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، إنها جنة القرب، إنها جنة السكينة، قال تعالى:

( وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ(٦) )

( سورة محمد )

## أسباب السكينة لدى المؤمن:

أخوتي المؤمنين أعزائي المستمعين، أسباب السكينة لدى المؤمن:

### ١ـ المؤمن هدي إلى فطرته التي فطره الله عليها:

أول أسباب السكينة لدى المؤمن أنه هدي إلى فطرته التي فطره الله عليها، وهي فطرة متسقة، ومنسجمة، ومتجاوبة مع فطرة الوجود الكبير كله، فعاش المؤمن مع فطرته في سلام ووئام لا في حرب وخصام، ومع من حوله في شفافية ومشاركة لا في وحشة وعداوة، ذلك لأن في القلب شعثاً

لا يلمُّه إلا الإقبال على الله، وفي القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفي القلب نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه، وقضائه وقدره، والصبر على ذلك إلى يوم لقائه، وفي القلب فاقة لا تسدها إلا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له.

تظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ حتى تجد الله وتؤمن به وتتوجه إليه، عندها تستريح من تعب، وترتوي من ظمأ، وتأمن من خوف، وتحس بالهداية بعد الحيرة، وتشعر بالاستقرار بعد التخبط، وتطمئن بعد القلق.

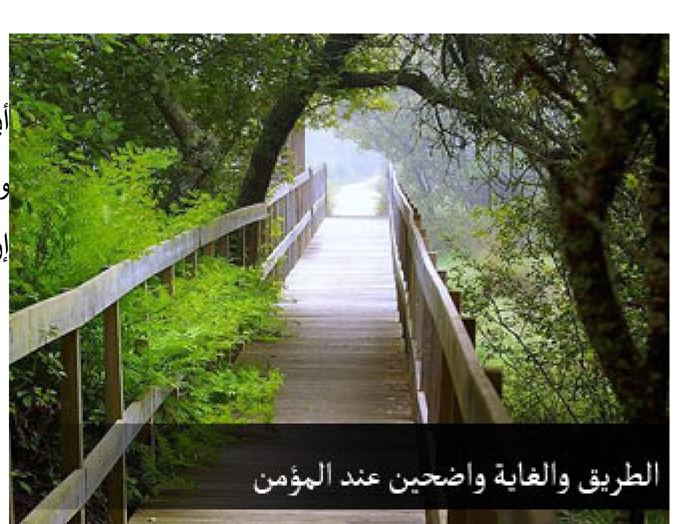
إن الإنسان خلق عجيب، جُمع بين قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله، فمن عرف جانب الطين ونسي نفخة الروح لم يعرف حقيقة الإنسان، ومن أعطى الجزء الطيني فيه غذاءَه وريِّه ولم يعطِ الجانبَ الروحي غذاءَه وريَّه من الإيمان بالله والإقبال عليه فقد بخس الفطرة الإنسانية حقها، وجهل قدرها، وحرمها ما به حياتها وقوامها. وقد يتراكم على هذه الفطرة صدأ الشبهات، أو غبار الشهوات، وقد تنحرف وتتدنس باتباع الظن أو اتباع الهوى، أو التقليد الجاهل للأجداد والآباء، أو الطاعة العمياء للسادة والكبراء، وقد يصاب الإنسان بداء الغرور والعجب فيظن نفسه شيئاً يقوم وحده ويستغني عن الله.

بَيْدَ أن الفطرة الأصيلة تذبل ولا تموت، وتكمن ولا تزول، فإذا أصاب الإنسان من شدائد الحياة ومصائبها ما لا قبل له به، ولا يد له ولا للناس في دفعه ولا رفعه، فسرعان ما تزول القشرة السطحية المضللة، وتبرز الفطرة العميقة الكامنة، وينطلق الصوت المخنوق المحبوس داعياً ربه منيباً إليه، قال تعالى:

**( وَإِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً(٦٧))**

( سورة الإسراء)

## ٢- وضوح الغاية والطريق عند المؤمن:



الطريق والغاية واضحين عند المؤمن

أيها الأخوة، حضوراً ومستمعين، وضوح الغاية والطريق عند المؤمن: إنّ غير المؤمن يعيش في الدنيا تتوزعه

هموم كثيرة، وتتنازعه غاياتٌ شتى، هذه تميل به إلى اليمين، وتلك تجذبه إلى الشمال، فهو في صراع دائم داخل نفسه، وهو في حيرة بين غرائزه الكثيرة أيها يرضي غريزة البقاء أم غريزة النوع ؟ وهو حائر مرة أخرى بين إرضاء غرائزه وبين إرضاء المجتمع الذي يحيا فيه، وهو حائر مرة ثالثة أيّ فئات المجتمع يرضي؟ وهنا يذكرون الحكاية المشهورة ؛ حكاية الشيخ وولده وحماره، ركب الشيخ ومشى ولده وراءه فتعرض الشيخ للوم النساء، وركب الولد ومشى الشيخ فتعرض الولد للوم الرجال، وركبا معاً فتعرضا للوم دعاة الرفق بالحيوان، ومشيا معاً والحمار أمامهما فتعرضا لسخرية الأولاد، واقترح الولد أن يحملا الحمار ليستريحا من لوم اللائمين، فقال له الأب الشيخ: لو فعلنا لأتعبنا أنفسنا ولرمانا الناس بالجنون حيث جعلنا المركوب راكباً، يا بني: لا سبيل إلى إرضاء الناس.

لقد استراح المؤمن من هذا كله، وحصر الغايات كلها في غاية واحدة، عليها يحرص وإليها يسعى وهي رضوان الله تعالى، لا يبالي معها برضى الناس أو سخطهم، شعاره ما قاله ذاك الشاعر:

**إذا صح منك الودُّ فالكل هيـنٌ وكل الذي على التراب تـرابُ**

**فليتك تحلو والحياة مـــريرة وليتك ترضى والأنام غضـــابُ**

**وليت الذي بيني وبينك عامـر وبيني وبين العالمين خــرابُ**

* * *

لقد جعل المؤمن همومه هماً واحداً هو سلوك الطريق الموصل إلى مرضاته تعالى، والذي يسأل الله تعالى أن يهديه إليه في كل صلاة عدة مرات:

**( اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ )**

هو طريق واحد لا عوج فيه ولا التواء، قال تعالى:

**( وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ (١٥٣) )**

( سورة الأنعام)

## موقف المؤمنين في غزوة الأحزاب هو موقف السكينة والطمأنينة الذي عُهدَ منهم:

ما أعظم الفرق بين رجلين: أحدهما عرف الغاية وعرف الطريق إليها، وآخرُ ضالٌ يخبط في عماية ويمشي إلى غير غاية، لا يدري إلامَ المسير ؟ ولا إلى أين المصير ؟ قال تعالى:

**( أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٢٢) )**

( سورة المُلك)

في غزوة الأحزاب وقد ابتُلِي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، إذ جاءهم الأعداءُ من فوقهم، ومن أسفل منهم، وإذ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الخناجر، وظن الناسُ بالله الظنونَ، وكشف المنافقون النقابَ، فقالوا:

**( وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً(١٢) )**

( سورة الأحزاب)

في هذا الجو الرهيب كان موقفُ المؤمنين هو موقفَ السكينة والطمأنينة الذي عُهِدَ منهم، والذي سجّله اللهُ لهم في كتابه:

**( وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً(٢٢) )**

( سورة الأحزاب)

لقد عرف المؤمنُ الغاية فاستراح، وعرف الطريقَ فاطمأنّ، إنه طريقُ الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

## ٣ـ اهتداء المؤمن إلى سرّ وجوده:

أسئلة كثيرة تلح على الإنسان لمعرفة سر وجوده

أيها الأخوة الأحباب ؛ اهتداء المؤمن إلى سر وجوده:

إنّ في أعماق الإنسان أصواتاً خفية تناديه، وأسئلة تُلحُ عليه، منتظرةً الجوابَ الذي يَذهبُ به القلق، وتطمئنُ به النفسُ، ما العالم ؟ ما الإنسان ؟ من أين جاءا ؟ مَن صنعهما ؟ مَن يدبرُهما؟ ما هدفهما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ماذا بعد الموت؟ هذه الأسئلة التي ألّحت على الإنسان من يوم خُلِقَ وإلى أن تُطوى صفحةُ الحياة لم تجد ولن تجد لها أجوبةً شافيةً إلا في الدين، فهو وحده الذي يحُل عقدة الوجود الكبرى، وهو المرجعُ الوحيدُ الذي يستطيع أن يجيبنا عن تلك الأسئلة بما يرضي الفطرة ويُقنع العقل.

## ٤ـ المؤمن يعيش في معية الله:

أيها المسلمون، المؤمن يعيش في معية الله:

إن شعور المؤمن بمعيّة الله وصحبته يجعله في أُنْسٍ دائم بربه، ونعيمٍ موصولٍ بقربه، يُشعرُ أبداً بالنور يغمر قلبه ولو أنه في ظلمة الليل البهيم، ويشعر بالأنس يملأ عليه حياته وإنْ كان في وحشة مِنَ الخلطاء والمعاشرين. كيف يشعر المؤمنُ بالوحدة وهو يقرأ قوله تعالى:

**( وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمّ وَجْهُ اللّهِ إِنّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(١١٥) )**

( سورة البقرة)

وقال عز وجل:

**( وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(٤) )**

( سورة الحديد)

إنه يشعر بما شعر به موسى عليه السلام حينما قال لبني إسرائيل:

**( قَالَ كَلّا إِنّ مَعِيَ رَبّي سَيَهْدِين)**

( سورة الشعراء: الآية ٦٢ )

إنه يشعر بما شعر به محمد صلى الله عليه وسلم في الغار:

**( إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنّ اللّهَ مَعَنَا (٤٠) )**

( سورة التوبة)

إن شعور المؤمن أن يده في يد الله، وأن عنايته تسير بجانبه، وأنه ملحوظ بعينه التي لا تنام، وأنه معه حيث كان يطرد عنه شبح الوحدة المخيف، ويزيح عن نفسه كابوسها المزعج، يقول الله تعالى في الحديث القدسي:

**((أَنَا عِنْدَ ظَنّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرّبَ إِلَيّ بِشِبْرٍ تَقَرّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً وَإِنْ تَقَرّبَ إِلَيّ ذِرَاعاً تَقَرّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً))**

[ البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة]

ويقول الله تعالى في كتابه العزيز:

**( وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(١٣٩) )**

( سورة آل عمران)

المؤمن لا يعتريه ذلك المرض النفسي الوبيل الذي يفتك بالمحرومين من الإيمان وهو مرض الشعور بالوحدة المقلقة، فيحس صاحبه أن الدنيا مقفلة عليه، وأنه يعيش فريداً منعزلاً، والعلاج

الأمثل لهذا المرض اللجوء إلى الدين، والاعتصام بعروة الإيمان الوثقى، وإشعار المريض بمعية الله والأنس به.

## ٥- المؤمن يعيش في صحبة النبيين والصديقين:

أيها الأخوة الكرام، المؤمن يعيش في صحبة النبيين والصديقين:

المؤمن لا يشعر بعزلة بوجود إخوانه المؤمنين

إنّ المؤمن لا يشعر أنه في عزلة عن أخوانه المؤمنين، إنهم إنْ لم يكونوا معه في عمله أو مسجده أو مسكنه فهم يعيشون دائماً في ضميره، ويحيَوْن في فكره ووجدانه، فهو إذا صلى ولو منفرداً تحدث باسمهم:

**( إيّاكَ نَعْبُدُ وَإيّاكَ نَسْتَعِينُ(٥) )**

( سورة الفاتحة)

وإذا دعا دَعا باسمهم:

**( اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(٦))**

( سورة الفاتحة)

وإذا ذكَر نفسه ذكَرهم:

**((السّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصّالِحِين))**

[ البخاري ومسلم من حديث طويل عن عبد الله بن مسعود ]

إنه لا يعيش مع مؤمني عصره فحسب، بل يتخطى الأجيال، ويخترق العصور والمسافات، ويحيا مع المؤمنين وإن باعدت بينه وبينهم السنون والأعوام، ويقول ما قال الصالحون:

**( رَبّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخوانِنا الّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ (١٠) )**

( سورة الحشر)

المؤمن يشعر أنه يعيش بإيمانه وعمله الصالح مع أنبياء الله ورسله المقربين، ومع كل صدّيق وشهيد وصالح من كل أمة وفي كلّ عصر، دلّ على هذا كلِّه قولُه سبحانه:

(وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً(٦٩) )

( سورة النساء)

## ٦- أُنْسُ المؤمن بالوجود كلّه:

أيها السادة المستمعون أيتها السيدات المستمعات، أُنسُ المؤمن بالوجود كلّه:

إنّ المؤمن يعيش موصولاً بالوجود كله، ويحيا في أنس به وشعور عميق بالتناسق معه وارتباط به، فليس هذا الكون عدواً له ولا غريباً عنه، إنه مجال تفكره واعتباره، ومسرح نظره وتأملاته، ومظهر نعم الله وآثار رحمته. هذا الكون الكبير كله يخضع لنواميس الله كما يخضع المؤمن، ويسبح بحمد الله كما يسبح المؤمن.

المؤمن ينظر إليه نظرته إلى دليل يهديه إلى ربه وإلى صديق يؤنسه في وحشته، وبهذه النظرة الودود الرحبة للوجود، تتسع نفس المؤمن، وتتسع حياته، وتتسع دائرة الوجود الذي يعيش فيه فليس هناك أوسع من صدر المؤمن وقلبه، الذي وسع العالّمين المنظور وغير المنظور، وعالم الشهادة، وعالم الغيب، ووسع الحياتين ؛ حياة الفناء، وحياة الخلود.

النفس المؤمنة رحبة واسعة، لأنها تعيش في نور يهديها سبيلها، ويكشف لها ما حولها، ومن شأن النور أن يوسع الدائرة التي يحيا فيها الإنسان، على عكس الظلام فإنّ الذي تكتنفه الظلمة لا يرى ما حوله ولا من حوله، بل لا يرى الشيء وهو بجواره، بل لا يرى نفسه. سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى:

( فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ (١٢٥) )

( سورة الأنعام )

فقال:

(( إن النور إذا دخل الصدر انفسح ))

[الحاكم وتعقب عن ابن مسعود]

الإيمان بالله وباليوم الآخر هو الذي يرفع الإنسان من البهيمية إلى الإنسانية، ومن الطفولة إلى الرشد، ومن المحسوس إلى المعقول، ومن المنظور إلى غير المنظور.

## ٧- الصلاة والدعاء من بواعث السكينة:

أيها الأخوة الأعزاء، الصلاة والدعاء من بواعث السكينة:

الصلاة والدعاء من بواعث السكينة

مِن أسباب السكينة النفسية التي حرم منها الماديون، ونعم بها المؤمنون، ما يناجي به المؤمن ربه كل يوم من صلاة ودعاء، فالصلاة لحظات ارتقاء روحي يفرغ المرء فيها من أشغالِه في دنياه ليقف بين يدي ربه ومولاه، يثني عليه بما هو أهله، ويفضي إليه بذات نفسه، داعياً راغباً ضارعاً، وفي الاتصال بالله العلي الكبير قوة للنفس، ومدد للعزيمة، وطمأنينة للروح، لهذا جعل الله الصلاة سلاحاً للمؤمن يستعين بها في معركة الحياة، ويواجه بها صعوباتها، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(١٥٣) )**

( سورة البقرة)

كان محمد صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة، ولم تكن صلاته مجرد شكل أو طقس يؤدى إنما كانت استغراقاً في مناجاة الله، حتى أنه كان إذا حان وقتها قال لمؤذِّنه بلال في لهفة المتشوق، واشتياق الملهوف:

**((يَا بِلَالُ أَقِمْ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا))**

[ أخرجه أبو داود وأحمد عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ ]

وكان يقول:

**((حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))**

[ أخرجه النسائي وأحمد عَنْ أَنَسٍ ]

## ٨- المؤمن لا يعيش بين (لو) و(ليت):

أخوة الإيمان في كل مكان، المؤمن لا يعيش بين (لو) و(ليت):

إن من أهم عوامل القلق الذي يُفقد الإنسان سكينة النفس وأمنها ورضاها هو تحسره على الماضي، وسخطه على الحاضر، وخوفه من المستقبل.

إن بعض الناس تنزل بهم النازلة من مصائب الدهر فيظل فيها شهوراً وأعواماً يجتر آلامها، ويستعيد ذكرياتها القاتمة، متحسراً تارة متمنياً أخرى، شعاره ليتني فعلت وليتني تركت، وأبعدُ الناس عن الاستسلام لمثل هذه المشاعر المؤلمة والأفكار السوداوية هو المؤمنُ، الذي قوِيَ يقينُه بربه وآمن بقضائه وقدره، فلا يسمح لنفسه أن تكون فريسة التحسُّر على الماضي، ولا السخط على الحاضر، ولا الخوف من المستقبل، قال تعالى:

**( فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٣٨) )**

( سورة البقرة)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

**((وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ))**

[ رواه مسلم عن أبي هريرة ]

## قصة تجسد موضوع الخطبة:

أيها الأخوة المؤمنون، إليكم هذه القصة التي تجسد موضوع الخطبة، فقدْ أخرج مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه:

**((أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ الْقَرَنِيِّينَ ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: إِنَّ رَجُلاً يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ لَا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوْ الدِّرْهَمِ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ ))**

[ رواه مسلم عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ]

**(( إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ))**

[ رواه مسلم عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ]

وقد ورد في كتب السيرة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمرَ بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب: إذا لقيتما أويساً القرني فاسألاه أن يستغفر لكما فإنه مجاب الدعوة. فترصدا موسم الحج عشر سنين يدعوان أهل الموسم من اليمن على طعام فما ظفرا بضالتهما، ثم جاء العام الذي يليه فقال عمر لرئيس وفد اليمن: أبقي أحد لم يحضر وليمتنا، قال: لا، إلا فتىً خامل الذكر يرعى إبلاً لنا، فقال له سيدنا عمر: أهو آدم أشهل ذو صهوبة ؟ فقال: كأنك تعرفه يا أمير المؤمنين، فذهب عمر وعلي إليه، فلما أتياه قالا: من الرجل ؟ قال: راعي إبل وأجير قوم، قالا: لسنا نسألك عن ذلك ما اسمك ؟ قال: عبد الله، قال له علي رضي الله عنه: قد علمنا أن كل من في السماوات والأرض عبيد لله، ما اسمك الذي سمتك به أمك ؟ قال: يا هذان من أنتما وما تريدان مني ؟ فقال عمر: أنا عمر بن

الخطاب، وهذا علي بن أبي طالب، فانتفض واقفاً، وقال: جزاكما الله عن الإسلام خيراً يا أمير المؤمنين، ويا صهر رسول الله، أما أنتما فقد كان لكما شرف الصحبة، وأما أنا فقد حرمت هذا الشرف، فقال له سيدنا عمر: كيف تتصور النبي يا أويس ؟ قال: أتصوره نوراً يملأ الأفق، فبكى عمر شوقاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال عمر: يا أويس إن النبي أمرنا أن تستغفر لنا، وأن تدعو لنا، قال: ما أخص بالدعاء أحداً، ولكن أعمم ! قال عمر: يا أويس عظني، قال: يا أمير المؤمنين، اطلب رحمة الله عند طاعته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك منه، قال سيدنا عمر: أفلا نأمر لك بصلة ؟ قال: يا أمير المؤمنين أخذت على عملي أربعة دراهم، ولي على القوم ذمة، متى تراني أنفقها ؟ وعليّ رداء وإزار، متى تراني أخرقهما ؟ يا أمير المؤمنين إن بين يدي ويديك عقبة كؤود لا يقطعها إلا كل مخفّ مهزول، فبكى عمر، وقال: ليت أم عمر لم تلد عمر، قال: يا أويس ألا تقيم عندنا ؟ قال: أريد الكوفة، قال: أفلا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال: أحب أن أكون في دهماء الناس، ومضى إلى سبيله، ومات في غمار خيمة من خيام المسلمين خاملاً في الأرض علماً في السماء.

إنها السكينة التي يسعد بها الإنسان ولو فقد كل شيء، ويشقى بفقدها ولو ملك كل شيء.

## نحن في أمس الحاجة في هذه المرحلة إلى الصلح مع الله والإنابة إليه والإقبال عليه:

هذا عن الماضي المزدهر، الذي عاشته أمتنا، أو ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون، فماذا عن الحاضر الذي نعيشه، أو ما هم عليه المؤمنون ؟

ليس هناك من مرحلة في تاريخ أمتنا نحن في أمس الحاجة فيها إلى الصلح مع الله، والإنابة إليه، والإقبال عليه، وقد غرق العالم بالشهوات والشبهات والفتن والضلالات، كهذه المرحلة التي تعيشها أمتنا العربية والإسلامية. وليس هناك من مرحلة في تاريخ أمتنا نحن في أمس الحاجة فيها إلى التعاون والتكاتف والتناصر والتضامن كهذه المرحلة الدقيقة التي نمر بها، ولاسيما في ظل النظام العالمي الجديد، وفي ظل غياب التوازن الدولي، وتحكم القطب الواحد، وازدواجية المعايير، وسيطرة الاحتكارات الكبرى والتطورات الهائلة في وسائل الاتصالات والمعلوماتية، وازدياد الهوة بين الدول الغنية المتقدمة والدول النامية، وانفجارات الحروب الإقليمية والمحلية والصراعات القبلية، والدينية، والعرقية في مناطق متعددة من العالم، إضافة إلى نهج العولمة الثقافية والاقتصادية، إن عالم اليوم يكاد يتحول إلى غابة تتحكم فيها قواعد القوة، وتغيب عنها ضوابط المبادئ والقيم، ومع ذلك فإن قوى الهيمنة تتحدث عن حقوق الإنسان في الوقت الذي يجري فيه انتهاك لحقوق الإنسان كما قال السيد الرئيس في خطابه الأخير في مجلس الشعب: العالمُ الإسلاميُ اليومَ يواجه تحدياتٍ كبيرةً تستهدفُ الإسلامَ وما يمثِّله من قيمٍ نبيلةٍ، وما يدعو إليه من أخوةٍ وعدالةٍ

ومساواةٍ وحرية، وإذا كان من واجبنا أن ندافعَ عن ديننِا فإن لنا فيه يَنبوعَ قوةٍ ومصدر إلهام في مواجهةِ كلّ ما يقابلُنا من أخطارٍ وتحدياتْ.

يقول السيد الرئيس: لا يمكن لإنسان عاقل أن يعتقد أن الله جل جلاله قال لمجموعة من الناس، لشعب، لأي شعب، سأعطيكم أراض من هنا إلى هناك، وسأطرد أمامكم هذه الشعوب، نحن نتصور أن الله قوة عدل مطلقة تسير هذا الوجود، الله لنا جميعاً ونحن له جميعاً، ويتابع حديثه قائلاً: نحن نعتز بالإسلام اعتزازاً لا حدود له، ونقاوم الذين يشوهون هذا الإسلام، ونحن سندافع عن الإسلام سندافع عنه كما جاء إسلام الصحابة، إسلام عمر وعلي، إسلام العدل، إسلام المساواة، إسلام المحبة.

أيها الأخوة المؤمنون، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

***

**الخـطـبـة الثانية:**

## الخسوف والكسوف:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

الموضوع العلمي:

أيها الأخوة المؤمنون أيتها الأخوات المؤمنات، توفي سيدنا إبراهيم، ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم موقفَ الأب الرحيم الحاني، المؤمن بقضاء الله وقدره، الصابر لحكمه، الراضي بمشيئته، فعَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

**(( دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا**

**بِأُخْرَى، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ ))**

[ متفق عليه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ]

وقد رافق موتَ سيدنا إبراهيم كسوفُ الشمس، فظنّ الصحابة الكرام أن الشمس كسفت لموت إبراهيم، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً في أصحابه، وهو أمين وحي السماء، فرفض أن تختلط حقائق العلم بمشاعر المسلمين، فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( إِنّ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوّفُ بِهَا عِبَادَهُ، وَقَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ وَلَمْ يَذْكُرْ عَبْدُ الْوَارِثِ وَشُعْبَةُ وَخَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَحَمّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ يُونُسَ: يُخَوّفُ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ ))**

[ متفق عليه عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ]

## الخسوف والكسوف آيتان دالتان على عظمة الله ورحمته:

الخسوف هو اختفاء القمر أو بعضه في أثناء مرور الأرض بينه وبين الشمس

الخسوف تكون الأرض بين القمر والشمس

أما الكسوف فهو اختفاء الشمس أو بعضها في أثناء مرور القمر بينها وبين الأرض، وإنّ الكسوف والخسوف إشارتان إلى نعمة الشمس والقمر، فهما آيتان دالتان على عظمة الله ورحمته، قال العليُّ العظيمُ:

سبب الكسوف مرور القمر بين الشمس والأرض

**( وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ(٣٧) )**

( سورة فصلت)

وقال سبحانه:

**( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ(٧١) )**

( سورة القصص)

قد يسأل سائل: كيف يغطي القمر قرص الشمس مع أنه أصغر منها بأربعمئة مرة ؟ الجواب: إن الشمس أبعد عن الأرض من القمر بأربعمئة مرة وهذا ما يجعلهما يظهران بالحجم نفسه لذلك يمكن للقمر أن يحجب أشعة الشمس كلياً إذا مرّ بينها وبين الأرض.



النظر إلى أشعة الشمس يؤذي العين

يجب ألا يشغلنا جمال منظر الكسوف عن خطر الأشعة الشمسية على أعيننا إذ أن النظر إلى الشمس في أثناء الكسوف من دون نظارة سوداء خاصة بالكسوف يتسبب بأضرار بليغة للعين دون أن يشعر الإنسان، لأن شبكية العين لا تحوي أي مستقبل للألم، وهنا يجب الانتباه بشكل خاص للأطفال الذين لا يقدِّرون الخطر، ولأن شبكيات أعينهم أكثر حساسية من الكبار، لذلك سنّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف، وندب أن نطيل القراءة فيها، وأن نطيل السجود، ليغطي سجودنا وقت الكسوف.

سيكون الكسوف استناداً للحسابات الفلكية في الحادي عشر من شهر آب مرئياً في جميع أنحاء الوطن العربي، لكنه لن يكون كلياً إلا في أقصى الشمال الشرقي منه، ففي الشمال الشرقي من سورية سيبدأ ذلك العرض الفلكي بعيد ظهر ذلك اليوم بمرحلة الكسوف الجزئي الذي يستمر ساعة تقريباً، ومن ثم تغرب الشمس وتختفي كلياً، ويحلّ الظلام التام مدة دقيقتين. وفي هاتين الدقيقتين يتاح لنا أن نشاهد الانفجارات التي تحدث على سطح الشمس، وقد يمكننا أن نرى ألسنة اللهب التي يقترب طولها من مليون كيلو متر، وسيكون بالإمكان رؤية الكواكب الخمسة: عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل.

هناك تعبير شائع بين الناس، حينما يتحمل الإنسان ما لا يحتمل، يقال: رأى النجوم ظهراً، لكن في أثناء الكسوف نرى النجوم ظهراً حقيقة لا مجازاً.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٤٩) : خ١ - النزعة الإنسانية في الإسلام ، خ٢ - ظاهرة الزلازل .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-١٠-١٥

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولـى:**

## من ثمرات إنسانية الإسلام اليانعة:

إنّ الإنسانية إحدى خصائص الإسلام الكبرى، إنها تشغل حيزاً كبيراً في منطلقاته النظرية، وفي تطبيقاته العملية، وقد ربطت بعقائده وشعائره ومنهجه وآدابه ربطاً محكماً ؛ فالإنسانية في الإسلام ليست مجرد أُمْنية شاعرية تهفو إليها بعضُ النفوس، وليست فكرة مثالية تتخيّلها بعضُ الرؤوس، وليست حِبراً على ورق سطّرته بعضُ الأقلام، إنها ركنٌ عقدي، وواقع تطبيقي، وثمار يانعة.

## ١- مبدأ الإخاء الإنساني:

مِن ثمرات إنسانية الإسلام اليانعة مبدأ الإخاء الإنساني، إنه مبدأ قرّره الإسلامُ بناءً على أنّ البشرَ جميعاً أبناءُ رجُلٍ واحد وامرأة واحدة، ضمّتهم هذه البنوّةُ الواحدةُ المشتركة، والرحمُ الواصلة، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً(١) )**

( سورة النساء)

ولعل كلمة: ]يَا أَيُّهَا النَّاسُ[، وكلمة ]مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ [ تلزمنا أن نفهم كلمة ]الْأَرْحَامَ[ في هذه الآية على أنها الرحم الإنسانية العامة التي تسع البشر جميعاً.

## النبي الكريم يعلن من خلال هذا الدعاء المتكرر الأخوة بين عباد الله جميعاً:

النبي صلى الله عليه وسلم يقرّر هذا الإخاء ويؤكِّده كل يوم أبلغ تأكيد ؛ فقد روى الإمام أبو داود وأحمد في مسنده عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُبُرِ صَلَاتِهِ:

**((اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ،أَنَا شَهِيدٌ أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ،اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ،اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، اجْعَلْنِي مُخْلِصاً لَكَ وَأَهْلِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،يَا ذَا**

الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ،اسْمَعْ وَاسْتَجِبْ، اللَّهُ أَكْبَرُ الْأَكْبَرُ، اللَّهُمَّ نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، اللَّهُ أَكْبَرُ الْأَكْبَرُ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، اللَّهُ أَكْبَرُ الْأَكْبَرُ))

[ أبو داود وأحمد عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ]

النبي صلى الله عليه وسلم يعلن من خلال هذا الدعاء المتكرر الأخوة بين عباد الله جميعاً، لا بين العرب وحدهم، ولا بين المسلمين وحدهم، بل هي أخوة بين بني البشر جميعاً، على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وألوانهم وطبقاتهم ومللهم ونحلهم، والبشر جميعاً عند الله جل جلاله نموذجان ؛ رجل عرف الله وانضبط بمنهجه وأحسن إلى خلقه فَسَلِمَ وسعِد في الدنيا والآخرة، ورجل غفَل عن الله وتفلّت من منهجه وأساء إلى خلقه فشقيَ في الدنيا والآخرة.

وهذا الإخاء الإنساني في الإسلام ليس للاستهلاك المحلي، ولا للتضليل العالمي، إنما هي حقيقة دينية لا ريب فيها، تنطلق من كلمتي التوحيد والرسالة ؛ فشهادة أنْ لا إله إلا الله إسقاط لكل المتألهين في الأرض الذين طغوا وبغوا، وشهادة الرسالة وصفت محمداً عليه الصلاة والسلام أنه عبده ورسوله، يتبع ما يوحى إليه قال تعالى:

( وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٥) )

( سورة يونس)

## الإخاء الديني المتفرع عن الإيمان والعقيدة المشتركة لا يضعف الإخاء العام بل يقويه:

قال تعالى:

( وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) )

( سورة الحاقة)

يزداد هذا الإخاء توثقاً وتأكداً إذا أضيف إليه عنصر الإيمان فتجتمع الأخوة الدينية إلى الأخوة الإنسانية فتزيدها قوة إلى قوة، ولما كان باب الإيمان مفتوحاً لكل الناس بلا قيد، ولا شرط، ولا تحفظ على جنس أو لون أو إقليم أو طبقة، فإنّ الإخاء الديني المتفرع عن الإيمان والعقيدة المشتركة لا يضعف الإخاء العام بل يشده ويقويه، فلا تناقض بين الإخاء البشري العام وبين الإخاء الديني الذي تشير إليه الآية الكريمة:

( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) )

( سورة الحجرات: الآية ١٠)

ويشير إليه الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))**

[البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

## النبي ربط ربطاً محكماً بين الأخوة الإنسانية وبين الإيمان وجعلها مِن مقوماته:

النبي صلى الله عليه وسلم ربط ربطاً محكماً بين الأخوة الإنسانية وبين الإيمان، وجعلها مِن مقوماته، فعَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))**

[ رواه البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ]

وفي رواية: وحتى يكره له ما يكره لنفسه، وقد ذكر بعض شُرَّاح الحديث أن كلمة أخيه في الحديث لم تُقيد بصفة تحدُّ إطلاقها، والمُطلق في النصوص المحكمة على إطلاقه، إذاً فالأخوة التي قصدها المصطفى صلى الله عليه وسلم هي الأخوة الإنسانية.

لقد طبَّق الإسلامُ هذا الإخاء الرفيع، وأقام على أساسه مجتمعاً ربانياً إنسانياً فريداً اضمحلَّتْ فيه فوارق الجنس واللون والقبيلة والطبقة. وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**((سلمان منا أهل البيت))**

[لحاكم في المستدرك والطبراني في المعجم الكبير عن كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده ]

و قال النبي عليه الصلاة والسلام:

**((نِعْمَ العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه))**

[كشف الخفاء للعجلوني ]

## ٢ـ مبدأ المساواة الإنسانية:

من ثمرات إنسانية الإسلام اليانعة مبدأ المساواة الإنسانية، فقد قرره الإسلام ونادى به، وهو ينطلق من أن الإسلام يحترم الإنسان ويكرمه من حيث هو إنسان لا من أي حيثية أخرى، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(١٣) )**

( سورة الحجرات)

لقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع خطبة جامعة مانعة تضمنت مبادئ إنسانية سيقت في كلمات سهلة سائغة، كيف لا وقد أوتي النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، فلقد استوعبت هذه الخطبة جملة من الحقائق التي يحتاجها العالم الشارد المعذب ليرشد ويسعد، قال تعالى:

**( فإِمّا يَأْتِيَنّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى(١٢٣) )**

( سورة طه)

إن الله جل وعلا ربّى محمداً صلى الله عليه وسلم ليُربّيَ به العرب، وربّى العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم ليُربّيَ بهم الناس أجمعين قال تعالى:

**( هُوَ سَمّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النّاس(٧٨) )**

( سورة الحج)

## مبادئ انطوت عليها خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع:

من المبادئ التي انطوت عليها خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع:

### ١ـ الإنسانية متساوية القيمة:

الإنسانية متساوية القيمة في أي إهاب تبرز، على أية حالة تكون، وفَوْق أيّ مستوى تتربع، عَنْ أبِي نَضْرَةَ قَالَ: حَدّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي وَسَطِ أيّامِ التّشْرِيقِ فَقَالَ:

**(( يَا أيُّهَا النّاسُ، ألَا إنّ رَبّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنّ أبَاكُمْ وَاحِدٌ، ألَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيّ عَلَى أعْجَمِيّ، وَلَا لِعَجَمِيّ عَلَى عَرَبِيّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أسْوَدَ، وَلَا أسْوَدَ عَلَى أحْمَرَ إلّا بالتّقْوَى، أبَلّغْتُ ؟ قَالُوا: بَلّغَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، ثُمّ قَالَ: أيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمّ قَالَ: أيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ: قَالَ: ثُمّ قَالَ: أيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنّ اللّهَ قَدْ حَرّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأمْوَالَكُمْ وَأعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ، هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أبَلّغْتُ ؟ قَالُوا: بَلّغَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: لِيُبَلّغْ الشّاهِدُ الْغَائِبَ ))**

[رواه أحمد عَنْ أبِي نَضْرَةَ]

## ٢- النفس الإنسانية ما لم تكن مؤمنة بربها قد تبني مجدها على أنقاض الآخرين:

النفس الإنسانية ما لم تكن مؤمنة بربها مؤمنة بوعده ووعيده مؤمنة بأنه يعلم سرّها وجهرها، لأن النفس الإنسانية تدور حول أثرتها، ولا تُبالي بشيء في سبيل غايتها، فربما بنت مجدها على أنقاض الآخرين، وبنت غناها على فقرهم، وبنت عزها على ذلهم، بل ربما بنت حياتها على موتهم، لذلك قال الرسول الكريم في حجة الوداع:

**((...يَا أَيُّهَا النّاسُ أَتَدْرُونَ فِي أَيِّ شَهْرٍ أَنْتُمْ ؟ وَفِي أَيِّ يَوْمٍ أَنْتُمْ ؟ وَفِي أَيِّ بَلَدٍ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا: فِي يَوْمٍ حَرَامٍ، وَشَهْرٍ حَرَامٍ، وَبَلَدٍ حَرَامٍ، قَالَ: فَإِنّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَهُ، ثُمّ قَالَ: اسْمَعُوا مِنِّي تَعِيشُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، إِنّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، أَلَا وَإِنّ كُلّ دَمٍ وَمَالٍ وَمَأْثَرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيّةِ تَحْتَ قَدَمِي هَذِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ... ))**

[رواه أحمد عَنْ أَبِي حُرّةَ الرّقَاشِيِّ عَنْ عَمِّهِ]

## ٣- المال قوام الحياة:

المال قوام الحياة، وينبغي أن يكون مُتداولاً بين كل الناس، وأنه إذا ولد المالُ المال من دون جهد حقيقي يسهم في إعمار الأرض، وإغناء الحياة، تجمّع في أيدٍ قليلة وحُرمت منه الكثرة الكثيرة، عندها تضطرب الحياة، ويظهر الحقد، ويُلجأ إلى العنف، ولا يلد العنفُ إلا العنفَ، والربا يُسهم بشكل أو بآخر في هذه النتائج المأساوية التي تعود على المجتمع البشري بالويلات، لهذا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع:

**(( أَلَا وَإِنّ كُلّ رِباً كَانَ فِي الْجَاهِلِيّةِ مَوْضُوعٌ وَإِنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ قَضَى أَنّ أَوّلَ رِباً يُوضَعُ رِبَا الْعَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ))**

[رواه أحمد عَنْ أَبِي حُرّةَ الرّقَاشِيِّ عَنْ عَمِّهِ]

## ٤- النساء شقائق الرجال:

النساء شقائق الرجال، ولأن المرأة مساوية للرجل تماماً من حيث أنها مكلفة كالرجل بالعقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، ومساوية له من حيث استحقاقها الثواب والعقاب، وأنها مساوية له تماماً في التشريف والتكريم، لهذا قال صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع:

**(( أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً فَإِنّمَا هُنّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنّ شَيْئاً غَيْرَ ذَلِكَ إِلّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ**

**فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنّ سَبِيلاً أَلَا إِنّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقّاً وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً فَأَمّا حَقّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلَا يَأْذَنّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ أَلَا وَحَقّهُنّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنّ فِي كِسْوَتِهِنّ وَطَعَامِهِنّ ))**

[رواه الترمذي عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ عَنْ أَبِيهِ]

**لم يكتفِ الإسلام أن يقرر مبدأ المساواة نظرياً بل أكده عملياً بجملة أحكام وتعاليم:**

النبي صلى الله عليه وسلم قام لجنازة رجل وصفه القرآن بأنه من أشد الناس عداوة للذين آمنوا، فلما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال: أليس إنساناً، لذلك عدّ الإسلام الاعتداء على أية نفس اعتداء على الإنسانية كلها، كما عدّ إنقاذ أية نفس إحياء للناس جميعاً، وهذا ما قرره القرآن الكريم بوضوح جلي، قال الحكيم الخبير:

**( مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنّمَا قَتَلَ النّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنّمَا أَحْيَا النّاسَ جَمِيعاً (٣٢) )**

( سورة المائدة)

ولم يكتف الإسلام أن يقرر مبدأ المساواة نظرياً بل أكده عملياً بجملة أحكام وتعاليم، نقلته من فكرة مجردة إلى واقع ملموس ؛ من ذلك العبادات الشعائرية التي فرضها الإسلام وجعلها الأركان العملية التي يقوم عليها بناؤه العظيم من الصلاة والزكاة والصيام والحج.

في مساجد الإسلام حيث تقام صلاة الجمعة والجماعة تأخذ المساواة صورتها العملية، وتزول كل الفوارق التي تميّز بين الناس، فمَن دخَلَ المسجدَ أوّلاً أخذ مكانه في مقدمة الصفوف، وإن كان أقلَّ الناس مالاً، وأضعفَهم جاهاً، ومَن تأخّر حضورُه تأخّر مكانُه مهما يكن مركزه، فكل الناس سواسية أمام الله ؛ في قيامهم، وقعودهم، وركوعهم، وسجودهم، ربُّهم واحد، وكتابُهم واحد، وقبلتُهم واحدة، وحركاتُهم واحدة، وإمامهم واحد.

في مناسك الحج تتحقق المساواة بشكل أشد ظهوراً، وتتجسد تجسداً تراه العين، فشعيرة الإحرام تفرض على الحجاج والمعتمرين أن يتجرّدوا من ملابسهم العادية، ويلبسوا ثياباً بيضاء بسيطة، غير مخيطة، ولا محيطة، أشبه ما تكون بأكفان الموتى، يستوي فيها القادر والعاجز، والغني والفقير، والملك والمملوك، ثم ينطلق الجميع ملبين بهتاف واحد: "لبيك اللهم لبيك"، ومن المساواة العملية التي قررها الإسلام قولاً وطبقها فعلاً المساواة أمام قانون الإسلام وأحكام الشرع.

## الحرام في شريعة الإسلام يَتَّسِم بالشمول والاطِّراد:

الحرام في شريعة الإسلام يَتَّسِم بالشمول والاطِّراد، فليس هناك شيء حرام على الأعجمي حلال على العربي، وليس هناك شيء محظور على الملون مباح للأبيض، وليس هناك جواز أو ترخيص ممنوح لفئة من الناس تقترف باسمه ما طوع لها الهوى، بل ليس للمسلم خصوصية تجعل الحرام على غيره حلالاً له، كلا إن الله رب الجميع، والشرع سيد الجميع، فما أحل الله بشريعته فهو حلال للناس كافة، وما حرّم فهو حرام على الجميع كافة إلى يوم القيامة.

السرقة مثلاً حرام، سواء أكان السارق ينتمي إلى المسلمين أمْ لا ينتمي، وسواء أكان المسروق ينتمي إلى المسلمين أم لا ينتمي، والجزاء لازم للسارق أياً كان نسبه أو مركزه. وقد حاول بعض الصحابة أن يُشَفِّعوا أسامة بن زيد، حِبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبّه في امرأة من قريش، من بني مخزوم، سرقت فاستحقت أن يُقام عليها حدُّ السرقة، فكلّمه أسامة فيها، فغضب عليه الصلاة والسلام غضبته التاريخية المعروفة، وقال قولته التي خلّدها التاريخ، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

**(( إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وأيمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ))**

[متفق عليه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا]

## خسارة فرد لا تقاس بخسارة مبدأ:

كان عمر رضي الله عنه إذا أراد إنفاذ أمر جمع أهله وخاصته، وقال لهم: " إني أمرت الناس بكذا ونهيتهم عن كذا، والناس كالطير، إن رأوكم وقعتم وقعوا، وأيمُ الله لا أوتَيَنّ بواحد وقع في ما نهيت الناس عنه، إلا ضاعفتُ له العقوبة لمكانه مني "، فصارت القرابة من عمر مصيبة.

وفي خلافته رضي الله عنه وأرضاه، جاءه إلى المدينة جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة يعلن إسلامه، فرَحّب به عمر أشد الترحيب، وفي أثناء طواف هذا الملك حول الكعبة داس بدوي طرف إزار الملك الغساني، فيغضب الملك ويلتفت إلى هذا البدوي فيضربه ويهشم أنفه، فما كان من هذا البدوي من فزارة إلا أن توجه إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب شاكياً، فيستدعي عمر رضي الله عنه الملك الغساني إلى مجلسه ويجري بينهما حوار صيغ على الشكل التالي: " قال عمر: جاءني هذا الصباح مشهد يبعث في النفس المرارة، بدويٌّ من فزارة، بدماء تتظلّم بجراح تتكلّم، مقلة غارت وأنف قد تهشم، وسألناه فألقى فادِحَ الوزر عليك، بيديك، أصحيح ما ادّعى هذا الفزاري الجريح ؟ قال جبلة: لست ممن ينكر أو يكتم شيئاً أنا أدّبتُ الفتى، أدركتُ حقي بيدي، قال عمر: أيُّ حقّ يا ابن أيهم، عند غيري يقهر المستضعف العافي ويظلم، عند غيري جبهة بالإثم والباطل تُلطم، نزوات

الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها وأقمنا فوقها صرحاً جديداً، تساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً، أرض الفتى، لا بد من إرضائه مازال ظفرك عالقاً بدمائه، أو يهشمن الآن أنفك وتنال ما فعلته كفك، قال جبلة: كيف ذاك يا أمير المؤمنين، هو سوقة وأنا صاحب تاج، كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً، كان وهماً ما مشى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز، أنا مرتد إذا أكرهتني. قال عمر: عالم نبنيه، كل صدع فيه بشبا السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى ".

أما جبلة فلم يستوعب هذا المعنى الكبير في الإسلام، وفرّ من المدينة هارباً مرتداً، ولم يبالِ عمر ولا الصحابة معه بهذه النتيجة، لأن ارتداد رجل عن الإسلام أهونُ بكثير من التهاون في تطبيق مبدأ عظيم من مبادئه، وخسارة فرد لا تقاس بخسارة مبدأ.

## ٣ ـ ومن ثمرات إنسانية الإسلام اليانعة الدعوة إلى السلام بأوسع معاني هذه الكلمة:

أيها السادة المستمعون أيتها السيدات المستمعات، ومن ثمرات إنسانية الإسلام اليانعة دعوته إلى السلام بأوسع معاني هذه الكلمة ؛ بمعانيها الفردية والجماعية، والمادية والروحية، والدنيوية والأخروية. قال تعالى:

**( يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(١٦) )**

( سورة المائدة)

إنّ الإنسان ـ أيّ إنسان ـ في أي زمان ومكان، مفطور على حبِّ وجوده، وعلى حبِّ سلامة وجوده، وعلى حبِّ استمرار وجوده، وعلى حب كمال وجوده ؛ وبكلمة موجزة: مفطور على حب سلامته وسعادته، وهذان المطلبان الثابتان لدى أي إنسان لا يتحققان إلا حينما يطبق منهج الذي خلقه، فهو خبير بأسباب سلامته وسعادته، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ (٢١) )**

( سورة البقرة )

وقال عز وجل:

**( وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ )**

( سورة فاطر )

أين نجد منهج الذي خلقنا، وهو الخبير بأسباب سلامتنا وسعادتنا ؟ إننا نجده في كتابه العزيز وسنة نبيه الكريم، في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي يهدي للتي عي أقوم، وهو هدىً وبيان، وموعظة وبرهان، ونور وشفاء، وذِكْر وبلاغ، ووعد ووعيد، وبشرى ونذير، يهدي إلى الحق وإلى الرشد، وإلى صراط مستقيم، يُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن

ربهم إلى صراط العزيز الحميد، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، فيه تبيان لكل شيء وهو شفاء لما في الصدور، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم ؛ من ابتغى الهدى في غيره أضله الله فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، لا يشبع منه العلماء، ولا يَخلق عن كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبه، مَن قال به صدق، ومَن حكم به عدل، ومَن عمل به أجر، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم، قال تعالى:

**( يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ )**

( سورة المائدة: الآية ١٦ )

## مَن أراد رضوان الله والنعيم المقيم فعليه أن يهتدي بهدي القرآن:

مَن أراد رضوان الله والنعيم المقيم الذي أعده الله للإنسان المستقيم، فعليه أن يهتدي بهدي القرآن الكريم ولا هدي سواه، قال تعالى:

**( قُلْ إِنّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى (١٢٠) )**

( سورة البقرة )

وقال:

**( قُلْ إِنّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ (٧٣) )**

( سورة آل عمران )

وقال:

**( فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقّ إِلّا الضّلَالُ (٣٢) )**

( سورة يونس )

فيعتقد بما جاء به القرآن، وعليه أن يحل حلاله وأن يحرم حرامه.

## سبل السلام على المستوى الفردي والجماعي:

قال تعالى:

**( وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلّ ضَلَالاً مُبِيناً(٣٦) )**

( سورة الأحزاب )

عندئذ يهديه الله سبل السلام ؛ بأوسع معاني هذه الكلمة، يهديه سبل السلام مع نفسه، فلا كآبة، ولا انقباض، ولا شعور بالذنب، ولا حسرة، ولا ندم، ولا سقوط، ويهديه سبل السلام مع أهله، فلا شقاء ولا شقاق، ولا عقوق ولا عصيان، ولا تفكك ولا انهيار، ولا مذمة ولا عدوان، ويهديه سبل السلام مع مجتمعه، فلا عداوة ولا بغضاء، ولا إثم ولا عدوان، ولا إحباط ولا إخفاق، ولا مكر ولا كيد،

ويهديه سبل السلام مع ربه، فلا حجاب ولا نكوص، ولا جفوة ولا فتور، ولا غضب ولا سخط، هذا على المستوى الفردي فماذا على المستوى الجماعي ؟ قال تعالى:

**( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣))**

( سورة الأنفال )

قال علماء التفسير: ما دامت سنة النبي صلى الله عليه وسلم مطبّقة في مجتمع ما؛ مطبقة في بيوتهم، وفي أعمالهم، وفي تجارتهم، وفي أفراحهم، وفي أتراحهم، وفي حلّهم، وفي ترحالهم، وفي علاقاتهم، فهم في مأمنٍ من عذاب الله بكل أنواعه ومستوياته، قال أحكمُ الحاكمين:

**( مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً(١٤٧) )**

( سورة النساء )

وقال عزّ مِن قائلٍ:

**( وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً(١٦)لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً(١٧))**

( سورة الجن)

وقال أيضاً:

**( وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ )**

( سورة المائدة: الآية ٦٦ )

## سبل السلام على المستوى الدولي:

ماذا عن المستوى الدولي ؟ الأمة التي تطبق منهج الله يهديها الله سبل السلام، فيجعلها الله مستخلفة، ممكنة، آمنة، مطمئنة، قال تعالى مذكِّراً بهذه الحقيقة:

**( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) )**

( سورة النور)

الأمة التي لا تطبق منهج الله في حياتها تنطبق عليها هذه الآية الكريمة انطباقاً كاملاً، قال تعالى:

**( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (٥٩) )**

( سورة مريم )

## سبل السلام مع الجيران:

هذا عن سبل السلام في القرآن الكريم، فماذا عن سبل السلام مع الجيران ؟ إن السلام الذي نُدعَى إليه نحن حريصون عليه، راغبون فيه على أن يكون سلاماً عادلاً تسترد قبله الأرض، وتؤدّى معه الحقوق، وتتوافر فيه الكرامة، هذا بَعد أن نستوعب مضمونَ الآية الكريمة وأن نعمل بها:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ(٧))**

( سورة محمد)

نحن ندعو العالم العربي والإسلامي إلى مزيد من الوعي واليقظة والتماسك وإزالة أسباب الخلافات فيما بين المسلمين حتى يتفرغوا بحق لمواجهة المكائد والمؤامرات التي تحاك ضدهم وضد دينهم وضد مستقبل أبنائهم فضلاً عن حاضرهم وتراثهم.

وإن تعنُّتَ إسرائيل أوصلَ عملية السلام إلى طريقٍ مسدودٍ ـ كما قال السيدُ الرئيسُ في لقائه مع الرئيس الفرنسي ـ فهي ترفض رفضاً مطلقاً كلّ مقومات السلامِ وتنهج نهجَ المراوغةِ والخداع، وتستفزّ الضميرَ الإسلاميَ والعربيَ والإنسانيَ بإنشاءِ مزيدٍ من المستوطناتْ، ويضيف السيدُ الرئيسُ قائلاً: إن الخلاص يكون في الإسلام الذي عندما كنا متمسكينَ به لم يستطع أحدٌ أن يُذلّنا، الإسلام دين الحق والعدالة والمساواةِ بين البشر، الإسلام مصدُر قوةٍ لنا جميعاً، إن هذا يفرض علينا أن نناضلَ بكل قِوانا وبصدقٍ وإخلاصٍ لحماية الدين الحنيفِ من هذه المؤامراتِ الاستعماريةِ لنحفظ له مهابتَه وجلالَه وليبقى مصدر عزة وقوةٍ للمسلمين وليبقى حافزاً لتقدُّمِهم في كل مجال، ويضيف السيد الرئيس قائلاً: العالمُ الإسلاميُ اليومَ يواجه تحدياتٍ كبيرةً تستهدفُ الإسلامَ وما يمثِّلُه من قيمٍ نبيلةٍ، وما يدعو إليه من أخوةٍ وعدالةٍ ومساواةٍ وحرية، وإذا كان من واجبنا أن ندافعَ عن دينِنا فإن لنا فيه يَنبوعَ قوةٍ ومصدر إلهام في مواجهةِ كلّ ما يقابلُنا من أخطارٍ وتحدياتْ.

أيها الأخوة حضوراً ومستمعين، خَطَبَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْماً فَقَالَ في خُطْبَتِهِ:

**(( أَلاَ إِنّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ، يأكُلُ مِنْهَا الْبرّ والْفَاجر، ألاَ وإنّ الآخِرَةَ أجلٌ صَادِقٌ، يَقْضِي فِيهَا مَلِكٌ قادِرٌ، ألاَ وإنّ الْخَيْرَ كُلّه بحَذَافِيرهِ في الْجنّةِ، ألاَ وإنّ الشّرّ كُلّه بحَذَافِيرهِ في النّار، ألاَ فاعْلَمُوا، وأنْتُمْ مِنَ اللّهِ عَلَى حَذر، واعْلَموا أنّكُمْ مُعْرَضون عَلَى أعمَالكم، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرّة خَيْراً يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرّةٍ شَرّا يَرَه))**

[ رواه بهذا اللفظ الشافعي في الأم، والبيهقي في السنن الكبرى عن شداد بن أوس ]

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

***

**الخـطـبـة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

**الزلازل من وظائفها أنها تعطينا معنى الزلزلة الكبرى التي أوعد الله بها:**

أخوتي المؤمنين أعزائي المستمعين، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ))**

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

في كل حين نسمع في الأخبار أن زلزالاً وقع في بلد، وزلزالاً وقع في بلد آخر، وأن هذه الأخبار تتقارب، وتتعاظم درجات هذه الزلازل، وتودي بحياة بضع عشرات من الألوف، وأن كثرتها وشدتها مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، إن هذه الزلازل من وظائفها أنها تعطينا معنى الزلزلة الكبرى التي أوعد الله بها، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ(١) )**

( سورة الحج)

إنّ الأرض من أكثرُ الكواكب في المجموعة الشمسية كثافةً، فكثافة الأرض تزيد على كثافة الماء بخمسة أضعاف، ويفسِّر العلماء الزلزلة بأنها حركةٌ في باطن الأرض، بحيث ينشأ عنها ضغطٌ هائل، لا تحتمله قشرة الأرض، عندئذٍ تتصدّع هذه القشرة. وهذا التصدُّع في قشرة الأرض هو الزلزال الذي نستمع إلى أخباره من حينٍ إلى آخر علماً بأن هذه القشرة يزيد سمكها عن تسعين كيلو متراً، وهي من صخور البازلت، وهذه الصخور من أقسى أنواع الصخور ومع ذلك تتصدع، فما هذا الضغط من باطن الأرض الذي يصدع قشرة من البازلت يزيد سمكها على تسعين كيلو متراً هذا طرفٌ من معنى أن الله قوي، قال تعالى:

**( إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ )**

( سورة الذاريات )

## الحكمة من معرفة الحيوانات بالزلازل قبل فترة من الزمن وجهل الإنسان بها:

يقول بعض علماء الزلازل: هناك زلزال حدث في الصين في عام ألف وخمسمئة وستة وخمسين، أودى بحياة ثمانمئة وثلاثين ألفاً في ثوانٍ، وفي عام ألف وسبعمئة وسبعة وثلاثين حدث زلزال في الهند أودى بحياة مئة وثمانين ألفاً، وفي عام ألف وتسعمئة وثلاثة وعشرين حدث زلزال في اليابان أودى بحياة مئة ألف، وفي عام ألف وتسعمئة وستة وسبعين حدث زلزال في الصين أودى بحياة مئة ألف، وحدث زلزال بإيطاليا أودى بحياة خمسة وثلاثين ألفاً، ثوانٍ معدودة.

**( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ(١) )**

( سورة الحج)

سألوا عالماً كبيراً من علماء الزلازل: هل يمكن بما أوتينا من علم متقدم أن نتنبأ بالزلزال قبل وقوعه ولو بربع ساعة ؟ قال: لا، إلا أن حيوانات كثيرة في مقدمتها من يضرب المثل بغبائه يشعر بالزلزال قبل وقوعه بربع ساعة، ذلك لأن هذه الحيوانات ليست مكلفة كالإنسان وليست مقصودة بالزلزال. قال تعالى:

**( إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (٧٢) )**

( سورة الأحزاب)

## ما هذه الزلازل في الأرض إلا نماذج مصغرة ومحدودة عن الزلزال العظيم يوم القيامة:

قال عز وجل:

**( إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا(١) )**

( سورة الزلزلة)

زلزلت أيْ تحرّكتْ تحرُّكاً شديداً واضطربت، زلزالها العظيم والكبير والأخير، الذي ليس بعده زلزال، وذلك عند قيام الساعة، وما هذه الزلازل في الأرض إلا نماذج مصغرة ومحدودة:

**( وَأَخْرَجَتْ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا(٢) )**

( سورة الزلزلة)

هو الإنسان، المخلوق الأول الذي خلق لجنة عرضها السماوات والأرض، لأنه قبل حمل الأمانة فسخر الله له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، وجعله خليفته في الأرض، فإنْ سما عقله على شهوته كان فوق الملائكة، وإنْ سمتْ شهوتُه على عقله كان دون الحيوان:

**( وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا(٣) )**

( سورة الزلزلة)

تعجباً وخوفاً:

**( يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا(٤) )**

( سورة الزلزلة)

ما عمله الإنسانُ على وجه الأرض من خير أو شر:

**( بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا(٥) )**

( سورة الزلزلة)

أقْدَرَها على الكلام، وأذِن لها فيه، وأمرها به:

**( يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً (٦) )**

( سورة الزلزلة)

فرادى، متفرقين، فلا تجمعات، ولا تكتلات، ولا تناصر على باطل، ولا هيمنة، ولا غطرسة، ولا تعالي.

## فضل سورة الزلزلة:

قال عز وجل:

**( الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(٦٥) )**

( سورة يس)

قال تعالى:

**( لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ(٦)فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ (٧) )**

( سورة الزلزلة)

أيْ مقدار ذَرَّةٍ، وهي الجزء الذي لا يتجزأ:

**( خَيْراً يَرَه(٧)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه(٨) )**

( سورة الزلزلة)

يجد جزاءه وعاقبته، وردَ مِن حديث عبد الله بن عمرو الذي أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

**((أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: اقْرَأْ ثَلَاثاً مِنْ ذَوَاتِ الر، فَقَالَ: كَبُرَتْ سِنِّي وَاشْتَدَّ قَلْبِي وَغَلُظَ لِسَانِي، قَالَ: فَاقْرَأْ ثَلَاثاً مِنْ ذَوَاتِ حاميم، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ فقَالَ: اقْرَأْ ثَلَاثاً مِنْ الْمُسَبِّحَاتِ، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرِئْنِي سُورَةً جَامِعَةً، فَأَقْرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا أَبَداً، ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ مَرَّتَيْنِ))**

[أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها: علم لا يعمل به، وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء، ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه أمامه إلى الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، وبدن معطل عن طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره، ووقت معطّل عن استدراك فارط أو اغتنام برٍّ وقُرْبة، وفكرٌ يجول فيما لا ينفع، وخدمةٌ من لا تقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك، وخوفُك ورجاؤك لمَن ناصيته بيد الله، وهو أسير في قبضته، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

أعظم هذه الإضاعات إضاعتان وهما أصل كل إضاعة ؛ إضاعة القلب وإضاعة الوقت، فإضاعةُ القلب مِن إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعةُ الوقت مِن طول الأمل، فاجتمع الفسادُ كلُّه في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاحُ كله في اتباع الهدى والاستعداد لِلِقاء، والله المستعان.
العجب ممّن تعرِضُ له حاجة فيصرف رغبته وهمّته فيها إلى الله ليقضيها له، ولا يتصدى للسؤال لحياة قلبه من موت الجهل والإعراض، وشفائه مِن داء الشهوات والشبهات، ولكن إذا مات القلبُ لم يشعر بمعصيته.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٥٠) : خ١ - أثر الإيمان في نزول الرحمة ، خ٢ - الغدة الصعترية - التيموس .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-٠١-١٤

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

## التقنين الإلهي هو تقنينُ تأديبٍ وتربية لا تقنين عجز وبخل:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، إنّ المتفكِّرَ في خلق السماوات والأرض يتبدى له من خلال جولته التأمُّلية أنّ الله ثبّت أشياء كثيرة، منها النواميس والقوانين التي تحكم حركة الحياة، وثبّت خصائص الأشياء التي نتعامل معها، وثبّت دورة الأفلاك المحيطة بنا، وكل ذلك ترسيخاً للنظام الكوني، وتحقيقاً لتسخير الأشياء لنا، كي ننتفع بها في حياتنا الدنيا، ولكي ترشدنا إلى ربنا فنعرفه ونطيعه ونسعد بقربه في الدنيا والآخرة.

وحَرّك أشياء قليلة، منها الصحة والرزق، لتكون وسائل لتربيتنا والأخذ بيدنا إلى الله وإلى جنته، فالإنسان حريص على سلامته وعلى رزقه، ومن الثابت أن التقنين الإلهي هو تقنينُ تأديبٍ وتربية لا تقنين عجز وبخل، قال تعالى:

**( وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ(٢٧) )**

( سورة الشورى)

وقال سبحانه:

**( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ )**

( سورة الحجر )

## الله جلّ وعلا لا يسوق لعباده شِدّة إلا بما كسبت أيديهم ويعفو عن كثير:

ثم إن الله جل وعلا لا يسوق لعباده شِدّة إلا بما كسبت أيديهم، ويعفو عن كثير، قال عز وجل:

**( مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ )**

( سورة النساء الآية: ١٤٧ )

وقال عزّ مِن قائلٍ:

**( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ )**

( سورة الشورى )

أخوة الإيمان في كل مكان، روى ابن ماجة والبزار والبيهقي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

**(( يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ))**

[ ابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ]

ولكنْ ما العمل بعد نزول المصائب ؟ القرآن الكريم أجاب عن هذا السؤال، قال سبحانه وتعالى:

**( وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ )**

( سورة السجدة )

إنّ الهدفُ الأولُ والأوحدُ من سوق العذاب في الدنيا هو رجوعُ العباد إلى الله، والشيء الأول والأوحد الذي يصرف البلاء عن الإنسان في الحياة الدنيا هو طاعةُ الله وطاعةُ رسوله مخلصاً فيها.

## الاستغفار من الوسائل التي تزيد في الرزق:

يا أيها الأخوة الكرام، قال تعالى:

**( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(٣٣) )**

( سورة الأنفال)

قال علماء التفسير: ما دامت سُنّة النبي صلى الله عليه وسلم القولية والعملية والتقريرية مطبّقة في حياتهم، وفي بيوتهم، وفي علاقاتهم الأسرية، ومطبّقة في أعمالهم، وفي كسب أرزاقهم، مطبّقة في حلهم وترحالهم، وفي أفراحهم وأحزانهم، مطبقة في مَنشَطِهم ومَكرَههم، في يسرهم وعسرهم ؛ فهُمْ في مأمن من عذاب الله، أما لو حيّرتْهُم الشبهاتُ، وغلبتْهم الشهواتُ، فزلت أقدامهم، وانحرفت مسيرتهم، فأمامهم فرصةٌ ثمينة منحَها الله لهم، وبها يأمنون عذاب الله مرة أخرى، إنها الاستغفار، قال الغفور الرحيم:

**( فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً (١٢) )**

( سورة نوح)

لقد أطمعهُم ربُّهم إنْ هم استغفروه بالرزق الوفير الميسور، من أول أسبابه التي يعرفونها ويرجونها وهي المطر الغزير، الذي تنبت به الزروع، وتتفجر به الينابيع، وتسيل به الأنهار، كما وعدهم برزق آخر من الذرية التي يحبونها وهي البنون والأموال التي يطلبونها ويحرصون عليها:

**( فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً *)**

## في القرآن مواضع متكررة ربط الله جل جلاله فيها بين الاستغفار والأرزاق الوفيرة:

ربط الله جل جلاله بين الاستغفار وهذه الأرزاق الوفيرة، وفي القرآن مواضع متكررة فيها، هذا الارتباط بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله وبين تيسير الأرزاق وعموم الرخاء، جاء في موضع ثانٍ:

**( وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ (١٧))**

( سورة الجن )

وجاء في موضع ثالث:

**( وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى (٣) )**

( سورة هود)

وجاء في موضع رابع:

**( وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ )**

( سورة المائدة الآية: ٦٦ )

## ما من أمة قام فيها شرع الله إلا فاضت فيها الخيرات ومكن الله لها في الأرض:

أخوتي المؤمنين أعزائي المستمعين، هذه القاعدة التي يؤكدها القرآن في مواضع متفرقة، قاعدة تقوم أسبابها على وعد من الله، ومن سنن الحياة ؛ كما أن الواقع العملي يشهد بتحقيقها على مدار القرون، والحديث في هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد. وما من أمة قام فيها شرع الله، واتجهت اتجاهاً حقيقياً إلى الله عبادة واستقامة وعملاً صالحاً واستغفاراً يشعر بخشية الله، وما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته، فحققت العدل والأمن للناس جميعاً، إلا فاضت فيها الخيرات، ومكن الله لها في الأرض واستخلفها على خلقه قيادة وهداية، وبدّل خوفها أمناً، قال تعالى:

**( كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً (٣٥) )**

( سورة الأنبياء )

نشهد في بعض الفترات أمما لا تتقي الله ولا تقيم شريعته ؛ وهي مع هذا موسع عليها في الرزق، ممكن لها في الأرض، ولكن هذا إنما هو الابتلاء، ثم هو بعد ذلك رخاء ظاهري، تأكله آفات الاختلال الاجتماعي والانحدار الأخلاقي، فقد صرح مسؤول كبير في العالم الغربي أن هناك أخطاراً كبيرة تهدد المجتمع الغربي منها تفكك الأسرة، وشيوع الجريمة، وانتشار المخدرات، وسقوط القيم، ثم انتشار مرض الإيدز.

## من ملامح السنة الكونية أنّ هداية الله تسير مع الإنسان في أربع مراحل:

أيها الأخوة حضوراً ومستمعين، قال تعالى:

**( وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ(٩٤)ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(٩٥) )**

( سورة الأعراف)

إن السياق القرآني هنا لا يروي حادثة إنما يكشف عن سنة. ولا يعرض سيرة قوم إنما يعلن عن خطوات قدر، ومن ثم يتكشف أن هناك سنة تكوينية تجري عليها الأمور وتتم وفقها الأحداث ؛ ويتحرك بها تاريخ الإنسان في هذه الأرض. وأن الرسالة ذاتها على عظم قدرها هي وسيلة من وسائل تحقيق الناموس الأكبر، وأن الأمور لا تمضي جزافاً ؛ وأن الإنسان لا يقوم وحده في هذه الأرض كما يزعم الجاهلون الشاردون ! وأن كل ما يقع في هذا الكون إنما يقع عن تدبير، ويصدر عن حكمة، ويتجه إلى غاية. وأن هنالك في النهاية سنة ماضية وفق إرادة الله الطليقة التي وضعت السنة وارتضت الناموس.

من ملامح هذه السنة الكونية أنّ هداية الله تسير مع هذا الإنسان الذي خلق لجنة عرضها السماوات والأرض في أربع مراحل:

### ١ـ الدعوة البيانية:

الدعوة البيانية، وهي دعوة الأنبياء والمرسلين والدعاة الصادقين، قال تعالى:

**( وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(٥١) )**

( سورة القصص)

وقال سبحانه:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ (٢٤) )

(سورة الأنفال)

وقال:

( فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(٥٠) )

( سورة القصص)

فإن لم يستجيب الناس لدعوة ربهم لهم إلى ما يحييهم الحياة التي خلقوا من أجلها، والحياة التي تليق بإنسانيتهم، والحياة التي تتصل فيها نعم الدنيا بنعم الآخرة، فإن لم يستجيبوا طُبّقتْ عليهم الخطة الثانية وهي:

## ٢ـ التأديب التربوي:

التأديب التربوي: فليس من العبث ـ وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ أن يأخذ الله عباده بالشدة في أنفسهم وأبدانهم وأرزاقهم وأموالهم، إنما يأخذ الله المكذبين بالحق يأخذهم بالبأساء والضراء، لأن من طبيعة الابتلاء بالشدة أنه يوقظ الفطرة التي ما يزال فيها خير يرجى، وأن يرقق القلوب التي طال عيها الأمد متى كانت فيها بقية من خير، وأن يتجه بالبشر الضعاف إلى خالقهم القهار يتضرعون إليه، ويطلبون رحمته وعفوه، ويعلنون بهذا التضرع عن عبوديتهم له، والعبودية لله غاية الوجود الإنساني، وما بالله سبحانه من حاجة إلى تضرع العباد وإعلان افتقارهم له، ولكن تضرع العباد وإعلان عبوديتهم له إنما يُصْلِحُهُمْ هم، ويصلح حياتهم ومعاشهم كذلك.

( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي(٥٦)مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِي(٥٧)إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ(٥٨))

( سورة الذاريات)

فمتى أعلن الناس عبوديتهم لله تحرّروا من العبودية لسواه، وتحرّروا من العبودية للشيطان الذي يريد أن يغويهم، وتحرّروا من شهواتهم وأهوائهم، وتحرّروا من العبودية للعبيد من أمثالهم، واستحَوْا أن يتبعوا خطوات الشيطان، واستحوا أن يغضبوا الله بعمل أو نية، لذلك اقتضت مشيئةُ الله أن يأخذ أهل كل قرية شردت عنه بالبأساء في أنفسهم وذواتهم، وبالضراء في أبدانهم وأموالهم، استحياء لشعورهم بالألم.

والألم خير مهذِّبٍ، وخير مفجّرٍ لينابيع الخير المستكنة، وخيرُ مرهفٍ للحساسية في الضمائر الحية، وخيرُ موجّه إلى ظلال الرحمة التي تلوح للضعاف المكروبين قال تعالى:

( ثُمّ بَدّلْنَا مَكَانَ السّيّئَةِ الْحَسَنَةَ (٩٥) )

( سورة الأعراف)

لكن حينما لا تحدث الشدائد في الناس توبة وإنابة بسبب شدة غفلتهم، وبُعد انغماسهم في المتع الرخيصة، تصبح مصيبتهم الكبرى في أنفسهم، وقد قيل: من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة، فمصيبته في نفسه أكبر، عندئذ يخضعهم الله للخطة الثالثة:

## ٣ـ الرخاء الاستدراجي:

الرخاء الاستدراجي: فإذا الرخاء مكان الشدة، واليسر مكان العسر، والنعمة مكان الشظف، والعافية مكان الضر، والذرية مكان العقر، والكثرة مكان القلة، والأمن مكان الخوف. وإذا هو متاع ورخاء، وهناءة ونعماء، وكثرة وامتلاء، وإنما هو في الحقيقة اختبار وابتلاء. والابتلاء بالشدة ينتفع به الكثيرون، فالشدّة تستثير عناصر المقاومة للمعاصي والآثام، وقد تذكر صاحبها بالله ـ إن كان فيه بقية من خير ـ فيتجه إليه ويتضرع بين يديه، ويجد في ظلِّه طمأنينة، وفي رحابه فسحة، وفي فرجه أملاً، وفي وعده بشرى، أما الابتلاء بالرخاء فالذين ينتفعون منه قليلون. فالرخاء ينسي، والمتاع يلهي، والثراء يطغي، فلا ينتفع به إلا القليلُ من عباد الله، قال عز وجل:

( ثُمّ بَدّلْنَا مَكَانَ السّيّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتّى عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسّ آبَاءَنَا الضّرّاءُ وَالسّرّاءُ (٩٥) )

( سورة الأعراف)

أي حتى كثروا وانتشروا، واستسهلوا العيش، واستيسروا الحياة، ولم يجدوا في أنفسهم تحرجاً من شيء يعملونه، ولا تخوفاً من أمر يصنعونه، وكلمة: (عَفَوْا) ـ إلى جانب دلالتها على الكثرة ـ توحي بحالة نفسية خاصة ؛ حالة اللامبالاة، حالة الاستخفاف والاستهتار، حالة استسهال كل أمر، حالة اتباع كل خاطر، وهي حالة مشاهدة في أهل الرخاء واليسار والنعمة، حين يطول بهم العهد أفراداً وأمماً، كأن حساسية نفوسهم قد ترهلت فلم تعد تحفل بشيء، أو تحسب حساباً لشيء، فهم ينفقون في يسر، ويتلذذون في يسر، ويلهون في يسر، ويبطشون كذلك في يسر ! ويقترفون كل كبيرة تقشعر لها الأبدان ويرتعش لها الوجدان في يسر واطمئنان ! وهم لا يتقون غضب الواحد الديان، ولا لوم الناس ولا الخِلاّن، فكل شيء يصدر منهم عفواً بلا تحرج ولا مبالاة. وهم لا يفطنون لسنة الله في الكون، ولا يتدبرون اختباراته وابتلاءاته للناس، ثم يحسبونها تمضي هكذا جزافاً، بلا سبب معلوم، ولا قصدٍ مرسوم:

(وَقَالُوا قَدْ مَسّ آبَاءَنَا الضّرّاءُ وَالسّرّاءُ (٩٥) )

( سورة الأعراف)

قد أخذنا حظّنا مِنَ الضراء وجاء حظّنا مِنَ السراء ! وها هي ذي ماضية بلا عاقبة لأواء، فهي تمضي هكذا كخبطة عشواء، عندئذ وفي ساعة من الغفلة السادرة تجيء العاقبة وَفق السنة الجارية:

(فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(٩٥) )

( سورة الأعراف)

جزاء بما نسوا، واغتروا، وبعدوا عن الله، وأطلقوا لشهواتهم العنان، فما عادوا يتحرجون من فعل، وما عادت التقوى تخطر لهم ببال، هؤلاء يبنون مجدهم ومجد شعوبهم على أنقاض بقية الشعوب، ويبنون غناهم على إفقار الشعوب، ويبنون قوتهم على إضعاف الشعوب، ويبنون سعادتهم على شقاء الشعوب. إن تحكم القطب الواحد، وازدواجية المعايير، وسيطرة الاحتكارات الكبرى حوّل العالم إلى غابة تتحكم فيها قواعد القوة، وتغيب عنها ضوابط المبادئ والقيم، كما قال السيد الرئيس في أحد خطاباته. قال تعالى:

(وَلَا تَحْسَبَنّ اللّهَ غَافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ إِنّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) )

( سورة إبراهيم)

حينما لا ينتفع الإنسان بالرخاء الاستدراجي، وهو آخر مرحلة ينتظر أن ينتفع بها الإنسان، حيث إنّ الله بيّن له عن طريق الأنبياء والمرسلين والدعاة الصادقين فلم يستجب، وساق له مِنَ الشدائد فلم يتب، وأغرقه بالنعم فلم يشكر، عندئذ يحسم أمره، فيقصم ظهره، وهي المرحلة الرابعة.

## ٤- مرحلة القصم:

مرحلة القصم: وهذه المرحلة توضحها الآية الكريمة:

( فَلَمّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلّ شَيْءٍ حَتّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً(٤٤))

(سورة الأنعام )

## الطرف الآخر لسُنّة الله الجارية في خلقه:

أيها الأخوة الأحباب، للموضوع طرف آخر، قال تعالى :

( وَلَوْ أَنّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السّمَاءِ وَالْأَرْضِ (٩٦) )

( سورة الأعراف)

ذلك هو الطرف الآخر لسُنّة الله الجارية في خلقه، فلو أن أهل القرى آمنوا بدل التكذيب، واتقوا بدل العصيان ؛ لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض، هكذا:

( بَرَكَاتٍ مِنْ السّمَاءِ وَالْأَرْضِ (٩٦) )

( سورة الأعراف)

مفتوحة بلا حساب، تأتيهم هذه البركات من فوقهم ومن تحت أرجلهم، والتعبير القرآني بعمومه وشموله يلقي فيضاً من العطاء الغامر الذي لا يعهده البشر من الأرزاق والأقوات.

إن العقيدة الإيمانية في الله وطاعته ليست مسألة منعزلة عن واقع الحياة، وعن تاريخ الإنسان. إن الإيمان بالله وطاعته يؤهلان لفيض من بركات السماء والأرض وعداً من الله. ومن أوفى بعهده من الله ؟

ونحن ـ المؤمنين بالله ـ نتلقى هذا الوعد بقلب مؤمن، فنصدقه ابتداء، لا نسأل عن علله وأسبابه، ولا نتردد لحظة في توقع مدلوله، نحن نؤمن بالله ـ بالغيب ـ ونصدق بوعده بمقتضى هذا الإيمان، لكن المذاهب الوضعية تغفل عنه، بل وتغفله كل الإغفال، وتنكره أشد الإنكار !

## الإيمان بالله والتقوى يزيد من الرزق:

إن الإيمان بالله دليل على سلامة في الفطرة، وسلامة في أجهزة الاستقبال، وصواب في الإدراك الإنساني، وهذه كلها من مؤهلات النجاح في الحياة الواقعية.

إنّ الإيمان بالله قوة دافعة دافقة، تجمع جوانب الكيان البشري كلها، وتتجه بها إلى وجهة واحدة، لتحقيق مشيئة الله للإنسان في خلافة الأرض وإعمارها، وفي دفع الفساد والفتنة عنها، وفي ترقية الحياة ونمائها، وهذه كذلك من مؤهلات النجاح في الحياة الواقعية.

الإيمان بالله تحرُّرٌ من العبودية للهوى، ومن العبودية للعبيد، وما من شك أن الإنسان المتحرر بالعبودية لله أقدر على الخلافة في الأرض خلافة راشدة صاعدة من عبيد للهوى وعبيد الأشخاص.

وتقوى الله، يقظة واعية تصون من الاندفاع والتهور والشطط والغرور، وتوجه الجهد البشري في حذر وتحرج، فلا يعتدي، ولا يتهور، ولا يتجاوز حدود النشاط الصالح، وحين تسير الحياة متناسقة بين الدوافع والكوابح، عاملة في الأرض، متطلعة إلى السماء، متحررة من سلطان الهوى وهيمنة الأقوياء، عابدة خاشعة لله، تسير سيرة صالحة منتجة، فلا جرم أنه تحفها البركة، ويعمها الخير، ويظلها الفلاح.

والبركات التي يعد الله بها الذين يؤمنون ويتقون، في توكيد ويقين، ألوان شتى لا يفصلها النص القرآني ولا يحددها. وأما إيحاء النص القرآني يصور الفيض الهابط من كل مكان، النابع من كل مكان، بلا تحديد ولا تفصيل ولا بيان، فهي البركات بكل أنواعها وألوانها، وبكل صورها وأشكالها، ما يعهده الناس وما يتخيلونه، وما لم يتهيأ لهم في واقع ولا خيال ! فعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةَ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ))**

[ رواه ابن ماجه وأحمد والدارمي عَنْ ثَوْبَانَ]

الذين يتصورون الإيمان بالله وتقواه مسألة تعبدية بحتة لا صلة لها بواقع الناس في الأرض، لا يعرفون الإيمان ولا يعرفون الحياة ! وما أجدرهم أن ينظروا نظرة أعمق، وأن يستنبطوا من كلام الله استنباطاً أليق.

## الموازنة بين (بركات من السماء والأرض) وبين (أبواب كل شيء):

أيها المسلمون في كل مكان، لا بد ونحن في صدد هذا الموضوع من الموازنة بين بركات من السماء والأرض في قوله تعالى:

**( وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ (٩٦) )**

( سورة الأعراف)

وأبواب كل شيء في قوله تعالى:

**( فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) )**

( سورة الأنعام الآية: ٤٤ )

إنّ الرزق في بركات من السماء والأرض متاع طيبٌ ورخاء، وهو رغد في الدنيا، وزادٌ إلى الآخرة، والرزق في أبواب كل شيء مثار قلق وخوف، ومثار حسد وبغض، وقد يكون معه الحرمان ببخل أو مرض، وقد يكون معه التلف بإفراط واستهتار.

إنّ الذرية في بركات من السماء والأرض هي زينة الحياة الدنيا، ومصدر فرح واستمتاع، ومضاعفة للأجر في الآخرة، بالذرية الصالحة، والذرية في أبواب كل شيء بلاءٌ، ونكدٌ، وعنتٌ، وشقاءٌ، وسهرٌ بالليل، وتعب بالنهار.

وإنّ الصحة والعافية في بركات من السماء والأرض هي نعمة وحياة طيبة، والصحة والعافية في أبواب كل شيء بلاءٌ يسلطه الله على الصحيح المعافى، فينفق الصحة والعافية فيما يحطم الجسم ويفسد الروح، ويزخر السوء إلى يوم الحساب.

وإنّ الجاه والقوة في بركات من السماء والأرض هو أداة إصلاح ومصدر أمنٍ، ووسيلة لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر، والجاه والقوة في أبواب كل شيء مصدرا قلقٍ على فوته، ومصدرا طغيان وبغيٍ، ومصدرا حقدٍ وكراهية، لا يقر لصاحبها قرار، ويدخر بها للآخرة رصيداً ضخماً إلى النار.

فالبركة قد تكون مع القليل إذا أحسن الانتفاع به وكان معه الصلاح والأمن والرضى والارتياح، وكم من أمة غنية قوية ولكنها تعيش في شقوة، مهددة في أمنها، مقطعة الأواصر بينها، يسود الناس فيها القلق وينتظرها الانحلال، فهي قوة بلا أمن، وهو متاع بلا رضى، وهي وفرة بلا صلاح، وهو حاضر زاهٍ يترقبه مستقبل نكد، وهو الابتلاء الذي يعقبه النكال، إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى، بركات في الأشياء، وبركات في النفوس، وبركات في المشاعر.

## وسائل أخرى تزيد في الرزق:

أيها السادة المستمعون أيتها السيدات المستمعات، والآن هل من وسيلة ذكرها القرآن الكريم وبينتها السنة المطهرة فضلاً عن الاستغفار والإيمان والتقوى تزيد في الرزق، وكل واحد من الخلق حريص على زيادة رزقه، فهل هناك علاقة بين الرزق والصلاة ؟ انظروا في قوله تعالى:

**( وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢) )**

(سورة طه)

هناك علاقة بين الرزق والشكر، انظروا في قوله تعالى:

**( وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ(٧) )**

( سورة إبراهيم)

هناك علاقة بين الرزق وصلة الرحم، انظروا في هذا الحديث الشريف، عَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**(( مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ))**

[ متفق عليه عَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ]

هل من علاقة بين الرزق والصدقة ؟ لقد ورد في الأثر:

**((اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ))**

[الكامل في ضعفاء الرجال، وفيض القدير للمناوي عن جبير بن مطعم]

هناك علاقة بين الرزق والأمانة، انظروا في هذا الحديث الشريف:

**((الأَمَانَةُ غِنًى))**

[ أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ]

بالمعنى المادي، والأمين ينال أثمن شيء وهو ثقة الناس.

هناك علاقة بين الرزق والإتقان، انظروا في هذا الحديث الشريف:

**(( إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ))**

[ الجامع الصغير ومسند أبي يعلى الموصلي والطبراني في الأوسط عن عائشة ]

فمَنْ أتقن عملَه أحبَّه اللهُ، وإذا أحبَّ اللهُ عبداً ألقى محبَّتَه في قلوب الخلق، ومن أحبَّه اللهُ وأحبَّه الخلقُ يَسَّره لليسرى.

## فضل صلاة الاستسقاء:

أيها الأخوة الأعزاء، وقد تنقطع أسباب الرزق بانقطاع الأمطار، فتغور الينابيع وتجف الأنهار، وييبس الزرع، ويموت الضرع، ويهدد الإنسان بافتقاد كأس الماء، ولقمة العيش، ويجد نفسه مضطراً أن يخرج من أرضه الجدباء مشرداً، وأن يغادر بيته الخاوي هائماً على وجهه، وقد شرع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الاستسقاء طَلَباً لِلرَّحْمَةِ وَالْإِغَاثَةِ بِإِنْزَالِ الْمَطَرِ الَّذِي هُوَ حَيَاةُ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ، وَيَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَهُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ. ثَبَتَتْ مَشْرُوعِيَّتُهُ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ، أَمَّا النَّصُّ فَقَوْلُهُ تَعَالَى:

**( فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً (١٢) )**

( سورة نوح)

كَمَا اسْتَدَلَّ لَهُ بِعَمَلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَخُلَفَائِهِ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ فِي اسْتِسْقَائِهِ صلى الله عليه وسلم، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:

**(( كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَقَامَ النَّاسُ فَصَاحُوا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَحَطَ الْمَطَرُ وَاحْمَرَّتْ الشَّجَرُ وَهَلَكَتْ الْبَهَائِمُ فَادْعُ اللَّهَ يَسْقِينَا فَقَالَ اللَّهُمَّ اسْقِنَا مَرَّتَيْنِ وَأَيْمُ اللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً مِنْ سَحَابٍ فَنَشَأَتْ سَحَابَةٌ وَأَمْطَرَتْ وَنَزَلَ عَنْ الْمِنْبَرِ فَصَلَّى فَلَمَّا انْصَرَفَ لَمْ تَزَلْ تُمْطِرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ صَاحُوا إِلَيْهِ تَهَدَّمَتْ الْبُيُوتُ وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يَحْبِسْهَا عَنَّا فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَكَشَطَتْ الْمَدِينَةُ فَجَعَلَتْ تَمْطُرُ حَوْلَهَا وَلَا تَمْطُرُ بِالْمَدِينَةِ قَطْرَةٌ فَنَظَرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِنَّهَا لَفِي مِثْلِ الْإِكْلِيلِ))**

[ البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

## أحاديث أخرى تؤكد أهمية صلاة الاستسقاء:

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ:

**((شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قُحُوطَ الْمَطَرِ ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى ، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْماً يَخْرُجُونَ فِيهِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ ، متواضعاً، متبذلاً، متخشعاً، مترسلاً، متضرعاً فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَكَبَّرَ وَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ ، وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ ، وَقَدْ أَمَرَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَدْعُوهُ ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ**

**الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ من السماء، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغاً إِلَى حِينٍ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبِطَيْهِ ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، وَنَزَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتْ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكُنِّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ ، وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ))**

[أبو داود عن عَائِشَةَ رضي الله عنها]

وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ:

**(( صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ))**

[ متفق عليه عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ]

## الله يستجيب لعباده المؤمنين الذين استجابوا له فأطاعوه و أخلصوا في طاعتهم اسحقاقا:

أخوة الإيمان في كل مكان، ونحن نذكر هنا للسيد الرئيس دعوته أولي الأمر والمواطنين إلى إقامة صلاة الاستسقاء تطبيقاً للسنة النبوية المطهرة، والتماساً لرحمة الله بأن يرسل علينا الغيث من السماء، وقد جاء في بيانه مضمونُ هذه الدعوة، أنها تأتي نتيجة لتأخر هطول الأمطار هذا العام، وأن صلاة الاستسقاء هي رجاء الرحمة من السماء، ونداء صدق تتواصى به النفوس المؤمنة خيراً، ورحمة للبلاد والعباد، وينبغي أن تسبقها التوبة الصادقة من المعاصي والذنوب، ورد المظالم والحقوق إلى أصحابها، وصيام ثلاثة أيام قبل اليوم الذي تؤدى فيه صلاة الاستسقاء.

وقد تفضل ربنا واستجاب لعباده المؤمنين الذين أدوا صلاة الاستسقاء، واستغفروا ربهم وتضرعوا إليه أن يفتح لهم أبواب السماء، معلنين عبوديتهم وافتقارهم إلى الله الواحد القهار الذي قال في محكم كتابه:

**( مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ )**

( سورة فاطر )

لقد استجاب ربنا جل جلاله لنا صبيحة ليلة القدر ففتحت أبواب السماء بماء منهمر وتساقطت الثلوج بعد انحباس استمر عاماً وزيادة، فاقتربت نسب الهطول في بعض المحافظات من نصف المعدل السنوي بحسب نشرة وزارة الزراعة الصادرة في العاشر من الشهر الأول مِنْ هذا العام.

والجدير بالذكر أن الله جل في علاه يستجيب لعباده المؤمنين الذين استجابوا له فأطاعوه وأخلصوا في طاعتهم استحقاقاً، وقد يستجيب لعباده المضطرين الذين كاد يهلكهم الجفاف، وقصروا في طاعتهم وإخلاصهم قد يستجيب لهؤلاء تفضلاً وتشجيعاً، وقد يستجيب رحمة بالضعاف الطائعين الذين أشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:

**((لولا شباب خشع، وشيوخ ركع، وبهائم رتع، وأطفال رضع، لصُبّ عليكم العذاب صباً))**

[ أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى في مسنده، والبيهقي في السنن الكبرى عن أبي هريرة]

## فضل الله تعالى علينا:

إن كنا مشمولين باستجابة الاستحقاق فهذا من فضل الله علينا، وإنْ أظلتنا استجابة التفضل والتشجيع فلنتدبر أمرنا، ونصلح ذوات نفوسنا، ولنقبل على طاعة ربنا فهذه الفرصة ربما لا تتكرر. قال تعالى:

**( وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ )**

( سورة الشورى )

قال ابن عباس:

**(( إن للحسنة نوراً في القلب، وضياءً في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبُغضاً في قلوب الخلق))**

[ ذكره ابن القيم في الجواب الشافي ]

أيها الأخوة المؤمنون، إني داع بدعاء النبي صلى الله عليه و سلم في الاستسقاء: **" الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، تفعل ما تريد، اللهم لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، اللّهُمّ إنّك أمَرْتَنَا بدُعَائِك ، وَوَعَدْتَنَا إجَابَتَك فقدْ دَعَوْنَاك كَمَا أمَرْتَنَا فَأَجِبْنَا كَمَا وَعَدْتَنَا أنزل علينا الغيث من السماء، واجعل ما أنزلته علينا قوة لنا، وبلاغاً إلى حين ".**

اللّهُمّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئاً مَرِيعاً غَدَقاً مُجَلّلاً سَحّاً عَامّاً طَبَقاً دائماً نافعاً غير ضار، عاجلاً غير آجل. اللّهُمّ اسْقِنَا الغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنْ الْقَانِطِينَ. اللّهُمّ إنّ بِالْبِلَادِ وَالْعِبَادِ وَالْخَلْقِ مِنْ اللّأْوَاءِ وَالضّنْكِ مَا لَا نَشْكُوه إلّا إلَيْكَ. اللّهُمّ أنْبِتْ لَنَا الزّرْعَ وَأَدِرّ لَنَا الضّرْعَ وَاسْقِنَا مِنْ بَرَكَاتِ السّمَاءِ وَأَنْبِتْ لَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْض، اللّهُمّ إنّا نَسْتَغْفِرُكَ إنّكَ كُنْتَ غَفّاراً فَأَرْسِلْ السّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَاراً اللّهُمّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ، اللّهُمّ عَلَى الْآكَامِ والجبال وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشّجَرِ.

اللّهُمّ سُقْيَا رَحْمَةٍ، وَلَا سُقْيَا عَذَابٍ، وَلَا بَلَاءٍ، وَلَا هَدْمٍ ، وَلَا غَرَقٍ.

اللّهُمّ ارْفَعْ عَنّا الْجَهْدَ ، وَالْجُوعَ ، وَالْعُرْيَ ، وَاكْشِفْ عَنّا مِنْ الْبَلَاءِ مَا لَا يَكْشِفُهُ غَيْرُك.
أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم فيا فوز المستغفرين، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخـطـبـة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين

## فرق القتال في جهاز المناعة:

أخوتي المؤمنين أعزائي المستمعين، والآن إلى الموضوع العلمي :

يعد جهاز المناعة المكتسب من أخطر الأجهزة في الجسم البشري، وهو جيش دفاعي عالي المستوى والجاهزية، فيه فرق الاستطلاع، وفرق تصنيع السلاح، وفرق القتال، وفرق الخدمات، وفرقة المغاوير، والحديث اليوم عن فِرَق القتال في كريات الدم:

يرسل فريق من كريات الدم البيضاء التي صنعت وتشكلت في نقي العظام والتي فرزت لمهام قتالية ترسل إلى مدرسة حربية اسمها الغدة الصعترية (التيموس) في دورة تثقيفية تدريبية، وبعد اجتياز الامتحان تتخرج بلقب (الخلية التائية المثقفة)، وفي هذه المدرسة الحربية تدرس هذه الكريات البيضاء التي فرزت للقتال مادتين أساسيتين: التعريف بالذات والصديق، والتعريف بالعدو الممرض.

في المقرر الأول: يعرض على هذه الخلايا مئات الألوف من البروتينات التي تدخل في بناء الجسم البشري، ثم ترمز هذه العناصر الصديقة، وتدرب هذه الخلايا على ألا تهاجمها، لأنها إن هاجمتها فمعنى ذلك أن الجسم يدمر نفسه، ويتلف بعضه.

في المقرر الثاني: يعرض على هذه الخلايا ما عرفه النوع البشري عبر الأجيال على أنه عنصر ممرض من خلال مناعات الأم التي تصل إلى المولود من خلال الحليب، ومن خلال التجربة الحية، إذ أن الطفل في السنوات الأولى يميل بفطرته إلى التقاط الأشياء ووضعها في فمه لتتعرف خلاياه المقاتلة على العناصر المعادية، أو أن العدوى بالأمراض تعطيه مزيداً من المعلومات عن أعدائه، ومن خلال هذه المحاضرات تتعرف هذه الكريات البيضاء المقاتلة على العناصر المعادية التي عليها أن تهاجمها، أو تذيع نبأ وجودها، أو تساهم في إلقاء القبض عليها.

## امتحانات تمر بها الكريات البيضاء:

من خلال المجاهر الإلكترونية تبدو الغدة الصعترية من خلالها على شكل مدرجات رومانية تصطف الكريات البيضاء عليها لتتلقى هذه المحاضرات القيمة، ولا بد في أية جامعة أو معهد أو مدرسة من امتحان. تمر هذه الكريات فرادى في بوابات امتحانية وتمتحن واحدة وَاحدة في المقررين السابقين:

امتحان المادة الأولى: يعرض على الكرية البيضاء الممتحنة عنصر صديق، فإن هاجمته أخفقت في الامتحان، ومنعت من مغادرة الغدة الصعترية، وقتلت لأنها إن خرجت إلى الدم تهاجم الجسم الذي شكلها.

امتحان المادة الثانية: يعرض على الكرية البيضاء الممتحنة عنصر عدو ممرض، فإن أخفقت في تمييزه والرد عليه رسبت في الامتحان ومنعت من مغادرة الكلية وقتلت، لأنها إن خرجت إلى الدم غفلت عن العدو ومكنته من مهاجمة الجسم.

يستمر عمل هذه الكلية الحربية ( الغدة الصعترية ) من بدء الولادة وحتى السنة الثالثة، وبعدها تقوم بتوريث علم مراقبة وضبط عمل الكريات البيضاء إلى الكريات البيضاء الناجحة في الامتحان والتي سميت بعد التخرج بالخلايا التائية المثقفة لتقوم بدورها في نقل هذا العلم إلى أجيال الكريات البيضاء اللاحقة.

في السبعينات من العمر يضعف تثقيف الكريات البيضاء المقاتلة فتبدأ بمهاجمة العناصر الصديقة، وبعض أجهزة الجسم وأعضائه فنرى في هذا العمر أمراضاً شائعة كالتهاب المفاصل الرثوي، وبعض الاعتلالات الكلوية، وأمراض المصليات، وأمراض أخرى ما كان سببها إلا ضعف ثقافة الجهاز المناعي الذي ينتج عنه زوال الضبط في عمل الخلايا المقاتلة وهو خرف الجهاز المناعي، فتصبح الخلايا المناعية المقاتلة تهاجم الجسم الذي شكلها وثقفها للدفاع عنه وتكون حالة الجسم ما يشبه الحرب الأهلية.

**أعلِّمه الرماية كـلّ يومٍ فلما اشتدّ ساعدُه رماني**

**وكم علّمته نظم القوافـي فلما قال قافيـة هجانـي**

* * *

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٥١) : خ١ - أثر الإيمان في حياة الفرد ، خ٢ - مواقع النجوم وانفجار نجم كوردة كالدهان .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-٠٤-٢١

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## الخـطـبـة الأولـى:

### بعض حقائق الإيمان:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، إنّ قضيّة الإيمان قضيّة مصيريّة بالنسبة للإنسان، إنّها سعادة الأبد أو شقْوَة الأبد، إنّها الجنّة أبداً أو النار أبداً.

أيها الأخوة، الإيمان ليس مجرّد إعلان المرء بلِسانه أنّه مؤمن، وليس مجرّد قيام الإنسان بأعمال وشعائر اعْتاد أن يقوم بها المؤمنون، وليس مجرّد معرفة ذهنيّة بِحقائق الإيمان، وبكلمةٍ مختصرة ليس الإيمان مجرّد عملٍ لِساني، ولا عملٍ بدني، ولا عملٍ ذهني، إنّما هو عملٌ نفسي يبلغُ أغوار النفس ويحيطُ بِجَوانبها كلّها ؛ من إدراك، وإرادةٍ، ووجْدان.

أيها الأخوة، لا بد من إدراكٍ ذهنيّ تنكشفُ به حقائق الوُجود على ما هي عليه، وهذا الانكشاف لا يتمّ إلا عن طريق الوحي الإلهي المعصوم حصْراً، ولا بد من أن يبلغ هذا الإدراك العقلي حدّ اليقين الذي لا يُزَلْزِلهُ شكّ ولا ارْتِياب، ولا بد من أن يصْحبَ هذه المعرفة الجازمة إذعانٌ قلبي، وانقيادٌ إراديّ، يتمثّلُ في الخضوع والطاعة، ولا بد من أن يتْبعَ تلك المعرفة حرارةٌ وجدانيّة مُسعدة، مضمون هذا الإيمان هو وُجود الله تعالى ووحْدانيّته وكمالهُ، والإيمان بالنبوّة والرسالة، وبوَحدة الدّين عند الله، والإيمان بِمُثُلٍ عليا إنسانيّة واقعيّة، وقُدواتٍ بشريّة ممتازة، اسْتطاعَتْ أن تجعل من مكارم الأخلاق وصالح الأعمال وتضاؤل النفوس حقائق واقعة وشُخوصاً مرئيّة للناس، لا مجرّد أفكارٍ في بعض الرؤوس، أو أماني في بعض النفوس، أو نظريات في الكتب والقراطيس.

أيها الأخوة الكرام، كيف يقبلُ العقل الحرّ أو ترضى الفطرة السليمة أن تنتهي الحياة وقد طغى فيها من طغى ؟ وبغى فيها من بغى ؟ وقتلَ فيها من قتَل ؟ وقُتِلَ فيها من قُتِل؟ وتجبّر فيها من تجبّر ؟ ولم يأخذ أحدٌ من هؤلاء عقابه ؟ بل تستّر واختفى، أخلف ونجا، وفي الجانب الآخر، كم استقام من استقام ؟ وأحسن من أحسن ؟ وضحّى من ضحّى ؟ وجاهدَ مَن جاهد ؟ وقدّم مَن قدّم ؟ ولمْ يَنَلْ جزاء ما قدّم، ألا يحِقّ للعقل أن يؤمن إيماناً جازماً أنّه لا بد من أن توجدَ دارٌ أخرى تُسوّى فيها الحسابات، ويُجزى فيها المحسِنُ بإحسانه، والمُسيء بإساءته.

## آثار الإيمان في نفس الإنسان:

أيها الأخوة الكرام، هذه بعضُ حقائق الإيمان، فما هي آثار الإيمان في نفس الإنسان ؟ الله جلّ جلاله يقول:

**( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً )**

( سورة الإسراء )

إنّ الإنسان أيّها الأخوة الأحباب مخلوقٌ كريمٌ عند الله تعالى، خلقهُ في أحسن تقويم، وكرّمه أعظم تكريم، وصوّرهُ فأحسنَ صورته، خلقهُ بيده، ونفخَ فيه من روحه، وأسْجَدَ له ملائكته، وميّزه بالعلم والإرادة، وجعله خليفته في الأرض، وسخّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، وأسبغ عليه نعمهُ ظاهرةً وباطنة، فكلّ ما في الكون له ولخِدْمته، أما هو فجعله تعالى لنفسه، لذلك يشعر المؤمن بذاته، ويُغالي بقيمة نفسه، لأنّه يعْتزّ بانتسابه إلى الله تعالى، وارْتباطه بكلّ ما في الوُجود، ويحيى عزيز النفس، عاليَ الرأس، أبيّاً للضّيْم، عصيّاً على الذلّ، بعيداً عن الشّعور بالتفاهة والضّياع والصّغار والفراغ، لله درّ القائل مخاطباً الإنسان:

**دواؤُك فيك وما تبصره وداؤُك منك وما تشعرهُ**

* * *

**وتحسبُ أنّك جِرْمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر**

* * *

أمّا الإنسان أيّها الأخوة في نظر الماديّين لا يزيد ثمنه على مئة من العملات الرخيصة، لأنّ فيه من الدّهن ما يكفي لصُنع سبع قطعٍ من الصابون، وفيه من الفحم ما يكفي لصُنع سبعة أقلام من الرصاص، وفيه من الفوسفور ما يكفي لِصُنع مئة وعشرين عود ثقاب، وفيه من ملح المَغنيزيوم ما يصلحُ جرعة واحدة لأحد المسهّلات، وفيه من الحديد ما يساوي مسماراً متوسّط الحجم، وفيه من الكلس ما يكفي لطلاء بيت دجاج، وفيه من الكبريت ما يكفي لتطهير جلد كلبٍ واحد، وفيه من الماء ما يزيد عن ثلاثين لتراً ؛ وهذا هو الإنسان في نظر الماديّين.

## الفرق بين السعادة واللذة:

أيها الأخوة الأكارم، السلامة والسعادة مطلبان ثابتان لكلّ إنسان كائناً من كان، وفي كلّ زمانٍ ومكان، من الفيلسوف في قمّة تفكيره إلى العاميّ في قاع سذاجته، ومن الملِكِ في قصره المشيد إلى الصعلوك في كوخه الحقير، ومن المترف في ملذّاته إلى الفقير في ويْلاتِهِ، ولكنّ السؤال الذي حيّر الإنسان عبْر العصور والأجيال أين السعادة ؟ ولماذا الشقاء ؟ والجواب: لقد طلبَها أكثر الناس في

غير موْضِعِها، فعادوا كما يعود طالب اللّؤلؤ في الصّحراء، صفْر اليدين، مجهود البدَن، كثير النّفس، خائبَ الرّجاء، لقد توهّموها في ألوانٍ من المُتَع الماديّة، وفي أصنافٍ من الشّهوات الحسيّة، فما وجدوها تحقق السعادة أبداً، وربّما زادتهم مع كلّ جديد منها همّاً جديداً، خُذْ من الدّنيا ما شئْت وخُذْ بقدرها همّاً، ومن أخذ من الدّنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفهِ وهو لا يشعر، ولا بد من التفريق بين السعادة واللّذّة، فاللّذة أيها الأخوة طبيعتها حِسِيَّة، مرتبطة بالجسد الفاني، تأتي من خارج الإنسان، فهو يلهثُ وراءها، متعبة في تحصيلها، متناقصة في تأثيرها، تتبعها كآبة مدمِّرة، تنقطع بالموت، فإن كانتْ مبنيّة على الظنّ والعدوان اسْتحقّ صاحبها جهنّم إلى أبد الآبدين، بينما السعادة طبيعتها نفسيّة مرتبطة بذات الإنسان الخالدة، تنبعُ من داخل الإنسان، سهلةٌ في تحصيلها، متناميَةٌ في تأثيرها، يشقى الإنسان بِفَقْدها ولو ملكَ كلّ شيء، ويسْعد بها ولو فقدَ كلّ شيء، تقفز إلى ملايين الأضعاف بعد الموت، ويستحقّ صاحبها جنّة عرضها السماوات والأرض فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر، وفيها نظرٌ إلى وجه الله الكريم، ورضوانٌ من الله أكبر.

أيها الأخوة، واللّذّة تحتاجُ إلى عناصر ثلاثة ؛ وقتٌ وصحّةٌ ومال، والإنسان يفتقد أحد هذه العناصر في كلّ طورٍ من أطوار حياته، ففي الطّور الأوّل من حياته يتوافر له الوقت والصحّة ويفتقد المال، وفي الطور الثاني من حياته يتوافر المال والصحّة ويفتقد الوقت، وفي الطور الثالث من حياته يتوافر الوقت والمال ويفتقد الصحّة، بينما السعادة تحتاج إلى عناصر ثلاثة ؛ إيمان بالله إيماناً حقيقيّاً، واستقامةٌ على أمره، وعملٌ صالح تجاه خلقه، وهذه متوافرةٌ في كلّ زمان ومكان، وفي كلّ طورٍ من حياة الإنسان.

غاضبَ زوجٌ زوجته، فقال لها متوعِّداً: لأُشْقِيَنَّكِ ! فقالتْ الزوجة في هدوء: لا تستطيع أن تُشقيَني، ولا تملك أن تُسعدني، فقال الزوج في حمق: وكيف لا أستطيع ؟ فقالتْ الزوجة في ثقة: لو كانتْ السعادة في مال وكنت تملكهُ لقطعْتهُ عنّي، ولو كانت السعادة في الحليّ لحرمْتني منها، ولكنّها في شيءٍ لا تملكهُ أنت، ولا الناس جميعاً، فقال الزوج في دهشة: وما هو ؟ فقالت الزوجة في يقين: إنّي أجدُ سعادتي في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطان لأحدٍ عليه غير ربّي.

## للجانب الماديّ مكان محدود في تحقيق السعادة:

أيها الأخوة الكرام، هذه هي السعادة الحقيقية التي لا يملك بشرٌ أن يُعطِيَها، ولا يملكُ أحدٌ أن ينتزعها ممّن أوتِيَها، ولكن بنَظْرةٍ واقعيّة لا ننْكرُ أنّ للجانب الماديّ مكاناً محدوداً في تحقيق السعادة، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

**((من سعادة ابن آدم ثلاثة المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح.))**

[أخرجه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص]

ولكن ليس لهذا الجانب المكان الأوّل، ولا المكان الفسيح، والمدار فيه على الكَيْف لا على الكمّ، فحسْبُ الإنسان أن يسْلم من المنغّصات الماديّة التي يضيقُ بها الصّدْر من مثل المرأة السوء، والمسكن السوء، والجار السوء، والمركب السوء، وأن يُمنحَ الأمْن والعافيَة، وأن يتيسّر له القوت من غير حرجٍ ولا إعنات، وما أرْوَع وأصدق الحديث النبوي الشريف:

**(( مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا))**

[ أخرجه البخاري والترمذي وابن ماجة عن عبد الله بن محصن ]

أيها السادة المستمعون، أيتها السيّدات المستمعات، يقول عليه الصلاة والسلام:

**(( وَإِنّ اللهَ بِحِكْمَتِهِ وَجَلَالِهِ جَعَلَ الرَّوحَ وَالْفَرَحَ فِي الرّضَا وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الْهَمّ وَالْحُزْنَ فِي الشّكِّ والسُّخْطِ ))**

[رواه البيهقي عن أبي سعيد]

يكشف هذا الحديث الشريف عن حقيقة نفسيّة باهرة، فكما أنّ سنّة الله قد ربطَتْ الشِّبَع والريّ بالطعام والشراب في عالم المادّة، فإنّ سنّته تعالى في عالم النفْس قد ربطَتْ الفرحَ والرّوْح أي السرور وراحة النفس بالرضا واليقين، فبرضا الإنسان عن نفسه وعن ربّه يطمئنّ إلى يومه وحاضره، وبيقينه بالله تعالى وبالجزاء في اليوم الآخر يطمئنّ إلى غدِهِ ومستقبله، فما ربَطَتْ سنّة الله الغمّ والحزنَ بالسّخط والشكّ، فالساخطون والشاكون لا يذوقون للسرور طعماً، إنّ حياتهم كلّها سوادٌ ممتَدّ، وظلامٌ متّصل، وليلٌ حالك، لا يعقبهُ نهار، أما حزن المؤمن فلغيره أكثر من حزنه لنفسه، وإذا حزِنَ لنفسه فلآخرته قبل دنياه، وإذا حزن لدُنياه فهو حزنٌ عارضٌ موقوف كغمام الصّيف، سرعان ما ينقشع إذا هبّتْ عليه رياح الإيمان.

## قصة عن القناعة عند المؤمن:

أيها الأخوة الكرام، إليكم هذه القصّة، قدمَ على النبي صلى الله عليه وسلّم وفد من اليمن وهم ثلاثة عشر رجلاً، ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فسُرّ النبي عليه الصلاة والسلام بهم، وأكرم منزلهم، وقالوا: يا رسول الله سُقنا إليك حقّ الله في أموالنا، فقال عليه الصلاة والسلام: رُدّوها على فقرائكم، فقالوا: يا رسول الله، ما قدمنا عليك إلا بما فضَلَ عن فقرائنا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما وفدَ من العرب بمثل ما وفد به هذا الحي من اليمن، فقال عليه الصلاة والسلام: إنّ الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان، وسألوا النبي عليه الصلاة والسلام أشياء فكتبَ لهم بها، فجعلوا يسألونه عن القرآن والسّنن، فازداد النبي عليه الصلاة والسلام بهم رغبةً، وأمر بلالاً أن يُحسن ضيافتهم، فأقاموا أيّاماً ولم يُطيلوا المكث، فقيل لهم: ما يُعجّلكم ؟ فقالوا: نرجع إلى من وراءنا فنُخبرهم برُؤيتنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم

وكلامنا إيّاه، وما ردّ علينا، ثمّ جاؤوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام يودِّعونه، فأرسل إليهم بلالاً، فأجازهم بأرفع ما كان يُجيز به الوُفود، قال: هل بقي منكم أحد ؟ فقالوا: نعم، غلامٌ خلّفْناه على رحالنا، هو أحدثُنا سِنّاً، فقال عليه الصلاة والسلام: أرسلوه إليّ، فلمّا رجعوا إلى رحالهم، قالوا إلى الغلام: انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاقْض حاجتك منه، فإنّا قد قضيْنا حوائجنا منه وودّعْناه، فأقبلَ الغلام حتى أتى النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: يا رسول الله، إنِّي امرؤٌ من بني أبذى، يقول: من الرّهط الذين أتَوْك آنفاً، فقد قضَيْتَ حوائجهم، فاقْض حاجتي يا رسول الله ؟ فقال: وما حاجتك ؟ قال: إنّ حاجتي ليْسَت كحاجة أصحابي، وإن كانوا قد قدموا راغبين في الإسلام وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم، وإنّي والله يا رسول الله ما أقدمني من بلادي إلا أن تسأل الله عز وجل أن يغفر لي ويرحمني، وأن يجعل غِنَايَ في قلبي، فقال عليه الصلاة والسلام وقد أقبل على الغلام: اللهمّ اغفر له وارحمهُ، واجعل غِناه في قلبه، ثمّ أمرَ له بمثل ما أمر لرجلٍ من أصحابه، فانطلقوا راجعين إلى أهلهم، ثمّ وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم في الموسم بمِنى سنة عشرٍ، فقالوا: نحن بنو أبذى يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: ما فعل الغلام الذي أتاني معكم ؟ قالوا: ما رأينا مثلهُ قطّ، ولا سمعنا بأقْنَعَ منه بما رزقه الله تعالى، لو أنّ الناس اقتسَموا الدنيا ما نظر نحوها، وما التفت إليها، فقال عليه الصلاة والسلام: إنِّي لأرجو أن يموت جميعاً، فقال أحدهم: يا رسول الله، أوَ ليس يموت الرجل جميعاً ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: تتشعّب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا، فلعلّ أجلهُ يدركه في بعض تلك الأودية فلا يُبالي الله عز وجل في أيّ أوديتها هلكَ، قالوا: فعاش ذلك الغلام فينا على أفضل حال، وأزهده في الدنيا، وأقنعه بما رُزق، فلمّا توفّي النبي عليه الصلاة والسلام ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام، قام في قومه فذكّرهم بالله وبالإسلام فلم يرجع منهم أحد، وجعل أبو بكر رضي الله عنه يذكرهُ ويسأل عنه حتى بلغهُ حاله، وما قام به، فكتب إلى زياد بن لبيب يوصيه به خيراً.

## المؤمن سدّ أبواب الخوف كلّها فلا يخاف إلا من الله وحده:

هذه هي القناعة عند المؤمن، فالناس أيّها يموتون على ما عاشوا عليه، فمن عاش جميعاً مات جميعاً، ومن عاش أوزاعاً شتّى وأجزاءً متنافرة مات كما عاش، وقليلٌ من الناس، بل أقلّ من القليل، ذلك الذي يعيشُ لغايةٍ واحدة، ويجمع همومه في همّ واحد، يحيى له، ويموت له، ذلك المؤمن البصير الذي غايته الفرار إلى الله، وسبيله اتّباع ما شرع الله تعالى، كلّ شيءٍ في حياته لله وبالله، وحالهُ تنطق به هذه الآية:

**( قُلْ إِنّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ )**

( سورة الأنعام )

أيها الأخوة الأحباب حُضوراً ومستمعين، قال تعالى:

( الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ )

( سورة الأنعام )

إن الناس يخافون من أشياء كثيرة، وأمورٍ شتّى، ولكنّ المؤمن سدّ أبواب الخوف كلها، فلا يخاف إلا من الله وحده، يخاف أن يكون فرّط في حقّه أو اعتدى على خلقه، أما الناس فلا يخافهم لأنّهم لا يملكون له ضرّاً، ولا نفعاً، ولا موتاً، ولا حياةً، ولا نشوراً، والمؤمن آمنٌ على رزقه أن يفوته، لأنّ الأرزاق في ضمان الله تعالى، الذي لا يخلف وعده، ولا يضيّع عبده، وهو الذي يُطعم الطّير في وكناتها، والسّباع في الفلوات، والأسماك في البحار، والدّيدان في الصّخور، وهو الذي يسمع دبيب النملة السمراء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، لقد كان المؤمن يذهب إلى ميدان الجهاد حاملاً رأسه على كفّه، متَمَنِّياً الموت في سبيل عقيدته، ومن خلفه ذريّة ضعاف، وأفراخٌ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر، ولكنّه يوقن أنّه يتركهم في رعاية ربٍّ كريم هو أبرّ بهم، وأحمى عليهم، وتقول الزوجة عن زوجها وهو ذاهبٌ في سبيل الله تعالى: إنّي عرفتهُ أكالاً وما عرفته رزّاقاً، ولئن ذهب الأكّال لقد بقي الرزاق، هو آمنٌ على أجله، فإنّ الله قدّر له ميقاتاً مسمّى، أيّاماً معدودة، وأنفاساً محدودة، ولا تملكُ قوّة في الأرض أنْ تنقص من هذا المقدار أو تزيد فيه، هدّد الحجاج سعيدَ بنَ جبير التابعيَّ الجليلَ بالقتل، فقال له سعيد بن جبير: لو علمْتُ أنّ الموتَ والحياة في يدك ما عبدتُ غيرك.

## الإيمان والأمَل متلازمان:

أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين، إنّ الإيمان والأمَل متلازمان، فالمؤمن أوْسع الناس أملاً، وأكثرهم تفاؤُلاً واستفساراً، وأبعدهم عن التشاؤم والتبرّم والضّجر، الإيمان معناه الاعتقاد بقُوّة عليا تدبّر هذا الكون لا يخفى عليها شيءٌ، ولا تعجزُ عن شيءٍ، وبيدها كلّ شيء، المؤمن يعتصم بهذا الإله العظيم، البرّ الرحيم، العزيز الكريم، الغفور الودود، ذو العرش المجيد، الفعال لما يريد، يُجيب المضطرّ إذا دعاه، ويكشف السوء، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيّئات، أرحم بعباده من الأم بولدها، وأبرّ بالخلق من أنفسهم، المؤمن إذا حاربَ كان واثقاً بالنّصر لأنّه مع الله تعالى فالله معه، ولأنّه لله فالله له، قال تعالى:

( إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ(١٧٢)وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ(١٧٣))

( سورة الصافات)

هذا درسٌ بليغ لنا في معركتنا مع أعدائنا، والمؤمن إذا مرض لم ينقطع أمله من العافية، وإذا مرضتُ فهو يشفين، والمؤمن إذا اقترف ذنباً لم ييْأس من المغفرة قال تعالى:

( قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً )

( سورة الزمر الآية: ٥٣ )

## المؤمنون هم أصبر الناس على البلاء وأثبتهم في الشدائد وأرضاهم نفساً في المُلِمّات:

المؤمن إذا أعسر لم يزل يؤمّل اليُسْر، قال تعالى:

**( فَإِنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً(٥)إِنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً(٦))**

( سورة الشرح )

إذا انتابتهُ كارثةٌ من الكوارث كان على رجاءٍ من الله أن يأجرهُ في مصيبته، وأن يخلفه خيراً منها، وإذا رأى الباطل يقوم في غفلة الحق يصول ويجول، أيقن أنّ الباطل إلى زوال، وأنّ الحق إلى ظهور وانتصار، وإذا أدركتهُ الشيخوخة واشتعل رأسهُ شيباً لا ينفكّ يرجو حياةً أخرى، شبابٌ بلا هرم، وحياة بلا موت، وسعادةٌ بلا شقاء.

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام، المؤمنون هم أصبر الناس على البلاء، وأثبتهم في الشدائد، وأرضاهم نفساً في المُلِمّات، عرفوا أنّ هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، وأنّ من عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وعطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليُعطي، ويبتلي ليجزي، وعرفوا أنّ ما ينزل من مصائب ليس ضربات عجماء، ولا خبط عشواء، ولكنّه وفْق قدرٍ معلوم، وقضاء مرسوم، وحكمة إلهيّة، فآمنوا بأنّ ما أصابهم لمْ يكن ليُخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليُصيبهم، وعرفوا أنّ الله يقدّر ويلْطف، ويبتلي ويخفّف، ومن ظنّ انفكاك نفسه عن قدره فذلك لقُصور نظره، وعرفوا أنّ لكلّ شِدّة شَدّة، وأنّ وراء كلّ محْنةٍ مِنْحة منه.

أيها الأخوة المؤمنون، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطّى غيرنا إلينا فلْنَتَّخِذِ حذرنا، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتْبعَ نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

***

### الخـطـبـة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، وأشهد أنّ سيّدنا محمّداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الإعجاز في القرآن:

أخوتي المؤمنين، أعزائي المستمعين ؛ إلى الموضوع العلمي: يوقن الباحث في العلم، ويشعر المتأمّل في الكون، حينما يقرأ آيات القرآن المتعلّقة بخلق الأكوان والإنسان، يوقن ويشعر بكلّ خليّة في جسمه، وبكلّ قطرةٍ في دمه، أنّ هذا القرآن كلام الله، المنزّل على نبيّه محمّد رسول الله، وأنّه مستحيلٌ وألف ألف مستحيل أن يأتيَ به بشرٌ فرادى أو مجتمعين، فمن خلال المؤتمرات العالميّة التي عُقِدَت في عواصم متعدّدة في أنحاء العالم حول الإعجاز العلمي في الكتاب والسنّة، يتّضِحُ أنّ أبحاثاً علميّة جادّة ورصينة، قام بها علماء ليسوا مسلمين، ولا تعنيهم آيات القرآن الكريم، استغرقتْ عشر سنوات، وكلّفتْ ملايين الدولارات، تأتي نتائجُ بحوثهم مطابقة مطابَقةً عفويّة وتامّة من دون تكلّف ولا تعنّت، ومن دون تأويلٍ بعيد عن الآية أو تعديلٍ مفتعلٍ لحقيقة، تأتي نتائج بحوثهم تلك مطابقة لآية أو لكلمة في آية، بل لحرفٍ واحدٍ في آية، وهذا مصداق قوله تعالى:

**( سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) )**

( سورة فصلت )

في الواحد والثلاثين من تشرين الأوّل من عام ألفٍ وتسعمئة وتسعين عرضَت إحدى أقوى وكالات الفضاء في العالم من خلال مرصَدٍ عملاق عبر موقعها المعلوماتي صورةً لا يشكّ الناظر إليها لحظة أنّها وردة جوريّة، ذات أوراق حمراء قانية، مُحاطة بوُرَيقاتٍ خضراء زاهية، وفي الوسط كأس أزرق اللون، أما حقيقة هذه الصورة، فهي صورة لانفجار نجمٍ عملاق اسمه عين القِطّ، يبعدُ عنّا ثلاثة آلاف سنة ضوئيّة، وفي هذا الموقع المعلوماتي آلاف الصّوَر الملوّنة التي رصدتها المراصد العملاقة لِعَجائب الفضاء، ولكن ما علاقة هذه الصورة بإعجاز القرآن ؟!!

## بعض ألوان الإعجاز:

في القرآن الكريم أيّها الأخوة آية في سورة الرحمن، وهي قوله تعالى:

**( فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) )**

( سورة الرحمن)

لو تتبّعْت أيها المستمع الكريم تفسير هذه الآية في معظم التفاسير قبل نشْر الصورة، تجدُ فيها ما يُشفي غليلك، ذلك لأنّ في القرآن آياتٌ لمّا تفسّر بعدُ، كما قال الإمام عليّ كرّم وجهه، إنّ انشقاق هذا النّجم يُشبه ورْدةً متألّقة، بل إنّ صورة هذا النجم عند انفجاره هو تفسير هذه الآية، بشكلٍ أو بآخر، هذا لونٌ من ألوان الإعجاز، ولونٌ آخر ؛ بعض النجوم تبعد عنّا عشرين مليار من السنوات الضوئيّة أي أنّ ضوءها بقيَ يسير في الفضاء الكوني عشرين مليار سنةٍ حتى وصل إلينا، علماً أنّ الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر، فكم يقطع في السّنة ؟ وكم يقطعه في عشرين

مليار سنة ؟! فهذا النّجم الذي وصل إلينا ضوءه بعد عشرين مليار سنة أين هو الآن ؟ إنّه يسير بسُرعةٍ تقتربُ من سرعة الضّوء لذلك جاءتْ الآية الكريم:

**( فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) )**

(سورة الواقعة )

إنّ كلمة مواقع في هذه الآية هي سرّ إعجازها، فالموقع لا يعني أنّ صاحب الموقع موجود فيه، فالله جلّ جلاله لم يقسم بالمسافات التي بين النجوم، ولكنّه أقْسَم بالمسافات التي بين مواقع النجوم، ذلك لأنّ النجوم متحرّكة وليْسَت ثابتة، ولو قرأ عالم الفلك هذه الآية لخرّ ساجداً لله عز وجل، فقد قال الله عز وجل:

**(وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)**

أي أنّ العلماء وحدهم يقدّرون عظمة هذه الآية، قال تعالى:

**( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (٢٨) )**

( سورة فاطر: الآية ٢٨)

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٥٢) : خ١ - الإسراء والمعراج ، خ٢ - آيات تملأ القلب طمأنينة وثقة بنصر الله.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠-١٠-٢٠٠٠

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولـى:**

## معجزة الإسراء والمعراج حدثٌ ضخم من أحداث الدعوة الإسلامية:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، موضوع الخطبة اليوم: ماذا يعلِّمنا الإسراء والمعراج ونحن في ذكرى الإسراء والمعراج ؟

أيها الأخوة الأكارم، معجزة الإسراء والمعراج حدثٌ ضخم من أحداث الدعوة الإسلامية سبقته البعثة، وجاءت من بعده الهجرة، لقد كان مسحاً لجراح الماضي، وتثبيتاً لقلب النبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وتبشيراً له بالمستقبل، وتعويضاً عن جفوة الأرض بحفاوة السماء، وعن قسوة الناس بتكريم الملأ الأعلى، وإشعاراً للنبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ أنّ الله معه بالرعاية والعناية، وتكريماً فريداً له مِن دون الأنبياء، وتعريفاً له بأنه سيد ولد آدم، وسيد الأنبياء والمرسلين، وإراءةً له لملكوت الأرض والسماوات، ولما تؤول إليه الخلائق بعد الممات.

أيها الأخوة الأحباب، لقد كان الإسراءُ والمعراج تكريماً عظيماً للنبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ، ولكنْ بعد نجاحٍ باهرٍ في امتحان صعب، فماذا هذا الامتحان الصعب الذي اجتازه النبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ حتى استحق هذا التكريم الفريد ؟ إنه امتحان الطائف.

أيها الأخوة المؤمنون، إنّ ما لاقاه النبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ من مختلف ألوان المحن، ولا سيما هذا الذي رآه في ذهابه إلى الطائف، إنما كان مِن جملة أعماله التبليغية للناس، فكما أنّ النبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ جاء يبلِّغنا العقيدة الصحيحة عن الكون وخالقه، وعن الحياة وحقيقتها، وعن الإنسان ورسالته، وعن أحكام العبادات والمعاملات، وعن مكارم الأخلاق كذلك جاء ليبلِّغ الناسَ عن طريق السلوك العملي أنّ الله كلّفهم بالصبر والمصابرة، والبذل والمثابرة، فكما أن النبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ علّم الناس بأقواله، كذلك علّمهم بأفعاله، وكما أنّه قال للناس:

**((... وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي... ))**

[أخرجه البخاري عن مالك بن الحوريث]

و:

**(( يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مَنَاسِكَكُمْ ))**

[أخرجه النسائي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]

كذلك قال لهم بلسان حاله: اصبروا كما رأيتموني أصبر، ونحن بأمَسّ الحاجة إلى هذا الدرس البليغ، اصبروا كما رأيتموني أصبر.

## الشكوى إلى الله تعالى أعلى أنواع التعبد:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة الإسلام، ليس بين الصبر على الشدائد والتضرع إلى الله تعالى بالشكوى أو الدعاء أي تعارض أو تناقض، فالشكوى إلى الله تعالى تعبد وأي أنواع التعبد، إنه أعلى أنواع التعبد، قال تعالى:

**( إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ (٨٦) )**

( سورة يوسف)

إنّ الضراعة له، والتذلل على بابه عزّ وجل يُلبِسُ العبدَ جلبابَ العبودية، ولقد علّمنا النبيُّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ في حياته كلا الأمرين، فكان بصبره الشديدِ على المصائب والمحن يعلِّمنا أنّه على المسلمين عامةً وعلى الدعاة خاصة أن يصبروا، وأن يصابروا، وكان بطول دعاءه، وضراعته، والتجائه إلى الله تعالى يعلِّمنا أنّ هذا من لوازم العبوديةِ لله عز وجل، وهل مِن دعاء أكثرَ دلالة على عبودية النبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِن هذا الدعاء الذي دعاه في الطائف:

**((اللهم إني أشكو إليك ضعفَ قوتي، وقِلّة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى مَن تكلني، إلى بعيدٍ يتجهّمني، أم إلى عدو ملّكته أمري، إنْ لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك التي أشرقتْ له الظلمات، وصلُح عليه أمرُ الدنيا والآخرة، مِن أنْ تنزلَ بيَ غضبك، أو أن تحلّ عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله))**

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن جعفر]

أيها الأخوة الأكارم، حقيقة خطيرة، وهي أنّ النفسَ الإنسانية مجبولةٌ في أصل فطرتها على الإحساس والشعور، الشعور بلذة النعيم، والشعور بألم العذاب، فهي مجبولة على الركون إلى الأول، والفزع من الثاني، وحينما يوطِّن الإنسانُ نفسَه على تحمُّل كلِّ أنواع الضرّ والعذاب، وهو يؤدِّي رسالة ربه، مبتغياً بهذا وجهَه ورضوانَه، لا يعني هذا أنه لا يتألّم للضرّ، ولا يستريح للنعيم، فالنفسُ مهما تسامتْ لا تخرج عن دائرة بشريّتها، ولكن حينما يفضِّل الإنسانُ الضرّ مهما تكن آلامُه على النعيم مهما تكن لذائذه إرضاءً لوجه ربه، وأداءً للرسالة التي أُنيطتْ به، عندئذٍ يستحق جنة ربّه إلى أبد الآبدين، حيث يجد فيها ما لا عينٌ رأيت، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بَشَرٍ، ولولا أنّ النبيَّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَشَرٌ تجري عليه كلُّ خصائص البشر لمَا كانَ سيّدَ البشر.

## ما الإسراءُ والمعراجُ في حقيقته إلا ردّ إلهيّ تكريماً على المحنة القاسية:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، حينما يتأملُ الإنسانُ في سيرة النبي صلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ مع قومه يجد أنه لاقى مِن أذى قومه ما لا يحتمله بَشَرٌ على الإطلاق، بَيْدَ أنّ الإنسانَ يجِدُ أيضاً مع كل نوع من أنواع الأذى، ومع كلّ مرحلة من مراحله رداً إلهيّاً على هذا الإيذاء، مواساةً وتبشيراً وتكريماً وتأييداً، حتى لا يتجمّع في النفس من عوامل التألم والضجر ما قد يُدخِلُ إليها اليأسَ، وما الإسراءُ والمعراجُ في حقيقته إلا ردّ إلهيّ تكريماً على المحنة القاسية التي كشفتْ حقيقة الحرص النبويّ على هداية الخلق، وكشفتْ صبرَه الجميل على إيذائهم، وموقفَه النبيلَ والرحيمَ منهم، حينما عَرَضَ عليه مَلَكُ الجبال أن يُطْبِقَ عليهم الجبلين، وهو الردُّ الإلهيُّ على دعائه في الطائف، ولعل معنى قوله تعالى في آخر آية الإسراء:

**( إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤))**

( سورة يوسف )

أي سمِع اللهُ دعاءك يا محمد في الطائف، وعَلِمَ منك حرصَكَ على هداية قومك الذين بالغوا في الإساءة إليك.

أيها الأخوة الأكارم في دنيا العروبة الإسلام، هذا هو الدرس الأول، أمّا الدرس الثاني فعندما سأله زيد بن حارثة متعجباً: يا رسول الله كيف تعود إلى مكة وقد أخرجتك ؟ فأجابه النبي صلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإنّ اللهَ ناصرٌ نبيّه، ومظهرٌ دينَه، فما كان الله ليتخلى عن دينه، ولا عن نبيه، ولا عن المؤمنين، مهما بدت هجمة أعداء الدين قوية وشاملةً، فالباطل عقيدة أو قوةً إلى انهيار محقّق قال تعالى:

**( وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً(٨١) )**

( سورة الإسراء )

## دروس الإسراء والمعراج تعلّمنا أنّ للمحن والمصائب حِكماً جليلة:

مَن ظنّ أنّ اللهَ سبحانه وتعالى لا ينصر رسلَه، ولا يتمّ أمرَه، ولا يؤيّد جندَه، ولا يعليهم، ولا يظهرهم على أعدائهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، مَن ظنّ ذلك فقد ظنّ بالله ظنّ السوء، ونسبه إلى ما لا يليق بكماله وجلاله، وأسمائه الحسنى، وصفاته الفضلى، فإنّ عزّته وحكمتَه تأبى ذلك، ويأبى أن يذلّ أولياءه، وأنْ يكون النصرُ المستقر والظفر الدائم لأعدائه، فمن ظن به ذلك فما عرفه، ولا عرف أسمائه، ولا عرف صفاته، سبحانك إنه لا يذلّ من واليت، ولا يعزّ من عاديت.

أيها الأخوة المؤمنون حضوراً ومستمعين، ليس القرآنُ كتابَ تاريخٍ، يروي سيرَ الأنبياء والمرسلين وقصص والأقوام السابقين فحسب، ولكنه كتابُ هدايةٍ وتعليم، يقصّ علينا قصصَ الأنبياء

والمرسلين، وهم قِمَمُ البشر، لنهتدي بدعوتهم، ونقتدي بسيرتهم، ويروي لنا أيضاً قصصَ الأمم السابقة الذين كذّبوا أنبياءهم، وعاندوا رسلهم، واعتدوا على بني جلدتهم فاستحقوا غضبَ الله، فأهلكهم الله بذنوبهم، وذاقوا وبالَ أمرهم، لنجتنبَ أسبابَ هلاكهم ودمارهم.

ماذا يعلّمنا الإسراءُ والمعراجُ ؟ وقائعُه معروفةٌ عندكم، إنّ دروس الإسراء والمعراج تعلِّمنا أنّ للمحن والمصائب حِكماً جليلة ؛ منها أنها تسوق أصحابَها إلى باب الله تعالى، وتُلبِسهم رداءَ العبودية، وتلجئهم إلى طلب العون من الله، إنها تعلِّمنا أنه لا ينبغي أن تصدّنا المحنُ والعقباتُ عن متابعة السير في استقامة وثبات، إنها تعلِّمنا أنه ما دام اللهُ هو الآمرُ فلا شكّ أنّه هو الضامنُ والحافظُ والناصرُ، إنَّها تعلِّمنا أنه لولا الجهادُ والصبرُ ما عُبِدَ اللهُ في الأرض، ولا انتشرَ الإسلام في الخافقَيْن، ولا كنّا في هذا المكان، وعلى أمواج الأثير نوحّد اللهَ، ونسبّحه، وندعو إليه، إنها تعلِّمنا أن اليسرَ مع العسر، وأنّ النصرَ مع الصبر، وأن الفرَجَ مع الكرب، إنّها تعلِّمنا أيضاً أنّه لا يعدُّ المسلمُ مسلماً إلا إذا انتمى إلى مجموع المسلمين، وحَمَلَ همومَهم، وساهَم بشكل أو بآخر في ردّ العدوان عنهم.

## أحاديث شريفة تبين ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون:

عَن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْواً تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))**

[متفق عليه عَن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ]

وقال أيضاً:

**((الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ لِبعْضِهِمْ نَصَحَةٌ مُتَوَادُّونَ وَإِنِ افْتَرَقَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ، وَالْفَجَرَةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ غَشَشَةٌ مُتَخَاذِلُونَ، وَإِنِ اجْتَمَعَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ))**

[أبو الشيخ ابن حبان في كتاب التوبيخ والبيهقي في الشعب عن أنس]

وعَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ))**

[متفق عليه عَنْ أَبِي مُوسَى ]

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ))**

[أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

ومن أروع الأحاديث قال عليه الصلاة والسلام:

**((إنّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ، لاَ يُسَالِمُ الْمُؤْمِنُ دُونَ الْمُؤْمِنِ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللهِ إلاّ عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ))**

[سيرة ابن هشام]

هذه نقطة مهمة جداً في قانون المسلمين الدولي، إن سِلْمَ المؤمنين واحدة، لا يسالِم مؤمنٌ دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواءٍ وعدلٍ بينهم، فلا يحق لفئة أن تصطلح مع عدو بشكل انفرادي، هذا وصف دقيق من قبل مبعوث العناية الإلهية لما هم عليه المؤمنون أو لما ينبغي أن يكونوا عليه، في شتى أقطارهم وديارهم، من تعاون وتناصر وتعاطف، فهم كالجسد الواحد نصحة متوادون، وهم بنيان واحد يشد بعضهم بعضاً، هم يد على من سواهم، سلمهم واحدة وحربهم واحدة، هذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون في شتى أقطارهم وأنصارهم.

## أوصاف المؤمنين في الكتاب والسنة مقاييس دقيقة نقيس بها إيماننا:

أيها الأخوة الأكارم، أوصاف المؤمنين في الكتاب والسنة مقاييس دقيقة، نقيس بها إيماننا، أو هي أهداف نضعها نصب أعيننا ينبغي أن نسعى إليها، فلابدّ للمسلم الصادق من أن يحمل هموم المسلمين في مختلف أصقاعهم وأنصارهم، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، بل إنّ تطلعَ المسلم إلى أنْ يكون المسلمون في شتّى أقطارهم أعزةً كرماء، يملكون أمرهم ومصيرهم، لهي علامةٌ من علامات إيمانه، وإنّ حرصَ المسلم على أنْ يكون المسلمون متعاونين متناصرين لهي علامةٌ مِن علاماتِ إخلاصه، فالفرديةُ طبعٌ، والتعاملُ الاجتماعيُّ تكليفٌ، والإنسانُ المؤمن يتعاون مع إخوته المؤمنين بقدر طاعته لله، وينسلخ منهم ويؤكِّد فرديّته بقدر تفلّته مِن منهج الله، وحينما ينهى الإنسانُ نفسَه عن خصائص طبعِه التي هي في الأصل تُنَاقِضُ التكليفَ ليكون هذا التناقضُ مع التكليف ثمناً للجنة، وحينما ينهى الإنسانُ نفسَه عن خصائص طبعه، ويحملها على طاعة ربه، يكون قد أخذ بسببٍ مِن أسباب الجنة، قال تعالى:

**( وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) )**

( سورة النازعات )

أيها الأخوة المستمعون، أيتها الأخوات المستمعات، قال تعالى:

**( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً )**

( سورة النور الآية: ٥٥ )

قال بعضهم: **" فإنْ لم يمكّنِهم فمعنى ذلك أنّ دينَهم لم يرتضِه لهم "،**

**( وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً )**

## بعض من دلائل نبوة النبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

لقد أنجز الله وعده للمؤمنين يوم عبدوه حق العبادة، فأطاعوه ولم يعصوه، وشكروه ولم يكفروه، وذكروه ولم ينسوه، فجعل الله منهم قادةً للأمم بعد أن كانوا رعاة للغنم ثم ماذا كان ؟

### ١ـ وصف الغي الذي توعد الله به المقصرين وبيّن أسبابه:

قال تعالى:

**( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصّلَاةَ وَاتّبَعُوا الشّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (٥٩) )**

( سورة مريم )

مِن دلائل نبوة النبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ أنه وصف هذا الغي الذي توعد الله به المقصرين وبين أسبابه، وكأنه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ بيننا يرى ما نرى، ويسمع ما نسمع، فعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**((يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنّ اللّهُ مِنْ صُدُور عَدُوّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنّ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللّهِ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ: حُبُ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))**

[أخرجه أبو داود وأحمد عن ثوبان]

هذا وصف دقيق للغي الذي توعد الله به المقصرين، فالأمم اليوم تدعو بعضها بعضاً لمقاتلة المسلمين، وكسر شوكتهم، وسلب ثرواتهم، وأخذ أموالهم، واغتصاب أراضيهم ـ كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ـ يأخذون منها بلا مانع ولا منازع، فيأكلونها عفواً وصفواً، يأخذون ما في أيديهم بلا تعب ينالهم، أو ضرر يلحقهم، أو بأس يمنعهم، فانظروا إلى هذا الوهن الذي هو سر الضعف، فالناس الشاردون الغافلون عن الله يعيشون عبيداً لدنياهم، عشاقاً لأوضاعهم الرتيبة، تحركهم شهواتهم وشبهاتهم، تسيّرهم رغائبهم ونزواتهم، وهذا هو الوهن، وحينما يكره الإنسان لقاء ربه ويخاف الموت كامناً في كل اتجاه فيفزع من الهمس، ويألم من اللمس، يؤثر حياةً يموت فيها كل يومٍ موتات على حياة كريمة عزيزة في كنف رب الأرض والسماوات، فالعجب كل العجب أن يكون النور بين أيديهم والرائد نصب أعينهم، ثم هم يلحقون لاهفين بركاب الأمم الشاردة المنحلة في نهجهم وسلوكهم، فلا يستطيعون رشاداً ولا يهتدون سبيلاً، وحالهم:

**كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ  والماء فوق ظهورها محمول**

* * *

## ٢ـ ذكر ما يصيب المسلمين في آخر الزمان من بأساء وضراء بسبب إعراضهم عن ربهم:

ومن دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام، ومن خلال إعلام الله له أنه ذكر ما يصيب المسلمين في آخر الزمان من بأساء وضراء بسبب إعراضهم عن ربهم، وتقصيرهم في طاعتهم له، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

**((يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنّ ؛ لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ))**

[ابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ]

إنها المعاصي والذنوب، والمجاهرة بالفواحش والعيوب، والتعرض لسخط جبار السماوات والأرض، فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة:

**( إِنّ اللّهَ لاَ يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ )**

( سورة الرعد الآية: ١١ )

وإنه ما حصل البلاء العام في بعض البلاد، ولا وقعت المصائب المتنوعة، والكوارث المروعة، ولا فشت الأمراض المستعصية التي لم يكن لها ذكر في ماضينا، ولا حُبسَ القطر من السماء إلا نتيجة الإعراض عن طاعة الله عز وجل، وارتكاب المعاصي، والمجاهرة بالمنكرات، وكلما قلّ ماءُ الحياء قلّ ماءُ السماء.

## حاجتنا الشديدة إلى النصر المؤزّر الذي يفرح له المؤمنون في كل عصر ومصر:

أيها السادة الأعزاء، النصر المؤزّر العزيز الذي يفرح له المؤمنون في كل عصر ومصر، ونحن في أمس الحاجة إليه لأننا نواجه أعداءً ماتت في ضمائرهم وضمائر الذين انتخبوهم كل القيم الإنسانية والأعراف الدولية، وداسوا على حقوق الإنسان بحوافرهم، وبنوا مجدهم على أنقاض الشعوب، وغناهم على إفقارهم، وقوتهم على تدمير أسلحتها، إنهم يصفون المالِكَ للأرض الطريدَ المشرّدَ إرهابياً لا حقّ له، والمتمسكَ بدينه القويم أصولياً، ويجعلون اللصّ الغالبَ على المقدسات ربَّ بيتٍ محترماً، يملكون الأرضَ لا بالإحياء الشرعيّ ولكن بالإماتة الجماعية والقهر النفسي، قال تعالى:

( حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٢٤)وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ (٢٥) )

( سورة يونس )

هؤلاء المستكبرون ربما طالبوا الشعوب المستضعفة أن تلعق جراحها، وأن تبتسم للغاصب، وأن تعد حقها باطلاً، وباطل غيرها حقاً، يقول عليه الصلاة والسلام:

**(( كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون. قالوا: وما أشد منه ؟ قال: كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟ ـ تبدلت القيم ـ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون، قالوا: وما أشد منه ؟ قال: كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون ))**

[أخرجه ابن أبي حاتم في العلل عن أبي أمامة]

## النصر المؤزر لا يتحقق إلا بالإيمان والإعداد:

أيها الأخوة الكرام، هذا النصر المؤزر العزيز ما سرُّه ؟ من يصنعه ؟ ما العامل الحاسم فيه ؟ إنه الله عز وجل، وهذا استناداً إلى قوله تعالى:

( وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ )

( سورة آل عمران الآية: ١٢٦ )

وقوله تعالى:

( إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ )

( سورة آل عمران الآية: ١٦٠ )

أي إذا كان الله معك فمن عليك، وإذا كان الله عليك فمن معك ؟ أيها الأخوة الكرام، أليس لهذا النصر الذي هو من عند الله قواعد ؟ أليست له شروط ؟ أليس له ثمن ؟ إن هذه القواعد، وتلك الشروط، وهذا الثمن يتلخص بكلمتين اثنتين، الإيمان والإعداد، فأمّا الإيمان فقد قال تعالى:

( وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ )

( سورة الروم الآية: ٤٧ )

وأمّا الإعداد فقال عز وجل:

( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ )

( سورة الأنفال الآية: ٦٠ )

## الله تعالى لم يكلفنا أن نعد القوة المكافئة لأعدائنا ولكن كلفنا أن نعد القوة المتاحة:

الإيمان الحق أيها الأخوة هو الذي يحمل صاحبه على طاعة الله والعمل الصالح، والإيمان وحده شرط لازم غير كافٍ. والشيء الثاني: هو الإعداد، والإعداد هو الذي يستنفد الطاقات، وهو أيضاً وحده شرط لازم غير كافٍ، لا بد من الإيمان الحق، والإعداد الصحيح. الآن دققوا في هذا الاستنباط من قوله تعالى:

**( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ )**

( سورة الأنفال الآية: ٦٠ )

إن الله جلا في علاه لم يكلفنا أن نعد القوة المكافئة لأعدائنا، ولكن كلفنا أن نعد القوة المتاحة وهذا من رحمة الله بنا، وعلى الله أن ينجز وعده بالنصر، كما أن من الواجب علينا أن نبحث في كل مظنة ضعف عن سبب قوة كامنة فيه، ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجدوه، ولصار الضعف قوة، لأن الضعف ينطوي على قوة مستورة يؤيدها الله في حفظه ورعايته، فإذا قوة الضعف تهد الجبال وتدق الحصون، قال تعالى:

**( وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً(٤))**

( سورة الفتح )

أيها الأخوة الأحباب، إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف ليس دعوة إلى الرضى بالضعف، أو السكوت عليه، بل هو دعوة لاستشعار القوة حتى في حالة الضعف، وربما صحت الأجسام بالعلل، فينتزع المسلمون من هذا الضعف قوةً تحيل قوة عدوهم ضعفاً وينصرهم الله نصراً مبيناً، قال تعالى:

**(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ(٥))**

( سورة القصص)

## الصدق والإخلاص مع متابعة النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو سلم الفلاح:

أيها الأخوة الأحباب، هذه الحقائق المستنبطة من القرآن الكريم، منهج الله لخلقه، وتلك التوجيهات التفصيلية والتوضيحية التي جاءت بها سنة نبينا محمد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه المواقف الأخلاقية الرائعة والحكيمة التي وقفها المصطفى صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوتنا وقدوتنا، وتلك البطولات الفذة التي ظهرت من أصحابه الكرام أمناء دعوته وقادة ألويته، هذه كلها نضعها بين أيدي أبناء أمتنا العربية والإسلامية، وهي تخوض المعارك تلو المعارك مع أعداءها أعداء الحق والخير، ولأن البكاء وحده لا يحيي الميت، ولأن الأسف وحده لا يرد الفائت، ولأن الحزن وحده لا

يدفع المصيبة، ولكن العمل مفتاح النجاح، والصدق والإخلاص مع متابعة النبي صلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ هو سلم الفلاح، قال الله تعالى:

**( وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(١٠٥) )**

( سورة القصص )

أيها الأخوة المؤمنون، في الإسلام تشريع ومعاملات، ولكن المقصود منها تنظيم حياة الناس حتى يستريحوا ويبرؤوا من الصراع على المتاع الأدنى، ويفرغوا لمعرفة الله تعالى وعبادته، والسعي لمرضاته، وفي الإسلام حث على المشي في مناكب الأرض، والأكل من طيباتها، ليكون العمل أساس للابتلاء، والنعمة وسيلة لمعرفة المنعم، وأداء حقه وشكره، وفي الإسلام جهاد وقتال للأعداء، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله، لقد ضَمّنَ القرآنُ الكريمُ الجهادَ معنًى إنسانياً نبيلاً وفريداً، وحدّد له مقاصدَه العليا، مُنَزّهَةً عن الهوى، والأغراض الماديةِ العاجلةِ، والمطامع الشخصيةِ والعنصريةِ، مِن شهوةِ العلوّ في الأرض، أو التوسّع فيها، لتكون هي أمّةٌ أَرْبَى مِن أمّة، وجعل الإسلامُ الجهادَ وسيلةً رئيسة لترسيخ القيّم والمُثُلِ العليا في الوجود البشري، والحفاظ عليها، وإنّ الإسلامَ لم يجعل الجهادَ مفروضاً في أعلى مراتب الفرضية، وأعظمها مثوبة من أجل الدفاع عن الوجود، أو الحفاظ على مقوماته فحسب، بل أَوْلاَهُ عنايةً فائقةً، إذْ جعله سنداً مكيناً لدعوته التي تسعى إلى نشر رسالة السماء إلى الأرض، لتتحقّق خلافةُ الإنسان فيها عن طريق التمسُّك بمبادئ الحق والخير، وقيمِ العدل والإحسان، فجعل الإسلامُ الجهادَ خالصاً ومخلصاً لوجه الله تعالى، وابتغاءِ مرضاته، ومرضاتُه لا تتمّ إلا إذا سادت تعاليمُه، وَعَلَتْ في الأرض مُثُلُه حتى لا تكونَ فتنةٌ، ويكون الدينُ لله، ولا أدَلّ على صحةِ هذه المبادئ وتلك المفاهيم مِن هذه السعادة التي تملأ جوانحَ الإنسان حينما يكتشفُ سرّ وجوده، وجوهرَ رسالته، وينطلق في طريق الهدف الكبير الذي خُلِقَ مِن أجله.

## أهمية المسجد الأقصى للمسلمين وما يتعرض له هذه الأيام:

اليومَ يتعرّضُ المسجدُ الأقصى موطِنُ أبيكم إبراهيمَ، ومتعبّد الأنبياء السابقين، ومَسْرى خاتم النبيين، المسجدُ الذي نَوّهَ اللهُ به في الآيات المفصلة وتُلِيَتْ فيه الكتبُ المنزّلةُ، أُولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالثُ الحرمين الشريفين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**((لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ، مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى))**

[متفق عليه عن أبي هريرة ]

المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ببركات الدين والدنيا، والذي أضحى بالإسراء إليه والمعراج منه رمزاً للشخصية المعنوية للمسلمين، هذا المسجد الذي ورد ذكرُه في القرآن الكريم، وقبة الصخرة الذي تمّ منها عُروجُ النبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلى سدرة المنتهى، قال عز وجل:

**( ثُمّ دَنَا فَتَدَلّى(٨)فَكَانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى(٩)فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى(١٠))**

( سورة النجم)

حيث يتعرّضُ المسجدُ الأقصى اليومَ إلى محاولة تهويده، وجعلِه عاصمةً أبدية للكيان الصهيوني مع القدس، وفي وصف القرآن الكريم المسجدَ الأقصى بالبركةِ إيماءٌ قويٌّ للعرب حَمَلَةِ رسالةِ الإسلام، وإلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أنّه مفروض عليهم الحفاظ عليه، وقد بارك اللهُ حولَه أنْ يحفظ له هذه البركة، ومتى اعتُدِيَ عليها فعليهم أنْ يصطلحوا مع الله أولاً، ويُعِدُّوا لعدوّهم ما يستطيعون من قوةً ثانياً، كي يحرّروه، ويحرّروا ما حوله مِن أيدي الغزاة المغتصبين، ويُحْيُوا بتحريره سيرةَ فاتحيه ؛ عمرَ بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبي، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله.

## القدس وما تتعرض له من أذى وتدمير:

وأنتِ يا مدينة القدس، إنكِ عبق التاريخ الإسلامي، إنك أريجه الفوّاح، شذى الرسالات السماوية، أضاء أرجاءَك قبسُ الإيمان، وتبارك ثراكِ بمسرى سيدِ الأنام، تمتلئ قلوبُ المسلمين اليوم شجناً وحزناً، وتفيض الدموعُ أسًى وحسرةً، وهي ترى مئات الحواجز تَحُولُ دونَها ودون الوصول إلى أُولَى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، إلى مسرى نور الهداية، سيدنا محمد صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ، كم يُوقُ المسلمُ للصلاة خشوعاً لله في هذا المسجد الأقصى، لكنّ المشهدَ مأساويٌّ، والمصابَ جَلَلٌ، فالقدسُ ما زالت أسيرةَ الصهيونية الغادرة، وما زالت مهدّدةً بالتهويد، وبطمس معالمها الإسلامية، بل والأدهى من ذلك أنّ الصهاينة خطّطوا لهدم المسجد الأقصى، وكم تَعَرّض هذا المسجدُ لمحاولات الحرق والهدم، كم هي خطيرةٌ تلك الأنفاق التي شقّها الأعداءُ تحت المسجد فَعَرَتْ أساسَه وعرّضتْها للخطر، كم هو خطير مخطط التهويد.

أيها الأخوة الأكارم، حينما تُسْلَبُ أرضُ شعبٍ، وتُنْهَبُ ثرواته، وتُنْتَهك حرماته، وتُدَنّسُ مقدساتُه، وتداس كرامتُه، وتُقهَر إرادتُه، وتُفسَد عقائدُه، وتُفرَغ قيمُه، ويزوّر تاريخُه، ويُحمَلُ على الفساد والإفساد، وتُمارَسُ عليه ألوان التجهيل، والتجويع، والتعذيب على يد أعدائه، أعداءِ الله، أعداءِ الحق، أعداءِ الخير، أعداء الحياة، عندئذٍ لا بد لهذا الشعبِ أنْ يتحرّك ليستردّ حقّه في الحياة الحرّة الكريمة، هذه الحركة لا يمكن أنْ تُسمّى إرهاباً، ولا تخريباً، ولا انتحاراً، وأنتم أيها الثائرون في الأراضي المحتلة بوركِتْ سواعدُكم، وسَلمتْ أيديكم، لقد كنتم رمزَ البذل والعطاء، ولقد ضربتُم

المَثَلَ الأعلى في التضحية والإباء، لقد تحركتْ فيكم معاني العزة والإباء، فأقلقتم مضاجعَ الصهاينة الأعداء، ولكن استمعوا معي إلى وصية سيدنا عمر بن الخطاب لسيدنا سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللّهُ عَنهما، إذْ يقول: أما بعد ؛ فإني آمُرُكَ ومَن معك مِنَ الأجناد بتقوى الله عز وجل، فإنّ تقوى الله أفضلُ العُدّة على العدوّ، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمُرُكَ ومَن معك أنْ تكونوا أشدّ احتراساً مِنَ المعاصي فإنها أضَرُّ عليكم مِن عدوّكم، إنما تُنْصَرُون بمعصية عدوكم لله، فإن استويتم في المعصية كان لهم الفضلُ عليكم بالقوة.

أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

***

**الخـطـبـة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## آيات من القرآن تملأ القلب طمأنينة وثقة بنصر الله:

أخوتي المؤمنين، أعزائي المستمعين، كما أنّ خَلْقَ السماواتِ والأرض مِن آيات الله الدالة على عظمته تعالى، قال سبحانه:

**( وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (٢٢) )**

( سورة الروم )

وكما أنّ الليل والنهار آيتان مِن آياته الدالة على عظمته تعالى:

**( وَمِنْ آيَاتِهِ اللّيْلُ وَالنّهَارُ وَالشّمْسُ وَالْقمَرُ (٣٧) )**

( سورة فصلت)

وكما أنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله الدالة على عظمته:

**( وَمِنْ آيَاتِهِ اللّيْلُ وَالنّهَارُ وَالشّمْسُ وَالْقمَرُ (٣٧) )**

( سورة فصلت)

كذلك هناك آية في القرآن الكريم دالة على عظمة الله تعالى، وهي من مناسبة هذه الخطبة قال تعالى:

**( قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣) )**

( سورة آل عمران)

آية ثانية:

**( وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٧) )**

( سورة إبراهيم )

آية ثالثة:

**( وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً )**

( سورة آل عمران الآية: ١٢٠ )

آية رابعة:

**(وَلَا تَحْسَبَنّ اللّهَ غَافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ إِنّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) )**

( سورة إبراهيم

ضاق الوقت عن شرح هذه الآيات، ارجعوا إليها، وتدارسوها، وتدبروها، فإنها تملأ قلوبكم طمأنينة وثقة بنصر الله.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٥٣) : خ١ - استطاعة الحاج ، خ٢ - الانتفاضة - ماء زمزم.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١-٠٢-٠٢

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

## تعريف الحج:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، في الإسلام ـ فضلاً عن العقائد التي هي أساس الدين ـ عبادات تنظم علاقة الإنسان بربه، ومعاملات تنظم علاقة الإنسان بأخيه، وإذا صحت العبادات ارتقت المعاملات، وكان ارتقاء المعاملات مؤشراً على صحة العبادات، والعبادات تهدف أول ما تهدف إلى السمو بالإنسان نفساً وقولاً وعملاً، عن طريق الاهتداء بهدي رب العالمين وإحكام الصلة به، والتنعم بقربه، والتقلب في رحمته، وقطف ثمار فضله، ومن هذا المنطلق شُرعت العبادات الشعائرية، كالصلاة والصيام والحج.

الحج عبادة قولية، وقلبية، وبدنية، ومالية، وشعائرية، تؤدى في أمكنة مُخصصة، وفي أزمنة مُخصصة، وبأعمال مُخصصة. والحج فرض عين على كل مسلم ومسلمة، بالغ، عاقل، حر، مستطيع، مرةً في العمر كله، يُكفّر جاحده، ويُفسّق تاركه، فَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((مَنْ مَلَكَ زَاداً وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ وَلَمْ يَحُجَّ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً، وَذَلِكَ أَنّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً))**

[رواه الترمذي عَنْ عَلِيّ]

إذا كانت الصلاةُ تتكرّر في اليوم الواحد خمسَ مرات، وفريضة الجمعة تُؤدّى كلَّ أسبوع، وفريضةُ الصوم تُؤدّى في العام شهراً، فإن فريضة الحج تجب في العمر كلِّه مرةً واحدة، عَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَأَلَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

**((يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرّةً الْحَجُّ أَوْ فِي كُلِّ عَامٍ ؟ قَالَ: لَا بَلْ مَرّةً فَمَنْ زَادَ فَتَطَوُّعٌ))**

[أخرجه أبو داود عَن ابْنِ عَبّاس]

وهو تلك الرحلة الفريدة في عالم الأسفار، ينتقل فيها المسلمُ ببدنه وقلبه إلى البلد الأمين، الذي أقسم الله به في القرآن الكريم، ليقف في عرفات الله، وليطّوّف ببيته الحرام، الذي جعله الإسلامُ رمزاً لتوحيد الله، ووحدة المسلمين، ففرض على المسلم أن يستقبله كلّ يوم خمس مرات في صلواته.

## ثمن الحج كما ورد في السُنّة النبوية:

مما تتميز به هذه العبادةُ ـ أي الحج ـ أنها تحتاج إلى تفرُّغ تام، فلا تُؤدّى إلا في بيت الله الحرام، ولا بد من مغادرة الأوطان، وترك الأهل والخِلاّن، وتحمُّل مشاقّ السفر، والتعرض لأخطاره، وإنفاق المال في سبيل رضوانه، وإذا صحّ أنّ ثمن هذه العبادة باهظُ التكاليف ؛ فإنه يصحُّ أيضاً أن ثمرةَ هذه العبادة باهرةُ النتائج، حيث قال المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

**(( مَنْ حَجّ لِلّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ))**

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ]

وقال أيضاً لعمرو بن العاص:

**((أَمَا عَلِمْتَ أَنّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ وَأَنّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلِهَا ؟ وَأَنّ الْحَجّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟))**

[رواه مسلم عَنْ عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ:

**((الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلّا الْجَنّةُ))**

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ]

**((الحُجّاجُ وَالعُمّارُ وَفْدُ اللهِ ؛ إنْ سَأَلُوا أُعْطُوا، وَإنْ دَعَوْا أُجِيبُوا، وَإنْ أَنْفَقُوا أُخْلِفَ عَلَيْهِمْ))**

[البيهقي والمنذري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده]

وقالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**((تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذّهَبِ وَالْفِضّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلّا الْجَنّةُ))**

[رواه الترمذي والإمام أحمد عن ابن مسعود]

وقالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**(( النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله ))**

[أحمد والطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه عن بريدة]

ثم فرض على المسلم أن يتوجّه إليه بشخصه، ويطوفَ به بنفسه، في العمر مرة واحدة، بشرط استمرار نتائجه.

## الحكمة من وجود بيت الله الحرام في وادٍ غير ذي زرع:

أخوة الإيمان في كل مكان، الحج رحلة إلى الله، فقد شاءت إرادتُه لحكمة مطلقة ـ مراعاة للنزعة المادية في كيان الإنسان ـ أنْ يضع للناس في الأرض بيتاً له يُمكِّن المؤمنين به مِن أنْ يعبّروا من خلال إتيانه مِن كل فَجّ عميقٍ أن يُعبّروا عن حبهم لله، وشوقهم إليه، فالمؤمن يؤكِّد من خلال قصده البيتَ الحرامَ، مُلبّياً دعوةَ ربه، أنّ الله أحبُّ إليه مِن أهله وولده وماله وعمله وبلده والناس أجمعين، فيتحمّل نفقاتِ الحجّ التي ربما كانت باهظة، ويتحمّل تركَ الأهل والولد الذي ربما كان صعباً، ويتحمّل تركَ العمل والكسب الذي ربما كان كثيراً، كلُّ ذلك حُبّاً لله، وطمعاً بالقرب منه.

وشاءت حكمةُ اللهِ أن يكون بيتُه الحرام في المنطقة الحارة من الأرض، وفي وادٍ غير ذي زرع، ليكون واضحاً لدى الحُجّاج أنّ الاتصال الحقيقي بالله يحقِّق للمرء سعادةً، يستغني بها عن كل الشروط المادية، التي يتوهّم أنها سبب سعادته، وأنّ سعادةَ الإنسان تنبع من داخله لا مما يحيط به نفسَه من ألوان النعيم.

ولو كان بيتُ الله الحرام في المنطقة المعتدلة من الأرض، حيث الجبالُ الخضراءُ، والمياهُ العذبةُ، والبحيراتُ الصافيةُ، والبساتينُ الغناءُ، والجوُّ اللطيفُ، والنسيمُ العليلُ، وكان الحجُّ على مدار العام دفعاً للازدحام، لأقبل كلُّ الخلق إلى أداء الفريضة الممتعة، طلباً للاستجمام، لا حُبّاً بخالق الأكوان.

فضلاً عن موقع البيت الحرام، وعن طبيعة الجو فيه، فإن الحاجَّ المحرمَ يُحظَر عليه لُبسُ المخيط من الثياب، ويُحظر عليه التطيُّبُ بكل أنواع الطيب، ويُحظر عليه الحلقُ والتقصيرُ، ويُحظر عليه مقاربةُ المُتَع التي أبيحت له خارجَ الحج، كلُّ ذلك ليُحْكِمَ اتصالَه بالله، وليسعد بقربه وحده، بعيداً عن كل مداخلة من مُتع الأرض، ليتحقّق الحاجُّ أنه إذا وصل إلى الله وصل إلى كلّ شيء، وأنّ الدنيا كلّها لا يمكن أن تُمِدّ الإنسانَ بسعادة مستمرة، بل متناقصة، ولينطلق لسانُه بشكل عفوي قائلاً: يا رب، ماذا فَقَدَ مَن وجدك ؟ وماذا وَجَدَ مَن فَقَدَكَ ؟

ومُجْمَلُ القول: إنّ الحجّ عبادةٌ كبرى، قِوامُها اتصالٌ متميّزٌ بالله عز وجل، وأساسُها معرفةٌ وقُرْبٌ، وبَذْلٌ وحُبٌّ، وسببُها نزعُ أقنعةِ الدنيا المزيفةِ، وتجاوزُ الخلق إلى الخالق، وخرقُ النعم إلى المنعم.

## شروط قبول الحج:

يا أيها الأخوة الكرام، ولكي تؤدّى هذه العبادة العظيمة على نحوٍ يقبلها الله، ويرضى عنها، ولئلا يُنفِق الإنسانُ المالَ الكثيرَ، والوقتَ الثمينَ، ويتجشّم المشاقّ، ثم لا تُقبل حجّتُه، ويُقال له: لا لبيك ولا سعديك، وحجُّك مردود عليك، لئلا تضيعَ حجّتُه سُدًى، عليه أنْ يتوب قبْلَ الذهاب إلى الحج مِن كل الذنوب والآثام، كبيرها وصغيرها، جليلِها وحقيرها، فيجتنب كلّ كسْبٍ حرام، وكلّ علاقةٍ متلبّسة بالآثام، وعليه أن يؤدِّيَ الحقوقَ التي عليه بالتمّام والكمال، وبخاصة تلك الحقوق المتعلقة بالخلق، لأن حقوق العباد مبنيةٌ على المُشَاحَحَةِ بينما حقوق الله مبنيةٌ على المسامحة، فعليه أن يؤدِّيَ الحقوق، ويُقلعَ عن الذنوب، والأهمُّ مِن هذا أن يَعقِدَ العزمَ على ألاّ يعودَ إليها بعد الحجّ، وإلاّ أصبح

الحجُّ مِن الطقوس لا من العبادات، فمِنَ الخطأ الكبير، والوهم الخطير أنْ يظنّ الحاجُّ أنّ الحجّ يهدمُ ما قبله من الذنوب كلِها، وفيه تُغفر كل خطيئة، وقد أجمع العلماءُ على أنّ الأحاديثَ الشريفة التي تبيّن أنّ الحاجّ يعود مِن الحجّ كيوم ولدته أمه، وقد غُفرت ذنوبُه كلُّها، هذه الذنوبُ التي أشار إليها النبيُّ صلى الله عليه وسلم هي الذنوبُ التي بين العبد وربّه حصراً، أمّا الذنوبُ التي بينه وبين الخلق، والحقوقُ التي في ذمته، والواجباتُ التي قصّر في أدائها ؛ فهذه لا تَسقطُ ولا تُغفر إلا بالأداء أو المسامحة، فالذنوب ثلاثة ؛ ذنب لا يُغفر وهو الشرك، وذنب لا يُترك وهو ما كان بين العبد والخلق، وذنب يُغفر وهو ما كان بين العبد وربه.

أخوتي المؤمنين، أعزائي المستمعين، والاستطاعة التي وردت في الآية التي تعد أصلاً في فرضية الحج وهي قوله تعالى:

**( فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ(٩٧))**

( سورة آل عمران)

هي استطاعة بدنية ومالية وأمنية وإدارية.

## الاستطاعة في الحج:

المسلم الذي لا يقوى جسمه على تحمُّل أداء مناسك الحج بَغَلبة يقينية أو بإخبار طبيب متخصص مسلم حاذق ورع، يُجزئه أن يُكلِّف من يحج عنه في حياته أو يوصي بحجة بدل بعد مماته، وفق أحكام هذا النوع من الحج.

والمسلم الذي لا يملك المال الكافي الذي يغطي نفقات الركوب بأنواعها، ونفقات السكن في مكة والمدينة، وثمن الطعام والشراب فضلاً عن نفقات أهله وولده في غيبته لا يعد عند الله مستطيعاً، فلا ينبغي للمسلم غير المستطيع أن يبذل ماء وجهه من أجل جمع نفقة الحج، ولا أن يسلك المسالك الملتوية، من أجل أن يحصل على نفقة الحج، فإنه في الأصل ليس مستطيعاً ولا حجّ عليه. وحينما يقرر أولوا الأمر في ديار المسلمين أن يعتمدوا نظاماً يُتيح لمَن لم يحجّ أن يحجّ، ويَمنع من حجّ حجة الفريضة من أن يحج، حينما يكون الباعث على هذا التنظيم إفساحَ المجال للمسلمين الذين لم يحجّوا حجّة الفريضة أن يؤدُّوها بيسر وطمأنينة، فلا ينبغي للمرء أنْ يرتكب معصيةً ليحجّ حجّة نافلة، فالمسلم الذي لم يُسمح له أن يحج لا يُعَدُّ مستطيعاً.

وما دام الحج مِنَ العبادات المالية التي تستوجب إنفاقَ المال، فلا بد في المال الذي سينفقه الحاجُّ في هذه الفريضة أنْ يكون مالاً طيباً وحلالاً، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً))**

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

**((إذَا خَرَجَ الْحَاجُ حَاجّاً بِنَفقةٍ طيّبَةٍ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ في الْغَرْزِ - ركاب الدابة - فَنَادَى: لَبّيْكَ اللّهُمّ لَبّيْكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ فِي السّمَاءِ: لَبّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، زَادُكَ حَلاَلٌ، وَرَاحِلَتُكَ حَلاَلٌ، وَحَجُّكَ مَبْرُورٌ غَيْرُ مَأزُورٍ، وَإذَا خَرَجَ بالنّفقةِ الْخَبيثَةِ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ في الْغَرْزِ فنادى: فَنَادَى: لَبّيْكَ اللّهُمّ لَبّيْكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ فِي السّمَاءِ: لاَ لَبّيْكَ وَلاَ سَعْدَيْكَ، زَادُكَ حَرَامٌ، ونَفقتُكَ حَرَامٌ، وَحَجُّكَ مَأزُورٌ غَيْرُ مَأجُورٍ))**

[ رواه البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه]

وبما أنّ الحجّ فريضةٌ فرضها الله على المستطيع ؛ والفقير ليس مستطيعاً، فلا ينبغي للفقير أن يقترض ليحجّ، فعن عبد الله بن أبي أوفى قال:

**((سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم عَنِ الرّجُلِ لَمْ يَحُجّ: أوَ يَسْتَقْرِضُ ؟ قالَ: "لاَ" ))**

[رواه البيهقي من قول ابن أبي أوفى ]

والمدين لا تُقبل حجته إلا بموافقة دائنه.

## على الحاج أن يتفقه قبل أن يحج:

إنّ من بدأ حجه بتصريح كاذب، أو انتحل صفة لا يتصف بها، أو يتصف بها، ولا يريد أن يقوم بها، أو دفع مالاً غير مشروع لجهة غير شرعية تحول أداؤه لهذه الفريضة إلى عمل محرم، استناداً إلى القاعدة الفقهية الأصولية وهي أنّ كل ما استلزم محرماً يصبح هو الآخر محرماً، فالطريق إلى المحرم محرم، فالمؤمنون عاداتهم عبادات، والمنافقون عباداتهم سيئات.

أيها الأخوة حضوراً ومستمعين، وبما أنّ عبادةَ الحجّ فرَضَها الله على المستطيع في العمر كله مرة واحدة، فإنْ أخلّ الحاجُّ بمناسكها، فلم يؤدِ ركناً، أو نسي واجباً، أو ترَكَ سنّةً، أو حرص على سنة أدّت إلى انتهاك حرمة، أو اقترفَ معصية، أو فعَلَ محظوراً، فقَدْ أبْطَلَ حجّه، أو لزِمه الدمُ، أو أساء، أو قصّر، أو تركَ الأوْلى، إنْ فعَلَ هذا فقد ضيّع فرصة فريدة لا تتكرّر، فرصة لمغفرة ذنبه واستحقاقه جنّة ربه، كلُ هذا بسببِ الجهل الذي هو أعدى أعداءِ الإنسان، فالجاهلُ يفعل بنفسه ما لا يستطيع أن يفعله عدوُّه به، لذلك نقول: أيها الحجّاجُ ؛ تفقّهوا قبل أن تحجّوا، فعالمٌ واحد أشدُّ على الشيطان مِن ألفِ عابدٍ، وقليلٌ مِنَ الفقهِ خيرٌ مِنَ كثيرٍ مِنَ العبادة:

**( فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ )**

( سورة النحل )

كما أن انتظار الصلاة يُعَدّ من الصلاة، كذلك الإعدادُ الفقهيّ للحجّ فهو مِنَ الحجّ، فكم مِن حاجّ أهْملَ التفقّهَ قبْلَ الحج، وعاد مِنَ الحجّ، ولم يطف طواف الركن، فبطل حجُه، وكم مِن حاجّ اجتاز الميقاتَ المكانيَّ غيرَ محرم فلزمه الدم، وكم مِن حاجّ وقع في محظورات الإحرام وهو يحسبُ أنه يُحسن صنعاً.

## الله لا يقبل نافلةً أدّتْ إلى تركِ واجبٍ:

مِن فقهِ الرجلِ أنْ يتحرّك في حياته وَفق سُلّم للأوليات، فإذا أدّى حجّة الإسلام وهي حجةُ الفريضة، وتاقت نفسُه إلى أن يحجّ مرةً ثانيةً وثالثةً، وكان مستطيعاً بماله وبدنه وموافقة أولي الأمر له، ولم يسهم مِن خلال تصريحٍ غيرِ مطابق للواقع في حرمان مسلم مِن حجّة الفريضة، وكان قد أدّى كلّ ما عليه من واجبات تجاه والديه، وأولاده، وإخوته، وأخواته، وأصدقائه، وجيرانه، فلا عليه أنّ يحجّ ثانية وثالثة ورابعة، فالحج جهاد لا شوكة فيه، وهو جهادُ الكبيرِ، والمرأةِ، والضعيف، وقد ورد في الحديث القدسي:

**((إِذَا أَصْحَحْتُ لِعَبْدِي جِسْمَهُ، وَوَسّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ، فَأَتَتْ عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لَمْ يَفِدْ إِلَيّ لَمَحْرُومٌ))**

[البيهقي في السنن الكبرى ومسند أبي يعلى والترغيب والترهيب للمنذري]

لكن حينما يحجّ المسلمُ حجة الفريضة، وله ولد في سنّ الزواج، ويخشى عليه الانحرافَ، فالأَوْلى أن يزوِّجه بدلَ أنْ يحجّ حجة النفل، لأنّ دَرْءَ المفاسدِ مقدَّمٌ على جَلْبِ المنافع، وأنّ الله لا يقبل نافلةً أدّتْ إلى تركِ واجبٍ:

**( وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً )**

( سورة البقرة الآية: ٢٦٩ )

ومن أدعية النبي صلى الله عليه وسلم:

**((اللّهُمّ حَجّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمْعَةَ))**

[أخرجه ابن ماجه عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ]

معنى هذا أن من انحراف الحاج عن قصده، وعدم إخلاصه في عبادته أن يبتغي من حجه السمعة والرياء.

أيها الأخوة الأحباب، ويجب أنْ يعلمَ المسلمُ أنّ الحجّ لا يكفِّر الذنوبَ التي لم يَتُبْ منها صاحبُها، فالمقيم على ذنبٍ ما لم يَتُبْ منه وهو مستمرٌ فيـه، فإنّ الحجّ لا يكفِّر ذنبَه، وإنما الحجُّ كفارةٌ وأجرٌ للعبدِ التائبِ إلى الله، الراجع إليه، الراجِي رحمتَه وعفوَه، والذي أقلعَ عن ذنوبه إقلاعاً لا رجعة بعده، والدليل على ذلك ما رواه الإمام مسلم بإسناده عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**(( يَا رَسُولَ اللّهِ، أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيّةِ ؟ قَالَ: أَمّا مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فِي الْإِسْلَامِ فَلَا يُؤَاخَذُ بِهَا، وَمَنْ أَسَاءَ أُخِذَ بِعَمَلِهِ فِي الْجَاهِلِيّةِ وَالْإِسْلَامِ))**

[مسلم عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ]

## خطبة حجة الوداع خطبة جامعة مانعة:

أيها المسلمون، خَطَبَ النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلم في حجّة الوداع خطبة جامعة مانعة، تضمنت مبادئَ إنسانيةً سيقتْ في كلماتٍ سَهلةٍ سائغةٍ، كيفَ لا وقد أُوتيَ النبي صلى الله عليه وسلم جوامعَ الكلم، ولقد استوعبتْ هذه الخطبةُ جملةً مِنَ الحقائق التي يحتاجها العالَم الشاردُ المعذّب ليرشُدَ ويسعَدَ، قال تعالى:

**( فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى )**

( سورة طه )

إن الله جل وعلا ربَّى محمّداً صلى الله عليه وسلم ليُربّيَ به العربَ، وربَّى العربَ بمحمّدٍ صلى الله عليه وسلم ليُربّيَ بهم الناسَ أجمعين، قال تعالى:

**( وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النّاسِ فَأَقِيمُوا الصّلَاةَ وَآتُوا الزّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النّصِيرُ(٧٨) )**

( سورة الحج الآية: ٧٨ )

## مبادئ انطوت عليها خطبة النبي الكريم في حجة الوداع:

من المبادئ التي انطوت عليها خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع:

### ١ـ الإنسانيةُ متساويةُ القيمةِ:

الإنسانيةُ متساويةُ القيمةِ في أيّ إهَابٍ تَبَرّزَ، وعلى أية حالة كان، وفوق أي مستوى تَرَبّعَ، فعَنْ أبي نَضْرَةَ حَدّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي وَسَطِ أَيّامِ التّشْرِيقِ فَقَالَ:

**(( يَا أَيُّهَا النّاسُ، أَلَا إِنّ رَبّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيّ عَلَى أَعْجَمِيّ، وَلَا لِعَجَمِيّ عَلَى عَرَبِيّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلّا بِالتّقْوَى، أَبَلّغْتُ ؟ قَالُوا: بَلّغَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ... ))**

[أحمد عَنْ أبي نَضْرَةَ ]

### ٢ـ النفس الإنسانية ما لم تكن مؤمنة بربها ربما بَنَتْ مَجْدَهَا على أنقاض الآخرين:

النفس الإنسانية ما لم تكن مؤمنة بربها، مؤمنة بوعده ووعيده، مؤمنةً بأنه يعلم سرّها وجهرها، تدور حول أثرتها، ولا تُبالي بشيء في سبيل غايتها، فربما بَنَتْ مَجْدَهَا على أنقاض الآخرين، وبنت

غناها على فقرهم، وبنت عزها على ذلهم، بل ربما بنت حياتها على موتهم، لذلك قال الرسول الكريم في حجة الوداع:

**((... فَإِنّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَهُ ثُمّ قَالَ اسْمَعُوا مِنّي تَعِيشُوا أَلَا لَا تَظْلِمُوا أَلَا لَا تَظْلِمُوا أَلَا لَا تَظْلِمُوا إِنّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ أَلَا وَإِنّ كُلّ دَمٍ وَمَالٍ وَمَأْثَرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيّةِ تَحْتَ قَدَمِي هَذِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ))**

[أحمد عن أبي حرة الرقاشي عن أبيه]

## ٣ـ المال قوام الحياة:

المال قوام الحياة، وينبغي أن يكون مُتداولاً بين كل الناس، وأنه إذا ولد المالُ المال من دون جهد حقيقي يسهم في عِمارةِ الأرض، وإغناء الحياة، تجمّع في أيدٍ قليلة، وحُرمت منه الكثرة الكثيرة، عندها تضطرب الحياة، ويظهر الحقد، ويُلجأ إلى العنف، ولا يلد العنفُ إلا العنفَ، والربا يسهم بشكل أو بآخر في هذه النتائج المأساوية، التي تعود على المجتمع البشري بالويلات، لهذا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع:

**((...أَلَا وَإِنّ كُلّ رِباً فِي الْجَاهِلِيّةِ مَوْضُوعٌ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ غَيْرَ رِبَا الْعَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ فَإِنّهُ مَوْضُوعٌ كُلّهُ...))**

[رواه الترمذي عن عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ]

## ٤ـ النساء شقائق الرجال:

النساء شقائق الرجال، ولأنّ المرأةَ مساويةٌ للرجل تماماً، من حيث إنها مكلفةٌ كالرجل بأركان الإيمان، وأركان الإسلام، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، ومساويةٌ له من حيث استحقاقُها الثوابَ والعقابَ، ومساوية له تماماً في التشريف والتكليف، لهذا قال صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع:

**((أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنّسَاءِ خَيْراً، فَإِنّمَا هُنّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنّ شَيْئاً غَيْرَ ذَلِكَ، إِلّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنّ سَبِيلاً، أَلَا إِنّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقّاً، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً، فَأَمّا حَقّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَإِنّ حَقّهُنّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنّ فِي كِسْوَتِهِنّ وَطَعَامِهِنّ ))**

[رواه الترمذي عن عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ]

ثم يُتابع خطبته فيقول:

**((لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ))**

[متفق عليه عن جرير بن عبد الله]

**((وَإِنّ الشّيْطَانَ قَدْ أيسَ مِنْ أنْ يُعْبَدَ فِي بِلَادِكُمْ هَذِهِ أبَداً، وَلَكِنْ سَتَكُونُ لَهُ طاعَةٌ فِيمَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أعْمَالِكُمْ، فَسَيَرْضَى بِهِ))**

[رواه مسلم عن جابر]

**((وَإِنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ ؛ كِتَابَ اللّهِ، وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ قالُوا: نَشْهَدُ أَنّكَ قَدْ بَلّغْتَ،وَأَدّيْتَ، وَنَصَحْتَ، ثُمّ قالَ بِأُصْبُعِهِ السّبّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السّمَاءِ، وَيَنْكُبُهَا إِلَى النّاسِ: اللّهُمّ اشْهَدْ اللّهُمّ اشْهَدْ اللّهُمّ اشْهَدْ))**

[رواه مسلم عن جابر]

## ماء زمزم:

أيها السادة المستمعون، أيتها السيدات المستمعات، إلى الموضوع العلمي:

وصف النبي صلى الله عليه وسلم ماء بئر زمزم:

**((إِنّهَا مُبَارَكَةٌ إِنّهَا طعَامُ طُعْمٍ))**

[رواه الإمام مسلم عن أبي ذر]

وزاد غير مسلم:

**((وَشِفَاءُ سُقْمٍ))**

[فيض القدير للمناوي عن صفية]

وعن ابن جريج: قال سمعت أنه يقال:

**((خَيْرُ مَاءٍ فِي الأَرْض مَاءُ زَمْزَمَ...))**

[الطبراني في الأوسط والكبير عن ابن جريج]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**((مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ))**

[ابن ماجه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]

وزاد الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً:

**((فَإِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي بِهِ شَفَاكَ الله، وَإِنْ شَرِبْتَهُ مُسْتَعِيذاً بِهِ أعَاذَكَ الله، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِيَقْطع ظَمَأَكَ قَطَعَهُ الله))**

[الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما]

وأخرج ابن ماجه في المناسك عَنْ مُحَمّدِ بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبّاسٍ جَالِساً، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟ قَالَ: مِنْ زَمْزَمَ، قَالَ: فَشَرِبْتَ مِنْهَا كَمَا يَنْبَغِي ؟ قَالَ: وَكَيْفَ ؟ قَالَ: إِذَا شَرِبْتَ مِنْهَا فَاسْتَقْبِلْ الْقِبْلَة، وَاذْكُرْ اسْمَ اللّهِ، وَتَنَفّسْ ثَلَاثاً، وَتَضَلّعْ مِنْهَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَاحْمَدْ اللّهَ عَزّ وَجَلّ، فَإِنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ:

**((إِنّ آيَةَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ إِنّهُمْ لَا يَتَضَلّعُونَ مِنْ زَمْزَمَ))**

[ابن ماجه عَنْ مُحَمّدِ بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ]

وقد حرص الصحابة والتابعون وكثيرٌ مِن علماءِ الأمّة وعامّتُها على التّضَلّع مِن ماءِ زمزمَ، أي أنْ تملأ الضلوعَ منه، واستحضار نيات معينة عند الشرب منه، لأنّ الدعاءَ مستحبٌّ عند الشربِ من ماء زمزم، فزمزمُ لِمَا شُربَ له، وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه إذا شرب ماء زمزم دعا فقال: **" اللهم إني أشربه لظمأ يوم القيامة "، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان إذا شرب ماء زمزم قال: " اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء".**

## فضل ماء زمزم وأهميته علمياً:

قال بعض العلماء: **" ماء زمزم سيّدُ المياه، وأشرفُها، وأجلُّها قدْراً، وأحبُّها إلى النفوس، وأغلاها ثمناً، وأنفسُها عند الناس، وهو هَزْمَة جبريل ـ أي حفْره ـ وسقيا الله إسماعيل ".**

هذا ما في السنة الصحيحة والحسنة والأثر عن ماء زمزم، فماذا في العلم وتحليلاته الدقيقة عن ماء زمزم ؟

أُجريتْ في عام ألف وتسعمئة وثلاثة وسبعين وفي عام ألف وتسعمئة وثمانين تحاليل كيميائية من قبل شركات عالمية عملاقة ومتخصصة فكانت النتائج مذهلة، حيث إنّ مياه زمزم خالية تماماً من أي نوع من أنواع الجراثيم المسببة للتلوث، وتعد المياه معدنية ويتهافت الناس على شرائها إذا كانت نسبة أملاح المعادن فيها من مئة وخمسين إلى ثلاثمئة وخمسين ملغ في اللتر أما مياه زمزم فتبلغ نسب المعادن فيها ألفي ملغ في اللتر، من أبرز هذه الأملاح المعدنية الكالسيوم، والصوديوم، والمغنيزيوم، والبوتاسيوم وغيرها.

ويعد ماء زمزم من أغنى مياه العالم بعنصر الكالسيوم إذ تبلغ نسبته فيه مئتي ملغ في اللتر، لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يقول:

**((إِنّهَا مُبَارَكَةٌ إِنّهَا طَعَامُ طُعْمٍ))**

[رواه الإمام مسلم عن أبي ذر]

وقد دلت البحوث العلمية الحديثة أن أمراض شرايين القلب التاجية أقل حدوثاً في الذين شربوا مثل هذه المياه، لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال:

**((شِفاءُ سُقْمٍ))**

[الجامع الصغير عن أبي ذر، فيض القدير، للمناوي عن صفية]

وتعد المياه غازية هاضمة إذا احتوت على ما يزيد عن مئتين وخمسين ملغ في اللتر من البيكربونات، ومن أشهر المياه الغازية في العالم مياه نبع إفيان في فرنسا، إذ تبلغ نسبة البيكربونات فيه ثلاثمئة وسبعة وخمسين ملغ في اللتر، أمّا ماء زمزم فتبلغ نسبة البيكربونات ثلاثمئة وستة وستين ملغ في اللتر، ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال:

**((مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ))**

[ابن ماجه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]

## الأحاديثَ عن ماء زمزم من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم:

يذكر بعض علماء الطب في كتاب طبع عام ألف وتسعمئة وخمسة وتسعين أن المياه المعدنية تفيد في علاج كثير من الأمراض الروماتزمية، وزيادة حموضة المعدة، والإسهال المزمن، وعسر الهضم، وهي ذات تأثير مدر وملين ومرمم لنقص المعادن في الجسم، ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال:

**((فإنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي بِهِ شَفَاكَ الله، وَإنْ شَرِبْتَهُ مُسْتَعِيذاً بِهِ أَعَاذَكَ اللهُ، وَإنْ شَرِبْتَهُ لِيَقْطَعَ ظَمَأَكَ قَطَعَهُ اللهُ))**

[الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما]

ذلك لأن ماء زمزم ليس عذباً حلواً بل يميل إلى الملوحة، والإنسان لا يشرب من هذا الماء الذي يميل إلى الملوحة إلا إيماناً بما فيه من البركة، فيكون التضلع منه دليلاً على الإيمان. لعلّ الله عزّ وجلّ لم يجعله عذباً حتى لا تُنْسي العذوبة فيه معنى التعبّد عند شُربه ولكنّ طعمه على أية حال مقبول، ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال:

**(( إنّ آيَةَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ إنّهُمْ لَا يَتَضَلّعُونَ مِنْ زَمْزَمَ ))**

[ابن ماجه عَنْ مُحَمّدِ بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ أبي بَكْرٍ]

الآن نسأل: ما المؤسّساتُ العلميةُ العاليةُ التي كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والتي أعطتْهُ هذه الحقائقَ المدهِشة عن ماء زمزم ؟ ومَن هي هيئات البحوث المتخصصة التي توصلت إلى هذه النتائج الدقيقة عن هذا الماء ؟ وما نوعُ المخابرِ العملاقةِ التي حَلّلتْ واستنتجتْ نسبَ أملاحِ المعادن في ماء زمزم البالغة الدقة والتي اعتمد عليها النبيُّ في أحاديثه عن هذا الماء المبارك ؟ إنه الوحي، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وإنّ هذه الأحاديثَ عن ماء زمزم من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

نسأل الله أن يسقينا من حوض نبيه الكريم يوم القيامة يوم العطش الأكبر شربة لا نظمأ بعدها أبداً.
أيها الأخوة المؤمنون، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

***

**الخطبـــة الثانيـــة:**

محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

## واجبنا نحو الانتفاضة المباركة:

أخوة الإيمان في كل مكان، هذا عن حج بيت الله الحرام !! فماذا عن مسرى سيد الأنام ؟ إنه المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، ولا يعلم إلا الله ماذا يجري حوله من جرائم يندى لها جبين الإنسانية، ويفرَق من هولها وحوش الغاب.

**قتْلُ امرئٍ في غابةٍ جَريمةٌ لا تُغْتَفَرْ**
**وقتْلُ شعبٍ مسلمٍ مسألةٌ فيها نَظَرْ**

* * *

الحقيقة أنه لا بد أنْ نشكر أطفال الانتفاضة، بل الواجب على كل مسلم أنْ يقدِّم لهم الشكرَ ؛ حيث جعلوا لنا قضيةً نستطيع أن نتوحّد حولها ونتحدّثَ عنها، ونحزنَ مِن أجلها ونتجمعَ بسببها، لقد رفعونا عن كثير من همومنا الصغيرة التي كانت تستنزفنا فيما مضى.

إنّ الانتفاضة مباركةٌ لأنها حرّكت القضية داخلَ فلسطينَ، وداخلَ الأرض المحتلة، فقد أصبح اليهودُ يشعرون حقّاً بعقدة، فهذه الأرضُ ليست بلا شعب ـ كما قيل لهم ـ فهم يفاجئون أنه يخرج عليهم شابٌّ من الأرض نفسها في فلسطين، هو أكثر حماساً منهم لهذه الأرض، وأكثر تضحية، وأكثر إصراراً، وأكثر صدقاً في حمايتها والشعور بقداستها، حتى الصبية الصغار أصبحوا يدافعون عنها بهذه الطريقة التي لم تكن مألوفة في التاريخ كلِّه، لقد حافظتْ الانتفاضةُ على معنويةِ المسلم وشعورِه بالانتماءِ، وشعوره بالعطاء، وكونه يتقي الله قدرَ المستطاع، ويبذل كل جهده في البلاء، هذه الانتفاضة جعلتْ العالَم كلّه، وليس العالم العربي والإسلامي فحسب يبدأ بإعادة حساباته، ويتفهّم قضية المسلمين، لقد كانت الانتفاضةُ اختراقاً جيداً للكيان الصهيوني، فمِن خلال مشاهدة الناس للأطفال وهم يتلقون الرصاصَ الحيَّ بصدورهم ورؤوسهم، وليس في أيديهم إلا الحجارة، شعروا أنّ هناك مشكلة حقيقة، هؤلاء الأطفال ما تحرّكوا عبثاً، وما تصدّوا لعباً، فحينما تُسْلَب أرضُ

شعبٍ، وتُنهَب ثرواتُه، وتُنتهَك حرماتُه، وتُدَنّس مقدساته، وتُداسُ كرامتُه، وتُقهَر إرادتُه، وتفسد عقائده، وتفرغ قِيَمُه، ويُزوّر تاريخُه، ويُحمَل على الفساد والإفساد، وتُمَارَس عليه ألوانُ التجهيل والتجويع والتعذيب على يد أعدائه، أعداء الله، أعداء الحقّ، أعداء الخير، أعداءِ الحياة، عندئذٍ لا بد لهذا الشعب أن يتحرّك ليستردّ حقّه في الحياة الحرة الكريمة.

كانت الانتفاضة فرصة لتعبير الناس عن مشاعرهم، ونفض الغبار عن قلوبهم، وتجديد الولاء لدينهم وأمتهم، وتوحيد همومهم حول قضيتهم الكبرى، والقضاء على الاهتمامات الجانبية، والخلافات الجزئية، ومحاولة مخاطبة الأمة كلها، ومخاطبة العالم من ورائها بالقضية العادلة.

## الانتفاضة انتفاضة عفوية:

إنّ كلّ قطرةِ دمٍ تُراقُ من طفل فلسطيني ينبغي أنْ نشعر أنها تُمتصُ من أجسادنا، ومِن أولادنا، ومِن أهلنا، وأنّ كلّ شهيد يَذهب هو من أقرب الناس إلينا، ولا يجوز أبداً أن يكون نَفَسُنَا قصيراً، حيث إنه إذا طال علينا الأمدُ بدأ الناسُ يتساءلون: إلى متى ولماذا ؟ ثم بعدها ينشغلون بهمومهم، وقضاياهم الخاصة، وأُسَرِهِمْ، وتجاراتهم، ووظائفهم، ويغفلون عن أولئك المرابطين في الثغور على مدى الزمان، وهؤلاء الصبيةُ الصغارُ الذين قاموا بهذا العمل رفعوا عبئاً ومسؤولية كبيرةً عن المسلمين في كل مكان، وتصَدّوا لواجبٍ لا يستطيع غيرُهم أنْ يتصدّى له، فكونُهم يلجؤون إلى هذه الوسيلة البسيطة الساذجة العادية التي تدلّ على أنّ الانتفاضة انتفاضة عفوية، انتفاضة القهر، والحرمان، والأذى، والطغيان، وأنّ الإنسانَ قد وصل إلى درجة لا يصبر عليها، فقد بَلَغ السيلُ الزبى، وجاوز الحزام الطِّبيين، وبلغ السكين العظم.

**لا تسقني ماءَ الحياة بذِلّةٍ  بل فاسقني بالعزّ كأسَ العلقم**

* * *

أمَا وقد قام هؤلاء الصغارُ بواجبهم، وأسالوا من دمائهم، وبذلوا من أرواحهم، فإنه لا يسَعُ المسلمين إلا الإصرارُ على دعم هؤلاء بكل صور الدعم.

ونحن في بلدنا الطيب، قيادة وشعباً، نضع كل إمكاناتنا دعماً لا لقضيتهم بل لقضيتنا، عرباً ومسلمين، فقضيتنا أصبحت نكون أو لا نكون، نكون مجتمعين على الحق، ولا نكون متفرقين بالمصالح والأهواء.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٥٤) : خ١ - الانتفاضة ، خ٢ - موضوع علمي - الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة هو دلالة لفظ - أنزلنا الحديد .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١-٠٤-٢٠

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

## دعا الإسلام إلى توحيد الكلمة واجتماع الصف:

نقل الحافظ السيوطي في ( الدر المنثور ) ما أخرجه ابن إسحاق عن زيد بن أسلم قال: مرّ شاس بن قيس ـ وكان شيخاً عظيمَ الكفر، شديدَ الضغن على المسلمين، شديدَ الحسدِ لهم ـ على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من أُلْفَتِهِمْ وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال: قد اجتمع بنو قيلة بهذه البلاد، واللهِ مالنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار، فأمر فتى شاباً معه، فقال: اعْمدْ إليهم فاجلس معهم، ثم ذكِّرْهم يوم بُعَاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، وتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثبَ رجلان من الحَيَّيْن فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إنْ شئتُم واللهِ رَدَدْناها الآن جذعة، وغضب الفريقان جميعاً وقالوا: قد فعلنا، السلاحَ السّلاحَ، موعدكم الحَرَّة، فخرجوا إليها، وانضمّتْ الأوسُ بعضُها إلى بعض، والخزرجُ بعضُها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبَلَغَ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فخرجَ إليهم فِيمَنْ معه من المهاجرين من أصحابه، حتى جاءهم، فقال: يا معشرَ المسلمين، اللهَ الله، أبِدَعْوى الجاهلية وأنا بين أظْهركم، أبَعْدَ إذ هداكم اللهُ إلى الإسلام، وأكرمَكم به، وقطعَ به عنكم أمرَ الجاهلية، وَاسْتَنْقَذَكُم به مِنَ الكفر، وَأَلّفَ به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً، فعرفَ القومُ أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم لهم، فألقوا السلاح، وبَكَوْا، وعانق الرجالُ بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، قد أطفأ اللهُ عنهم كيدَ عدوهم، وأنزل الله في شأن شاس بن قيس وما صنع قولَه عز وجل:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ**

**جَمِيعاً وَلَا تَفَرّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ أخوانا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالّذِينَ تَفَرّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * )**

[ابن إسحاق عن زيد بن أسلم]

## أهم ما تضمنته الآيات السابقة:

يا أيها الأخوة الكرام، الآيات الكريمة دعوة قوية إلى توحيد الكلمة، واجتماع الصف، وقد تضمنت:

### ١ـ التحذير من دسائس أعداء المسلمين:

التحذير من دسائس أعداء المسلمين، ومن طاعتهم فيما يوسوسون به، فليس وراءها إلا الارتداد على الأعقاب، والكفر بعد الإيمان.

### ٢ـ التعبير عن الاتحاد بالإيمان وعن التفرق بالكفر:

التعبير عن الاتحاد بالإيمان، وعن التفرق بالكفر، فإن معنى:

**( يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ(١٠٠))**

( سورة آل عمران)

أي بعد وحدتكم وأخوّتكم متفرقين متعادين كما تدل أسباب النزول.

### ٣ـ الاعتصام بحبل الله أساس الوحدة والتجمع بين المسلمين:

إن الاعتصام بحبل الله وهو القرآن بخاصة، والإسلام بعامة من الجميع هو أساس الوحدة والتجمع بين المسلمين.

### ٤ـ التذكير بنعمة الأخوة الإيمانية بعد عداوات الجاهلية وحروبها:

التذكير بنعمة الأخوة الإيمانية بعد عداوات الجاهلية وحروبها، وهي أعظم النعم بعد الإيمان قال تعالى:

**( وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٦٣))**

( سورة الأنفال )

## ٥- لا يجمع الأمة أمر مثل أن يكون لها هدف كبير ورسالة عليا:

لا يجمع الأمة أمر مثل أن يكون لها هدف كبير تعيش له، ورسالة عليا تعمل من أجلها، وليس هناك هدف أو رسالة للأمة الإسلامية أكبر ولا أرفع من الدعوة إلى الخير الذي جاء به الإسلام، وهذا سرُّ قوله تعالى في هذا السياق:

**( وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ(١٠٤) )**

( سورة آل عمران الآية: ١٠٤ )

## ٦- لا يفرّق الأمة ويقوّض دعائمَها إلاّ تنازعُ المصالح واختلافُ الأهواء

لا يفرّق الأمة ويقوّض دعائمَها إلاّ تنازعُ المصالح، واختلافُ الأهواء، مع بُعدِها عن هدف نبيل، وقيم ثابتة، ونهج صحيح، والتاريخ سجِّلُ العبرَ، والواعظُ الصامتُ للبشر، وقد سجّلَ التاريخُ أنّ مَن قبْلنا تَفرّقوا واختلفوا في الدين فهلكوا، ولم يكن لهم عذرٌ، لأنهم اختلفوا بعدما جاءهم العلم، وجاءتهم البينات من ربهم، ومِن هنا كان التحذيرُ الإلهي:

**( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١٠٥))**

( سورة آل عمران )

هذا وقد أكّد القرآنُ أنّ المسلمين وإن اختلفت أجناسهم، وألوانهم، وأوطانهم، ولغاتهم، وطبقاتهم أمة واحدة، وهم الأمّةُ الذين جعلهم الله وسطاً:

**( لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (١٤٣))**

( سورة البقرة )

وهم كما وصفهم القرآن:

**( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ (١١٠) )**

(سورة الحشر )

## الأخوة الإيمانية هي العنوانُ المعبّرُ عن حقيقةِ الإيمان:

أخوتي المؤمنين، أعزائي المستمعين، وقد أعلن القرآنُ أنّ الأخوة الإيمانية هي الرباطُ المقدّسُ بين المسلمين، وهي العنوانُ المعبّرُ عن حقيقةِ الإيمان، فقال تعالى:

**( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) )**

( سورة الحجرات: ١٠)

جاءت الآياتُ بَعْدَ هذه الآيةِ تُقِيمُ سيّاجاً مِنَ الآداب والفضائل الأخلاقية، يحمي الأخوة مما يضعِفُها ويؤذِيها مِنَ السُّخرية، واللّمْز، والتنابُز بالألقاب، وسوءِ الظنّ، والتجسُّس، والغيبة، قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنّ خَيْراً مِنْهُنّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(١١)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنّ إِنّ بَعْضَ الظَّنّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنّ اللَّهَ تَوّابٌ رَحِيمٌ(١٢))**

( سورة الحجرات )

## تحذير القرآنُ الكريم من التفرُّق:

حذر القرآنُ من التفرُّق أيّما تحذير، ومِن ذلك قوله تعالى:

**( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ )**

(سورة الأنعام الآية: ٦٥ )

فجعل تفريقَ الأمة شيعاً يذوق بعضها بأس بعض من أنواع العقوبات الإلهية التي يُنْزِلها اللهُ بالناس إذا انحرفوا عن طريقه، ولم يعتبروا بآياته، وقرَنَها القرآنُ بالرجم يَنزل من فوقهم كالذي نزل بقوم لوط، أو بالخسف يقع من تحت أرجلهم كالذي وقع لقارون، قال تعالى:

**( إِنّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(١٥٩))**

(سورة الأنعام )

## توجيهات السنة النبوية:

أيها الأخوة حضوراً ومستمعين، هاكُمْ توجيهات السنة النبوية:

أما السنة النبوية فقد قررت وأكّدتْ وفصّلتْ ما جاء به القرآن من الدعوة إلى الاتحاد والائتلاف، والتحذير من التفرق والاختلاف، فقد دعت السنة إلى الجماعة والوحدة، ونفّرت من الشذوذ والفرقة، ودعت إلى الأخوة والمحبّة، وزجرت من العداوة والبغضاء، والأحاديث في هذا كثيرة وفيرة.

روى الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا فَقَالَ:

**((أوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمّ الّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمّ الّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمّ يَفْشُو الْكَذِبُ، حَتّى يَحْلِفَ الرّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُوَنّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنّ الشّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرّتْهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيّئَتُهُ فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ))**

[الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ ]

وعَنْ ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ: قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( يَدُ اللّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ))**

[رواه الترمذي عَنْ ابْنِ عَبّاس]

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ:

**(( إِنّ اللّهَ لَا يَجْمَعُ أُمّتِي ـ أَوْ قَالَ: أُمّةَ مُحَمّدٍ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ـ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذّ شَذّ إِلَى النّارِ ))**

[رواه الترمذي عَنْ ابْنِ عَبّاس]

في الصحيحين عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْراً فَمَاتَ إِلّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيّةً ))**

[متفق عليه عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

## الدعوة إلى الأخوة والوحدة بين المسلمين:

أكّدت السنة الدعوة إلى الأخوة والوحدة بين المسلمين في مواقف كثيرة، وبأساليب شتى، منها: أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ:

**((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ))**

[متفق عليه عَن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

وعَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))**

[متفق عليه عَن أنس ]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ ))**

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ]

وعَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ، لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ))**

[أبو داود عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاص]

## حذّرت السنة النبوية من التباغض والتهاجر والتشاحن وفساد ذات البين:

أيها الأخوة الأحباب، ولقد حذّرت السنة النبوية أبلغ التحذير وأشده من التباغض والتهاجر، والتشاحن، وفساد ذات البين، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ أَخواناً، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ))**

[متفق عليه عَن أنس ]

ومن حديث أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيّ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ))**

[متفق عليه عَن أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيّ]

ومن حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((إِيّاكُمْ وَالظّنّ، فَإِنّ الظّنّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسّسُوا، وَلَا تَجَسّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ أخوانا))**

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ]

ومن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ أخوانا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ))**

[مسلم عن أبي هريرة ]

ومن حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ ))**

[رواه الترمذي عن أبي الدَّرْدَاء ]

ومن حديث الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))**

[رواه أبو داود في الأدب عن الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّام ]

ومن حديث ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( ثَلَاثَةٌ لَا تَرْتَفِعُ صَلَاتُهُمْ فَوْقَ رُؤوسِهِمْ شِبْرًا رَجُلٌ أَمَّ قَوْماً وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ وَأخوان مُتَصَارِمَانِ ))**

[رواه الترمذي عن ابْنِ عَبَّاسٍ ]

متصارمان، أيْ متقاطعان.

ومن حديث أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**((مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ))**

[رواه ابن ماجه عن أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ ]

ومن حديث جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ))**

[رواه مسلم عن جَابِرٍ ]

## طابع الرقي الحقيقي هو طابع روحي أخلاقي أكثر من أن يكون طابعاً عمرانياً تنظيمياً:

أيها المسلمون، إن الذين نكن لهم عظيم الاحترام ليسوا أولئك الذين يملكون كثيراً من المال أو الدهاء والمكر أو القوة الجسدية الخارقة، وإنما أولئك الذين يملكون خُلق التسامي والترفع عن

سفاسف الأمور، وأولئك الذين انتصروا على التحديات داخل نفوسهم، وأولئك الذين يملكون قوة الانتظار والتضحية بالعاجل في سبيل الآجل والإيثار مع الخصاصة.

إنه بالإمكان القول: إن طابع الرقي الحقيقي هو طابع روحي أخلاقي، أكثر من أن يكون طابعاً عمرانياً تنظيمياً، والجاذبية التي تتمتع بها القرون الأولى من تاريخ الإسلام تنبع بشكل أساسي من طابع الاستقامة والنبل والتضحية وليس من التفوق في الحروب أو العلوم أو العمران. ولعل الطريق الوحيد إلى كسر أغلال التبعية يكون عن طريق إحداث انتفاضة روحية أخلاقية يستعلي بها المسلم على المعطيات المادية للوضع الحضاري الراهن، ويلتفت إلى إثراء حياته بوسائل، لا تحتاج إلى المال.

إن دراسة الحضارات توقفنا على حقيقة كبرى، وهي أن مصير الإنسان كان يتوقف دائماً على أمرين: علاقته بربه، وعلاقته بأخيه الإنسان. والبعد الروحي الأخلاقي هو المركز والمحور في هاتين العلاقتين. وحين ينحطّ الإنسان يتحول عن عبادته لربه إلى عبادته لذاته وشهواته. وتسود علاقتَه بالآخرين القوةُ بدل الرحمة، والعنف بدل التفاهم، وينصرف عن العناية بالروح إلى العناية بالجسد، وعن الاهتمام بالمبدأ إلى الاهتمام بالمصلحة، ويتحول المجتمعُ كلُه إلى غابة يشعرُ كلُّ واحدٍ فيها أنّ مِن حقِهِ افتراسَ الآخرين، كما أنه من الممكن أنْ يكون فريسةً لأيّ واحدٍ منهم، والطريقُ الوحيدُ للحيلولة دون هذه الحالة يكمن في تدعيم الرقابة الذاتية، وتعزيز علاقة العبد بربه عز وجل وتحفيز الإرادة الخيّرة في الناس. وهذا الحلُ وإنْ كان مكْلِفاً على المدى القريب فإنّه سفينةُ نوحٍ على المدى البعيد !

لن يكون بإمكانِ أفضلِ النظم الاجتماعية، ولا في إمكان أقصى العقوبات الصارمة أن تقوّم الاعوّجاج، ولا أن تملأ الفراغ الناشئ من ذبول الروح، وانحطاط القيم ؛ فالعقوبات لا تنشئ مجتمعاً لكنها تحميه. والنظم مهما كانت مُحكَمة ومتقَنة لن تحول دون تجاوز الإنسان لها، وتأويلها بما يجهضها، وكل الحضارات المندثرة تركت تنظيماتها وأدوات ضبطها خلفها شاهدةً على نفسها بالعقم والعجز.

## الإيمان أس الفضائل وقوام العزائم وبلسم الصبر عند الشدائد:

لا بد أن نكون على يقين أنّ تيارَ الشهوات والنزوات الجارفَ لا يمكن أنْ يقابَل إلا بتيار روحي متدفِّق مِن المشاعر والأحاسيس الإيمانية ؛ فوظيفةُ الفكر الدّلالةُ على الطريق وعلى الأساليب والأدوات المناسبة للعمل ؛ لكن الذي نستمد منه الطاقة على الاندفاع في طريق الخير، والطاقة على كبح جماح الشهوات هو الإيمان العميق، ورصيدنا من المشاعر الحميمة، فالإيمان أس الفضائل وقوام العزائم، وبلسم الصبر عند الشدائد، وإنّ كثيراً من الشباب الذين جرفهم تيارُ الجِنسِ والمُجون والخَلاعةِ لم يكونوا بحاجة إلى أدلّةٍ على فضل العفة والاستقامة، وإنما كانوا بحاجة إلى شيء من

المعاني التي تفيض على القلب بسبب تَذوّق طعم العبودية الحقيقية، والإحساس الصادق بمعية الله تعالى لهم واطلاعه عليهم.

حين يبلغ التقدم التقني أقصى مداه، ويشعر المرء بالتُخمة من أداوت التحكّم عن بُعْدٍ، وكل ما يجعل الحياة خالية من التحديات آنذاك تنبعث أشواق قديمة جديدة، هي أشواق النفس إلى التراحم والتعاطف والتضحية ببعض المكاسب من أجل استمرار حياة الجميع.

إن الأخلاقيين اليومَ هم قادة المستقبل، وهل يعرف فضل الماء إلا عند اشتداد الظمأ ؟!

إن الإسلام يعلِّمنا أنْ بالإمكان تصحيح المسار قبل أن نرتطم بقاع الهاوية، كما يعلّمنا أنه بالإمكان أن نتحوّل من الخسارة إلى الربح قبل أن يصبح رصيدُنا صفراً ؛ وذلك إذا أصغينا إلى نداء الفطرة في أعماقنا، وضَغَطْنا على بعض حاجاتِ الجسد مِن أجل إنعاش الروح، وفكّرنا مَلِياً بما هو آت !

## الظلم وعواقبه يوم القيامة:

أيها الأخوة الكرام، لولا الإيمانُ باليوم الآخر الذي تُسَوّى فيه الحسابات، وينتقم اللهُ به من الظالمين الذين ملؤوا الأرض ظلماً وجوراً وفساداً وكذباً وكبراً وغطرسة وعُنْجُهيّة، والذين داسوا بحوافرهم على كل القيم الإنسانية والدينية والقومية والوطنية والأخلاقية، لولا الإيمانُ باليوم الآخر لماتَ القلبُ مِن كَمَدٍ، فالمؤمن تحت نيران الظالمين المحتلّين يذوب قلبه في جوفه مما يرى، ولا يستطيع أن يغيّر، فإنْ سكتَ استباحوه، وإنْ تكلّم قتلوهُ، وإنْ قَذَفَهُم بحجرٍ قذفوه بقنبلة. وكفاك على عدوك نصراً أنْ يكون ظالماً، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**

[رواه مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**((لَيَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِي الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةٌ يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطُّ))**

[رواه أحمد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ]

قال سبحانه وتعالى:

**( وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ )**

( سورة إبراهيم )

وقال عز وجل:

**( لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ(١٩٦)مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(١٩٧) )**

( سورة آل عمران )

وقال تعالى:

( الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ )

( سورة يس الآية: ٦٥ )

## ضياء الإسلام سينبثق من ظُلُمَاتِ الظلم:

أيها السادة المستمعون أيتها السيدات المستمعات، أما في الحياة الدنيا فنحن مؤمنون بالله، ومؤمنون بأن الله صادقٌ فيما أَخْبَرَ، ومُنْجِزٌ وَعْدَه فيما وَعَدَ، وأن زوال الكون أهون عليه مِن ألاّ يحقِق وعودَه للمؤمنين، وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأنه حينما يهون أمر الله على الناس يهونون على الله، لكن حينما نؤمن بالله حق الإيمان ونحكم شرعه في حياتنا كلها، ثم نعد لأعدائنا الذين هم أعداؤه ما استطعنا من قوة عندئذ لا يمكن لهذا اليأس أن يتسرب إلى أفئدتنا، بل نحن على يقين وكأننا نرى ذلك بأعيننا أن ضياءَ الإسلام سينبثق من ظُلُمَاتِ الظلم:

( وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ )

( سورة آل عمران )

وقال العليُّ الحكيم:

( وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٧) )

( سورة إبراهيم )

وقال عزّ مِنْ قائلٍ:

( وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ )

( سورة الأنفال )

وقال عزّ مِنْ قائلٍ:

( وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ )

( سورة الأنفال الآية: ٦٠ )

وقال عزّ مِنْ قائلٍ:

( كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي )

( سورة المجادلة الآية: ٢١ )

وقال عزّ مِنْ قائلٍ:

( وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً )

( سورة آل عمران الآية: ١٢٠ )

## عدالة الله لابدّ من أن تتحقق:

القلق الذي يخالج المؤمن هو ما إذا سمح الله للمؤمن أن يحظى بشرف نصرة هذا الدين ونصر عباده المؤمنين أو لم يسمح، ويزداد المؤمن قلقاً حينما يتلو قوله تعالى:

**( وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ(٣٨))**

( سورة محمد )

أما أنْ يسمح الله لهؤلاء المعتدين المتغطرسين أنْ يحققوا أحلامهم وخططهم على المدى البعيد فهذا لا يتناقض مع عدالة الله فحسب بل يتناقض مع وجوده، فهو الحق ولا بد أنْ يحق الحقّ، قال تعالى:

**( وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ(٤٦))**

( سورة يونس)

ثم إن تحقيق أحلامهم على المدى البعيد يخالف سنن الله الجارية ووعده بالنصر لهذه الأمة، أقصد أمة الاستجابة لا أمة التبليغ، ووعيده بأن اليهود مكتوب عليهم الذل إلى يوم القيامة كما قال تعالى:

**( ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ(١١٢))**

( سورة آل عمران)

وما هذا العلوُّ في الأرض إلا استدراج لهم لتكشف حقيقتهم العدوانية الهمجية للمجتمع الإنساني، وآيات الله لا تسقط أبداً، ومن أجل ذلك نقول إنه يستحيل أن تسير الأوضاع كما يشتهي الصهاينة.

## الانتفاضة المباركة هي نيابةٌ عن الأمةِ كلِّها في مدافعة المغتصِب وفضح ألاعيبه:

إنّ الانتفاضة ستستمر في دربها إن شاء الله وستتطور لاحقاً لتكون جهاداً كاملاً يحقق النصر والعزة للمسلمين في أرض فلسطين، بشرط أن نعلن انتفاضةً مماثلة ودائمة على أثرتنا، وحظوظنا الشخصية، ومصالحنا الذاتية، إن الأمة في حالة صراع دائم مع الصهاينة، لكنها يجب أن تكون في صراع دائمٍ مع سلبياتها، فهل نرتفع عن مستوى النظرة الضيقة، ونلغي من حسابنا المكتسبات الخاصة لنجعل ديمومة المقاومة هدفاً أعلى تذوب في طياته وتضاعيفه كلُّ الأهداف الصغيرة ؟ قال أحد مجرمي الحرب من قادة الصهاينة: أنا أحارب فأنا موجود، فردّ عليه أحد قادة المقاومة: أنا أقاوم فأنا موجود، قياساً على قول ديكارت: أنا أفكر فأنا موجود.

ما بين عامَيْ ثلاثة وتسعين وستة وتسعين استخدمتْ إدارةُ دولةٍ عظمَى سلاحَ المقاطعة الاقتصادية ستين مرة ضد خمس وثلاثين بلداً في العالم، بحججٍ واهيةٍ نَفَخَتْ فيها المصالحُ السياسية، فلماذا يتردّد المسلمون في استخدام سلاح المقاطعة السلبية ليؤدِّيَ بعضَ النتائج، أو ليشعر المسلمُ على

الأقل بأن ثمّة دوراً ولو محدوداً يستطيع أن يقوم به ؟ إنه جزءٌ من الإنكار القلبي أو العملي السهل الذي لا يخسر فيه المرء أكثرُ من أنْ يختار بضاعةً عربيةً أو إسلاميةً أو من دول صديقة عند الحاجة، وربما تكون بالميزاتُ نفسِها وبالسعرِ نفْسِه.

أيها الأخوة الأعزاء، إنّ الانتفاضة المباركة في الأرض المباركة هي نيابةٌ عن الأمةِ كلِها في مدافعة المغتصِب، وفضحِ ألاعيبه، وكشفِ أساليبه، وتعريةِ وحشيتهِ وغطرستِهِ أمام العالم، فلنَصْدُق الوقفة مع أخواننا في الضراء، ولنشاركْهم مرارة عيشهم، إنْ لم يكن حضورياً فليكن شعورياً، ولنقتسمْ معهم لقمة الخبز، وليكن لهم من قلوبنا، وعقولنا، ومجالس درسنا وحديثنا، وإعلامنا، وصلاتنا، وتواصينا ما يشد على أعضادهم، ويُواسي جراحَهم، وهذا ما دعا إليه السيد الرئيس قبل يومين في لقائه مع بعض القيادات، وكان قد دعا في نهاية خطابه في مؤتمر القمة في عمان إلى أن نرتقي إلى مستوى طموحات الأمة، وأنْ نتجاوزَ الخلافاتِ لأنّ ما يوحِّدنا أكثرَ مما يفرّقنا، ونحن جميعاً في مركب واحد شئنا أمْ أبَينا، فالأحرى بنا أنْ نحسنَ قيادةَ وتوجيهَ هذا المركب.

وهذا المعنى مهمٌ جداً، وتحتاجُه الأمّةُ العربيةُ والإسلاميةُ، وهي تمرُ بأحلَكِ الظروف، و تواجهُ وضعاً دولياً وعربياً يحدِّد مصيرها.

وهو أيضاً من توجيهاتِ النبيّ صلى الله عليه وسلم، وفي هذا الصدد عَنِ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا،فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقاً، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعاً))**

[رواه البخاري عَن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

## نقطة مهمة جداً في قانون المسلمين الدولي:

مِن أخطر توجيهات النبي الكريم في هذا الظرفِ الصعب الذي يُحَدِّق بالأمة العربية والإسلامية قولهُ:

**((إنّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ، لاَ يُسَالِمُ الْمُؤْمِنُ دُونَ الْمُؤْمِنِ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللهِ إلاّ عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ))**

[سيرة ابن هشام]

هذه نقطة مهمة جداً في قانون المسلمين الدولي،

**(( إنّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ، لاَ يُسَالِمُ الْمُؤْمِنُ دُونَ الْمُؤْمِنِ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللهِ إلاّ عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ))**

أيْ لا يحق في المنهجِ الإسلاميّ لفئةٍ أنْ تصطلحَ مع عدوٍّ بشكلٍ انفراديٍّ، هذا وصفٌ دقيقٌ مِن قِبَلِ مبعوثِ العنايةِ الإلهيةِ لِمَا عليه المؤمنون، أو لِمَا ينبغي أنْ يكونوا عليه في شتَّى أقطارهم وديارهم مِنْ تعاوُنٍ وتناصُرٍ وتعاطُفٍ، فهم كالجسدِ الواحدِ نَصَحَةٌ متوادُّون، وهم بنيانٌ واحدٌ يشدُّ بعضُهم بعضاً، هم يَدٌ على مَن سواهم، سِلْمُهُم واحدةٌ، وحَربُهُم واحدةٌ، هذا ما ينبغي أنْ يكونَ عليه المؤمنون في شتّى أقطارهم وأمصارهم.

أيها الأخوة المؤمنون، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن مَلَكَ الموت قد تخطّانا إلى غيرنا وسيتخطّى غيرَنا إلينا، فلنتَّخِذْ حِذْرَنا، الكَيّسُ مَن دان نفْسَه وعَمِل لِمَا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني.

أخي المسلم: هل رأيت القبورَ ؟ بل هل رأيت ظلمتها ؟ وهل رأيت وحشتها ؟ وهل رأيت شِدّتها ؟ هل رأيتَ ضِيقَها ؟ هل رأيت هوامَها وديدَانها ؟ أما علمت أن مصيرَنا إليها ؟ أما رأيت أصحابُك وأحبابُك وأرحامُك نُقِلوا مِنَ القُصور إلى القبور، ومِن ضِياء المُهود إلى ظلمة اللّحود، ومِن ملاعبة الأهلِ والولدان إلى مقاساة الهوام والديدان، ومِن التّنعم بالطعام والشراب إلى التمرغ في الثرى والتراب، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل، فأخذهم الموتُ على غرة، وسَكَنوا القبورَ بعدَ حياةِ التَّرفِ واللّذة، وتساوَوْا جميعاً بعد موتهم في تلك الحفرة، فاللهَ نسأل أنْ يجعلَ قبورَنا روضة مِنْ رياض الجنة.

**أتيــتُ القبورَ فساءلتُـــهَا أينَ المُعَظّم والمُحْتَـقرْ؟!**

**وأين المــــذِلُّ بسلــطانه وأين القويُّ على ما قـدرْ؟!**

**تفانَوْا جميعاً فما مــــخبر وماتوا جميعاً ومات الخيرْ!!**

**أفيا سائلــي عن أناس مَضَـوا أما لك فيما مضى مُعْتَبَـرْ؟!**

**تروح وتغدو بناتُ الــثرى فتمحو محاسنَ تلك الصورْ!!**

***

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم، والحمد لله رب العالمين.

**الخـطـبـة الثانية :**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

## معجزة إنزال الحديد من السماء:

أخوة الإيمان في كل مكان، إلى الموضوع العلمي، قال الله تعالى:

**( لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ(٢٥) )**

( سورة الحديد )

البينات هي المعجزات التي تؤكِّد صدقَ الرسل، والكتاب هو المنهج، والميزانُ هو العقلُ الذي هو مناطُ التكليفِ، والهدفُ إقامةُ العدل في الأرض، وقوةُ الردع هي الحديدُ الذي فيه بأسٌ شديدٌ ومنافع للناس، وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة هو دلالة لفظ:

**(وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ )**

الذي يفيدُ إنزالَ الحديدِ من السماء ولم يكن موجوداً على كوكب الأرض، وهذا ما كشفت عنه الدراساتُ الفضائيةُ والجيولوجيةُ في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث وَجدَ علماءُ الفضاء أنّ أصلَ معدنِ الحديدِ ليس مِن كوكب الأرض بل مِنَ الفضاء الخارجي، وأنّه مِنْ مُخلّفات الشُّهُب والنَيَازك، وكشف علماءُ الفضاءِ مؤخّراً أنّ عنصرَ الحديد لا يمكن له أنْ يتكوّنَ داخلَ المجموعةِ الشمسية، فالشمسُ نجمٌ ذو حرارةٍ وطاقةٍ غيرِ كافيةٍ لدَمْج عنصرِ الحديدِ، وهذا ما دفع بالعلماء إلى القول بأنّ معدنَ الحديدِ قد تمّ دمجُه خارجَ مجموعتنا الشمسية، ثم نزلَ إلى الأرض عن طريق النيازك والشهب.

## منافع الحديد التي أشار إليها القرآن في سورة الحديد:

يعتقد علماءُ الفلك حالياً أنّ النيازكَ والشهبَ ما هي إلا مقذوفات فَلَكِية مختلفة الأحجام، وتتألّف في معظمها مِن معدن الحديدِ، ولذلك كان معدنُ الحديدِ مِنْ أوّل المعادن التي عَرَفَها الإنسانُ على وجه الأرض لأنه يتساقطُ بصورة نَقِيّةٍ مِنَ السماء على شكل نيازك، يَتَساقطُ في كل عامٍ آلافَ النيازكِ والشُهُبِ على كوكبِ الأرض، التي قد يَزِنُ بعضُها أحياناً عشرات الأطنان، وقد عُثِر على نيزك في أمريكا بلغ وزنُه اثنين وستين طناً مكوّناً من سبائك الحديد والنيكل، أما في ولاية " أريزونا " فقد أحدثَ نيزكٌ فوهة ضخمةً عمقها مئتا متر وقطرها ألف متر، وقد بلغت كميات الحديد المستخرجة من شظاياه الممزوجة بالنيكل عشرات الأطنان.

من هذا الشرح العلمي تتبيّنُ لنا دقّةُ الوصف القرآني

**( وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ )**

ولكن ما البأسُ الشديد ؟ وما هي المنافع التي أشار إليها القرآن بقوله:

**( فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاس )**

لقد وجد علماءُ الكيمياءَ أنّ معدنَ الحديد هو أكثرُ المعادن ثباتاً وقوة ومرونة وتحمُّلاً للضغط، وهو أيضاً أكثر المعادن كثافةً، وهذا يفيد الأرض في حفظ توازنها. كما يعد معدنُ الحديدِ الذي يشكِّل ثلثَ مكوّناتِ الأرض أكثرُ العناصرِ مغناطيسيةً وذلك لِحفظ جاذبيتها. ولا بدّ أنْ نذكرَ أيضاً أنّ الحديدَ عنصرٌ أساسيٌّ في كثيرٍ مِنَ الكائناتِ الحيَّة، كمَا في بناءِ النباتاتِ التي تمتصُّ مُركّباتُه مِنَ التربة، وتدخل أملاحُه في تركيب خلايا الدم عند الكائنات الحية.

وهنا محلُّ الإشارة إلى أنّ هناك توافقاً عددياً عجيباً بين رقم آية الحديد في سورة الحديد وهو ستة وعشرون ، ووزنه الذري وهو ستة وعشرون ، هذا يؤكد أن الذي خلق الأكوان وأنزل النيازك والشهب هو الذي أنزل هذا القرآن.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٥٥) : خ١ - المنهج القرآني في تقويم السلوك الإنساني ، خ٢ - أثر القرآن في تقويم سلوك النبات.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١-٠٧-٠٦

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## الخـطـبـة الأولــى:

### المنهج القرآني في تقويم السلوك الإنساني:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، موضوع الخطبة اليوم: المنهج القرآني في تقويم السلوك الإنساني.

إن هناك تلازماً ضرورياً حتمياً بيْنَ التَّدَيُّن الصحيح والخُلُق القويم، فقد حدّد النبيُّ صلى الله عليه وسلم الغاية الأولى مِنْ بعثته، والمنهجَ الأوّلَ لدعوته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ))**

[ أخرجه الإمام أحمد والحاكم والبيهقي في السنن الكبرى عن أبي هريرة ]

الهدفُ الأولُ لدعوته هو إرساء البناءِ الأخلاقيّ للفردِ والمجتمع، لأنّ هذا البناءَ الأخلاقيّ ثمنُ سعادةِ الدنيا والآخرةِ، والمُتَتَبّعُ لنصوص القرآن الكريم، ولنصوص السنةِ المُطهرةِ الصحيحةِ يَجِدُ ذلك التلازمَ الضروريّ بيْنَ التديُّن الصحيح وَالخُلُق القويم، وأعْنِي بالتديُّن الصحيح الاتباعَ، قال تعالى:

**( أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) )**

( سورة الماعون)

وقال سبحانه:

**( فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ )**

( سورة القصص الآية: ٥٠ )

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ:

**((لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ))**

[أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]

وقال أيضاً:

**((الإيمان والحياء قُرنا جميعاً، فإذا رُفع أحدُهما رُفع الآخر))**

[ أخرجه الحاكم وابن أبي شيبة في المصنف، والبخاري في الأدب المفرد عن أنس بن مالك ]

## النبيّ الكريم هو النموذجُ الأسمى لاجتماع المبدأ والسلوكِ وتطابُق القولِ مع العمل:

أيها الأخوة الكرام ؛ الإيمانُ أساسُ الفضائلِ، ولِجَامُ الرذائل، وقِوامُ الضمائرِ، وقد بَيّن النّبيُّ صلى اللهُ عليه وسلّم في أحاديثه الصحيحةِ أنّ أَحْسَنَ الناسِ إسلاماً أحسنُهم خُلُقاً، وأنّ أكملَهم إيماناً أحسنُهم خُلُقاً، وأنّ مِن أَحَبِّ عباد الله إلى الله أحسنَهم خُلُقاً، وأنّ مِن أقربِ المؤمنين مجلساً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ القيامةِ أحسنَهم خُلُقاً، وأنّ خيرَ ما أُعْطِيَ الإنسانُ خُلُقٌ حَسَنٌ، وأنّ المؤمنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقه درجة الصائمِ القائم، بل إنّ العبدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِه عظيمَ درجاتِ الآخرة، والخُلُقُ الحسَنُ يُذِيبُ الخطايا كما يُذيبُ الماءُ الجَليدَ، والخُلُقُ السيّئُ يُفْسِدُ العملَ كما يُفْسدُ الخلُّ العسَلَ.

أيُّها الأخوة الأحباب ؛ هذه سنّتُه صلى الله عليه وسلم القوليةُ، فماذا عن سنته العملية ؟

إنّ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم هو النموذجُ الأسمى لاجتماعِ المبدأ والسلوكِ، وتطابقِ المعتَقَدِ مع القولِ، وتطابُقِ القولِ مع العملِ، فإنّ أعظمَ المسلمين منه قرباً صلى الله عليه وسلم أولئك الذين ضاقتِ المسافةُ بين سلوكهم وبين مبادئ الإسلامِ، وقِيَمِهِ، وتشريعاته، وآدابه.

أخوتي المؤمنين ؛ أعزّائي المستمعين، إنّ ظاهرةَ النفاق التي تحدّث عنها القرآنُ الكريمُ، وتحدّثت عنها السُنّةُ النبويةُ الصحيحةُ بشكل مطوّلٍ تعني خللاً في مطابقةِ الأقوالِ للمعتقداتِ، وتعني خللاً في مطابقةِ الأفعالِ للأقوالِ ؛ فالنوعُ الأولُ هو النفاق الاعتقادي الذي يُخْرِجُ صاحبَه مِنَ المِلّة، والنوعُ الثاني هو النفاق العملي، الذي إنْ طال عليه الأمدُ كان وخيمَ العاقبة .

أيها الأخوة الأحباب ؛ إنّ أهمّ مصدرٍ للسعادةِ الحقيقيةِ انسجامُ حركةِ المرءِ في الحياةِ مَعَ مَا يعتقد، حيثُ يَشعرُ المرءُ بتيّارٍ يجتاحه مِنَ البَهْجة، والارتياح، والأمن، كلما تخطّى عقبةً مِنَ العقباتِ التي تَحُولُ بينه وبين مُثُله وقِيَمِه العُليا. إنّ الملذاتِ الحسّية لا تَخْتَرِقُ غِشَاءَ القلبِ، بل ولا تَحُومُ حولَه، لكنّ الذي يَصِلُ إلى أعْماق القلب، ويغمُره بالسعادةِ والطمأنينةِ هو نَشْوَةُ الانتصار على الأهواء والمغريات، وضغوطِ الشهواتِ والمصالح.

إنّ السعادةَ لا تُجْلَبُ مِنَ الخارج أبداً، إنّما هي شُعاعٌ مِن نورٍ، يُولَدُ ويَكْبُرُ في داخل الإنسان، ويُضيءُ جوانبَ الحياة كلّها، ويَجعلُها أكثرَ انسجاماً ومنطقية، وأكثرَ تهيّئاً للنموّ والتقدّم والاستمرار، كلُّ ذلك مرهونٌ بأوضاع تسودُ فيها القيمُ الأخلاقيةُ، ويعلو فيها صوتُ الالتزام والاستقامةِ، وتُرَفْرِفُ في أرجائها إشراقاتُ الاتّصالِ بالله.

## القاعدة الدينية الأخلاقية:

أيها الأخوة الكرام ؛ حضوراً ومستمعين، إنّ القاعدةَ الدينية الأخلاقية في أيّ مجتمع هي التي تتحمّل الأثقالَ التي تنتج عن طبيعة الحياة المادية والاجتماعية، وعن الانتكاسات التي تُصابُ بها الأمةُ في ميادين الحياة المختلفة.

إن هذه القاعدةُ الدينيةُ الأخلاقيةُ هي التي تُمَكِّنُ الناسَ مِن تحمُّلِ الظروفِ الصعبةِ دونَ أنْ يتحلّلوا، ودون أو ينحرفوا ؛ فحينَ يُصابُ الناسُ بضائقةٍ شديدةٍ فإنّ القاعدةَ الأخلاقية تدفعهم إلى إغاثةِ الملهوفِ، وإطعامِ الجائع، والصبرِ على المَدِين المُعْسِرِ، إلى جانبِ التمسُّك الشخصيّ، وعدمِ الرضوخ لمقتضياتِ الظروفِ الصعبةِ ؛ فنجدُ المُسْلمَ يمتنعُ عن كلّ كسْبٍ حرامٍ مع فاقته الشديدة، وذلك اتكاءً على ما لديه من قيمٍ ومقاومةٍ روحيةٍ لدواعي التَّحلُّل.

أيها الأخوة المؤمنون ؛ إنّ هذه القاعدةَ الإيمانية الأخلاقية هي الرصيدُ الاحتياطيُّ الضخمُ الذي تعتمد عليه الأمّةُ في ترميمِ العديدِ من جوانبِ شخصيتها وحياتها، ومِن هنا ندرك حجم الجريمة التي ارتُكبتْ في حقّ هذه الأمّةِ حينما دُفعت دفعاً من قِبَلِ أعدائها المستعمرين ؛ على مستوى التنظير، وعلى مستوى التطبيق، إلى جعْلِ القيمِ الأخلاقيةِ الدينيةِ في المرتبة الدنيا مِن اهتماماتها ؛ فلما واجه الناسُ ما واجهوه من ضائقاتٍ في العيش، ومِن شحّ في متطلباتِ الحياة الكريمة، لم يجدوا لديهم سنداً خُلقياً كريماً يعتمدون عليه في الصمود أمام المغريات، ومحفِّزات الانحدار المختلفة، وأمام الضغوط الشديدة، ومسببّات الاستسلامِ والسقوطِ.

أيها الأخوة الأحباب ؛ إنّ الذين نُكِنُّ لهم عظيمَ الاحترامِ ليسوا أولئك الذين يملكون كثيراً مِنَ المال، وليسوا أولئك الذين يملكون الدهاءَ والمكرَ، وليسوا أولئك الذين يملكون القوةَ الجسدية الخارقة، وليسوا أولئك الذين يملكون الرقابَ، إنما أولئك الذين يملكون الخُلقَ الكريمَ، ويترفّعون عن سفاسف الأمور، أولئك الذين انتصروا على التحدّياتِ داخلَ نفوسهم، أولئك الذين يملكون قوةَ الانتظار، أولئك الذين يملكون التضحية بالعاجلِ في سبيل الآجل، أولئك الذين يملكون الإيثارَ مع أمس الحاجة، أولئك الذين يملكون القلوبَ، هؤلاء نُكِنُّ لهم عظيمَ الاحترامِ.

إنّه بالإمكان القول: إنّ طابعَ الرقيّ الحقيقي هو طابعٌ أخلاقيٌّ، أكثر مِن أنْ يكون طابعاً عمرانياً تنظيمياً، والجاذبيةُ التي تتمتع بها القرونُ الأولى من تاريخ الإسلام تنبعُ بشكلٍ أساسيّ مِن طابع الاستقامة والنبل والتضحية، وليس مِنَ التفوّق في الحروب أو العلوم أو العمران.

ولعل الطريق الوحيد إلى كسر أغلال التبعية للغرب يكون عن طريق إحداث انتفاضة روحيةٍ أخلاقيةٍ يستعلي بها المسلمُ على المعطيات المادية للوضع الحضاري الراهن، ويلتفتُ إلى إثراء حياته بوسائلَ لا تحتاج إلى المال.

## مصير الإنسان يتوقف دائماً على علاقة الإنسان بربّه وعلاقتِه بأخيه الإنسان:

أيها المسلمون في كل البقاع ؛ إنّ دراسة الحضاراتِ الإنسانية تُوقِفُنا على حقيقة كبرى، هي أنّ مصيرَ الإنسان يتوقف دائماً على أمرين: علاقتِه بربّه، وعلاقتِه بأخيه الإنسان، والبعدُ الروحيُّ والأخلاقيُّ هو المركزُ والمحورُ في هاتين العلاقتين، وحين يَنْحطّ الإنسانُ وينحطُّ المجتمعُ يتحوّلُ عن عبادته لربه إلى عبادته لذاته وشهواته، وتَسودُ علاقتَه بالآخرين القوةُ بدلَ الرحمة، والقمعُ بدلَ التفاهم، وينصرف عن العناية بالروح إلى العناية بالجسد، وعن الاهتمام بالمبدأ إلى الاهتمام بالمصلحة، ويتحوّلُ المجتمعُ كلُه إلى غابةٍ يشعر كلُّ واحدٍ فيها أنّ مِن حقِه افتراسَ الآخرين، كما أنّه من الممكن أنْ يكون فريسةً لواحد منهم.

أيها الأخوة الأحباب ؛ الطريقُ الوحيدُ للحيلولة دونَ هذه الحالة يكمن في تدعيم الرقابة الذاتية، وتعزيز علاقة العبد بربه جل وعلا، وتحفيز الإرادة الخيّرة في الناس، وهذا الحلُّ وإنْ كان مُكْلِفاً على المدى القريب، فإنّه سفينةُ نوح على المدى البعيد.

لن يكون بإمكانِ أفضلِ النُظُمِ الاجتماعيةِ، ولا في إمكان أقصى العقوباتِ الصارمةِ أنْ تقوّم الاعوجاجَ، ولا أنْ تملأ الفراغَ الناشئَ مِن ذبولِ الرُوح، وانحطاط القيم ؛ فالعقوبات لا تنشئ مجتمعاً لكنها تحميه، والنظم مهما تكن مُحكَمة ومتقَنة لنْ تحُولَ دون تجاوز الإنسان لها، وتأويلها بما يجهضها، وكل الحضارات المندثرة تركت تنظيماتها وأدوات ضبطها خلفها شاهدةً على نفسها بالعقم والعجز.

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ لا بدّ أنْ نكون على يقينٍ أنّ تيارَ الشهواتِ والنّزوات الجارفَ لا يمكن إلاّ أنْ يقابَلَ بتيارٍ روحيٍّ متدفقٍ عارم مِنَ المشاعر والأحاسيس الإيمانية ؛ فوظيفةُ الفكر الدلالةُ على الطريق، وعلى الأساليب والأدوات المناسبة للعمل ؛ لكنّ الذي نستمدُّ منه الطاقة على الاندفاع في طريق الخير، والطاقة على كَبْح جِمَاحِ الشرّ هو الروحُ والإيمانُ العميقُ، ورصيدُنا من المشاعر الحميمة، وإنّ كثيراً مِنَ الشبّان الذين جَرَفَهُم تيارُ الجنس والمجون والخلاعةِ لم يكونوا بحاجة إلى أدلّةٍ على فضلِ العفّةِ والاستقامةِ، وإنّما كانوا بحاجةٍ إلى شيءٍ مِنَ المعاني التي تفيضُ على القلب بسببِ تَذَوّق طعمِ العبودية الحقيقية لله، والإحساس الصادق بمعية اللّه تعالى واطّلاعِه عليهم.

حين يبلُغُ التقدّمُ التقني أقصى مداه، ويشعر المرءُ بالتُخمة من أداوت التحكّم عن بُعْدٍ وكل ما يجعل الحياة خالية من التحديات، آنذاك تنبعث أشواقٌ في النفس قديمة جديدة، هي أشواقُ الروح، وما وراء المادة، عالَم العودةِ إلى التراحمِ والتعاطفِ والتضحيةِ ببعض المكاسبِ من أجلِ استمرار حياةِ الجميع، وإنّ الأخلاقيين اليوم هم المستقبليّون غداً، وهل يُعرف فضلُ الماءِ إلا عند اشتدادِ الظمأ ؟!

## النسبية الأخلاقية:

إنّ الإسلامَ يعلِّمنا أنّه بالإمكان تصحيحُ المسارِ قبل أن نرتطمَ بقاع الهاوية، كما يعلّمنا أنه بالإمكان أن نتحول من الخسارة إلى الربح قبل أن يصبح الرصيدُ صفراً ؛ ذلك إذا أصغينا إلى نداءِ الفطرة في أعماقنا، وضغَطْنا على بعض حاجاتِ الجسد مِن أجلِ إنعاش الروح، وفكّرنا مَلياً فيما هو آت، وفيما ينتظرنا.

أيها السادة المستمعون، أيتها السيدات المستمعات، في العالَم المتخلِّف روحياً ودينياً تحوّلتْ مرجعيةُ الأخلاق من الوحي إلى العقل التبريري، الذي يرتبط بالمصالح والأهواء أكثرَ مما يرتبط بالمبادئ والقيم، لذلك طلعَ علينا الغربيون بما يسمى النسبية الأخلاقية، حيث يقولون: ما كان منكراً في زمن يصبح مقبولاً قي زمن، وما كان رذيلة في مجتمع يصبح فضيلة في مجتمع، وهكذا أصبح الطريقُ مُمَهّداً لتحويلِ الأخلاق الفاضلةِ إلى رذائلَ في ثوب فضائل، وهذه أخطرُ قضيةٍ في الأخلاق، النسبية الأخلاقية.

كلُّ ذلك بسبَبِ أنّ الناسَ الشاردين عن سرّ وجودهم وعن غاية وجودهم رأوا أنّ النموّ الاقتصاديّ هو الصنمُ الذي ينبغي أنْ تُقدّم له كلُّ القرابين، هذا في المجتمع الدولي كلِّه، ولو كانت على حسابِ الدِّينِ والقيم. وصارت النجاةُ مِن تأثيراتِ ذلك التحوُّل الأخلاقي الكبيرِ صعبةً جدّاً ؛ فالتواصلُ الكونيُّ الهائلُ وَضعَ العالَمَ فيما يُشْبِهُ الخلاطة الكبيرة !

إضافةً إلى الضغوطِ الرهيبةِ التي تتعرض لها المبادئُ الأخلاقيةُ، يضاف إلى ذلك الصعوباتُ الحياتيةُ التي تواجه كلَّ مَن يرفض المساومة على أخلاقه واستقامته.

إنّ كثيراً من الناس في هذه المجتمعات المعاصرةِ يعيش اليومَ دونَ أيِّ هدفٍ سامٍ، فتأمينُ الحاجاتِ الضروريةِ هو شُغْلُهُم الشاغلُ، وامتلاكُ بيتٍ صغيرٍ يُعَدُّ نصراً في معركة شرسة، لقد صار الواحدُ من هؤلاءِ في هذه المجتمعاتِ أشبهَ بالحيوان البريّ الذي يقضي حياتَه في حديقة الحيوانات، فهو ليس معزولاً عن بيئته الطبيعية فحسب، بل إنه معزولٌ أيضاً عن أعماق ذاته !

## أشار القرآن في آيات كثيرة إلى تخلف قوم عاد الأخلاقي على الرغم من تقدهم العلمي:

أيها الأخوة الأعزّاء ؛ هذا الترَدّي الأخلاقيُّ الذي تعاني منه المجتمعاتُ المعاصرةُ لم يكن جديداً في تاريخ البشرية، فالتاريخُ يُعيدُ نفسَه، وإليكم الدليل.

لقد ذكر اللهُ لنا في القرآن الكريم قصصَ شعوبٍ كثيرةٍ في الماضي الغابر، مُشابهة للعديد من شعوب اليوم، وأخبرَ القرآن عن تخلِفها الأخلاقيّ، ولكنّه أشاد بعظمة عمارتها للأرض، فمِن تلك الشعوب قومُ عادٍ، قال مشيراً إلى جبروت عمرانهم وقوّتهم المادية، فقال تعالى:

( أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ )

( سورة الشعراء )

أما عن قوتهم العسكرية والقتالية فقال:

( وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ )

( سورة الشعراء )

وقال أيضاً:

( فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً (١٥) )

( سورة فصلت )

وقد أشار القرآن الكريم إلى تفوق عادٍ في شتى الميادين، فقال تعالى:

( أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) )

( سورة الفجر )

## وصف القرآن الكريم عاد وثمود بالذكاء والفهم والاستبصار:

كذلك ثمود سبقوا الناسَ في خرق الجبال، وجَوْبها، ونحتِ المساكن وتجميلها، وبناءِ القصور في السهول، قال تعالى:

(وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ(٩)وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ(١٠)الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ(١١))

( سورة الفجر )

وقال سبحانه:

( وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ (١٤٩) )

( سورة الشعراء)

وقال:

( تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً (٧٤) )

( سورة الأعراف )

وصف القرآنُ الكريمُ قومَيْ عادٍ وثمودَ بالذكاء والفهم والاستبصار قال تعالى:

( وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) )

( سورة العنكبوت )

## عاد و ثمود ومن لحقهم كانوا طغاة ومجرمين بغض النظر عن تفوقهم العمراني و الحربي:

ذكَر القرآنُ بشكلٍ عامٍّ عظمة العديد مِنَ الشعوب السالفة والماضية في العمران والقوة، فقال تعالى:

**( أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) )**

( سورة الروم)

على النقيض مِن ذلك نجد أنّ تلك الشعوبَ السالفة كانت منحطّةً أخلاقياً، ساقطةً دينياً، أو ببساطة بالغة، كانت مُفْسِدةً للأرض وللناس، مهلكة للبلاد والعباد، فمثلاً قال القرآن الكريم عن عاد وثمود وفرعون:

**( وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) )**

( سورة الفجر )

وعن قوم نوح أنهم كانوا أطغى من عاد وثمود:

**( وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى )**

( سورة النجم )

في ذلك إشارة إلى أن عاداً وثمودَ ومَن لحقهم كانوا طغاة ومجرمين بغَضّ النظر عن تفوُّقِهم العمراني أو الحربي. إذاً ليس هناك علاقة بين التفوق الديني والأخلاقي من ناحية والتطور العمراني والعسكري من ناحية أخرى، فكم مِن شعوبٍ بلغت الذروةَ في البناء والتعمير والقوة العسكرية، ولكنها تسفّلت في الدين والأخلاق أيّما تسفّل، ثم سقطتْ حضارتُها العمرانية العظيمة مُنهارةً إلى الأبد بسبب فسادها، ومَن يقرأ ما سطروا لا يجد أحداً منهم يذكرُ الله إلا قليلاً، أمّا أصنامهم وآلهتهم فلا تكاد تحصى.

## قصصُ القرآنِ الكريم عن الشعوب القديمة ليست عبثاً:

قد يسأل سائل: ما الفائدةُ مِن تلك القصص ؟ فتلك شعوب قديمة هلكت وانتهت، نقول: مَن لا يفهم الماضي فلن يفهمَ الحاضرَ، ومَن لا يعتبر من أخطاء غيره فلا بدّ أنْ يقع فيها. وقصصُ القرآنِ الكريم عن الشعوب القديمة ليست عبثاً، فما دام اللهُ جل جلاله قد ذكر تلك الأقوامَ القديمة في قرآن يُتلى إلى يوم القيامة فلا بد مِن فائدة عظيمة، قال تعالى:

**( لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١١١))**

( سورة يوسف)

هذا الذِّكْرُ من أجل ألاّ تنبهر الشعوبُ الضعيفةُ اليوم بالغرب، بقوته العسكرية، ومنشآته العمرانية، وتقدُّمه الخطير في شتى الميادين، لئلا تراه مارداً قوياً وجباراً يفعل ما يريد.

لكن أليست هذه الأممُ أمثالَ عادٍ وثمودَ تأكلُ حقوقَ الأمم مِن خلال هيئة الأمم ؟ أليست هذه الأمم أمثالَ عاد وثمود تَسلبُ أمْنَ الشعوب مِن خلال مجلس الأمن ؟ أليست هذه الأمم المسيطرة أمثالَ عاد وثمود تبني مجدها على أنقاض الشعوب ؟ أليست هذه الأمم المسيطرة أمثالَ  عاد وثمود تبني غناها على إفقار الآخرين ؟ لقد طغتْ، وبغتْ، وتغطرستْ، ونسيتْ وعيد الله لها، قال تعالى:

**( وَلَا تَحْسَبَنّ اللّهَ غَافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ إِنّمَا يُؤَخّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ )**

( سورة إبراهيم )

وقال أيضاً:

**( لا يَغُرّنّكَ تَقَلّبُ الّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمّ مَأْوَاهُمْ جَهَنّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) )**

( سورة آل عمران )

## ما يقوله تعالى للأقوام الذين ضلوا قدماء ومحْدَثين:

لقد قالوا:

**( مَنْ أَشَدُّ مِنّا قُوّةً )**

( سورة فصلت الآية: ١٥ )

كذلك تقول بعضُ الدول العظمى، أو بعضُ الدول التي تعتمد على دول عظمى، واللهُ يقول لهؤلاء جميعاً، قدماء ومحْدَثين:

**( أَوَلَمْ يَرَوْا أَنّ اللّهَ الّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوّةً (١٥) )**

( سورة فصلت )

لو كنا نقرأُ القرآنَ كلّ يومٍ لعلّمنا أنّ شعوباً كثيرةً كعادٍ وثمودَ وغيرها قد تفوّقتْ في عمران الأرض كما يتفوّق الغربُ اليومَ، ولكنها ضلّت وأضلت، وفسدت وأفسدت، وطغت وبغت وشردت عن عبادة خالقها، وانحطّتْ أخلاقُها.

أيها الأخوة المؤمنون ؛ إنّ الإسلامَ ليس ضد العلم والعمل، بل يأمر بهما، ولكنه ضد الكفر وعبادة الطواغيت، والعلوّ في الأرض بغير الحق، والفساد والظلم، وأكلِ أموالِ الناس بالباطل، وإهلاكِ الحرثِ والنسل.

## النتيجةُ التي تنتظرُ كلّ قومٍ كعادٍ وثمودَ:

لكن ماذا كانت نتيجةُ عادٍ وثمودَ ؟ وهي النتيجةُ التي تنتظرُ كلّ قومٍ كعادٍ وثمودَ، قال تعالى:

**( فَأَمّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطّاغِيَةِ (٥) وَأَمّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) )**

( سورة الحاقة)

وقال سبحانه:

**( حَتّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازّيّنَتْ وَظَنّ أَهْلُهَا أَنّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ (٢٤) )**

( سورة يونس )

## الكيان الصهيوني هو مثال معاصر من عاد وثمود:

كمثلٍ معاصر من عاد وثمود، هذا الكيان الصهيوني الذي سلب أرض شعب، ونهب ثرواته، وانتهك حُرُماتِه، ودنّس مقدّساتِه، وداس كرامتَه، وقهر إرادتَه، وأفسد عقائِدَه، وفرّغ قيمَه، وزوّر تاريخَه، وحمله على الفساد والإفساد، ومارس عليه ألوانَ التجهيل، والتجويع، والتعذيبِ.

ثم إنّ تصعيدَ العدوانِ الوحشيّ من قِبَلِ القيادة المجرمة للكيان الصهيوني على الشعب الفلسطيني، والأمة العربية، وعلى مواقعنا في لبنان، يدفع المنطقة إلى حافةِ الحرب وأتونِها، فهل يُعقل أن تُستَخْدَمَ أحدثُ الطائراتِ المقاتلةِ العملاقةِ لقصفِ شعب أعزلَ لا يملك إلا الحجارة ؟! لقد وصف أحدُ الصحفيين أحدَ الطغاةِ المجرمين بأنه ثور هائج مُصابٌ بجنون البقر.

لقد شرّف اللهُ الأمة العربية ببعثةِ النبيّ الأعظمِ صلى الله عليه وسلم، فاستجابتْ لله وللرسول حينما دعاها لما يُحْيِيها، وجعلت الوحيَ مَرجعاً لمعتقدها، والشريعة الغراءَ منهجاً لحياتِها، والقيم الخلقية التي جاء بها القرآنُ هدفاً لطموحاتها، عندئذ أنجزَ اللهُ لها وعدَه بالنصر والتأييد والاستخلاف والتمكين، فامتدت الدولةُ الإسلاميةُ التي عاصمتُها دمشقُ، من الصين إلى إسبانيا، تنشرُ تعاليمَ الإسلامِ المستندةَ إلى مبادئ التسامح والعدلِ والإخاءِ والمساواةِ، هذا ما قاله السيد الرئيس في خطابه في بلدية باريس خلال زيارته الأخيرة لفرنسا.

أيها الأخوة المؤمنون ؛ إذا أردنا أنْ نستعيدَ دورَنا القياديّ في العالم، وأنْ ننقل إلى الشعوب رسالة الإسلام الخالدةَ التي ذكرها السيدُ الرئيسُ في خطابه الآنف الذكر، فعلينا أن نستجيب لله وللرسول لِمَا يحيينا، وأن نجعل الوحيَ مرجعاً لمنطلقاتنا النظرية، والشريعة الغراءَ منهجاً لسلوكنا العملي، عندئذ يتحقّق وعدُ الله لنا بالاستخلاف والتمكين في الأرض.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

**الخـطـبـة الثانية:**

الحمد ثم الحمد لله، الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

## أثرُ القرآنِ في تقويمِ سلوكِ النباتِ:

أخوة الإيمان في كل مكان، إلى الموضوع العلمي:

إذا كان موضوعُ الخطبة الأولى: أثرَ القرآن في تقويم سلوكِ الإنسان فإنّ موضوعَ الخطبة الثانية هو أثرُ القرآنِ في تقويم سلوكِ النباتِ.

باحثُ عربي عُرف بإنتاجه العلمي الغزير على المستويين العربي والدولي، وهو أستاذٌ جامعيٌّ، له وزنه، اختصاصه في علم فَزْلجة النبات، وقد اشتهر بتجاربه العلمية الرائدة، فمِن تجاربه التي ربما لا تُصَدّق، إلا أنّ الواقعَ أثبتها، أنه في عام ألف وتسعمئة وسبعة وتسعين نَصَبَ أربعة بيوتٍ مَحْمِيَةٍ في حديقةِ كُلِّيةِ العلوم في جامعته، وزرَعَ فيها قمحاً مِن نوعٍ مُعَيَّن، هذه البيوت مُوحّدة بحجمها، مَلأها بكمياتٍ متساويةٍ نوعاً وكمّاً مِنَ التراب الزراعي، وغَرَسَ فيها عدداً موحداً مِن بذور الحنطة على عمق واحد، وتمّ تسميدُها جميعاً بكميات متساوية مِنْ سَمادٍ معيَّن وسمّى اسم هذا السماد، وسُقِيتْ جميعاً بذاتِ العددِ مِنَ السقيا وبكميات ماء متساوية، ثم اختار إحدى طالباته لتقرأ السورَ القرآنية التالية: يس، والفاتحة، والإخلاص، وآية الكرسي، مرتين في الأسبوع على البيت الأول، ولمدة أربعة أشهر، وفي البيت الثاني كلّف طالبةً أنْ تأتي بنَباتٍ، وأنْ تمزّقه، وأنْ تقطع أوصالَه، وأنْ تُسمعِه كلماتٍ قاسية أمام نباتِ البيتِ الثاني، مرتين في الأسبوع، ولمدة أربعة أشهر، وفي البيت الثالث كلّف طالبةً ثالثةً بضَرْبِ النباتِ وكيّه وتعريض وُرَيْقَاتِه للتمزيق والقصّ مرتين في الأسبوع، ولمدة أربعة أشهر. فهناك بيت تُلِيَ على نباته سورٌ من القرآن، وبيت عُذِّب أمامه نباتٌ، وبيت تَلَقّى نباتُه التعذيبَ، والبيت الرابع تُرك لينموَ نمواً طبيعياً، وأطلق عليه اسم البيت الضابط، فماذا كانت النتيجة، وقد عُرِضتْ في مؤتمر علمي ؟ النتيجة أنّ نباتَ البيتِ الأولِ الذي تُلِيَ عليه القرآنُ الكريمُ ازداد طوله أربعةً وأربعين بالمئة عن طول نبات البيت الرابع الضابط، وازدادت غلّتُه مئة وأربعين بالمئة عن غلّة البيت الرابع الضابط، أمّا البيت الثاني والثالث الذي تحّمل

التعذيب أو رأى التعذيب، فقد تدنّى طولُ نباتاته خمساً وثلاثين بالمئة نقصاً، ونزل إنتاجُه إلى ثمانين بالمئة نقصاً أيضاً.

يقول هذا الباحث: النباتاتُ كمخلوقات الله الأخرى، تشعر، وتسمع، وتستجيب سلباً أو إيجاباً لما حولها من مؤثِّراتٍ خارجية.

## آيات قرآنية تبين تسبيح كل المخلوقات لله تعالى بما فيها النباتات:

الآن إلى القرآن الكريم قال تعالى:

**( تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً(٤٤) )**

( سورة الإسراء)

وقال تعالى:

**( لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ (٢١))**

( سورة الحشر)

لا على نبات حيّ:

**( لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(٢١))**

( سورة الحشر)

وقال تعالى:

**( وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ(٦)وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ(٧))**

( سورة الرحمن)

إذا كان هذا شأنَ النبات مع القرآن الكريم، فهل يُعقَل أنْ يَغفلَ الإنسانُ وهو المخلوقُ المكرَّمُ، والمعنيُّ الأول مِنْ هذا القرآن، هل يعقل أن يغفل عن هذا القرآن الذي يهدي للتي هي أقْوَم ؟ حتى يصدق على المسلمين قوله تعالى:

**( وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً(٣٠) )**

(سورة الفرقان)

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٥٦) : خ١ - الإسراء والمعراج وما بعد أحداث أمريكا ، خ٢ - الانتفاضة وإرهاب إسرائيل.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١-١٠-١٢

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

## الإسراء والمعراج:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، نحن في ذكرى الإسراء والمعراج، ووقائع الإسراء والمعراج معروفة لديكم جميعاً، ولكن ماذا يعلمنا الإسراء والمعراج ؟
إنّ معجزة الإسراء والمعراج حدثٌ ضخم من أحداث الدعوة الإسلامية، سبقته البعثة، وجاءت من بعده الهجرة، لقد كان مسحاً لجراح الماضي، وتثبيتاً لقلب النبي صلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وتبشيراً له للمستقبل، وتعويضاً عن جفوة الأرض بحفاوة السماء، وعن قسوة الناس بتكريم الملأ الأعلى، وتعريفاً للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيد ولد آدم، وسيد الأنبياء والمرسلين، وإراءة للنبي صلى الله عليه وسلم لملكوت الأرض والسماوات، ولِمَا تؤُول إليه الخلائقُ بعد المماتِ.
أيها الأخوة المؤمنون، إنّ الذي لاقاه النبي صلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ من مختلف ألوان المحن، ولا سيما هذا الذي رآه في ذهابه إلى الطائف إنما كان مِن جملة أعماله التبليغية للناس، فكما أن النبي صلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ جاء ليبلِّغنا العقيدةَ الصحيحة عن الكون وخالقه، وعن الحياة وحقيقتها، وعن الإنسان ورسالته، وعن أحكامِ العبادات والمعاملات، وعن مكارمِ الأخلاق، كذلك جاء ليبلِّغَ الناسَ عن طريق السلوك العملي، وهذه سنّتُه العملية، أنّ اللهَ كلّفهم بالصبر والمصابرة والبذل والمثابرة، فكما أنّ النبي صلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ علّم الناس بأقواله كذلك علّمهم بأفعاله، وكما أنّه قال للناس:

**(( وَصَلّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ))**

[أخرجه البخاري عن مالك بن الحوريث]

و:

**(( يَا أَيُّهَا النّاسُ خُذُوا مَنَاسِكَكُمْ ))**

[أخرجه مسلم عَنْ جَابِر بْن عَبْدِ اللّهِ]

كذلك قال لهم بلسان حاله: اصبروا كما رأيتموني أصبر.

## الدعاء والتضرّع مِن لوازم العبودية لله عز وجل:

نحن المسلمين بأمَسّ الحاجةِ إلى هذا الدرس البليغ، اصبروا كما رأيتموني أصبر لأنّ مكْرَ أعداء المسلمين وَصَفَه ربُّ العالمين بأنّه مكرٌ تزولُ منه الجبالُ، قال تعالى:

**( َقدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) )**

( سورة إبراهيم )

الذي يمكِّننا مِن إلغاءِ أثرِ هذا المكر أنْ نلتزم منهجَ الله، وأنْ نصبرَ على طاعته وعن معصيته، وعلى قضائه وقدره، قال تعالى:

**( وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً )**

( سورة آل عمران الآية: ١٢٠ )

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة الإسلام، ولقد علمنا النبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ أنّه على المسلمين عامةً، وعلى أولي الأمر خاصة، وهم العلماءُ والأمراء أنْ يصبروا، وأنْ يصابروا، وكان بطول دعائه، وضراعته، والتجائه إلى الله تعالى يعلِّمنا أنّ هذا الدعاءَ وذاك التضرُّعَ مِن لوازم العبودية لله عز وجل، وهل مِن دعاءٍ أكثرُ دلالةً على عبودية النبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِن هذا الدعاء الذي دعاه في الطائف:

**(( اللّهُمّ إنّي أَشْكُو إلَيْكَ ضَعْفَ قُوّتِي، وَقِلّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النّاس، يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ المُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي، إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي، أَمْ إلَى عَدُوٍّ مَلّكْتَهُ أَمْرِي، إنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيّ فَلاَ أُبَالِي، وَلَكِنّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدّنْيَا وَالآخِرَةِ، أَنْ تنْزِلَ بِيَ غَضَبَكَ، أَوْ أَنْ تُحِلّ عَلَيّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتّى تَرْضَى، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوّةَ إلاّ بِاللهِ ))**

[مجمع الزوائد للهيثمي عن عبد الله بن جعفر]

## ما الإسراءُ والمعراجُ في حقيقته إلا ردّ إلهيّ تكريميّ على المحنة القاسية:

أيها الأخوة الأكارم، هنا حقيقة خطيرة، وهي أنّ النفْسَ الإنسانية مجبولةٌ في أصلِ فطرتها على الإحساس والشعور، الشعورِ بلذّةِ النعيم، والشعورِ بألمِ الجحيم، هي مجبولةٌ على الركون إلى الأول، والفزع مِنَ الثاني، وحينما يُوَطِّنُ الإنسانُ نفْسَه على تَحَمُّلِ كلّ أنواع الضرّ والعذاب، وهو يؤدي رسالة ربّه، مبتغياً بهذا وجهَه ورضوانَه، لا يعني هذا أنّه لا يتألم للضرّ، ولا يستريح للنعيم، فالنفسُ مهما تسامتْ لا تخرجُ عن دائرة بشريّتِها، ولكن حينما يفضّلِ الإنسانُ الضرّ مهما تكن آلامه، على النعيم مهما تكن لذائذُه، مِن دون أنْ يكونَ الضرُّ مقصوداً لذاته، إنما فرضته طبيعةُ الظروفِ التي أرادها اللهُ، وسمح بها، فكلُّ شيء وقعَ أرادهُ الله، وكلُّ شيء أراده الله وقعَ، وإرادةُ الله متعلِّقةٌ

بالحكمة المطلقة، وحكمتُه المطلقةُ متعلقةٌ بالخير المطلق، وإنّ لكل واقع حكمة، بصرف النظر عن الموقع، حكيماً كان أم غير حكيم.

أيها الأخوة الكرام، حينما يُؤْثِرِ المؤمنُ الضرّ على النعيم إرضاءً لوجه ربّه، وأداءً للرسالة التي أُنِيطَتْ به، عندئذٍ يستحقّ جنة ربّه إلى أبد الآبدين، حيث يجد فيها مالا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بَشَرٍ، ولولا أن النبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ بشرٌ تجري عليه كلُّ خصائص البشرِ لَمَا كان سيّدَ البشرِ، لقد كان سيدَ البشر حينما انتصرَ على ذاته .

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، حينما يتأمّل الإنسانُ في سيرة النبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ مع قومه يَجِد أنه لاقى مِن قومه مِنَ الأذى ما لا يتحمّله بشرٌ على الإطلاق، بَيْدَ أنّ الإنسانَ يَجِدُ أيضاً مَعَ كلّ نوعٍ مِن أنواع الأذى، ومع كل مرحلة من مراحله رَدّاً إلهيّاً على هذا الإيذاء، مواساةً وتبشيراً، وإكراماً وتأييداً، حتى لا يتجمّعَ في النفس مِن عوامل التألّم والضجرِ ما قد يُدخِل إليها اليأسَ، وما الإسراءُ والمعراج في حقيقته إلا ردٌّ إلهيٌّ تكريميٌّ على المحنة القاسية التي كَشَفَتْ حقيقة الحِرص النّبويّ على هداية الخلق، وكَشَفَتْ صبرَه الجميلَ على إيذائهم، وموقفَه النبيلَ والرحيمَ منهم، حينما عَرَضَ عليه ملكُ الجبال أنْ يُطْبِقَ عليهم الجبلين، فَأَبَتْ نفسُه الرحيمةُ، وقال: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، والإسراء والمعراج هو الرد الإلهي على دعائه في الطائف. قال تعالى:

**( سُبْحَانَ الّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنّه هُوَ السّمِيعُ الْبَصِيرُ (١))**

( سورة الإسراء )

أي سمع الله دعاءك يا محمد في الطائف، وعلم منك حرصك على هداية قومك، الذين بالغوا في الإساءة إليك، فكان هذا التكريم الإسراء والمعراج.

## الإسراء والمعراج تعلمنا الصبر والالتزام إلى جانب التفاؤل والإقدام:

أيها الأخوة الأكارم في دنيا العروبة الإسلام، هذا هو الدرس الأول ؛ الصبر والالتزام، أما الدرس الثاني: فهو التفاؤل والإقدام.

عندما سأله زيدُ بن حارثة في الطائف متعجباً: يا رسول الله كيف تعود إلى مكة وقد أخرجتك ؟ فأجابه النبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن اللهَ ناصرٌ نبيّه، ومظهرٌ دينَه، فما كان اللهُ ليتخلى عن دينه، ولا عن نبيه، ولا عن المؤمنين، مهما بدتْ هجمةُ أعداءِ الدينِ قويةً وشاملةً، فالباطلُ عقيدةٌ أو قوةٌ إلى انهيار محقّق، قال تعالى:

**( وَقُلْ جَاءَ الْحَقّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً(٨١) )**

( سورة الإسراء )

قال عز وجل:

**( قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(١٢))**

( سورة آل عمران)

وقال سبحانه:

**( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ (٣٦) )**

( سورة الأنفال)

## دروس الإسراء والمعراج تعلِمنا أنّ للمحن والمصائب حِكماً جليلة:

لكن هذه الوعودَ الإلهية لا يستحقها ـ وهذه حقيقة مُرّة ـ إلا المؤمنون الموحِّدون الملتزمون، ومَن ظنّ أنّ اللهَ سبحانه وتعالى لا ينصرُ رسلَه، ولا يتمُّ أمرَه، ولا يؤيّد جندَه، ولا يُعْلِي شأنَهم، ولا يظهرُهم على أعدائهم، وأنّه لا ينصر دينه وكتابه، مَن ظنّ ذلك فقد ظنّ بالله ظنّ السّوْء، ونسبَه إلى ما لا يليق بكماله وجلاله وأسمائِه الحسنى وصفاته الفُضلى، فإنّ عزّته وحكمتَه تأبى ذلك، ويأبَى أن يذلّ أولياءه، وأنْ يكونَ النّصرُ المستقِرُّ، والظفرُ الدائمُ لأعدائه، فمن ظنّ به ذلك فما عرفه، ولا عرف أسماءه، ولا عرف صفاته، سبحانك إنه ما يذلّ مَن واليت، ولا يعزّ مَن عاديت.

أيها الأخوة المؤمنون حضوراً ومستمعين، ليس القرآنُ كتابَ تاريخ يروي سيرَ الأنبياء والمرسلين، وقصصَ الأقوام السابقين فحسبُ، ولكنه كتابُ هدايةٍ وتعليمٍ، يقصّ علينا قَصصَ الأنبياء والمرسلين وهُمْ قِمَمُ البشر، لنهتدي بدعوتهم، ونقتدي بسيرتهم، ويروي لنا أيضاً قصصَ الأمم السابقة الذين كذّبوا أنبياءَهم، وعاندوا رسلَهم، واعتدوا على بني جلدتهم، فاستحقُّوا غضبَ الله، فأهلكهم الله بذنوبهم، وذاقوا وبالَ أمرهم، لنجتنّب أسبابَ هلاكهم ودمارهم.

ماذا يعلِّمنا الإسراءُ والمعراجُ أيضاً ؟ إنّه يعلِّمنا أنّ للمحن والمصائبِ حِكَماً جليلةً، منها أنّها تَسُوقُ أصحابها إلى بابِ الله تعالى، وتُلبِسُهم رداءَ العبودية، وتلجئُهم إلى طلبِ العونِ مِنَ الله، إنّها تعلِّمنا أنه لا ينبغي أنْ تصدّنا المحنُ والعقباتُ عن متابعةِ السيرِ في استقامة وثباتٍ، إنّها تعلِّمنا أنّه ما دام اللهُ هو الآمرَ فلا شكّ أنّه هو الضامنُ، والحافظ، والناصر، إنّها تعلِّمنا أنه لولا الجهادُ والصبرُ ما عُبِدَ اللهُ في الأرض، ولا انتشرَ الإسلامُ في الخافقيْن، إنها تعلّمنا أنّ اليسرَ مع العسر، وأنّ النصرَ مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب، إنّها تعلّمنا أيضاً أنه لا يُعَدّ المسلمُ مسلماً إلا إذا انْتَمى إلى مجموعِ المسلمين، وحَمَلَ همومَهم، وساهمَ بشكلٍ أو بآخرَ في حلّ مشكلاتهم.

## أحاديث شريفة تبين ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون:

عَن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ))**

[متفق عليه عن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ]

وقال أيضاً:

**(( الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِهِمْ نَصَحَةٌ مُتَوَادُّونَ، وَإِنِ افْتَرَقَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ، وَالْفَجَرَةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ غَشَشَةٌ مُتَخَاذِلُونَ، وَإِنِ اجْتَمَعَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ ))**

[الترغيب والترهيب للمنذري عن أنس]

وعَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ))**

[متفق عليه عن أبي موسى]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ،وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ،وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ،يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ،وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ،لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ ))**

[أخرجه أبو داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ أخوانا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ))**

[أخرجه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

وقال أيضاً:

**(( إِنّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ، لاَ يُسَالِمُ الْمُؤْمِنُ دُونَ الْمُؤْمِنِ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللهِ إلاّ عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ ))**

[السيرة النبوية لابن هشام]

هذهِ نقطةٌ مهمّةٌ جداً في قانون المسلمين الدوليّ:

**((إنّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ، لاَ يُسَالِمُ الْمُؤْمِنُ دُونَ الْمُؤْمِنِ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللهِ إلاَّ عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ))**

فلا يحقُّ لفئةٍ أنْ تصطلحَ مع عدوٍّ بشكلٍ انفراديّ، هذا وصفٌ دقيقٌ مِن قِبَلِ مَبعوثِ العنايةِ الإلهيةِ لِمَا عليه المؤمنون، أو لِمَا ينبغي أنْ يكونوا عليه في شتّى أقطارهم، وديارهم.

## إنجاز اللهُ وعدَه للمؤمنين يومَ عبدوه حقّ العبادة:

أيها الأخوة المستمعون، أيتها الأخوات المستمعات، قال تعالى:

**( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنَاً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) )**

( سورة النور)

قال بعضهم: فإن لم يمكِّنهم فمعنى ذلك أنّ دينَهم لم يرتضِه لهم، قال عز وجل:

**( وَلَيُمَكِّنَنّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ )**

لقد أنجزَ اللهُ وعدَه للمؤمنين يومَ عبدوه حقّ العبادة، فأطاعوه ولم يعصوه، وشكروه ولم يكفروه، وذكروه ولم ينسوه، فجعل الله منهم قادةً للأمم بعد أن كانوا رعاةً للغنم، ثم ما الذي كان بعد ذلك ؟ قال سبحانه وهو الحكيم العليم:

**( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (٥٩) )**

( سورة مريم )

## بعض من دلائل نبوة النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

### ١ـ وصف الغي الذي توعد الله به المقصرين وبيّن أسبابه:

من دلائل نبوة النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه وصفَ هذا الغيّ الذي توعّد الله به المقصّرين، وبَيّن أسبابَه، وكأنه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَنَا يرى ما نرى، ويسمع ما نسمع، فعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ**

**وَلَيَقْذِفَنّ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ فقالَ قائِلٌ يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا الْوَهْنُ قالَ حُبُ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))**

[أخرجه أبو داود عن ثوبان]

هذا وصفٌ دقيقٌ للغَيِّ الذي تَوَعَّدَ اللهُ به المقصِّرين مِنَ المسلمين.

## ٢ـ ذكر ما يصيب المسلمين في آخر الزمان من بأساء وضراء بسبب إعراضهم عن ربهم:

مِن دلائلِ نبوّتِهِ عليه الصلاة والسلام، ومِن خلال إعلام الله له أنّه ذَكَرَ ما يصيبُ المسلمين في آخر الزمان مِن بأساء وضراء بسبب إعراضهم عن ربهم وتقصيرهم في طاعتهم له، فَعَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ:

**((يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنّ وَأَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنّ، لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلّا فَشَا فِيهِمْ الطّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلّا أُخِذُوا بِالسّنِينَ، وَشِدّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلّا سَلّطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمّتُهُمْ بِكِتَابِ اللّهِ، وَيَتَخَيّرُوا مِمّا أَنْزَلَ اللّهُ إِلّا جَعَلَ اللّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ))**

[رواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمر]

إنها المعاصي والذنوبُ، والمجاهرةُ بالفواحش والعيوب، والتعرُّضُ لسخط جبّار السماوات والأرض، فإنه ما نَزَلَ بلاءٌ إلا بذنب، ولا رُفِعَ إلاّ بتوبةٍ، قال عز وجل:

**( إِنّ اللّهَ لَا يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ )**

( سورة الرعد الآية: ١١ )

وإنه ما حصل البلاء العام في بعض البلاد، ولا وقعت المصائب المتنوعة، والكوارث المروعة، ولا فَشَتِ الأمراضُ المستعصيةُ التي لم يَكُن لها ذِكْرٌ في ماضينا، ولا حُبِسَ القطرُ من السماء إلا نتيجة الإعراض عن طاعة الله عز وجل، وارتكابِ المعاصي والمجاهرةِ بالمنكرات، وكلّما قلّ ماءُ الحياءِ قلّ ماءُ السماء.

## أهمية المسجد الأقصى للمسلمين وما يتعرض له هذه الأيام:

أيها السادة الأعزاء، اليوم يتعرّض المسجدُ الأقصى موطنُ أبيكم إبراهيمَ، ومُتَعَبَّدُ الأنبياء السابقين، ومَسْرَى خاتم النبيين، المسجدُ الذي نَوّهَ اللهُ به في الآيات المفصّلة، وتُلِيَتْ فيه الكتبُ المنزّلةُ، إنّه

أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالثُ الحَرمَيْن الشريفين، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ، الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى))**

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

إنّ المسجدَ الأقصى الذي بارك اللهُ حوله ببركات الدين والدنيا، والذي أضْحَى بالإسراء إليه والمعراج منه رمزاً للشخصيةِ المعنويةِ للمسلمين، هذا المسجد الأقصى الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، ومسجد الصخرة الذي تمّ منها معراجُ النبي صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى سدرة المنتهى، حيث يتعرّض المسجدُ الأقصى اليومَ إلى محاولة تَهْوِيدِهِ، وجعلِ القدس عاصمة أبديةً للكيان الصهيوني، وفي وصفِ القرآن الكريم المسجدَ الأقصى بالبركة إيماءٌ قويٌّ للعربِ حملةِ رسالةِ الإسلام، وإلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أنه مفروض عليهم، وقد بارك الله حوله أن يحفظوا له هذه البركة، ومتى اعتدي عليها فعليهم أنْ يصطلحوا مع الله أولاً، ويُعِدُّوا لعدوّهم ما يستطيعون مِن قوةً ثانياً، كي يحرّروه ويحرِّروا ما حوله من أيدي الغزاة المغتصبين، ويُحيُوا بتحريره سيرةَ فاتحيه ؛ عمرَ بن الخطاب، وصلاح الدين الأيوبي، ويومئذٍ يفرحُ المؤمنون بنصر الله.

## القدس وما تتعرض له من أذى وتدمير:

وأنتِ يا مدينة القدس إنَّكِ عَبَقُ التاريخِ الإسلاميِّ، إنكِ أريجُه الفَوّاحُ، شَذَا الرسالات السماوية، أضاءَ أرجاءَك قبسُ الإيمان، وتبارك ثراك بمسرى سيدِ الأنام، تمتلئ قلوبُ المسلمينَ اليوم شجاً وحزناً، وتفيض الدموعُ أسىً وحسرةً، وهي ترى مئاتِ الحواجز تَحُولُ دونَها ودون الوصول إلى أُولَى القِبْلَتَيْن، وثالثِ الحرمين الشريفين، إلى مسرى نور الهداية، سيدِنا محمدٍ صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكم يَتُوقُ المسلمُ للصلاةِ في هذا المسجد الأقصى خشوعاً لله، لكنّ المشهدَ مأساويٌّ، والمصابَ جَلَلٌ، فالقدسُ ما زالت أسيرةَ الصهيونيةِ الغادرةِ، ومازالت مهدّدةً بالتهويد، وبطمس معالمها الإسلامية، بل والأدهى مِن ذلك أنّ الصهاينة خطّطوا لهدم المسجد الأقصى، وكم تعرّض هذا المسجدُ لمحاولات الحرق والهدم، وكم هي خطيرةٌ تلك الأنفاقُ التي شقّها الأعداءُ تحتَ المسجدِ فَعَرَتْ أُسُسَه، وعرّضتْها للخطر، كم هو خطيرٌ مخطّطُ التهويد، هؤلاء المجرمون ماتَتْ في ضمائر قياداتهم، وضمائرِ الذين انتخبوهم كلُّ القيمِ الإنسانيةِ، والأعرافِ الدولية، وداسوا على حقوق الإنسان بحوافرهم، وبَنَوْا مجدَهم على أنقاض الشعبِ الفلسطينيِّ، وغناهم على إفقارهم، وقوّتَهم على تدمير أسلحتهم وأبنيتهم، إنّهم يصفون المالِكَ الطريدَ المشرّدَ للأرض إرهابياً لا حقّ له، والمتمسِّكَ بدينِه القويم أصولياً، ويجعلون اللِّصَ الغالبَ على المقدسات ربَّ بيتٍ محترماً، يملكون الأرضَ لا بالإحياء الشرعي، ولكنْ بالإماتةِ الجماعيةِ والقهر النفسي.

أيها الأخوة الأكارم، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني. والحمد لله رب العالمين.

* * *

**الخـطـبـة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الانتفاضة وإرهاب إسرائيل:

أخوتي المؤمنين، أعزائي المستمعين، الآن إلى الموضوع الساخن، موضوع الانتفاضة.

أيها الأخوة الكرام، يتحدّث أعداؤُنا الصهاينةُ عن الإرهاب، ولاسيما في هذه الأيام حيث واتّتْهم الظروف، ونحن نقول لهم: إنه مولودٌ خرجَ مِن رَحِمِ الغطرسة والظلم والاستخفافِ بكرامةِ الشعب الفلسطيني، وثمرةٌ مُرّةٌ لشجرةٍ غَرَسَهَا الأقوياءُ المستكبرون في نفوس المقهورين.

لقد دخلتْ الانتفاضةُ الفلسطينيةُ عامَها الثاني مخلِّفةً أكثرَ مِن ثلاثينَ ألفَ جريحٍ، وثلاثة آلاف مُعَوّق، وسبعمئة قتيل، نسأل الله أنْ يتقبّل عملَهم، وأنْ يحشرَهم مع الشهداء والصالحين. ومنذ عام وزيادةً والمجزرةُ مستمرةٌ في فلسطين، يصل إلى اليهودِ الدعمُ غيرُ المحدود، ويصل إلى الفلسطينيين النصحُ بضبطِ النفْس، فَمَن ينسى مشاهدَ الذبح في صبرا وَ شاتيلا وقانا، والتي تَسْتَمْطِرُ دموعَ الصّخرِ، فلماذا لم تَحْظَ تلك المآسي بحظّها الحقيقيّ مِنَ الاهتمام كغيرها ؟

تعلِّمنا الأحداثُ التي نشهدها كلّ يوم في الأرض المحتلة أنّ القوةَ البشرية مهما عَظُمَتْ فهي محدودة، وأنّ العلمَ مهما اتّسع فهو قاصر، وأنّ الإنسانَ المتألّي مصيره القصم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: قَالَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ:

**((الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النّارِ))**

[رواه أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

وفي رواية مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالا: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**((الْعِزّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذّبْتُهُ))**

[مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ]

إنّ اعتمادَ القوةِ وحدَها، والحلولَ الأمنية وحدَها لا يحقِّق الهدفَ ما لم يكن مصحوباً بدرجة عاليةٍ من الاستماع الجيّدِ إلى الطرَف الآخر، وتَفَهُّمٍ دقيقٍ للرأي الآخر، ومراعاةِ مصالحه وخصوصياته، وتوفيرِ كرامته، وما لم تحلّ مشكلات المظلومين والمضطهدين في العالم، فإنّ المشكلة تبقى قائمة، بل وربما تفاقمتْ، فالقوّةُ لا تصنع الحقّ، ولكنّ الحقّ يصنعُ القوةَ، والقوةُ مِن دون حكمةٍ تدمّر صاحبَها، قال تعالى:

**( فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ (٢) )**

(سورة الحشر)

عدد الذين يغادرون الأرض المحتلة خوفاً وهلعاً عائدين من حيث أتوا لا يصدق، يزيد على المليون.

## تحديد مفهوم الإرهاب:

أيها الأخوة المؤمنون، لو حددّنا مفهومَ الإرهابِ فلا يُؤخَذ المقاومُ بالمجرم، ولا الصالحُ بالطالح، ولا المُحِقُّ بالمُبْطِل، ولا يُؤْخَذُ العملُ المشروعُ بالعمل المحظور ؟!

ولو حددّنا مفهومَ الإرهابِ عندئذ تستفيدُ الشعوبُ المظلومةُ مِن هذا التحديد، حيث يصبحُ كلُّ ما هو خارجاً عن إطارِ مفهومِ الإرهابِ المتّفَق عليه لا يُدرَجُ اسمُه، ولا يُلاحَق على أنه مِنَ الإرهابيين.

ولو حددّنا مفهومَ الإرهابِ لانتعشتْ حركاتُ التحرُّر في العالم وما أكثرَها، في جهادها ونضالها للتحرُّرِ مِن هيمنةِ المستعمرِ، وطغيانه، واستعباده.

ولو حددّنا مفهومَ الإرهابِ، واتُّفِق عليه بين الطرفين المتنازعَيْن لامتنع القويُّ أنْ يمارسَ الإرهابَ على أوسع نطاقٍ باسم محاربةِ الإرهابِ ! فأعداؤُنا الصهاينةُ لو فَعَلُوا، وحدّدوا طبيعة الإرهابِ الذي ينبغي أنْ يُدَانَ ويُحارَب لأدَانوا أفعالَهم، وحاربوا أنفسهم بأنفسهم.

فنحن نتحدّى أعداءَنا الصهاينة أنْ يُخرِجوا لنا تعريفاً للإرهاب، مِن دون أنْ يكونوا هم أوّلَ المتلبّسين به قبلَ غيرهم، ومِن دون أنْ يكونوا قد اقترفوه، ومارسوه في أقبح صُورِه وأشكاله قبل غيرهم.

إنّ تحديدَ مفهومِ الإرهابِ يُظهر جهادَ ومقاومة الشعب الفلسطيني ضدّ الصهاينةِ المعتدين على أنه جهادٌ مشروعٌ، لا يندرجُ تحت مفهوم الإرهابِ الممنوع. لأجل ذلك هُم لا يريدون تحديدَ مفهوم الإرهابِ الذي ينبغي أنْ يُحارَبَ، ليبقى ما هو محرّمٌ على غيرهم مباحاً لهم، وليبقى شعارُ محاربةِ الإرهاب شعاراً مَطّاطاً يمكّن الصهاينة مِنَ العدوان على الفلسطينيين كلما لاحتْ لهم أهمّية ذلك بالنسبة لأمْنِهِم ومصالحهم الذاتية.

إنّ على الذين يتصدون لما يسمونه إرهاباً أن يسألوا أنفسهم لماذا يقدم هؤلاء الشبان على الموت ؟ وسيجدُ هؤلاءِ الصهاينةُ أنفسَهم بحاجة إلى وقفةٍ شجاعة تخلِصهم مِن مسلسلِ الذُعْر المنتظر، ومسلسل عداوات المقهورين.

## الظلم ونتائجه:

إن نتائجَ الظلمِ لا يمكنُ ضبطُ حساباتها، ولا تقديرُ ردودِ أفعالها، وذلك أنّ ردودَ فعلِ المقهورين والمظلومين كشظايا القنابل تطيشُ في كلّ اتّجاهٍ، وتصيبُ مِن غير تصويبٍ.

إنّ ردودَ أفعالِ المظلومين والموتورين لا يمكنُ التحكّمُ في مداها ولا اتجاهها، وإنها تطيشُ متجاوزةً حدودَ المشروع والمعقول، مخترقةً شرائعَ الأديان، وقوانينَ الأوطان، وتَكفُرُ أوّلَ ما تكفر بهذه القوانين التي لم توفّرْ لها الحماية أولاً ؛ فلذا لنْ تقبَلَها حامية لأعدائها، فإنّ العلاجَ الأوّلَ والحقيقيّ هو نزعُ فَتِيلِ الظلمِ الذي يشحَنُ النفوسَ بالكراهيةِ والمَقْتِ، ويعمي البصائرَ والأبصارَ عن تدبُّرِ عواقبِ الأمورِ، والنظرِ في مشروعيتها أو نتائجها.

وإنّ أحْرَصَ النّاس على حياةٍ، وهم الصهاينة، سيَظلّون في حيرةٍ عندما يتعاملون مع مَنْ يُلغِي حياتَه مِن حسابِ الأرباح، ويسجّل نفسَه كأوّل رقم في قائمة الضحايا، إنّ أعظمَ ما يملكه القويُّ أن ينهيَ حياةَ الضعيف، فإذا أراد الضعيفُ أن يقدّمَ أثمَنَ ما يملك، وهي حياتُه لِزَلْزَلَةِ كيان القويّ صارَ هذا الضعيفُ أقوى منه، وقد قيل: بدأتِ الحربُ بالإنسان، ثم أصبحتْ بَين آلتين، ثم بين عقلين، ثم انتهتْ بالإنسان.

إنّ الحديثَ عن القوةِ النابعةِ مِنَ الضّعفِ ليس دعوةً إلى الرضى بالضّعفِ، أو السكوتِ عنه، بل هو دعوةٌ لاستشعارِ القوّةِ حتى في حالة الضّعف، إذاً يجب أنْ نبحثَ في كل مظنّةِ ضعفٍ عنْ سببِ قوةٍ كامنةٍ فيه، ولو أخلصَ المسلمون في طلبِ ذلك لوجدوه، ولصارَ الضّعفُ قوةً، لأنّ الضعفَ ينطوي على قوةٍ مستورةٍ يؤيّدُها اللهُ في حفظه ورعايته، فإذا قُوّةُ الضّعفِ تَهُدُّ الجبالَ، وتَدُقُّ الحصونَ، قال تعالى:

**( وَلِلّهِ جُنُودُ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً(٤))**

(سورة الفتح)

عندئذ ينتزعُ المسلمون مِن هذا الضّعفِ قوةً تُحيلُ قوةَ عدوّهم ضعفاً، وينصرُهُم اللهُ نصراً مبيناً، قال تعالى:

**( وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنّ عَلَى الّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) )**

( سورة القصص )

## التوازن هو أكثر ما نحتاج إليه في أمورٍ كثيرة من حياتنا:

هذه الحقائقُ نضعُها بين أيدي أخواننا في الأراضي المحتلة.

إننا نَعجبُ، ونحن نرى سَفّاحي صبرا وَشاتيلا وقانا قد صاروا قادةَ دولٍ، مع أنّهم يحملون ميداليات ذهبية في الإرهاب ! ولماذا يختارُ إعلامُ الأعداءِ الإرهابَ الذي ينبغي أنْ يهتمّ به المقهورون ؟ والإرهابَ التي ينبغي أن ينْسوه ؟ وكأنّ الإرهابَ لا يكون إرهاباً إلا إذا كان في اتّجاه مُعَيّنٍ.

إنّ أعداءَنا الصهاينة وهم يطرحون شعاراتِ الحريّةِ والعدلِ وحقوق الإنسان وغيرها يمارسونها بصورةٍ انتقائيةٍ مصلحيةٍ، ولا يتعاملون معها كقيمة جوهرية حقيقية ثابتة إيماناً بها بل انتفاعاً منها، وأنّ مظاهرَ القوةِ لا تعني التّناهِيَ ولا الإحاطة، ولكنّ غرورَ البشر يجهل هذه الحقيقة، وتُسكِرُهُ نشوةُ القوة، فيقول:

**( مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً (١٥) )**

( سورة فصلت )

أيها المسلمون في كل مكان، الحذرَ الحذرَ الشديدَ من الوقوع في فخاخ تُنصَبُ لأبناءِ أُمّتنا العربيةِ والإسلاميةِ، قد يوقعهم فيها ذهولُ الصدمةِ، أو ثورةُ الحماس، إنّ أكثرَ ما نحتاج إليه في أمورٍ كثيرة من حياتنا هو التوازنُ، والانطلاقُ من الثوابت الراسخة، مِن غير أنْ يُفْقِدَنَا التأثّرُ بالأفعالِ وردودِ الأفعال الرؤية الصحيحة، ولا نحتاج إلى كبيرِ عناءٍ لنكتشفَ أنّ كثيراً مِن خطايانا وأخطائنا كانت نتيجة جُنُوح في النظرةِ بعيداً عن التوازنِ والاعتدالِ المطلوبِ.

## ليست العبرة بتَنْفيس المشاعر وتفريغ العواطفِ ولكنّها بتحقيق المصالح ودَرْءِ المفاسدِ:

إنّ للمشاعر حقّها في أنْ تَغْلِيَ وتَفُورَ، أمّا الأفعالُ فلا بد أنْ تكونَ مضبوطة بهدي المنهج الربّانيّ، ومقاصدِ الشرع وضوابطِ المصلحةِ، ولا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى العلماء الربّانيين الورعين، الذين لا يجاملون مصالحَ الخاصّة، ولا يتملّقون عواطفَ العامة، وقد كان العلماءُ على تعاقُبِ العصور صمامَ أمَانٍ عندما تطيش الآراءُ، وتضطربُ الأمور:

**( وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً (٨٣) )**

( سورة النساء )

لذا فإنّ مِن أعْظَم ما يوصَى به في مثلِ هذه الأحداثِ العامّةِ كَبْحَ جِمَاح الانفعالات حيث لا تنتج اجتهادات خاصة، ربما جنى بعضُها أوّلَ ما يجني على المسلمين ومصالحهم، وأنْ يكونَ عند المسلمين بخاصة برغم حرارة الانفعال وشدة التأثر تَبَصُّرٌ في معالجة الأمور، فينبغي ألاّ يخرجَنا التأثُّرُ إلى التَّهَوُّر، ولا الحماسُ إلى الطَّيْش، وإنّ الحماسَ طاقةٌ فاعلةٌ مُنْتِجَةٌ إذا وُجّهَتْ في الطريق الرشيد، وإنّ العبرةَ ليست بتَنْفيس المشاعرِ وتفريغ العواطفِ، ولكنّ العبرةَ بتحقيق المصالح ودَرْءِ

المفَاسِدِ.

هذا ما أشار إليه السيدُ الرئيسُ في الكلمةِ التي ألقاها في مجلس الشعب عَقِبَ أدائه القَسَمَ الدستوريّ، قال فيها: " نحن بحاجةٍ ماسّةٍ إلى النقد البناء، ولكي نكونَ بنّائين في نقدنا لا بد لنا أنْ نكونَ موضوعيين في تفكيرنا، والموضوعيةُ تتطلّبُ منا أنْ ننظُرَ إلى أيّ موضوعٍ مِن أكثرَ من زاوية، وضِمْنَ أكثرَ مِن ظرْفٍ، وبالتالي نُحَلِّلُهُ بأكثرَ مِن طريقةٍ، ونَصِلُ مِنْ ثَمّ إلى أكثر من احتمالٍ، أو على الأقلّ للاحتمال الأقرب إلى الصحة، أو الاحتمالِ الأفضلِ، وعندما نقول: نقد بناء، ورأي موضوعي، فهذا يعني بالضرورة النَّظَرَ بصورةٍ متكاملةٍ للقضايا حيث نرى الإيجابيات كما نرى السلبيات، وبذلك نتمكّن مِن زيادةِ الإيجابيات على حساب السلبيات، وهذا هو جوهرُ أيّ تطويرٍ، قال تعالى:

**( وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً )**

( سورة البقرة الآية: ٢٦٩ )

هنا محلُّ الإشارة إلى أنّ بلدَنا الطيّبَ سورية قد انْتُخِبَتْ عضواً في مجلس الأمن بإجماعِ مئة وستين دولةً في هيئة الأمم، وهذا كسبٌ لبلدنا في هذه الظروف الصعبة، ولعلّ هذه العضوية تمكِّننا أنْ نسهم بشكلٍ أو بآخرَ في نقل الرأي الآخر لأعضائه الدائمين.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٥٧) : خ١ - إدارة الوقت ، خ٢ - التحليل الإسلامي للحوادث .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠١-١٨

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولـى:**

## سورة العصر ترسمُ منهجاً كاملاً للحياة البشرية كما يريدُها خالق البشرية:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحثُّكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

أيها الأخوة الأحباب، في القرآن الكريم سورةٌ قصيرةٌ، كان الرّجلانِ مِن أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التَقَيَا لم يتفرّقا حتى يتلوَ أحدُهما على الآخر هذه السورة، وكان الإمامُ الشافعيُّ رحمه الله تعالى يقول: **" لو تدبّر الناسُ هذه السورة لَكَفَتْهُم ".**

هذه السورةُ ترسمُ منهجاً كاملاً للحياة البشرية، كما يريدُها خالق البشرية، فعلى امتدادِ الزمان في جميعِ العصور، وعلى امتدادِ المكانِ في جميع الدهور، ليسَ أمامَ الإنسان إلا منهجٌ واحدٌ رابحٌ، وطريق واحد سالك إلى جنةِ الخُلدِ، وكلُّ ما وراء ذلك ضياعٌ وخسارةٌ وشقاء.

أيها الأخوة الكرام، لعلكم تسألون: ما هذه السورة ؟ إنها سورة العصر، قال تعالى:

**( وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) )**

( سورة العصر )

لقد أقسمَ اللهُ جلّ جلالُه بمطلق الزمن، العصر، لهذا الإنسان الذي هو في حقيقته زمنٌ، فهو بِضْعَةُ أيام، كلما انقضى يومٌ انقضى بِضْعٌ منه، وما مِن يوم ينشقُّ فجرُه إلا وينادي: يا ابن آدم، أنا خلقٌ جديدٌ، وعلى عملِك شهيدٌ، فتزوّدْ مِنّي، فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

لقد أقسمَ اللهُ بالزمن للإنسان أنّه في خُسرٍ، بمعنى أنّ مُضِيَّ الزمن وحدَه يستهلكُ عُمُرَ الإنسان الذي هو رأسُماله ووعاءُ عملِه الصالح الذي هو ثمنُ الجنة التي وَعَدَه اللهُ بها.

## شرح تفصيلي لسورة العصر:

أيها الأخوة الأحباب، هلِ الخسارةُ في العُرْفِ التِّجاريّ إلا أنْ تُضَيِّعَ رأسَ مالِكَ مِن دون تحقيق الربح المطلوب، لكنّ الإنسانَ إذا استثمرَ الوقتَ فيما خُلِقَ له، يستطيع أنْ يتلافَى هذه الخسارةَ وذلك بالإيمانِ والعملِ الصالح، والتواصي بالحقّ، والتواصي بالصّبر. قال تعالى:

**( وَالْعَصْرِ(١)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣) )**

( سورة العصر )

## ١ـ الإيمان:

أولاً: الإيمان، ( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا )، إنّ الإيمانَ هو اتصالُ هذا الكائن الإنسانيّ الصغيرِ الضعيف الفاني المحدود، بالأصل المطلق الأزليّ الباقي، الذي صدرَ عنه هذا الوجودُ، وعندئذٍ ينطلقُ هذا الإنسانُ من حدود ذاته الصغيرة إلى رحابةِ الكون الكبير، مِن حدودِ قوته الهزيلة إلى عظمة الطاقات الكونية المخبوءة، من حدود عمره القصير إلى امتدادِ الآبادِ التي لا يعلمُها إلا اللهُ، هذا الاتصالُ فضلاً على أنه يمنحُ الإنسانَ القوةَ، والامتدادَ، والانطلاقَ، فإنه يمنحُه السعادةَ الحقيقية التي يَلْهَثُ وراءها الإنسانُ، وهي سعادةٌ رفيعة، وفرحٌ نفيسٌ، وأُنْسٌ بالحياةِ، كَأُنْسِ الحبيبِ بحبيبه، وهو كَسْبٌ لا يعدِلُه كسبٌ، وفقدانُه خسرانٌ لا يعدِلُه خسرانٌ، وعبادةُ إلهٍ واحدٍ ترفعُ الإنسانَ عن العبوديةِ لسواه، فلا يذلّ لأحد ولا يحني رأسَه لغير الواحد القهار، فليس هناك إلا قوةٌ واحدةٌ، ومعبودٌ واحدٌ، وعندئذٍ تنتفي مِن حياةِ الإنسان المصلحةُ والهوى، ليحلّ محلّها الشريعةُ والعدلُ.

الاعتقادُ بكرامةِ الإنسان، وهو مِن لوازمِ الإيمان، الاعتقاد بكرامة الإنسان عند الله يرفع من قيمته في نظر نفسه، ويثيرُ في نفسِهِ الحياءَ مِنَ التّدنّي عن المرتبةِ التي رَفَعَهُ اللهُ إليها.

## ٢ـ العمل الصالح:

ثانياً: العملُ الصالحُ،

**( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ )**

لأنّ الإيمانَ أيها الأخوة، حقيقة إيجابية متحركةٌ، كان العملُ الصالحُ هو الثمرةَ الطبيعية للإيمان، فمَا إنْ تستقرّ حقيقةُ الإيمان في ضميرِ المؤمن حتّى تسعَى بذاتِها إلى تحقيق ذاتِها في صورةِ عملٍ صالحٍ، فلا يمكنُ أنْ يظلّ الإيمانُ في نفس المؤمن خامداً لا يتحرّك، كامناً لا يَتَبَدّى، فإنْ لم يتحرّكِ الإيمانُ هذه الحركة الطبيعية فهو مزيّفٌ، أو ميتٌ، شأنُه شأنُ الزهرةِ، ينبعثُ أريجُها منها انبعاثاً طبيعياً، فإنْ لم ينبعثْ منها أريجٌ فهو غيرُ موجود.

العملُ الصالحُ أيها الأخوة، ليس فلتةً عارضة، ولا نزوةً طارئة، ولا حادثة منقطعة، إنما ينبعثُ عن دوافعَ، ويتّجهُ إلى أهدافٍ، ويتعاونُ عليه المؤمنون.

## صفاتُ العملِ الصالح:

الإيمانُ أيها الأخوة، ليس انكماشاً، ولا سلبية، ولا انزواءً، ولا تَقَوْقُعاً، بل هو حركةٌ خَيّرَةٌ نظيفةٌ، وعَمَلٌ إيجابيٌّ هادفٌ، وعمارةٌ متوازنة للأرض، وبناءٌ شامخٌ للأجيال، يتّجهُ إلى الله، ويليقُ بمنهج الله، ورَحِمَ اللهُ عمرَ بن عبد العزيز إذ يقول: **" إن اللّيل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما، ويأخذان منك، فخذ منهما ".**

يا أخوتنا الأحباب، كلما اتّسعتْ رقعةُ العملِ فشملتْ أعداداً كبيرةً من بَني البشر حتى دخلتْ فيه الأممُ والشعوبُ، وكلّما امتدّ أمدُ العملِ وطالَ حتى توارثتْ ثمارَه أجيالٌ وأجيالٌ، وكلما تغلغلَ العملُ في كيانِ الإنسان كلّه ؛ الماديّ، والنفسيّ، والاجتماعيّ، والروحيّ، حتى تحقّق به وجودُ الإنسان، وتألّقتْ من خلاله إنسانيتُه، وكان كما أريد له أن يكون، إذاً كلما اتسعتْ رقعةُ العمل، وعَمّ خيره، وطالَ أمدُه، واشتدّ تأثيرُه، كانَ أعظمَ عندَ اللهِ.

هذه صفاتُ العملِ الصالح، فالنبيّ صلى الله عليه وسلم أخْرَجَ الناسَ مِن الظلمات إلى النور، ومِن دَرَكَاتِ الجاهليةِ إلى أعلى مراتبِ الإنسانية، وغيّر وجهَ التاريخ البشريّ كله، إلى اليوم، وإلى ما شاء الله، في ثلاث وعشرين سنة، أقامَ فيها ديناً جديداً، وربّى عليه جيلاً فريداً، وأنشأ أمّةً مثاليةً، وأسّسَ دولة عالميةً، في هذا الزمن اليسير، على الرغم مِن كلّ الصعوباتِ والعوائقِ التي اعترضتْ سبيلَه مِن أوّل يومٍ.

ويزدادُ ثقلُ العملِ في ميزانِ الحقّ، وتتضاعفُ قيمتُه ومثوبتُه عند الله كلما كثرتْ العوائقُ في سبيله، وعظُمتِ الصوارفُ عنه، وقلّ المُعينُ عليه.

ويزدادُ ثقلُ العملِ في ميزانِ الحقّ، وتتضاعفُ قيمتُه ومثوبتُه عند اللهِ حينما تَفْسُدُ المجتمعاتُ، وتضطرب الأحوالُ، فيجور الأمراءُ، ويتجبّرُ الأقوياءُ ـ كما ترون ـ ويترفُ الأغنياءُ، ويداهِن العلماءُ، وتشيع الفاحشةُ، ويظهرُ المنكرُ، ويختفي المعروفُ، وفي الحديث عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيّ ))**

[أخرجه مسلم عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ]

## سنن وأقوال عن أهمية التوفيق في إنفاق الوقت:

أيها الأخوة الكرام، حضوراً ومستمعين، هنا محلُّ الإشارةِ إلى أنّ الإنسانَ إذا رُزِقَ التوفيقَ في إنفاق وقتهِ يستطيعُ أنْ يُطيلَ عمرَه إلى ما شاء الله بعد موته، فيحيا وهو ميت، ويؤدّي رسالتَه وهو تحت التراب، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ، إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ))**

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

فكيف إنْ لم يكن له عملٌ أصلاً ووافته المنيّةُ ؟!!

في حديثٍ آخرَ تضمّنَ تفصيلاتٍ لهذه الثلاث، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( إِنّ مِمّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْماً عَلّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَداً صَالِحاً تَرَكَهُ، وَمُصْحَفاً وَرّثَهُ، أَوْ مَسْجِداً بَنَاهُ، أَوْ بَيْتاً لِابْنِ السّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْراً أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ))**

[رواه ابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة ]

وأخرجَ مسلمٌ في صحيحه أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:

**(( مَنْ سَنّ فِي الْإِسْلَامِ سُنّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنّ فِي الْإِسْلَامِ سُنّةً سَيّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ))**

[رواه مسلم والنسائي وغيرهما عن جرير بن عبد الله]

فوَيْلٌ، ثم ويلٌ، ثم ويلٌ، لِمَن انقضتْ آجالُهم، وضلالاتُهم وآثامُهم باقيةٌ مِن بعدهم، وهنيئاً، ثم هنيئاً، ثم هنيئاً لِمَن كانوا تحت الثرى، والناسُ مهتدُون بهديهم سعداء بأعمالهم.

قال صاحب الحكم العطائية: **" رُبّ عُمُرٍ اتّسعت آمادُه، وقلّتْ أمدادُه، ورُبّ عُمُرٍ قليلةٌ آمادُه، كثيرةٌ أمدادُه، ومَنْ بورِكَ له في عُمره أدركَ في يسيرٍ مِنَ الزمنِ مِنَ المِنَنِ ما لا يدخلُ تحتَ دائرةِ العبارةِ، ولا تلحقُه وَمْضَةَ الإشارةِ ".**

## ٣- التواصي بالحق:

ثالثاً: التواصي بالحق،

**( وَتَوَاصَوْا بِالْحَقّ )**

أيها الأخوة الأعزاء، أيتها الأخوات العزيزات،

**( وَتَوَاصَوْا بِالْحَقّ )**

لأنّ النهوضَ بالحقّ عسيرٌ، والعوائقَ كثيرةٌ، والصوارفَ عديدةٌ، فهناك هوى النفوس، ومنطقُ المصلحةِ، وظروفُ البيئة، وضغوطُ العمل، والتقاليدُ، والعاداتُ، والحرصُ، والطمعُ، عندئذٍ يأتي "

التواصي بالحق "، ليكونَ مذكِّراً، ومشجّعاً، ومحصّناً للمؤمنِ الذي يجدُ أخاه معه يوصيه، ويشجِّعه، ويقف معه، ويحرصُ على سلامته، وسعادته، ولا يخذُله، ولا يسلبُه، وفضلاً عن ذلك، فإن" التواصي بالحق " ينقِي الاتّجاهاتِ الفرديةِ، ويَقِيها، فالحقُ لا يستقرّ، ولا يستمرّ إلا في مجتمع مؤمنٍ، متراصٍ، متعاونٍ، متكافلٍ، متضامنٍ.

أيها الأخوة الكرام في كل مكان، فالمرءُ بالإيمان والعملِ الصالح يكمِّل نفسَه، وبالتواصي بالحقّ يكمِّل غيرَه، وبما أنّ كيانَ الأمةِ مبنيّ على الدِّين الحقّ الذي جاءنا بالنّقلِ الصحيح، وأكّده العقلُ الصريحُ، وأقرّه الواقعُ الموضوعيّ، وتطابقَ مع الفطرة السليمة، فلا بد أنّ يستمرّ هذا الحقُّ ويستقرّ، حتى تشعرَ الأمةُ بكيانها ورسالتها، " فالتواصي بالحق " قضيةٌ مصيريةٌ، فما لم تتنامَ دوائرُ الحقّ في الأرض، تنامتْ دوائرُ الباطلِ وحاصرته، "فالتواصي بالحق " يعني الحفاظَ على وجودِه، والأداءِ لرسالته.

## ٤ـ التواصي بالصّبْر:

رابعاً: التواصي بالصبر

**( وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)**

لقد شاءتْ حكمةُ الله جل جلاله أنْ تكون الدنيا دارَ ابتلاءٍ بالشّرّ والخيرِ، ودارَ صراعٍ بين الحقّ والباطل، لذلك كان التواصي بالصبر ضرورةً للفوزِ بالابتلاءِ، والغلبةِ في الصراع.

إذاً: لا بد مِنَ التواصي بالصبر على مغالبةِ الهوى، وعنادِ الباطل، وتحّملِ الأذى، وتكبّدِ المشقةِ، لذلك يعدُّ الصبرُ وسيلةً فعالةً لتذليلِ العقباتِ، ومضاعفةِ القدراتِ، وبلوغِ الغاياتِ، قال تعالى:

**( إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ (١٠٤) )**

(سورة النساء)

## إدارة الوقت:

أيها الأخوة الكرام، حضوراً ومستمعين، العبرةُ ليست في إنفاق الوقتِ، بل في استثماره، فالوقتُ إذا أنفقناهُ ضاعَ، أما إذا استثمرناهُ فسينمو، ويُؤتِي ثمارَه في مستقبلِ حياتنا، وللأجيال القادمة. إذاً كيف يُنفقُ المسلمُ الزمنَ إنفاقاً استثماريّاً ؟ لئلا تُحقّق به الخسارةُ، إنّ هذا ما يسمّى في المصطلح الحديث إدارة الوقت، وهو موضوعُ الخطبةِ اليومَ.

يا أخوتنا الأحباب، الوقتُ في حياةِ المسلم عبادةٌ ممتدّةٌ، أمّا الوقتُ في الثقافةِ الغربيةِ، والنظرياتِ الماديةِ، فإنه لا يخرج عن نطاق المثل الشائع: **" الوقت هو المال "**، وإذا وَازَنّا هذه العبارةَ بقول

الحسن البصري رحمه الله تعالى: " أدركتُ أقواماً كان أحدهم أشحّ على عمره منه على دراهمه ودنانيره ". نَستنتجُ أنّ الوقتَ عندَ المسلمِ أغلى مِنَ المالِ، ذلك أنّ المسلمَ يُدرك أنّ المالَ يمكنُ تعويضُه، بينما الوقتُ لا يمكن تعويضُه.

أيها الأخوة الكرام، الإنسانُ حينما يَحرقُ مبلغاً كبيراً مِنَ المال يُحكَم عليه بالسَّفَهِ، ويُحْجَر على تصرفاتِه، ولأنه مركّبٌ في أعماقِ الإنسانِ أنّ الوقتَ أثمنُ مِنَ المالِ، بدليلِ أنه يبيعُ بيتَه الذي يسكنُه ولا يملكُ شيأً سِوَاهُ ليُجريَ بثمنِه عمليةً جراحيةً، متوهِّماً أنّها تزيدُ في حياتِه سنواتٍ عدةً، فالوقتُ عندَ كلّ إنسانٍ أثمنُ مِنَ المالِ، وبناءً على هذه المُسَلَّمَةِ فإنّ الذي يُتلفُ وقتَه أشدُّ سَفَهاً مِنَ الذي يُتْلِفُ مالَه.

إدارةُ الوقتِ هِي فعلُ ما ينبغي، على الوجهِ الذي ينبغي، في الوقتِ الذي ينبغي، الوقتُ مِن ذَهَبٍ، بل أغلى من الذهب، بل هو لا يُقدّر بثمن، إنه أنت، ويُعَدُّ الوقتُ أحدَ أربعةِ مواردَ أساسية في مجال الأعمالِ ؛ المواد، والمعلومات، والأفراد، ثم الوقتُ الذي يُعدّ أكثرَها أهميةً، لأنه كلما تَحَكّمَ الفردُ في وقتِه بمهارةٍ وإيجابيةٍ استطاعَ أن يستثمرَه في تحقيقِ أقصى عائدٍ ممكنٍ مِنَ المواردِ الأخرى ؛ حيث إنّ الفردَ عندما يديرُ وقتَه بشكلٍ فعّالٍ هو في الحقيقة يديرُ نفسَه، وعبادتَه، وعملَه، ودنياهُ إدارةً فعّالةً.

أيها الأخوة، كي نكونَ واقعيّين، إنْ لم يكنْ بالإمكان استثمارُ كلّ الوقتِ، فعلى الأقلّ يمكنُ أنْ نستثمرَ أكبرَ قدْرٍ منه.

وعلى الرغمِ مِن هذه الأهميةِ الكبيرةِ للوقتِ، فإنّ أكثرَ العناصرِ والمواردِ هدراً، وإنّ أقلّها استثماراً، سواء من الجماعات، أو من الأفراد، هو الوقتُ، ويعود هذا لأسبابٍ عدّةٍ، أهمّها عدمُ الإدراكِ الكافي للخسارةِ الكبيرةِ المترتبةِ على سُوءِ إدارتِه.

## الوقت هو رأسُ المالِ الحقيقيّ للإنسان فرداً ومجتمعاً:

أيها الأخوة، الوقتُ مَوْرِدٌ نادرٌ، لا يمكن تجميعُه، ولأنّه سريعُ الانقضاءِ، وما مضى منه لا يرجع، ولا يعوّض بشيء، كان الوقتُ أنفسَ وأثمنَ ما يملكُ الإنسانُ، وترجعُ نفاستُه إلى أنه وعاءٌ لكلّ علمٍ، ولكلّ عملٍ، ولكلّ عبادةٍ، فهو في الواقعِ رأسُ المالِ الحقيقيّ للإنسان، فرداً ومجتمعاً.

مِنْ هذا المنطلق يعدُّ الوقتُ أساسَ الحياةِ، وعليه تقومُ الحضارةُ، فصحيحٌ أنّ الوقتَ لا يمكن شراؤُه، ولا بيعُه، ولا تأجيرُه، ولا استعارتُه، ولا مضاعفتُه، ولا توفيرُه، ولا تصنيعُه، ولكن يمكن استثمارُه وتوظيفُه، أولئك الذين لديهم الوقتُ لإنجازِ أعمالِهم، ولديهم أيضاً الوقتُ لمعرفةِ ربّهم، وعبادتِه، والتقرّبِ إليه، عرفوا قيمتَه، هم يستثمرون كلّ دقيقةٍ مِن وقتهم، ولذا فإدارةُ الوقتِ لا تنطلقُ إلى تغييره، أو تعديلِه، أو تطويره، بل إلى طريقةِ استثماره بشكلٍ فعّالٍ، ومحاولةِ تقليلِ الوقتِ الضائع هَدْراً مِن دون فائدةٍ.

أيها الأخوة الأعزاء، أيتها الأخوات العزيزات، يؤكِّد بعضُ العلماءِ منذ زَمَنٍ قديم أنّ الوقتَ يمرُّ بسرعةٍ محدّدةٍ وثابتةٍ، فكلُّ ثانيةٍ أو دقيقةٍ، وكلُّ ساعةٍ تشبهُ الأخرى، وأنّ الوقتَ يسيرُ إلى الأمام بشكلٍ متتابع، وأنه يتحركُ وَفقَ نظامٍ معيّن مُحكَم، لا يمكن إيقافُه، أو تغييرُه، أو زيادتُه، أو إعادةُ تنظيمه، وبهذا يمضي الوقتُ بانتظامٍ نحو الأمام، دون أيّ تأخيرٍ أو تقديم، ولا يمكن بأيّ حالٍ مِنَ الأحوالِ إيقافُه أو تراكمُه أو إلغاؤُه أو تبديلُه أو إحلالُه، إنّه موردٌ محدّدٌ يملكُه الجميعُ بالتساوي، فعلى الرّغم مِنْ أنّ الناسَ لم يُولدوا بقدراتٍ أو فُرَصٍ متساويةٍ، فإنهم جميعا يملكون الأربعَ والعشرين ساعةً نفسَها كلّ يومٍ، والاثنين والخمسينَ أسبوعاً كلّ عام، وهكذا فإن جميعَ الناس متساوون في ناحيةِ المُدّة الزمنية، سواء أكانوا من كبار الموظفين أم مِن صغارهم، مِن أغنياء القوم أم مِن فقرائهم، لذلك فالمشكلةُ ليستْ في مقدار الوقتِ المتوفّر لكلٍّ مِن هؤلاء، ولكنْ في كيفيةِ إدارةِ الوقت المتوفّر لديهم واستخدامِه، وهل يستخدمونه بشكلٍ جيّدٍ ومفيدٍ في إنجاز الأعمالِ المطلوبةِ منهم، أو يهدرونه، ويضيّعونَه في أمور قليلة الفائدة ؟

## إدارة الوقتِ هي تحديدُ هدفٍ ثم تحقيقُه:

إنّ إدارةَ الوقتِ هي تحديدُ هدفٍ، ثم تحقيقُه، قال تعالى:

**( أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ )**

( سورة الملك )

لا شكّ أنّ مَنْ يمشي إلى هدفٍ وغايةٍ واضحةٍ أهدى مِمّن يَخبطُ خَبْطَ عشواء، هذه حقيقة.
أيها الأخوة الكرام، الوقتُ نعمةٌ عظيمةٌ، تؤكِّد السُّنّةُ المطهّرةُ ما جاء في القرآن الكريم مِن أنّ الوقتَ مِنْ نِعَمِ الله على عباده، وأنهم مأمورون بحفظه، مسؤولون عنه، فعَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ النّبِيُّ صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**(( نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النّاسِ، الصِّحّةُ وَالْفَرَاغُ ))**

[رواه البخاري عن ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا ]

معنى قوله صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**((كَثِيرٌ مِنْ النّاسِ))**

أيْ الذي يُوَفّقُ لذلك قليلٌ، فقد يكون الإنسانُ صحيحاً، ولا يكون متفرّغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً، ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا ـ الصحةُ والفراغُ ـ فغَلَبَ على الإنسان الكسلُ عن الطاعة فهو المغبونُ، والغبنُ أنْ تشتريَ بأضعافِ الثمنِ، وأنْ تبيعَ بأقلّ مِن ثمنِ المِثْل.
أيها الأخوة الكرام، الوقتُ مسؤوليةٌ كبرى، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

**((لاَ تَزُولُ قدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ))**

[رواه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي]

أيها الأخوة الكرام، الوقتُ وعاءُ العبادةِ، فالصلاةُ والزكاةُ والصيامُ والحجُّ ونحوُها عباداتٌ محددةٌ بأوقاتٍ معيّنةٍ، لا يصحّ تأخيرُها عنها، وبعضُها لا يُقبَل إذا أُدّيَ في غير وقته، فهي مرتبطةٌ ارتباطاً وثيقاً بالوقتِ، الذي هو عبارة عن الظرفِ أو الوعاء الذي تُؤَدّى فيه. ومما ورد عن النبي صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ في الحثِّ على أداءِ العباداتِ في وقتِها قولُه حين سئل:

**(( أيُّ الْأعْمَالِ أفْضَلُ ؟ قَالَ: الصّلَاةُ لِوَقْتِهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّهِ ))**

[متفق عليه عن ابن مسعود]

## الوقت في حياة النبي عليه الصلاة والسلام:

كان عليه الصلاة والسلام مِن أشَدِّ الناس حِرْصاً على وقته، وكان لا يَمضي له وقتٌ مِن غير عَمَلٍ لله تعالى، أو فيما لا بدّ له لصلاح نفسه، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصف حالَ النبي صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**(( كان إذا أوَى إلى مَنْزله جَزّأ دُخولَه ثلاثة أجزاء: جُزءا للّه، وجُزءا لأهلْه، وجُزءا لنَفْسه، ثم جَزّأ جُزْءَهُ بَيْنَهُ وبين الناس، فيردَ ذلك على العامّة بالخاصّة ))**

[ابن سعد في الطبقات الكبرى، والبيهقي في شعب الإيمان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه]

أيها الأخوة الكرام، وفي السنة النبوية الشريفة إشارات إلى أهمية الوقت:

عن أبن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( اِغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحّتَكَ قَبْلَ سَقمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فقْرِكَ، وَفَرَاغِكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ))**

[أخرجه الحاكم في المستدرك، وابن أبي شيبة، والمنذري في الترغيب والترهيب عن ابن عباس ]

بل في حديث رائع عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**(( إِنْ قَامَتْ السّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ ))**

[أخرجه أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ]

لابن القيم رحمه الله تعالى قول في قيمة الوقت في حياة المسلم، يقول: "فالعارفُ ابنُ وقتِه، فإنْ أضاعَه ضاعت عليه مصالحُه كلها، فجميعُ المصالح إنما تنشأ مِنَ الوقت، فمتَى أضاعَ الوقتَ لم يستدركْه، فوقتُ الإنسانِ هو عمرُه في الحقيقة، وهو مادةُ حياتِه الأبديةِ في النعيم المقيم، ومادةُ المعيشة الضنكِ في العذابِ الأليم، وهو يمرّ أسرعَ مِن مَرِّ السحابِ، فما كان مِن وقتِه لله وبالله فهو

حياتُه وعمرُه، وغيرُ ذلك ليس محسوباً مِن حياته، وإنْ عاشَ فيه عيشَ البهائم، فإذا قطَعَ وقتَه في الغفلةِ والشهوةِ والأماني الباطلةِ، وكان خيرُ ما قطعه بالنوم والبطالة، فموتُ هذا خيرٌ له مِن حياته، وإذا كان العبدُ وهو في الصلاة ليس له من صلاته إلا ما عَقَلَ منها، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله وله".

## من جَهِل قيمةَ الوقتِ فسيأتي عليه موقفان خطيران يتذكّر فيهما قيمة الوقت:

أيها الأخوة الكرام، من جَهِل قيمة الوقتِ فسيأتي عليه موقفان خطيران، يتذكر فيهما قيمة الوقت.

### ١ـ ساعةُ الاحتضار:

الموقف الأول: ساعةُ الاحتضار، حينَ يودِّع الدنيا ويستقبلُ الآخرة، ويتمنّى لو مُنِحَ مهلة من الزمن، وأُخِّر إلى أجلٍ قريبٍ ليُصلِحَ ما أفسدَ، وليتداركَ ما فاتَ قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ(٩)وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنْ الصَّالِحِينَ(١٠)وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(١١) )**

( سورة المنافقون)

ويأتي الرد الإلهيّ:

**( وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(١١) )**

### ٢ـ في الآخرة:

الموقف الثاني: في الآخرة، حيث تُوفّى كلُّ نفسٍ ما عملتْ وتُجزَى بما كسبت، ويدخل أهلُ الجنةِ الجنة، وأهلُ النار النارَ، هناك يتمنّى أهلُ النار لو يعودون إلى دار التكليفِ، ليعملوا عملاً صالحاً، ولكنْ هيهاتَ هَيهاتَ، فقد انتهى زمنُ العمل، وجاء زمنُ الجزاءِ، قال تعالى:

**( وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ(٣٦)وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ (٣٧) )**

( سورة فاطر)

## القرآنُ يحذّر مِنَ الغفلة والتسويف أشدّ التحذير:

أيها الأخوة الكرام، أيها الأخوة الأحباب، القرآنُ يحذّر مِنَ الغفلة أشدّ التحذير، قال تعالى:

**( وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ )**

( سورة الأنعام )

آفةٌ أخرى أيها الأخوة، تصيبُ الناسَ، إنها التسويفُ، غداً، وبَعْدَ غدٍ، وسوف أتوبُ، وبعْد انتهاء العام الدراسي، وبعد تأسيس المحلّ، وبعْد الزواج، آفة أخرى هي التسويف، قال الحسن البصري رحمه الله: "إيّاكَ والتسويفَ، فإنّك بيومِك، ولستَ بغدك، فإنْ يكن غدٌ لك، فكنْ في غدٍ كما كنتَ في اليوم، وإنْ لم يكن لك غدٌ، فلنْ تندمَ على ما فرّطتَ في اليوم". وقيل لعالم جليل: أوصنا، فقال: احذروا ( سوف ) فإنها جند من جنود إبليس، ولله دَرُّ مَنْ قال:

**تَزَوّدْ مِنَ التّقوى فإنّكَ لا تـدري إذا جَنّ لَيْلٌ هل تعيشُ إلى الفَجْرِ**

**فكَمْ مِن سَليمٍ مَات مِن غير عِلّةٍ وكَمْ مِن سقيمٍ عَاشَ حِيناً مِنَ الدّهْرِ**

**وكَمْ مِن فتًى يُمسي ويُصبحُ آمناً وقد نُسِجَتْ أكفانُه وهو لا يَـدْري**

* * *

عبدُ اللهِ بن رواحة، صحابيٌّ جليل، القائدُ الثالثُ في معركةِ مؤتة ؛ ففيما تروي بعض السيرُ، حين قُتل زيدٌ، القائدُ الأولُ، ثم قُتل جعفرُ، القائدُ الثاني، وجاء دورُه في القيادة، وكان شاعراً، تردّد قليلاً في حَمْلِ الراية، وقال هذين البيتين:

**يا نفسُ إلاّ تُقْتَلي تَمُـوتِي هذا حِمَامُ الموتِ قدْ صَلِيتِ**

**وما تمنّيتِ فقد لقِيـــتِ إنْ تفْعلِي فِعْلَهُمَا هُدِيــتِ**

* * *

ثم أخَذَ الراية، وقاتلَ بها حتى قُتِلَ، وكان النبيُّ عليه الصلاة والسلام مع أصحابه فقال:

**(( أَخَذَ الرّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فقاتَلَ بِهَا حَتّى قُتِلَ شَهِيداً، ثُمّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ فقاتَلَ بِهَا حَتّى قُتِلَ شَهِيداً، ثُمّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ فقاتَلَ بِهَا حَتّى قُتِلَ شَهِيداً، لَقَدْ رُفِعُوا لِي فِي الْجَنّةِ فِيمَا يَرَى النّائِمُ عَلَى سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَرَأَيْتُ فِي سَرِيرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ ازْوِرَاراً عَنْ سَرِيرِ صَاحِبَيْهِ، فَقُلْتُ: بِمَ هَذَا ؟ فَقِيلَ لِي: مَضَيَا وَتَرَدّدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَعْضَ التّرَدّدِ وَمَضَى))**

[مجمع الزوائد وقال: أخرجه الطبراني عن رجل من الصحابة، وانظر حلية الأولياء والسيرة النبوية وتفسير القرطبي]

قرأتُ البيتين، وعددتُ الزمنَ، فكان الزمنُ عشرَ ثوانٍ فقط.

أرأيتم أيها الأخوة إلى هذا الترددِ الذي لا يزيد عن عَشْرِ ثوانٍ، كيف أنّه هَبَطَ بمنزلةِ صاحبه في الجنة، مع أنّه بَذَلَ حياتَه في سبيل الله، إنّ هذه القصة إنْ صحّتْ تؤكِّد قيمة الوقتِ في حياة المسلم.

## الشّمسُ هي الزمانُ:

أيها الأخوة الكرام، إلى الموضوع العلمي كما تعوّدتم، يقول الله تعالى:

**( وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) )**

( سورة يس)

الشّمسُ الزمانُ، وهي سببُ حصولِه، ومُنْشَعَبُ فروعِه، وأصولِه، وكتابُه بأجزائِه وفصولِه، لولاها ما اتّسقتْ أيامُه، ولا انتظمتْ شهورُه وأعوامُه، ولا اختلف نورُه وظلامُه، قال تعالى:

**( وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) )**

( سورة يس)

في مَوْقِعٍ معلوماتيّ في حقلِ الإعجازِ العلميّ في الكتاب والسنة وَرَدَتْ هذه الحقائقُ المذهلة،

**( وَالشَّمْسُ تَجْرِي )**

إنّ الشمسَ نجمٌ عاديٌّ، يقع في الثلثِ الخارجيّ لشعاعِ قرصِ المجرّة اللّبنية، وهي تجري بسرعة تقدر بمئتين وثلاثين كلم في الثانية حولَ مركزِ المجرةِ اللبنيةِ، الذي يبْعُدُ عنه ثلاثين ألف سنة ضوئية، ساحبة معها الكواكبُ السيّارةُ، التي تتبعُها حيثُ تُكمِلُ دورةً كاملة حول مجرّتها، فمنذُ ولادتِها التي ترجع إلى خمسةِ مليارات سنة تقريباً أكملتْ الشمسُ وما تبعَها من نجومٍ ثماني عشرةَ دورةً حولَ المجرةِ اللبنية، التي تجري نحوَ تجمّعٍ أكبرَ هو كُدْسُ المجرات، وكُدْسُ المجراتِ يجري نحو تجمّعٍ أكبرَ هو كُدْسُ المجراتِ العملاقُ، والكُدسُ المجموعةُ الكبيرةُ، فكل جرم في الكون يجري ويدورُ حولَ جرمٍ آخرَ، وهذا معنى قوله تعالى:

**( وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ )**

( سورة الطارق )

أي كلُّ نجمٍ يدورُ حولَ نجمٍ آخرَ، ويرجعُ إلى مكانِ انطلاقهِ النسبيّ، وهذه الحقيقةُ تنتظمُ الكونَ كلَّه، قال عز وجل:

**( وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا )**

تكرر الآية الكريمة التالية ستّ مرات في كتاب الله:

إنّ مستقرّ الشمس هو أجلُها المسمّى، والمقدّرُ لها مِنَ العزيز العليم، أي الوقت الذي فيه ينفدُ وقودُها فتنطفئُ، وهذا المعنى لمستقرّ الشمس نستنتجُه من الآية الكريمة التالية:

( الشّمْسَ وَالْقمَرَ كُلّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّى (٢))

( سورة الرعد)

وقد تكررت هذه الآية الكريمة ستّ مرات في كتاب الله، وهذه المواضع هي:

( اللّهُ الّذِي رَفَعَ السّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخّرَ الشّمْسَ وَالْقمَرَ كُلّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّى (٢))

( سورة الرعد الآية: ٢)

وقال:

( يُولِجُ اللّيْلَ فِي النّهَارِ وَيُولِجُ النّهَارَ فِي اللّيْلِ وَسَخّرَ الشّمْسَ وَالْقمَرَ كُلّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّى(١٣))

( سورة فاطر)

وقال:

( أَلَمْ تَرَى أَنّ اللّهَ يُولِجُ اللّيْلَ فِي النّهَارِ وَيُولِجُ النّهَارَ فِي اللّيْلِ وَسَخّرَ الشّمْسَ وَالْقمَرَ كُلّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمّى (٢٩))

( سورة لقمان)

وقال:

( وَالشّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقرّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) )

( سورة يس)

وقال:

( لَا الشّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقمَرَ وَلَا اللّيْلُ سَابِقُ النّهَارِ وَكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(٤٠) )

( سورة يس)

وقال:

( خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقّ يُكَوّرُ اللّيْلَ عَلَى النّهَارِ وَيُكَوّرُ النّهَارَ عَلَى اللّيْلِ وَسَخّرَ الشّمْسَ وَالْقمَرَ كُلّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّى (٥))

( سورة الزمر)

وهناك موضع آخر، وهو قوله تعالى:

( وَهُوَ الّذِي خَلَقَ اللّيْلَ وَالنّهَارَ وَالشّمْسَ وَالْقمَرَ كُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(٣٣) )

( سورة الأنبياء)

## تكرار الآية السابقة كي نتوقف عند الإعجاز العلميّ الكامنِ فيها:

تكرار الآية السابقة ربما كي نتوقف عند الإعجاز العلميّ الكامن فيها، فحتى القرن التاسع عشر كانت المعلوماتُ الفلكيةُ تقول بأزليّةِ النجومِ، أما تقديرُ العزيزِ العليمِ فهو بأنّ للشمس أجلاً مسمًّى كَكُلِّ المخلوقاتِ، ولم يكشفْ عِلمُ الفَلَكِ إلاّ في القرن العشرين أنّ النجوم تولَدُ، وتنمو، وتكبُر، وتهرم، وتموت، وقد أشار القرآن الكريم إلى موتِ الشمس بالتحديد فقال:

**( إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ(١))**

( سورة التكوير)

تكوير الشمس يعني موتَها ـ قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: **"والصواب مِن القول عندنا في ذلك أن التكوير جمْعُ الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العِمامة، وجمعُ الثياب بعضها إلى بعض، فمعنى قوله تعالى (كورت) جُمِعَ بعضُها إلى بعض، ثم لُفّتْ، فرُمِيَ بها، وإذا فُعِل بها ذلك ذهَب ضوءُها ".**

يقدّر علماء الفلك أنّ عمُرَ الشمس الحالي هو أربع مليارات سنة ونيّف، ويبقى فيها من الطاقة ما يمكّنها من أن تضيء لمدة ستة مليارات سنة أخرى، فينبغي ألا نقلق، وبعد ذلك تكون قد استنفدتْ وقودَها، فتدخل في فئة النجوم الأقزام، ثم تموت، وبموتها تنعدم إمكانية الحياة في كوكب الأرض، وينتهي الزمن بالنسبة للأرض، بمعنىً من معانيه.

أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطّانا إلى غيرنا، وسيتخطّى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخـطـبـة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## التحليل الإسلامي للحوادث:

أيها الأخوة، هناك مقولة توحيدية تملأ النفس أمناً ورضىً، وهي أنّ كل شيء وقع أراده الله، وأنّ كل شيء أراده الله وقع ؛ لأنه لا يمكن ولا يُعقَل أن يقع في مُلك الله ما لا يريد، فلكل واقع حكمة،

وليس كل مُوقِع من بني البشر حكيماً، إرادةُ الله التي سمحت لما حدث أن يحدث متعلقة بالحكمة المطلقة، أي أن الذي حدث لو لم يحدث لكان نقصاً في حكمة الله، ولكان اللهُ مَلُوماً، فلكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق، قال تعالى:

**( قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ )**

( سورة آل عمران الآية: ٢٦ )

لم يقل: بيدك الخير والشر.

أيها الأخوة الأحباب، الشرُّ المطلَقُ لا وجودَ له، بل هو يتناقض مع وجود الله، فالله عز وجل يوَظِّف الشرّ الذي في بعض النفوس، نفوس المعرضين عنه لخيرٍ كبيرٍ، ربما لا تُدرَك حكمتُه عاجلاً، ولا أدلّ على ذلك مِن حديثِ الإفكِ، حيث اتُّهمَتْ السيدةُ عائشةُ رضي الله عنها، بنتُ الصِّدِّيق، وزوجةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، اتُّهِمَتْ في أثمن ما تملك الأنثى، فكان التفسيرُ التوحيديُّ القرآنيُّ:

**( إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ )**

( سورة النور الآية: ١١ )

## ليست العبرة في التصديق وعدمِه بلْ في فَهْمِ الحدثِ وتحليلِه:

التفسير التوحيدي للحوادث لا يُلْغِي المسؤولية، لذلك قال تعالى:

**( لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١١))**

( سورة النور )

إنّ القضية الأساسية في التعاملِ مع الأحداثِ الجِسامِ ليس تصديقَ وقوعِها، أو عدمَ تصديقِه، فطبيعةُ العصر مِن حيث التواصلُ الإعلاميُّ المذهِلُ، وثورةُ المعلومات المتفجرة، واجتماعُ الأممِ والشعوبِ في غرفةٍ إعلاميةٍ واحدةٍ، يُلغي موضوعَ التصديق، أو عدمِ التصديق، ولكنّ العبرةَ في التعاملِ مع الأحداث الجِسامِ، تحليلُها التحليلَ الصحيح، ثم اتخاذُ موقف، والانطلاقُ لعملٍ مِن خلالِ هذا الموقفِ، ولنضربْ على ذلك مثلاً:

لو أنّ صاحبَ سيارةٍ في أثناءِ قيادته لها تألّقَ ضوءُ الزيت في لوحةِ البياناتِ التي أمامه، فالمشكلةُ ليست في تصديق التألّق، أو عدمِ تصديقه، لقد رأى تألّقَه بأمِّ عَيْنِهِ، ولكنّ المشكلة في فَهْمِ هذا التألّق، وتحليلِه، والسلوكِ الذي يُبنَى على هذا الفَهْمِ والتحليل، فلو فَهِمَ التألّقَ على أنّه ضوءٌ تزيينيٌّ، فتابَع السَّيْرَ، لاحترقَ المحرِّكُ، وتكلّفَ لإصلاحه مبلغاً كبيراً، وتعطّل السيرُ إلى هدفه، أما إذا فَهِمَ هذا

التألّقَ على أنه ضوءٌ تحذيريٌّ، أوقفَ السيّارةَ، وأضافَ الزيتَ، وسلِم محرّكُ السيارةِ من الاحتراق، وتابَعَ سَيْرُهُ إلى هدفه، فالعبرةُ لا في التصديق وعدمِه، بلْ في فَهْمِ الحدثِ وتحليلِه.

## التحليل الإسلامي والإضاءة القرآنية للحوادث تتجلى في آيات قرآنية لا تحتاج إلى تفسير:

الآن أيها الأخوة، إلى التحليلِ الإسلامي، والإضاءةِ القرآنيةِ لِمَا حَدَثَ، ولِمَا يحدثُ، ولِمَا سوف يحدثُ، آياتٌ قرآنية لا تحتاج إلى تفسير، قال عز وجل:

**( مَا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً(١٤٧) )**

( سورة النساء )

وقال عزّ مِنْ قائلٍ:

**( وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيّ الْمَصِيرُ(٤٨))**

( سورة الحج)

و: (ثُمّ) على التراخي. قال عز وجل:

**( إِنّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنّ عَلَى الّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) )**

(سورة القصص )

قال تعالى:

**( إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ (١٠) )**

( سورة الأحزاب )

في الخندق:

**( وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنّونَ بِاللّهِ الظّنُونَ(١٠)هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً(١١)وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ إِلّا غُرُوراً(١٢))**

( سورة الأحزاب )

وقال سبحانه:

**( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرّفُ الْآيَاتِ لَعَلّهُمْ يَفْقَهُونَ(٦٥) )**

( سورة الأنعام)

وقال سبحانه :

**( أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ )**

( سورة آل عمران الآية : ١٦٥ )

وقال سبحانه :

**( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠) )**

( سورة الشورى )

## الفرق بين المقاومة والإرهاب :

أيها الأخوة الأحبة ، لقد دخلت الانتفاضة الفلسطينية عامها الثاني ، مخلفة أكثر من ثلاثين ألف جريح ، وثلاثة آلاف معوَّق ، وسبعمئة قتيل ، نسأل الله أن يتقبل عملهم ، وأن يحشرهم مع الشهداء والصالحين ، ومع ذلك يصل إلى اليهود الدعمُ غير المحدود ، ويصل إلى الفلسطينيين النصحُ بضبط النفس ، ومع كل هذا الإرهاب الصهيوني الذي لم يشهد التاريخ له مثيلاً ، ومع كل ذلك يتحدث إعلام العدو عن محاربة الإرهاب ، لقد فرّق السيد الرئيس بين المقاومة والإرهاب ، وبين الإسلام والإرهاب ، موضحاً أن المقاومة حق حفظته الأعراف الدولية ، ونوَّه بالفرق بين قيمة الإنسان في الشرق وقيمته في الغرب ، مؤكداً أن الإنسانَ إنسانٌ في كل مكان ، وأنّ الإرهاب إرهاب في كل مكان .

وأضاف قائلاً : إنَّ معالجة الإرهابِ تبدأ مِن تعريفه ، لأنّه لا يمكن أنْ نقاتلَ عدوّاً لا نعرفه ، ولا نعرف عنه شيئاً ، ولا أين هو موجود ، وأنّ المعالجة تستدعي التعاملَ مع الأسباب لا مع النتائج .

وأوْضَحَ أنّ شعوبَ هذه المنطقةِ لا تستطيعُ أنْ ترى الإرهابَ العالميَّ مِن دون أنْ ترى الإرهابَ الإسرائيليَّ ، وأنّ سورية لا ترى بعين واحدة ، كما يرى الآخرون ، بل ترى بعينين اثنتين مفتوحتين ، بينما البعضُ يغمض عينيه ، والبعض الآخر لا يريد أن يرى أبداً .

وأكّد أنّ المقاومة حق دولي ، وأن عملَ المقاومِ هو غيرُ الإرهاب ، ولا يمكن أن يعدَّ إرهاباً ، كما أنه لا يمكنُ أن يعدّ أحدٌ في الغرب أنَّ المقاومة الفرنسية للاحتلالِ النازيّ بقيادةِ الرئيس ديغول كانت عملاً إرهابياً ، ولا أحدَ يتّهمُ ديغولَ بأنه كان إرهابياً ، ويجب أنْ تكون المعاييرُ واحدةً .

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٥٨) : خ١ - الجهاد في فلسطين ، خ٢ - صورة مشرقة من ماضينا.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٤-١٩

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولـى:**

## بطولات ومواقف مشرفة لأمهات مسلمات:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، هذه الخطبة موجهة إلى أخوتنا المجاهدين في الأراضي المحتلة.

أمٌ من فلسطين تقول لولدها وهو في ريعان الشباب: يا بني الشهادة في سبيل الله شرف، الشهادة في سبيل الله وسام، وأنا اليوم مسرورة بك لأنني سأغدو أم شهيد، ثم تقول: أناشد أخواتي الفلسطينيات أن يقفن من وراء أبنائهن، وأزواجهن، وأخوانهن، وآبائهن يشاركنهم في الجهاد بالصبر والثبات وتربية الأبناء على موائد القرآن، ليس حفظاً فقط ولكن تطبيقاً وعملاً، وأن يزرعن الإيمان في قلوبهم، هذا الإيمان الذي سيدفعهم حتماً إلى مقارعة أعداء الله، فإذا غرسنا بذرة الخير في الطفل فسوف يعرف ما له وما عليه، وسيعرف كل معاني الخير ويتعلق بها، وليس لنا خير في هذه الدنيا سوى ديننا الذي هو عصمة أمرنا كله وبعد ذلك لا يصعب عليه شيء، وسيحمل سلاحه ويحمي هذا الدين.

أناشدكم يا أخواتي، يا نساء فلسطين الصابرات الصامدات ألا تبخلن على الله بفلذات أكبادكن، فو الذي نفسي بيده لهو أرحم منا بهم، فلا تبخلن على أبنائكن بالجنة التي وعدها الله للشهداء والمجاهدين، فهذه فرحتنا نحن وأبناؤنا وأخواننا وأزواجنا وآباؤنا أن نفوز بإحدى الحسنيين.

ذكرتنا هذه الأم بتلك المرأة التي دخلت أحداً وهي تقول: ما فُعل برسول الله ؟ فاستقبلها من يخبرها باستشهاد ولدها، وتبــقى تقول: ما فعل برسول الله ؟ هي ليست غير مكترثة بولدها، لكن هدفها وأملها وعيونها متعلقة بالهدف الأسمى، ويأتيها آخر ليقول لها: لقد استُشهد زوجك، فتقول: ما فعل برسول الله ؟ وثالث يقول لها: لقد استشهد أخوك، وتجيب ما فعل برسول الله ؟ وتأتي لتكحل عينها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو حيٌ يرزق، فتنظر إليه وتدمع عيناها، إنها دموع الإيمان والوفاء لهذا الدين، ولصاحب هذه الرسالة، إنها دموع الحب والتضحية، تنظر إلى رسول الله وتقول: كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله، لا أبالي إذا سَلِمتَ بمن هلك.

ذكرتنا هذه المرأة بالخنساء التي استقبلت أربعةً من أولادها شهداء، فقالت كلمتها الرائعة الشهيرة: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم جميعاً، وأرجو الله أن يجمعني معهم في مستقر رحمته.

ذكرتنا هذه المرأة بأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما حينما جاءها ولدها يقول لها: يا أماه ! لا أخاف من القتل، ولكنهم لؤماء، فإن قتلوني صلبوني، قالت: يا بني اذهب، فإن الشاة إذا ذبحت لا يضرها السلخ بعد الذبح.

## مواقف عن بطولات خالدة:

بطولة أخرى ؛ زهرة نديِّة فوّاحة، وغصن بانٍ غضّ، وقطرة ندى في فجر يوم ربيعي، تربط الحزام الناسف على الخاصرة الفتية، تغطيه بثوب الإباء ورفض الضيم، وتنسل من بين طوابير الجفاة أغلاظ الأكباد المدججين بالسلاح من مجرمي العدو، تنسل مودعة الأرض بأخمص قدمها، سائرة وبكل ثقة إلى حيث الموت والتمزيق، رافضة إتاحة الفرصة للعاطفة وللذكريات ولخفقات القلب أن تعبث بخطواتها المتروية، السائرة إلى النهاية التي تقطعها من كل صلة بهذا العيش، وأمانيه، وأحلامه، وأمها، وأبيها، وأخوتها، وأخواتها، وصديقاتها، والحديقة، واللعبة، ضاربة وفي آخر لحظة مثلاً يحتذى، وقدوة خالدة، قائلة لأمها: غداً يأتيك خُطّاب لي كثر.

فإلى أصحاب الزنود السمر والعضلات المفتولة، أليس عاراً وشناراً، وفضيحة وذبحاً للرجولة ؛ أن تنهض طفلة بريئة وادعة نظرت إلى الموقف بعين جردتها من كل أنانية وطمع فقدّرت أنه لا بد من عمل شيء لمجد هذه الأمة ودينها ؟! وكأنها تقول للكرام الأحرار العظماء من أبناء أمتها: هذا هو لحمي، وعظمي، وعصبي، ودمي، وخصلات شعري أجعله لثاماً يغطي وجه القاعدين عن البذل، المؤثرين للدعة والراحة. قال معاذ بن عفراء:

**(( يا رسول الله، ما يضحك الربّ من عبده ؟ قال: غمس يده في العدو حاسراً، قال: فألقى درعاً كانت عليه، فقاتل حتى قتل ))**

[ابن أبي شيبة والبيهقي عن معاذ بن عفراء]

عن أبي إسحاق السبيعي قال: سمعت رجلاً سأل البراء بن عازب: أرأيت لو أن رجلاً حمل على الكتيبة، وهم ألف، ألقى بيده إلى التهلكة ؟ قال البراء: لا، ولكن التهلكة أن يصيب الرجل الذّنب فيلقي بيده إلى التهلكة، ويقول: لا توبة لي.

[ذكره ابن حزم في المحلى ]

ولم ينكر أبو أيوب الأنصاري ولا أبو موسى الأشعري أن يحمل الرجل وحده على العسكر الجرار، ويثبت حتى يقتل.

وقصة أبي أيوب في القسطنطينية معروفة مشهورة، وفيها أن رجلاً من المسلمين حمل على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس، وقالوا: سبحان الله ! يلقي بيديه إلى التهلكة ؟ فقام أبو أيوب، فقال: أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، إنما نزلت فينا معشر الأنصار، لما أعز الله

الإسلام، وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سراً: إن أموالنا ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام، وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم هذه الآية.

## مواقف أخرى عن أبطال اشتروا الآخرة بالدنيا:

في بعض المصادر أن البراء بن مالك أمر أصحابه أن يحملوه على ترسٍ على أسِنَّة رماحهم، ويلقوه في الحديقة، فاقتحم إليهم، وشد عليهم، وقاتل حتى فتح باب الحديقة، وجرح يومئذٍ بضعة وثمانين جرحاً.

وقد جاء في صحيح مسلم من حديث صهيب المعروف، قول الغلام للملك الذي عجز عن قتله: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك، قال: وما هو ؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، وفيه أن الملك فعل ما أمره به، فمات الغلام، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام.

هذا الغلام قد أرشد الملكَ إلى الطريقة التي يتحقق بها قتله، ثم نفذها الملكُ، وتحقق بها ما رمى إليه الغلام من المصلحة العظيمة العامة من إيمان الناس كُلِهم بالله بعدما بلغهم خبره، وما أجرى الله له من الكرامة.

وفي حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**((الذين يلقون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، ويضحك إليهم ربك، إن ربك إذا ضحك إلى قومٍ فلا حساب عليهم))**

[رواه ابن أبي شيبة و الطبراني، وابن المبارك في الجهاد عن أبي سعيد الخدري]

كما روى ابن أبي شيبة عن مدرك بن عوف الأحمسي قال: كنت عند عمر رضي الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين، ورجل شرى نفسه، فقال مدرك بن عوف: ذاك والله خالي يا أمير المؤمنين، زعم الناس أنه ألقى بيده إلى التهلكة، فقال عمر: كذب أولئك، ولكنه ممن اشترى الآخرة بالدنيا.

وقال محمد بن الحسن الشيباني في السير: أما من حمل على العدو فهو يسعى في إعزاز الدين، ويتعرض للشهادة التي يستفيد بها الحياة الأبدية، فكيف يكون ملقياً نفسه إلى التهلكة ؟ ثم قال: لا بأس بأن يحمل الرجل وحده، وإن ظن أنه يقتل، إذا كان يرى أنه يصنع شيئاً، فيقتل أو يجرح أو يهزم، فقد فعل ذلك جماعة من الصحابة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، ومدحهم على ذلك.

قيل لأبي هريرة: ألم تر أن سعد بن هشام لما التقى الصفان حمل فقاتل حتى قتل وألقى بيده إلى التهلكة، فقال: كلا، ولكنه تأوّل آية في كتاب الله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله.

## البحث في كل مظنة ضعف عن سبب قوة كامنة فيه:

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في مسألة **" حمل الواحد على العدد الكثير من العدو أن الجمهور صرحوا بأنه إذا كان لفرط شجاعته، وظنه أنه يرهب العدو بذلك أو يجرئ المسلمين على أعدائهم أو نحو ذلك من المقاصد الصحيحة فهو حسن، ومتى كان مجرد تـهورٍ فممنوع، لا سـيما إن ترتب على ذلك إضعاف المسلمين ".**

ومن التضليل والتحيز في المصطلح أن يسمى هذا **" إرهاباً "** إذا كنا سنجاري الصيغة العالمية في إدانته، أما إذا صح لنا تقسيم الإرهاب إلى إرهاب مذموم، وإرهاب محمود، فهذا ممكن، وليكن الدفاع عن الأوطان، والأعراض، والأديان، من الإرهاب المحـمود " تُرْهِبُون به عدوّ الله وعدوّكم " والمسألة بكل حال هي مسألة مصطلح.

إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف ليس دعوة إلى الرضى بالضعف، أو السكوت عليه، بل هو دعوة لاستشعار القوة حتى في حالة الضعف، إذاً يجب أن نبحث في كل مظنة ضعف عن سبب قوة كامنة فيه، ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجدوه، ولصار الضعف قوة، لأن الضعف ينطوي على قوة مستورة يؤيدها الله في حفظه ورعايته، فإذا قوة الضعف تهد الجبال وتدق الحصون:

**أنـت قويّ وهذا سر ضعفك  وأنا ضعيف وهذا سر قوتي**

**يا عابدَ الحرمينِ لَوْ أبْصرتنا  لعلمتَ أنّكَ بالعبــادة تلعبُ**

**مَنْ كان يَخْضُب خَدّه بدموعه  فنحورنا بدمائنــا تتخضب**

* * *

## سبل الجهاد المتاحة لنا دعماً لجهاد أخوتنا في الأراضي المحتلة:

والآن أتوجه إلى الأخوة المؤمنين في العالمين العربي والإسلامي: ما سبل الجهاد المتاحة لنا دعماً لجهاد أخوتنا في الأراضي المحتلة ؟

### ١ـ مقاطعة البضائع الأجنبية:

من موقع معلوماتي أنقل لكم الإحصاء التالي، وأضع بين أيديكم الحقيقة التالية: شركة واحدة من شركات الدخان في بلد يدعم العدو تربح من مبيعاتها للعالم الإسلامي ثمانين مليون دولار يومياً،

يعود على الكيان الصهيوني منها تسعة ملايين دولار كل يوم بحسب اتفاق بينهما، فما القول بأرباح بقية شركات الدخان، وشركات المطاعم المنتشرة في شتى بقاع العالمين العربي والإسلامي، وشركات المشروبات الغازية التي تحقق أرباحاً فلكية، وشركات السيارات التي يتصدر الإعلان عنها معظم المحطات الفضائية في العالم العربي ؟!

أيها المسلم في شتى بقاع الأرض لو لم تتلق توجيهاً من قيادة بلدك بضرورة المقاطعة، والتمس لها العذر إذا شئت، ألا تستطيع أن تمتنع ذاتياً عن شراء بضاعة من صنع بلد يدعم العدو المجرم بأسلحة فتاكة يبيد بها الشعب الفلسطيني، تتساءل بعدها ماذا نفعل لنصرة أخوتنا في فلسطين ؟ وهل تظن أن أحداً يجبرك على شراء هذه البضائع، أو يسألك لمَ لمْ تشتر ؟ هذا نوع من الجهاد الداعم لجهاد أخوتك في الأراضي المحتلة وهو متاح لك.

### ٢ ـ اقتطاع مبلغ من أموالنا وإرساله بطريقة نظيفة وآمنة إلى أخوتنا في فلسطين:

أيها المسلم في شتى بقاع الأرض يقول الرسول الكريم في الحديث الصحيح:

**((مَنْ جَهّزَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا))**

[متفق عليه عن زيد بن خالد الجهني]

ألا تستطيع أيها الأخ المسلم أن تقتطع من مالك مبلغاً ترسله في قناة نظيفة آمنة بعد البحث عنها إلى أخوتك في الأراضي المحتلة، وقد هدمت بيوتهم، ودمرت ممتلكاتهم، وجرفت مزارعهم، وأتلفت أدويتهم، وأعدم رجالهم رمياً بالرصاص، وسيق أبناؤهم إلى السجون والمعتقلات، وقطعت عنهم الكهرباء، فتلفت مدخراتهم الغذائية، وقطعت عنهم المياه فشربوا المياه المالحة، أتهنأ في حياتك، وأنت معافى في أهلك وولدك، آمناً في بيتك، عندك قوت يومك، وأخوتك في الأراضي المحتلة يعانون ما يعانون، تسمع بأذنك أخبارهم، وترى بعينيك أحوالهم، إنك إن لم تحمل همهم، ولم تتحرك نحوهم، فأنت أولاً لست من المسلمين بدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام:

**((من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يمسِ ويصبح ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم))**

[أخرج بعضه السيوطي في الجامع الصغير عن ابن مسعود، وأبو نعيم في الحلية عن أنس]

وإذا ظننت أن الذي أصابهم لن يصيبك فأنت واهم، لأن أطماع أعدائنا لا تقف عند حد، وكتب زعمائهم تصرح بأطماعهم من دون مواربة أو حياء، وتقول بعدها: ماذا أفعل ؟ ليتني أكون معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

أيها المسلم في شتى بقاع الأرض يقول الرسول الكريم في الحديث الصحيح:

**((مَنْ خَلَفَ غَازِياً فِي أَهْلِهِ بِخَيرٍ فَقَدْ غَزَا))**

[البخاري و مسلم عن زيد بن خالد الجهني]

ألا تعلم أن عدداً كبيراً من أبناء أخوتنا في الأراضي المحتلة يدرسون في جامعات عربية وأجنبية، وأنه قد قطعت عنهم الإمدادات من أهليهم بسبب سياسة الحصار والإفقار التي يمارسها العدو الصهيوني على أهلنا في فلسطين، فهل تعلم أنك إذا خلفت هؤلاء الأهل في أبنائهم بخير فلك مثل أجرهم، كما قال عليه الصلاة والسلام، وتقول بعدها: ماذا أفعل ؟ ليتني أكون معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

## ٣ ـ إلغاء كل أنواع الترف والبذخ ومشاركة أخوتنا في فلسطين مصابهم:

أيها المسلم في شتى بقاع الأرض ألا يقتضي انتماؤك لهذه الأمة التي حينما استجابت لربها جعلها الله خير أمة أخرجت للناس، والتي حينما قصرت في أداء رسالتها تطبيقاً ودعوة ذاقت وبال أمرها، ولقيت الغي الذي توعدها الله به حيث أضاعت الصلاة، واتبعت الشهوات، ألا يقتضي انتماؤك لهذه الأمة التي لا يدرى أولها خير أم آخرها أن تشارك أخوانك في فلسطين مصابهم، فتلغي كل ألوان البذخ والترف، علماً بأن هذا السلوك يتنافى مع منهج المؤمن، والمسلمون في أحسن حال، فكيف إذا كان جيرانك المؤمنون في أسوأ حال، فهذه الحفلات التي تقام في ردهات الفنادق، وفي أبهاء المطاعم، وفي حدائق المزارع، والتي تبذل فيها الأموال الطائلة في مناسبات وفي غير مناسبات، فتحول هذه الأموال الطائلة لمن هدمت بيوتهم، وقتل رجالهم، وأسر شبابهم، وهم قابعون في العراء، لا يجدون من ينصفهم ولا من يرحمهم ألم يصلك قول رسول الله عليه الصلاة والسلام:

**((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى))**

[مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عن النعمان بن بشير]

وتقول بعد هذا: ماذا أفعل ؟ ويا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

وقد جاء في حاشية الدسوقي أنّ: **" من كان يملك فضل طعام ورأى جائعاً وتركه حتى مات فإنْ كان صاحب الطعام متأولاً أي يظنه لا يموت فإنّه يدفع ديته من عاقلته (أقاربه) وإن كان عامداً فقد جاءت روايتان في المذهب، إحداهما: أنه يدفع ديته من ماله الخاص، والرواية الثانية: أنّه يقتص منه على أنه قاتل ".**

## ٤ ـ الالتجاء إلى الله والتضرع له والتذلل على أعتابه:

أيها المسلم في شتى بقاع الأرض بقي باب رابع من أبواب الجهاد المفتحة أمام كل واحد منا ؛ هو باب الالتجاء إلى الله، والتضرع له، والتذلل على أعتابه، وقد ورد في صحيح مسلم:

**(( إذا كان ثلث الليل الأخير نزل ربكم إلي السماء الدنيا فيقول: هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له ؟ حتى يطلع الفجر ))**

[ أخرجه أحمد عن أبي هريرة]

ألا تملك أيها المسلم أن تتوب إلى الله توبة نصوحاً، ثم تدعو الله بصدق وتضرع وإخلاص لأخوانك في فلسطين أن ينصرهم على أعدائهم أعداء الله، وأعداء الحق، وأعداء الخير، وأعداء البشرية، أعداء الحياة الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، فاسأل الله في دعائك أن يصب عليهم سوط عذاب، إن ربك لبالمرصاد.

## آيات تؤكد نصر الله تعالى لعباده المؤمنين:

قال تعالى:

**(وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنّ فِي الْأَرْضِ مَرّتَيْنِ وَلَتَعْلُنّ عُلُوّاً كَبِيراً (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً (٥) ثُمّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوّلَ مَرّةٍ وَلِيُتَبّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً )**

( سورة الإسراء )

وقال:

**(وَلَا تَحْسَبَنّ اللّهَ غَافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ إِنّمَا يُؤَخّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ)**

( سورة إبراهيم )

وقال:

**(لَا يَغُرّنّكَ تَقَلّبُ الّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمّ مَأْوَاهُمْ جَهَنّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنِ الّذِينَ اتّقَوْا رَبّهُمْ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَمَا عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ)**

(سورة آل عمران)

ثم إنني لأسمح لنفسي أن أتكلم عن حقيقة مرة، لتصحو الرؤوس من وهم مريح: هؤلاء الأعداء الأقارب والأباعد، حققوا شروطاً صعبة جداً، بنوا بها قوتهم، خلال مئات من السنين، فأملوا بسبب قوتهم إرادتهم وثقافتهم على بقية الشعوب، فأفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة.

## علينا أن نعد لأعدائنا ما نستطيع من قوة بمفهوم القوة الواسع:

نحن المسلمين ينبغي علينا من خلال الأمر القرآني لنا أن نعد لهم ما نستطيع من قوة بمفهوم القوة الواسع، فأسرنا ينبغي أن تتماسك، وأمهاتنا ينبغي لهن أن يتفرغن لتربية أولادهن، وطالبنا ينبغي أن يتفوق، ومعلمنا ينبغي له أن يحمل رسالة سامية يسعى لتحقيقها، وعاملنا ينبغي أن يتقن، وفلاحنا ينبغي أن يرتبط بأرضه ليزرعها، وموظفنا ينبغي أن نعطيه حقه، وينبغي له أن يتفانى في خدمة دافعي الضرائب، وقاضينا ينبغي أن يعدل، وعالمنا ينبغي أن يؤثر خدمة أمته على حظوظه من الدنيا، وداعيتنا ينبغي أن ينصح لا أن يمدح، وضابطنا ينبغي له أن يوقن أن المعركة مع العدو قادمة لا محالة، وأن حديث العدو عن السلام مراوغة وكذب وكسب للوقت ليس غير، وثرواتنا ينبغي أن تستخرج، ومصانعنا ينبغي أن تتطور، وأرضنا ينبغي أن تستصلح، ومياهنا ينبغي أن يرشد استهلاكها، وهذا لا يكون إلا بإيمان بالله يحملنا على طاعته، وإيمان باليوم الآخر يحملنا على ألا نظلم بعضنا بعضاً، وأن نطلب جزاء جهدنا وجهادنا في الجنة، وهذا نوع من الجهاد لا تقطف ثماره عاجلاً بل آجلاً.

وحين تقول لطالب: واصل دراستك وكن متفوقاً، وخطط لسنوات قادمة لتكون شيئاً مذكوراً في حياة الأمة ومستقبلها، لاستثقل هذا، وآثر سماع الأخبار، وأن يكون منفعلاً لا فاعلاً، إن بعض الاندفاع قد يضاعف المعاناة بدلاً من حلها. وهنا يبرز معنى " الجهاد " بمفهومه الواسع الذي هو بذل أقصى الوسع وغايته، واستفراغ الطاقة في تحصيل المراد. والغفلة عن المستقبل ستجعلنا مشغولين أبداً بإطفاء الحرائق هنا وهناك عن العمل الجاد الذي يخفف المعاناة عن أجيالنا اللاحقة. وأن علاج الجرح المفتوح على أهميته يجب ألا ينسينا التفكير في مستقبل أجيالنا التي سوف تتساءل: هل تركنا لها شيئاً آخر غير الجراح ؟!

## النجاح يكمن في أن يستخدم المرء عقله قبل يده:

ينبغي أن يفكر الفرد الواحد في الموقع الذي يفرغ فيه طاقته، ويؤدي من خلاله دوره ورسالته، وبتحديد هدفه يبدأ بالمسير إليه وبخطى ثابتة يقطع مراحل منه، فيكون قد رسم الهدف وحدد الطريق وبدأ السعي، وهذا يوصل وفق السنة الربانية إلى الهدف، ومن ثم تتزايد الأعداد الإيجابية التي تمارس دورها بشكل صحيح بدلاً من أن تتساءل هذه الأعداد فقط ماذا نعمل ؟ ثم لا تعمل شيئاً.

ولا ينبغي ألا يكون تفكير الفرد الواحد دائماً هو أن يرفع المعاناة عن الأمة كلها، فالواحد القادر على رفع المعاناة كلها هو الله عز وجل. أما البشر فيكفي أن يستفرغ المرء جهده وطاقته ولا يدخر منها شيئاً في موقع معين، ثم لا يضيره أن تتحقق النتائج على يد غيره بعد وضع الأساس وبدء البناء.

إن رَفْع المعاناة عن الأمة يتطلب عدداً كبيراً من المؤمنين الواعين المخلصين المضحين في جميع الميادين، وهذا ما يجب السّعْي إليه، ولأن ينجح فرد في إعداد مجموعة من المواطنين إعداداً إيمانياً وعلمياً وعقلياً وخلقياً ونفسياً واجتماعياً وجسدياً أحب وأنفع من أن يلقي بنفسه في أتون نار تقول: هل من مزيد، إن النجاح يكمن في أن يستخدم المرء عقله قبل يده، كما يفعل أعداؤنا. الأندلس فلسطين العرب الأولى، داهمها الخطب، وفعل بها الفرنجة ما يفعله الصهاينة اليوم بالشعب الفلسطيني، فقال أحد شعرائها يستصرخ المسلمين في المشرق، وكأن التاريخ يعيد نفسه:

**يا راكبين عتاق الخيل ضامـرة كأنها في مجال السبق عقبان**

**وحاملين سيوف الهند مرفهـة كأنها في ظلام النقع نيـران**

**و راتعين وراء البحر في دعـةٍ لهم بأوطانهم عز و سلطـان**

**أعندكم نبأ من أهـل أنـدلس فقد سرى بحديث القوم ركبـان**

**كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قتلى و أسرى فما يهتز إنسـان**

**فلو تراهم حيارى لا دليل لهـم عليهم في ثياب الذل ألـوان**

**يا رب أمٍ وطفلٍ حيل بينهمـا كما تفرق أرواح و أبـدان**

**وطفلة مثـل حسن الشمس إذ طلعت كأنما هي ياقوت ومرجان**

**يقودها العلج للمكروه مكرهـة والعين باكية والقلب حيـران**

**لمثل هذا يبكي القلب من كمـدٍ إن كان في القلب إسلام وإيمـان**

* * *

## علينا أن نتعرف إلى أفكار وتصورات عدونا وأهدافه القريبة والبعيدة:

من الإعداد لعدونا الذي أمرنا به أن نتعرف إلى أفكاره وتصوراته وأهدافه القريبة والبعيدة، فمن هذا المنطلق أن شارون قال لصحفي إسرائيلي في سنة ١٩٨٢: إنه لن يكون أفضل من ترومان الذي قتل نصف مليون ياباني بقنبلتين جميلتين، قال: ربما سيكرهني العالم وسيخشاني بدلاً من أن أشتكي إليه، وربما يخاف من ضرباتي الجنونية بدلاً من أن يعجب بروحي الجميلة، وليرتجف مني وليعامل بلدي كبلد مجانين، وليقل: إننا متوحشون، وإننا نمثل خطر الموت لجميع الجيران، وإننا جميعنا غير أسوياء، ونستطيع أن نغرس أزمة فظيعة إذا قتل طفل واحد منا، وأن نفجر بسبب ذلك آبار البترول في جميع الشرق الأوسط"!

وقد قال مندوب لصحيفة، وهي واحدة من أشهر ثلاث صحف في بلد يدعم أعداءنا: لا توجد قيم ولا أخلاق، وإنما هي القوة، والقوة وحدها، ومنذ خمسة آلاف سنة والقوي يفرض ما يريد، وكلما أمعن في القوة كسب أكثر، فنحن حينما استأصلنا الهنود الحمر، والإنكليز حين استأصلوا سكان استراليا الأصليين نجحنا في حسم المعركة. بينما البيْض في جنوب أفريقيا لأنهم كانوا أرحم، ولم يستأصلوهم بالكلية انقلبوا عليهم، وانتصروا في النهاية !

أرأيتم إلى الفكر التي ينطلق منه أعداؤنا ومن يدعمهم ؟ ونحن نقول استناداً إلى الحق الذي هو وحي السماء: القوة لا تصنع الحق، ولكن الحق يصنع القوة، والقوة من دون حكمة تدمر صاحبها، قال تعالى:

**(فَأَتَاهُمُ اللّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ)**

(سورة الحشر)

## نتائج الظلم:

إن نتائج الظلم لا يمكن ضبط حساباتها، ولا تقدير ردود أفعالها، وذلك أن ردود فعل المقهورين والمظلومين كشظايا القنابل تطيش في كل اتجاه، وتصيب من غير تصويب.

إن ردود أفعال المظلومين والموتورين لا يمكن التحكم في مداها ولا اتجاهها، وإنها تطيش متجاوزة حدود المشروع والمعقول، مخترقة شرائع الأديان، وقوانين الأوطان، وتكفر أول ما تكفر بهذه القوانين التي لم توفر لها الحماية أولاً ؛ فلذا لن تقبلها حامية لأعدائها، فإن العلاج الأول والحقيقي هو نزع فتيل الظلم الذي يشحن النفوس بالكراهية والمقت، ويعمي البصائر والأبصار عن تدبر عواقب الأمور والنظر في مشروعيتها أو نتائجها.

حين ينتظر الناس طويلاً قبل أن ينالوا حقوقهم فمن المرجح أنهم سيتصرفون في فترة الانتظار بطريقة يصعب توقعها. والدليل على صدق هذا الكلام أنهم قالوا بلسان كبير مجرميهم: ليست مشكلتنا اليوم مشكلة أمن بل مشكلة بقاء لذلك جاءت ضربتهم ضربة من فقد صوابه. يقول السيد الرئيس في كلمته القيمة في مؤتمر القمة المنعقد في بيروت: **" من لا يمتلك الفكر المضاد للإرهاب لا يستطيع أن يكافح الإرهاب، ولا أن يتحدث عنه، ولا نستطيع أن نرى الإرهاب الأصغر ونتعامى عن الإرهاب الأكبر، وأي طرح للإرهاب في العالم ولا تكون إسرائيل هي محوره فهو طرح ناقص غير موضوعي ".**

أيها الأخوة الأكارم، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخـطـبـة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## صورة مشرقة من ماضينا:

أخوتي المؤمنين، أعزائي المستمعين، في غمرة الألم الساحق والاقتراب من اليأس القاتل، وفي غفلة عن ماضي هذه الأمة المشرق، ينبغي أن أضع بين يدي حضراتكم صورة مشرقة من ماضينا، لا أسوقها تغنياً بها فالاكتفاء بالتغني بالماضي من صفات الأغبياء بل لتكون باعثاً للأمل في النفوس، ودافعاً لعمل مثمر نستعيد به مجد أمتنا وألق حضارتنا.

يوم تمّ فتح مدينة القدس من قبل المسلمين وبقيادة البطل صلاح الدين، وتم تحريرها من أيدي الغزاة الطامعين، وها نحن أولاء نرى القلوب قد امتلأت بالفرح، والوجوه قد عمها البشر، ونسمع الألسنة وقد لهجت بالشكر، لقد علت الرايات، وعلقت القناديل، ورُفع الأذان، وتُلي القرآن، وصفت العبادات، وأقيمت الصلوات، وأديمت الدعوات، وتجلت البركات، وانجلت الكربات، وزال العبوس، وطابت النفوس، وفرح المؤمنون بنصر الله.

وها نحن أولاء ندخل المسجد الأقصى، فإذا المسلمون وفيهم صلاح الدين وجنده يجلسون على الأرض، لا تتفاوت مقاعدهم، ولا يمتاز أميرهم عن أحد منهم، قد خشعت جوارحهم، وسكنت حركاتهم هؤلاء الذين كانوا فرساناً في أرض المعركة، استحالوا رهباناً خُشعاً كأن على رؤوسهم الطير في حرم المسجد، وها هو ذا خطيب المسجد محي الدين القرشي قاضي دمشق يصعد المنبر، ويلقي خطبته، ولو ألقيت على رمال البيد لتحركت وانقلبت فرسانا، ولو سمعتها الصخور الصم لانبثقت فيها الحياة، لقد افتتحها بقوله تعالى:

**(فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)**

( سورة الأنعام )

وها نحن أولاء نستمع إلى فقرات من خطبته:

" أيها الناس ابشروا برضوان من الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا، لما يسّره الله على أيديكم، من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة، وردّها إلى مقرها من الإسلام، بعد ابتذالها في

أيدي المعتدين الغاصبين قريباً من مئة عام، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يُرفع ويُذكر فيه اسمه، من رجس الشرك والعدوان.

ثم قال محذراً: **إياكم عباد الله أن يستزلكم الشيطان، فيُخيل إليكم أن هذا النصر كان بسيوفكم الحداد، وخيولكم الجياد، لا والله وما النصر إلا من عند الله، فاحذروا عباد الله بعد أن شرّفكم الله بهذا الفتح الجليل، أن تقترفوا كبيرة من مناهيه، انصروا الله ينصركم، خذوا في حسم الداء وقطع شأفة الأعداء ".**

## جرائم أعدائنا جعلتنا نصحو بعد غفلة:

وها نحن أولاء نخرج من المسجد الأقصى، ونلتقي بأحد الفرنجة الذين شهدوا فتح القدس، وها هو ذا يحدثنا فيقول: إن المسلمين لم يؤذوا أحداً، ولم ينهبوا مالاً، ولم يقتلوا مُسالماً ولا مُعاهداً، وإن من شاء منا خرج وحمل معه ما شاء، وإنا بعنا المسلمين ما فضُل من أمتعتنا فاشتروها منا بأثمانها، وإننا نغدو ونروح آمنين مطمئنين، لم نرَ منهم إلا الخير والمروءة، فهم أهل حضارة وتمدُّن، وصدق من قال: **" ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم منهم ".** أخوتي المؤمنين، يقول الله عز وجل في محكم كتابه:

**(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)**

( سورة البقرة الآية: ٢١٦ )

من يدري أن هذه المحنة الشديدة التي يمر بها المسلمون، وراءها منحة ثمينة من رب العالمين، وأن هذه الشدة التي نزلت بالمؤمنين وراءها شدة إلى الله رب العالمين، وأن كبير مجرمي العدو سخره الله من دون أن يريد، ومن دون أن يشعر لتوحيد المسلمين، وشحذ هممهم، وبث روح البطولة والتضحية فيهم، وأن كبير مجرمي العدو سخره الله من دون أن يريد، ومن دون أن يشعر لنعود إلى ديننا، والى قرآننا، وإلى سنة نبينا، لنصحو بعد غفلة، ولنقوم بعد قعود، ولنتحرك بعد سكون، ولنتعاون بعد تنافس، ولنصطلح بعد خصام.

ولأن الإيمان بالله لا يكون إلا بعد أن نكفر بالطاغوت، لقد أعاننا أعداؤنا بجرائمهم التي يشيب لهولها الولدان، أن نكفر بهم، وبحضارتهم، وبمنجزاتهم، وأن نلتفت إلى ديننا وحضارتنا وأبناء جلدتنا.

**عداتي لهم فضل علي ومنـة فلا أذهب الرحمن عني الأعاديا**

**هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعالـيا**

* * *

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٥٩) : خ١ - عالمية الإسلام وعولمة الغرب ، خ٢ - القمح .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٨-٠٢

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

## عالمية الإسلام وعولمة الغرب:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، موضوع الخطبة اليوم: عالمية الإسلام وعولمة الغرب.

عالمية الإسلام تعني أن الإسلام لم يكن يوماً للعرب، ولم يكن القرآن يوماً لقريش، فهو منذ اليوم الأول ؛ سواء وهو يخاطب العشيرة الأقربين، أو يخاطب قريشاً، أو يخاطب العرب أجمعين، أو يخاطب الناس كافة، إنما يخاطبهم بمبدأ واحد ويطلب منهم الانتهاء إلى هدف واحد وهو إخلاص العبودية لله، والخروج من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد، بل إن هذه الحقيقة هي فحوى دعوة الأنبياء جميعاً:

**( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ )**

( سورة الأنبياء )

إن هذا الدين ليس إعلاناً لتحرير الإنسان العربي، وليس رسالة خاصة بالعرب، إن موضوعه هو الإنسان، أي إنسان، ومجاله هو الأرض، كل الأرض، إن الله سبحانه ليس رباً للعرب وحدهم ولا حتى لمن يعتنقون الإسلام وحدهم، إن الله هو رب العالمين، وهذا الدين يريد الله منه أن يرد العالمين إليه ؛ وأن ينتزعهم من العبودية للبشر ولأحكام يشرّعها لهم أناس من البشر إلى العبودية لخالق البشر، وهذه هي العبادة التي لا يمكن أن تكون إلا لله، وأن من يتوجه بها لغير الله يخرج من دين الله، مهما ادّعى أنه من هذا الدين بمكان، ولقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الاتباع هو العبادة، فقال عن بعض المشركين:

**(( إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم ))**

[رواه أحمد والترمذي عن عدي بن حاتم]

قال المغيرة بن شعبة لرستم قائد جيش الفرس في القادسية، وهو يسأله قبل المعركة: ما الذي جاء بكم ؟ فيجيبه: إنّ الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

## الله هو ربّ العالمين وقد أكدت هذه الحقيقة آيات كثيرة في القرآن الكريم:

قد أكدت هذه الحقيقة آيات القرآن الكريم، كما بينتها الأحاديث النبوية، والسلوك النبوي الشريف، وهي كثيرة نستعرض بعضاً منها:

**( إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ(٨٧))**

( سورة ص)

وقال:

**( إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ(٢٧))**

( سورة التكوير)

وقال:

**( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(١٠٧))**

( سورة الأنبياء)

وقال:

**( إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ )**

( سورة آل عمران )

وقال:

**( وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ(١٠٤))**

( سورة يوسف )

وقال:

**( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً(١) )**

( سورة الفرقان )

وقال:

**( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً (٢٨))**

( سورة سبأ)

## العولمة مظاهرها وأساليبها:

أما العولمة كما يريدها ويروّج لها دُعاتها لا تعدو أن تكون تعبيراً معاصراً عن نزعة تسلطية قديمة، صاحبت كل قوة غاشمة على مدار التاريخ. إنها تضفي طلاءً من الذهب على الأغلال الحديدية، وتتوارى خلف أقنعة زائفة من العبارات الجذابة، والشعارات البراقة، كالعدالة،

والديمقراطية، والحرية، والسلام العالمي، والتعايش السلمي، وحقوق الإنسان، ومكافحة الإرهاب، فهي علقم قديم في آنية جديدة.

لعل من أبرز مظاهر هذه العولمة انهيار السدود بين الحضارات والثقافات، وفرض الهيمنة الغربية في مختلف المجالات ؛ سياسة، واقتصاداً، وإعلاماً، وفكراً ؛ توطئة للاستيلاء على ثروات الشعوب، وشل قدراتها الوطنية، ومسخ هويتها وخصوصياتها الحضارية، وتحويل أسواقها المحلية إلى أسواق استهلاكية، تفتح الأبواب على مصاريعها أمام الشركات الأجنبية لترويج منتجاتها وتراكم أرباحها.

وقد رأينا من ذلك بدايات مؤسفة، لا تخطئها العين، تمثلت في شيوع التقاليد، والأزياء، وأنماط الحياة الغربية، ومزاحمتها لمثيلاتها الوطنية مع ما يجلبه هذا الوافد الغربي من مفاهيم بلاده وقيمها، ولعل هذا يوضح الصلة بين شيوع هذه المظاهر، وبين مظاهر التخنُّث، وضعف التدين، وانفراط عقد الأسرة، وانتشار المخدِّرات، والجريمة المنظمة !

ولقد وعى القوم دروس التاريخ فقدموا القوة الناعمة، وهي المرأة على القوة الضاربة ؛ لأنها أقل استفزازاً للآخرين، وأقل ظهوراً لهم، وأقدر على شلّ قدراتهم على المقاومة، وأقتل لروح الاستبسال والمواجهة في صدورهم.

وإذا كان الأسلوب التقليدي لدى القوم قد تمثل في حمْل الآخرين على فعل ما تريد ولو باستخدام القوة المسلحة، فإن الأسلوب الأمثل اليوم يتمثل في حمل الآخرين على إرادة ما تريد، والإقبال عليه عن طواعية واختيار، وهذا يتوقف بطبيعة الحال على حسن تسويقه، وجاذبية عرضه من ناحية، كما يتوقف على حجم الإغراء الذي تحمله الجوائز التي تقدم ثمناً لمَن يتعاونون مع القوم من ناحية أخرى !

المشكل القائم حالياً لا يكمن في مبدأ العولمة، وإنما يكمن في نوعية هذه العولمة، وخصوصياتها، وبنائها، فعولمة القطب الواحد فيها خصوصيات القطب القوي الواحد، كالاحتكار، وإرادة الهيمنة، وسلوكية الكيل بمكيالين، بعيداً عن روح المشاركة، والتنافس الحر الشريف، ومن خصوصيات القطب الواحد قانون تضخيم الأرباح، ولو على حساب الأرواح، وعدم خضوع هذا النظام للشرائع الإلهية.

## بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية:

مما يجدر التنبيه إليه في هذا المقام ضرورة الفصل بين العالمية التي جاءت بها شريعة الإسلام، والتي تبنى على الوازع الديني، حيث الإسلام دين سماوي، وليس موضوعاً من الموضوعات البشرية، وما تحمله من رسالة حب ورحمة إلى العالم أجمع، وبين العولمة وما تعنيه من الهيمنة واستلاب الآخرين لحساب قوى الاحتكار العاتية، بل لحساب حفنة من المتضلعين في دماء الآخرين

وأموالهم.

إن العالمية الإسلامية التي تحيل العالم إلى قرية كونية واحدة، يتمتع الإنسان فيها بحق الاختيار، ويسود فيها البر والقسط، ويتفيأ الإنسان فيها ظلال العدل والرحمة، وتصان فيها حرمات المخالفين وحقوقهم، هذه العالمية يجب ألا تلتبس في ذهننا بالعولمة التي يدعو لها حملة المشروع الغربي، والتي تحيل العالم إلى غابة عالمية واحدة، يأكل القوي فيها الضعيف، ويزداد فيه الأغنياء غنى، والفقراء فقراً.

إن الاتجاه إلى العالمية برسالة حضارية عادلة لا حرج فيه، ولا تثريب على دعاته، ولكن الحرج كل الحرج إنما يكمن في روح الهيمنة، والجشع، والأنانية، والابتزاز الذي تحمله هذه العولمة الجامحة، كما يدعو إليها أباطرة العولمة وقراصنتها من غير ضابط من دين أو خلق، فليس الحرج في التوجه إلى العالمية في ذاته، والتعامل مع الكيان البشري كأمة واحدة، وإنما يكمن الحرج في المشروع الذي يحمله القائمون على هذا التوجه، عندما لا يرون في الآخرين إلا أحجاراً على رقعة الشطرنج، يعبثون بمقدراتهم ومصائرهم كما يشاؤون، الأمر الذي لا تقام به دنيا، ولا يصلح به دين، ولا يزداد به العالم إلا شقاءً فوق شقاء !

إننا ـ نحن المسلمين ـ نحمل مشروعاً حضارياً رائداً، لُحمته الربانية، وسُداه البر والقسط، نبذله إلى العالمين ما داموا لا يقاتلوننا في الدين، ولا يصادرون علينا حقنا في أن نبسط دعوتنا إلى الآخرين. فليس على دعاة الدين الحق والرسالة الخاتمة من حرج أن يطوفوا بدعوتهم في المشارق والمغارب، يوطِّئون للحق مهاداً، وينشرون له أعلاماً في إطار قاعدة:

**( لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ )**

( سورة البقرة الآية: ٢٥٦ )

وتحت خيمة الربانية التي ترعى حقوق الموافقين والمخالفين، حتى يتفيأ العالم ظلال هذه الرحمة العامة، يفيء إليها من هجير الظلم، ورمضاء الأثرة والجشع والأنانية، ويجد له موقعاً في سفينة الإسلام، التي تمخر به عباب هذه الفتن المتلاطمة حتى ترسو على شاطئ النجاة في الآخرة.

## إن مصير العولمة سيكون كمصير غيرها من الحضارات التي صالت ثم انهارت:

إن هذه العولمة في إطارها اللا ديني الجامح لتحمل في طياتها بذور إخفاقها، وعوامل انهيارها ؛ فإنه لا دوام لظلم، ولا بقاء لتعسف ولا جور، لقد حدثنا القرآن الكريم عن دول قامت ثم زالت، وعن حضارات صالت ثم انهارت، قال تعالى:

**( أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ(٦)إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ(٧)الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ(٨)وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي(٩)وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ(١٠)الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ(١١)فَأَكْثَرُوا فِيهَا**

**الْفَسَادَ(١٢)فَصَبّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ(١٣)إِنّ رَبّكَ لَبِالْمِرْصَادِ(١٤))**

( سورة الفجر )

وقال تعالى:

**( وَقَوْمَ نُوحٍ لَمّا كَذّبُوا الرّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً(٣٧)وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرّسّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً(٣٨)وَكُلّاً ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلّاً تَبّرْنَا تَتْبِيراً(٣٩) )**

( سورة الفرقان)

وقال تعالى:

**( وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيّنَ لَهُمْ الشّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدّهُمْ عَنْ السّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ(٣٨)وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ(٣٩)فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(٤٠) )**

( سورة العنكبوت)

## نص مقتبس من خطاب السيد الرئيس عن العولمة والنظام العالمي الجديد:

قال أحد حكماء الرومان حين وقف على أطلال روما: "إن أول رجل تسبَّب في خراب الإمبراطورية هو الذي بدأ يقدم لها الأسلاب والغنائم " ؛ لأنه هو الذي أثار لدى أهلها شهوة النهب والسيطرة، وحرك شياطين الأثرة والأنانية الكامنة وراء جلودهم، وقديماً قال نابليون: "إن الإمبراطوريات تموت دائماً بمرض التخمة"، أي أن جوفها يعجز عن هضم ما تلتهمه من الأقاليم والشعوب.

وقد أشار السيد الرئيس إلى العولمة والنظام العالمي الجديد في كلمته التي ألقاها في مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في الدوحة: **"هو نظام دولة أو بضع دول على هذه الكرة الأرضية، أما ما تبقى منها فهو دول سابحة في هذا النظام الغريب، بعضها يعوم على السطح بصعوبة، وعليه أن يثبت وباستمرار حسن النية والطاعة والالتزام، ومع ذلك فهو دائما مخطئ، ومطلوب منه أن يكفر عن ذنوبه، وبعضها الآخر غارق في القاع إلى أجل غير مسمى، وأصبح كل ما يتماشى مع رغبات تلك الدول الكبرى ديمقراطية وعدلاً، وكل ما يحقق مصالحها هو حقوق إنسان، وحضارة بشرية، ولم يعد مستغرباً أن تصدر لوائح تحدد فيها قيمة الإنسان لدى شعب، وما يقابلها لدى الشعوب الأخرى كأسعار العملات ".**

ثم أشار إلى تلك الهجمة الشرسة التي تشنها قوى البغي والظلم على الإسلام، فقال: **" هذا العدو الجديد الذي ظهر في التسعينات هو ديننا الإسلامي الحنيف، دين الأخلاق والعدل والمحبة الذي تم تشويهه إعلامياً وتثقيفياً وتربوياً ليغدو دين القتل والتطرف والإرهاب، فكلما حدث اضطراب في منطقة ما من العالم وجهت أصابع الاتهام للإسلام، ولو لم يكن للمسلمين وجود في تلك المنطقة، وكل عملية تخريب أو عمل إرهابي منفذه هو مسلم، حتى يثبت العكس، وغالباً ما يثبت العكس، أما الاتهام فيبقى كما هو، وبالتوازي حورب الإسلام الصحيح من خلال تغذية التطرف واستخدامه في ضرب الإسلام والمسلمين، والآن يصور هذا التطرف الذي جرت تنميته من خارج الأمة الإسلامية على أنه الإسلام الحقيقي، وذلك إمعاناً في تشويه صورته الناصعة، وإسرائيل أبرع من شوه هذه الصورة، وأية صورة حقيقية أخرى ".** انتهى النص المقتبس من خطاب السيد الرئيس.

هذا وإن الأهم من هذا كله أن نبعث في هذه الأمة روح المواجهة لهذه الأعاصير، وأن نستثير مذخور طاقاتها الإيمانية والجهادية ، وأن نرشد توجيه هذه الطاقات على طريق المحافظة على الهوية، واستئناف ما توقف من مسيرتها الحضارية.

## مفهوم النصر:

مفهوم النصر من المفاهيم التي التبس أمرها على معظم المسلمين، بل وعلى بعض المتحمسين لدعوته المباركة، الأمر الذي أدى إلى اختلافهم في أحكامهم ومواقفهم إزاء الأحداث الجارية والمشهودة في عالمنا الإسلامي. فالبعض يظن أن النصر هو تحقيق الأهداف الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية مما يسعى إليه المؤمنون، فإذا بلغوا هذه الأهداف فهم منتصرون، وإلا فهم منهزمون. هذا فهم قاصر لانغماسه في الحسابات المادية البحتة دون النظر إلى غيرها.

البعض الآخر يتوهم أن النصر هبة إلهية، يمنُّ الله بها على من يشاء من عباده، من غير اشتراط الاستحقاق لهذا النصر أو الاستعداد والتهيؤ له، وهذا فهم خاطئ لأنه مخالف لسنن الله الكونية:

**( لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ )**

( سورة النساء الآية: ١٢٣ )

وقال:

**( وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ )**

( سورة الأنفال الآية: ٦٠ )

لكن في إطار الصراع بين المؤمنين وأعدائهم قد يستفحل الجور، وقد ينتصر الظلم، وقد يظهر البغي والفساد، فأين نصر الله ؟ النصر قد يكون مبدئياً، وقد يكون واقعياً.

## أشكال النصر:

### ١- النصر المبدئي:

يكون المسلم منصوراً نصراً مبدئياً حين يسعى لتنفيذ أوامر الله ونواهيه في جميع ما جاءت به الشريعة، وفي جميع الظروف والأحوال، وفي جميع الأوقات والأماكن، وفي حدود ما لديه من إمكانات. وبعبارة أخرى، يكون المسلم منصوراً نصراً مبدئياً حين يكون قائماً بأمر الله لا من القاعدين، ساعياً للدفاع عن المبدأ لا من الخاملين المخلفين، شاهداً أحداث الأمة لا من المنعزلين. فحسب المسلم نصراً أن يحمل رسالة السماء إلى الناس، أما هدايتهم فأمرها بيد الله تعالى، وحسبه نصراً أن يعمل على إصلاح المجتمع أما صلاحه فأمره بيد الله تعالى، وحسبه نصراً أن يقاوم الظلم أما زوال الظلم فأمره بيد الله تعالى، وحسبه نصراً أن يكافح لاسترداد الأرض المغتصبة وثروات الأمة المنهوبة أما ردها فأمرها بيد الله تعالى، وحسبه نصراً أن يجاهد حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله في الأرض أما إطفاء الفتنة وهيمنة الحق فأمره بيد الله تعالى.

ميزة هذا النصر أنه حتمي يتحقق لمجرد سعي المسلم له، أياً كانت النتائج الواقعية التي يتمخّض عنها سعيه وجهاده، وميزته أنه إرادي مقدور عليه، فكل مسلم يستطيع تحقيقه، ويستطيع تجنب الهزيمة، وميزته أن المسلم يستطيع إحرازه حتى لو وقف أعداء الإسلام بكامل قواهم لقتاله وحربه، كما هي الحال الآن:

**( قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (٥٢) )**

( سورة التوبة )

### ٢- النصر الواقعي:

النصر الواقعي هو الفوز المشهود الذي يحرزه المسلم في عالم الواقع، في مضمار إعلاء كلمة الله لتكون هي العليا، فيكون المسلم منتصراً حين يحقق في الواقع مكسباً سعى إليه في سبيل الله، أو ينال هدفاً جاهد من أجله، وفي هذه الحالة يحرز المسلم كلا الحسنيين، نصراً مبدئياً، ونصراً واقعياً. إلا أن النصر الواقعي يتوقف على الإعداد المادي والإمداد الإلهي، إعداد العدّة وطلب النصر من الله تعالى، وهذا ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهاده مع الجاهلية الأولى، وهذا ما يلزمنا في جهادنا مع الجاهلية المعاصرة.

والإعداد المادي يستلزم استنفار كل طاقات المسلمين، وتنسيق قواهم البشرية والمادية والروحية، حيث تمتلئ نفوسهم عزيمة وحيوية وإيماناً وثباتاً، وتنطلق جوارحهم بذلاً وعطاءً وقوةً ومضاءً مع تجريد النية لله تعالى، وعقد الثقة المطلقة به سبحانه. ولو قيض للمسلمين أن يعرفوا معنى الآية الكريمة:

**( وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ )**

( سورة الأنفال الآية: ٦٠ )

وتحليلها الدقيق لعرفوا أن المعلوماتية اليوم والاتصالات هي من وسائل القوة، ولعرفوا أن علوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلك هي من وسائل القوة، ولعرفوا أن علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التربية من وسائل القوة، وأن علم الحيوان وعلم النبات وعلم طبقات الأرض من وسائل القوة، وعلوم الوراثة والهندسة الوراثية من وسائل القوة، إلى ما هنالك من علوم أتقنها الغربيون فأحكموا سيطرتهم على العالم، وأملوا عليه إرادتهم وثقافتهم وعولمتهم، ولا حرج علينا مطلقاً أن نأخذ ما في رؤوسهم وأن ندع ما في نفوسهم، فثقافة أية أمة هي ملك البشرية جمعاء، لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مر الأجيال، وهل يعقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع عسلها ؟!

## بعض من وسائل قوة المسلمين:

من وسائل قوة المسلمين تشخيص الباطل، والقدرة على تعريته، والمصابرة على تكذيبه وعدوانه، ومجابهة مكره وكيده وعناده، واليقين أنه إلى زوال لقوله تعالى:

**( إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً (٨١) )**

وقال:

**( وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ )**

( سورة إبراهيم )

ثم الكفر بالباطل وكشف أكاذيبه، ونزع أقنعته ؛ لأن الكفر به شرط للإيمان بالله، قال تعالى:

**( فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى )**

( سورة البقرة الآية: ٢٥٦ )

فإذا علم الله صدق نية المؤمنين المجاهدين في سبيله، وثبات عقيدتهم، وتحرر نفوسهم، وشوقهم إلى لقائه، وحنينهم إلى نعيمه، عندئذ يتوفر لهم الإمداد الإلهي، فيبطش الله بالمجرمين بطشته الكبرى ويحقق النصر المؤمنين:

( وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ )

( سورة الروم )

وقال:

( إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ(٥١))

( سورة غافر)

وقال:

( وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً(٤٥))

( سورة النساء)

## الحكمة من تباطؤ نصرة المؤمنين والمظلومين:

إن نصرة المؤمنين والمظلومين قد تبطؤ لحكمة بالغة يعلمها الله تعالى، وقد لا تدركها عقولنا، أو لخير عميم ادخره لهم، أو ليعلم الثابتين منهم على عقيدتهم، الصابرين على آلامهم، والموفين بعهدهم، الصادقين في تضحياتهم، لتكون هذه الصفوة المؤمنة حريصة على حماية النصر المرتقب، الذي لم تنله إلا بالدماء الزكية، والأرواح الطاهرة، وتكون قادرة على تحمل أعبائه في إقامة الحق، وبسط العدل، ونشر حرية العبادة، وإشاعة الخير بين الناس، وتحريرهم من عبودية الطواغيت، وقطع دابر الفتنة والفساد في الأرض:

( فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً(٨٤))

( سورة مريم)

وقال:

( إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) )

(سورة القصص )

## قصة الصحابي الجليل عبد الله بن سلام:

يا أخوتنا في الأراضي المحتلة إليكم قصة الصحابي الجليل عبد الله بن سلام، هاهو ذا الصحابي الجليل عبد الله بن سلام يحدثنا عن قصته فيقول:

لما سمعت بظهور النبي صلى الله عليه وسلم، أخذت أتحرى عن اسمه، ونسبه، وصفاته، وزمانه، ومكانه، وأطابق بينها وبين ما هو مسطورٌ عندنا في الكتب، حتى استيقنت من نبوته، وتثبت من

صدق دعوته، ثم كتمت ذلك عن قومي اليهود، وعقلت لساني عن التكلّم فيه، إلى أن كان اليوم الذي خرج فيه النبي عليه الصلاة والسلام من مكة قاصداً المدينة، فلما بلغ يثرب، ونزل بقباء، أقبل رجل علينا وجعل ينادي في الناس معلناً قدومه، وكنت ساعتئذٍ في رأس نخلة أعمل فيها، وكانت عمتي خالدة بنت الحارث جالسة تحت الشجرة، فما إن سمعت الخبر حتى هتفت: الله أكبر الله أكبر، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: خيّبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما فعلت شيئاً فوق ذلك **!!** فقلت لها أي عمة، إنه والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، وقد بُعث بما بعث به فسكتت وقالت: أهو النبي الذي كنتم تخبروننا أنه يبعث مصدِّقاً لمن قبله، ومتمماً لرسالات ربه، فقلت: نعم، قالت: فذلك إذاً، ثم مضيت من توّي إلى النبي عليه الصلاة والسلام، ورأيت الناس يزدحمون ببابه، فزاحمتهم حتى صرت قريباً منه، وكان أول ما سمعته منه: أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام، فجعلت أتفرّس فيه، وأتملى منه، فأيقنت أن وجهه ليس بوجه كذّاب، ثم دنوت منه وشهدت أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فالتفت إلي وقال: ما اسمك ؟ فقلت: الحصين بن سلام، قال: بل عبد الله بن سلام. فقلت: نعم عبد الله بن سلام، والذي بعثك بالحق ما أحب أن لي به اسماً آخر بعد اليوم، ثم انصرفت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتي، ودعوت زوجتي وأولادي وأهلي إلى الإسلام، فأسلموا جميعاً، وأسلمت معهم عمتي خالدة، وكانت شيخةً كبيرة.

يقول عبد الله بن سلام: ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت له: يا رسول الله إن قومي قوم بهتانٍ وباطل، وإني أحب أن تدعو وجوههم إليك، وأن تسترني عنهم في حجرةٍ من حجراتك، ثم تسألهم عن منزلتي عندهم، قبل أن يعلموا بإسلامي، ثم تدعوهم إلى الإسلام، فإنهم إن علموا أنني أسلمت عابوني ورموني بكل ناقصةٍ وبهتوني، فأدخلني النبي عليه الصلاة والسلام في بعض حجراته، ثم دعاهم إليه، وأخذ يحضُّهم على الإسلام، ويحبب لهم الإيمان، ويذكِّرهم بما عرفوه في كتبهم من أمره، فجعلوا يجادلونه بالباطل ويمارونه في الحق، وأنا أسمع، فلما يئس من إيمانهم قال لهم: ما منزلة الحصين بن سلام فيكم ؟ فقالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرُنا وعالمنا، وابن حبرنا وعالمنا، فقال عليه الصلاة والسلام: أفرأيتم إن أسلم أفتسلمون ؟ قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، أعاذه الله من أن يسلم، فخرجت إليهم وقلت: يا معشر اليهود اتقوا الله، واقبلوا ما جاءكم به محمد، فو الله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وتجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، وإني أشهد أنه رسول الله وأؤمن به وأصدقه وأعرفه، فقالوا: كذبت، والله إنك لشرنا وابن شرنا، وجاهلنا وابن جاهلنا، ولم يتركوا عيباً إلا عابوني به، فقلت: يا رسول الله ألم أقل لك: إن قومي قوم بهتانٍ وباطل، وإنهم أهل غدرٍ وفجور.

## الحقائق الناصعة المستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله تضيء سبيل النصر والصبر معاً:

هذه الحقائق الناصعة المستنبطة من كتاب الله، وسنة رسوله، ومن السيرة النبوية، والتي تضيء سبيل النصر والصبر معاً أضعها بين

أيدي أخوتنا في الأراضي المحتلة، فلعل الله ينفعنا بها جميعاً.

**أتيـت القبور فساءلتــها   أين المعظم والمحتـقر؟!**

**وأين المــذل بسلــطانه   وأين القوي على ما قدر؟!**

**تفانوا جميعاً فما مــــخبر   وماتوا جميعاً ومات الخبر!!**

**فيا سائلي عن أناس مضوا   أما لك فيما مضى معتبـر؟!**

**تروح وتغدو بنات الــثرى   فتمحو محاسن تلك الصـور**

* * *

أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطّانا إلى غيرنا، وسيتخّطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

***

**الخـطـبـة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

## فوائد قشور القمح:

أخوتي المؤمنين، أعزائي المستمعين، إلى الموضوع العلمي:

إن الله تعالى جعل القمح لبني البشر غذاءً كاملاً، ولكنَ عناية الله سبحانه وتعالى فضلاً عن أنّها جَعَلَتْ هذا القمحَ ينبتُ في كل بقاعِ الأرض، ينبتُ في السهولِ، وينبتُ في الجبالِ، وينبتُ في الأغوارِ، وينبتُ في الأجواءِ الباردةِ، وينبتُ في الأجواءِ الحارّةِ، وينبتُ في الأجواءِ المعتدلةِ، وفي كلّ لحظةٍ من لحظاتِ الزمن هناك قمحٌ على وجهِ الأرض ينبتُ، ولكنّ التصميم الإلهيّ لهذه الثمرةِ أنه جَعَلَها كاملة الغذاءِ، ففيها غلافٌ خارجيٌّ يزن تسعاً في المئةِ من مجموع وزنِها، يُسمّى عند الناس النُخالة، وفيها قشرةٌ رقيقة تنطوِي على مادةٍ آزوتيةٍ لا تزيدُ عن ثلاثةٍ في المئة من وزنِها، وفيها الرُشَيْمُ الكائنُ الحيُّ الذي ينبتُ إذا توافرت له شروط الإنبات، ووزنُه لا يزيدُ عن أربع في

المئة من وزنِ حبّةِ القمحِ، والأربع والثمانون في المئة نَشاءٌ خالصٌ، ماذا نفعل نحن ؟ ننزعُ عن القمحةِ غلافَها، وغشاءَها، ولا يبقى لنا إلا النّشاءُ الخالصُ، أمّا هذا الغلافُ الذي يسمّيه الناس نُخالةً، ففيه ستةُ فيتامينات، فتامين ب١، ب٢... ب٦، وفيتامينات أخرى في هذا الغلافِ، وفي هذا الغلافِ مادةٌ فسفوريةٌ هي غذاءٌ للدماغ والأعصابِ، وفي هذا الغلافِ حديدٌ يَهَبُ الدمَ قوةً وحيويةً، ويُعِينُ على اكتسابِ الأوكسجين مِنَ الرئتين، وفي هذا الغلافِ الكلسيوم الذي يبني العظامَ، ويقوّي الأسنانَ، وفي هذا الغلافِ السيليكون الذي يقوّي الشعرَ ويزيدُه قوةً ولمعاناً، وفي هذا الغلافِ اليودُ الذي ينشط عملَ الغدّةِ الدَرَقِيّةِ، ويُضفِي على آكلِه السكينة والهدوءَ، وفيه البوتاسيوم، والصوديوم، والمغنيزيوم، تدخلُ هذه المعادنُ كلُّها في تكوينِ الأنسجةِ، والعصاراتِ الهاضمةِ، أما نحن فننزعُ عن حبّةِ القمحِ قشرَها، ونرميه للبهائمِ، ونأكلُ هذا النشاءَ الصافيَ الذي هو كما وَصَفَه بعضُ الأطباءِ بأنّه غراءٌ جيدٌ للمعدةِ، وهو يذمُّه بهذا الوصف، وهذا التصميم الإلهي لنا أنْ نأكلَ القمحَ بقشره، حتى نستفيدَ مِن هذه الموادِ التي أودَعَهَا اللهُ في قشرةِ القمحِ.

إذا غُلِيَتْ هذه القشورُ بالماءِ الساخنِ كانتْ مهدئةً للسعالِ والزكامِ، وإذا شُربَ هذا المغليُّ كان قابضاً للأمعاءِ، وكان دواءً لتقرُّحاتِ المعدةِ وللزحار، وهو غذاءٌ للجلدِ ووقايةٌ له من أمراضِه، وعلى رأسها الأكزيما.

لذلك حينمَا نأكلُ كما أرادَ اللهُ لنا أنْ نأكلَ، وحينما نطبّقُ سنّةَ النبي عليه الصلاة والسلام في الأكل، نضمن لأنفسنا الصحة والبُعدَ عن الأمراض.

سئل الصحابي الجليل سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ: **" هَلْ رَأَيْتَ النَّقِيّ ـ الطحين المنخول ـ قَالَ: مَا رَأَيْتُ النَّقِيَّ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: فَهَلْ كَانَ لَهُمْ مَنَاخِلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ مُنْخُلاً حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ ؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنَّا نَنْفُخُهُ فَيَطِيرُ مِنْهُ مَا طَارَ وَمَا بَقِيَ ثَرَّيْنَاهُ".**

[ ابن ماجه عن عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ ]

وورد في الأثر أن أول بدعة ابتدعها المسلمون بعد وفاة رسول الله نخل الدقيق.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٦٠) : خ١ - الصيام ، خ٢ - آية الله في مخلوقاته

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-١١-٠٨

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولـى:**

## الصيام:

أيها الأخوة المؤمنون، إن الله جل جلاله قد امتن على عباده بموسم الخيرات، فيها تضاعف الحسنات، وتمحى السيئات، وترفع الدرجات، تتوجه فيها نفوس المؤمنين إلى مولاها.

**( قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا {٩} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا {١٠} )**

( سورة الشمس )

وإنما خلق الله الخلق لعبادته فقال تعالى:

**( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) )**

( سورة الذاريات )

ومن أعظم العبادات الصيام الذي فرضه على العباد فقال:

**( كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣))**

(سورة البقرة)

ورغَّبهم فيه فقال:

**( وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(١٨٤))**

(سورة البقرة)

وأرشدهم إلى شكره على فرضه فقال:

**( وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) )**

( سورة البقرة )

وحببه إليهم وخففه عليهم لئلا تستثقل النفوس ترك العادات وهجر المألوفات فقال:

**( أَيَّاماً مَعْدُودَةً (٨٠))**

( سورة البقرة )

ورحمهم، ونأى بهم عن الحرج والضرر، فقال سبحانه وتعالى:

**( فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ (١٨٤))**

( سورة البقرة )

فلا عجب أن تقبل قلــوب المؤمنين في هذا الشهر على ربهم الرحيم يخافونه من فوقهم، ويرجون ثوابه، ويخشون عقابه.

## الصوم عمل اختصه الله من بين سائر الأعمال:

أيها الأخوة الكرام، حضوراً ومستمعين، الصوم عبادة من أجلّ العبادات، وقربة من أشرف القربات، وطاعة مباركة، لها آثارها العظيمة، والكثيرة، والعاجلة، والآجلة ؛ من تزكية النفوس، وإصلاح القلوب، وحفظ الجوارح من الفتن والشرور، وتهذيب الأخلاق، وفيها من الإعانة على تحصيل الأجور العظيمة، وتكفير السيئات المهلكة، والفوز بأعلى الدرجات.

أيها الأخوة الكرام، والصوم عمل اختصه الله من بين سائر الأعمال، ففي الحديث القدسي الصحيح عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ:

**((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ...))**

[البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ]

كفى بذلك تنبيهاً على شرفه وعظم موقعه عند الله مما يؤذن بعظم الأجر عليه، فبإضافة الله تعالى الجزاء على الصيام إلى ذاته العلية تنبيه على عظم أجر الصيام، وأنه يضاعف عليه الثواب أعظم من سائر الأعمال، ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِئة ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزّ وَجَـلّ: إلا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَان، فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ))**

[مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ]

فما ظنك أيها الأخ الكريم بثواب عمل يجزي عليه الكريم الجواد بلا حساب.

**( قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(٥٨))**

( سورة يونس)

## الإخلاص أظهر في الصيام من غيره بين العبادات:

أيها الأخوة الأحباب، الإخلاص أظهر في الصيام من غيره بين العبادات، فإنه سر بين العبد وبين ربه، لا يطلع عليه غيره، إذ بإمكان الصائم أن يأكل ويشرب متخفياً عن الناس، فإذا حفظ صيامه عن المفطرات ومنقصات الأجر دل ذلك على كمال إخلاصه لربه، وإحسانه العمل ابتغاء وجهه، ولذا يقول الله عز وجل في الحديث القدسي:

**((يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي))**

[مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

نبه سبحانه على وجهة اختصاصه، وبالجزاء عليه، وهو الإخلاص، والصيام جنة، يقي الصائم ما يضره من الشهوات، ويجنبه من الآثام التي تجعل صاحبها عرضة لعذاب النار، وتورثه الشقاء في الدنيا والآخرة، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ دَخَلْتُ مَعَ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَاباً لَا نَجِدُ شَيْئاً، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))**

[البخاري عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ ]

ومعنى ذلك أن الصوم قامع للشهوة فيقي صاحبه عنة العذوبة ومخاطرها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ:

**((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ))**

[البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وفي المسند عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((إِنَّمَا الصِّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ، هُوَ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ))**

[أحمد عَنْ جَابِرٍ]

## فضائل الصوم:

### ١ـ الصوم من أسباب استجابة الدعاء:

من فضائل الصوم أيها الأخوة حضوراً ومستمعين أنه من أسباب استجابة الدعاء، ولعل في قوله تعالى:

**( وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) )**

( سورة البقرة )

مما تنبه هذه الآية على الصلة الوثيقة بين الصيام وإجابة الدعاء.

## ٢ـ الصوم من أسباب تكفير الذنوب:

ومن فضائل الصوم أنه من أسباب تكفير الذنوب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَقُولُ:

**((الصّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ))**

[مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ]

## ٣ـ الصوم يشفع لصاحبه يوم القيامة:

ومن فضائل الصوم أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة، فعَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ:

**((الصّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصّيَامُ: أَيْ رَبّ مَنَعْتُهُ الطّعَامَ وَالشّهَوَاتِ بِالنّهَـارِ، فَشَفّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النّوْمَ بِاللّيْلِ فَشَفّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفّعَانِ))**

[أحمد عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو]

## ٤ـ فرح الصائم بما يسّره الله له من الصوم في العاجل والآجل:

ومن فضائل الصوم فرح الصائم بما يسّره الله له من الصوم في العاجل والآجل كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**((لِلصّائِمِ فَرْحَتَـانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ))**

[أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ ]

وهذا من الفرح المحمود، لأنه فرح بفضل الله ورحمته، ولعل فرحه بفطره لأن الله منّ عليه بالهداية إلى الصيام، وبالإعانة عليه حتى أكمله، وبما أحله الله له من الطيبات التي يكسبها الصائمون لذة وحلاوة لا توجد في غيره، ويفرح عند لقاء ربه، حين يلقى الله راضياً عنه، ويجد جزاءه عنده كاملاً موفوراً.

## ٥ ـ طيب عاقبته في الآخرة:

ومما يدل على فضل الصيام، وطيب عاقبته في الآخرة حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ))**

[صحيح البخاري عن أبي هريرة]

وإنما كانت هذه الريح طيبة عند الله تعالى مع أنها كريهة في الدنيا، لأنها ناشئة عن طاعة، فهي محبوبة لديه، ولعل في الحديث الشريف ما يشير إلى أن هذا الخلوف يفوح يوم القيامة من فم صاحبه أطيب من ريح المسك، حين يقف بين يدي ربه، مثله مثل الشهيد حين يأتي يوم القيامة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَى، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ))**

[البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

## ٦ـ اختص الله الصائمين بباب من أبواب الجنة لا يدخل منه سواهم:

ومن فضائل الصيام أن الله اختص أهله باباً من أبواب الجنة لا يدخل منه سواهم فينادون منه يوم القيامة إكراماً لهم، وإظهاراً لشرفهم، كما في الصحيحين عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ))**

[البخاري عن سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

أيها الأخوة الكرام، انظروا كيف يقابل عطش الصائم في الدنيا بباب الريان في الجنة في يوم يكثر فيه العطش.

## شهر رمضان شهر الصبر:

أيها الأخوة الكرام، شهر رمضان شهر الصبر، فالبناء الأخلاقي أساسه الصبر، الذي هو قرين الصوم، وسميه حتى سمي الصوم صبراً، كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى:

**( اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ (١٥٣) )**

( سورة البقرة )

قالوا: الصوم والصلاة، وسمي رمضان شهر الصبر، والصبر جزاءه الجنة، وهو سيد أخلاق الإسلام، وبغيره لا يثبت المسلم أمام التحديات في دينه ودعوته، ولا يتحمل مشكلات الحياة وتبعتها ومصائبها التي لا ينفك عنها بحال، فالفوز في الآخرة والسعادة في الدنيا ثمرتان من ثمار الصبر.

الصبر أيها الأخوة، هو إكسير الحياة الذي يحوّل بإذن ربه الصعاب إلى رغائب، والهموم إلى أفراح، الصبر هو علاج كل داء، وحل كل مشكلة، وتذليل كل عقبة.

**( وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً )**

( سورة آل عمران الآية: ١٢٠ )

## الصوم عبادة يشترك فيها المسلمون في كل مكان مما يعمق معنى الإخاء الديني:

ويتجلى البناء الأخلاقي في الرقي بالنفس إلى مدارج العبودية، والتخفف من أوزار الطين وثقل الأرض، لتستشرف النفس آفاق الإيمان، وتستشعر شيئاً من الأنس بالقرب من فاطرها وبارئها، وتسبح في ملكوتها. فالإنسان إنسان بروحه وشفافيته قبل أن يكون إنساناً بجسده:

**أقبل على النفس واستكمل فضائلها  فإنك بالروح لا بالجسم إنسان**

* * *

يتجلى أيها الأخوة في الإيثار، والإحسان، ومعايشة آلام الآخرين، ومقاسمتهم السراء والضراء، وذوق شيء مما يجدون، ولأن ذاقه الصائم تعبداً واختياراً فلقد ذاقه الفقراء عجزاً واضطراراً، ولئن عاناه الصائم وقتاً محدوداً فهو عندهم عناء ممدود، ولهذا كان رمضان شهر الزكاة كما سماه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ونهايته زكاة الفطر التي يشارك المسلمون فيها الإحساس بفرحة العيد، فلا يدعون أحداً منه إلا وواسوه، حتى فقرائهم يخرجون زكاة الفطر إن قدروا ليذوقوا طعم الإنفاق ولو مرة في العام.

أيها الأخوة الكرام، ويتجلى في الإمساك بزمام النفس عن اندفاعاتها وحماقاتها عن صاحبها، ومع الخلق فالصائم مقيد بشعور دائم يحمله على الكف عن ما يجمله ولا يليق، وربما أدرك كثير من الصوّام هذا المعنى قبل أن يهل رمضان، كما يحقق الصوم معنى الانتساب الأممي وتبعاته ومظاهره، فهو عبادة يشترك فيها المسلمون في كل مكان مما يعمق معنى الإخاء الديني، والولاء الشرعي، ويذكر بوجوب الانعتاق من الروابط المنافية لذلك، وينهى أن توضع الروابط العادية البشرية في مكان غير صحيح، فلا تتحول إلى علاقة تساوي العلاقة الربانية بين أهل الإسلام، وكم يتمنى المرء أن يستطيع المسلمون توحيد صيامهم وفطرهم ليتعمق معنى الأمة الواحدة، ولتذوب الفواصل والعوائق التي تتراكم بمرور الزمان، فيكون الجسد الواحد رقعاً متناثرة يهدم كل طرف منها ما بناه الآخر.

أيها الأخوة الكرام، حضوراً ومستمعين، إن تجاوز هذه التناقضات يتطلب صدقاً وارتفاعاً عن المصالح الخاصة، والانتماءات الأرضية، وإيثاراً لروح الجماعة على أنانية الذات فهل نحن فاعلون؟!

## الصوم يذكر المسلم بالجهاد الذي هو حراسة هذا الدين:

أيها الأخوة المستمعون، أيتها الأخوات المستمعات، الصوم يذكر المسلم بالجهاد الذي هو حراسة هذا الدين، وذروة سنامه، وسطوته على مناوئيه، فلقد كان تاريخه الشهري ملتبساً بالمواقع الفاصلة من بدر تاج معارك الإسلام إلى فتح مكة، التي كانت إيذاناً ببسط سلطانه على جزيرة العرب، إلى حطين، إلى عين جالوت، والكتاب الذي آذن المسلمون بأنه كتب عليهم الصيام هو الذي آذنهم بأنه كتب عليهم القتال، لكنه ليس قتالاً بنصرة عنصر ماجن، ولا لتسلط ظالم طاعن، ولا لجباية أموال حرام، ولا لاحتلال منابع الثروات، لكنه لتكون كلمة الله هي العليا، وحتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.

الجهاد أيها الأخوة، إيذان لأنه ليس كل الناس يؤمنون بالدعوة، بل هناك الرؤوس المتغطرسة مما لا يلين إلا بالقوة، والحديد بالحديد يفلح، ولهذا بعث الله رسوله بالكتاب وبالحديد فقال سبحانه:

**( لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ(٢٥))**

(سورة الحديد)

أيها الأخوة الكرام، فالكتاب والبينات أصل الرسالة ولبُّها، والحديد سورها وحمايتها، والذين يقارعون البغي والظلم في فلسطين وغيرها من بلاد المسلمين التي احتلها الأعداء واستباحوا خيراتها هم النواب عن الأمة في الحفاظ على هذه الشريعة العظيمة، فحق على الأمة أن تكون من ورائهم بالنصرة الصادقة، وليس بالعاطفة وحدها.

يقول السيد الرئيس في أحد مؤتمرات القمة: " نشهد المزيد من إزهاق الأرواح في منطقتنا، ونرى الأمة العربية والإسلامية تضيف إلى رصيدها المزيد من الفقر والجوع، والكثير من الظلم والاضطهاد، كما رأيناها تبتعد أكثر فأكثر عن هويتها حتى تكاد تذوب في هويات الآخرين، وفي المقابل كانت دول أخرى تزداد طغياناً واستغلالاً، ويشرعن للغير قتلها وتدميرها، مما أدى إلى تزايد شدة التناقضات والمفارقات في مناطق مختلفة من العالم، يدمر العراق من أجل قرارات الأمم المتحدة، وتدمر قرارات الأمم المتحدة من أجل إسرائيل، ومن الأمور المؤسفة والمضحكة في الوقت نفسه أن بعض قرارات مجلس الأمن تفسر بحسب خطوط الطول والعرض، وبحسب الدول التي تطبق عليها ". انتهى النص المقتبس.

## الصيام من أجل التقوى:

هل يعود رمضان الذي عرفه المسلمون ينبض بالروح والحياة والعطاء، وليس بالنوم، وضياع الأوقات، والتسابق إلى الملذات، والسهر في الخيام التي ترتكب فيها المعاصي والآثام. جاء في تفسير في قوله تعالى:

**( لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(٦٣))**

(سورة البقرة)

هذا تعليل لفرضية الصيام ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا، وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله عز وجل بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة امتثالاً لأمره، واحتساباً للأجر عنده، فتتربى بذلك إرادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها فيكون اجتنابها أيسر عليه، وتقوى نفسه على النهوض بالطاعات والاصطبار عليها فيكون الثبات عليها أهون عليه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم:

**((الصيام نصف الصبر))**

[ورد في الأثر]

أيها الأخوة الأحباب، والصيام من أجل التقوى كما ورد في الآية، ومن عظيم إكرام الله عز وجل أنه جعل التقوى مخرجاً للإنسان من كل ضيق، قال تعالى:

**(مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً )**

(سورة الطلاق)

إعجاز هذه الآية في إنجازها، وبلاغها في إطلاقها. عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( إِنِّي لَأَعْلَمُ آيَةً لَوْ أَخَذَ بِهَا النَّاسُ لَكَفَتْهُمْ: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ))**

[الدارمي عَنْ أَبِي ذَرٍّ ]

حينما تضيق الأمور كما هي الآن، وتستحكم الحلقات، وتسد المنافذ، وتنتصب العقبات، ويقنط الإنسان تأتي التقوى فتتسع بها المضائق، وتحل بها العقد، وتفتح بها المسالك، وتذلل بها العقبات، فمن يتق الله عند نزول المصيبة، فيوحد الله، ويصبر لحكمه، ويرضى بقضائه، ويثبت على مبدئه واستقامته يجعل الله له مخرجاً من هذه المصيبة فيبدل ضيقه فرجاً، وخوفه أمناً، وعسره يسراً. فمن يتق الله، ولا يسمح للأفكار الزائفة أن تأخذ طريقها إلى عقله يجعل الله له مخرجاً من الضياع والحيرة والضلال وخيبة الأمل، ومن يتق الله فيبرأ ممن حوله، ويبرأ من حوله وقوته وعلمه يجعل الله له مخرجاً مما كلفه به بالمعونة عليه، ومن يتق الله فيقف عند حدود الله فلا يقربها ولا يتعداها يجعل الله له مخرجاً مما كلفه به من الحرام إلى الحلال، ومن الضيق إلى السعة، ومن النار إلى

الجنة، ومن يتق الله في كسب رزقه، فيتحرى الحلال الذي يرضي الله عز وجل يجعل الله له مخرجاً من تقطير الرزق بالكفاية، ومن إتلاف المال بحفظه ونمائه، ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل الله له مخرجاً من ضلال أهل البدع، ونتائج ابتداعهم، ومن يتق الله في اختيار زوجته وفي التعامل معها يجعل الله له مخرجاً معها من الشقاء الزوجي، ومن يتق الله في تربية أولاده يجعل الله له مخرجاً من عقوقهم وشقائه بشقائهم، ومن يتق الله في اختيار عمله وحسن أدائه يجعل الله له مخرجاً من إخفاقه فيه.

## من أعظم ما يزكي النفس ويطوعها لطاعة الله عز وجل أن تدرب على الصبر:

أيها الأخوة الكرام، أيتها الأخوات الكريمات: لما كانت النفس البشرية تتوق إلى تناول ما تشتهيه، وتنفر عن البعد عنه، فإن من أعظم ما يزكيها ويطوعها لطاعة الله عز وجل أن تدرب على الصبر عن تناول الطيبات التي أباحها الله تعالى إذا أمرها بتركها، ومن أعظم شهوات النفس الطعام والشراب وغيرهم، وقد حرم الله على المؤمن هذه الأمور التي لا يستغني عنها في حياته كلها في نهار شهر رمضان بأكمله، فإذا تركها مخلصاً لله في تلك المدة من الزمن، فإنه بذلك يكون جديراً بأن يكون من المجاهدين لأعدائه الملازمين وهم نفسه الأمارة بالسوء، والهوى المردي، والشيطان المغوي، والذي ينجح في هذا الجهاد الأكبر يسهل عليه الجهاد الأصغر، وهو قتال عدوه الخارجي، ومن لم ينجح في جهاد عدوه الملازم له يصعب عليه جهاد عدوه الطارئ، لأن الذي لم يروض نفسه على طاعة الله بامتثال أمره، واجتناب نهيه فيما هو أخف عليه كالصيام مثلاً، فمن الصعب عليه أن يقف في الصف لمقارعة الأعداء يستقبل بصدره ونحره قذائف المدافع، ورصاص البنادق، وأطراف الرماح، وحد السيوف.

حينما يكون المسلمون استثناء سلبياً داخل مجتمعات أكثر تقدماً وتطوراً فهذا أمر في غاية الخطورة، لأنه يعطي الآخرين انطباعاً مباشراً، لأن سبب هذا التخلف يعود إلى تعاليم الدين ذاته، وهذا معنى قوله تعالى:

**( رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا )**

( سورة الممتحنة الآية: ٥ )

أيها الأخوة الكرام، المشكلة تعود إلى اغترار بعض المسلمين بانتسابهم إلى هذا الدين، ظانين أنه بمجرد الحصول على لقب مسلم يعفيهم من الالتزام والتقيد بمنهج الله، أو أن الحصول على جانب من الصلاح يعفيهم من استكمال النقص، أو قبول النصيحة.

**( وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ )**

(سورة المائدة)

## معنى الاعتبار:

ذكر الله لنا قصص الأقوام السابقة للاعتبار، ولهذا قال سبحانه بعدما ذكر قصة بني النضير:

**( فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ(٢))**

(سورة الحشر)

والاعتبار هو القياس، والنظر، وربط الشيء بمثله، فإذا كان الله سبحانه وتعالى يعيب على الأقوام السابقة من قبلنا ألواناً من الانحرافات والمخالفات، فما ذلك إلا لنتجنبها، ولهذا كان من ما يقرأه المسلم في كل صلاة بل في كل ركعة:

**( اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(٦)صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ(٧))**

( سورة الفاتحة )

يقول العلماء: المغضوب عليهم هم الذين عرفوا وانحرفوا، والضالون هم الذين ما عرفوا وانحرفوا، أي من كان عنده علم وصدق في تصوراته ولكن لم يكن عنده عمل فهذا من المغضوب عليهم، ومن لم يكن عنده تصور صحيح وإنما عنده عمل على غير هدى الله وبصيرة فإنه من الضالين.

**( اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(٦)صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ(٧))**

( سورة الفاتحة )

## من الحواجز التي تحول بين الناس وقبول النصيحة هو ادعاء العصمة وعدم رؤية العيوب:

أيها الأخوة الكرام، إن من الحواجز التي تحول بين الناس وبين قبول النصيحة هو ادعاء العصمة، وعدم رؤية العيوب، لقد ورد في القرآن الكريم فضل هذه الأمة والثناء عليها، ولكن هذا الفضل ليس فضلاً يتوارثونه، لأنهم عرب، وعاشوا في الأمصار، وفي البلاد العربية، فالأرض لا تقدس أحداً، والقبيلة لا تقدس أحداً، إنما يقدس الإنسان بعمله ليس غير.

أيها الأخوة الكرام، إن مئات الملايين من المسلمين اليوم يرون أن مجرد انتسابهم لهذا الدين يكفي لنجاتهم في الآخرة، ولصلاحهم في الدنيا، حتى لو لم يفهموا حقيقته ولم يطبقوا تعاليمه، ولم يتمثلوا قيمه، وربما تجد عند أحدهم من الثقة بالفوز والنجاة في الدار الآخرة أعظم من ثقة العشرة المبشرين بالجنة ! وأما ما يتعلق بالدنيا فربما تجد الواحد منهم يكدح فيها ليلاً ونهاراً، ويضني بدنه وجوارحه، ولكن من دون جدوى، لأنه لم يأخذ بالأسباب المعتبرة.

**( إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَباً (٨٥) )**

(سورة الكهف)

أيها الأخوة، الكثيرون يطلبون قضاء حوائجهم، وتفريج كروبهم، وسداد ديونهم، وتزويج عوانسهم، وإزالة مشكلاتهم، ورد غيابهم، ونصرتهم على أعدائهم بدعاء من دون عمل، أو يتوقعون الفرج هدية رخيصة تأتي من دون ثمن، ولِمَ لا ؟ أو ليسوا بالمسلمين ؟! هنا موطن الخلل.

**( وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)**

(سورة التوبة)

## السنن والنواميس لا تحابي ولا تجامل أحداً:

أيها الأخوة الكرام، إن السنن والنواميس لا تحابي ولا تجامل أحداً، والله سبحانه وتعالى يقول:

**( لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً(١٢٣)وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً(١٢٤))**

( سورة النساء )

إن كوني من الصالحين لا يسمح لي صلاحي أن أجعل هذا الصلاح ترساً أرفعه في وجه كل من يريد نصحي، أو الاستدراك عليه، أو تصحيح خطأ مظنون أو مقطوع، وهل الصلاح إلا قبول النصيحة من الآخرين ؟

أيها الأخوة الكرام، الإسلام نفسه دين عمل، العمل للدنيا، والعمل للآخرة، والعمل للنفس، والعمل للغير، وإلى هذا المعنى أشار السيد الرئيس في خطابه في مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في الدوحة فقال: ليست المشكلة إثبات حسن النية فقط، فديننا هو دين النيات الطيبات، والأعمال الصالحات، أما الطاعة فهي لله وحده مع الالتزام بالإسلام، وكما قال الرسول الأعظم في حديثه الشريف، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ))**

[مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

## الإسلام يرفع من قيمة العمل:

أيها الأخوة الكرام، وأن المرء يثاب على عمله حتى على عمله الدنيوي، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها وسنده جيد:

**((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه))**

[البيهقي عن عائشة رضي الله عنها]

وهذا يشمل كل عمل يقوم به المرء مما هو داخل في دائرة المباح، فضلاً عن المستحب أو الواجب، سواء كان وجوبه بأصل شرعي، أو كان لتحمله المسؤولية وتبعات المسؤولية بموجب العقد والاتفاق.

وفي الحديث الآخر قالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

**((إنْ قامَتِ السّاعَةُ وَبِيَدِ أحَدِكُمْ فَسِيلَة فإنِ اسْتَطاعَ أنْ لَا يَقُومَ حَتّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ))**

[أحمد عن أنَس بْن مَالِكٍ رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ]

وهكذا يرفع الإسلام من قيمة العمل حتى حين يتيقن الإنسان ألا ثمرة تحسب له من ورائه، ويوجه المسلم إلى احتساب الأجر والثواب وهو يغرس فسيلة قد ينتفع بها إنسان أو طير يحتسب هذا عند الله.

أيها الأخوة الكرام، ومن الواجب الملّح التربية على هذا أن النسب الشريف للإسلام يتطلب أن يكون المرء على القدر الشرعي المقبول اللازم من أداء واجبات هذا الانتساب، وترك منهياته أو محرماته. ويجب أيضاً أيها الأخوة، أن يتم بوضوح الفصل بين الإسلام وبين ممارسة المسلمين أفراداً أو جماعة أو كياناً، فالإسلام دين رباني محكم مهيمن، وهو المرجعية للحكم على الأشياء وتصحيحها، أما عمل الناس وسلوكهم فهو قابل للنقض والمراجعة والتصحيح والملاحظة والنصيحة.

أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخـطـبـة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## آية الله في مخلوقاته " الذباب ":

أيها الأخوة الكرام: إلى الموضوع العلمي يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(٧٣) )

(سورة الحج)

قال بعض العلماء: تعد هذه الحشرة أعجوبة في الخلق الإلهي، لقد ضرب الله سبحانه وتعالى الذبابة للناس مثلاً، هذا المخلوق الضعيف الذي يتكاثر بسرعة جنونية، هذا الذي يبدو لك ضعيفاً لو أنك رشّشت مكاناً موبوءاً بالذباب، وقضيت على كل الذباب إلا ذبابة واحدة فهذه الذبابة ستنتج جيلاً من الذباب يقاوم هذه المادة التي رششتها في هذا المكان، فتصنيع المضادات الحيوية عند الذباب شيء لا يصدق ! أي شيء يقضي على الذباب تصنع الذبابة في أجهزتها الدقيقة مضاداً حيوياً يكسبها مناعة ضد هذه المادة الفعالة، حتى إن الذباب إذا مات في البرد ينجب جيلاً يقاوم البرد.

( وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(٧٣) )

(سورة الحج)

فهل يتعلم الإنسان من هذه الحشرة التي يتقزز منها درساً بليغاً ؟

كُبّرت عين الذبابة مئات المرات فكان من هذا التكبير العجب العجاب آلاف العدسات المرصوفة إلى جانب بعضها بعضاً تحقق للذبابة رؤية كاملة، فهذا المخلوق الضعيف الذي يشمئز الناس منه يستطيع أن يناور مناورة لا تستطيعها أعظم الطائرات الحربية وأحدثها، إنها تسير بسرعة فائقة بالنسبة لحجمها، وتستطيع أن تتنقل فجأة لزاوية قائمة، وتستطيع أن تسقط إلى السقف وهذا شيء لا تستطيعه طائرة في الأرض أن تفعله، قال تعالى:

( ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(٧٣) )

(سورة الحج)

أما الذي يلفت النظر فحديث سيد البشر حين يلفت النظر إلى أن في إحدى جناحي هذه الحشرة داء، وفي الأخرى شفاء، فقد أكد العلم الحديث صحة هذا الحديث، فقد كشف أن في بعض جناحي الذبابة مادة ترياقية مضادة للجراثيم ولأنواع الميكروبات، فإذا علق برجل الذبابة بعض أنواع الجراثيم أو الميكروبات أو البكتريات الضارة وقع هذا الذباب في سائل فعليك أن تغمس الجناح الثاني، فإن في بعض الأجنحة الداء، وفي بعض الأجنحة الدواء والترياق، هذا الذي كشفه العلم الحديث في مقالة مفصلة تعتمد على أدق البحوث نشرت أخيراً في مجلة عربية كانت قد ترجمت عن مقالة أجنبية تؤكد هذه الحقيقة.

قال بعض العلماء: من وظائف هذه الحشرة أنها تنقي الهواء بقضائها على النباتات والعضويات المتفسخة وسريعة التنقل، بينما هي في بيتك إذا هي في يوم ثان في مكان تزيد مسافته عن عشر كيلو مترات، وتنجب جيلاً كاملاً كل عشرة أيام توالدها عجيب، أما الشيء الذي لا يصدق أن

جملتها العصبية تشبه الجملة العصبية عند الإنسان ! وعلم الذبابة غاية في القوة وقوة الإبصار، ولها إدراك عالي المستوى، وقد تتصرف بغضب شديد إذا ما لاح لها خطر فهي تغضب، وتتألم، وتحس بالألم، ووزن دماغها واحد من مليون جزء من الغرام ! وهو يعمل بأعلى كفاية، وفي الذبابة جملة من الغدد، ولها ذاكرة تستمر دقيقتين.

## أنواع الذباب:

أيها الأخوة الأحباب، لأن الله سبحانه وتعالى ذكر هذه الآية في القرآن نذكرها نحن، والذباب أنواع منوعة تزيد عن مئات الألوف منه ذباب مفترس، ونوع كالنحلة تمتص الرحيق، ونوع يخمر الفاكهة، ونوع ينافس الطائرات في مناورتها وفي سرعتها، إن مناورة الذبابة لا يمكن أن يصل إلى مستواها طائرة صنعها الإنسان، تستطيع فجأة أن تعكس اتجاهها، وفجأة تسير في اتجاه يشكل مع خيط سيرها زاوية قائمة، وتضلل مطاردها وتسخر منه. فإذا كان الخلق مجتمعين في أرق عصورهم مع تقدم العلم عاجزين أن يخلقوا ذباباً فقد قال تعالى:

**( وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(٧٣) )**

(سورة الحج)

وقف المفسرون عند هذه الفقرة الأخيرة وقفة متحيرة، ثم كشف العلم الحديث أسرار هذه الآية، قال: إن الطالب لا يمكنه استنقاذ ما سلبته الذبابة لا بسبب العجز في الآلات المستخدمة، ولكن لأن الطعام الذي دخل في جوف الذبابة لم يعد نفسه هو الذي أكلته، والعجز يأتي من أن الطعام وحتى قبل دخوله إلى ماصة فم الذبابة طرأ عليه التغير، فلهذا السبب لا يمكن أن نستنقذه، فإذا قام العلماء باستخراج ما في بطن الذبابة، فإنه لن يكون هو نفسه الطعام الذي سلبته الذبابة، إنما يحتاج لتجميع مركباته التي قد تفتت، ولاحظ لو أراد العلماء أخذ الطعام من فم الذبابة، ولو من بداية دخوله خرطومها، فإن ذلك لن يجدي شيئاً، لأن الطعام قد تحول إلى مركبات مختلفة تماماً، حتى قبل امتصاصه، لذلك لا يستنقذوه منه.

آية في القرآن الكريم لحشرة نشمئز منها. أيها الأخوة الكرام، وفي الأرض آيات للموقنين:

**( إِنّ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللّيْلِ وَالنّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ * الّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكّرُونَ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النّارِ)**

(سورة آل عمران)

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٦١) : خ١ - حقائق عن الحج ، خ٢ - تحطم المركبة كولومبيا رسالة من الله.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-٠٢-٠٧

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولـى:**

## الغاية الكبرى من الحج أن تعود كيوم ولدتك أمك:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، إن الحج هو الفريضة البدنية المالية الشعائرية، وهي في حقيقتها رحلة قلوب لا رحلة أبدان، هي في حقيقتها رحلة نفوس لا رحلة أشباح، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

**( رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ(٣٧) )**

( سورة إبراهيم )

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقول:

**((أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة أخي عيسي، ورأت أمي حين حملتني أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى))**

[البيهقي في شعب الإيمان عن العرباض]

ومناسك الحج من شعائر الله، قال تعالى:

**( وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) )**

( سورة الحج )

قال بعض العلماء: أداء الشعيرة شيء وتعظيمها شيء آخر، من تعظيمها أن تؤديَها أيها الحاج كما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن تعظيمها أن تؤديها على شوق وطيب نفس لا على تأفف وتململ، ومن تعظيم شعائر الله أن يؤديها الحاج، ويتمنى أن يؤديها مرات ومرات. إن المشاعر التي يشعر بها الحاج، وهو في المشاعر المقدسة، هي بوتقة ينصهر فيها قلب المؤمن حتى يتخلص من أدرانه عوداً به إلى يوم ولدته أمه، نقي القلب، صافي النفس، تلك هي الغاية الكبرى من الحج، أن تعود أيها الحاج كيوم ولدتك أمك.

## الحكمة من تشريع اللون الواحد والتصميم الواحد لثياب الحجاج:

أيها الأخوة المؤمنون حضوراً ومستمعين، يقول ربنا جل جلاله:

**( جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ )**

(سورة المائدة الآية: ٩٧)

من أدق ما قاله المفسرون حول هذه الآية: إن المسلم بحج بيت الله الحرام، وتعظيم شعائر الله، وعقدِ العزم على طاعة الله، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، تقوم وتتحقق مصالح المسلم في الدنيا والآخرة، وعندئذ تتوقف المعالجة الإلهية:

**( مَا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً(١٤٧) )**

( سورة النساء )

أيها الأخوة الأحباب، يخلع الحاج ملابسة المَخيطة والمُحيطة، والتي تعبر بشكل أو بآخر عن دنياه، عن حجمه المالي، عن مرتبته الاجتماعية، عن مرتبته الوظيفية، بل عن درجته العلمية والدينية أحياناً، هذه الملابس المَخيطة والمحيطة، قد تعبر عن نوع انتمائه إلى أمةٍ، إلى شعبٍ، إلى قبيلةٍ، إلى عشيرةٍ، فلو بقي المسلم بلباسه لبقي ملتصقاً بدنياه، أو بقبيلته، أو بطبقته، أو بمَنْ على شاكلته، ولكن الإسلام لحكمةٍ كبيرة شرع اللون الواحد، والتصميم الواحد، حتى تختفي الهوية الخاصة، ويبدو البشر كياناً واحداً، ومن ثم تتعامل معهم بدافع إنساني خالص، بعد ما ذابت الفروق الطبقية، والهويات الإقليمية، والانتماءات المتعددة، ليبرز هذا اللباس معنىً واحداً، هو الإنسان على فطرته السليمة في مواجهة خالقه الواحد الديان.

## ممنوعات من لوازم الإحرام:

بعد أن يخلع الحاج ثيابه المَخيطة والمحيطة، ويرتدي ثوب الإحرام الموحد، يدخل في أفق الممنوعات، ففي باطنه ممنوع أن يفكر في شيء يؤذي الحرم، ومع الناس، فلا رفث، ولا فسوق، ولا جدال في الحج، ومع الحيوان، فلا يُصطاد، ولا يقتل، ومع النبات فلا يُقطع، ولا يشوه، ومع الحجر فلا يكسر ولا يقتلع، هذه الممنوعات التي هي من لوازم الإحرام، ليكون الحج سلاماً دائماً قال تعالى:

**( إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ(٩٦)فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ(٩٧))**

( سورة آل عمران)

فإن الحاجَّ المحرمَ يُحظَر عليه لُبسُ المخيط من الثياب، ويُحظر عليه التطيُّبُ بكل أنواع الطيب، ويُحظر عليه الحلقُ والتقصيرُ، ويُحظر عليه مقاربةُ المُتَع التي أُبيحت له خارجَ الحج، كلُّ ذلك لِيُحْكِمَ اتصالَه بالله، وليسعد بقربه وحده، بعيداً عن كل مداخلة من مُتع الأرض، ليتحقّق الحاجُّ أنه

إذا وصل إلى الله وصل إلى كلِّ شيء، وأنّ الدنيا كلّها لا يمكن أن تُمِدَّ الإنسانَ بسعادة مستمرة، بل متناقصة، ولينطلق لسانُه بشكل عفوي قائلاً: يا رب، ماذا فَقَدَ مَن وجدك ؟ وماذا وَجَدَ مَن فَقَدَكَ ؟ فوق ذلك ففي الإنسان غريزة حب الاستطلاع، فهو في أصل طبعه لا يقبل على عمل إلا إذا عرف حكمته، وحقق به مصالحه العاجلة والظاهرة، لأنه يحب نفسه حباً جماً، وهذا مركب في أصل طبعه، ولأن الحج بهذه الممنوعات، وبهذه المناسك التي لا تظهر حكمتها للوهلة الأولى، لا يلبي هذه الحاجة الفطرية، والفكرية، والمادية، لذلك يحتاج الحاج إلى درجة عالية من الإيمان بحكمة الله وعلمه، ويحتاج إلى درجة عالية من العبودية له.

أيها الأخوة المؤمنون، أيتها الأخوات المؤمنات، يقول عمر رضي الله عنه: " تفقهوا قبل أن تحجوا ". فالعبادة في حقيقتها تعني خروج العبد من مراده إلى مراد ربه، وهذا يبدوا جلياً واضحاً في الحج.

أيها الأخوة الأحباب، يتساءل بعضهم، هل مع هذا التسليم المطلق بحكمة ما أمرنا به إعمال للعقل ؟ الجواب: " لا "، لأنه لن يكون العقل حكَماً على النقل، ولكنه مسموح للعقل أن يفهم حكمة النقل، مسموح له أن يطير في المجال الجوّي الإسلامي، مسموح له أن يسبح في المياه الإقليمية الإسلامية، مسموح له أن يسبح ولا يشطح.

## فضل يوم عرفة:

أخوة الإيمان في كل مكان، ويأتي موقف عرفة. فيوم عرفة من الأيام الفضلى، تجاب فيه الدعوات، وتقال العثرات، ويباهي الله فيه الملائكة بأهل عرفات، وهو يوم عظّم الله أمره، ورفع على الأيام قدره، وهو يوم إكمال الدين، وإتمام النعمة، ويوم مغفرة الذنوب، ويوم العتق من النيران، إنه يوم اللقاء الأكبر بين العبد المنيب المشتاق، وبين ربه الرحيم التواب، بين هذا الإنسان الحادث الفاني المحدود الصغير، وبين الخالق المطلق الأزلي الباقي الكبير، وعندها ينطلق الإنسان من حدود ذاته الصغيرة إلى رحاب الكون الكبير، ومن حدود قوته الهزيلة إلى الطاقات الكونية العظيمة، ومن حدود عمره القصير إلى امتداد الآباد التي لا يعلمها إلا الله.

يوم عرفة يوم المعرفة، ويوم عرفة يوم المغفرة، ويوم عرفة يوم تتنزل فيه الرحمات على العباد من خـالق الأرض والسماوات، ومن هنا قيل من وقف في عرفات ولم يغلب على ظنه أن الله قد غفر له فلا حج له.

عن جابر رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**((ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة، فقال رجل: هـن أفضل أم من عدتهن جهاداً في سبيل الله ؟ قال: هن أفضل من عدتهـن جهاداً في سبيل الله، وما من يوم أفضل عند الله من يوم**

**عرفة ينـزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، يقول انظروا عبادي جاؤوني شعثاً غبراً، ضاحين جاءوني من كل فج عميق، يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم يُر يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة))**

[صحيح ابن حبان عن جابر رضي الله عنه ]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات وقد كادت الشمس أن تثوب فقال:

**((يا بلال، أنصِت لي الناس، فقام بلال فقال: أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنصت الناس، فقال عليه الصلاة والسلام: معشر الناس أتاني جبريل آنفاً فأقرأني من ربي السلام، وقال: إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات، وأهل المشعر الحرام، وضمن عنهم التبعات، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله هذه لنا خاصة، قال: هذه لكم، ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة، فقال عمر رضي الله عنه: كثر خير الله وفاض))**

[الترغيب والترهيب عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

## أحاديث عن يوم عرفة:

روى الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**((ما من يوم أكثـــر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو عز وجل ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ماذا أراد هؤلاء، انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً، اشهدوا أني غفرت لهم))**

[مسلم عن عائشة رضي الله عنها

إن الله يغفر للحاج، ومبالغة في إكرامه يلقي في روعه أنه قد غفر له، لذلك يشعر الحاج الصادق بأن الله قد غفر له، وأنه عاد كيوم ولدته أمه.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**((ما رئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر، ولا أدحر، ولا أغيظ منه من يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام))**

[موطأ مالك عن أبي الدرداء رضي الله عنه]

روى الإمام أحمد والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**(( خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير))**

[أحمد والترمذي عن عمرو بن شعيب]

قال عبد الله بن المبارك: جئت إلى سفيان الثوري عشية يوم عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه، وعيناه تذرفان، فالتفت إلي، فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالاً ؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر له.
موقف عجيب في عرفات، يغطيه نبات بشري مختلف ألوانه، أغصانه تلك الأيدي المرفوعة بالدعاء إلى رب الأرض والسماء، يرى الحاج بين يديه صورةً مصغَّرةً للمحشر العظيم يوم القيامة، وعليه أن يستعدّ له منذ الآن، لأن رحلة الحج يعود منها الإنسان إلى وطنه، ولكن المحشر العظيم يوم القيامة لا يعود منها الإنسان إلى وطنه، إنها رحلته قبل الأخيرة استعداداً للرحلة الأخيرة، الناس جميعاً بلباس موحد، وبدعاء موحد، وبابتهال موحد كلهم ضعاف، كلهم فرادى، نموذج مصغَّر للرحلة الأخيرة، لقد كان الحج رحلة قبل الأخير استعداداً للرحلة الأخيرة.

## رمي الجمرات:

وفي رمي الجمرات بعض الأسرار ؛ فلنبدأ بالجمرة الكبرى في اليوم الأول، وقال بعض العلماء: هذا تكثيف، وحشد في لغة العسكريين، ابدأ بمواجهة الأكبر، وكان عليه الصلاة والسلام يخص الجمرتين الأولى والوسطى بتطويل الوقوف عندها للدعاء، إنها ثلاث جمرات وبينهما مسافة، ليظل المؤمن واعياً تماماً، لا ينام حتى لا يسقط سلاحه، بينما العدو منه على مرمى حجر، وعليه أن يعلم أن المعركة مع الشيطان متعددة المواقع، ومستمرة، وممتدة مع عمره، لذلك ينبغي أن تُرمى ثلاث جمرات في ثلاثة أيام، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه.
يا أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين، يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: لا يحصل إرغام أنف الشيطان في أثناء رجمه إلا بطاعتك للرحمن، ومن عاد بعد الحج إلى ما كان عليه من المعاصي والآثام، فليعلم علم اليقين أن الشيطان هو الذي رَجَمه.
أيها الأخوة الكرام، أيتها الأخوات الكريمات، لقد طار بعض العلماء في سماء الحج، وسبحوا في بحوره الواسعة بل غاصوا فيها، فكانت لهم لمحات وضيئة، قالوا عن الطواف ؛ كأن الإسلام حجر ألقي فوق محيط، فتكونت منه دوائر حوله متتابعة متنامية وهكذا بيت الله الحرام، فالطواف حول البيت طواف المحب حول محبوبه، توثيق للعهد بين العبد وربه، تعبير عن حب عميق لرمز التوحيد.
أيها الأخوة الكرام، لقد استقطب البيت الحرام المؤمنين من قارات الدنيا الخمس، فجاءوا نوعيات مختلفة، تحمل كل جماعة هموم مجتمعها، جاءوا ليعودوا في البعد الزماني إلى ماضي هذه الأمة المشرق، وفي البعد المكاني إلى الأرض الذي نزل فيها الوحي.
جاءوا ليعودوا إلى المكان الذي ضم هذه الرسالة الخالدة، للتزود بالدروس المفيدة التي تعينهم على صلاح دنياهم وفق منهج ربهم، وصلاح دينهم الذي هو عصمة أمرهم. لا تقوم مصالحهم الدنيوية

وفق منهج الله، ولا مصالحهم الأخروية إلا إذا عظموا هذا البيت واصطلحوا مع الله، وأقاموا منهجه في الأرض.

الحج عبادة زُيّنت بمحاسن وآداب، وإذا كان الحج ارتفاعاً عن شهوات الحياة الدنيا وماديا‌تها، وتدريباً للعبد على التخفف منها، والاكتفاء باليسير، فلا يليق بالمتلبس بهذه العبادة أن ينشغل عنها بما نهى الله تعالى عنه، إنه لا يكفي منك أن تُعرض عن هذه المنهيات فحسب، بل عليك أن تكون آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، إن حسن الخلق، وطيب الكلام، وإطعام الطعام، من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل.

وإذا كان اقتراف المعاصي محرم في كل حين، فإنها في مكة، وفي حال الإحرام أشد تحريماً، وهي أولى بالمنع والزجر والنهي عنها.

## الحج لا يكفر الذنوب التي لم يتب منها صاحبها:

أيها الأخوة في كل مكان، لا يُعقل ولا يُقبل أن يذهب الحاج إلى بيت الله الحرام قبل أن يتفقه بأركان الحج، وواجباته، وسننه، ومستحبا‌ته، وصفة حجة النبي عليه الصلاة والسلام، وما ينبغي أن تكون عليه أخلاق الحاج. لا يُعقل ولا يُقبل أن تُؤدى هذه العبادة الجليلة أداءً بعيداً عن مقاصدها وثمارها. لا يُعقل ولا يُقبل أن يعود الحاج من أداء هذه الفريضة كما ذهب. لا يُعقل ولا يقبل أن يُوجد الحاج في المشاعر المقدسة دون أن يشعر بأية مشاعر مقدسة. لا يعقل ولا يقبل أن يتحرى الحاج سنة أو مستحباً، ويرتكب من أجلها معصية، أو أن يتجاوز فريضة. لا يُعقل ولا يُقبل أن يحدثك الحاج عن كل شيء في الحج إلا الحج. لا يُعقل ولا يقبل أن يرمي الحاج الجمرات تعبيراً عن معاداته للشيطان، ويعود إلى بلده ليكون ألعوبة بين يدي الشيطان. لا يُعقل ولا يُقبل أن يقتصر أمر الله في هذه الفريضة على أن يأتي الحاج من بلاد بعيدة ليجلس في المشاعر المقدسة، يأكل، وينام، ويتكلم في شؤون الدنيا، إن أمر الله في هذه العبادة ليس كذلك، وهو أعظم وأجلّ من أن يكون كذلك، أن تأتي إليه من بلاد بعيدة لتحقق وجودك المادي في مكان، تمضي هذا الوقت في غير ما أمرت به، وليس هذا المستوى من الحج هو الذي تقوم به مصالح المسلمين في دنياهم وأخراهم.

أيها الأخوة والأخوات، يجب العلم اليقيني بأن الحج لا يكفر الذنوب التي لم يتب منها صاحبها، فالمقيم على ذنب ولم يتب منه، وهو مستمر فيه، فإن الحج لا يكفر هذا الذنب، وإنما الحج كفارة وأجر للعبد التائب إلى الله، الراجع إليه، الراجي رحمته وعفوه، والذي أقلع عن ذنوبه إقلاعاً لا رجعة بعدها. والدليل على ذلك ما رواه الإمام مسلم بإسناده إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال أناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

**((يا رسول الله: أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية ؟! قال صلى الله عليه وسلم: أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها، ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام))**

[مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

## الحج نوع من الجهاد:

مع أن الإسلام يهدم ما كان قبله، إلا أنه من أساء في الإسلام جوزي بعمله السيئ في الإسلام، وما كان قبل الإسلام، وكذلك الحال فيمن له معاصٍ لم يتب منها قبل الحج فإن الحج لا يهدم هذه المعاصي، وهذا يعني أن الحج لا يفيد إلا التائب من الذنب، والعائد إلى الله، الراجع إليه، المقلع عن ذنوبه، وأما المقيم على معاصيه وذنوبه المستمر فيها، فإن الحج لا يهدم ما كان قبله في هذه الحالة.

وقد ورد أن الحاج إذا حج بمال حرام ووضع رجله في الركاب، وقال: لبيك اللهم لبيك، نودي أن لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك.

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ يَعْنِي الْفَرِيضَةَ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ))**

[أخرجه أحمد في مسند بني هاشم عَن ابْنِ عَبَّاس]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلا الْجَنَّةُ))**

[أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

**((الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللَّهِ، إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ، وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ))**

[أخرجه ابن ماجة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

هذه ميزة لا تُقدر بثمن، أن تكون مُجاب الدعوة.

من مات، ولم يجاهد، ولم يحدث نفسه بالجهاد مات على ثلمة من النفاق، فإن لم يُتح للمسلم الجهاد القتالي، فقد أُتيح له جهاد النفس والهوى، أتيح له الجهاد الدعوي، وأتيح له الحج. والحج نوع من الجهاد وإليكم الدليل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَرْأَةِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ))**

[أخرجه النسائي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

وفي حديث آخر عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((الْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ))**

[أخرجه ابن ماجة وأحمد في المناسك عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ]

وفي حديث ثالث عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ:

**((يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ ؟ قَالَ: نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ، الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ))**

[أخرجه ابن ماجة وأحمد عَنْ عَائِشَةَ]

## وصفٌ دقيقٌ مِن قِبَل الرسول لِمَا ينبغي أنْ يكون عليه المسلمون في شتّى أقطارهم:

أيها الناس، إن المسلمين يتفقون على أصول الدين، وعلى المحاكمات القطعية التي جاء الدين بها، هم يؤمنون بإله واحد لا شريك له، في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي ربوبيته، وفي ألوهيته، فهو المستحق للعبادة وحده، وهم يؤمنون بنبيّ واحد، هو خاتم الأنبياء والمرسلين، جاء بأفضل الشرائع وآخرها، وهو واجب الاتباع إلى قيام الساعة، ويتجهون إلى قِبلة واحدة، ويقرؤون قرآناً واحداً، يقطعون كلهم بأنه محكم محفوظ من الزيادة والنقصان، لم تَطُلْه يد التحريف والتبديل والتغيير في ألفاظه ومجملات معانيه، ويصومون شهراً واحداً ويحجون بيتاً واحداً، ويقفون بعرفة موقفاً واحداً، تاريخهم واحد، ومصيرهم ومستقبلهم واحد، حتى التحديات التي تواجه المسلمين هي تحديات واحدة في الجملة.

فإننا نجد الأذى الذي يوجه إلى المسلمين كلهم، يوجه إليهم شعوباً وأمماً، بلا تمييز بين أقوياء الإيمان وضعفاء الإيمان، وبين العلماء والجهلاء، وبين الصلحاء والفاسدين ومع كل هذه المقومات فهم متفرقون، متنازعون، بأسهم بينهم، تفرقهم الأهواء والمصالح، وهذا يؤكد على الأمة ضرورةَ أن تعمل على تحقيق معنى هذا الانتماء، ومعنى تلك الوحدة.

ومِن أخطر توجيهات النبي الكريم في هذا الظرفِ الصعب الذي يُحَدِّق بالأمة العربية والإسلامية قولُهُ:

**((إنّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ، لاَ يُسَالِمُ الْمُؤْمِنُ دُونَ الْمُؤْمِنِ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللهِ إلاّ عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ))**

[السيرة النبوية لابن هشام]

أيْ لا يحق في المنهج الإسلاميّ لفئةٍ أنْ تصطلحَ مع عدوٍّ بشكلٍ انفراديّ، هذا وصفٌ دقيقٌ مِن قِبَل مبعوثِ العنايةِ الإلهيةِ لِمَا عليه المؤمنون، أو لِمَا ينبغي أنْ يكونوا عليه في شتّى أقطارهم وديارهم، مِنْ تعاوُنٍ وتناصُرٍ وتعاطُفٍ، فهم كالجسدِ الواحدِ نَصَحَةٌ متوادُّون، وهم بنيانٌ واحدٌ يشدُّ بعضُهم بعضاً، هم يَدٌ على مَن سواهم، سِلْمُهُم واحدةٌ، وحَربُهُم واحدةٌ، هذا ما ينبغي أنْ يكونَ عليه المؤمنون في شتّى أقطارهم وأمصارهم. وهذا ما يؤكده السيد الرئيس في أكثر خطاباته.

## عدو جديد استحدثته قوى الهيمنة والطغيان لتشويه الدين الإسلامي الحنيف:

أما عن الطرف الآخر فمع تزايد قناعة الطرف بزوال أسباب التوتر الدولي، لكن هذه القناعة لم تكن مناسبة لمصالح قوى الهيمنة والطغيان، لذا كان لا بد لهم من ابتداع عدو جديد، للإبقاء على حالة التوتر، وما يعنيه من إبقاء أسباب التسلط ومبررات الهيمنة على دول ومناطق متعددة في العالم، يتحدث السيد الرئيس في مؤتمرات القمة الإسلامي عن هذا العدو الجديد الذي استحدثوه، فيقول: هذا العدو الجديد الذي ظهر في التسعينات هو ديننا الإسلامي الحنيف، دين الأخلاق، والعدل، والمحبة الذي تم تشويهه إعلامياً، وتثقيفياً، وتربوياً ليغدو دين القتل والتطرف والإرهاب، فكلما حدث اضطراب في منطقة ما من العالم وجهت أصابع الاتهام للإسلام، ولو لم يكن للمسلمين وجود في تلك المنطقة، وكل عملية تخريب أو عمل إرهابي منفذه هو مسلم حتى يثبت العكس، وغالباً ما يثبت العكس، أما الاتهام فيبقى كما هو، وبالتوازي حورب الإسلام الصحيح من خلال تغذية التطرف واستخدامه في ضرب الإسلام والمسلمين، والآن يصور هذا التطرف الذي جرت تنميته من خارج الأمة الإسلامية على أنه الإسلام الحقيقي، وذلك إمعاناً في تشويه صورته الناصعة، وإسرائيل أبرع من شوه هذه الصورة وأية صورة حقيقية أخرى، انتهى كلام السيد الرئيس.

ولولا أن متحدثاً باسم إدارة القاعدة التي انطلقت منها المركبة الفضائية كولومبيا، والتي تحطمت قبل أيام، لولا أن هذا المتحدث سارع واستبعد أن يكون هناك عمل إرهابي وراء الحادث لأشير بأصبع الاتهام إلى المسلمين.

## تقنين الله عز وجل تقنين تأديب لا تقنين عجز:

بمناسبة هطول الأمطار الغزيرة التي شهدها بلدنا الطيب، حيث اقتربت كمية الأمطار الهاطلة حتى الآن من المعدلات السنوية، ولا زلنا في منتصف موسم الأمطار، أصبح لزاماً علينا أن نشكر الله تعالى على نعمه العظيمة، وعطاياه الجزيلة، فقد ورد في الحديث القدسي أن الله عز وجل يقول:

**(( أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ؛ وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ))**

[ متفق عليه عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ]

إليكم هذا الخبر الذي يؤكد أن تقنين الله للأمطار لا يمكن أن يكون تقنين عجز كشأن البشر حينما يقننون، ولكنه تقنين تربية وتأديب كما يظن المؤمنون.

أعلمت وكالة الفضاء الأوربية أن المرصد الفضاء الأوربي العامل بالأشعة تحت الحمراء رصد غيمة من البخار في الفضاء الخارجي، يمكن لها أن تملأ محيطات الأرض ستين مرةً في اليوم

الواحد بالمياه العذبة. وعلق أحد علماء الفلك أن المرصد عثر على غيوم للبخار في أكثر من مكان في الكون، إلا أن هذه الغيمة التي اكتشفها مؤخراً، تعد مصنعاً هائلاً لبخار الماء، يمكنها أن تنتج من الماء ما يكفي لملء جميع محيطات العالم بالماء العذب ستين مرة في اليوم الواحد، وهذا مصداق قول الله تعالى:

**( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ )**

( سورة الحجر )

وأما معنى التقنين التربوي أو التأديبي، ففي قوله تعالى:

**( وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ )**

( سورة الشورى الآية: ٢٧ )

وقال:

**( وَأَنْ لَو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ (١٧))**

( سورة الجن )

وقال:

**( وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ )**

( سورة المائدة الآية: ٦٦ )

فالجاهلون والشاردون يخوفون أهل الأرض مرةً بنقص الغذاء، وأخرى بنقص الماء، وتارةً باقتراب نضوب آبار النفط، فيفتعلون حروباً من أجل المياه تارةً، وحروباً من أجل القمح تارةً أخرى، وأحدث هذه الحروب من أجل النفط، وفاتهم أن تقنين الله عز وجل هو تقنين تأديب لا تقنين عجز.

أيها الأخوة في كل مكان حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا، الكيس من دان نفسه، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخـطـبـة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

## تحطم المركبة كولومبيا رسالة من الله عزّ وجل:

بمناسبة الخبر المؤسف خبر تحطم المركبة الفضائية كولومبيا قبل موعد وصولها إلى الأرض بست عشرة دقيقة، وقد كانت على بعد مئتي ألف قدم من سطح الأرض، وكانت سرعتها ستة أضعاف سرعة الصوت، وقد سقط أكبر أجزائها في بلدة تدعى فلسطين، وكانت الرحلة المذكورة قد انطلقت في وسط إجراءات أمنية مشددة لم تشهد القاعدة لها مثيلاً، لسبب لا يخفى، ولعل تحطمها رسالة من الله إلى من تعنيهم هذه الرسالة.

عالِمٌ مِن علماءِ الفلَكِ كان في زيارةِ هذه القاعدة التي انطلقت منها تلك المركبة، وكانت على اتِّصالٍ مستمرٍّ بمَركبةٍ فضائيّةٍ كانت قد أُطْلِقَتْ قبْل وصوله إليها بقليلٍ، فإذا برائِدِ الفضاء يتَّصلُ بمَركز انطلاق هذه المركبةِ، ويقولُ بالحَرْفِ الواحِدِ: لقد أصبحْنا عُمْياً لا نرى شيئاً، المركبةُ أُطلِقَتْ في وَضَح النّهار، وبعْد وقتٍ قليلٍ تجاوَزَتْ هذه المركبةُ الغِلافَ الجويّ، ودخلَتْ في منطقةٍ لا هواءَ فيها، وأصبَحَ الجوُّ مُظْلماً ظلاماً كليّاً، فصاحَ هذا الرائِدُ: لقد أصبحْنا عُمْياً لا نرى شيئاً، فما الذي حَصَلَ ؟ الذي حصَلَ أنّ أشِعَّة الشّمس إذا وصَلَتْ إلى الغِلافِ الجويّ تناثَرَ ضوْءُها، وتشتَّتَ بين ذرّاتِ الهواءِ وذرّاتِ الغبارِ، وهذا ما يُعَبِّرُ عنه علماءُ الفيزياءِ بانتثار الضّوءِ أو بتَشَتُّتِ الضّوءِ، تنعكسُ أشِعّة الشّمس على ذرات الهواء وذرات الغبار فَتَجْعلُها مُتألِّقةً، وهذا الذي يُسمّى في الدنيا: منطقة فيها ضوءٌ وليس فيها أشعة شمسَ، كَجَوّ المسْجِد، فإنّنا نرى فيه بعضنا بعضاً، هناك ضوءٌ، وليس معه أشِعّةُ شمسٍ، فلمّا غادَرَتْ هذه المركبةُ الغِلافَ الجويّ انْعَدَمَ تناثُرُ الضّوءِ، وأصْبَحَ الفضاءُ مظلماً، شديدَ الظّلامِ، لا يُرى فيه شيءٌ، لو عُدْنَا إلى كتابِ الله الذي نزلَ قبْلَ أربعة عشرَ قرناً ونيّفاً، ووقتَها ما عرفَ أهلُ الأرضِ الصّعودَ إلى القمرِ، وما عرفوا غزْوَ الفضاءِ، وما عرفوا تجاوُزَ الغِلافِ الجويّ، وما عرفوا كلّ ذلك، لو عُدْنا إلى كتابِ اللهِ لوَجَدنا هذه الآية ذات الإعجازِ العِلميِّ. قال الله تعالى:

**( وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥) )**

( سورة الحجر)

هذا الذي قالَه رائدُ الفضاءِ: لقد أصبحْنا عُمْياً، هذا قد جاء به القرآنُ قبْلَ أربعة عشرَ قرناً، أليس هذا دليلاً قطْعِيّاً على أنّ هذا الكلامَ كلامُ خالق البشر، عُرِفَتْ هذه الحقيقة الآن قبلَ سنين معدودة، حينما عَرَفَ الإنسانُ الغلافَ الجويّ واقْتَحَمَهُ، وأُلْغِيَ تناثُرُ الضّوءِ، ودَخَلَ في ظلامٍ دامِسٍ، عرفَ كيفَ أنّ الفضاء الخارجي مُظلمٌ ظلاماً مطبقاً، ولا يُرى في الفضاءِ إلا كوكبٌ متألّقٌ مِن دون أنْ ينتثِرَ ضوءه، قال تعالى:

**( وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥) )**

( سورة الحجر)

يؤكِّدُ هذا قولُ الله عز وجل:

**( سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (٥٣) )**

( سورة فصلت )

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٦٢) : خ١ - ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام وتزكية الذبيحة ، خ٢ - الحكمة الربانية من الأحداث الأخيرة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-٠٥-١٦

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولــى:**

## موقف أحد خصوم النبي محمد صلى الله عليه و سلم منه قديماً:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، في ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي أن نعرفه، أو أن نزداد معرفة به، لأن معرفته جزء من الدين، فقد قال الله تعالى:

**( أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ(٦٩) )**

( سورة المؤمنون )

أيها الأخوة الكرام، سيكون محور هذه الخطبة الأولى ما قاله فيه خصومه قديماً وحديثاً، وقد قيل: " والفضل ما شهدت به الأعداء "، فهذا النضر بن الحارث، وقد كان من سادة قريش، وكان من أكبر المعارضين للنبي صلى الله عليه وسلم، ألقى يوماً خطاباً في جمع من قريش، وقال: " يا معشر قريش، إنه واللهِ قد نزل بكم أمر ما أتيتم به بحيلة بعد، كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم خلقاً، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاء بما جاءكم به قلتم: ساحر، لا، واللهِ ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة وعقدهم، وقلتم: كاهن، لا، واللهِ ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهنة وتخالجهم، وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر، لا، واللهِ ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها، هزجه ورجزه، وقلتم: مجنون، لا، واللهِ ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقة، ولا وسوسة، ولا تخليطة، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه واللهِ قد نزل بكم أمر عظيم.

## موقف هرقل من النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

ولنسمع أيها الأخوة إلى حوار جرى بين هرقل ملك الروم وبعض زعماء قريش من المعارضين للنبي عليه الصلاة والسلام، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ:

**((أَنّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تِجَاراً بِالشّأْمِ فِي الْمُدّةِ الّتِي كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَادّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرّومِ، ثُمّ دَعَاهُمْ، وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيّكُمْ أَقْرَبُ نَسَباً بِهَذَا الرّجُلِ الّذِي يَزْعُمُ**

أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَباً، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ، فَوَ اللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِباً لَكَذَبْتُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ؟ فَقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ، قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئاً غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا، وَنَنَالُ مِنْهُ، قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصِّلَةِ، فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، قُلْتُ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ: أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ، وَسَأَلْتُكَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقّاً فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، }وَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ{، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ، وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ، وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ،

**فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ، وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ، وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ، يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ، قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً، يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ، فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا، فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ، ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا، فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ، فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ، فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنْ الْإِيمَانِ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ، وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ))**

[البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاس]

أيها الأخوة الأحباب، كلمة أقولها: لو أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهموا الإسلام كما يفهمه عامة المسلمين اليوم ما خرج الإسلام من مكة:

**((فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ))**

[البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاس]

## أقوال في النبي محمد لكُتَّاب وباحثين غربيين:

أيها الأخوة الكرام، يقول أحد كتاب السيرة الغربيين: كان محمد عابداً متحنثاً، وقائداً فذاً، شيد أمة من الفتات المتناثر، وكان رجل حرب يضع الخطط، ويقود الجيوش، وكان أباً عطوفاً، وزوجاً تحققت فيه المودة والرحمة والسكن، وكان صديقاً حميماً، وقريباً كريماً، وجاراً تشغله هموم جيرانه، وحاكماً تملأ نفسه مشاعر محكوميه، يمنحهم من مودته وعطفه ما يجعلهم يفتدونه بأنفسهم، ومع هذا كله فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض، الدعوة التي حققت للإنسان وجوده الكامل، وتغلغلت في كيانه كله، ورأى الناس الرسول الكريم تتمثل فيه هذه الصفات الكريمة فصدقوا تلك المبادئ التي جاء بها كلها، ورأوها متمثلة فيه، ولم يقرؤوها في كتاب جامد، بل رأوها في بشر

متحرك، فتحركت لها نفوسهم، وهفت لها مشاعرهم، وحاولوا أن يقتبسوا قبسات من الرسول الكريم كل بقدر ما يطيق، فكان أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، وكان هادياً ومربياً بسلوكه الشخصي، قبل أن يكون بالكلم الطيب الذي ينطق به.

يقول الباحث البريطاني كارييل: إن التشكيك في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودينه يعد اليوم عاراً كبيراً، وإن علينا الرد على مثل هذه الآراء غير الصحيحة، والأقوال التي لا معنى لها، فعلى الرغم من مرور القرون على بعثة هذا النبي ما يزال مئات الملايين من المسلمين في العالم يستضيؤون بنور الرسالة.

ويقول أستاذ جامعي أميركي: لقد أدرك محمد صلى الله عليه و سلم ـ نصلي عليه طبعاً ـ أهمية الاتحاد وعلو منزلة المجتمع الموحد في بعثته الإسلامية، وبذلك زرع بيديه بذور الاتحاد والمودة في نفوس المسلمين، وسقاها وتعهدها بالرعاية حتى أعطت ثماراً حلوة المذاق.

ويقول ميلر الكاتب البريطاني المعروف: إن بعض الديانات تهتم بالجوانب الروحية من حياة البشر، وليس لديها في تعاليمها أي اهتمام بالأمور السياسية والقانونية والاجتماعية، ولكن محمداً ببعثته وأمانته الإلهية كان نبياً، وكان رجل دولة، ومقنناً، أي واضعاً للقوانين، وقد اشتملت شريعته على أحكام وقوانين مدنية وسياسية واجتماعية.

ويقول الكاتب والباحث الغربي ريتين: منذ بزوغ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وسطوع شمس الإسلام أثبت هذا النبي أن دعوته موجهة للعالمين، وإن هذا الدين المقدس يناسب كل عصر، وكل عنصر، وكل قومية، وأن أبناء البشر في كل مكان، وفي ظل أيّ حضارة لا غنى لهم عن هذا الدين الذي تنسجم تعاليمه مع الفكر الإنساني.

ويقول المسيو جان الكاتب والعالم السويسري المعاصر: لو أمعنا النظر في أسلوب حياة محمد صلى الله عليه وسلم وأخلاقه على الرغم من مرور أربعة عشر قرناً على بعثته لتمكنا من فهم كنه العلاقة التي تشد ملايين الناس في العالم لهذا الرجل العظيم، والتي جعلتهم وتجعلهم يضحون من أجله، ومن أجل مبادئه الإسلامية السامية بالغالي والرخيص.

## سيدنا محمد كما يراه المفكرون في الغرب:

أما الفيلسوف الروسي تولستوي الذي أعجب بالإسلام وتعاليمه في الزهد والأخلاق والتصوف فقد انبهر بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وظهر ذلك واضحاً على أعماله فيقول في مقالة له بعنوان: "مَن هو محمد ؟": إن محمداً صلى الله عليه وسلم هو مؤسس ورسول، وكان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء، وتقديم

الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهو عمل عظيم لا يقدم عليه إلا شخص أوتي قوة، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال.

ويقول عنه أيضاً: ليس هناك من شك في أن محمداً صلى الله عليه وسلم قدم ببعثته خدمة كبيرة للبشرية فهي فخر وهدى للناس، وهي التي أرست دعائم الصلح والاستقرار والرخاء، وفتحت طريق الحضارة والرقي للأجيال، وبديهي أن ما فعله محمد صلى الله عليه وسلم عمل عظيم لا يفعله إلا شخص مقتدر ذو عزم رصين، ومثل هذا الشخص وبلا شك يستحق كل إكرام وتقدير واحترام.

ويقول مفكر آخر رفع لواء أنه لا إله يقول: الحقيقة أن محمداً قد جاء برسالة لا يمكن إنكارها، وهي خلاصة الرسالات السابقة، بل وتعلو عليها، بناء على هذا فإن رسالته للعالم دستور ثابت، وما جاء به محمد وأقواله تنسجم وذوق البشر، وإدراك بني الإنسان في هذا العصر.

وكم هو جميل ما قاله العالم الإيطالي واكستون قال: لو سألني أحدهم فقال: من هو محمد الذي تمدحه كل هذا المديح ؟ لقلت له بكل أدب واحترام: إن هذا الرجل المشهور، وإن هذا القائد الذي لا نظير له وعلاوة على كونه مبعوثاً من الله هو رئيس حكومة إسلامية كانت ملجأ وملاذاً لكل المستضعفين والمسلمين، وحامية لمصالحهم الاجتماعية، فإن محمداً الذي يعد باني ومؤسس تلك الحكومة كان قائداً سياسياً بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

## سيدنا محمد كأعظم شخصية عرفها التاريخ بشهادة مؤرخين وكُتّاب غربيين:

ويقول الكاتب الفرنسي كورسيه: عندما نهض محمد بدعوته، وقبل وبعد انطلاق بعثته كان شاباً شجاعاً شهماً، يحمل أفكاراً تسمو على ما كان سائداً من أفكار في مجتمعه، وقد تمكن محمد صلى الله عيه وسلم بسمو أخلاقه من هداية عرب الجاهلية المتعصبين الذين كانوا يعبدون الأصنام إلى عبادة الله الواحد الأحد، وفي ظل حكومته الديمقراطية الموحدة تمكن من القضاء على كل أشكال الفوضى والاختلاف والاقتتال التي كانت شائعة في جزيرة العرب، وأرسى بدل ذلك أسس الأخلاق الحميدة محولاً المجتمع العربي الجاهلي المتوحش إلى مجتمع راق ومتحضر.

وهذا المؤرخ الأوربي جيمس يقول في مقال تحت عنوان " الشخصية الخارقة " عن النبي صلى الله عليه وسلم: وقد أحدث محمد عليه السلام بشخصيته الخارقة للعادة ثورة في الجزيرة العربية، وفي الشرق كله، فقد حطم الأصنام بيده، وأقام ديناً خالداً يدعو إلى الإيمان بالله وحده.

ويقول الفيلسوف الفرنسي كارديفو: إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان هو النبي الملهم والمؤمن، ولم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العالية التي كان عليها، إن شعور المساواة والإخاء الذي أسسه محمد صلى الله عليه وسلم بين أعضاء الكتلة الإسلامية كان يطبق عملياً حتى على النبي صلى الله عليه وسلم نفسه.

ويقول الفيلسوف البريطاني توماس كاريل، وقد خصص من كتابه فصلاً لنبي الإسلام بعنوان: " البطل في صورة رسول "، عدّ فيه النبي صلى الله عليه وسلم واحداً من العظماء السبعة الذين أنجبهم التاريخ، وقد ردّ هذا المؤلف مزاعم المتعصبين فقال: يزعم المتعصبون أن محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان، كلا والله، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات، المتورد المقلتين، العظيم النفس، المملوء رحمة وخيراً وحناناً وبراً وحكمة وحجىً وإربة ونهياً وأفكاراً غير الطمع الدنيوي ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه، كيف لا، وتلك نفس صامتة، ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين.
ويقول مؤلف كتاب المئة الأوائل في تاريخ البشرية، وقد وضع محمد بن عبد الله على رأس المئة الأوائل في التاريخ البشري: هو الإنسان الأول من بين المئة الأوائل في تاريخ البشرية كلها من حيث قوة التأثير، ومن حيث نوع التأثير، ومن حيث امتداد أمد التأثير، ومن حيث اتساع رقعة التأثير.

## جانب من شخصية النبي العظيم كما وصفه كتّاب السيرة من المسلمين:

ويقول كتاب السيرة من المسلمين يصفون شخصية النبي صلى الله عليه وسلم التعاملية، أي يصفون جانباً من شخصيته: " لقد كان صلى الله عليه وسلم جمّ التواضع، وافر الأدب، يبدأ الناس بالسلام، ينصرف بكله إلى محدثه صغيراً كان أو كبيراً، يكون آخر من يسحب يده إذا صافح، وإذا تصدق وضع الصدقة بيده في يد المسكين، وإذا جلس جَلس حيث ينتهي به المجلس، لم يُرَ ماداً رجليه قط، ولم يكن يأنف من عمل لقضاء حاجته أو حاجة صاحب أو جار، وكان يذهب إلى السوق، ويحمل بضاعته، ويقول: أنا أولى بحملها، وكان يجيب دعوة الحر والعبد والمسكين، ويقبل عذر المعتذر، وكان يرفو ثوبه، ويخسف نعله، ويخدم نفسه، ويعقل بعيره، ويكنس داره، وكان في مهنة أهله، وكان يأكل مع الخادم، ويقضي حاجة الضعيف والبائس، يمشي هوناً، خافض الطرف، متواصل الأحزان، دائم الفكر، لا ينطق من غير حاجة، طويل السكوت، إذا تكلم تَكلم بجوامع الكلم، وكان دمثاً، ليس بالجاحد ولا المهين، يعظم النعم وإن دقت، ولا يذم منها شيئاً، ولا يذم مذاقاً، ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا، ولا ما كان لها، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض بصره، وكان يؤلف ولا يفرق، يقرّب ولا ينفر، يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، يحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، ولا يقصر عن حق ولا يجاوزه، ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو ما يسره من القول، كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش، ولا عياب ولا مزاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يخيب فيه مؤمله، كان لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجى ثوابه، يضحك مما يضحك منه

أصحابه، ويتعجب مما يتعجبون، ويصبر على الغريب وعلى جفوته في مسألته ومنطقه، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه"، والحديث عن شمائله صلى الله عليه وسلم حديث يطول لا تتسع له المجلدات ولا خطب في سنوات، ولكن الله جل في علاه لخصها بكلمات فقال:

**( وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ )**

( سورة القلم )

**وأجمل منك لم ترَ قط عين و أكمل منك لم تلد النساء**

**خلقت مبرءاً من كل عيب كأنـك قد خلقت كما تشاء**

*  *  *

**و أسدت للبرية بنت وهب يداً بيضاء طوقت الرقاب**

**لقد وضـعته وهاجاً منيراً كما تلد السماوات الشهاب**

*  *  *

## تذكية الذبيحة:

الموضوع العلمي: تذكية الذبيحة.

أيها الأخوة الأحباب، من دلائل نبوة النبي هذا الموضوع العلمي: تذكية الذبيحة، وبحسب توجيه النبي صلى الله عليه وسلم هي الذبح بطريقة معينة، ويتم ذلك بقطع الوريد الرئيسي فقط، وأن يمتنع الذابح عن قطع الرأس بالكامل، ولم يكن في محيط النبي صلى الله عليه وسلم، ولا في الجزيرة العربية، ولا في مراكز الحضارات شرقاً وغرباً من معطيات علمية تسمح بتعليل ذلك التوجيه، بل ولا في العصور التي تلت عصره صلى الله عليه وسلم، إلى أن اكتُشِف أخيراً قبل بضعة عقود من الزمن أن القلب ـ قلب الإنسان وقلب الذبيحة ـ ينبض بتنبيه ذاتي يأتيه من مركز كهربائي في القلب، ومع هذا المركز الأول مركزان كهربائيان احتياطيان لهذا المركز، يعمل الثاني عند تعطل الأول، ويعمل الثالث عند تعطل الثاني، ولكن هذا التنبيه الذاتي الذي يأتي من القلب يعطي النبض الطبيعي ثمانين نبضة مثلاً ليس غير، أما حينما يواجه الكائن خطراً، ويحتاج إلى مئة وثمانين نبضة في الدقيقة لتسرع الدم في الأوعية، وليرتفع الجهد العضلي بزيادة إمداده بالدم فلا بد عندئذ من أن يأتي أمر استثنائي كهربائي هرموني من الغدة النخامية في الدماغ إلى الكظر، ثم إلى القلب، وهذا يقتضي أن يبقى رأس الدابة متصلاً بجسمها حتى يُفَعل الأمر الاستثنائي برفع النبض.

## تذكية الذبيحة بخروج الدم منها ولا يتم ذلك إلا إذا بقي الرأس متصلاً بالذبيحة:

أيها الأخوة الأحباب، إن نبضات القلب الاستثنائية بعد الذبح من خلال وجود علاقة بين المخ والقلب تدفع الدم كله إلى خارج الجسم فيصير الحيوان المذبوح طاهراً وردي اللون، ومعلوم أن

مهمة القلب عند ذبح الحيوان هي إخراج الدم كله من جسم الدابة، والنبض الطبيعي لا يكفي لإخراج الدم كله من جسم الذبيحة، فإذا قطع رأس الذبيحة بالكامل حرم القلب من التنبيه الاستثنائي الكهربائي الهرموني الذي يسهم في إخراج الدم كله من الذبيحة، عندئذ يبقى دم الدابة فيها، ولا يخفى ما في ذلك من أذى يصيب آكلي هذه الذبيحة، فإذا بقي دم الدابة فيها كان خطراً على صحة الإنسان، لأن الدم في أثناء حياة الدابة يصفى عن طريق الرئتين والكليتين والتعرق، أما بعد الذبح فيصبح الدم بيئة صالحة لنمو الجراثيم الفتاكة حيث تسري الحموض السامة التي تؤذي الإنسان بسبب وجودها في جسم الحيوان، وبهذا يتسمم اللحم كله، وبوجود حمض البول في الدم، وبوجود الدم في اللحم يسري هذا كله إلى آكل هذه الذبيحة، فإذا أكل الإنسان هذا اللحم يعاني من آلام في المفاصل، لأن حمض البول يترسب في تلك المفاصل، لذلك فتذكية الذبيحة تطهيرها بخروج الدم منها، ولا يخرج الدم كله من الذبيحة إلا إذا بقي الرأس متصلاً بالذبيحة.

أيها الأخوة، من أنبأ النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الحقائق التي اكتشفت قبل حين حيث أمر أصحابه بقطع أوداج الدابة دون قطع رأسها كما تفعل معظم المسالخ في العالم غير الإسلامي ؟ إن هذا الحديث الشريف من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخـطـبـة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الحكمة الربانية في الأحداث الأخيرة:

أخوتي المؤمنين، أعزائي المستمعين، إلى الموضوع الساخن والضاغط، من السهل جداً أيها الأخوة أن نعاين السلبيات، وما أكثرها في الأحداث الأخيرة، ولكن ليس من السهل ولا متاحاً لكل إنسان أن يكتشف الإيجابيات فيها، لأنها تحتاج إلى بعد نظر، وإلى قوة بصيرة، وهذا ليس متاحاً لمعظم الناس، يضاف إلى ذلك أنه من منطلق العقيدة الإسلامية الصحيحة أن كل شيء وقع أراده الله، بمعنى أنه سمح به فقط، فلا يقبل، ولا يعقل أن يقع في ملك الله ما لا يريد، وأن كل شيء أراده

الله وقع، فهو فعال لما يريد، وأن إرادته متعلقة بالحكمة المطلقة، لأن كمال الله مطلق، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق، قال تعالى:

**( قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ )**

( سورة آل عمران الآية: ٢٦ )

يضاف إلى ذلك أن لكل واقع حكمة، ولو كان الموقع غير حكيم، لأن الله جلت حكمته يوظف الشر الذي تنضح به نفوس المعرضين بالخير المطلق، ولأن الشر المطلق لا وجود له في الكون، بل هو يتناقض مع وجود الله، قال تعالى:

**( إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ )**

( سورة القصص )

دققوا:

**( وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) )**

( سورة القصص )

يوظف الشر الذي تنضح به نفوس المعرضين للخير المطلق، وبناء على هذا سنحاول تلمس الحكمة الربانية في الأحداث الأخيرة منطلقين من قوله تعالى:

**( فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً(١٩) )**

( سورة النساء)

## في الأحداث الأخيرة سقطت مبادئ القوم وسقطت شعاراتهم:

أيها الأخوة الأحباب، من الحقائق المرة التي هي أفضل ألف مرة من الوهم المريح أن هناك خسائر لحقت وتلحق بالمسلمين من خلال الأحداث الأخيرة، وثمة مكاسب للطرف الآخر حققها، وقد يحقق غيرها، ولكن السؤال المطروح: كيف نتلمس المكاسب تحت ركام الخسائر ؟ وما من شك أن لكل معركة خسائر ظاهرة ومكاسب خفية، والمتأمل في التاريخ يرى صوراً للنصر انبثقت من حطام المأساة، إذاً تفاءلوا، وكان عليه الصلاة والسلام يحب التفاؤل.

أيها الأخوة الكرام، في الأحداث الأخيرة سقطت مبادئ القوم وسقطت شعاراتهم، وأخفقت مؤسساتهم وهيئاتهم، فالحرية والديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان وما شابهها باتت مصطلحات محنطة من مخلفات الماضي، وكادت هذه القيم الغربية البراقة تصرف النفوس عن قيم الدين

الأصيلة، وتخطف الأبصار عن مضامين وحي السماء، فلما سقطت مبادئ القوم وقيمهم لم يبق في ساحة القيم إلا قيم الدين، ولم يبق من خلق إلا خلق أهل الإيمان، كما أن الأحداث الأخيرة وسعت دائرة المقت للغرب البعيد ولمبادئه ولحضارته، وكثرت من سواد الرافضين لأفكاره ومبادراته، وأن كثيراً من المفاهيم والأنماط والسلوكيات الاجتماعية سيعاد النظر فيها، أعني تلك التي صُدِّرت لنا من الغرب على مستوى الرجل والمرأة، وعلى مستوى الأسرة والعلاقات والنشاطات، فالمقت للغرب البعيد سيسري على مقت صادراتهم الفكرية وأنماط حياتهم الاجتماعية، ولا مجال اليوم ولا غداً لمن كانوا ينظرون للغرب عامة على أنه قبلة الفكر ونموذج القيم، فقد كشفت حقيقة القوم، وآن الأوان للمسلمين أن يعتزوا بقيمهم الإسلامية وأنماط حياتهم الاجتماعية.

وأما الآلة العسكرية فليست كما يقولون لحفظ العدل والسلام، بل للتدمير والاحتلال، ولا تفرق بين مدني وعسكري، وأن الآلة الإعلامية تلبست بالكذب والتزوير والاستخفاف بالعقول.

## أنواع الجهاد:

اتضح للمسلمين من خلال الأحداث الأخيرة أن الجهاد بمضامينه الشمولية والعميقة لا يمكن أن يكون ردّ فعل مرتجل على خطر طارئ، إنما هو سلوك مستمر لكل أفراد الأمة بصرف النظر عن الظروف المحيطة.

### ١- جهاد النفس والهوى:

الجهاد الأساسي هو جهاد النفس والهوى ذلك أن المهزوم أمام شهواته وأمام حظوظه لا يمكن أن يقاوم عدواً، أخذاً بقوله تعالى:

**( إِنّ اللّهَ لاَ يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ )**

( سورة الرعد الآية: ١١ )

ما لم تكن مشاريع التغيير منطلقة من داخل النفس فإنها لا تنجح إطلاقاً.

### ٢- الجهاد الدعوي:

الجهاد الثاني الجهاد الدعوي، ذلك أن الإنسان الذي لا يعلم من هو، ولا يعلم سر وجوده، ولا غاية وجوده، ولا يعرف ربه، ولا يعلم مراده منه، ولا يعلم حقيقة الحياة الدنيا الفانية، ولا عظم الآخرة الباقية، مثل هذا الإنسان لا يمكن أن يقاوم عدواً، أخذاً بقوله تعالى:

**( وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً )**

( سورة الفرقان )

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " وجاهدهم به أي بالقرآن "، فالجهاد الكبير إنما هو الدعوة، والبيان بالحجة والبرهان، وأعظم حجة وبيان هو هذا القرآن، إنه حجة الله على خلقه، ومعه تفسيره وبيانه الذي هو السنة.

## ٣ـ الجهاد البنائي:

الجهاد الثالث: هو الجهاد البنائي، وهو أن كل مسلم في موقعه عليه أن يطور علمه وخبرته، وأن يتقن عمله ويحسنه، وأن يضع إنجازه هذا في خدمة المسلمين، فإذا كانت الأمة الإسلامية بحاجة إلى واحد يموت من أجلها هي في أمسّ الحاجة إلى ألف إنسان يعيش من أجلها، أخذاً بقوله تعالى:

**( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ )**

( سورة الأنفال الآية: ٦٠ )

فالمؤمنون بمجموعهم مأمورون بإعداد العدة ليواجهوا بها قوى البغي والعدوان، فكلمة ما استطعتم تعني استنفاذ الجهد، لا بذل بعض الجهد، والقوة التي ينبغي أن يعدّها المؤمنون جاءت منكرة تنكير شمول، ليكون الإعداد شاملاً لكل القوى التي يحتاجها المؤمنون في مواجهة أعدائهم من قوة في العَدد، وقوة في العُدد، وقوة في التدريب، وقوة في التخطيط، وقوة في الإمداد، وقوة في التموين، وقوة في الاتصالات، وقوة في المعلومات، وقوة في تحديد الأهداف، وقوة في دقة الرمي، وقوة في الإعلام، بل إن كلمة من التي سبقت القوة جاءت لاستغراق أنواع القوة واحدة إثر واحدة.

## ٤ـ الجهاد القتالي:

لقد أفادت استقصاء أنواع القوى لا اصطفاء بعضها، وكلمة من رباط الخيل جاءت عطفاً للخاص المألوف وقت نزول القرآن على العام الذي يستغرق كل الأزمان والبيئات والتطورات والتحديات، وهذا الإعداد يحقق أهم أهدافه، ولو لم تقع المواجهة مع العدو، إنها رهبة القوي تقذف في قلوب أعدائه، لقوله تعالى:

**( تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ )**

هذا فضلاً عن البناء العلمي والاقتصادي والاجتماعي، وهذا كله مما يعنيه الجهاد البنائي، إذا تحقق جهاد النفس والهوى، وتحقق الجهاد الدعوي، وتحقق الجهاد البنائي، وكان جهداً يومياً مستمراً، وجهداً واعياً مخلصاً، عندئذ وبعد تحقق هذه الشروط الثلاثة ينتظر أن ينجح الجهاد القتالي.

## التعاون والمشاورة الجماعية من سمات المسلمين ومن خصائص دينهم:

أيها الأخوة الكرام، من المكاسب الخفية في الأحداث الأخيرة تقاربنا ووحدتنا، ولاشك أن المسلمين يعيشون حالة من الفرقة لا يحسدون عليها، ولكن الأحداث إذا ما استثمرت توحد كلمتهم، وتجمع شملهم، فالخطر يحيط بهم جميعاً، والمخطط يستهدفهم جميعاً، وفرقتهم وتناقضهم أمضى سلاح يلعب به أعداؤها الصهاينة، وحينما تجتمع أو تتقارب تبدأ في السير على الطريق الصحيح لمقارعة أعدائها، ولاشك أن عاطفة المسلم في المشرق حينما تلتقي مع عاطفة المسلم في المغرب شيء عظيم، وهذا ما بدأنا نلمسه في هذه الأحداث الأخيرة، والمؤمل أن تتنامى هذه المشاعر وأن تستثمر.

ومن المكاسب الخفية للأحداث الأخيرة التفكير الجماعي والمشورة، والتفكير للخروج من الأزمة غانمين، وليس مجرد سالمين، هذه إيجابية طالما غفل عنها المسلمون، إذ اعتادوا على التفكير الأحادي والمشاريع الفردية، وهذه مع أهميتها لا بد من أن تكون جماعية، فقد قال الله عز وجل:

**( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى )**

( سورة المائدة الآية: ٢ )

والتعاون والمشاورة الجماعية من سمات المسلمين ومن خصائص دينهم.

أيها الأخوة الكرام، لقد كان لهذه الأزمات أثر في تحريكها وتقريب وجهات النظر، والمأمول أن تزيد هذه الإيجابية، وأن تستثمر، وأن يتم التعاون على الخير والمشورة لصالح الإسلام وقضايا المسلمين.

## من مكاسب المسلمين:

ومن مكاسب المسلمين من خلال هذه الأحداث الأخيرة أنها أحيت في نفوسهم مشاعر العزة بالإسلام، فقد كانت الضربة من القسوة بحيث أيقظت نيام المسلمين، وأذكت مشاعر الغافلين، وبات المسلمون في شتى أقطارهم يشعرون بأنهم وحدهم الهدف الحاضر والمستقبل، وتجددت مفاهيم الولاء والبراء عند المسلمين، وأحسّ المفرطون من المسلمين بحاجتهم إلى التوبة والعودة إلى الدين، ولقد كان صلف القوم سبباً في إشعال هذا الفتيل.

ومن مكاسب المسلمين في الأحداث الأخيرة أن الفرصة مواتية للدعوة إلى الدين الحق، وكشف محاولة الأعداء لتشويه صورة الإسلام، ونبي الإسلام، وبلاد المسلمين، والفرصة مناسبة لدعوة المسلمين للتمسك بدينهم، فقد باتت الآذان مهيأة لسماع هذا أكثر من أي وقت مضى، فهل يستثمر المسلمون عامة والدعاة والعلماء والمفكرون خاصة هذه الفرصة المواتية للدعوة ؟

إن الدعوة إلى الدين الحق دعوة إلى الثوابت، وقد أشار إلى هذا السيد الرئيس في مؤتمر القمة الذي عقد مؤخراً في بيروت فقال: طالب بعضهم بالتنازل عن بعض الحقوق بحجة استيعاب العاصفة، وكان البعض يعتقد بأنه بذلك ينحني للعاصفة، لكنهم لم يفرقوا بين الانحناء للعاصفة واقتلاع الجذور من الأرض، حتى قبل أن تأتي العاصفة، عندما تقتلع الأمة من جذورها، فأي ريح خفيفة سوف تأخذها إلى المجهول ؟ عندما تكون هناك عواصف نحن بحاجة أكثر إلى التمسك بالثوابت والمبادئ التي هي جذورنا، فالعاصفة مهما استمرت سوف تنتهي، وعندما نحاول الوقوف بعد غياب العاصفة، ولن نستطيع الوقوف إن لم تكن لنا جذور، وبالتالي عندما تكون هناك عواصف فيجب أن نتمسك أكثر بالثوابت، فالعواصف تأتي وتذهب أما الثوابت إذا ذهبت فلن تعود، عدا عن أن هذه العواصف متبدلة بتبدل المصالح "، انتهى قول كلام السيد الرئيس.

## جزئية النظر ومحدودية الفهم للدين من أشد آفات المسلمين فتكاً بهم:

إن من أشد آفات المسلمين فتكاً بهم جزئية النظر ومحدودية الفهم للدين، كل أخذ جانباً واستغرق فيه حتى صار لا يرى غيره، وأصيب بالعمى عن رؤية غير ما هو فيه، وقد يستفحل هذا الداء فلا يرى هؤلاء في الميدان أحداً غيرهم، يتصرفون حينئذ على أنهم الذين يمثلون وحدهم المسلمين، وأنهم وحدهم الذين يحملون الراية، وعلى الآخرين أن يتبعوهم، وينقادوا إليهم، ومن أسباب هذا الداء الانغلاق على النفس والجهل بواقع المجتمع، وبواقع المسلمين، والجهل بما عند الآخرين، وعدم التواصل، والتحاور معهم.

أيها الأخوة الكرام، أوجّه الخطاب لكل مسلم: أنت أيها المسلم مدعو للمساهمة في استثمار هذه الأزمة، فماذا قدمت ؟ هل ساهمت بكلمة طيبة ؟ هل تقدمت بمقترح مفيد ؟ هل فكرت في مشروع نافع للأمة ؟ هل أعنت ملهوفاً ؟ هل دعوت من قلب مخلص لمكروب؟ أي نوع من المساهمة قدمت لنفسك ولأمتك ؟ هل تصدق أو يصح أن تقول: لا أستطيع عمل شيء، هل ترضى أن تكون رقماً هامشياً في أمتك ؟ هل يكفيك أن تدير موجات المذياع بحثاً عن آخر الأخبار، ثم ماذا ؟ أو تنظر بسلبية إلى المشاهد الدامية عن أخوانك المؤمنين، وهم يقتلون، وتحتل أرضهم ؟ إنها دعوة إلى المساهمة:

**( مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا (٤٦) )**

( سورة فصلت)

والإسلام مسؤوليتنا جميعاً، وكيد الأعداء يستهدفنا جميعاً، وحقوق المسلمين علينا جميعاً.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٦٣) : خ١ - الإسراء والمعراج ، خ٢ - السمكة الطبية .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-٠٩-١٩

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخـطـبـة الأولـى:**

## الإسراء والمعراج:

أيها الأخوة الكرام، موضوع الإسراء والمعراج هو موضوع هذه الخطبة، وهو من الموضوعات المتعلقة بالمناسبات الدينية، وهذه الموضوعات لا نحتاج إلى سرد وقائعها بقدر ما نحتاج إلى استنباط الدروس والعبر منها.

بادئ ذي بدء الإسراء والمعراج هو معجزة ثابتة في الكتاب والسنة، ولكن لا معنى للحديث عن المعجزات التي هي خرق للنواميس والعادات، وعن جزئياتها، وعن وقوعها أو عدم وقوعها، إذا كان أصل الدين الذي يتلخص في: الإيمان بالله موجوداً وواحداً وكاملاً، والإيمان بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وأنه فعال لما يريد، إذا كان هذا الأصل محل شك فلا معنى للحديث عن المعجزات أصلاً، فالقرآن الكريم يخاطب الناس بأصول الدين، بوجود الله عز وجل، ويخاطب المؤمنين بفروع الدين، ومعجزة الإسراء والمعراج من فروع الدين.

أيها الأخوة، حقيقة أضعها بين أيديكم، إن الكون بمجراته وكازاراته، بكواكبه ومذنباته، بالمسافة بين النجوم، بالسرعات الضوئية، بحجوم النجوم وسرعاتها، وبدورانها وتجاذبها، والأرض بجبالها ووديانها، وسهولها وبحارها، ببحارها وبحيراتها، بينابيعها وأنهارها، بحيواناتها ونباتاتها، بأسماكها وأطيارها، بمعادنها وثرواتها، والإنسان بعقله، وعاطفته، وأعضائه، وأجهزته، بفطرته وطباعه، بزواجه وذريته، هذه كلها معجزات، وأية معجزات، بشكل مختصر الكون بسماواته وأرضه هو في وضعه الراهن من دون خرق لنواميسه، ومن دون خروج عن نظامه، هو في حد ذاته معجزة، وأية معجزة، والدليل قوله تعالى:

**( إِنّ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللّيْلِ وَالنّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ )**

( سورة آل عمران )

إن في خلق السماوات والأرض من دون خرج للنواميس

**( إِنّ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللّيْلِ وَالنّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الّذِينَ**

**يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) )**

( سورة آل عمران )

## التوحيد الإيجابي:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، إن الله جل جلاله خلق الكون بسماواته وأرضه، وخلق العوالم وعلى رأسها الإنسان وفق أنظمة بالغة الدقة، ومن أبرز هذه الأنظمة نظام السببية ؛ وهو تلازم شيئين وجوداً وانعداماً أحدهما قبل الآخر، سمينا الأول سبباً، وسمينا الثاني نتيجة، ومما يكمل هذا النظام الرائع أن العقل البشري يقوم على مبدأ السببية، أي أن العقل لا يفهم حدثاً من دون سبب، ومن رحمة الله بنا أن هذا النظام في الكون وذاك المبدأ في العقل يقودنا برفق إلى معرفة الله، مسبب الأسباب، الأقدام تدل على المسير، والماء يدل على الغدير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟

ومن رحمة الله بنا أيضاً أن تلازم الأسباب مع النتائج يضفي على الكون طابع الثبات، ويمهد الطريق لاكتشاف القوانين، ويعطي الأشياء خصائصها الثابتة ليسهل التعامل معها، ولو لم تكن الأسباب متلازمة مع النتائج، ولو لم تكن النتائج بقدر الأسباب، لأخذ الكون طابع الفوضى والعبثية، ولتاه الإنسان في سبل المعرفة ولم ينتفع بعقله، لكن من اعتقد دققوا في هذا الكلام: من اعتقد أن الأسباب وحدها تخلق النتائج ثم اعتمد عليها وحدها فقد أشرك، لذلك يتفضل الله على هذا الإنسان الذي وقع في الشرك الخفي فيؤدبه بتعطيل فاعلية هذه الأسباب التي اعتمد عليها، فيفاجأ بنتائج غير متوقعة، ومن ترك الأخذ بالأسباب متوكلاً في زعمه على الله عز وجل فقد عصى، لأنه لم يعبأ بهذا النظام الذي ينتظم الكون، ولأنه طمع بغير حق أن يخرق الله له هذه القوانين، أما المؤمن الصادق فأخذ بالأسباب من دون أن يعتقد أنها تخلق النتائج، وبالتالي من دون أن يعتمد عليها، يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم يتوكل على الله وكأنها ليست بشيء، معتقداً أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الأسباب وحدها لا تقود إلى النتائج إلا بمشيئة الله، هذا هو التوحيد الإيجابي الذي يغيب عن كثير من المؤمنين فضلاً عن غير المؤمنين، قال تعالى:

**( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ )**

( سورة يوسف )

## ١ـ الحقيقة الأولى أن الإسراء والمعراج معجزة:

قال علماء التفسير: هذا هو الشرك الخفي، لكن أيها الأخوة، نظام السببية يخرق أحياناً، فحينما يأتي إنسان ويقول: إنني رسول الله ليبلغ منهج الله عز وجل، لا بد من أن يطالبه الناس ببرهان على أنه رسول الله، وعلى أن الكتاب الذي جاء به هو من عند الله، وهنا تأتي المعجزة لتكون برهاناً على صدق إرسال النبي ومصداقية منهجه قال تعالى:

**( يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ (١٧٤))**

( سورة النساء)

قال علماء التفسير: البرهان هو المعجزة:

**( يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً(١٧٤))**

( سورة النساء)

أيها الأخوة في كل مكان، المعجزة في بعض تعاريفها خرق لنواميس الكون ولقوانينه، ولا يستطيعها إلا خالق الكون، لأنه هو الذي وضع القوانين والنواميس، يعطيها لرسله لتكون برهاناً على صدقهم في إرسالهم، وصدقهم في إبلاغهم عن ربهم، والمعجزة ممكنة عقلاً غير مألوفة عادةً، فهناك فرق بين أن يحكم العقل على شيء باستحالته، وبين أن يعلن العقل عجزه عن فهم هذا الشيء، فعدم العلم بالشيء ليس علماً بعدم وجود ذلك الشيء.

هذه الحقيقة الأولى أن الإسراء والمعراج معجزة، وهذا مكان المعجزة في هذا الدين العظيم، ثانياً تؤكد روايات الإسراء والمعراج أن النبي عليه الصلاة والسلام أسري به من مكة إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء إلى سدرة المنتهى، ثم عاد إلى بيت المقدس، ومنه إلى مكة، من دون أن تقتطع هذه الرحلة المديدة من الزمن شيئاً، معنى ذلك أن الله خالق الزمن، الزمن مخلوق لا يسأل متى كان الله ؟ لأن الزمن من مخلوقاته، وأن الزمن من خلق الله يكون أو لا يكون، أما نحن فما علاقتنا بالزمن ؟ زمن الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه.

## ٢ـ إدارة الوقت هو الاستنباط الثاني من معجزة الإسراء والمعراج:

أيها الأخوة الأحباب حضوراً ومستمعين، وقت الإنسان هو عمره بالحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم وهو يمر مر السحاب، فما كان من وقته لله

وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته وإن عاش فيه عيش البهائم، فإذا قطع وقته بالغفلة والسهوة والأماني الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة فموت هذا الإنسان خير له من حياته.

الوقت بالنسبة للإنسان عنصر هام، إذا لم يكن محسوباً له بخير فهو محسوباً عليه بشر، إن إدارة الوقت هو الاستنباط الثاني من معجزة الإسراء والمعراج، إن إدارة الوقت هي في مجملها تحديد هدف ثم تحقيقه، وهذا في القرآن الكريم، قال تعالى:

**( أفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أهْدَى أمّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) )**

( سورة الملك )

لاشك أن من يمشي إلى هدف وغاية واضحة أهدى ممن يخبط خبط عشواء، هذه حقيقة.

## أدلة على أهمية الوقت في القرآن الكريم:

الآن أيها الأخوة، الأدلة على أهمية الوقت في القرآن الكريم، لقد أقسم الله جل جلاله بمطلق الزمن، بهذا المخلوق المكرم الذي هو في حقيقته الزمن، قال تعالى:

**( وَالْعَصْرِ (١) إنّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إلّا الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقّ وَتَوَاصَوْا بِالصّبْرِ (٣) )**

( سورة العصر )

أقسم الله بمطلق الزمن، بهذا المخلوق المكرم الذي هو في حقيقته الزمن، أنه خاسر لا محالة، لماذا؟ لأن مضي الزمن وحده يستهلكه، فالإنسان في أدق تعريفاته: بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، وما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإن لا أعود إلى يوم القيامة.

الآية الثانية:

**(أوَلَمْ نُعَمّرْكُمْ مَا يَتَذَكّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكّرَ وَجَاءَكُمُ النّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧) )**

( سورة فاطر )

أي لقد كانت أعماركم التي وهبناكم إياها بين أيديكم تكفي لمن أراد أن يتذكر أو أراد أن يتفكر أو يعمل صالحاً، من هذا المنهج القرآني الكريم يمكن أن نستخلص أهمية الوقت للإنسان المسلم، حيث ألقى الله عليه مسؤولية استغلال الوقت الاستغلال الأمثل الذي يحقق مرضاة الله تعالى وفائدة الإنسان، فالوقت عنصر مهم يجب على الفرد أن يتنبه إلى الاستفادة منه، سواء على مستوى الفرد، أو على مستوى الجماعة المسلمة.

## أدلة على أهمية الوقت في السنة الشريفة:

هذا في الكتاب فماذا في السنة الشريفة ؟ يقول عليه الصلاة والسلام:

**(( لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ. ))**

[الترمذي في جامع الأصول عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ ]

ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

**(( نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ))**

[البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

**(( اغتنم خمساً قبل خمس ؛ شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك ))**

[رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

**(( إذا قامت الساعة ـ إذا قامت القيامة وانتهى كل شيء ـ وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل ))**

[رواه الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

تؤكد السنة النبوية الشريفة على أهمية أن يستغل الإنسان الوقت في مراحل حياته المختلفة، بداية من الصغر وحتى تتقدم به السن، كما تتسع هذه الأهمية لتشمل أهمية استفادة الفرد ليس فقط من وقت العمل بل من وقت الفراغ بعد الانتهاء من العمل.

## قيمة الوقت في حياة مسلمي زماننا:

أيها الأخوة الأعزاء، أيتها الأخوات العزيزات، يؤكد بعض العلماء منذ زمن قديم أن الوقت يمر بسرعة محددة وثابتة، فكل ثانية أو دقيقة، وكل ساعة تشبه الأخرى، وأن الوقت يسير إلى الأمام بشكل متتابع، وأنه يتحرك وفق نظام معين محكم لا يمكن إيقافه أو تغيره أو زيادته أو إعادة تنظيمه، وبهذا يمضي الوقت بانتظام نحو الأمام، دون تأخير أو تقديم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال إيقافه أو تراكمه أو إلغاءه أو تبديله، الوقت هو الحياة، وهذا معنى مشترك يعرفه الناس جميعاً، ولكن الإسلام زاد على ذلك المعنى حين جعل الوقت بمثابة رأسمال يحاسب عليه الإنسان، ولكن الوقت يزيد عن المال، فالمال يدخر ويقايض عليه، وقد يعوض إذا أهدر، ولكن الوقت لا

سبيل إلى ادخاره، ولا إلى مقايضته، ولا إلى استرجاعه، إضافة إلى ذلك أن الوقت هو المورد الوحيد الذي نرغم على صرفه سواء أردنا أم لم نرد.

أيها الأخوة، كانت هذه الحقائق نبذةً عن قيمة الوقت فماذا عن قيمة الوقت في حياة مسلمي زماننا ؟ يبدو أن المورد الأكثر تبديداً في ثرواتهم هو الوقت، وإذا نظرنا إلى الممسكين بطرف الحضارة اليوم رأينا أنهم يستثمرون أوقاتهم في الشر والخير بدقة محسوبة، فما هو السبب في هذا التباين ؟ إنه بالتأكيد ليس راجعاً إلى فروق عنصرية، أو صفات جسمانية أو ذهنية أو موروثة، بل لأن الغرب استطاع أن يضع وينفذ نظاماً تربوياً يبث في أبنائه من خلاله ضمن ما يبث مبادئ إدارية فعالة، قام عليها نظام حياتي، تمارس فيه أسس إدارية سليمة، بل أصبحت هذه الأسس والمبادئ علوماً قائمة بذاتها، لها فروع وفنون تسمى العلوم الإدارية، ويبرز من هذه العلوم فرع كبير اسمه إدارة الوقت، إدارة الوقت أعلى مستويات تقدم أحسن ما تملك بأقل ما تملك.

أيها الأخوة، هناك مؤشرات مرضية تعبر عن سوء إدارة الوقت، هل تردد كثيراً ليس لدي وقت لإنجاز ما أود القيام به ؟ هذا بند، هل تتأخر دائماً عن مواعيدك ؟ هل تأخذ المهمات التي تقوم بها وقتاً أكبر مما تحدده لها ؟ هل تتضارب مواعيدك مع بعضها بعضاً ؟ هل تقدم على تنفيذ العمل الذي تحبه أو الأكثر إلحاحاً على العمل الأهم ؟ هل تفاجئك الأزمات وبعدها تتصرف وتتخذ الإجراءات حسب ما يتفق لك وتسمح به الظروف وليس كما تخطط لها ؟

إن اعتراف الأمر بأن العيب في ذاته هو أول خطوة على الطريق الصحيح، ولعلك إذا كنت تنتظر من هذا الموضوع أن نرشدك إلى أدوات خارج ذاتك بإدارة وقتك، إذا كان الأمر كذلك فانتبه إلى أن أهم الممتلكات التي تمتلكها هي الوقت، إنه مورد محدد يملكه الجميع بالتساوي، على الرغم أن الناس لم يولدوا بقدرات أو فرص متساوية، إنهم جميعاً يملكون الأربعة والعشرين ساعةً نفسها كل يوم، والاثنين والخمسين أسبوعاً كل عام، وهكذا فإن جميع الناس متساوون في ناحية المدة الزمنية سواء أكانوا من كبار الموظفين أم من صغارهم، من أغنياء القوم أم من فقرائهم، فالمشكلة ليست في مقدار الوقت لكل من هؤلاء ولكن المشكلة بطريقة إدارة الوقت.

## وقفة متأنية مع إدارة الوقت الذي لا نملك غيره:

أيها الأخوة، لا بد من وقفة متأنية مع إدارة الوقت الذي لا نملك غيره، حتى من يحركون النظام العالمي الجديد أو القديم لا يملكون من الوقت إلا ما نملكه نحن، نحن نتحدث عن إدارة بيتك وإدارة عملك نتحدث عن هدفك أنت وطموحك أنت.

هل الوقت هو المشكلة ؟ لا والله، نحن المشكلة، يجب أن نوقن أن العيب فينا لا في ضيق الأوقات.

أيها الأخوة، المخلصون الجادون في حياتهم يسهرون كثيراً على إنجاز أعمالهم ويتفانون في ذلك، ولكن قد لا يحسن بعضهم استثمار وقته، ولا يدرك أنه بقدر من المعرفة والممارسة يمكنه أن يحقق

نتائج أفضل مثل غيره أو أكثر من غيره، ليس بالضرورة أن تكون مديراً أو موظفاً كبيراً، فقد يكون من يسيء استخدام الوقت قائم على رأس عمل دعوي، أو طالب علم، أو ربة منزل في منزلها، المرض واحد، وقواعد العلاج واحدة، فالمهام الكثيرة المتنوعة غير المتجانسة يصلح لها جميعاً أن تدير الوقت إدارةً حكيمة، لأن الوقت هو أنت، الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه.

أما إذا كان الإنسان لا يستطيع السيطرة على وقته فهو بحاجة إلى إدارة أخرى، بحاجة إلى إدارة ذاته قبل أن يدير وقته، وقد ضرب النبي عليه الصلاة والسلام مثلاً أعلى رائعاً في حسن استغلال الوقت وإدارته، وسيرته كلها تشهد بذلك، لقد كان حريصاً أشد الحرص على أن تنتهج أمته ذلك، فوجهها في أكثر من حديث على أهمية الوقت، يقول عليه الصلاة والسلام من حديث أبو هريرة رضي الله عنه:

**(( بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعاً هَلْ تَنْتَظِرُونَ ))**

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ]

ماذا في المستقبل ؟

**(( هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْراً مُنْسِياً أَوْ غِنًى مُطْغِياً أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً أَوْ هَرَماً مُفَنِّداً أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً أَوْ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ))**

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ]

**(( أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنكبي فقال: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ))**

[البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ]

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك.

وأراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يعلم أصحابه درساً مع الوسائل المعينة كما تسمى اليوم:

**(( خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطّاً مُرَبَّعاً وَخَطَّ خَطّاً فِي الْوَسَطِ خَارِجاً مِنْهُ وَخَطَّ خُطَطاً صِغَاراً إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ وَقَالَ هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا ))**

[البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ]

أيها الأخوة، هذه الأحاديث وغيرها كثير دليل على أهمية الوقت في حياة المسلم كما وضحه جلياً رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## حكاية قصيرة تعد تطبيقاً لموضوع الخطبة:

إليكم هذه الحكاية القصيرة التي تعد تطبيقاً لموضوع الخطبة:

أحدهم له طفل صغير صحته ليست على ما يرام يقول: قررت الذهاب به إلى المستشفى، حملته وذهبت، لقد كان المنتظرون كثيرين، ربما نتأخر أكثر من ساعة، أخذت رقماً للدخول على الطبيب وتوجهت للجلوس في غرفة الانتظار، في غرفة الانتظار وجوه كثيرة مختلفة ؛ فيهم الصغير، وفيهم الكبير، الصمت يخيم على الجميع، يوجد عدد من الكنبات الصغيرة استأثر بها بعض الأخوة، أجلت طرفي في الحاضرين البعض مغمض العينين لا تعرف فيما يفكر، والآخر يتابع النظر إلى الجميع، والكل تحس من وجوههم القلق والملل من الانتظار، يقطع السكون الطويل صوت المنادي برقم كذا، الفرحة تعلو على وجه المنادى عليه، يسير بخطوات سريعة ثم يعود الصمت للجميع، لفت نظري شاب في مقتبل العمر لا يعنيه أي شيء حوله، لقد كان معه مصحف صغير يقرأ فيه، لا يرفع طرفه، نظرت إليه ولم أفكر في حاله كثيراً، لكنني حينما طال انتظاري عن الساعة الكاملة تحول نظري إليه، من مجرد نظر إلى تفكير عميق في أسلوب حياته ومحافظته على الوقت، ساعة كاملة من عمري ماذا انتفعت بها، أنا فارغ بلا عمل ولا شغل، بل انتظار ملل، أذن المؤذن لصلاة المغرب ذهبنا إلى الصلاة، وفي مصلى المستشفى حاولت أن أكون في جوار صاحب المصحف، وبعد أن أتممنا الصلاة سرت معه وأخبرته بإعجابي من محافظته على وقته، وكان حديثه يتركز على كثرة الأوقات التي لا نستفيد منها إطلاقاً، وهي أيام وليال تمضي من أعمارنا دون أن نحس بها، ودون أن ننتفع بها، قال إنه أخذ مصحف الجيب منذ سنة عندما حثه صديق له بالمحافظة على وقته، وأخبرني أيضاً أنه يقرأ بالأوقات التي لا يستفاد منها أضعاف ما يقرأ في المسجد أو في المنزل، بل إن قراءته في المسجد زيادة على الأجر والمثوبة إن شاء الله تقطع عليه الملل والتوتر، وأضاف محدثي قائلاً: إنه الآن في مكان الانتظار منذ ما يزيد عن الساعة والنصف، ولم يشعر بها إطلاقاً، وسألني متى تجد ساعةً ونصف لتقرأ فيها القرآن الكريم ؟ كم من شخص سيفعل ذلك ؟ وكم من أجر عظيم يكون للدال على ذلك ؟

تأملت كم من الأوقات تذهب سدىً، وكم من لحظة من حياتنا تمر ولا نحسب لها حساب، بل كم من شهر، بل كم من عام يمضي ولا نقرأ القرآن الكريم ؟ أجلت ناظري فوجدت أنني محاسب عن كل وقت يضيع سدى.

## القوة لا تصنع الحق ولكن الحق يصنع القوة:

أيها الأخوة، إلى الموضوعات الساخنة تعلمنا الأحداث التي نشهدها كل يوم في الأرض المحتلة وفي غيرها من الأراضي العربية والإسلامية المحتلة أن القوة البشرية مهما عظمت فهي محدودة،

وأن العلم مهما اتسع فهو قاصر، وأن الإنسان المتألي مصيره القصم، إن اعتماد القوة وحدها والحلول الأمنية وحدها لا يحقق الهدف ما لم يكن مصحوباً بدرجة عالية من الاستماع الجيد إلى الطرف الآخر، وتفهم دقيق للرأي الآخر، ومراعاةً لمصالحه وخصوصياته، وتوفير لكرامته، وما لم تحل مشكلات المظلومين والمضطهدين في العالم فإن المشكلة تبقى قائمة بل وربما تفاقمت، فالقوة لا تصنع الحق ولكن الحق يصنع القوة، والقوة من دون حكمة تدمر صاحبها، قال تعالى:

**( فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ (٢) )**

(سورة الحشر)

لقد أشار السيد الرئيس إلى النظام العالمي الجديد في كلمة ألقاها في مؤتمر قمة إسلامي فقال: **" هذا العدو الجديد الذي ظهر في التسعينات هو ديننا الإسلامي الحنيف، دين الأخلاق، دين العدل، دين المحبة، الذي تم تشويهه إعلامياً وتثقيفياً وتربوياً، ليغدو دين القتل والتطرف والإرهاب، فكلما حدث اضطراب في منطقة ما من العالم وجهت أصابع الاتهام للإسلام، ولو لم يكن للمسلمين وجود في تلك المنطقة، وكل عملية تخريب أو عمل إرهابي منفذه مسلم حتى يثبت العكس، وغالباً ما يثبت العكس، أما الاتهام فيبقى كما هو، وبالتوازي حورب الإسلام الصحيح من خلال تغذية التطرف، واستخدامه في ضرب الإسلام والمسلمين، والآن يصور هذا التطرف الذي جرت تنميته من خارج الأمة الإسلامية على أنه الإسلام الحقيقي، وذلك إمعاناً في تشويه صورته الناصعة، وإسرائيل أبرع من يشوه هذه الصورة وأية صورة حقيقية أخرى "**، انتهى كلام السيد الرئيس.

أيها الأخوة الأحباب في دنيا العروبة والإسلام، إلى أبيات وعظية:

**أتيت القبور فســـاءلتها أين الـــمعظم والمحتقر**

**تـفانوا جميعاً فما مـخبر ومـاتوا جميعاً ومات الخبر**

**فيا سائلي عن أناس مضوا أمـا لك في ما مضى معتبر**

**تـروح وتـغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الـصور**

***

**لذلك تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر؟**

**فكم من سليم مات من غير علـــة وكم من سقيم عاش حين من الدهر**

**وكم من فتى يمسي ويصبح آمـنـاً وقـد نسجت أكفانه وهو لا يدري**

***

**الخـطـبـة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، و أشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## السمكة الطبيبة:

أيها الأخوة الأحباب إلى الموضوع العلمي كما تعودتم:

كان أحد علماء البحار يركب غواصة أبحاث تحت سطح البحر، لفت نظره سمكة كبيرة خرجت من سربها وانتهت إلى سمكة صغيرة، فتصور هذا العالم كما هي العادة أن هذه السمكة الكبيرة توجهت إلى الصغيرة لتأكلها، ولكنه وجد أنها وقفت إلى جانبها وبدأت السمكة الصغيرة تأكل من حراشف الكبيرة، سجل هذا عنده في مذكراته، بعد عشرة أعوام تقريباً اكتشفت حقيقة رائعة هي أن هذه السمكة الصغيرة متخصصة في علاج أمراض الأسماك كلها، وكأن عهداً وميثاقاً غير مكتوب بين أسماك البحر يقرر أن هذه السمكة الصغيرة المتخصصة في مداواة أمراض السمك الخارجية لا ينبغي أن تؤكل، لذلك أجريت بحوثاً كثيرة وتتبع العلماء مواطن هذا السمك الذي أعطوه اسماً خاصاً، هذا السمك جعل الله عز وجل غذائه على التقرحات والإنتانات والطفيليات والفطريات التي تتوضع على حراشف الأسماك الكبيرة، فالأسماك الكبيرة تتجه إليها لتعالجها من أمراضها وكأن هناك عرفاً وميثاقاً، بل إن بعض الحالات الغريبة التي سجلت وصورت أن سمكةً كبيرة كانت تشكو من قرحة في فمها فإذا بها تفتح فمها أمام السمكة الطبيبة، ودخلت السمكة الطبيبة آمنةً مطمئنة لتعالج ما في داخل فمها من القروح، وفي الوقت نفسه هاجمت هذه السمكة التي تعالج سمكة أكبر منها لتأكلها فما كان منها إلا أن أخرجت من فمها هذه السمكة التي تمرضها وولت هاربة.

ما هذا العرف وما هذا العقد وما هذا الميثاق وما هذا القانون المتبع في كل أنحاء البحار ؟ إن هذه السمكة التي خلقها الله مزودة بمنقار دقيق جداً يصل إلى أدق الثنايا، وإن جهازها الهضمي يتقبل الفطريات والتقرحات والإنتانات وما شاكل ذلك، وهو غذاء لها، وإن هذه الأسماك الكبيرة تتجه إليها حينما تشكو من تقرحات بسبب ما يحدث بين الأسماك من احتكاك أو من معارك أحياناً، الشيء الذي يلفت النظر أنه إذا كثرت هذه الأسماك أمام السمكة الصغيرة صفت بعضها وراء بعض، وكأنها في مجتمع متحضر ليس هناك تزاحم ولا تدافع ولا سباب.

## السمكة الطبيبة دليل على عظمة خلق الله سبحانه:

وقفت هذه الأسماك الكبيرة وقد سجلت هذه الصورة بضع عشرات من الأسماك تقف وراء بعضها بعضاً تنتظر دورها في المعالجة، وقد تستغرق أحياناً دقيقة أو أكثر، وبعدها تنصرف إلى سبيلها.

**( هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ )**

( سورة لقمان الآية: ١١ )

مليون نوع من السمك من أعلمهم جميعاً أن هذه السمكة الطبيبة لا تؤكل ولا يعتدى عليها، لأنها تقوم بمهمة سمكية نبيلة عوض إنسانية، لأنها تقوم بمهمة سمكية نبيلة من أعلمها ؟ هذه الأسماك عاقلة ؟ قال تعالى:

**( قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) )**

( سورة طه)

أما الإنسان المتحضر الذي يتحدث عن حقوق الإنسان فكثيراً ما يقصف المستشفيات وسيارات الإسعاف، ورضي الله عن الإمام علي يقول: **" ركب الملك من عقل بلا شهوة، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل، وركب الإنسان من كليهما، فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان ".**

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٦٤) : خ١ - الذوق الإسلامي ، خ٢ - عذراً يا صلاح الدين .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-١٢-١٩

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الاولى :**

## الذوق وعلاقته بالدين الاسلامي :

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام .

الإسلام : عقائد ، وعبادات ، ومعاملات ، وآداب .

وموضوع الخطبة اليوم :

بعض الآداب الإسلامية ، ولكن بمصطلح جديد شاع بين الناس ألا وهو الذوق .

ونقصد بالذوق :




أدبيات التعامل مع الناس .. جمال التعامل بأشكاله المتعددة .. النفس المرهفة الجميلة .. الموقف الجميل ، التصرف الجميل ، الحركة الجميلة ، اللمسة الجميلة ، الكلمة الجميلة ، جمال النظام ، جمال النظافة .. جمال الأناقة ، جمال التناسق والانسجام ، جمال في البيت ، جمال في مكان العمل ، جمال في الطريق ، جمال في الأماكن العامة.

ونقصد بالذوق :

النفس الشفافة التي تفهم الخطأ وتقدر وقوعها فيه من نظرة العين ، وابتسامة الوجه .

إن الحياء شعبة من الإيمان .. والحيي هو الذي يفهم خطاه من لمحة عابرة ، ونظرة حائرة .

الناس أجناس فمنهم من أعتقد خطأً أن الذوق ، والأدب ، والخلق الرفيع ، والرّقي الحضاري .. كل هذه قيم غربية خالصة ، ولا تكتسب إلا في المدارس الأجنبية .

ومنهم من تربى على الأدب والرقي والذوق ، وظنّ أن الإسلام عكس ذلك تماما ، فتراه حينما يسمع كلمة " متديّن " ينتظر منه عدم اللياقة .. وعدم النظافة .. وعدم النظام .. فصار الذوق عند هذا الإنسان الواهم حاجزا بينه وبين التديّن .

ومن الناس من ظن أن الإسلام في المسجد ليس غير.!! لذلك يقول " دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر " وبالتالي فالأدب والرقي والحضارة وكذلك إدارة الحياة جميعها .. ليس لهذا علاقة بالدين .. والحقيقة أن ما لله لله وما لقيصر لله!

وسنعرف من خلال هذه الخطبة ـ إن شاء الله تعالى ـ وسيتأكد لنا أن الذوق والأدب ، والرقي ، والحضارة ، والشفافية ، والجمال ، والنظافة ، والنظام هي أصول كبيرة من أصول هذا الدين .

إن الإسلام جاء لتنظيم الحياة وإدارتها والسمو بها ، فالإسلام هو الحياة الكاملة .

والإنسان المتديّن الذي فهم الإسلام عبادة شعائرية ليس غير .. صلاة وصياما وذكرا وتسبيحا فهو حريص على هذه العبادة ، ولكنه لم يفهم أن الذوق جزء أساسي من أخلاق المسلم ، وأن الله لا يرضيه أن يؤذي الناس بكلمة أو بتصرف ، فإذا عامل الناس بغلظة .. وبشيء من عدم الذوق ، فتكون النتيجة أنه يفتن الناس عن دينهم . فيصبح تديّنه سببا لبعد الناس عن الإسلام .. وتجد من حوله يقولون : منذ أن تديّن أصبح فظا .. . غليظا .. غير مهتم بمظهره .



فالنبي صلى الله عليه وسلم سيد الخلق ، وحبيب الحق ، أوحي إليه ، وأوتي القرآن ، وأوتي المعجزات ، تمثل فيه الكمال البشري ، حتى قال الله له مخاطباً : وإنك لعلى خلق عظيم ، وأقسم الله بعمره الثمين فقال : لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ، النبي صلى الله عليه وسلم جميل الخلق حسن النطق، أوتي جوامع الكلم ، عصمه الله من أن يخطئ في أقواله ، وفي أفعاله ، وفي إقراره ، وفي صفاته .. . ومع كل هذه الخصائص ، ومع كل هذه الكمالات التي هي في القمم يقول الله له على الرغم من كل هذه الخصائص :

**( وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ )**

[ سورة آل عمران الآية : ١٥٩ ]

فكيف بإنسان ليس بسيد الخلق ، ولا بحبيب الحق ، ولم يوح إليه ، ولم يؤت جوامع الكلم ، وهو مع هذا فظ ، غليظ في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، متجهم في نظراته ، قاس في تعليقاته .

## الذوق في التعامل مع الوالدين :


الاستئذان على الوالدين من الذوق

ولنبدأ بالأدب مع الوالدين ، أو ولنبدأ بالذوق في التعامل معهما :

في المنهج الإلهي إرشادات كثيرة جداً في التعامل مع الوالدين ، نكتفي بواحدة منها .

الاستئذان للدخول على الأب والأم ، تجسده آية في القرآن الكريم تبين أدب الدخول ووقته ، يقول الله تعالى :

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ )**

[ سورة النور : ٥٨ ]

آية في القرآن الكريم ، الذي تعبدنا بتلاوته إلى ساعة اليقين ، ترسخ قاعدة من قواعد الذوق .. هل بعد ذلك نقول : إن الإسلام ينظم الحياة في المسجد ليس غير أم أنه ينظم الحياة كلها .. انه ينظم الحياة حتى في غرفة النوم !!

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال :

**(( يا رسول الله أأستأذن على أمي ؟ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " نعم " ، قال الرجل : يا رسول الله أأستأذن على أمي ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " نعم " ، قال الرجل للمرة الثالثة : يا رسول الله أأستأذن على أمي ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " أتحب أن تراها عارية ؟ " قال : لا يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : " فاستأذن على أمك " ))**

[ رواه البيهقي في السنن الكبرى ٩٧\٧]

## التعامل مع الزوجة :




وهناك توجيهات كثير في التعامل مع الزوجة نكتفي بواحدة منها :

ومن الأدب في التعامل مع الزوجة ، أو من قواعد الذوق في التعامل مع الزوجة.

من الأزواج من يهدد زوجته مرارا وتكرارا .. هزلا وجدا .. قائلا : سأتزوج عليك .. أين الذوق في التعامل مع المرأة ؟ .. ومنهم من يعد هذا من المزاح .. في حين أن هذا الأمر يجرح المرأة جرحا شديدا ، ويرضها رضاً بليغاً ، ولا تنساه ... وإليك هذا الحديث الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم والسيدة عائشة .. فلقد جلست السيدة عائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخذت تقص عليه عشر قصص عن زوجات مع أزواجهن، وظلت تحكي حتى وصلت إلى القصة الأخيرة ، قالت :

**(( وآخر الأزواج اسمه : أبو زرع ، كان رقيقا مع زوجته ، يحبها وتحبه ، عاشت معه أحلى الأيام ، ثم قالت السيدة عائشة : غير أنه طلقها .. فنظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم وقال لها : " كنت لك كأبي زرع لأم زرع ، غير أني لا أطلقك ))**

[ البخاري ٥١٨٩ ومسلم ٦٢٥٥]

هذا ذوق رفيع في التعامل مع الزوجة .

سألته مرة : كيف حبك لي ، فقال لها كعقدة الحبل ، فكانت تسأله من حين لآخر : كيف العقدة ؟ فيقول على حالها ، أراد أن يطمئنها .

كنا في البيت مع الوالدين والزوجة فإذا خرجنا إلى الشارع .

## لا ترفعوا أصواتكم :


إطلاق بوق السيارة ليس من الذوق

من الذوقيات المفقودة في الشارع تلك الأصوات المزعجة لأبواق السيارات التي يتفاخر بها أصحاب السيارات ، صغيرة كانت أو كبيرة ، فتجد صاحب المركبة يقف أسفل البيت وينادي ببوق مركبته من في الطابق العلوي ، بدلا من أن يصعد إليه ، يريح نفسه ويتعب الآخرين باستخدام آلة التنبيه .. فيأتي الإسلام ويرد للشارع ذوقياته المفقودة .

يقول الله تعالى : وينبغي أن نفهم الآية على نحو موسع :

**( إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ )**

[ سورة الحجرات الآية : ٤ ـ ٥ ]

نعم .. إن الآية تتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها تنظم وتهذب سلوكيات الناس . إن من حق الناس عليك ألا تزعجهم فمنهم النائم .. ومنهم الطالب الذي يدرس .. ومنهم المريض .. ومنهم الذي يصلي .. واعلم أن الشارع ليس ملكك وحدك .

## فافسحوا يفسح الله لكم :

ومن التصرفات العجيبة .. أنك تجد سائق السيارة لا يسمح للسيارة التي خلفه أن تتجاوزه .. وإذا سألته ما السبب لم يجب ، والأدهى من ذلك أن هذا التصرف أصبح عملاً لا شعورياً من كثرة ما تعوّد عليه .

ولكن الإسلام يعلمك الذوق في هذه المواقف .



التفسح في المجالس يشمل السماح لمرور الآخر بسيارته

يقول الله تعالى : وينبغي أن نفهم الآية بمعناها الواسع .

**( يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ )**

[ سورة المجادلة الآية : ٢٣ ]

افسحوا ليس في المجالس فقط ، ولكن في الطرق .. افسحوا يفسح الله لكم .. من قلة الذوق أنك تضيّق الطريق على الناس ، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " ثلاث يصفينّ لك ود أخيك " .. منها " وأن تفسح له في المجلس " .

وإليك هذا الموقف الجميل ..

بينما كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد إذ جاء رجل من الأعراب فتزحزح له النبي صلى الله عليه وسلم ( بالرغم من أن المسجد لم يكن ممتلئا ) فقال هذا الأعرابي وقد لفت نظره هذا التصرف : يا رسول الله لم تزحزحت ؟ إن في المسجد سعة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " حق على كل مسلم إذا جاء أخوه أن يتزحزح له " .

من يقول بعد هذا : خذوا الذوق وتعلموه من الغربيين ؟!

## إماطة الأذى عن الطريق صدقة :



إلقاء القمامة في مكانها من الذوق

هل من الأدب والذوق إلقاء القمامة في الشارع ؟ تجد الرجل ينظر يمينا وشمالا ويقول في نفسه : هل يراني أحد؟ ويبدأ يختلس النظرات ، كالذي يسرق شيئا ، ثم يلقي بالقمامة .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

**(( إماطة الأذى عن الطريق صدقة ))**

[ رواه مسلم ١٦٦٨ وأبو داود ١٢٨٥ ]

فما بالنا بمن يلقي الأذى في الطريق .. !! يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

**(( الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها قول لا اله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ))**

[ رواه البخاري ٩ ومسلم ١٥٢ ]

ومعنى ذلك أن إماطة الأذى عن الطريق جزء من الإيمان .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم ، في حديث رائع رواه البخاري ومسلم :

**(( إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ))**

[ أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن جابر بن عبد الله ]

فالمدخن مثلاً يؤذي من حوله إذن بناء على هذا الحديث الصحيح تتأذى منها الملائكة ، وقد ثبت أن الذي يجالس المدخن يتأذى بثلث أخطار التدخين .

## الذوق في الطريق :



عدم الجلوس في الطرقات من الذوق

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

**(( إياكم والجلوس بالطرقات ، إذ أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه : غضّ البصر ، وكفّ الأذى ، وردّ السّلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ))**

[ رواه البخاري ٢٤٦٥ و٦٢٢٩ ومسلم ٥٥٢٨ و٥٦١٣ ]

يا الله .. الإسلام يضع لك منهجا .. للجلوس في الشارع مضطرا ..

## الاستئذان :

خرجت من بيتك إلى الشارع ووصلت إلى بيت صديقك .

تقول : صديقي .. إنه أخي .. إننا هنا نتكلم عن الذوق في المعاملة .. نتكلم عن الأدب الذي علمنا إياه الإسلام .. والآن إليك كلام الله عز وجل :

**( يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ )**

[ سورة النور الآية ٢٧ ]



الاتصال قبل الزيارة من الذوق

ومعنى ( تستأنسوا ) ، أي تتأكدوا أنهم مستعدون لاستقبالكم ، وتستأنسوا في القرن الواحد والعشرين معناها : أن

تتصل به هاتفياً وتأخذ منه موعداً .. كلمة جميلة كلها ذوق ..

**( تَسْتَأْنِسُوا )**

أي تضمن أنه سيأنس بك هذا الصديق .

أحيانا تذهب من دون موعد تجده يعتذر لك .. أنه لن يستطيع أن يستقبلك ، فتغضب غضبا شديدا وتقيم الدنيا ولا تقعدها .. من الذوق ألا تغضب .

يقول تعالى :

**( وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ )**

[ سورة النور : ٢٨ ]

إياك أن تغضب إن اعتذر أخوك عن أن يستقبلك ..

**( هو أزكى لكم )**

## طريقة قرع الباب :

ومن السلوكيات غير الطيبة والبعيدة كل البعد عن الذوق .. أن تجد مثلا من يدق جرس الباب ، ثم يقف في وجه الباب أمام العين السحرية ، ويضع يديه الاثنتين على الباب !! .



البعد عن الباب بعد قرعه من الذوق

وانظر إلى أدب الإسلام .. يقول صلى الله عليه وسلم :

**(( لا تقفوا أمام الباب ولكن شرّقوا أو غرّبوا ))**

[ أخرجه الإمام أحمد ٤٢١\٥ ]

## الحركة الرفيعة :

هناك من الناس صنف لا يراعي الآداب العامة ، فتجده بعدما يدخل مكاناً .. سواء كان بيتا أو مصعدا ، أو سيارة .. يغلق الباب بشدة ، فتارة يكسر الزجاج ، وتارة يفزع الناس ..

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

**(( ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه ))**

[ رواه الإمام أحمد ٢٠٦١٦ ]

بالله عليك .. اجعل هذا الحديث منهجاً لك ، فهو طريقك إلى الذوق الرفيع .

## التطفل في الدعوة :

أحيانا يدعوك أحد أصدقائك لطعام في يوم كذا ، وفي هذا اليوم تذهب لصديقك ولكن ليس بمفردك !! فتأخذ معك شخصا آخر .. فيصاب صاحب البيت بصدمة لهذا التطفل .

دعي النبي صلى الله عليه وسلم هو وخمسة من الصحابة عند رجل من الأنصار ، وفي أثناء ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم والخمسة إذا بصحابي آخر يتبعهم ويمشي معهم حتى وصلوا إلى البيت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحب البيت :

**(( إنّ هذا تبعنا فإن شئت فأذن له وإن شئت فليرجع ))**

قال الأنصاري الذي دعاهم : بل آذن له يا رسول الله .

[ رواه البيهقي في السنن الكبرى ٢٦٥١٧ والطبراني في المعجم الكبير ١٩٨١٧ و١٩٩١٧ ]

إنه موقف محرج وبخاصة لصاحب البيت وأهله .. فالطعام لعدد معين .. وقد تكون الأماكن على الطاولة لعدد معين ، وإذا زاد هذا العدد فما العمل ! ؟ ولكن انظر إلى أدب النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يضع صاحب البيت في مأزق وحرج ، فبادره وشرح له الموقف وخيّره .

أين هذه الذوقيات بيننا الآن ! ؟.

## ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام :

بعض الناس حينما يدخل بيت صديقه تجد عينيه تتحركان بسرعة تبحث عن الهاتف .. فإذا رآى الهاتف رفع السماعة ، وبعدها يستأذن من صديقه اتصالا واحداً سريعاً .. وهو يعلم أن صديقه لن يرفض له طلباً .. . فكيف يرفض وقد أمسك بالهاتف فعلا ؟ ثم يبدأ الاتصال .. فيتصل بجدة مثلا !! ويستمر هذا الاتصال نصف ساعة !! هل هذا من الذوق ؟؟

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

**(( ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام ))**

وهل يراعي حياء الناس إلا من كان عنده ذوق ؟ فتجده يرى القلم في جيب زميله ثم يقول له : إنه قلم جميل ( وإنها لكلمة لها معنى ) فما على زميله إلا أن يقول : تفضل خذه !! فيأخذ منه القلم .

إلى هؤلاء نوجّه إليهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم :

## طول المكث عند المضيف :

أحيانا ينزل الإنسان عند أقاربه ضيفاً ، ويمكث يوما أو اثنين أو ثلاثة .. ويكرمه أهل البيت ، وتتفنن الزوجة في الضيافة ، وتجتهد لترضي ربها ، أولا ثم لترضي زوجها باستضافة أهله وإكرامهم .. وتكون الطامة حينما يمكث الضيف أسبوعا أو أكثر .. فيصبح هذا الضيف ثقيلا . وإذا علم الثقيل أنه ثقيل فليس بثقيل ، ولكنه لا يعلم .

فحينما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة نزل في منزل أبي أيوب الأنصاري ، لحين بناء المسجد النبوي ، وبناء بيته .. وكان بيت أبي أيوب يتكون من طابقين ، فقال أبو أيوب : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، إني لأكره أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فكن أنت في العلوّ ، وننزل نحن إلى الأسفل .

هل تعرف لماذا فعل أبو أيوب ذلك ، ولماذا كان هذا الاختيار ؟

حتى لا تكون قدماه فوق النبي صلى الله وسلم .. قمة في الذوق .. قمة الأدب في التعامل مع النبي صلى الله عليه وسلم .. ولكن انظر إلى أدب النبي صلى الله عليه وسلم وذوقه الرفيع .. قال النبي صلى الله عليه وسلم :

**(( يا أبا أيوب ، إنه أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون نحن في أسفل البيت وتكون أنت في العلو ))**

[ رواه ابن هشام في السيرة النبوية عن ابن إسحاق ٤٩٨\٢ ]

## مكان جلوسك عند المضيف :

من السنة ألا تجلس في بيت من تزوره إلا في المكان الذي يدعوك إليه ، فلا تجلس في مكان تختاره وتصر عليه إلا إن يؤذن لك ، فقد يكون المكان الذي اختاره الضيف يشرف على البيت كله، وزوجته محجبة ، فكيف تتحرك في أرجاء البيت .. إنها والله آداب الإسلام ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

**(( لا يجلس أحدكم على تكرمة الرجل إلا بإذنه ))**

إن الحضارة ليست باستخدام الهاتف المحمول ، والدخول على مواقع الإنترنت ، وركوب المركبة الفارهه فقط ، إنما الحضارة بالأدب والذوق والرقي الأخلاقي ..

## عيادة المريض :


اختصار زيارة المريض من الذوق

ومن الذوقيات الإسلامية في عيادة المريض .. ألا تطيل الزيارة .. فمن الذوق أن تكون زيارة خفيفة إلا إذا كان المريض مستأنسا بك وسعيدا .. وهناك قصة لطيفة للإمام أبي حنيفة كان مريضاً وعاده أربعة رجال .. فكانت زيارتهم ثقيلة وأطالوا الجلوس والإمام مريض ، فضاق بهم ، وتعب تعبا شديدا، ومع ذلك فهم ما زالوا يجلسون .. فماذا فعل الإمام ؟ قال لهم : قوموا فقد شفاني الله عز وجل ..!!

إن الإسلام يعلمنا ويربينا على أن نراعي ظروف المريض . وحالته الصحية .. .

## الذوق مع الجيران :

وننتقل الآن إلى الذوق والأدب مع الجيران .. يعلمنا الإسلام أننا إذا دخلنا البيت ومعنا فاكهة ، أو طعام نادر تحبه النفس .. فرآه أحد الجيران سواء كان صغيرا أو كبيرا فلا بد أن نقدم لهم منه طالما أننا لم نخبئه ..

ورد في الحديث ، حول الأدب مع الجار ... وإذا اشتريت فاكهة فأهد له منها ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك ( برائحة طعامك ) إلا أن تغرف له منها .

وبعض الناس يتعمد أن يري جيرانه ما يحمل من طعام لذيذ أو يتحدث عما في البيت من طعام طيب ، ولذيذ تفاخرا .. أو يتحدث عن رحلاته ، وإنفاقه .

هذا من قلة الذوق الذي نهينا عنه .. ؟!

كان هناك شاب يسكن في جوار الإمام أبي حنيفة .. يشرب الخمر ويغني طوال الليل وهو سكران ويقول : أضاعوني وأي فتى أضاعوا .. كل يوم على هذا الحال .. يقوم الإمام أبو حنيفة لصلاة الفجر فيزعجه هذا الشاب ، فكان أبو حنيفة يتحيّن الفرصة المناسبة ليعظ فيها هذا الشاب ، ويرقق قلبه للتوبة ، وفي يوم من الأيام قام الإمام أبو حنيفة ليصلّ الفجر، فلم يسمع صوت هذا الشاب ،

فسأل عنه فعرف أنه قد قبض عليه .. !! لأنه ضبط يشرب الخمر .. فذهب أبو حنيفة إلى صاحب الشرطة وقال له : هلا أفرجتم عنه لي .. فقالوا : إنه شرب الخمر !! قال : أخرجوه من أجلي .. فأخرجوه .. فأخذه أبو حنيفة وجعله يركب خلفه على بغلته ، ولم يتكلم معه كلمة واحدة .. حتى وصل إلى البيت وحينها قال أبو حنيفة : هل أضعناك يا فتى ؟ فقال : لا والله ولا أعود إليها أبدا ، إنه يشرب الخمر !! ؟ ولكن انظر إلى نتيجة اللطف والذوق ..

كثير من الشباب فطرتهم طيبة رغم كل ما يفعلونه ، ولكنهم لم يجدوا أمثال أبي حنيفة الذي يتحيّن الفرص ويتخيّر الوقت ويفتح بمفتاح الذوق أبواب قلوبهم المغلقة .. أو التي كنا نظنّ أنها مغلقة !!.

انظر إلى نتيجة اللطف والذوق .

## الذوق في المسجد :

عدم تجاوز صفوف المصلين من الذوق

ومن الذوقيات والآداب التي علمها لنا الإسلام في المسجد وأصبحت من البديهيات : ألا نتخطى الرقاب ، وأن نجلس حيث ينتهي بنا المجلس ، وأن تفسح لإخواننا ليجلسوا ، وألا نجلس في مكان نسد بجلوسنا طريقاً ، وأن نجلس فيه جلسة تنم عن أدب جم ، فما رؤي النبي صلى الله عليه وسلم ماداً رجليه قط ، وأن ندع كل حركة أو صوت يؤذي الجالسين وأن نحافظ على نظافة المسجد ، وعلى حرمته .. فلا نرفع أصواتنا فيه ، ولا نتكلم بشؤون الدنيا ، وأن نكون في أعلى درجات النظافة في البدن وفي الثياب ، وفي البعد عن كل أكلة تؤذي رائحتها رواد المسجد .

إنه بيت الله .. احرص أن تكون فيه في قمة الذوق وقمة الأدب .

الهاتف المحمول تتأذى منه الملائكة .. !! بدليل : أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمن الذوقيات المطلوبة في القرن الواحد والعشرين : أن تغلق الهاتف المحمول وأنت ذاهب إلى بيت الله ، وهذا أمر مهم ، فأحيانا تكون في بيت الله ، وبعد مجاهدة في صلاتك تسعد بنفحات من الله وبأنس به ، وفجأة .. تسمع صوت المحمول الملعون !! .. فتذهب هذه النشوة ، لذلك اضطر أحد أئمة المساجد أن يقول قبل أن يبدأ بالصلاة :

استووا واعتدلوا ، وأغلقوا هواتفكم فإن إغلاق الهواتف من إقامة الصلاة .
لذلك ندعو كل متوجه إلى المسجد أن يغلق هاتفه المحمول حفاظا عليه من لعنة المصلين ودعائهم عليه ، فقد يقع منك ويتعطل !! فإن المصلين يتأذون منه ، وإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم .

## الأدب في الدعوة إلى الله :

وإليك هذا الموقف الطريف البسيط فإن له دلالات عظيمة .. أحيانا يتعوّد الناس على أشياء لم يرد لها أصل في السنة ، وحينما نريد أن نقومها يكون التقويم بشكل خاطئ .. وبشكل منفّر .
وقف شيخ كبير في الصلاة ، وكان بجواره شاب على وجهه علامة التدين .. وبعدما انتهى الإمام .. أعجب هذا الشيخ الكبير بالشاب ، وأعجب بخشوعه في صلاته ومدّ الشيخ الكبير يده لهذا الشاب داعياً له أن يرزقه الله حجة أو عمرة ليصلي في بيت الله الحرام فقال له مختصراً هذا الدعاء : حرماً .. . فنظر إليه الشاب المتدين بتجهم وغلظة قائلا : لم يرد في السنة حرما ! فقال الرجل الكبير : وهل قلة الذوق هي التي وردت في السنة !! ؟
ولكن لغياب الفهم .. ولغياب حسن التعامل مع الناس بالحكمة ، والموعظة الحسنة سيظل هذا الشيخ على موقفه بسبب هذا الشاب .
أيها الشاب افهم دينك . وتلطف مع الناس وتأدب في معاملتك معهم .. فالذوق مفتاح القلوب . وقلة الذوق تصد الناس عن سبيل الله .
ولنتعلم من الطفلين الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
هذه قصة ينبغي أن يدرسها كل من يدعو إلى الله عز وجل ويجعلها دائما نصب عينيه .
ذات يوم وجد الحسن والحسين سبطا النبي صلى الله عليه وسلم وجدا رجلا لا يحسن الوضوء .. فماذا فعلا ؟ انظر إلى فعلهما وتعلم الذوق في الدعوة إلى الله منهما .
ذهبا إليه .. فقال الحسن : يا سيدي ، أخي هذا يدّعي أنه يتوضأ أحسن مني ، وأنا أقسم أنني أتوضأ كما يتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ، فاحكم بيننا وانظر إلى وضوئه ووضوئي ، ثم قل أينا يتوضأ كما يتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم . فدخل الحسن وتوضأ ، وأسبغ الوضوء وأحسنه ، ودخل الحسين وتوضأ مثل أخيه . فقال الرجل : والله إني لا أجيد الوضوء كما تتوضآن . ما رأيك في تصرف الحسن والحسين !! تعلم الذوق والأدب الرفيع من الحسن والحسين .. واقتد بهما تصل إلى ما تريد بأرق وألطف الأساليب .
من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف .

## الذوق في الحديث :

وسننتقل إلى الحديث عن الذوق في الكلام مع الناس .. وفيها من اللطائف الكثير والكثير .. وأول الأشياء التي يقع فيها البعض هو المقاطعة وعدم سماع آراء الآخرين .. وهذه الأشياء تدل على قلة الذوق .

ولذلك .. إذا أردت أن يكرهك الناس فعليك بمقاطعتهم وعدم إعطائهم الفرصة ليعبّروا عن وجهة نظرهم .. وكلما عرضوا فكرة فقل لهم إنهم على خطأ وعندي أفضل منها .. دائما أوجد عندهم إحساسا بأنهم لا يفهمون ، دائما عليك بتوبيخهم .. إذا فعلت هذا سيكرهك جميع الناس ؟

أفرغت يا أبا الوليد .. ! ؟

هذه أشياء .. إن فعلتها يكرهك الناس ..

لنتعلم من نبيك صلى الله عليه وسلم كيف يحبك الناس ويقدرونك .. وإنها والله لكلمات تدرس ليتعلم الناس فن الكلام وأسلوب الحوار .

جاء عقبة بن ربيعة ممثلا لقريش ، وكان سيداً فيهم ، فجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي اسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها ، لعلك تقبل بعضها ، فقال صلى الله عليه وسلم :

**(( قل يا أبا الوليد ، أسمع ))**

قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعناه لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا .. !! ، وإن كنت تريد به ملكا ، ملكناك علينا .. !! وإن كنت كان هذا الذي يأتيك رئيا لا تراه ولا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب .

إنها اختيارات سخيفة .. مال ، ملك ، مداواة من مرض ..

ولكن انظر إلى ذوق وأدب النبي فبدأه بكنيته

**(( أبا الوليد ))**

.. من باب التلطف ولين الجانب ثم قال له :

**(( قل يا أبا الوليد ، أسمع ))**

.. فلم يقاطعه النبي وبعد أن أنهى عتبة كلامه

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

**(( أفرغت يا أبا الوليد ؟ ))**

قال : نعم . وللقصة تتمة ...

## طالب جامعة بريطاني أسلم بسبب الذوق الإسلامي:

علمنا النبي صلى الله عليه وسلم .. حينما نكون ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث ، فإن ذلك يؤذيه. لقد كان صديقان مسلمان يدرسان في بريطانيا ويتحدثان العربية والإنكليزية .. فكانا يتحدثان العربية طالما كانا بمفرديهما وحينما يأتي هذا الصديق الإنكليزي يتحولان إلى الإنكليزية .. حدث هذا عدة مرات .. فتعجبت هذا الصديق من ذلك الفعل أيما تعجب ، فأراد أن يتفسر ويعرف السبب .. فقالا له : نهانا نبينا أن نتحدث سويا بلغة لا يفهمها ثالثنا .. . فما كان منه إلا أن قال باللغة الإنكليزية ما معناه : نبيكم هذا حضاري جدا ، فأسلم هذه الصديق بعد ستة أشهر ، وقد عكف على دراسة الإسلام ، وكان من كلامه : أول شيء وقع في قلبي هو ذوق الإسلام في التعامل مع الآخرين .

إننا نريد أن نخرج من خلق الذوق بشيء هام جدا .. ألا وهو عدم إيذاء شعور الآخرين أيا كان الفعل ، فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنكر فعلا من إنسان ، لم يذكر اسمه صراحة ، بل تجده يقول :

**(( ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ))**

ولا يصرّح حفاظا على شعور الآخرين ، فهذا من قمة الذوق ، فلتكن من الآن لماحا ، إذا أحسست أن الكلمة التي ستقولها ستضايق من أمامك ، فلا تقلها .

ومن تطبيقات خلق الذوق .. الذوق مع أصحاب المراكز العليا أمثال الملوك والأمراء والعلماء ، فمن السنّة أن ننزل الناس منازلهم إلا في حالة الحرب ، وتعلم من النبي صلى الله عليه وسلم .

يبعث برسالة لكسرى ملك الفرس الذي يسجد للنار .

فيقول له :

**(( من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس ))**

ويبعث إلى هرقل ملك الروم ..

فيقول له :

**(( من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ))**

[ رواه البزاز في مسنده ٢٣٧٤ ]

فهل كسرى وهرقل عظيمان عند رسول الله ؟

## الذوق والأدب مع أصحاب الفضل عليك :

### أدب العباس :

كل من كان له فضل عليك .. كان له حق عليك ، وأول هذه الحقوق أن تتأدب معه ، وانظر إلى أدب العباس فمن المعروف أن العباس أكبر سنا من النبي صلى الله عليه وسلم فحينما سئل العباس : أأنت أكبر أم رسول الله ؟ فقال كلمات رقيقة .. كلها أدب وذوق وحب .. قال : هو أكبر مني وأنا ولدت قبله .

ومن يفعلها سواك يا أبا بكر :

حينما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم هو وسيدنا أبو بكر .. . انتظره الأنصار على مشارف المدينة .. ولم يكن الأنصار يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم ، فرأوا راحلتين قادمتين ، وكان سيدنا أبو بكر الصديق هو المتقدم ، لأنه كان خائفا على النبي صلى الله عليه وسلم فكان يحميه فظن الأنصار أن الرسول هو أبو بكر الصديق فأسرعوا نحو ناقة أبي بكر وأخذوا خطامها .
إنه موقف حرج .. كيف تصرّفت فيه يا أبا بكر ؟ هل قلت لهم : لست أنا برسول الله إنني أبو بكر ؟ فإنك لو قلت هذا لما كانت لطيفة .. . فماذا فعلت يا أبا بكر! ؟
لقد خلع رداءه وأظل به رأس النبي صلى الله عليه وسلم فكانت لمحة طيبة وذوقا رفيعا فعرف الأنصار أنه ليس برسول الله صلى الله عليه وسلم وأسرعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم . حقا .. . إنه أبو بكر الصديق .

### أدب الإمام الشافعي :

أحيانا يزول حاجز الاحترام بينك وبين مدرسك وخاصة حينما تكونان في لقاء خاص .
ولكن انظر إلى الإمام الشافعي وكيف كان يتأدب مع أستاذه يقول : لا أستطيع أن أقلب الورق بصوت مرتفع بين يدي أستاذي كي لا أزعجه ، ولا أستطيع أن أشرب الماء أمام أستاذي إجلالا له.
والله إننا نحتاج اليوم لأمثالك أيها الإمام الشافعي.
وتخيّل معي لو كان الإمام الشافعي بيننا الآن ..
ونظر إلى ما يحدث بين الطالب والمعلم ..
ماذا كان يفعل ؟

## المبالغة في الذوق من قلة الذوق :

وأخيرا .. من الذوق في التعامل مع الناس نقطتان :

### الأولى :

أن المبالغة في الذوق من قلة الذوق .

بمعنى : ألا تتكلف في الذوق .. فمثلا عند عيادتك للمريض قلنا لا تطيل إلا إذا أذن لك أو كان يأنس بك فيطلب منك أن تجلس ، ويقسم عليك .

فلا تبالغ في الذوق وتقول : لقد علمونا ألا نطيل على المريض ، أنا عندي ذوق .. المريض يقسم عليك ، وأنت مصر .. إن المبالغة في الذوق من قلة الذوق .

إليك هذه المقولة للإمام الشافعي :

يقول : أثقل إخواني على قلبي من يتكلف لي وأتكلف له وأحب إخواني إلى قلبي من أكون معه كما أكون وحدي .

### الثانية :




أن المبالغة في الجدية من قلة الذوق أيضا .. .

فعدم الضحك والمبالغة في الجدية ليس من الذوق في شيء .. فقد كان عليه الصلاة والسلام ، يضحك مما يضحك منه أصحابه ، و يتعجب مما يتعجبون ، إياك أن تفهم أن عدم الضحك من الذوق، إنه من قلة الذوق أحياناً .

لا بد للإنسان أن يفهم دينه فهما صحيحا .. لا إفراط ولا تفريط .

كتب رجل صالح قبل موته رسالة لابنته يقول فيها :

بنيّتي لم أعد أفزع من الموت ، ولو جاءني اللحظة ، لقد أخذت من الحياة كثيرا .

أقصد أعطيت كثيرا ، أحيانا يا بنيّتي يصعب التفرقة بين الأخذ والعطاء ؛ لأنهما عند المؤمن لهما مدلول واحد ، في كل مرة أعطيت فيها أخذت منها ؛ بل أخذت أكثر مما أعطيت .

أيها الإخوة في كل مكان :

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا الكيس من دان نفسه والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني والحمد لله رب العالمين .

**الخطبة الثانية :**

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . نظراً لشدة الآلام التي تنتاب أمتنا ، لما جرى أخيراً ومؤخراً على الساحة العربية والإسلامية ، فنحن مضطرون أن نقدم اعتذارنا للبطل صلاح الدين الذي طرد الفرنجة القدامى من بلاد المسلمين، ونحن بأخطاء كبيرة ارتكبها بعضنا أعدناهم إلى بعض بلاد العرب والمسلمين .




فعذرا لك يا صلاح الدين وألف عذر أنت الذي طردت الفرنجة القدامى من بلاد من الشام ومصر والعراق وأنت الذي حررت دمشق والقدس من أيديهم وقد قلت قولتك المشهورة ( لن يرجعوا إليها ما دمنا رجالا ) عذرا يا صلاح الدين لقد رجعوا في المرة الأولى بعد الحرب العالمية الأولى ولما دخل قائدهم إلى دمشق ووقف عند قبرك وقال : ها قد عدنا يا صلاح الدين فعذرا وألف عذر لك لقد رجعوا مرة ثانية ، بسب أخطاء ارتكبناها بعضنا ولسان حالهم يقول ثانية ها قد عدنا يا صلاح الدين . ولئلا تقلق علينا كثيراً ؛ إنهم يقولون إنما عادوا كي ننعم بحرية كحريتهم ، وسلام كسلامهم ، وبرخاء كرخائهم . ولا أتمنى عليك أيها القائد الفذ أن تسأل أهم يحققون هذه الأهداف بوسائل من جنسها ، أم بوسائل مناقضة لها ، من أجل أن تكون مستريحاً .. . لا تسأل ! إن وسائلهم إفقار ، وإضلال ، وإفساد ، وإذلال .

إنها ردّة ولا صديق لها ، إنها هجمة تترية ولا قطز لها ، إنها حملة فرنجية وأنت غائب عنها .
عذرا يا صلاح الدين فلقد كنت دائما ترتسم معالم الحزن والأسى على وجنتيك ولم يكن للابتسامة مكان ولا نصيب على شفتيك فلما كنت تُسألُ لماذا لا تضحك يا صلاح الدين فكان جوابك المتكرر ( إني أستحي من الله أن أضحك وما يزال المسجد الأقصى بيد المعتدين )
عذراً يا صلاح الدين وأنت الذي وصلك خبر اعتراض أمير الفرنجة أرناط الذي احتل قلعة الكرك في الأردن ومن هناك راح يقطع الطريق على الحجاج المسلمين المتوجهين من الشام نحو الحجاز فكان يقتل الرجال ويسبي النساء وهو يقول لهم نادوا من ينتصر لكم ، فلما سمعت ما قاله بكيت وانسابت الدموع من عينيك وقد قلت قولتك المشهورة : أنا سأنوب عن رسول الله بنصرة أمته ، وهذا ما كان منك أيها البطل الذي ما هدأ لك بال ولا سكنت لك جارحة حتى وفيت بوعدك يوم حطين يوم انتصرت على ملوك أوروبا وأمرائها ، ويوم وقع أرناط في الأسر فمثّل بين يديك وذكرته بما قال وقلت له يا أرناط أنا أنوب اليوم عن رسول الله بالدفاع عن أمته ، ولم تذكر الروايات التاريخية أنك تأكدت من شخصية أرناط بفحص حامضه النووي .
عذرا يا صلاح الدين ، وأنت الذي كنت كل مساء بعد أن ترجع من قتال الأعداء القدامى يوم حطين فكنت تخلع عباءتك وعمامتك وتنفض ما علق عليها من غبار في كيس ، وتجمع ذلك الغبار حيث أوصيت أولادك أن إذا متَّ أن يضعوا هذا الغبار تحت رأسك حتى إذا جاءك الملكان في القبر يسألانك كما يُسأل كل إنسان عند موته في قبره فإذا رأيا ذلك الكيس من الغبار قالا ما هذا الكيس يا صلاح الدين فتقول لهم هذا غبار الجهاد في سبيل الله**!!**
يا ســـعد بلّغ خـــالدا إن القتـــال له رجـال
عذرا يا صلاح الدين يا من هزمت الفرنجة القدامى في حتى أصبح اسمك على لسان النساء في أوروبا يخوفن بك أولادهن في الليل ليناموا نم يا ولدي وإذا لم تنم فسيطلع علينا صلاح الدين لقد قذفت الرعب في نفوس أهل أوروبا وشكّلت لهم عقدة نفسية اسمها صلاح الدين .
فعذرا وألف عذر يا أيها القائد الفذ ، لما حل بنا من بعدك ، ومن أجل أن تبقى منسجماً مع إيمانك الكبير بالله نقول لك :
هان أمر الله علينا من بعدك فهنا على الله ، وقد تحققت نبوءة القرآن فينا : فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ... وقد لقينا ذلك الغي
ومن أجل أن نطمئنك نذكرك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي دافعت عن المسلمين نيابة عنه :

**(( لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ، ما يضرهم من كذبهم ، ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك ، فقال مالك سمعت معاذاً يقول : وهم بالشام ))**

[ رواه البخاري ومسلم ]

قال مستشارك ومرافقك كنت خاشع القلب ، عزيز الدمعة ، إذا سمعت القرآن أو تلوته دمعت عيناك، وكنت رحمك الله كثير التعظيم لشعائر الدين كنت ناصرا للتوحيد وقامعا أهل البدع لا تؤخر الصلاة عن وقتها ، وكانت لك ركعات تصليها إذا في جوف الليل .

وكنت إذا سمعت أن العدو داهم المسلمين خَررتَ إلى الأرض ساجدا لله تدعو بهذا الدعاء : إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك ، ولم يبق إلا الإخلاد إليك ، والاعتصام بحبلك ، والاعتماد على فضلك ، أنت حسبي ونعم الوكيل .


الأمة العربية والإسلامية تمر بمحنة عظيمة

الأمة العربية والإسلامية تمر بمحنة عظيمة ، نرجو أن تكون وراءها منحة ربانية لا شرقية ولا غربية ، ولكن علوية سماوية ، وتعاني هذه الأمة من شدة لم تشهد مثلها في التاريخ الحديث ، نرجو أن يعقب هذه الشدة شدة إلى الله عز وجل تستحق بعدها أن تستخلف ، وأن تمكن في الأرض .

وقد شرح هذه المحنة ، وتلك الشدة ، السيد الرئيس في مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد بكوالالامبور في ماليزيا مؤخراً ، قال سيادته قي خطابه :
في الثمانينات كانوا في الغرب يدعمون التطرف الإسلامي وليس الإسلام ، أما اليوم فهم يحاربون الإسلام لا التطرف الإسلامي .
ولو تساءلنا لماذا يحارب هؤلاء المتعصبون الإسلام وهو دين العدل والمحبة والتسامح لكان الجواب البديهي لأن الإسلام الحقيقي هو الذي يمنع التطرف ، لأنه دين الاعتدال ، من دون التنازل عن الكرامة ، وهؤلاء المتعصبون يتمنون ويعملون عكس ما يعلنون ، من انتهاك للسيادة ، والحصار الاقتصادي ، إلى الاجتياح الثقافي ، والتمويل السري لبعض الهيئات لاستمرار واتساع التطرف الإسلامي ، أو أي تطرف آخر ، لأنه المعادل الموضوعي لتطرفهم ، والمبرر الأكيد لبقائهم في مواقع السيطرة في مناطق عديدة في هذا العالم ، فالتطرف يعيش على تطرف مقابل وهو يضمحل في بيئة الاعتدال .
إن علينا أن نعزز الدين الإسلامي الصحيح عقيدة وسلوكا ففيه تحصين للإسلام والمسلمين وإضعاف لأعدائهم وهذا يبدأ بمكافحة وتجنب كل الممارسات الشاذة الناجمة عن فهم خاطئ للدين والتي تسيء إليه بشكل مباشر وتعطي الآخرين من أصحاب النيات السيئة الحجة والمبرر لوصف

الإسلام بشتى الصفات السلبية واللاإنسانية . وان كنا نرفض وبقوة كل المحاولات التي تجعل من صفة الإرهاب خاصة بالدين الإسلامي فإننا نرفض وبنفس القوة كل محاولة لربط الممارسات الخاطئة لبعض الأفراد بديانة أو حضارة معينة .

انتهى كلام السيد الرئيس .

وإننا نقول ما قاله صلاح الدين ونحن نرى جيوش الفرنجة من جديد تداهم أرض العرب والمسلمين اللهم وقد انقطعت أسبابنا الأرضية في نصرة دينك ولم يبق لنا إلا الإخلاد إليك والاعتصام بحبلك والاعتماد على فضلك أنت حسبنا ونعم الوكيل .

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٦٥) : خ١ - التنمية الأخلاقية ، خ٢ - متى تغضب ؟.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٤-٠٤-٢٣

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام

إن صناعة الإنسان الكامل، وبناء الأسرة المتماسكة، وإقامة المجتمع الفاضل، هــي من أسمى أهداف بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

لكن طوفان الفساد، في آخر الزمان، حمل من الأوبئة الخلقية الشيء الكثير، حمل: الكذب والدجل، والحسد والنفاق، والفسق والفجور، والظلم والخيانة، والحمية والعصبية، والغش والتدليس، والطمع والجشع، والمكر والحيلة، والفحش والخلاعة، والحرص والبخل، والترف والتبذير، وسوء الظن بالله والرياء، وعقوق الوالدين وإهمال الأولاد، وأكل السحت والمال الحرام، وأكل مال اليتيم ظلماً .

إن ظاهرة النفاق التي تحدّث عنها القرآن الكريم والسُنّة النبوية الصحيحة بشكل مطول تعني خللاً في مطابقة الأقوال للمعتقدات، وهذا هو ( النفاق الاعتقادي ) الذي يخرج صاحبه من المِلّة، أما التباين بين الأقوال والأفعال، فيعبر عنه ( بالنفاق العملي )، وهذا شاع كثيراً في المجتمع، ومهمة التنمية الأخلاقية تطهير حياة المسلمين من كل هذا .

إن أهم مصدر للسعادة والهناء انسجام واقع المرء مع ما يعتقد، حيث يشعر المرء بتيّار يجتاحه من البهجة والارتياح والأمن كلما تخطّى عقبة من العقبات التي تحول بينه وبين ( التناقض ) مع مثله وقيمه العليا.

إن الملذات الحسية لا تخترق غشاء القلب، بل ولا تحوم حوله، لكن الذي يملأ كيان المرء كله بالسعادة والطمأنينة هو نشوة الانتصار على الأهواء والمغريات، وضغوطات الشهوات والمصالح.

إن السعادة الحقة لا تجلب أبداً من الخارج، وإنما هي شعاع من نور، يولد، ويكبر في داخل الإنسان، ويضيء جوانب الحياة كلها، ويجعلها أكثر قيمة ومنطقية، وأكثر تهيّئاً للنمو والتقدّم والاستمرار، وكل ذلك مرهون بأوضاع تسود فيها الأحكام الأخلاقية، ويعلو فيها صوت الالتزام والاستقامة، وترفرف في أرجائها إشراقات النفس !.

إن القاعدة النفسية الأخلاقية في أي مجتمع هي التي تتحمل الأثقال التي تنتج عن طبيعة الحياة المادية والاجتماعية، وعن الانتكاسات التي تصاب بها الأمة في ميادين الحياة المختلفة.

إن هذه القاعدة هي التي تمكن الناس من تحمل الظروف الصعبة من دون أن يتحللوا أو أن ينحرفوا ؛ فحين يصاب الناس بضائقة اقتصادية شديدة فإن القاعدة الأخلاقية تدفعهم إلى إغاثة

الملهوف وإطعام الجائع، والصبر على المدين المعسر، إلى جانب التماسك الشخصي، وعدم الرضوخ لمقتضيات الظروف الصعبة ؛ فنجد المسلم الحق يمتنع عن كل أنواع الكسب الحرام مع فاقته الشديدة، وذلك اتكاءً على ما لديه من قيم ومقاومة إيمانية لدواعي التحلل.

إن هذه القاعدة هي الرصيد الاحتياطي الضخم الذي تعتمد عليه الأمم في ترميم العديد من أنواع الخلل في حياتها.

ومن هنا ندرك حجم الجريمة التي ارتكبت في حق هذه الأمة حينما دُفعت دفعاً من قبل أعدائها على مستوى التنظير، وعلى مستوى العمل إلى أن تجعل القيم الأخلاقية والنفسية في المرتبة الدنيا من اهتماماتها ؛ فلما واجهه الناس ما واجهوه من ضائقات في العيش، ومن شح في متطلبات الحياة الكريمة، لم يجدوا لديهم سنداً ُخلقياً كريماً يعتمدون عليه في الصمود أمام المغريات وأمام أسباب الانحدار المختلفة !.

إن الذين نكّن لهم عظيم الاحترام ليسوا أولئك الذين يملكون كثيراً من المال أو الدهاء والمكر أو القوة الجسدية الخارقة، وإنما نكن عظيم الاحترام لأولئك الذين يملكون خُلق ( التسامي ) وخلق الترفع عن سفاسف الأمور، وألئك الذين انتصروا على التحديات داخل نفوسهم، وأولئك الذين يملكون فضيلة الانتظار والتضحية بالعاجل في سبيل الآجل، والإيثار مع مسيس الحاجة إلى ما يؤثرونه...

إنه بالإمكان أن نقول: إن طابع الرقي الحقيقي هو طابع إيماني أخلاقي، أكثر من أن يكون طابعاً عمرانياً تنظيمياً، والجاذبية التي تتمتع بها القرون الأولى من تاريخ الإسلام تنبع بشكل أساسي من طابع الاستقامة والنبل والتضحية... وليس من التفوق في الحروب أو العلوم أو العمران. ولعل الطريق الوحيد إلى كسر أغلال الشهوات يكون عن طريق إحداث ( انتفاضة ) إيمانية أخلاقية يستعلي بها المسلم على المعطيات المادية للوضع الحضاري الراهن، ويلتفت إلى إثراء حياته بوسائل كثيرة، لا تحتاج إلى المال.

إن دراسة الحضارات توقفنا على حقيقة كبرى، وهي أن مصير الإنسان كان يتوقف دائماً على أمرين: علاقته بربه، وعلاقته بأخيه الإنسان. والبعد النفسي والأخلاقي هو المركز والمحور في هاتين العلاقتين. وحينما ينحطّ الإنسان يتحول عن عبادته لربه إلى عبادته شهواته. وتعتمد علاقتَه بالآخرين على القوةُ لا على الرحمة، وعلى العنف لا على التفاهم، وينصرف الإنسان عن العناية بالنفس إلى العناية بالجسد، وعن الاهتمام بالمبدأ إلى الاهتمام بالمصلحة، ويتحول المجتمع كله إلى غابة يحسّ كل واحد فيها أن من حقه افتراس الآخرين، كما أنه من الممكن أن يكون فريسة لأي واحد منهم !. هذا هو مجتمع الغاب .

والطريق الوحيد للحيلولة دون هذه الحالة يكمن في تدعيم الرقابة الذاتية، وتعزيز علاقة العبد بربه ـ جل وعلى ـ وتحفيز الإرادة الخيّرة في الناس. وهذا الحل وإن كان مكْلفاً على المدى القريب. فإنه سفينة نوح على المدى البعيد .

لن يكون في إمكان أفضل النظم الاجتماعية، ولا في إمكان أقسى العقوبات الصارمة أن تقوّم الاعوّجاج، ولا أن تملأ الفراغ الناشئ عن ذبول النفس، وانحطاط القيم ؛ فالعقوبات الصارمة لا تنشئ مجتمعاً لكنها تحميه. والنظم مهما كانت مُحكَمة، ومتقنة لن تحول دون تجاوز الإنسان لها، وتأويلها بما يجهضها، وكل الحضارات المندثرة تركت تنظيماتها وأدوات ضبطها خلفها شاهدةً على نفسها بالعقم والعجز !.

لابدّ أن نكون على يقين من أن تيار الشهوات والنزوات الجارف لا يمكن أن يقابل إلا بتيار إيماني متدفق من المشاعر والأحاسيس الإنسانية ؛ فوظيفة الفكر الدلالة على الطريق، وعلى الأساليب والأدوات المناسبة للعمل ؛ ولكن الذي نستمد منه الطاقة على الاندفاع في طريق الخير، والقوة على كبح جماح الشهوات هو الإيمان العميق، ورصيدنا من المشاعر الحميمة التي هي ثمرة الاتصال بالله !. وإن كثيراً من الشباب الذين جرفهم تيار الجنس والمجون والخلاعة لم يكونوا بحاجة إلى أدلة على فضل العفة والاستقامة، وإنما كانوا بحاجة إلى شيء من المعاني التي تفيض على القلب بسبب تذوق طعم العبودية الحقة لله، والإحساس الصادق بمعية الله تعالى لهم واطلاعه عليهم.

حين يبلغ التقدم التقني أقصى مداه، ويشعر المرء بالتُخمة من أداوت ( التحكّم عن بعد ) وكل ما يجعل الحياة خالية من التحديات حينئذ تنبعث في النفس أشواق قديمة جديدة، هي أشواق النفس إلى ما وراء المادة، إلى عالم التراحم، على عالم التعاطف إلى عالم التضحية ببعض المكاسب من أجل استمرار حياة الجميع.

إن الأخلاقيين اليوم هم القادة غداً، وهل يعرف فضل الماء إلا عند اشتداد الظمأ .

إن الإسلام يعلمنا أن بالإمكان تصحيح المسار قبل أن نرتطم بقاع الهاوية، كما يعلّمنا أنه بالإمكان أن نتحول من الخسارة إلى الربح قبل أن يصبح الرصيد صفراً ؛ وذلك إذا أصغينا إلى نداء الفطرة في أعماقنا، وضغطنا على بعض حاجات الجسد من أجل إنعاش النفس، وفكّرنا مَلياً بما هو آت !.

لابدّ من القول: إن المسألة الحاسمة في مجال الأخلاق هي ( إطارها المرجعي ) بمعنى ما الجهة التي نستمد منها الحُكم على حُسن الخُلق أو قبحه، وما الجهة التي ستتولى الإثابة أو المعاقبة على ذلك الخُلُق.

في العالم الغربي تحول الإطار المرجعي للأخلاق ( من الوحي ) إلى ( العقل )، وهذا العقل بعيداً عن الوحي يقود إلى مبدأ خطير جداً وهو مبدأ ( النسبية في الأخلاق )، حيث أصبح الطريق ممهداً لتحويل الرذائل إلى فضائل.

وأصبح النمو الاقتصادي صنماً يعبد من دون الله وتُقدّم له كل القرابين .

لاشكّ أن علينا أن نبذل جهوداً ضخمة لإحياء أخلاق جديدة تلبي شروط العيش في عصر معقّد، وتستند في الوقت نفسه إلى المبادئ الإسلامية، والقيم الإسلامية، إلا أن التقدم الحاسم في المجال الأخلاقي ربما كان بحاجة إلى إحراز تقدم في المجالات السياسية والحضارية، حيث أن ( التخلّف ) نفسه يحول دون الإبداعات الأخلاقية الأصيلة.

ومما لا يخفى أن الثقافة العلمانية وكثيراً من الثقافات التي فرضت علينا أهملت الميدان الأخلاقي إهمالاً شبه تام، وذلك نتيجة للتأثر بفلسفة وضعية، جعلت ( العِلم المادي ) هدف كل تقدم، وصار هذا العِلم المادي علماً، وأخلاقاً، وأدباً وقيماً ! وصارت الأخلاق الأصيلة الإسلامية تُصوّر على أنها قيود مفروضة بسبب الجهل، وعطالة التقاليد، وأنك ضعيف لأنك أخلاقي، أو أنك أخلاقي لأنك ضعيف، وأن أخلاق المسلمين أفقدتهم المقدرة على استيعاب الحضارة الحديثة ! وصارت الأخلاق كما تصورها التيارات العلمانية تعني سذاجة في الشخص، وبساطة في تركيبه، وتثير الشك في صدق موقفه، بل ربما دفعت إلى اتهامه بشتى التهم .

نتيجة لتهميش كثير من كتّابنا القضايا الأخلاقية، ونتيجة لسوء التخطيط وسوء الظروف المعيشية لكثير من الناس، سادت لدينا أمراض أخلاقية عديدة وخطيرة، نذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر:

إن كثيراً من الناس يعيش اليوم دون أية أهداف سامية، فتأمين الحاجات الضرورية هو شغل الناس الشاغل، وامتلاك بيت صغير يعد نصراً كبيراً في معركة شرسة !.

وقد صار الواحد من الناس أشبه بالحيوان البرّي الذي يقضي حياته في حديقة حيوانات، فهو ليس معزولاً عن بيئته الطبيعية فحسب، بل !، معزول عن أعماق ذاته، وعن هويته، وعن سر وجوده، وعن غاية وجوده !.

ويعاني السواد الأعظم من الناس من ضعف الإحساس بـ ( الواجب ) وهو المبدأ الذي يتجاوز المصلحة المباشرة والفردية ؛ ليعكس تسامي الإنسان أو قدرته على الالتزام تجاه غيره، والتضحية من أجل غيره.

وما الشعور بالواجب إلا ثمرة للشعور بشرف الانتماء إلى الجماعة وبالرغبة في الذوبان فيها. فإذا عجز الإنسان عن الالتزام الجماعي أباح لنفسه كل ما استطاع أن يحرّمه على غيره.

وهناك فريق من المسلمين من نوع آخر يعاني على الصعيد الحضاري من ذبول الروح الجماعية لديه، وهو ينزع باستمرار إلى نوع من الانطواء على الذات والأسرة والحي والقرية والقبيلة، وهو نزوع ذو أثر سلبي على الإحساس بمصلحة الأمة والحرص على تقدمها .

وإلى جانب ذلك هناك عادات سيّئة عديدة تتعلق بالعمل والاستهلاك ؛ إذ أن كثيراً من الناس ينظرون نظرة ازدراء للعمل الإبداعي، كما أن هناك رغبة قوية لشراء العقارات، وشراء السيارات الفاخرة، والإنفاق الترفي والبذخي الذي لا تتحمله موارد الأمة.

وهناك أمراض خلقية كثيرة على صعيد العلاقات بين الناس، مثل قطع الرحم والجفاء بين الأهل والجيران، ومثل الحسد والتكبُّر على الناس، وحب الاستئثار، والانفراد بالخيرات العامة والمشتركة...

وإن مشكلات الزحام وشح الموارد، وتراجع التربية الخلقية، وضعف الإحساس بالأهداف الكبرى... سوف تولِّد المزيد من التأزّم النفسي، والمزيد من الأمراض الخلقية، وذلك يحتاج إلى تأمل عميق من المصلحين، وإلى البحث عن سبل للعلاج والخلاص...

إن الانحدار الأخلاقي كثيراً ما يكون صدىً لأزمات يمر بها المجتمع ؛ فقد تنتشر الجريمة بسبب ضائقة اقتصادية، أو كبت شديد، أو وجود نماذج اجتماعية مغرقة في البذخ والترف .

وهذا كله يوصلنا إلى قناعة بضرورة ألا نعزل معالجة القضايا الأخلاقية عن معالجة مشكلات الحياة الأخرى، وهذا ما نغفل عنه في أحيان كثيرة !.

لكن لا ينبغي أن نصرف انتباهنا عن حقيقة أخرى، تتصل بالمسألة الأخلاقية، وهي أن لكل أمة (سلماً قيمياً ) ترتب فيه أخلاقها في ضوء أمرين: مبادئها وحاجاتها ؛ فظروف الصحراء والبداوة حملت العرب في الجاهلية على وضع الشجاعة والكرم في أعلى السلم القيَمي ؛ وحين جاء الإسلام لم يُخرج هاتين الخصلتين من سُلّم الفضائل، لكنه غيَّر من موقعها في التشكيل الجديد، حيث صارت ( التقوى ) المعيار الأهم في الدلالة على الفضل والسبق.

وفي المجتمعات الصناعية الحديثة هناك ميل قوي إلى جعل الدقة والفاعلية والإنجاز والمهارة والنجاح في أعلى السلم القيَمي وهكذا...

والذي نريد أن نقوله: إننا اليوم في أمس الحاجة إلى إيجاد مدخل جديد للتنمية الأخلاقية، يقوم على منح بعض الثوابت القيمية والأخلاقية معاني جديدة أو اهتمامات خاصة ببعض مدلولاتها، بغية التخفيف من حدّة وطأة التخلُّف الذي يجتاح حياة المسلم، فالتقوى في حياتنا المعاصرة بحاجة إلى إثراء مفرداتها كي تتناول بعض الفروض الحضارية، مثل: الإسراع إلى العمل، وإتقان العمل، وتطوير العمل، والمحافظة على الوقت، وحسن إدارته، والعمل المؤسساتي، وترسيخ مفهوم فريق العمل، والالتزام بالمواعيد، وحسن التصرّف بالإمكانات المتاحة، وترشيد الاستهلاك... وكل هذه القيم المعاصرة لها أصول ثابتة في القرآن والسنة،

ويمكن من خلال التربية والموعظة الحسنة أن نجعل المسلم يشعر بحلاوة الإيمان، وحلاوة الالتزام من خلال القيام بهذه الأعمال التي تقتضيها طبيعة العصر، كما يشعر تماماً عندما يضع صَدَقة في يد فقير، أو عندما يقوم الليل والناس نيام !.

فالتجديد النفسي والأخلاقي ليس نسخ أخلاق وإحلال أخلاق أخرى في موضعها، وإنما هو توسيع في مدلولات بعض المفهومات الأخلاقية، ومنحها أهمية أكبر في النَسق الأخلاقي العام.

لا توجد أمة ليس لها مبادئ محددة، تعوّل عليها في الضبط الاجتماعي، وفي ترجيح ممكن على ممكن آخر. كما أنه ليس هناك أمة تخطط لجعل واقعها حرباً على مبادئها، وقد ضربت أمة الإسلام أروع الأمثلة في هذا السبيل، مما ليس له نظير !.

ومع الإدراك العميق للصعوبات الكثيرة التي تواجه مَن يريد إحداث تقدُّم أخلاقي ممتاز في وسط متأزّم، فلابد من ذكر بعض المبادئ والشروط والأساليب والوسائل التي نظن أنها ذات تأثير في تحسين المستوى النفسي والخلقي لأمتنا والرقي به:

وأمة الإسلام اليوم تحاول أن تنطلق نحو آفاق واسعة المدى، عليها أن تجدد مضامين الانطلاقة الأولى التي أشعل شرارتها النبي صلى الله عليه وسلّم وأهل القرون الخيّرة من بعده. وهذا في الحقيقة يحتاج إلى روّاد، إلى دعاة، إلى علماء من نوعيةٍ خاصّة، ومع أن كثرة عددهم أمر مهم جداً، إلا أن نوعية المواصفات والأخلاق التي يجب أن يتحلّوا بها تظل أهم من كثرة عددهم ؛ فالصحابة الكرام الذين تلقوا تربية مكثّفة ومتميّزة عن النبي صلى الله عليه وسلم قد لا يتجاوزون بضعة ألوف، ولكن خصوصية سماتهم وأخلاقهم جعلت منهم قدوة فريدة، أمكنها أن تحمل بناء ضخماً متطاولاً، ومازلنا إلى اليوم نقتبس من بركات تلك القدوة وهديها، من سمات هذا الذي يريد أن يصلح من شأن الأمة:

آ ـ صلةٌ قويةٌ بالله ـ جلّ وعلا ـ تغمر كيان المسلم، وتنقل إيمانه من حيّز الدائرة العقلية والتصديق القلبي إلى حيز الشعور، والمعبِّر عنه في حديث مسلم بالإحسان " أن تعبد الله كأنك تراه." وهذا لن يتأتّى إلا من خلال العبادات المكثّفة، حيث إن الإيمان أشبه شيء بشجرةٍ وارفة الظلال، وكلما أردنا لهذه الشجرة أن تكبر، وأن تمد أغصانها في كل اتجاه، كان علينا أن نسقيها أكثر ؛ وماؤها هو العبادات والنوافل والأذكار...

وهذه السمة كانت واضحة جداً في حياة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ والسلف الصالح عامةً .

إن الإيمان الحي المتدفق هو الطاقة العظمى التي نحتاجها في مرحلة الإقلاع، وليس ثمة بديل لذلك.

ب ـ الصبر وطول النَفَس، حيث إن الواقع الرديء الذي نعيشه ما هو إلا خلاصة لتراكمات أخطاء قرون عديدة ؛ وحتى يتحسّن ذلك الواقع بصورة جيدة، فإنه يحتاج إلى زمن وجهد. وقد صرح القرآن الكريم بهذا المعنى حين قال:

**( وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا )**

سورة السجدة: من آية " ٢٤ "

وأحياناً يسيطر على الناس اليأس بسبب طول الطريق ومشاقه، وبسبب شعورهم بأن التحسن ضعيف أو معدوم. أما الروّاد، أما الدعاة الصادقون، أما العلماء الربانيون فإنهم لا ينظرون أبداً إلى ما قطعوه من الطريق، ولا إلى ما تبقّى منه، وإنما يستغرقهم، ويسيطر عليهم الانشغال بواجب

الوقت، والانشغال بتصحيح المسيرة، وهم بعد ذلك يشعرون أنهم لم يقدّموا سوى جزءٌ يسيرٌ من المطلوب، ولكنه جهدهم الذي يملكونه، وينتظرون من الله ـ تعالى ـ أن يتقبّله .

ج ـ الإعراض عن متاع الدنيا وشهواتها ؛ ومع أن قدراً من ذلك مطلوب من كل مسلم، إلا أن للروّاد شأناً آخر، فهم أحق الناس بالتقلل ـ قدر الإمكان ـ من متاع الحياة الدنيا، بما لا يصل إلى حد الحرمان ؛ ويظل المهم هو شعور الناس بتميّز هذه الفئة المباركة في أسلوب عيشها، وفي مقاييسها للرقي الاجتماعي

إن الأمة في هذه المرحلة بحاجةٍ ماسّة إلى المال، كي تشيد المرافق العامة والمدارس والجامعات... وهي بحاجة إلى مَن يوضِّح لها بطريقةٍ عملية منهجيّةٌ جديدة في العيش بعيدةٌ عما اعتاده كثير من الناس من البذخ والترف وإنفاق المال بغير حساب ولا أدنى شعور بالمسؤولية!

د ـ التضحية والعطاء السخي والكرم الذاتي، سمات مهمة فيمن يتصدى للنهوض بهذه الأمة، فعلى الرغم من أن هذه المعاني عميقة في ثقافة المسلم ومتغلغلة في وجدانه إلا أن الناس يبحثون دائماً عن القدوة والنموذج المحسوس. ولو أن المبادئ تُغيّر حياة الناس لما بعث الله تعالى الرُسُل، ولا أنزل الكُتُب، لكن مضت سُنّته في خلقه بأن لسان الحال أبلغ مِن لسان المقال، وأن المحسوس أسهل في الإدراك وأعظم في التأثير من المجرد. فحال موصول بالله في ألف أبلغ من مقال ألف في واحد.

**النفس تبكى على الدنيا وقد علمت    أن السلامة فيها ترك ما فيها**

**لا دار للمرء بعد الموت يسكنها    إلا التي كان قبل الموت يبنيها**

**فإن بناها بخير طــاب مسكنه    وإن بناها بشر خــاب بانيها**

أيها الإخوة الأكارم، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صل، وسلم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

إخوتي المؤمنين، أعزائي المستمعين..... إلى الموضوع الساخن الذي تعيشه أمتنا .

إنّ القضية الأساسية في التعاملِ مع الأحداثِ الجِسامِ ليس تصديقَ وقوعِها، أو عدمَ تصديقِهِ، فطبيعةُ العصر مِن حيث التواصلُ الإعلاميُّ المذهِلُ، وثورةُ المعلومات المتفجرة، واجتماعُ الأممِ والشعوبِ في غرفةٍ إعلاميةٍ واحدةٍ، يُلغي موضوعَ التصديق، أو عدمِ التصديق، ولكنّ العبرةَ في

التعاملِ مع الأحداث الجِسامِ، تحليلُها التحليلَ الصحيح، ثم اتخاذُ موقف، والانطلاقُ لعملٍ مِن خلالِ هذا الموقفِ، ولنضربْ على ذلك مثلاً.

لو أنّ صاحبَ سيارةٍ في أثناءِ قيادته لها تألّقَ ضوءُ أحمر في لوحةِ البياناتِ التي أمامه، فالمشكلةُ ليست في تصديقِ التألّق، أو عدمِ تصديقه، لقد رأى تألّقَ هذا الضوء بأمّ عَيْنِهِ، ولكنّ المشكلة في فَهْمِ هذا التألّق، وتحليلِه، والسلوكِ الذي يُبنَى على هذا الفَهْمِ والتحليل، فلو فَهِمَ التألّقَ على أنّه ضوءٌ تزينيٌّ، فتابَع السَّيْرَ، لاحترقَ المحرِّكُ، وتكلفَ لإصلاحه مبلغاً كبيراً، وتعطّل سيرهُ إلى هدفه، أما إذا فَهِم هذا التألّقَ على أنه ضوءٌ تحذيريٌّ، أوقفَ السيَّارةَ، وأضافَ الزيتَ، وسلِم محرّكُ السيارةِ من الاحتراق، وتابَعَ سَيْرهُ إلى هدفه، فالعبرةُ لا في التصديق وعدمِه، بلْ في فَهْمِ الحدثِ وتحليلِه.

ما هذا العالم !! ؟؟ إنه عالم أحمر من الدماء التي تسفك ظلماً... ما هذا العالم الذي ليس في قاموســـه إلا ( القتل، التدمير، والقصف، والمداهمة، والقبض، والاعتقال، والتعذيب، والاغتيال، وأنهار من الدماء تجري...) حتى إنك لتشك في إنسانية هذا العالم، فضلاً عن قيمه وأخلاقه ودياناته، بل إن الإنسان وهو يشاهد هذه المشاهد الظالمة يخجل أن ينتمي إلى هذا الجنس البشري المتوحش .

هل هذه حياة تعاش ؟ هل هذه حضارة تثمن ؟

هل هذه دول متقدمة أم أنها أبت إلا أن تأخذ بنصيبها من التخلف والهمجية و إلا فبماذا تفسر تلك الأعمال الإجرامية العالمية والإرهاب الدولي ضد أبرياء وعزل وأصحاب حقوق سليبة، و كرامات منتهكة ؟

إن حياة الغاب أرحم بكثير مما نشاهده في مسرحية ( الحرية والديمقراطية، وحقوق الإنسان ) التي استمتعنا بالفصل الأول منها، ونحن في غفلة ساهون، وبكينا في الفصول اللاحقة ؛ كفصل (التطهير العرقي... ومكافحة الإرهاب... بإرهاب يفوق حد الوصف ) لكن المخرج المخادع حاول أن ينسينا فصول الجريمة بقضايا براقة من ( العولمة، التي لا تعني سوى الحيونة، أي أن نثير في الإنسان الجانب الحيواني ليس غير ) .

إن نتائج الظلم لا يمكن ضبط حساباتها، ولا تقدير ردود أفعالها، وذلك أن ردود فعل المقهورين و المظلومين كشظايا القنابل تطيش في كل اتجاه، وتصيب من غير تصويب

إن ردود أفعال المظلومين و الموتورين لا يمكن التحكم في مداها ولا في اتجاهها، وإنها تطيش متجاوزة حدود المشروع والمعقول، مخترقة شرائع الأديان، وقوانين الأوطان، وهي تكفر أول ما تكفر بهذه القوانين التي لم توفر لها الحماية أولاً ؛ فلذا لن تقبلها حامية لأعدائها، فإن العلاج الأول والحقيقي هو نزع فتيل الظلم الذي يشحن النفوس بالكراهية والمقت، ويعمي البصائر والأبصار عن تدبر عواقب الأمور، والنظر في مشروعيتها أو نتائجها.

حين ينتظر الناس طويلاً قبل أن ينالوا حقوقهم فمن المرجح أنهم سيتصرفون في فترة الانتظار بطريقة يصعب توقعها.

إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف ليس دعوة إلى الرضا بالضعف، أو السكوت عليه، بل هو دعوة لاستشعار القوة حتى في حالة الضعف، إذن يجب أن نبحث في كل مظنة ضعف عن سبب قوة كامنة فيه، ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجدوه، ولصار الضعف قوة، لأن الضعف ينطوي على قوة مستورة يؤيدها الله في حفظه ورعايته، فإذا قوة الضعف تهد الجبال وتدق الحصون، كما ترون وتسمعون .

أنت قويّ، وهذا سر ضعفك، وأنا ضعيف، وهذا سر قوتي !

لذلك نستطيع أن نقابل القنبلة الذرية بقنبلة الذُرية أي بتربية جيل مسلم ينهض بأمته .

مواقف العدو وسياساته تؤكد عقم التيارات التلفيقية والاستسلامية، وتفتح الطريق واسعًا وبلا حدود أمام تيار المقاومة ولا سيما الملتزمة منها، وهكذا فقد انتهى طريق الوهم، وبدأ طريق النصر، إن شاء الله .

يقول السيد الرئيس في كلمته القيمة في مؤتمر القمة المنعقد في بيروت: **"من لا يمتلك الفكر المضاد للإرهاب لا يستطيع أن يكافح الإرهاب، ولا أن يتحدث عنه، ولا نستطيع أن نرى الإرهاب الأصغر، ونتعامى عن الإرهاب الأكبر، وأي طرح للإرهاب في العالم، ولا تكون إسرائيل هي محوره، فهو طرح ناقص غير موضوعي .**

صحيح أن هناك متغيرات دولية ولكن الأصح من ذلك أن هناك ثوابت إسلامية وأن الباطل الكثيف الذي يركب موجة هذه المتغيرات الدولية لا يمكن أن يلغي الحق الراسخ الذي تملكه أمتنا ، فالمتغيرات الدولية تستوجب قدراً من التكيّف والمناورة في الوسائل والجزئيات، لكن لا يجوز بحال من الأحوال أن نغيّر في الأهداف والمباد ئ . مثال ذلك: المسلم إذا سافروالسفر تغيير بالنسبة إلى المصلي هذا السفر يجيز للمصلي القصر والجمع في بعض الصلوات ، لكن السفر لا يجيز له ترك الصلاة بحال من الأحوال .

تعلِّمنا الأحداثُ الدامية التي نشهدها كلّ يوم في البلدين العربيين المحتلين أنّ القوةَ البشرية مهما عَظُمَتْ فهي محدودة، وأنّ العلمَ مهما اتّسع فهو قاصر، وأنّ الإنسانَ المتألِه مصيره القصم إنّ اعتمادَ القوةِ وحدَها، والحلولَ الأمنية وحدَها، لا يحقِق الهدفَ ما لم يكن مصحوباً بدرجة عاليةٍ من الاستماع الجيّدِ إلى الطرَف الآخر، وتَفَهُّمٍ دقيقٍ للرأي الآخر، ومراعاةِ مصالحه وخصوصياته، وتوفير كرامته، وما لم تحلّ مشكلات المظلومين والمضطهدين في العالم، فإنّ المشكلة تبقى قائمة، بل وربما تفاقمتْ، فالقوّةُ لا تصنع الحقّ، ولكنّ الحقّ يصنعُ القوةَ، والقوةُ مِن دون حكمةٍ تدمِّر صاحبَها، قال تعالى:

**( فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ )**

وهذه الأمة لا يمكن اختصارها في شخص واحد فإذا ما اغتالته يد الغدر توهم المتوهمون أن المقاومة ماتت بموته .

إن الأعداء يواجهون أمة استعصت على الاحتواء والترويض، إن شاء الله، عرفت هويتها، وحددت وجهتها، وصمدت لقضيتها، بعد هذه المحن التي أصابتها، ووحدتها ولذا فإن دماء الشهداء ليست إلا وقوداً يخزن في شرايين الأجيال، وإن مشاهد التشييع الجنائزية ليست إلا حقناً للغضب العام، ولئن نال الشيخ أحمد ياسين وصاحبه أمنيتهما في إحراز الشهادة، التي يتمناها كل مسلم، فإن رحم هذه الأمة ولود لهذا النمط الصعب من الرجال، وسيخلفهم زحوف إثر زحوف.

قال طفل صغير بعفوية، وهو يزاحم بجسده النحيل، ويحاول شق طريق له وسط الجموع الغفيرة التي أمّت مستشفى الشفاء في غزة: إن اغتيال هذا المجاهد الشهيد لن يحبطنا ويكسر شوكتنا، بل سيزيدنا قوةً وعزيمة على مواصلـة درب الكفاح والمقاومة، حتى تحرير أرضنا.

لئن عرف التاريخ أوساً وخزرجاً فلله أوس قادمـــون وخـــزرج

لقد ألفتم ـ أيها الأخوة ـ أن أختم الخطبة بموضوع علمي، ولكن نظراً للمحن والشدائد التي تمر بها أمتنا، والتي تنهد لهولها الجبال، أخاطب أولئك الذين لم يحملوا هموم أمتهم، أينما كانوا في العالمين العربي والإسلامي، ولم يتألموا لآلامها، ولم يحزنوا لأحزانها، وتوهموا أن الذي يجري حولهم لايعنيهم، وهم غارقون في حفلات تقام في ردهات الفنادق، وفي أبهاء المطاعم، وفي حدائق المزارع، وفي ألعاب تافهة، وسباقات فارغة، وفي برامج ساقطة مستوردة من عالم تتناقض قيمه ومبادئه مع قيمنا ومبادئنا، تبثها بعض الفضائيات، والتي تبذل فيها الأموال الطائلة، والأوقات الثمينة، إلى هؤلاء الشاردين أقول:

**أخي في الله أخبرني متى تغضبْ ؟**

**إذا انتهكت محارمنا**

**إذا نُسفت معالمنا، ولم تغضبْ**

**إذا قُتلت شهامتنا إذا ديست كرامتنا**

**إذا قامت قيامتنا، ولم تغضبْ**

**فـأخبرني متى تغضـبْ ؟**

**إذا نُهبت مواردنا إذا نكبت معاهدنا .**

**إذا هُدمت مساجدنا وظل المسجد الأقصى .**

**وظلت قدسنا تُغصبْ .**

**ولم تغضبْ .**

**فأخبرني متى تغضبْ ؟**

**عدوي أو عدوك يهتك الأعراض .**

**يعبث في دمي لعباً**

**وأنت تراقب الملعبْ**

**إذا لله.. للحــرمات.. للإسلام لم تغضبْ**

**فأخبــرني متى تغضبْ ؟!**

**رأيتَ هناك أهوالا**

**رأيتَ الدم شلالاً**

**عجائز شيّعت للموت أطفالاً**

**رأيتَ القهر ألواناً وأشكالاً**

**ولم تغضبْ**

**فأخبــرني متى تغـضبْ ؟**

**فصارحني بلا خجلٍ.. لأية أمة تُنسبْ ؟!**

**فلست لنا ولا منا ولست لعالم الإنسان منسوبا**

**ألم يحزنك ما تلقاه أمتنا من الهول**

**ألم يخجلك ما تجنيه من مستنقع الحلّ**

**وما تلقاه في دوامة الإرهاب والقتلِ**

**ألم يغضبك هذا الواقع المعجون بالذلِ**

**وتغضب عند نقص الملح في الأكل!!**

**ألم يهززك منظر طفلة ملأت**

**مواضعَ جسمها الحفرُ**

**ولا أبكاك ذاك الطفل في هلع**

**بظهر أبيه يستترُ**

**فما رحموا استغاثته**

**ولا اكترثوا ولا شعروا**

**فخــرّ لوجهه ميْتــاً**

**وخـــرّ أبـــوه يُحتـــضرُ**

**متى التوحيد في جنبَيْك ينتصرُ؟**

**أتبقى دائماً من أجل لقمة عيشكَ**

**المغموسِ بالإذلال تعتذرُ؟**

**متى من هذه الأحداث تعتبرُ؟**

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٦٦) : خ١ - أسباب هلاك الأمم ، خ٢ - الديدان.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٤-٠٧-٣٠

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام: في زحمة الأحداث وتسارع المتغيرات، وفي خضم تداعيات النوازل والمستجدات، وكثرة الأطروحات والتحليلات يلحظ المتأمل الغيور غياباً أو تغييباً للرؤية الشرعية، والنظر في فقه السنن الكونية حتى حصل من جرّاء ذلك زلل بالأقدام، وخطل أقلام، وضلال إفهام، وتشويش وحيرة عند كثير من أهل الإسلام، مما يؤكد أهمية المرجعية الموحدة للأمة الواحدة التي ينبغي أن ترتكز في تحقيق أهدافها على صحة المعتقد، وسلامة المنهج، والعناية بمصالح الأمة الكبرى، ومقاصد الشريعة العظمى، باعتدال في الرؤى، وتوازن في النظر، وأسلوبٍ عالٍ في الطرح والحوار، قال تعالى:

**( وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ )**

[ سورة النساء: الآية ٨٣ ]

هذه الآية تشير إلى المرجعية الواحدة للأمة الواحدة.

أيها الإخوة الكرام، حضوراً ومستمعين: هذه الأحداث التي هزت العالَم ألا تنتظمها قوانين وسنن إلهية لا تتبدل ولا تتغير ؟ قال تعالى:

**( فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً )**

[ سورة فاطر: الآية ٤٣ ]

فما هي أسباب هلاك الأمم في ضوء القرآن الكريم وسنة النبي عليه أتم الصلاة والتسليم ؟ من أبرز أسباب هلاك الأمم كثرة الفساد، وكثرة الخبث، قال تعالى:

**( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرا )**

[ سورة الإسراء: الآية ١٦ ]

قال علماء التفسير: أمرنا مترفيها بطاعة الله وتوحيده، وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوا به، ففسقوا، أي خرجوا عن طاعة أمر ربهم، وعصوه، وكذبوا رسله، فحق عليها القول، أي وجب عليها الوعيد، فدمرناها تدميراً، وقد أكد الله التدمير بمصدره للمبالغة في شدة الهلاك الواقع بهم، فإن قال قائل: إن الله أسند الفسق في هؤلاء القوم بخصوص المترفين دون غيرهم في قوله تعالى:

**( أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا )**

[ سورة الإسراء: الآية ١٦ ]

مع أنه ذكر عموم الهلاك للجميع، قال المفسرون: هناك جوابان ؛ الأول: أن غير المترفين تبعوا لهم، كما قال الله تعالى:

**( وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا )**

[ سورة الأحزاب: الآية ٦٧ ]

والجواب الثاني: أن بعضهم إن عصى الله، وبغى، وطغى لم ينكر عليه الآخرون هذه المعصية وهذا الفسق والفجور فإن الهلاك عندئذ يعم الجميع، كما قال تعالى:

**( وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً )**

[ سورة الأنفال:الآية ٢٥ ]

وكما جاء في الحديث الصحيح من حديث أم المؤمنين زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

**(( دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ ))**

[البخاري، مسلم، الترمذي، ابن ماجه، أحمد]

فأول أسباب هلاك الأمم كثرة الفساد في الأرض، وكثرة الخبث، قال تعالى:

**( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ )**

[ سورة الروم: الآية ٤١ ]

سبب آخر من أسباب هلاك الأمم الكفر بنعم الله عز وجل، وعدم القيام بواجب شكرها، قال تعالى:

**( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ )**

[ سورة النحل: الآية ١١٢ ]

وقد ورد في الأثر القدسي: **" إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إلي صاعد، أتحبب إليهم بنعمي، وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إلي بالمعاصي، وهم أفقر شيء إلي، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل محبتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي، لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب ".**

سبب ثالث من أسباب هلاك الأمم من خلال القرآن والسُّنة: ظهور النقص، والتطفيف في الكيل والميزان، ومنع حق الله، وحق عباده، ونقض العهود والمواثيق، والإعراض عن أحكام الله تعالى، هذه كلها مجتمعة في حديث شريف يبين المرحلة التي وصلنا إليها.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

**(( يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ ))**

[ ابن ماجه ]

وكأن النبي صلى الله عليه وسلم معنا يرى تقصير الأمة الإسلامية.

ومن أسباب هلاك الأمم: التنافس في الدنيا، والرغبة فيها، والمغالبة عليها.

عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيَّ وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....قال:

**(( فَوَ اللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ ))**

[البخاري، مسلم، الترمذي، ابن ماجه، أحمد]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ ))**

[رواه الإمام مسلم ]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا....))**

[ البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، أبو داود، أحمد، الدارمي]

ومن أسباب هلاك الأمم: التعامل بالربا، وانتشار الزنا، فإن هذا مما يخرب البلاد، ويهلك العباد، ويوجب سخط الرب عز وجل.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...قَالَ:

**(( مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الرِّبَا وَالزِّنَا إِلَّا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ))**

[ البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي]

قال تعالى:

**( الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ )**

[ سورة البقرة ]

وانتشار الزنا سبب لظهور أمراض لم تكن في الأمم السابقة، لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، عدد المصابين بمرض الإيدز في العالم يتجاوز أربعين مليونًا.

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام: ومن أسباب هلاك الأمم: تقصير الدعاة في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقصير الأمراء في إزالة المنكرات.

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ لَمْ يُغَيِّرُوهُ إِلَّا عَمَّهُمْ اللَّهُ بِعِقَابٍ ))**

[رواه أبو داود]

وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا، وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَتَأَذَّوْا بِهِ، فَأَخَذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَأَتَوْهُ، فَقَالُوا: مَا لَكَ ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي، وَلَا بُدَّ لِي مِنْ الْمَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ ))**

[ البخاري، الترمذي، أحمد ]

والتعبير الحديث: نحن جميعاً في قارب واحد.

قال الإمام الغزالي: الأمر بالمعروف والنهي عم المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو الذي بعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمّت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، وخربت البلاد، وهلك

العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الذي خفنا أن يكون، فإن لله وإنا إليه راجعون.

ومن أسباب هلاك الأمم: ترك الجهاد، والإخلاد إلى الأرض.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**(( إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ ))**

[ أبو داود، أحمد ]

الأخذ بأذناب البقر، والرضا بالزرع علامة على الإخلاد إلى الأرض، والانغماس في الملذات، وترك الجهاد هو سبب الذل والهوان.

أيها الأخوة الكرام، حضوراً ومستمعين: ومن أسباب هلاك الأمم: مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:

**( فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ )**

[سورة النور: الآية ٦٣ ]

وقد قال الله عز وجل:

**( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ )**

[ سورة الأنفال:الآية ٣٣ ]

أي ما دامت سنة النبي صلى الله عليه وسلم قائمة في حياتهم، في علاقاتهم، في كسب أموالهم، وفي إنفاقها في تجارتهم، في بيعهم في شرائهم، في علاقاتهم، في أفراحهم، في أتراحهم، في حلِّهم، في سفرهم، ما دام منهج النبي مطبقاً في حياتهم فهم في مأمن من عذاب الله، وفي مأمن آخر:

**( وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ )**

[ سورة الأنفال:الآية ٣٣ ]

وفي حديث طويل عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((.... وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ ))**

[ أحمد]

ومن أسباب هلاك الأمم: الغلو في الدين، والغلو هو التنطع، ومجاوزة الحد، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا ))**

[ مسلم، أبو داود، أحمد ]

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( ..... إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ ))**

[ النسائي، ابن ماجه، أحمد ]

أيها الأخوات المستمعات، أيها الإخوة المستمعون: نجاح أمة الإسلام هو انتصارها على أعدائها اللئام، والذي يفرح له المؤمنون في كل عصر ومصر، والذي نحن في أمسّ الحاجة إليه أننا نواجه أعداءً ماتت في ضمائرهم وضمائر الذين انتخبوهم كل القيم الإنسانية والأعراف الدولية، وداسوا على حقوق الإنسان بحوافرهم، وبنوا مجدهم على أنقاض الشعوب، وغناهم على إفقارها، وقوتهم على تدمير أسلحتها، إنهم يصفون المالك للأرض الطريد المشرد إرهابياً لا حق له، والمتمسك بدينه القويم أصولياً، ويجعلون اللص الغالب على المقدسات رب بيت محترماً، يملكون الأرض لا بالإحياء الشرعي، ولكن بالإماتة الجماعية، والقهر النفسي، فيا ويلهم، قال تعالى:

**( حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ)**

[ سورة يونس: الآية ٢٤ ]

أيها الأخوة الكرام في كل مكان: هؤلاء المستكبرون ربما طالبوا الشعوب المستضعفة أن تلعق جراحها، وأن تبتسم للغاشم، وأن تعد حقها باطلاً وباطل المعتدي حقاً، في مثل هذا يقول عليه الصلاة والسلام:

**(( كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف، ولم تنهوا عن منكر ؟ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله ؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده، وأشد منه سيكون، قالوا: وما أشد منه ؟ قال: كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً، والمنكر معروفاً ؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون، قالوا: وما أشد منه ؟ قال: كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون ))**

[الفردوس بمأثور الخطاب]

وضع مؤلم جداً، ونحن المسلمين ينبغي علينا من خلال الأمر القرآني لنا أن نعدّ لهم ما نستطيع من قوة بمفهوم القوة الموسّع، أسرنا ينبغي أن تتماسك، أمهاتنا ينبغي لهن أن يتفرغن لتربية أولادهن، طالبنا ينبغي أن يتفوق، معلمنا ينبغي أن يحمل رسالة يسعى لتحقيقها، عاملنا ينبغي أن يتقن، فلاحنا ينبغي أن يرتبط بأرضه ليزرعها، موظفنا ينبغي أن نعطيه حقه، وينبغي له أن يتفانى في خدمة المواطنين، وقاضينا ينبغي أن يعدل، وعالمنا ينبغي أن يؤثر خدمة أمته على حظوظه من الدنيا، وداعيتنا ينبغي أن ينصح، لا أن يمدح، وضابطنا ينبغي له أن يوقن أن المعركة مع العدو قادمة لا محالة، وأن حديث العدو عن السلام مراوغة، وكذب، وكسب للوقت، ليس غير، وثرواتنا ينبغي أن تستخرج ومصانعنا ينبغي أن تطور، وأرضنا ينبغي أن تستصلح، ومياهنا ينبغي أن يرشّد استهلاكها، وهذا لا يكون إلا بإيمان بالله يحملنا على طاعته، وإيمان باليوم الآخر يحملنا على ألا

نظلم بعضنا بعضاً، وأن نطلب جزاء جهدنا وجهادنا في الجنة، وهذا نوع من الجهاد البنائي لا تقطف ثماره عاجلاً بل آجلاً، مثلاً حينما تقول لطالب: واظب على دراستك، كن متفوقاً، خطط لسنوات قادمة لتكون شيئاً مذكوراً في حياة الأمة ومستقبلها لاستكسل هذا، وآثر سماع الأخبار، وأن يكون منفعلاً، لا فاعلاً، إن بعض الاندفاع قد يضاعف المعاناة بدلاً من حلها.

أيها الأخوة الكرام: هاهنا يبرز معنى الجهاد البنائي بمفهومه الواسع الذي هو بذل أقصى الوسع، واستفراغ الطاقة في تحصيل المراد والغفلة عن المستقبل ستجعلنا مشغولين أبداً بإطفاء الحرائق هنا وهناك عن العمل الجاد الذي يخفف المعاناة عن أجيالنا اللاحقة.

أيها الأخوة الكرام: نريد حلاً، هل من ورقة عمل توضع بين أيدي المسلمين ؟ أول نقطة في ورقة العمل العودة إلى القرآن والسُّنة للعلم والعمل معاً، لا بد من العلم لثقل هذه المرحلة التي نحياها الآن حتى لا نؤذي من حيث نريد الإصلاح، حتى لا نفسد من حيث نريد الإصلاح، لا بد العلم لفهم العلماء الربانيين، لا بد من فهم صحيح، وعمل صادق، ولا سيما أن الجهل قد يودي بصاحبه إلى الشرك، وإلى الإفساد من حيث لا يشعر، ولا يريد، هذه النقطة الأولى في ورقة العمل.
النقطة الثانية: تجديد الإيمان، نحن لا نظن أن الأمة قد نبذت الإيمان بالكلية، ولكن نقول الإيمان يزيد وينقص، ويتجدد ويبلى، ويقول عليه الصلاة والسلام:

**(( إن الإيمان ليخلَق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب ))**

[ورد في الأثر]

أي كما يبلى الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم، نحن في أمس الحاجة إلى تجديد للإيمان، لأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، نحتاج إيماناً يعرفنا بربنا، نحتاج إيماناً يجدد في قلوبنا التوكل على الله والثقة بالله وحده، والرجاء فيه وحده، والاعتماد عليه وحده، والتوكل عليه وحده، واليقين فيه وحده، نحتاج إيماناً إن استقر في قلوبنا نطقت به ألسنتنا، وصدقته أعمالنا.
في الدعاء الشريف: **" اللهم إنا نبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن التفويض إلا إليك، ومن الرجاء إلا فيما عندك، ومن الصبر إلا على بابك، ومن الذل إلا في طاعتك ".**

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( إِنّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ))**

[ البخاري مسلم، الترمذي، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، مالك ]

النقطة الثالثة في ورقة العمل التي ينبغي أن تكون بين أيدينا هي الأخوة الإيمانية بالعقيدة الصحيحة، وبالأخوة الصادقة أقام النبي صلى الله عليه وسلم دولة:

( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ )

[ سورة الحجرات: الآية ١٠ ]

وأقام دولة:

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ))

[ البخاري، مسلم، أحمد ]

أين الأخوة الإيمانية ؟ أين أمة الجسد الواحد ؟ نخشى أيها الإخوة أن ينظر المسلم إلى وضع إخوانه المؤمنين فيهز كتفيه، ويمضي وكأن الأمر لا يعنيه، لا من قريب ولا من بعيد، ما دام هو آمناً في سربه، معافىً في بدنه، عنده قوت يومه.

النقطة الرابعة في ورقة العمل تحويل العلم إلى عمل، العلم ما عُمِل به، العلم في الإسلام وسيلة لا غاية، تحويل العلم إلى عمل فإن العلم إذا خالف العمل بُذرت بذور النفاق في القلوب قال تعالى:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ )

[ سورة الصف ]

ينبغي أن نحول المنهج العلمي الرباني إلى واقع عملي يتألق في دنيانا سمواً، وروعة، وحركة، وبناءً، أن نتحرك في هذه المرحلة إلى الدعوة إلى الله، نريد أن نُسمع العالم كله عظمة هذا الدين، وحقيقة هذا الدين، قم أيها الموحد دثر العالم كله ببردتك ذات العبق الطاهر، قم وضم العالم كله إلى صدرك، وأسمعه خفقات قلبك الذي وحد الله جل وعلا، قم واسق الدنيا كأس الفطرة، فطرة التوحيد التي فطر الله الناس عليها، نريد الآن أيها الإخوة من كل مسلم غيور أن يبذل الغالي، والرخيص والنفس والنفيس لدين الله تبارك وتعالى، فإن لم تعمل الآن، وإن لم تحمل الآن هموم أمتك، وإن لم تتحرك الآن لنصرة دينك متى تتحرك ؟ لا تأكل ملء بطنك، ولا تنم ملء عينيك، ولا تضحك ملء فمك، وكأن الأمر لا يعنيك.

أيها الأخوة الكرام: النقطة التالية في ورقة العمل أن نجدد الثقة المطلقة بوعد الله الصادق، بأن الله سبحانه وتعالى سوف ينصر دينه، دققوا في هذه الآية:

( إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ )

[ سورة القصص: الآية ٤ ]

الآن دققوا:

( وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ )

[ سورة القصص ]

هذا وعد من الله عز وجل للمستضعفين، يقول الله تعالى:

( وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ )

[ سورة إبراهيم ]

آية تهديد ووعيد، ولكن أعظم ما فيها شفاء لقلوب المظلومين، وتسلية لخواطر المكلومين، فكم ترتاح نفس المظلوم، ويهدأ خاطره حينما يسمع هذه الآية، ويعلم علم اليقين أن حقه لا يضيع، وأنه سوف يُقتص له ممن ظلمه، ولو بعد حين، وأنه مهما أفلت الظالم من العقوبة في الدنيا، فإن جرائمه مسجلة عند من لا تخفى عليه خافية، ولا يغفل عن شيء، الموعد يوم الجزاء والحساب، يوم العدالة يوم يؤخذ للمظلوم من الظالم، ويُقتص للمقتول من القاتل، يوم تُجزى كل نفس بما كسبت، لا ظلم اليوم، ولكن الله يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته:

( إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ )

[ سورة إبراهيم: الآية٤٢ ]

أي تنقى أبصارهم مفتوحة مبهوتة، لا تتحرك الأجفان من الفزع والهلع، ولا تطرف العين من هول ما ترى:

( مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ )

[ سورة إبراهيم: الآية٤٣]

أي مسرعين، لا يلتفتون إلى شيء ممن حولهم، وقد رفعوا رؤوسهم في ذل وخشوع، لا يطرفون بأعينهم من الخوف والجزع، وقلوبهم خاوية خالية، منكل خاطر من هول الموقف، ما أعظم بلاغة القرآن، وما أروع تصويره للمواقف، حتى كأنك ترى المشهد ماثلاً أمامك.

أيها الأخوة الكرام: تخيلوا وأنتم تقرؤون هذه الآية مصير الطغاة الظلمة الذين انتهكوا أعراض المسلمين، وسفكوا دماء الأبرياء، وقتلوا الأطفال، وشردوا النساء، وهدموا المساجد والمنازل، وردموا الآبار، وجرفوا المزارع.

تذكر أيها الأخ الكريم من عاث في الأرض فساداً، ومن أذاق إخواننا في فلسطين صنوف العذاب والقهر والظلم، تذكر أن الله فوقهم، وأنه سوف يقتص منهم، ويرينا فيهم ما يثلج الصدور، إن شاء الله تعالى، ويتحقق لنا وعد الله سبحانه وتعالى:

**( فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) )**

[ سورة المطففين ]

أيها الأخوة الكرام: هذا الواقع الأليم الذي تحولت فيه الأمة إلى قصعة مستباحة من كل أمم الأرض أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى كما في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا....))**

[ أبو داود، أحمد ]

تصور أيها الأخ منظر الطيور حينما يقدم لها الطعام بعد جوع شديد، تصور مشهد الطيور وهي تتقاتل، وتتقاذف ليلتقط كل طائر مصيره من هذه القصعة، انظر إلى الكلام النبوي بعين التدبر: عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ))**

يقول السيد الرئيس أيها الإخوة في مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد بالدوحة: إننا نشهد المزيد من إزهاق الأرواح في منطقتنا، ونرى الأمة العربية والإسلامية تزيد إلى رصيدها المزيد من الفقر والجوع، والكثير من الظلم والاضطهاد، كما رأيناها تبتعد أكثر وأكثر عن هويتها حتى تكاد تذوب في هويات الآخرين، وفي المقابل كانت دول أخرى تزداد طغياناً واستغلالاً، ويشرعن قتلها، وتدميرها للغير، وبنظرة متأملة في العقود الماضية نرى أن نقلة تراجعية كبيرة إلى الوراء قد تمت بالنسبة إلى دول المنطقة ترافقت مع ظهور مفاهيم جديدة مختلفة، وخاصة بالعقد الماضي، وفي مقدمتها مفهوم النظام الدولي الجديد، أو ما يسميه البعض بالعولمة، فالإسلام تجاوز منذ ظهوره الحدود الجغرافية، والقوميات، والثقافات المختلفة، ولكنه لم يلغها، بل أكد على الالتزام بالوطن والأمة، بانياً ذلك على أسس سليمة مختلفة عن مفهومات العولمة.

ويمكن أن تكون العولمة حالة مليئة بالإيجابيات إذا استندت إلى ما استند إليه الإسلام من العدل والمساواة إضافة إلى مبادئه السمحة الأخرى.

انتهى كلام السيد الرئيس.

**هذا هو الأقصى يُهوّد جـهرَتنا ولـبؤسـه تتحدث الأخبـار**

**المال مقتسم والعِرض مُنتـهَك والقدْر محتقر والدم طوفان**

**أين الملايين من أموال أمتنـا فمـا لـها في مجال الفعل برهان**

**هل عندكم نبأ مما يعد لكـم أم خـدّر القـوم لعّـابٌ و فتّان**

**ذل وضعف وتمثيل و ملحمـة ما ذاقها في ميادين الدهر إنسان**

**الخمر تُشرب و الأوتار صاخبـة وللميوعة فينا القدر و الشـان**

**أما لنا في كتاب الله من عظـة فقد دعانا لنصر الحـق قرآن**

**أما لنا في طلوع الفجر من أمل أمـا تبدد عنـا الشـك و الران**

**يا أمتي مزقي الأغلال وانتفضي فالمجـد لا يمتطيه اليوم وسنان**

**عودي إلى الله فالأبواب مشرعة وعـزة الله لـلأواب عنـوان**

**واستبسلي فشعاع الفجر منتشر وإن تجاهل نور الفجـر عميان**

أيها الأخوة الكرام: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ الْخَثْعَمِيَّةِ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**(( بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ، وَاخْتَالَ، وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ، وَاعْتَدَى، وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا، وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبِلَى، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ عَتَا، وَطَغَى وَنَسِيَ الْمُبْتَدَا وَالْمُنْتَهَى، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ طَمَعٌ يَقُودُهُ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ هَوًى يُضِلُّهُ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ رَغَبٌ يُذِلُّهُ ))**

[ الترمذي ]

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين، استغفروا الله.

* * *

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الأخوة الكرام: في الخطبة الأولى انطلقت من مقولة أؤمن بها، أن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، الحقائق المرة ينبغي أن نواجهها لا أن نقفز عليها.

أيها الأخوة الكرام: إلى الموضوع العلمي، ثمة شيء لا يصدق، إن متراً مكعباً من التربة التي نستخدمها للزراعة فيه ما يزيد على مائتي ألف من الديدان العنكبية، وعلى مئة ألف من الحشرات فقط في متر مكعب، وعلى ثلاثمائة من ديدان التربة العادية، وعلى آلاف الملايين من الجراثيم

والكائنات المتناهية في الدقة، وإن غراماً واحداً من هذه التربة يحتوي على عدة مليارات من البكتريا، مخلوقات متناهية في الدقة على شكل عصيات، على شكل كريات، على شكل لوالب بعضها يحتاج إلى الأكسجين، وبعضها لا يحتاج، بعضها عارٍ، وبعضها له أهداب تمكنه من الحركة، إن هذا المصنع العجيب ذو حركة دائمة يقوم بمهمات هي من أكثر المهمات غموضاً واستغلاقاً حتى اليوم.

هذه الكائنات ما وظيفتها ؟ يعرف العلماء بعض الوظائف، أما وظائفها بالضبط فما تزال سراً حتى الآن، هذا المصنع ذو حركة دائمة يقوم بمهمات من أكثر المهمات أهمية ونفعاً للإنسان.

الآن دقق، لو أن الجنس البشري كله أبيد عن آخره لبقيت الحياة مستمرة، أما هذه الكائنات لو أُبيدت لانتهت الحياة من سطح الأرض كله، فربما كان وجود هذه الكائنات أخطر من وجود الإنسان، كل شيء نأكله على نحو مباشر، أو غير مباشر إنما أصله من النبات الأخضر، تتساقط الأوراق فتأتي الرياح، وتوزع هذه الأوراق المتساقطة على أنحاء التربة كلها، وتأتي مليارات الكائنات المجهرية فتلتهمها، فإذا التهمتها تصبح غذاءً صالحاً لكائنات أكبر منها، هي وحيدات الخلية، فإذا التهمتها تصبح غذاءً صالحاً لكائنات أرقى منها هي البكتريا، يتم هذا على ثلاث مراحل وهذه العمليات الحيوية تحتاج إلى الهواء، فمن أين يأتي الهواء داخل التربة ؟

وظيفة الديدان أن تفتح أنفاقاً في التربة، فالديدان والقوارض وكل الحيوانات التي تعيش في باطن التربة مهمتها فتح هذه الأنفاق.

أيها الأخوة: هذه الديدان تلتهم التراب، وتفرز السماد، ولا يعلم إلا الله كم من الأطنان تنتجها الديدان في الهكتار الواحد، وكم من أطنان الأسمدة تنتجها الديدان في الكيلو متر المربع الواحد، إنه كون عظيم، وخالق عظيم، وشرع حكيم، فأين نذهب ؟ ما الذي يصرفنا عن الله سبحانه وتعالى، وعن تطبيق أمره !

هذه بعض الحقائق المذهلة في متر مكعب من التربة، قال تعالى:

**( وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً )**

[ سورة الإسراء: الآية ٨٥ ]

**( وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ )**

[ سورة البقرة: الآية ٢٥٥ ]

في الغرام الواحد عدة مليارات من البكتريا، ما الذي يجري تحت التراب لا يعلمه إلا الله، إنها معامل، كائنات، عمليات كيماوية معقدة، معادلات، ونحن لا ندري، ليس لنا إلا أن نقطف الثمار، ونأكلها، وأن نجني الخضراوات، ونأكلها، وأن نحسب المحاصيل، ونأكلها، وعلى الله الباقي، قال تعالى:

**( وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا )**

[ سورة إبراهيم: الآية ٣٤ ]

خلق الله الأرض وما فيها، وما فوقها، وما تحتها، وما عليها من أجل أن نعرفه، فإذا عرفناه فقد حققنا الهدف من خلقنا، وإن لم نعرفه فيا حسرة علينا، قال سبحانه:

**( يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ )**

[ سورة يس: الآية ٣٠ ]

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٦٧) : خ١ - صلة الرحم ، خ٢ - الجاليات العربية وصلة الأرحام.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٤-١٠-٢٢

## بسم الله الرحمن الرحيم

**الخطبة الأولى:**

أما بعد، فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، فهي وسيلتكم إلى ربكم في هذه الدنيا، وفي الأخرى . نحن في أوائل رمضان... وفي الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ ))**

[رواه البخاري ومسلم]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ، وَذَلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ ))**

[الترمذي، ابن ماجه]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ))**

[رواه البخاري ومسلم]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ))**

[رواه البخاري ومسلم]

أمّة القرآن، هذا شهر الصيام، أحد أركان الإسلام، فضله الله على شهور العام، وأفاض فيه على المسلمين الخيرات والبركات، وضاعف لهم فيه الحسنات، وتجاوز فيه عن الذنوب والسيئات، أقال فيه العثرات، فهو شاهد للمحسنين، وشاهد على المعرضين والمفسدين، وأنتم معشر المسلمين في أوله، وما أسرع انقضاء آخره، فأروا الله من أنفسكم خيراً بالتوبة من المحرمات، وبفعل الطاعات، فإن هذا الشهر من أسباب مكفرات الذنوب، والشفاء من العيوب، فرض الله جل جلاله عليكم صيامه، وسنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامه، وبشر على القيام بذلك أعظم البشائر، فاغتنموا هذا الشهر يا ذوي الألباب والبصائر.

وموضوعات رمضان الكبرى: التقوى، وهي علة الصيام، والقرآن حيث أنزل في رمضان، وصلة الأرحام أفضل أوقاتها في رمضان، ثم ليلة القدر، والعتق من النار، وقد تحدثت في خطبتين سابقتين في هذا المسجد عن التقوى، وأنها علة الصيام، وعن القرآن الذي أنزل في رمضان، وها نحن أولاء نتحدث عن صلة الأرحام.

## أهمية صلة الرحم من العبادات التعاملية

إنّ رمضان شهرُ البرّ والصلةِ، وشهر التعاطفِ والمرحمةِ، فالقلوب تلين لذكر الله، والنفوسُ تستجيبُ لداعي الله، فلا ترى من جرّاء ذلك إلا أعمالاً زاكيات، وقرباً من ربّ الأرض والسماوات. ذلك لأن الإسلامَ يهدِف إلى بناءِ مجتمعٍ متراحمٍ متعاطِف، تسودُه المحبّةُ والإخاء، ويهيمِن عليه حبّ الخيرِ والعَطاء، والأسرةُ وحْدةُ المجتمع، تسعَد بتقوى الله ورعايةِ الرّحِم، لذلك اهتمّ الإسلامُ بتوثيق عُراها، وتثبيتِ بُنيانها، فجاء الأمر برعايةِ حقها بعدَ توحيد الله وبرّ الوالدين، قال جلّ وعلا:

**( وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى )**

[النساء: ٣٦]

وقُرِنَت مع إفرادِ الله بالعبادةِ والصّلاةِ والزّكاة فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ))**

[ متفق عليه ]

وقد أُمِرَت الأمم قبلنا بصِلة أرحامِها، قال سبحانه:

**( وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى )**

[ البقرة: ٨٣]

ودَعا إلى صِلتها نبيُنا محمّدٌ (ص) في مَطلع نُبوّته، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ:

**(( كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ ؟ قَالَ: أَنَا نَبِيٌّ، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي اللَّهُ، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ...))**

[ رواه مسلم ]

وسأل هِرقل أبا سفيانِ عن النبيّ ما يقول لكم ؟ قال: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ:

**(( سَأَلْتُكَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ ))**

[رواه البخاري ومسلم]

وأمَر بها عليه الصلاة والسلام أوّلَ مقدمِه إلى المدينة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ، وَقِيلَ: قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، ثَلَاثًا، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ:

**(( يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ ))**

[ رواه الترمذيّ وابن ماجه واللفظ له]

وهي وصيّة النبيّ (ص)، قال أبو ذر:

**(( أوصاني خليلي بصِلة الرّحم وإن أدبرَت ))**

[ رواه الطبراني ]

فصِلةُ ذوي القربَى أمارةٌ على الإيمان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((... وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ...))**

[ متفق عليه ]

صلةُ الحرم عبادةٌ جليلة مِن أخصّ العبادات، يقول عمرو بن دينار: **"ما مِن خَطْوةٍ بعد الفريضةِ أعظمُ أجرًا من خَطوةٍ إلى ذي الرّحم ".**

ثوابُها معجّل في الدنيا، ونعيمٌ مدّخرَ في الآخرة، قال (ص):

**(( ليس شيء أُطِيعَ اللهُ فيه أعْجَل ثوابًا من صِلةِ الرحم ))**

[ رواه البيهقيّ ]

والقائمُ بحقوق ذوي القربَى موعودٌ بالجنّة، يقول عليه الصلاة والسلام عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ:

**((... وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ، ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ، رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى، وَمُسْلِمٍ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ ))**

[رواه مسلم]

أمَرَ الله بالرّأفة بالأرحام كما نرأف بالمِسكين، قال عزّ وجلّ:

**( وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ )**

[الإسراء: ٢٦]

وحقُّهم في البذل والعطاء مقدّمٌ على اليتامَى والمساكين، قال سبحانَه:

**( يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ )**

[البقرة: ٢١٥]

وللسخاءِ عليهم ثوابٌ مضاعفٌ من ربِّ العالمين، عَنْ سَلْمَانَ بْن عَامِرٍ الضَّبِّيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ ))**

[ النسائي وابن ماجه ]

وأوّلُ مَن يُعطَى مِن الصدقة هم الأقربون مِن ذوي المَسكنَة، عَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

**(( كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا، وَكَانَ أَحَبّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمّا نَزَلَتْ: ( لَنْ تَنَالُوا الْبِرّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ ) قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ( لَنْ تَنَالُوا الْبِرّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ )، وَإِنّ أَحَبّ أَمْوَالِي إِلَيّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ شِئْتَ، فَقَالَ: بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا، وَأَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ، قَالَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ، وَبَنِي عَمِّهِ ))**

[ متفق عليه ]

فالباذلُ لهم سخيُّ النّفس، كريم الشّيَم، يقول الشعبيّ رحمه الله: **" ما ماتَ ذو قرابةٍ لي وعليه دينٌ إلاّ وقضيتُ عنه دينه ".**

## ماذا تعني كلمة الأرحام ؟

الأول: رحم الدين، وهي رحم عامة تشمل جميع المسلمين، وتتفاوت صلتهم حسب قربهم وبعدهم من الدين، وكذلك حسب قربهم وبعدهم المكاني.

ويدل على ذلك قوله تعالى:

( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ )

[الحجرات: ١٠]

فأثبت الله الأخوّةَ الإيمانية لجميع المسلمين.

وقوله:

( فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ )

[محمد]

الثاني: رحم القرابة، القريبة والبعيدة، من جهتي الأبوين.

ولكل من هذين النوعين حقوق ونوع صلة.

الروابطُ تزداد وُثوقًا بالرّحم، وقريبُك لا يَمَلّكَ على القرب، ولا ينسَاك في البُعد، عِزّهُ عزّ لك، وذُلّه ذُلّ لك.

قال القرطبي رحمه الله: " اتفقت الملة على أن صلة الرحم واجبة، وأن قطيعتها محرمة. عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا:

(( إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ ))

[أحمد]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَدْفَعُ عَنْ مِيتَةِ السُّوءِ ))

[الترمذي]

## ما معنى صلة الرحم ؟

الرحم العامة رحم الدِّين، ويجب صلتها بملازمة الإيمان، والمحبة للمؤمنين، ونصرتهم، والنصيحة لهم، وترك أذيتهم، والعدل بينهم، والإنصاف في معاملتهم، والقيام بحقوقهم الواجبة، كتمريض المرضى، ومواساة الفقراء، من دون أن يمن عليهم، ونصرة المظلومين، وحقوق الموتى، من غسلهم، والصلاة عليهم، ودفنهم، وغير ذلك من الحقوق المترتبة لأهل الإيمان .

الرحم الخاصة رحم القرابة، وتكون صلتها بزيارتهم، وتفقد أحوالهم، والسؤال عنهم، والإهداء إليهم، والتصدق على فقيرهم، والتلطف مع وجيههم وغنيّهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتكون الصلة باستضافتهم، وحسن استقبالهم، وإعزازهم، ومشاركتهم في أفراحهم، ومواساتهم في

أتراحِهِم.

وتكون الصلة أيضاً بالدعاء للأرحام، وسلامة الصدر لهم، والحرص على نصحهم، ودعوتهم للخير، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإصلاح ذات البين إذا فسدت وتكون الصلة أيضاً ببشاشةٍ عند اللّقاء، ولينٍ في المُعاملة، إلى طيبٍ في القول، وطلاقةٍ في الوجه، وزيارات وصِلات، وإحسانٌ إلى المحتاج، وبذلٌ للمعروف، ونصحُهم، والنّصحُ لهم، ومساندةُ مكروبهم، وعيادةُ مريضهم، الصفحُ عن عثراتهم، وترك مُضارتهم، والمعنى الجامِع لذلك كلّه: إيصالُ ما أمكَن من الخير، ودفعُ ما أمكنَ منَ الشرّ.

ثم إن الأقارب يختلفون في أحوالهم، وطباعهم، ومنازلهم، فمنهم من يرضى بالقليل، فتكفيه الزيارة السنوية، والمكالمة الهاتفية، ومنهم من يرضى بطلاقة الوجه، والصلة بالقول، ومنهم من يعفو عن حقه كاملاً، ويلتمس المعاذير لأرحامه، ومنهم من لا يرضى إلا بالزيارة المستمرة، وبالاهتمام الدائم، فمعاملتهم بهذا المقتضى تعين على حسن الصلة بهم، واستيفاء مودتهم.

وبشكل مختصر تبدأ صلة الرحم بنوع من الاتصال الهاتفي أو البريدي، ثم الزيارة، ثم تفقد الأحوال المعيشية والاجتماعية، ثم المساعدة بألطف أسلوب، ثم الأخذ بيد القريب، وأهله إلى الله، وحملهم على طاعته، والتقرب إليه، وهذا تاجٌ تتوّج به هذه الصلة، وعندئذ تكون هذه الصلة حققت هدفها الأكبر.

أيها الأخ الكريم:

حتى لو كان الأقارب من النوع المتعب الذي يقابل الإحسان بالإساءة، فلا يجوز أن تقاطعهم، لأنك تتعامل مع الله تعالى طاعة لأمره، والتزاما بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى ذلك يجب على المسلم أن يسلك كل السبل ليصل أرحامه، ويحسن إلى أقاربه وجيرانه.

إنّ ذوي الرّحِم غيرُ معصومين، يتعرّضون للزّلل، ويقَعون في الخَلل، وتصدُر منهم الهَفوات، ويقَعون في خطيئات كبيرات، فإن بَدَر منهم شيءٌ من ذلك فالزَم جانبَ العفوِ معهم، فإنّ العفوَ من شِيَم المحسنين، وما زادَ الله عبدًا بعفو إلاّ عِزّا، وقابِل إساءَتهم بالإحسان، واقبل عُذرَهم إذا اعتذروا، ولك في النبي الكريم يوسف القدوة والأسوة، فقد فعل إخوةُ يوسفَ مع يوسفَ ما فعلوا، وعندما اعتذروا قبل عذرهم وصفَح عنهم الصفحَ الجميل، ولم يوبّخهم، بل دعا لهم وسأل الله المغفرةَ لهم،

**( قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ )**

[يوسف]

فغُضّ عن الهفواتِ، واعفُ عن الزّلاّت، وأقِل العثرات، تجْن الودّ والإخاء، واللينَ والصفاء، وتتحققُ فيك الشهامةُ والوفاء، وداوم على صِلة الرّحم، ولو قطعوا، وبادِر بالمغفرة، وإن أخطؤوا، وأحسِن إليهم وإن أساؤوا، ودَع عنك محاسبة الأقربين، ولا تجعَل عِتابَك لهم سبباً لبعدهم عنك، وكُن جوادَ النّفس كريمَ العطاء، وجانبِ الشحّ، فإنّه من أسباب القطيعة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

**(( إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا ))**

[ أبو داود، أحمد ]

قيل لأحدهم: ما حقّ الرّحم ؟ قال: **" تُستَقبَل إذا أقبلت، وتُتْبَع إذا أدبَرت ".**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ:

**(( يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنْ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ ))**

[رواه مسلم]

أما إذا كانت الرحم فاجرة أو فاسقة، فتكون بالعظة والتذكير، وبألطف تعبير، وبذل الجهد الكبير، فإذا أعيتك الحيلة في هدايتهم كأن ترى منهم عناداً، أو استكباراً، أو أن تخاف على نفسك أن تتردى معهم، وتهوي في حضيضهم فابتعد عنهم، واهجرهم الهجر الجميل الذي لا أذى فيه ولا تحقير، وردد هاتين القاعدتين ؛ **" دع خيراً عليه الشر يربو "، و " درء المفاسد مقدم على جلب المنافع"**، وأكثر من الدعاء لهم بالهداية، وأعد الكَرة بعد الكَرة، والمرة تلو المرة.

وإكرامُ ذوي القراباتِ مأمور به، على ألاّ يكونَ في التّقديم بخسٌ لأحدٍ أو هضمٌ لآخرين، قال سبحانه:

**( وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى )**

[الأنعام: ١٥٢]

## ثمار صلة الرحم:

صلةُ الرّحم تدفع بإذن الله نوائبَ الدّهر، وترفع بأمر الله عن المرء البَلايا، قالَ جبريل للنبي (ص):

**((( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ )، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ:**

**زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ))**

[رواه البخاري ومسلم عن عائشة]

لقد خلق الله الرحمَ، وشقّقَ لها اسمًا من اسمِه، ووعَد ربُّنا جلّ وعلا بوصلِ مَن وصلَها، ومَن وصلَه الرحيمُ، وصلَه كلُّ خير، ولم يقطَعه أحد، ومن بَتَره الجبّار لم يُعلِه بشرٌ، وعاشَ في كَمَد،

**( وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ )**

[الحج: ١٨]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ، قَالَ**

**رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ( فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ) ))**

[ متفق عليه ]

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ ))**

[مسلم]

صلةِ الرّحم ؛ محبّةٌ للأهل، وبَسطُ الرّزق، وبركةُ العُمر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي أَثَرِهِ ))**

[ رواه أحمد ]

وفي صحيح البخاريّ ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ))**

[متفق عليه]

صلةُ الرّحم أمارةٌ على كَرَم النّفس، وسَعَةِ الأفُق، وطيبِ المنبَتِ، وحُسن الوَفاء، ولهذا قيل: مَن لم يَصْلُحْ لأهلِه لم يَصْلُحْ لك، ومَن لم يذُبّ عنهم لم يذبّ عنك، يُقْدِم عليها أولو التّذكرةِ وأصحابِ البصيرة.

وصلة الرحم مدعاة لرفعه الواصل، وسبب للذكر الجميل، وموجبة لشيوع المحبة، وعزة

المتواصلين.

صلة الرحم تقوَي المودّة، وتزيدُ المحبّة، وتتوثّق عُرى القرابةِ، وتزول العداوةُ والشّحناء، فيها التعارفُ والتواصلُ والشعور بالسّعادة .

## واقع معظم المقصرين:

كثير من الناس مضيعون لهذا الحق، مفرطون فيه، فمن الناس من لا يعرف قرابته لا بصلة ولا بمال، ولا بجاه ولا بحال، ولا بخلق ولا بود، تمضي الشهور وربما الأعوام ولا يقوم بزيارتهم، ولا يتودد إليهم لا بصلة ولا بهدية، ولا يدفع عنهم مضرة ولا أذية، بل ربما أساء إليهم، وأغلظ القول لهم.

ومن الناس من لا يشارك أقاربه في أفراحهم، ولا يواسيهم في أتراحهم، ولا يتصدق على فقرائهم، بل تجده يقدم عليهم الأباعد في الصلات والهبات.

ومن الناس من يصل أقاربه إن وصلوه، ويقطعهم إن قطعوه ، وهذا في الحقيقة ليس بواصل، وإنما هو مكافئ للمعروف بمثله، وهو حاصل للقريب وغيره، والواصل حقيقة هو الذي يتقي الله في أقاربه، فيصلهم لله سواء وصلوه أو قطعوه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنْ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا ))**

[البخاري]

ومن مظاهر القطيعة: أن تجد بعض الناس يحرص على دعوة الأباعد، ويغفل أو يتغافل عن دعوة الأقارب، وهذا مالا ينبغي ؛ فالأقربون أولى بالمعروف قال الله عز وجل:

**( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ )**

[ الشعراء:٢١٤]

## نتائج قطيعة الرحم:

إنّ معاداة الأقاربِ شرّ وبلاء، الرّابح فيها خاسِر، والمنتصِر مهزوم، وقطيعةُ الرّحم مِن كبائر الذّنوب، وقبائح العيوب متوَعّدٌ صاحبُها باللّعنةِ والثبور، قال تعالى:

**( فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ )**

[محمد: ٢٢ - ٢٣]

فالتدابرُ بين ذوي القربَى مؤذِنٌ بزوالِ النِّعمة وسوءِ العاقبةِ وتعجيلِ العقوبة، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**(( لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ ))**

[ رواه البخاري ومسلم]

فعقوبتُها معجّلة في الدّنيا قبلَ الآخرة، فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ - أي الظلم - وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ ))**

[ رواه الترمذي ]

قطيعة الرحم سببٌ للذِلّة والصّغار، والضّعفِ والتفرّق، مجلبةٌ للهمّ والغمّ، فقاطعُ الرّحم لا يثبُت على مؤاخاة، ولا يُرجَى منه وفاء، ولا صِدقٌ في الإخاء، يشعر بقطيعةِ الله له، ملاحَقٌ بنظراتِ الاحتِقار، مهما تلقّى من مظاهِر التبجيل، لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستوحِشون مِن الجلوس مع قاطِع الرّحم.

## الخطوة العملية:

ومن كان بينه وبين رحمٍ له عداوة فليبادِر بالصّلة، وليعفُ وليصفح،

**( فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ )**

[الشورى: ٤٠]

وإنّ لحُسن الخُلق تأثيرًا في الصّلة، والزَم جانبَ الأدَب مع ذوي القربَى، فإنّ مَن حَفِظَ لسانَه أراح نفسَه، وللهديّةِ أثرٌ في اجتلابِ المحبّة، وإثباتِ المودّة وإذهابِ الضغائن، وتأليفِ القلوب.

والرسول صلى الله عليه وسلم يحذرنا من الخصام والخلاف والقطيعة فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، يَلْتَقِيَانِ، فَيَصُدُّ هَذَا، وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ ))**

[البخاري]

ويقول ربنا سبحانه وتعالى:

**( وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ )**

[فصلت]

يحذرنا صلى الله عليه وسلم من مصير قاطع الرحم، فعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ ))**

قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ.

[متفق عليه]

واحذروا أيها المؤمنون من قطيعة الرحم، فإنها سبب للعنة الله وعقابه، يقول الله عز وجل:

**( فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ )**

[محمد]

ويقول تعالى:

**( وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)**

[الرعد]

## من هدي النبي ص في صلة الرحم:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرق الناس، وأعفهم، وأوصلهم، وأحلمهم ؛ ولذلك ذكر الله خُلُقَه ومناقبه في القرآن، فقال:

**( وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ )**

[القلم:٤]

وقال له:

**( فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ )**

[آل عمران:١٥٩]

فقد بلغ في صلة الرحم مبلغاً عظيماً، ضرب به المثل على مرّ التاريخ، فما سمعت الدنيا بأوصل منه صلى الله عليه وسلم، قام قرابته ـ أبناء عمه وأقاربه ـ فأخرجوه من مكة، وطاردوه وشتموه وآذوه، حاربوه في المعارك، ونازلوه في الميدان، وقاموا بحرب عسكرية وإعلامية واقتصادية ضده، فلما انتصر ماذا فعل ؟

دخل مكة منتصراً، ووقفت له الأعلام مكبرة، وطنت بذكر نصره الجبال والوهاد، فلما انتصر، وقف عند حلق باب الكعبة صلى الله عليه وسلم منحنياً، وهو يقول للقرابة وللعمومة:

**((ما ترون أني فاعل بكم ؟ فيتصورون الجزاء المر، والقتل الحار، والموت الأحمر، فيقولون وهم يتباكون: أخ كريم، وابن أخ كريم، فتدمع عيناه، ويقول: اذهبوا فأنتم الطلقاء ))**

[السيرة النبوية]

كأنه يقول: عفا الله عنكم وسامحكم.

ويأتي ابن عمه أبو سفيان بن الحارث، فيسمع بالانتصار، وقد آذى الرسول عليه الصلاة والسلام، وشتمه وقاتله، فيأخذ هذا الرجل أطفاله، ويخرج من مكة، فيلقاه علي بن أبي طالب، ويقول: يا أبا سفيان ! إلى أين تذهب ؟ قال: أذهب بأطفالي إلى الصحراء فأموت جوعاً وعرياً! والله إن ظفر بي محمد ليقطعني بالسيف إرباً إرباً ! فيقول علي ـ وهو يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أخطأت يا أبا سفيان ! إن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصل الناس، وأبر الناس، وأكرم الناس، فعد إليه، وسلم عليه بالنبوة، وقل له كما قال إخوة يوسف ليوسف:

( تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنّا لَخَاطِئِينَ )

[يوسف:٩١]

فيأتي بأطفاله، ويقف على رأس المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويقول: يا رسول الله! السلام عليك ورحمة الله وبركاته:

( تَا للّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنّا لَخَاطِئِينَ )

فيبكي عليه الصلاة والسلام، وينسى تلك الأيام، وتلك الأعمال، وتلك الصحف السوداء، ويقول:

( لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ )

ويقول أبو سفيان بن حرب: يا بن أخي، ما أوصلك ؟ ما أرحمك ؟ ما أحكمك ؟ ما أعقلك ؟ فهل من متسم بأخلاقه ؟ وهل من مقتد بأفعاله ؟ فإنه الأسوةُ الحقة، وإن اتباعه نجاة من العار والدمار والنار.

تأتيه أخته من الرضاعة صلى الله عليه وسلم، وقد ابتعدت عنه عقوداً عديدة، فتأتيه وهو لا يعرفها، وهي لا تعرفه، وتسمع وهي في بادية بني سعد في الطائف بانتصاره، فتأتي لتسلم على أخيها من الرضاع، وهو تحت سدرة عليه الصلاة والسلام، والناس بسيوفهم بين يديه، وهو يوزع الغنائم بين العرب، فتستأذن، فيقول لها الصحابة: من أنت ؟ فتقول: أنا أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، أنا الشيماء بنت الحارث أرضعتني أنا وإياه حليمة السعدية، فيخبرون الرسول عليه الصلاة والسلام فيتذكر القربى وصلة الرحم، ويقوم لها ليلقاها في الطريق، ويرحب بها ترحيب الأخ لأخته بعد طول غياب، وبعد الوحشة والغربة، ويأتي بها ويجلسها مكانه، ويظللها من الشمس.

تصوروا رسول البشرية، ومعلم الإنسانية، ومزعزع كيان الوثنية، يظلل هذه العجوز أخته من الرضاع من الشمس، ويترك الناس وشئون الناس، ويقبل عليها ويسألها، ويقول لها: يا أختاه كيف حالكم ؟: يا أختاه اختاري الحياة عندي، أو تريدين أهلك ؟ فتقول: أريد أهلي، فيمتعها بالمال ويعطيها مئة ناقة، ليعلمّ الناس صلة الأرحام .

يا سيدي، يا رسول الله، يا من كانت الرحمة مهجتك، والعدل شريعتك، والحب فطرتك، والسمو حرفتك، ومشكلات الناس عبادتك !!!

يا سيدي يا رسول الله، نقل عنك في أحاديثك الصحيحة، أنك تقلق أشد القلق، يوم القيامة على أمتك، فتقول أمتي، أمتي، فيقال لك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك ؟

يا سيدي يا رسول الله، الذي أحدثوه بعدك أنهم قطعوا عماتهم وخالاتهم، وبناتهم وأخواتهم ؟ وحرموهن من الميراث الذي فرضه الله لهن، وقطعوهن من الصلة والزيارة ؛ حتى سمعنا ورأينا من الأمهات الفقيرات من تضطر الواحدة منهن أن تقيم دعوى على ابنها المترف من أجل أن ينفق عليها، هان أمر الله علينا من بعدك فهنا على الله .

## أسباب قطيعة الرحم:

وإذا أنعمنا النظر في أسباب قطيعة الأرحام ؛ وجدنا أن من تلك الأسباب:

١ـ الجهل بعواقب القطيعة، والجهل بفضائل الصلة، والتفكر في الآثار المترتبة على الصلة ؛ فإن معرفة ثمرات الأشياء، واستحضار حسن عواقبها من أكبر الدواعي إلى فعلها، وتمثلها، والسعي إليها، وكذلك النظر في عواقب القطيعة، وتأمل ما تجلبه من هم، وغم، وحسرة، وندامة، ونحو ذلك، فهذا مما يعين على اجتنابها، والبعد عنها.

٢ـ ضعف التقوى، والكبر، فبعض الناس إذا نال منصباً رفيعاً، أو حاز مكانة عالية، أو كان تاجراً، أو مشهوراً ؛ تكبر على أقاربه، وأنف من زيارتهم والتودد إليهم.

ومما يحبب الإنسان لقرابته، ويدنيه منهم تواضعه ولين جانبه:

**من كان يحلم أن يسود عشيرة فعليه بالتقوى و لين الجانب**
**و يغض طرفاً عن مساوي من أسا منهم ويحلم عند جهل الصاحب**

٣ـ الانقطاع الطويل الذي يقود إلى الوحشة، واعتياد القطيعة.

٤ـ العتاب الشديد، فبعض الناس إذا زاره أحد من أقاربه ؛ أمطر عليه وابلاً من التقريع والعتاب على تقصيره في حقه ، وإبطائه في المجيء إليه ؛ ومن هنا تحصل النفرة من ذلك الشخص، والهيبة من المجيء إليه.

وعلاج ذلك تحمل عتابهم، وحمله على أحسن المحامل، فهذا أدب الفضلاء، ودأب النبلاء ممن تمت مروءتهم، وكملت أخلاقهم، وتناهى سؤددهم، ممن وسعوا الناس بحلمهم، وحسن تربيتهم، وسعة أفقهم ؛ فإذا عاتبهم أحد من الأقارب، وأغلظ عليهم، لتقصيرهم في حقه ؛ لم يثرّبوا عليهم، ولم يجاروه في عتابه بل يتلطفون به، ويحملون عتابه على المحمل الحسن، فيرون أن هذا المعاتب محب لهم، حريص على مجيئهم ويشعرونه بذلك، ويشكرونه، ويعتذرون إليه، حتى تخف حِدَّتُه، وتهدأ ثورته، فبعض الناس يقدر ويحب ؛ ولكنه لا يستطيع التعبير عن ذلك إلا بكثرة اللوم والعتاب، والكرام يحسنون التعامل مع هؤلاء، ولسان حالهم يقول: لو أخطأت في حسن أسلوبك ما أخطأت في حسن نيتك.

٥ـ التكلف الزائد، فهناك من الناس من إذا زاره أقاربه تكلّف لهم أكثر من اللازم، وخسر الأموال الطائلة، وقد يكون ـ مع ذلك ـ قليل ذات اليد، ومن هنا تجد أقاربه يقصرون عن المجيء إليه، خوفاً من إيقاعه في الحرج.

٦ـ وتجد من إذا زاره أقاربه لم يهتم بهم، ولم يصغ لحديثهم، ولا يفرح بمقدمهم، ولا يستقبلهم إلا بكل تثاقل وبرودة، مما يقلل رغبتهم في زيارته.

٧ـ الشح والبخل، فمن الناس من إذا رزقه الله مالاً أو جاهاً تهرب من أقاربه، حتى لا يرهقونه بطلباتهم المتنوعة.

وعلاج ذلك بذل المستطاع لهم من الخدمة بالنفس، أو الجاه، أو المال، وأن يدع المنة عليهم، والتعاون على حل مشكلاتهم المادية والاجتماعية والدينية، فإذا ما احتاج أحد من أفراد الأسرة مالاً لزواج، أو نازلة أو غير ذلك ؛ قاموا بدراسة حاله، ورفدوه بما يستحق، فهذا مما يولد المحبة بين الأقارب.

٨ ـ تأخير قسمة الميراث، فقد يكون بين الأقارب ميراث لم يقسم، إما تكاسلاً منهم، أو قلة وفاق فيما بينهم، وكلما تأخر قسم الميراث شاعت العداوة، وكثرت المشكلات، وزاد سوء الظن، وحلت القطيعة.

٩ـ الشراكة بين الأقارب، فكثيراً ما يشترك الإخوة أو غيرهم من الأقارب في مشروع أو شركة ما، دون أن يتفقوا على أسس ثابتة، ودون أن تقوم الشراكة على الوضوح والصراحة، بل تقوم على المجاملة، والحياء، وحسن الظن. فإذا زاد الإنتاج، واتسعت دائرة العمل ؛ دب الخلاف، وساد

البغي، ونـزغ الشيطان، وحدث سوء الظن خصوصاً إذا كانوا من قليلي التقوى والإيثار، أو كان بعضهم مستبداً برأيه، أو كان أحد الأطراف أكثر جدية من صاحبه، ومن هنا تسوء العلاقة، وتحل الفرقة، وربما وصلت بهم الحال، إلى الخصومات في المحاكم ؛ فيصبحون سبّة لغيرهم.

**( وَإِنّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلّا الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مّا هُمْ)**

[ص: ٢٤ ]

١٠ـ الاشتغال بالدنيا، والانشغال بها عن أداء واجباته تجاه أرحامه، لذلك وجب أن تكون لهم اجتماعات دورية شهرية أو نصف شهرية، أو نحو ذلك.

١١ـ والطلاق بين الأقارب إذا لم يكن بإحسان.

١٢ـ وبُعد المسافة، والتكاسل عن الزيارة.

١٣ـ وقد يكون التقارب في المساكن بين الأقارب مسبباً للقطيعة بسبب ما يكون من التزاحم على الحقوق، وبسبب ما يحدث بين الأولاد من مشكلات قد تنتقل إلى الوالدين

١٤ـ قلة التحمل، والصبر على الأقارب.

١٥ـ ونسيانهم في الولائم والمناسبات، فقد يفسر هذا النسيان بأنه تجاهل واحتقار، فيقود ذلك الظن إلى الصرم والهجر.

ومن الطرق المجدية أن يسجل أسماء أقاربه، وأرقام هواتفهم، ثم يحفظها عنده، حتى يستحضرهم جميعاً، ويتصل بهم إما مباشرة أو عبر الهاتف، أو غير ذلك.

## الإخلاص في صلة الرحم:

يراعي في صلة الأرحام أن تكون الصلة قربة لله، خالصة لوجهه الكريم، وأن تكون تعاوناً على البر والتقوى، ولا يقصد بها حمية الجاهلية.

أيها الإخوة الأكارم، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صل، وسلم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

إنّ الجاليات الإسلامية والعربية منتشرة في شتى بقاع الأرض، وبعض الجاليات في بعض البلاد الغربية القريبة والبعيدة تفوقت تفوقاً يلفت النظر، فبينما لا يزيد عدد الحاملين للدكتوراه، من السكان الأصليين على الثمانية بالألف نجد أن الذين يحملون الدكتوراه في الجاليات الإسلامية يزيد على ثلاثة وثلاثين في الألف، هؤلاء المتفقون علمياً تسلّموا مناصب رفيعة في بلاد المهجر في الطب والفلك والاقتصاد والذرة.

والآن، ما علاقة أفراد الجاليات الإسلامية بموضوع الخطبة اليوم ( صلة الأرحام ) ؟

الحقيقة أن أفراد الجاليات الإسلامية والعربية هؤلاء ينبغي أن يكونوا رسلاً لإسلامهم ولأوطانهم، وهم إذ ينقلون للغرب القريب والبعيد حقائق الإسلام ومبادئه وقيمه، دعوة، ويطبقونها منهجاً في حياتهم، يأخذ الغرب من الإسلام موقفاً غير هذا الموقف الذي يؤلمنا أشد الألم، وهم إذ ينقلون لأمتهم التي ترعرعوا في كنفها، ونبت لحمهم من خيراتها، وتلقوا العلم في جامعاتها، أفضل ما في الغرب من علم ونظام وعمل دؤوب، ولا ضير في ذلك، لأن ثقافة أية أمة هي ملك البشرية جمعاء، لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مر الأجيال، وهل يعقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع العسل الذي حصلته من أزهارنا ؟ فإن فعلت الجاليات الإسلامية والعربية ذلك تكون قد وصلت رحمها بطريقة معاصرة، ولا أدل على ذلك من أن كبار مفكري الغرب يعترفون بفضل الحضارة الإسلامية على العالم.

يقول غوته: إن دين الإسلام دين إخلاص، ودين اجتماع وأخلاق، ورعاية لبني الإنسان.

ويقول برناردشو: الإسلام هو الدين الذي نجد فيه حسنات الأديان كلها، ولا نجد في الأديان حسناته.

ويقول غوستاف لوبون: إن الأمم لم تعرف بحق فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم.

ويقول ولي عهد بريطانية: إن كثيراً من المزايا التي تفخر بها أوربة العصرية جاءت أصلاً من إسبانيا في أثناء الحكم الإسلامي.

ويقول ديورانت: إن محمداً ـ ص ـ كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي للناس، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانِه فيه أيّ مصلح آخر.

لذلك استضاف معرض فرانكفورت الدولي للكتاب الحضارة العربية والإسلامية لت

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٦٨) : خ١ - زلزال آسيا ، خ٢ - رسالة تعزية.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٥-٠١-٠٧

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام: في زحمة الأحداث وتسارع المتغيرات، وفي خضم تداعيات النوازل والمستجدات، وكثرة الأطروحات والتحليلات يلحظ المتأمل الغيور غياباً أو تغييباً للرؤية الشرعية، والنظر في فقه السنن الكونية، حتى حصل من جرّاء ذلك ضلال أفهام، وتشويش وحيرة، عند كثير من أهل الإسلام .

موضوع الخطبة اليوم: الماء نعمة، ونقمة، يريده الله أن يكون نعمة فيكون نعمة، ويريده الله أن يكون نقمة فيكون نقمة .

من النعم العظيمة التي من الله تعالى بها على الإنسان نعمة الماء العذب، فالماء العذب أفضل شراب، وأعظم صدقة، ورحمة الله لخلقه، وحيث وجد الماء وجدت الحياة .

قال تعالى:

**( وجعلنا من الماء كل شيء حي )**

إنّ الحياةَ على وجهِ الأرض ؛ حياةَ الإنسان، وحياةَ الحيوان، وحياةَ النباتِ، قوامُها الماءُ، فالماءُ هو الوسيطُ الوحيدُ الذي يحملُ الأملاحَ، والموادّ الغذائية منحلةً فيه إلى الكائنِ الحيّ، ولولا الماءُ لَمَا كانت حياةٌ على وجهِ الأرض.

لذلك يتفضل الله به علينا، فيهطل في كلّ ثانيةٍ مِن السماءِ إلى الأرضِ على مستوَى الكرةِ الأرضيةِ ستة عشر مليونَ طنٍّ مِن الماءِ.

ويشكل الماء سبعين بالمئة من مساحة اليابسة، ويشكل الماء سبعين بالمئة من وزن الإنسان، كما أن للماء دوراً كبيراً في سير التفاعلات الكيميائية داخل أجسام النباتات، والحيوانات، وكذلك الإنسان، وذلك من أجل الحصول على الطاقة .

وللماء دور في تغير سطح الأرض من القوام الصخري إلى القوام الترابي من خلال عمليات الحت.

و لقد ذكر الله تعالى الماء في القرآن الكريم منكراً " ماء " ثلاثاً وثلاثين مرة و ذكره معرفاً "الماء" ست عشرة مرة .

وذكر الله تعالى أن إنزاله الماء من السماء و إحياءه الأرض بعد موتها هو دليل و آية على وجود الله قال تعالى:

**( إنّ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللّيْلِ والنهار والفلك الّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السّمَاءِ مِن مّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثّ فِيهَا مِن كُلّ دَآبّةٍ وَتَصْرِيفِ الرّيَاحِ وَالسّحَابِ الْمُسَخّرِ بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لقوم يعقلون )**

{١٦٤} سورة البقرة

وينبغي أن يكون موقف المؤمن من الماء كما ورد في الحديث القدسي الصحيح:

حيث يقول اللهَ عز وجلّ:

**(( أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ؛ وَأَمّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ ))**

إنّ مِن آياتِ اللهِ الدالّةِ على عظمتِه هذه الملوحة التي نجدُها في البحار، حيث يقول العلماءُ: إنّ في كل لترٍ واحدٍ مِن ماءِ البحرِ سبعةً وعشرين غراماً مِن المِلح، وإنّ العالَمَ بأسْرِه يستهلكُ في السنةِ ما يزيدُ على خمسين مليونَ طنٍّ مِن مِلح البحرِ، وإنّ نسبة الملح في مياهِ البحرِ تعادلُ ثلاثةً ونصفًا بالمئة مِن مجموعِ مياهِ البحرِ، بل إنّ في الكيلو مترِ المكعَّب، ( وهو مكعبٌ ضلعُه كيلو متر ) من مياهِ البحرِ أربعةً وثلاثين مليون طنٍّ مِن الملح.

لو استُخرِجَ ملحُ البحارِ وجُفِّفَ، ووُضِعَ على اليابسة ـ على قارّاتها الخمس ـ ولم نغادرْ مكاناً إلا فَرَشْنَا عليه هذا الملحَ الذي استخْرَجْناهُ مِن مياهِ البحارِ، لبلغَ ارتفاعُ الملحِ المجفّفِ على سطحِ اليابسةِ كلِّها مئة وثلاثة وخمسين متراً.

ووصف الله الماء على أنه مبارك أي أنه كثير الخير، قال الله تعالى:

**( وَنَزّلْنَا مِنَ السّمَاءِ مَاءً مّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنّات وَحَبّ الْحَصِيدِ)**

{٩} سورة ق

وأمتن الله على المؤمنين أن أنزل عليهم الماء الذي فيه قوام حياتهم قال تعالى:

**( هُوَ الّذِي أَنزَلَ مِنَ السّمَاءِ مَاءً لّكُم مّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزّرْعَ وَالزّيْتُونَ وَالنّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِ الثّمَرَاتِ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ )**

11 سورة النح

و ذكر الله إحدى فوائد الماء الكبرى وهي التطهير قال تعالى:

**( وَيُنَزّلُ عَلَيْكُم مّن السّمَاءِ مَاءً لّيُطَهّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشّيْطَانِ)**

و أمرنا الله بالوضوء بالماء عند كل صلاة، والاغتسال بالماء عند كل جنابة .

قال تعالى:

**( يأَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصّلاةِ فاغسلوا وجوهكم وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُم وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فاطّهّرُوا )**

وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاقتصاد في استعمال الماء و عدم الإسراف فيه فقد مَرَّ بِسَعْدٍ رضي الله عنه وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ

**(( مَا هَذَا السَّرَفُ يا سعد فَقَالَ أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ قَالَ نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ ))**

ابن ماجة ٤١٩

عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بنهر ومعه قعب أي إناء فتوضأ وفضلت فضلة فردها في النهر وقال:

**(( يبلغه الله قوما ينفعهم به ))**

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن التصدق بسقي الماء أفضل الصدقة، فعن سعد رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال

**(( أي الصدقة أعجب إليك قال الماء ))**

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس شركاء في ثلاثة: الماء والكلأ والنار .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تلويثه، حيث نهى عن البول في الماء الراكد.

وقد نهى عن التعذيب بالحرمان من الماء.

وقد يكون تقتير الماء على الناس عقاباً لهم، قال تعالى:

**( وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا، لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا )**

وقال تعالى أيضاً:

**( وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ )**

وممّا يؤكدُ أنّ تقتيرَ الأمطارِ لا يمـكنُ أنْ يكونُ تقتيرَ عجزٍ كتقتير البشر، ولكنه تقتير تربية وتأديبٌ، فقد ورد عن وكالةُ الفضاءِ الأوروبيةُ أنّ مرصدَ الفضاءِ الأوربيِّ العاملَ بالأشعةِ تحتَ الحمراءِ رصدَ غيمةً مِن البخارِ في الفضاءِ الخارجيِّ، يمكنُ لها أنْ تملأَ محيطاتِ الأرض ستينَ مرةً في اليومِ الواحدِ بالمياهِ العذبةِ وهذا مصداقُ قولِ اللهِ تعالـــى:

**( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ )**

وأما معنى التقتيرِ التربويّ أو التأديبيّ ففي قولِه سبحانه:

**( وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ)**

ومن خصائص الماء التي تدل على علم الله ورحمته بالإنسان:

١ ـ إن البناء الذري الفريد للماء يجعل جزيئاته مترابطة بعضها ببعض في شبكة فراغية متماسكة، و لولا هذا لاستحال جود الماء على شكل سائل وصلب على سطح الأرض و لاستحالت الحياة.

٢ ـ من المعلوم أن درجة غليان الماء مرتفعة و ذلك لقوة ترابط ذراته لذلك فهو يمتص قدرة حرارية كبيرة لكي يتبخر حيث أن كل غرام من الماء السائل يحتاج إلى خمسمئة وأربعين حريرة، ليتحول إلى بخار، وهذه الخاصية تعطي الماء دوراً فريداً في نقل القدرة من مكان لآخر، فالماء الذي يتبخر من المحيطات تسوقه الرياح مئات بل وبضع آلاف من الكيلومترات إلى أماكن باردة فعند تبرد البخار و تحببه و تساقطه على شكل قطرات مطر ينشر معه الطاقة التي أمتصها في أثناء تبخره فيساهم في رفع درجة الحرارة في تلك المناطق و تلطيف حرارة الجو والجدير بالذكر أنه يتبخر كل عام خمسمئة وعشرون ألف كيلو متر مكعب من الماء.

٣ ـ و هناك خاصة فريدة أخرى للماء تتمثل في أنه كأي عنصر يتمدد بالحرارة، وينكمش بالبرودة، لكنه في الدرجة أربعة فوق الصفر تنعكس هذه القاعدة المطردة في كل العناصر في الأرض، فيتمدد بالتبريد بدل أن ينكمش فتزداد كثافته في أثناء تجمده فيطفوا على سطح الماء، وقد لا يصدق الإنسان أن حياة الكائنات على سطح الأرض متوقفة على هذا الاستثناء من قانون الانكماش بالتبريد، ولولا هذا الاستثناء لتجمدت البحار، وانعدم التبخر، وتوقفت الأمطار، وييبس النبات، وهلك الحيوان، وانتهت حياة الإنسان .

٤ ـ الماء يرتفع بنفسه في الأوعية الشعرية في الأشجار و تعرف هذه الخاصة بالخاصة الشعرية فيحمل الماء من خلالها الغذاء إلى الخلايا النباتية حتى ارتفاعات عالية، كما أنها هي المسئولة عن تحريك الماء في المسامات و الفراغات و الأقنية و الشقوق الدقيقة في التربة والصخور نحو الأعلى مم يسهل على جذور النباتات الحصول على الماء في المناطق الجافة و الصحراوية.

٥ ـ يعد الماء من أقوى العناصر المذيبة، وهذه الخاصة أساسية في كون الماء المطهر الأول، والمذيب في الأرض .

هذا عن أن الماء نعمة، فماذا عن أن الماء نقمة:

أفاق العالم يوم الأحد الواقع في السادس والعشرين من الشهر الأخير من العام المنصرم على حدث لم يسبق أن وقع مثله منذ ثلاثمئة عام تقريباً، وهو زلزال آسيا، فالأضرار التي نتجت عنه تفوق حد الخيال، وهذا الزلزال يعد واحداً من أكبر التحولات في القشرة الأرضية، فهناك القاعدة الصخرية الصلبة للأرض التي ترتكز عليها القارات والمحيطات، هذه القاعدة الصخرية للأرض فيها صدوع قسمتها إلى إثني عشر لوحاً، قال تعـــالى:

**( والأرض ذات الصدع )**

فقد تصادم اللوح الصخري الذي ترتكز عليه قارة آسيا، مع اللوح الصخري الذي ترتكز عليه قارة أستراليا، وهذا التصادم أدى إلى تزحزح الألواح الصخرية التي هي القاعدة الصلبة للكرة الأرضية، فاختفت جزر، وظهرت جزر، وانشطرت جزر، تحركت جزيرة سومطرة، ومساحتها اكبر من مساحة سورية وهي أقرب النقاط إلى موقع الزلزال، وأكثرها تأثراً به، تحركت عن موقعها تجاه الجنوب بنحو ثلاثين كيلومتراً، وقصر اليوم واحد من مليون جزء من الثانية، واهتزت الأرض حول محورها، وقد قدرت قوة هذا الزلزال التفجيرية بمليون قنبلة ذرية، وريختر عالم الزلازل المعروف درج مقياسه تسع درجات، فكانت قوة هذا الزلزال بمقياس ريختر تسع درجات وثمانية أعشار الدرجة وهي فوق النهاية العظمى لمقياسه، أما الأمواج المد البحري الذي نتج عن هذا الزلزال، فقد سارت من المحيط الهادي إلى المحيط الهندي بسرعة تقترب من ألف كيلو متر في الساعة، وقد قطعت ألفاً وستمئة كيلومتر في ساعة ونيف وتناقصت سرعتها إلى سبعين كيلو متراً عند الشواطئ، وكأن هذا المد خرج من أعماق المحيط الهادي مستهدفاً شواطئ المحيط الهندي، لحكمة أرادها الله لا تخفى عن العقلاء، ولو أنه انطلق قريباً من اليابسة لهلك من بني البشر الملايين المملينة، وهذا من لطف الله جل جلاله، وقد بلغ ارتفاع أمواج هذا المد من عشرة أمتار إلى أربعين متراً بحيث أن هذه الأمواج قادرة على أن تقتلع صخرة تزن عشرين طناً وتحملها لمسافة طويلة، وهي قادرة على إغراق ناقلات النفط وهي من البواخر العملاقة، وتحطيم القطارات وسكك الحديد، وتحطيم السفن ونقلها وتجميعها في اليابسة، وبعضها استقرت على أسطحة المنازل، وأمواج هذا المد قادرة على اقتلاع الجسور، والإطاحة بالمنشآت، وتدمير المدن بأكملها، والجدير بالذكر أن سواحل هذه البلاد التي تضررت بهذا الزلزال من أجمل السواحل في العالم، فالطبيعة هناك ساحرة، والجو دافئ في الشتاء، وصالح للسباحة والتعري، وجميع المتع الحسية التي تحرمها التشريعات السماوية والأرضية متوافرة هناك، والمنشآت السياحية هناك من فئة العشر نجوم التي تليق بصفوة أغنياء العالم، وقد رأى نزلاء هذه المنشآت هذه النجوم العشر ظهراً في أثناء الزلزال .

قال تعالى:

**( حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ )**

ويتوقع أن يصل عدد القتلى من البشر الذين تكتشف جثثهم تباعاً إلى مئتي ألف جثة، وبعضهم يتوقع أن يصل العدد إلى ثلاثمئة ألف، بل إن هناك من يتوقع أن يصل العدد إلى خمسمئة ألف، عدا الذين يحتاجون إلى إسعاف أولي خلال أيام معدودة، وعدا خمسة الملايين مشرد الذين دمر الزلزال

مساكنهم، والذين لا يجدون الماء الصالح للشرب، ولا الغذاء، ولا الدواء، ولا المأوى . ويتوقع أن يموت مثل هذا العدد لا سمح الله ولا قدر عن طريق الأوبئة الناتجة عن تفسخ الجثث .

وقد قدرت الخسائر المادية الأولية بخمسين مليار دولار .

ولا يمكن أن تستعيد هذه البلاد الذي دمرها الزلزال نشاطها السياحي قبل عشر سنوات قادمة هذا الإله العظيم يعصى، ألا يخطب وده، ألا ترجى جنته، ألا تتقى ناره .

لكن الذي يلفت النظر في هذا الزلزال أنه لم يعثر حتى الآن أي بعد مضـي إثني عشر يوماً على بدء الزلزال، لم يعثر على جثة حيوان بري واحد على الشواطئ التي تضررت بالزلزال، وقد نقلت هذا الخبر إذاعة عرفت بالدقة العلمية، ويؤكد ذلك أن أهل قرية من قرى السواحل التي تضررت بالزلازل نجوا بأكملهم من الهلاك بسبب أنهم رأوا البهائم تنطلق مذعورة قبل وقوع الزلزال فقلدوها فنجو .

ما تعليل ذلك ؟ يقول علماء الأحياء: إن الله جل وعلا زود معظم البهائم بحاسة سادسة تشعرهم بالزلزال قبل وقوعه بوقت كاف للنجاة منه، هذا من الناحية الفيزيولوجية للحيوان، أما من الناحية الإيمانية فالحيوان غير مكلف كالإنسان، ولا علاقة له بالفساد في الأرض، فهو لا يقيم حياته على قتل الآخرين، ولا يبني غناه على إفقار الآخرين، ولا يبني عزه على إذلال الآخرين، والحيوانات القوية تأكل حتى تشبع، فإذا شبعت تسمح للآخرين أن يأكلوا، فهي لا تسعى لإفقار الآخرين، ولا لإضلالهم، ولا لإفسادهم، ولا لإذلالهم، ولا لإبادتهم، ففي بلاد قوية تمت الهجرة إليها ويتحدث أولو الأمر فيها كثيراً عن الحرية، فقد تم إبادة الملايين من سكانها الأصليين قبل مئتي عام، ولو كان للحيوانات هيئة أمم لما أكلت أممهم القوية حقوق أممهم الضعيفة، ولو كان للحيوانات مجلس أمن لما فرض الحصار الاقتصادي على بعض الشعوب المقهورة حتى يموت الناس من الجوع، إرضاء لمن يملك حق النقض في المجلس، والحيوانات لا تعرف التطهير العرقي، قتل كعقاص الغنم، لا يدري القائل لم يقتل، ولا المقتول فيم قتل، وفي مجتمع الحيوان لا تجد حيواناً يذوب قلبه في جوفه مما يرى ولا يستطيع أن يغير، إن تكلم قتلوه، وإن سكت استباحوه، ولا تعرف هذه الحيوانات تجارة الرقيق الأبيض، ففي كل عام تقتنص سبعمئة ألف امرأة من البلاد النائمة لتعمل في الدعارة في البلاد المتقدمة، إرضاءً لنزوات أغنيائها، والحيوانات لا تعرف الشذوذ الجنسي ففي بلاد يقصدها أغنياء العالم للاستجمام يهيئ لهم في هذه المنتجعات ثمانمئة ألف طفل للفجور بهم، وفي بلد يعتمد في الدرجة الأولى على تصدير الأغنام إلى شتى بقاع الأرض، تم إعدام عشرين مليون رأس من الغنم رمياً بالرصاص، وتم دفنها ؛ حفاظا على السعر المرتفع الذي يحقق لتجار الأغنام هناك ربحاً فلكياً، والحيوانات لا تعرف إتلاف كميات من الزبدة يصل حجمها إلى حجم أكبر أهرامات مصر حفاظاً على السعر المرتفع، والحيوانات لا تعرف إتلاف المحاصيل الزراعية حفاظاً على أسعارها المرتفعة، وتسميمها خوفاً من أن يأكلها الفقراء مجاناً فيقل الطلب على شرائها، بينما هناك

شعوب فتكت فيها المجاعات، وهم في أمس الحاجة إلى اللحوم والألبان والمحاصيل، والحيوانات القوية لا ترسل نفاياتها الذرية إلى الحيوانات الضعيفة حتى تسبب لها الأمراض السرطانية بشكل وبائي لآلاف السنين، والحيوانات التي تصنع الأدوية لا تجربها على حيوانات من جنسها فتدرأ بها الخطر عن نفسها

قال تعالى:

**( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)**

يقول الإمام علي رضي الله عنه ركب الملك من عقل بلا شهوة، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل، وركب الإنسان من كليهما، فإذا سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان .

بينما الإنسان الذي غزا الفضاء، وغاص في الأعماق، وحول القارات الخمس عن طريق الاتصالات إلى قرية، ثم إلى بيت، ثم إلى غرفة، ثم إلى سطح مكتب، الإنسان الذي صنع مدنا ومعامل ومطارات تمخر عباب المحيطات، وصنع طائرات أسرع من الصوت، وصنع قطارات تحملها وسائد هوائية، وصنع الحاسوب الذي يقرأ بلايين الحروف في الثانية، واخترع الإنترنيت حيث أزالت السدود والحدود بين الشعوب والحضارات...

هذا الإنسان الذي أرسل الأقمار الصناعية، وصنع القنوات الفضائية، وصنع القنابل الذرية، والنووية، والحرارية، وصنع القنابل التي تعطل الاتصالات، والقنابل التي تعطل الطاقات، وصنع القنابل العنقودية، والانشطارية، والذكية، والخارقة الحارقة... هذا الإنسان الذي صنع كل ذلك لا يستطيع أن يتنبأ بوقوع الزلزال ولا قبل ثانية واحدة إلا إذا تنبه إلى اختفاء الحيوانات، فلعلها ترشده من خلال اختفائها إلى الخطر الداهم الذي سيدمره .

قال تعالى:

**( ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض )**

أيها الإخوة الأكارم، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صل، وسلم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين

ولا يسعنا في هذا البلد الطيب إلا أن نتوجه إلى أسر الضحايا من كل الملل والنحل ومن دون تفريق ولاسيما سكان البلاد الأصليين بالتعازي الحارة سائلين الله جل وعلا أن يلهم من بقي من هذه الأسر الصبر والسلوان .

من الخطأ الكبير أن يتوهم الإنسان أن كل من أهلكه الله في هذا الزلزال مذنب يستحق الهلاك، هذا تعميم، والتعميم من العمى، فكل يموت على نيته، وعلى ما عاش عليه، يقول عليه الصلاة والسلام، فيما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة:

إن الله تعالى إذا أنزل سطواته ( قهره وبطشه )على أهل نقمته، فوافت آجال قوم صالحين، فأهلكوا بهلاكهم، ثم يبعثون على نياتهم وأعمالهم .

فهذا المصاب الجلل الذي أصاب سكان السواحل في جنوبي شرقي آسيا، هو ابتلاء للمؤمنين، وما أكثرهم، قال تعالى:

**( وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ )**

وهو عقاب للمذنبين، قال تعالى:

**( وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد)**

[هود:١٠٢]

وهو تحذير وإنذار للناجين من غير المؤمنين، قال تعالى:

**( وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)**

ولكن إنصافاً للحقيقة ينبغي أن نذكر أنه في أثناء طوفان الظلم والقتل اليومي للأبرياء أو اعتقالهم، وهدم المنازل، ونهب الأموال، هذا الظلم اليومي الحاد لم يشهد تاريخ البشرية له مثيلاً، في المناطق الساخنة من العالم، ولاسيما في العراق وفلسطين، جاء زلزال آسيا ليوقظ الشعور الإنساني لدى الأمم والشعوب، فبادرت إلى تقديم المساعدات العينية والمالية من كل حدب وصوب، وساهم بلدنا الطيب أيضاً في هذا العمل الإنساني، وأكدت هذه المساعدات أن الإنسان هو الإنسان، كما فطره الله، وأن الإنسان أخو الإنسان، وأن الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله .

مدخل أول لفهم هذا الحدث:

لو أنّ سائق سيارةٍ، في أثناءِ قيادته لسيارته رأى تألّقَ ضوءُ أحمرُ في لوحةِ البياناتِ التي أمامه، فالمشكلةُ ليست في تصديق التألّق، أو عدمِ تصديقِه، لقد رأى تألّقَ هذا الضوءِ بأمّ عَيْنِهِ، ولكنّ المشكلة في فَهْمِ هذا التألّق، وتحليله، والسلوكِ الذي يُبنَى على هذا الفَهْمِ والتحليل، فلو فَهِمَ التألّقَ على أنّه ضوءٌ تزينيٌّ، فتابَع السَّيْرَ، فاحترقَ المحرّكُ، وتكلّفَ لإصلاحه مبلغاً كبيراً، وتعطّل السير وألغي الهدفِ، أمّا إذا فَهِم هذا التألّقَ على أنه ضوءٌ تحذيريٌّ، أوقفَ السيّارةَ، وأضافَ الزيتَ، وسلِمَ المحرّكُ من الاحتراق، وتابَعَ بَعْدَ ذلك السَيْر، وتحقق الهدف، فالعبرةُ لا في التصديق وعدمِه، بلْ في فَهْمِ الحدثِ وتحليلِه.

فإذا كان زلزال آسيا هو الضوء الأحمر، فالمشكلة ليست تصديق وقوعه أو عدم التصديق، فما من إنسان من ستة الآلاف مليون إلا وعلم بهذا الزلزال، وشاهد صوره المأساوية، ولكن المشكلة في فهمه في ضوء الإيمان بالله، وفي ضوء وحي السماء، لا من خلال العولمة والشرك، قال تعالى:

**(وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ )**

أي أنك إذا قدمت تحليلاً إيمانياً توحيدياً وفق كتاب الله وسنة رسوله، رفضه الذين لا يؤمنون بالآخرة، أما إذا قدمت تحليلاً أرضياً شركياً قبله معظم الناس .

مدخل آخر لفهم هذه الأحداث

يقول سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: **ثلاثة أنا فيهن رجل ( أي بطل )، وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس ؛ ما صليت صلاة فشغلت نفسي بغيرها حتى أقضيها، ولا سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علمت أنه حق من الله تعالى، ولا سرت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما أقول حتى أنصرف منها .**

ولنأخذ الثالثة ولا سرت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول حتى أنصرف منها فإذا كان هذا الميت في النعش يقول بلغة الحال لا بلغة المقال، ويسمعه سيدنا سعد بأذن الحال، لا بأذن المقال... فماذا يقول هذه الزلزال بلسان الحال لبني البشر ؟

ينادي هذا الزلزال أهل الأرض، فيقول:

إذا كان كل هذا الهول الذي وقع هو زلزال الدنيا، فماذا أعددتم أيها البشر للنجاة من زلزال الآخرة؟ ويذكرهم بقوله تعالى:

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)

امرأة حملت رضيعها، وانطلقت من البيت مذعورة إلى الشارع، وفي الشارع نظرت إلى رضيعها، فإذا هو حذاء زوجها، تذهل كل مرضعة عما أرضعت .

وينادي هذا الزلزال المحبطين من المسلمين الذين استسلموا وخضعوا واستكانوا لقوى البغي والعدوان، ويئسوا من رحمة الله، ظنوا أن الله تخلى عنهم، ولن ينصرهم، يذكرهم بقوله تعالى

( وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ )

ويقول أيضاً:

( إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ)

وينادي هذا الزلزال الغافلين الذين غفلوا عن وعيد الله، وغفلوا عن الموت، وغفلوا عن الدار الآخرة، فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب، ويذكرهم بقوله تعالى:

( أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون)

[النحل:٤٥]

يصف أحد السائحين الناجين غفلته فيقول: فجأة سمعت صوتا مخيفاً، ثم فجأة ابتدأ الماء يتسرب من تحت باب الغرفة، وفي أقل من دقيقة وصل الماء إلى صدري، ثم غبت عن الوعي، وهكذا الساعة لا تأتيهم إلا بغتة

وينادي هذا الزلزال المتخاذلين عن الإصلاح الاجتماعي، وعن الدعوة إلى الخير ظنا منهم أن صلاحهم الفردي يعذرهم أمام الله، وينقذهم من العقوبات الدنيوية والأخروية، يذكرهم بقوله تعالى:

( وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)

فالضمان أن نكون مصلحين لا أن نكون صالحين .

وينادي هذا الزلزال المتحررين الذين شوهوا معنى الحرية، وظنوها تفلتاً من كل قيد أخلاقي، ومن كل قيد ديني شرعي، ومن كل قيد اجتماعي، فيؤكد لهم أن الفساد يغرق سفينة المجتمع، ويهدد أمن الجميع، فالعذاب إذا نزل لا يستثني، ويذكرهم بقوله تعالى:

( وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ )

وينادي هذا الزلزال المترفين الذين كان الناس لهم تبعاً أمروا أن يستقيموا ففسقوا، فدمرهم الله ودمر من أعانهم على فسادهم وإفسادهم من التابعين لهم، ويذكرهم بقوله تعالى:

**( وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا، وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا )**

وينادي هذا الزلزال الدول التي لم تعبأ بشرائع السماء والتي توهمت أن السياحة الجنسية أقصر طريق لجني الأرباح، وتكديس الثروات، حيث افتخر أحد المسؤولين عن السياحة في تلك البلاد قبل أيام من الزلزال بأنه لا يوجد في بلده فتاة عذراء واحدة، ويذكرهم بقوله تعالى:

**( وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا )**

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٦٩) : خ١ - الامتحان ، خ٢ - بعض الحقائق العلمية في تحصيل المعرفة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٥-٠٦-١٠

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

موضوع الخطبة اليوم الامتحان، فبه يكرم المرء أو يهان ؛ الامتحان الأكبر ( في الخطبة الأولى)، والامتحان الأصغر ( في الخطبة الثانية ) .

تعيش البيوت في هذا الشهر أزمة الامتحانات التي تطرق الأبواب كل عام... وما إن يقترب هذا الموسم حتّى ترى كثيراً من البيوت قد أعلنت عن حالة التأهب القصوى، والاستعداد الكامل، لدخول معمعة الامتحان التي يكرم المرء فيها أو يهان ! وهذا جهدٌ مشكور، وعملٌ مأجور، إذا صلُحت النيّة، وخلُص المقصِد لله ربِّ العالمين.

ولكننا لو تأملنا هذا الاهتمام، من أجل هذا الامتحان، ثمّ نظرها إلى ضعف الاستعداد، وقلّة الاهتمام، وشدّة الغفلة، عن ذلك الامتحان الرهيب، الذي خلقنا الله تعالى من أجله، وأنشأنا له، لرأيت العجب العجاب.

قال تعالى:

**( الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا )**

وقال تعالى:

**( ولنبلونّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم )**

والفرق واسع، والبون شاسع، بين امتحان الدنيا، وامتحان الآخرة..

وإليكم أوجهاً من ذلك التباين، والاختلاف بين الامتحانين...

فمن حيث المـوضـوع

امتحان الدنيا في جزءٍ من كتاب، وفي ورقاتٍ معدوداتٍ، في مجالٍ من مجالات الحياة، وضربٍ من ضروب العلم ؛ أمّا امتحان الآخرة ففي كتابٍ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها، قد حوى الأقوال، وأحصى الأفعال، وأحاط بالحركات والسّكنات، وألمّ بالخطرات، والزلاّت !

قال تعالى:

**( ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا )**

فالصغائر مسجلة به، كما أنّ الكبائر مدوّنة في هذا الكتاب، قال تعالى:

**(وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ)**

فالعباد يقولون ويعملون، والكُتّاب من الملائكة يكتبون، ويوم القيامة يُخرجُون ما كانوا يحصون و يستنسخون.

قال تعالى:

**( هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون )**

فتُنشر الفضائح، وتَظهر القبائح، ويبدو ما كان مخبوءاً من ذنوبٍ وعصيان، تحت ركام الغفلة والنسيان **!**، قال تعالى:

**( يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كلّ شيء شهيد)**

ومن حيث الأسئلة

امتحان الدنيا أسئلته محدودة في بعض مفردات الكتاب، فلا يمكن للمعلِم أن يسأل الطالب عن كلّ دقيق وجليل من محتويات المنهج، وربما تدركه الشفقة فيختار له من أسهل الأسئلة وأيسرها، ولعلّه يراجع مع الطالب الإجابة قبيل الامتحان بأيام مساعدةً له وتيسيراً عليه .

أما امتحان الآخرة فالأسئلة حاوية لجوانب الحياة، شاملة لدقائق العمر..

أسئلة عن المعتقدات..

و أسئلة عن الأقوال..

و أسئلة عن الأفعال..

و أسئلة عن الأموال..

و أسئلة عن النيّات..

و أسئلة عن العبادات..

و أسئلة عن الأوقات..

و أسئلة عن الأمانات..

سؤال خطير ؛ جِدُّ خطير، عن كلّ كبير وصغير، وعظيم وحقير **!**

قال تعالى:

**( فوربك لنسألنهم أجمعين، عما كانوا يعملون)**

إنه موقف السؤال والحساب بين يدي ملك الملوك، وعلام الغيوب **!**

قال تعالى

**( وقفوهم إنّهم مسئولون )**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( لا تزُولُ قدَما ابن آدم مِن عند ربّه حتّى يُسألَ عن خمس: عن عُمره فيما أفناه، وعن شَبابه فيما أبلاه، وعن مالِه من أين اكتسَبَه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به ))**

قال أيضاً:

**(( ألا كُلُّكم راعٍ وكُلُّكم مسؤُولٌ عن رعيّتهِ، فالإمامُ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيّته، والرّجلُ راعٍ على أهلِ بيتِه وهو مسؤولٌ عن رعيّته، والمرأةُ راعيةٌ على أهلِ بيتِ زوجِها وولده وهي مسؤولةٌ عنهُم، والعبدُ راعٍ على مالِ سيّده وهو مسؤولٌ عنهُ، ألا فكُلُّكم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيّتِه ))**

وقال أيضاً:

**(( إنّ الله تعالى سائلٌ كلّ راعٍ عمّا استرعاه: أحفِظ ذلِك أم ضَيّع ؟ حتّى يسأل الرّجل عن أهلِ بيتِه))**

**ولو أنّا إذا مِتنا تركنا..... لكان الموتُ غاية كلّ حيِّ**

**ولكنّا إذا متنا بعثنا..... ونُسأل بعده عن كلِّ شيءٍ**

ومن حيث المكـان

امتحان الدنيا في جوٍّ مهيأ، ومكانٍ معدٍّ، فالكراسي مريحة، والأنوار ساطعة، والأمن والأمان متوافران في مكان الامتحان.

أما امتحان الآخرة ففي جوٍّ رهيب، وموقفٍ عصيب، ومكانٍ عجيب..

قال تعالى:

**( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار )**

أهوالٌ عظيمة، وكرباتٌ جسيمة، وأحوالٌ مفجعة، ومناظر مدهشة، ترتعد منها الفرائص، وتقشعرُ منها الجلود، وتنخلع لهولها القلوب، وتشيب منها مفارق الولدان !

قال تعالى:

**( فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا )**

يوم يجمع الله الأولين والآخرين، فإذا هم بالساهرة، حفاةً بلا نعال، عراةً بلا أردية، غُرْلاً، أي من دون ختان.

قال تعالى:

**( كما بدأنا أوّل خلق نعيده، وعداً علينا إنا كنا فاعلين)**

عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( تُحشَرُونَ حُفاةً عُراةً غُرلاً "، فقلتُ: يا رسولَ الله الرّجالُ والنِّساءُ ينظُرُ بعضُهُم إلى بعضٍ ؟ فقال: " الأمرُ أشدُّ مِن أن يُهمّهُم ذلك))**

القبور تبعثرت، والأفلاك تفجّرت، والنجوم تكدّرت، والسماء تفطّرت، والجبال سيّرت، والبحار سعِّرت، والشمس كوّرت، والجحيم بُرّزت، والوحوش جُمعت، وعلى أرض المحشر حشرت...

قال تعالى:

**( يوم ترونها، تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكنّ عذاب الله شديد)**

القلوب واجفة، والأبصار خاشعة، والأعناق خاضعة، والأمم جاثية على الرُكب تخشى العطب، لِما ترى وتسمع، من مهلكات وخطوب، فالميزان منصوب، والصراط مضروب، والشهود تشهد، والجوارح تفضح، والصحائف تنشر !

وإلى الله يومئذٍ المستقر ! فأين المفر ؟!

قال تعالى:

**( يوم تجد كلُّ نفسٍ ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء، تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذِّركم الله نفسه، والله رؤوفٌ بالعباد )**

ومن حيث الزمـان

امتحان الدنيا إن طال زمانه، وامتدّ أوانه، فهو في ساعةٍ من نهار، وربما أكثر بقليل

أما امتحان الآخرة فهو في

**( يوم كان مقداره خمسين ألف سنة )**

وعندما يعيش المجرمون ذلك اليوم الطويل، بما فيه من خطبٍ جليل، يقسمون الأيمان المغلظة، ما لبثوا في الدنيا إلاّ قليلاً ولا عاشوا فيها إلاّ يسيراً.

قال تعالى:

**( ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة، كذلك كانوا يؤفكون )**

فيفزعون نادمين، وعلى أعمارهم متحسّرين: إنما هو زمنٌ يسير ! وعمرٌ قصيرا! ثُمّ كان حساب عسير وإلى الله المصير !

قال تعالى:

**( قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ، قالُوا لَبِثْنا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فاسْأَلْ الْعَادِّينَ، قالَ إن لَّبِثْتُمْ إلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)**

والعاقل الحصيف، يعلم علم اليقين أنّما هي بضع سنين، أو أقلُّ من ذلك أو أكثر، ثمّ يقبر، ثمّ ينشر، ثمّ يحشر، فإذا به واقفٌ بين يدي ربّه في يوم العرض الأكبر!

فيستعدّ لما أمامه، من أهوال يوم القيامة، فيغنم أيامه ولياليه، فيما يقرّبه من خالقه ومربيه.. بالمبادرة إلى الطاعات، والأعمال الصالحات، والمسابقة في الخيرات، قبل أن تأتيه المنيّة، ويصاح في قافلة الهلكى: الرحيل ! الرحيل !

قال تعالى:

**( كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشيّة أو ضحاها )**

ومن حيث المراقب

المراقب في الدنيا مخلوقٌ مثلك، محدود القدرات، معدود الإمكانات، ينسى ويغفل، ويسهو ويتنازل، وليس بالإمكان أن يحيط بقاعة الامتحان !

أمّا الرقيب على امتحان الآخرة ـ وله المثل الأعلى ـ فهو الذي لا يضلُّ ولا ينسى، قد أحاط بكلِّ شيءٍ علماً، لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة، ولا يغيب عن بصره شيءٌ من الأشياءِ في الأرض ولا في السّماء.

قال تعالى:

**( الله لا إله إلاّ هو الحيُّ القيّوم لا تأخذه سنةٌ ولا نوم)**

عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قامَ فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسِ كلماتٍ فقال:

**(( إنّ الله عزّ وجلّ لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ،... يُرفعُ إليهِ عَملُ الليل قبلَ عَملِ النّهار وعملُ النّهار قبلَ عملِ الليل ))**

فأين تغيب عن سمعه وبصره ؟! وهو السّميع البصير !

وأين تهرب عن علمه ونظره ؟! وهو العليم الخبير !

وأيُّ حجابٍ يواريك منه ويحجبك عنه ؟!

ومن حيث النجاح

النجاح في امتحان الدنيا مؤدّاه أن يرتقي العبد في مراتبها ويعتلي في درجاتها..

وأيُّ درجة هذه ؟! وأيُّ مرتبة تلك ؟! والدنيا بما فيها من نعيم ولدّة، منذ خلقها الله تعالى، وإلى أن يرثها، وهو خير الوارثين، نعيمها لا يساوي في نعيم الآخرة، إلاّ كقطرة أخذت من بحرٍ لُجيّ.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( والله ما الدنيا في الآخرة إلاّ مثلُ ما يجعَلُ أحدُكُم أصبَعهُ هذه ـ وأشار بالسّبّابة ـ في اليَمّ، فلينظر بم ترجعُ ))**

وقال صلى الله عليه وسلم:

**(( ولموضعُ قدَمٍ مِنَ الجنّةِ، خيرٌ مِن الدُنيا وما فيها، ولو أنّ امرأةً مِن نساءِ أهلِ الجنّةِ اطّلعت إلى الأرضِ لأضاءَت ما بين المشرق والمغرب ))**

أمّا نجاح الآخرة فهو الزحزحة عن النّار، والدخول إلى الجنّة، فضلاً من الله ومِنّة !

قال تعالى:

**( فمن زحزح عن النّار، وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور )**

وتأمّل فرحة المؤمن العارمة، وسعادته الغامرة، عندما يثقل بالصالحات ميزانُه، وتثبت على الصراط أقدامُه، فيأمن يوم الفزع الأكبر جنانُه، ويُلقّى حجّته وبيانَه، فيرفع كتابه فوق رأسه، وينشره بين الخلائق، ويستعلي بصوته، وينادي على رؤوس الأشهاد، في فرحٍ وسرور، وبهجة وحبور:

**(هاؤم اقرؤوا كتابيه، إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه، فهو في عيشة راضية، في جنّة عالية، قطوفها دانية، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية )**

وكما أنّ النجاح يتفاوت في الدنيا ما بين مقبولٍ، وجيد، وجيد جداً، وممتاز، ثم تأتي مراتب الشرف، وأوسمة التفوّق... درجاتٌ بعضها فوق بعض...

كذلك يوم القيامة، فدخول الجنّة لا يكون إلاّ بفضل الله ومنته، ثُمّ يكون التفاوت في الدرجات، والتمايز بين أهلها في النعيم والخيرات، على حسب أعمالهم الصالحة في الدنيا، فكلّما زادت حسناتهم زادت درجاتهم.. وكلما كثرت طاعاتهم ارتقوا في منازلهم، وعظمت كرامتهم.. قال تعالى:

**( ولكلٍ درجات مما عملوا )**

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:

**(( في الجنّةِ مئةُ دَرجةٍ ما بينَ كلّ درجتين كما بينَ السّماء والأرض ))**

فجدّ، واجتهد، ولا يسبقنّك إلى الجنّة ـ مِمّن عرفت ـ أحد !

ومن حيث الرسوب

الإخفاق في امتحان الدنيا هيّنٌ سهلٌ، فهو خسارةٌ لدرجة، أو لمرحلة، أو لمرتبة من الدنيا، لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي الحُلَيفَةِ، فإذا هو بشاة ميتة، فقال:

**(( أتُرونَ هذهِ هيِّنَة على صاحبها ؟ فوالذي نفسي بيده ! للدنيا أهوَنُ على الله، مِن هذهِ على صاحِبِها، ولو كانتِ الدُّنيا تَزِنُ عِند الله جَناحَ بعُوضَةٍ، ما سقى كافراً مِنها قطرة أبداً ))**

وحسب الدنيا حقارةً ودناءة أن الله تعالى جعلها دار بلاءٍ وامتحان، وموطن غفلةٍ ونسيان، وموقع خطيئة وعصيان، ولو كانت نعمة لساقها بين يدي رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم الذي كان عيشه منها كفافاً.

أمّا الرسوب في امتحان الآخرة، فخسارة الأبد، وحسرةُ السّرمد، وألم لا ينفد، وندم لا ينقطع، وعذاب لا ينتهي، وعقاب لا ينقضي.

يوم يُكبُّ المجرم على وجهه في نارٍ تلظّى، لا يصلاها إلاّ الأشقى، فيخسر نفسه وأهله وماله.
قال تعالى:

**( قل إنّ الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين )**

وأيُّ خسارةٍ أكبر من أن يرى العبد غيره يساق ـ في سعادة ومسرّة ـ إلى جنّةٍ عرضها السموات والأرض، لينعم بما تلذُّ به العين، وما تشتهيه النّفس، ويطرب له السمع، ويسعد به القلب، ثمّ يقاد هو ـ في ذِلّةٍ وصغار، ومهانةٍ وانكسار ـ إلى نارٍ وقودها النّاس والحجارة، حيثُ العقاب والعذاب، والبلاء والشّقاء، والنّكال والأغلال، مما لا يخطر على البال، ولا يوصف بحالٍ من الأحوال !
قال تعالى:

**( وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذلّ ينظرون من طرفٍ خفيّ )**

والخسار الأكبر، والحرمان الأعظم، أن يحرم العبد من لذّة النظر إلى وجه الله الكريم
قال تعالى:

**( كلاّ إنّهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون )**

وكما يرجع الطالب الخائب باللوم لنفسه، والتقريع والتوبيخ لها، والندم على تفريطها، ينقلب الحال بأهل الرسوب في الآخرة إلى الأماني العقيمة، ويركنون إلى الأحلام السقيمة، ويتمنون أن يعودوا ليجدُّوا ويجتهدوا...

قال الله تعالى عنهم:

**( يوم تقلّب وجوههم في النّار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرّسولا )**

ومن حيث فرص للتعويض

امتحان الدنيا أسوأ ما فيه الرسوب، وغالباً يكون لدى الراسب فرصة أخرى، وكرّةٌ ثانية، حتّى يتمّ له النجاح، أو تغيير مجال الدراسة والبحث، ولعلّ في ذلك خيراً كثيراً لا يدركه، وفضلاً عظيماً لا يعلمه...

فكم من بابٍ أغلق في وجه صاحبه، وكان الخير في إغلاقه، ولو أنّه ولج فيه لوقع في البلايا والمحن، والرزايا والفتن.

قال تعالى:

**( وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرّ لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون )**

أمّا امتحان الآخرة فلا فرصة ثانية ولا كرّة آتية..

وإنما هي رحلة عمل تنتهي لحظاتها، وتنقضي أوقاتها، ثمّ تحين ساعة الانتقال إلى الكبير المتعال !

قال تعالى:

**( ثمّ ردُّوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين)**

وعند ذلك ينادي المفرّط المخلِط في كمد ونكد

**( ربِّ ارجعون )**

لِمَ أيُّها الغافل ؟!

**( لعلي أعمل صالحاً فيما تركت )**

فهل يجاب له سؤله ويحقق له أمله ؟!

**( كلاّ. إنّها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون )**

وعندما يخفقون في الاختبار، ويدخلون النّار، يُعذّبون بها، ويصلون سعيرها، ويحرّقون بحرارتها..

ينادُون

**( وهم يصطرخون فيها، ربنا أخرجنا نعمل غير الذي كنّا نعمل )**

فيأتيهم التقريع والتوبيخ، الذي يزيد في حسراتهم، ويضاعف من لوعاتهم:

**( أولم نعمرّكم ما يتذكر فيه من تذكر، وجاءكم النذير)**

والجزاء في يوم الجزاء:

**( فذوقوا فما للظالمين من نصير )**

رحلة العمر انتهت، وفرصة الزرع انقضت، وقد حان أوان الحصاد !

فوا بشرى للزارعين بما حصدوا..!

ووا أسفاه على الخاملين يوم جدّ المشمِّرون وهم رقدوا..!

وفاز بالغنائم طُلاّبها، وبالمعالي أربابها !

أمّا أولئك البطّالون فقد حيل بينهم وبين ما يشتهون، فإنّ الله الذي يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، يعلم أنّهم لو ردوا إلى الدنيا، وفسح لهم في الأجل، لعادوا لما نُهوا عنه من المعاصي والموبقات والخمول والكسل !

قال تعالى:

**( ولو ردُّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون )**

فيا لهذا الإنسان ؛ ما أشدّ ظُلمه لنفسه ! وما أعظم جهله بعاقبة أمره !

**( إنّه كان ظلوماً جهولاً )**

والخـاتمـة

وبعد... نعتقد جازمين، أنّه لم يبق لنا بعد هذا البيان، إلاّ أن نستشعر أننا في امتحانٍ رهيب، في كلّ ما نأتي ونذر، وفيما نحبُّ ونكره، ونعتقد وننوي، ونرى ونسمع، ونعطي ونمنع، ونأكل ونشرب، ونسكن ونركب، ونقول ونعمل، وذلك على مدى الدّهر، وبطول العمر.

واليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل !

فلنُرِ اللهَ منّا خيراً، نُسرُّ به يوم نُعرض عليه، ونقف بين يديه، حيث تُعطى الجوائز لكلّ فائز، ويزج كلّ خاسر إلى نار السّموم،

**(يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلّمُ نَفْسٌ إِلاّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيّ وَسَعِيدٌ، فَأَمّا الّذِينَ شَقُواْ فَفِي النّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السّمَاوَاتُ وَالأرْضُ إِلاّ مَا شَاء رَبّكَ إِنّ رَبّكَ فَعّالٌ لّمَا يُرِيدُ، وَأَمّا الّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السّمَاوَاتُ وَالأرْضُ إِلاّ مَا شَاء رَبّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ )**

وفي هذا بلاغٌ لقوم عابدين !

**النفس تبكي على الدنيا وقد علمت...... أنّ السّلامة فيها ترك ما فيها**

**لا دار للمرء بعد الموت يسكنها...... إلاّ التي كان قبل الموت يبنيها**

**فإن بناها بخير طاب مسكنه...... وإن بناها بشرٍّ خاب بانيها**

والحمد لله رب العالمين

***

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صل، وسلم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين .

أيها الإخوة الأحباب حضوراً ومستمعين:

إن التعلم والتعليم قوام هذا الدين، ولا بقاء لجوهره، ولا ازدهار لمستقبله إلا بهما. والناس أحد رجلين: متعلم يطلب النجاة، وعالم يطلب المزيد.. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**((العالم والمتعلم شريكان في الخير، ولا خير في سائر الناس ))**

[ انظر إرواء الغليل للألباني ٢/١٤١ ط المكتب الإسلامي]

وتعلُّم العلوم المادية، يحقق عمارَة الأرض، عن طريق استخراج ثرواتها، واستثمار طاقاتها، وتذليل الصعوبات، وتوفير الحاجات، تحقيقاً لقوله تعالى:

**( هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا )**

[سورة هود]

وتعلم العلوم المادية، والتفوق فيها قوة، يجب أن تكون في أيدي المسلمين، ليجابهوا أعداءهم، أعداء الحق والخير والسلام، تحقيقاً لقوله تعالى:

**(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ )**

[سورة الأنفال ٦٠]

لأن قوة هذا العصر في العلم، بل إن الحرب الحديثة ليست حرباً بين ساعدين وسيفين، بل هي حرب بين عقلين.

وبالتحرر من الجهل والوهم، واعتماد النظرة العلمية، واتباع الطريقة الموضوعية، نستطيع أن نسقط كل الدعاوى الباطلة المزيفة، التي يطرحها أعداؤنا، أعداء الدين للنيل من إمكاناتنا وطموحاتنا، فباعتماد النظرة العلمية تصح رؤيتنا، وبإيماننا بالله واستقامتنا على أمره نستمد منه قوتنا، قال تعالى:

(إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ )

[سورة آل عمران]

أيها الإخوة والأخوات حضوراً ومستمعين... اسمحوا لي لمرة واحدة في العام، وبمناسبة قدوم الامتحان، أن أخص طلابنا الأعزاء وطالباتنا العزيزات بهذه الخطبة الثانية على خلاف ما ألفه رواد المساجد، ومستمعو الخطابات الدينية من موضوعات، فالإسلام هو الحياة، وأبناؤنا أهم ما في حياتنا لأنهم خير كسبنا، وشبابنا وشاباتنا... وهم أمل أمتنا ومستقبلها... تفوقهم في التحصيل العلمي، وانضباطهم في الجانب السلوكي، أحد أسباب انتصارنا أمام التحديات التي نواجهها .

إليكم ـ أيها الطلاب الأعزاء ـ بعض الحقائق العلمية في تحصيل المعرفة والمتعلقة بالدراسة والامتحان:

الدراسة التي ينتظر أن تحقق النجاح للطالب لها قواعد وأصول، ومن هذه القواعد والأصول:

١ـ ثبت أن قراءة التصفح وأنت مستلق على مقعد مريح، أو على فراش وثير، أو على شرفة تمتع النظر بالغادي والرائح، أو في غرفة الجلوس مع أهلك وإخوتك الصغار مثل هذه القراءة، وبهذه الطريقة لا تثمر شيئاً، فأنت لا تذكر من الذي قرأته بعد حين أية معلومة اللهم إلا انطباعاً عاماً، لا يسمن ولا يغني من جوع، وهل تعتمد امتحاناتنا ـ وهي لا تزال تقليدية ـ إلا على ما في الذاكرة من معلومات، وإذا صح أن للجهد المبذول في فهم الكتاب المقرر، والقدرة على الإجابة عن أسئلة الامتحان يقاس بوحدات كما تقاس الحرارة بالدرجات، مثل هذه القراءة لا تحقق من وحدات الجهد المئة التي تحقق النجاح إلا خمسة بالمئة، وهي في قيمتها أرخص من الوقت الذي استغرقها .

٢ـ أما حينما تجلس وراء طاولة بعيداً عن الضجيج، والمناظر والأحاديث التي تدعو إلى الشرود وتفتح الكتاب المقرر، وتقرأ بتأن وتعمق وتضع علامة بقلم شفاف تحت كل فكرة رئيسة، وخطاً بالرصاص تحت كل فكرة فرعية، ثم تلخص الفقرة على الهامش، وتضع خطاً باللون الأحمر تحت كل كلمة تحب أن تضيفها إلى قاموسك اللغوي، وخطاً باللون الأحمر أيضاً تحت أية عبارة تحب أن تغني بها أساليبك التعبيرية، ثم تضع إشارة بلون ثالث عند كل فكرة غامضة لتسأل عنها أستاذك، أو صديقك المتفوق في تلك المادة، وبعدها ترسم مخططاً للبحث الذي قرأته، وتملأه بالأفكار الرئيسة، ثم تسمعه لمن حولك، أو تحاول أن تراجعه من ذاكرتك أو أن تكتبه على دفترك، هذه القراءة بهذه الطريقة تساوي من الجهد المطلوب تسعين بالمئة، ولا يبقى أمامك إلا مراجعة سريعة، وتحقق النجاح .

٣ـ هناك مشكلة كبيرة يعاني منها الطلاب ؛ وهي أنهم يستمعون إلى الدروس كثيراً ويقرؤون كثيراً أما إذا جلسوا في قاعة الامتحان يتعثرون في الكتابة ؛ ذلك لأن في الإنسان ذاكرة تعرفية يغذيها جهد الأخذ كالقراءة والاستماع، وفي الإنسان ذاكرة أخرى استرجاعية يغذيها جهد العطاء

كإلقاء الدروس، وكتابة البحوث، والذاكرة التعرفية لا تفيد الطالب في الامتحان، لأنها لا تسعفه بالمعلومات، فلتوضيح ذلك: حينما تقرأ كلمة " علاقات وشيجة " مثلاً تعرف أنها تعني علاقات متينة لأنها مخزنة في الذاكرة التعرفية، أي تعرفها إذا قرأتها، ولكنك لا تستطيع أن تستخدمها في الكتابة، أي لا تستطيع أن تسترجعها لأنها ليست في الذاكرة الاسترجاعية، فما لم تُلق المعلومات المخزنة في الذاكرة التعرفية، شفاهاً على صديق، أو قريب، أو ما لم تحاول كتابتَها فإن هذه الحقائق التي قرأتها، أو استمعت إليها لا تستطيع أن تذكرها في الامتحان إلا إذا نقلتها من الذاكرة التعرفية إلى الذاكرة الاسترجاعية عن طريق التسميع والكتابة، وتلخص هذه القاعدة بالتعلم الرباعي: استمع واقرأ، وسمع واكتب، وهناك قاعدة التعلم الخماسي وهو: تصفح، تساءل، اقرأ، سمّع، راجع.

٤. هناك مشكلة كبيرة تزعج الطلاب، وهي أنهم يعانون من الملل والسأم والضجر من دراسة كتاب واحد لزمن طويل، وهذا يجرهم إلى تضييع الوقت بشتى الحجج المفتعلة، ويصابون بالحزن ثم الكآبة، وهذا خطأ كبير في إعداد جدول المذاكرة، ولشرح هذه المشكلة أسوق لأبنائنا المثل التالي: أنت إذا وضعت في كفك كيلو غرام معدني، ورفعته إلى أعلى مرات ومرات، فبعد عدد من المرات وقد تصل إلى المئة تصاب عضلة اليد بالإعياء، وهو التوقف عن الحركة، لكن لو وضعت بعدها في يدك نصف كيلو... عندئذ تستطيع أن ترفعه مئة مرة أخرى بعد الإعياء، من هذا المثل نستنتج أنه بإمكان الطالب أن يتابع الدراسة من دون ملل أو سأم أو ضجر إذا صمم جدول الدراسة على أساس أن يقرأ فصلاً واحداً كل يوم من كل كتاب مقرر بحيث يرتب الكتب التي يقرؤها من حيث صعوبتها ترتيباً تنازلياً .

وبهذه الطريقة يستطيع الطالب أن يتابع الدراسة ساعات طويلة، من دون أن يشعر بالسأم والضجر، لأنه ينتقل كل ساعة من كتاب صعب إلى كتاب أقل صعوبة، وبهذا يتجدد نشاطه .

٥. ثبت أن قوة أية إجابة في الامتحان، وتحقيقها شروط النجاح تعتمد على صحة المعلومات، وعلى وفائها بفقرات السؤال، وعلى تحليلها ترتيبها، ودعمها بالأدلة والشواهد، وهذا هو المضمون، و تعتمد على الأسلوب الذي يتألف من غزارة المفردات التي في مخزون الطالب، ومن حسن انتقائها، ومن متانة العبارات، ومن روعة صورها، وهذا هو الشكل، وسواء رُصدت في سلم الدرجات علامات للأسلوب أو لم ترصد، فإن المصحح يعطي علامة عالية لأي طالب قوي الأسلوب عن وعي أو عن غير وعي منه، على الرغم من وجود سلم دقيق، ولا سبيل إلى امتلاك قوة الأسلوب إلا بالقراءة الأسلوبية التي تعني أن تقرأ النصوص ذات الأسلوب القوي لا لتتبع الأفكار التي تنطوي عليه فحسب، بل لتقف على الكلمات الجديدة التي لا تستخدمها أنت في أسلوبك، أو لتقف على العبارات المتينة التي ينبغي أن تضيفها إلى أساليبك التعبيرية، مثال ذلك: أغلب الطلاب يستخدمون كلمه نظر لشتى حالات النظر، فيأتي أسلوبهم ضعيفاً ضبابياً، ولو قرؤوا الكتب ذات الأسلوب الأدبي قراءة أسلوبية لأغنوا مفرداتهم، ونوعوا أساليب تعبيرهم، إن هنالك مدلولاتٍ

دقيقه لمرادفات كلمة نظر منها.. رأى: تحتمل الرؤية القلبية ؛ كأن تقول رأيت العلم نافعاً، شاهد: تضيف إلى النظر المسؤولية الجزائية، رنا: تفيد النظر مع سكون الطرف والمتعة، كأن تقول: رنوت إلى المنظر الجميل، حدّج: نظر إلى الشيء مع المحبة، وفي الحديث حدث القوم ما حدجوك بأبصارهم، رمق: نظر إلى الشيء من جانب أذنه. لمح: نظر إلى الشيء ثم أعرض عنه، لاح: ظهر له شيء ثم خفي عليه.. توضح: نظر نظرة المستثبت. استشرف: نظر واضعاً يديه على حاجبيه، استشف: نظر مع التفحص باليد، حدق: فتح جميع عينيه لشدة النظر حتى اتسعت حدقة العين، حملق: نظر وظهر حملاق العين الأحمر و هو باطن الجفن، نظر شزراً: أعاره لحظ العداوة، والازدراء. شخص: فتح عينيه وجعل لا يطرف من الخوف فأنت أيها الطالب لا يمكن أن تمتلك أسلوباً غنياً إلا بغنى المفردات التي في ذاكرتك الاسترجاعية .

٦. الأفضل تحديد فترات للدراسة، وأن تتخللها فترات للراحة، فهذا يحول دون الشعور بالإحباط، أو الإجهاد الذي قد يسببه التركيز لمدة طويلة.

٧. خذ قسطاً من الراحة كافياً قبل وقت الامتحان، وهذا يعينك على التذكر والتركيز .

٨. وتناول الطعام المناسب قبل أن تذهب إلى الامتحان، ليعينك على المتابعة وبذل الجهد .

٩. اقرأ الأسئلة بتمعن وتؤدة حتى تتيقن من المطلوب من السؤال، وابدأ بالأسئلة التي تعرفها جيداً، ثم بالأسئلة التي لست متمكناً منها، وبعدها أجب عن السؤال الذي لا تعرفه إجابة تخمينية، فهذا أفضل من عدم الإجابة، ولا تسلم الورقة قبل تنقيح الإجابة، ولا تخرج من قاعة الامتحان قبل انتهاء الوقت لئلا تندم .

١٠. أيها الطالب الحبيب... درست في الفيزياء أنك إذا وضعت ورقة في محرق عدسة تحت أشعة الشمس فإنها تحترق، لكن الورقة هذه لا تحترق إذا وضعتها في أشعة الشمس من دون عدسة ! ما تفسير ذلك ؟ إن حزم أشعة الشمس التي انكسرت عبر العدسة تجمعت في محرقها فأحرقت الورقة، وكذلك الطالب المؤمن بربه، والمستقيم على أمره، والمتوكل عليه وينبغي أن تعلم أيها الطالب أنه ما من شيء أكرم على الله من شاب تائب، هذا الشاب الطاهر تتجمع قدراته ومهاراته واهتماماته وتتجه إلى بؤرة واحدة وهي الوسائل التي جعلها سلماً لهدفه الكبير، لذلك يتفوق تفوقاً كبيراً، ويحقق نجاحاً خطيراً، ليكون شيئاً مذكوراً في أمته، فشاب أو شابة من هذا النوع كألف، وألف من المتفلتين والشاردين عن الله كأف، لأن الله مع المؤمنين، وهذه المعية معية خاصة، فسرها العلماء بالتوفيق، والتأييد، والحفظ، والنصر، فإذا كان الله معك فمن عليك، وإذا كان الله عليك فمن معك ؟ وقد قال الله تعالى: أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون .

رجاء إلى الأهل والجيران

والآن نتوجه إلى كل الإخوة المواطنين بأعلى درجات الرجاء، وبكل ما يتمتعون به من الشعور بالمسؤولية، تجاه أبنائهم صغاراً وكباراً، ذكوراً وإناثا، وتجاه أبناء جيرانهم أن يهيئوا الأجواء التي تعين أولادهم، وأولاد جيرانهم على الدراسة التي هي قوام أمرهم في الدنيا وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه هذا المعنى حينما دعا فقال: أصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا

ومن أهم أسباب تهيئة الأجواء التي تعين على الدراسة:

أن يسمع المرء ما يحلو له وحده، من دون أن يسمع غيره ما لا يحلو له، ومن دون أن يعكر صفو الطالب أو الطالبة من جيرانه في أثناء الدراسة، فهذا السلوك المنضبط سلوك إسلامي .

قال تعالى:

**( لا ترفعوا أصواتكم)**

من الذوقيات المفقودة في البيوت رفع صوت المذياع أو التلفاز، بحيث يعكر على الطلاب الذين يدرسون، ومن الذوقيات المفقودة الشارع تلك الأصوات المزعجة لأبواق السيارات، فتجد صاحب المركبة يقف أسفل البناء، وينادي ببوق مركبته زوجته في الطابق العلوي، بدلا من أن يصعد إليها ليعلمها بقدومه، يريح نفسه ويتعب الآخرين باستخدام آلة التنبيه.. فيأتي الإسلام ويرد للشارع ذوقياته المفقودة. وينبغي أن نفهم قوله تعالى على نحو موسع:

**( إِنّ الّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ، وَلَوْ أَنّهُمْ صَبَرُوا حَتّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ )**

نعم.. إن الآية تتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها تنظم وتهذب سلوكيات الناس. إن من حق الناس عليك ألا تزعجهم فمنهم النائم.. ومنهم الطالب الذي يدرس.. ومنهم المريض.. ومنهم الذي يصلي.. واعلم أن ما حول بيتك ليس ملكك وحدك.

تأجيل المناسبات الاجتماعية الصاخبة التي تقام في البيوت، رحمة بالطلاب والطالبات، فمستقبلهم، وجامعتهم، وحرفتهم تتحدد في الأعم الأغلب في أيام الامتحان، ومن أجل علامة واحدة، يقبل ابن مدينة ما حيث أهله وبيته، وحيث انضباطه، في جامعة بعيدة في مدينة أخرى، حيث السفر والإنفاق وضعف الانضباط .

تجميد الخلافات الأسرية، وإرجاء حسمها إلى ما بعد نهاية الامتحانات رحمة بالأولاد فلذات الأكباد .

تأجيل الانتقال من بيت إلى بيت، ومن محل إلى محل، ومن حرفة إلى حرفة إلى ما بعد الامتحانات .

تفرغ الأهل، ولاسيما الأمهات، والإخوة والأخوات الكبار... تفرغهم للذين يؤدون الامتحانات من أفراد الأسرة، وتأمين حاجاتهم، والسهر على راحتهم، والتدقيق في جدول امتحانهم، وإيقاظهم على مواعيد امتحانهم .

ولا تقل ليس عندي أولاد يؤدون امتحاناً فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول:

**((لا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه ))**

تحفظ لابد منه

وفي الدعاء النبوي الشريف:

**(( اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن أذن لا تسمع، ومن عين لا تدمع، ومن نفس لا تشبع ))**

فبناء على هذا الحديث الشريف نقول:

العلم الذي نرتزق منه وكفى.. ليس إلا حرفة من الحرف.

العلم الذي لا يصل تأثيره إلى نفوسنا، ومن ثم إلى سلوكنا، ما هو إلا حذلقة لا طائل منها

العلم الذي يجعلنا نتيه به على غيرنا، ما هو إلا نوع من الكبر.

العلم الذي يعطل فينا المحاكمة السليمة والتفكر السديد نوع من التقليد.

العلم الذي يوهمنا أننا علماء كبار، هو نوع من الغرور..

والعلم الذي يسعى لتدمير الإنسان، والفتك به، ويسعى لصناعة المرض نوع من الجريمة

والعلم الذي نستخدمه للإيقاع بين الناس، والعدوان على أموالهم وأعراضهم، نوع من الجنوح والانحراف.

والعلم الذي لا يتصل بما ينفعنا في ديننا، ودنيانا، نوع من الترف المذموم..

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٧٠) : خ١ - القوة ، خ٢ - الإيمان قوة مطلقة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٥-٠٧-٢٢

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

## القوّة مطلب أساسي و هي مصدر الثقة :

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام : الله جل جلاله وحده هو القوي ، ولا قوي سواه ، وكل قوة في الأرض في الذوات والأشياء مستمدة من قوة الله ، تأييداً ، أو استدراجاً ، أو تسخيراً ، لحكمة بالغة عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها ، قال تعالى:

**( وَمِنَ النّاس مَن يَتّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أندَاداً ، يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ ، وَالّذِينَ آمَنُوا أشَدُّ حُبّا لِلّهِ ، وَلَوْ يَرَى الّذِينَ ظَلَمُوا إذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ، أنّ الْقُوّةَ لِلّهِ جَمِيعاً ، وَأنّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ )**

[سورة البقرة : ١٦٥]

لذلك المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف ، كن عضواً في جمعية الأقوياء، ولا تكن رأساً في قطيع النعاج.

قد تبدو ضعيفاً لأنك قبلت أن تكون ضعيفاً ، فعشْ كما تريد ، ولكن لا بد من أن تعلم أنه بإمكانك أن تصبح قوياً ، وأن تتعافى من شعورك بالضعف.

إن الأقوياء بالحق هم السعداء ، والضعفاء بالباطل هم التعساء ، واعلم يقيناً أن الشيء الذي لا تستطيعه هو الشيء الذي لا تريد أن تكونه .



تعلم من البعوضة التي تصر دون كلل على النفاذ لجلدك

القوّة مطلب أساسي ، وإلا فلا قيمة للحياة من دون قوة ، إن القوّة مصدر للثقة ، والثقة لا توجد إلا في قلوب الأقوياء ، وإذا أردت القوّة الحقيقيّة فابحث عن قوّة لا تحتاج إلى غيرها إنها قوة الله عز وجل.

إن الجبن والخور ، والاستكانة

والاستسلام ، والانهزامية والذلّ ، وجميع المفردات في قاموس الضعف مرفوضة في حياة الأقوياء؛ فأنت كائن لم تُخلق لتكون مسلوب الإرادة ، بارد الهمّة ، تأمّل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم :

**(( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ))**

[ متفق عليه عن أنس بن مالك ]

عليك ألاّ تتردّد لحظة في الانتساب لعضوية نادي الأقوياء ، فلديك عملاق ينام بين جنبيك فابحث عنه ، حتى لا تموت ، وأنت تعيش بين الأحياء :

**ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء**

***

تأمّل في البعوضة إنها لا تبدو بالنسبة إليك شيئاً مذكوراً لكنها أقوى منك حينما تصر البعوضة من دون كلل أو ملل في البحث عن منفذ في جلدك .

## أشكال القوّة متنوعة و أشهرها :

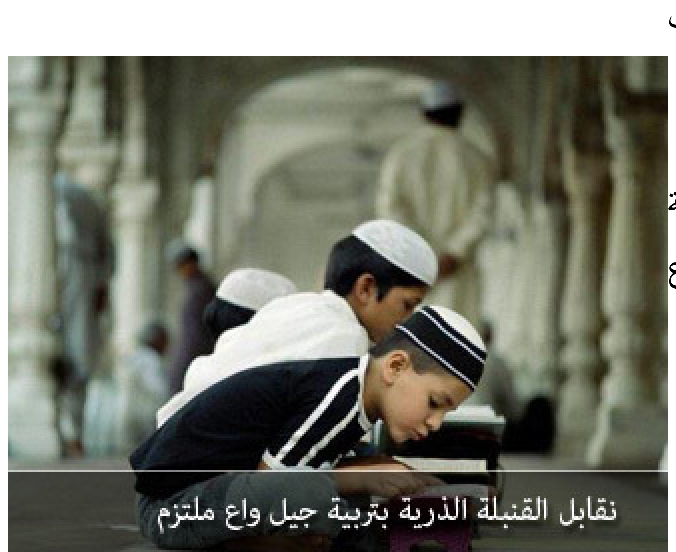
### ١ ـ التوحيد :

لكن السؤال المهم في هذا الموضوع : كيف نبحث عن القوة ونحن ضعفاء ؟

إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف ليس دعوة إلى الرضا بالضعف ، أو إلى السكوت عليه ، بل هو دعوة لاستشعار القوة ، حتى في حالة الضعف ، إذاً يجب أن نبحث في كل مظنة ضعف عن سبب قوة كامنة فيه ، ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجدوه ، ولصار الضعف قوة ، لأن الضعف ينطوي على قوة مستورة ، يؤيدها الله في حفظه ورعايته ، فإذا قوة الضعف تهد الجبال ، وتدق الحصون ، كما ترون وتسمعون .

أنت قويّ هذا سر ضعفك ، وأنا ضعيف هذا سر قوتي .

لذلك نستطيع أن نقابل القنبلة الذرية بقنبلة الذُّرية ، أي بتربية جيل واع


نقابل القنبلة الذرية بتربية جيل واع ملتزم

الخطب الإذاعية لفضيلة الدكتور محمد راتب

ملتزم ينهض بأمته ، ويعيد لها دورها القيادي بين الأمم .

إن أشكال القوّة متنوعة ، وإن أبعادها مختلفة ، ومن الصعب الحديث عنها جميعاً، ولكن نشير إلى أشهر هذه القوى تفصيلاً حيناً وإجمالاً حينا آخر؛ التوحيد قوة التوحيد هو في الواقع تحرير للإنسان من كل عبودية إلا لربه الواحد الديان ، الذي خلقه فسواه ، وكرمه وأعطاه ، التوحيد تحرير لعقله من الخرافات والأوهام ، التوحيد تحرير لضميره من الخضوع والاستسلام ، التوحيد تحرير لحياته من تسلط الأرباب والمتألهين ، التوحيد يعين على تكوين الشخصية المتزنة التي توضحت في الحياة وجهتها ، وتوحدت غايتها ، وتحدد طريقها ، فليس لها إلا إله واحد ، تتجه إليه في الخلوة، والجلوة ، وتدعوه في السراء والضراء ، وتعمل على ما يرضيه في الصغيرة والكبيرة ، ففي القرآن:

**(أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)**

[ سورة يوسف: ٣٩ ]

التوحيد يملأ نفس المؤمن أمناً وطمأنينة ، فلا تستبد بها المخاوف التي تتسلط على أهل الشرك ، فقد سدّ الموحد منافذ الخوف التي يفتحها الناس على أنفسهم ، الخوف على الرزق ، والخوف على الأجل ، والخوف على النفس ، والخوف على الأهل والأولاد ، والخوف من الإنس ، والخوف من الجن ، والخوف من الموت ، والخوف مما بعد الموت.

## المؤمن الصادق الموحد لا يخاف إلا الله :

أما المؤمن الصادق الموحد فلا يخاف إلا الله ، ولا يخشى غير الله ، ولهذا تراه آمناً إذا خاف الناس، مطمئناً إذا قلق الناس ، هادئاً إذا اضطرب الناس ، قال تعالى:

**( فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)**

[ سورة الشعراء: ٢١٣ ]


التوحيد يملأ نفس المؤمن أمنا وطمأنينة

التوحيد مصدر لقوة النفس ، إذ يمنح التوحيد المؤمن قوة نفسية هائلة ، حيث تمتلئ نفسه من الرجاء بالله تعالى ، والثقة به ، والتوكل عليه ، والرضا بقضائه ، والصبر على بلائه ، والاستغناء به عن خلقه ، فالمؤمن الموحد راسخ كالجبل لا تزحزحه الحوادث ، ولا تزعزعه الكوارث.

ولما وليَ الحجّاجُ بن يوسف الثقفي العراقَ ، وطغى في ولايته وتجبّر ، وكان الحسنُ البصري أحدَ الرجال القلائل الذين بينوا للناس الحق والحقيقة ، وصدعوا بكلمة الحق من دون خوف أو وجل ،

فعَلِمَ الحجّاجُ بذلك ، ماذا فعل ؟ دخل إلى مجلسه وهو يتميّز من الغيظ ، وقال لجلاّسه : تبًّا لكم ، سُحقاً لكم ، يقوم عبدٌ من عبيد أهل البصرة و يقول ما شاء أن يقول ، ثم لا يجد فيكم من يردُّه أو ينكر عليه ؟ والله لأسقينَّكم من دمه يا معشر الجبناء ، ثم أمر بالسيف والنطع ودعا بالسياف فمَثَل واقفا بين يديه ، ثم وجّه إلى الحسن بعضَ جنده ، وأمرهم أن يأتوا به ليقطع رأسه ، وينتهي الأمرُ ، وما هو إلا قليل حتى جاء الحسنُ ، فشخصتْ نحوه الأبصارُ ، ووجفت عليه القلوبُ ، فلما رأى الحسنُ السيفَ والنطع والسياف حرّك شفتيه ، ثم أقبل على الحجاج ، وعليه جلالُ المؤمن ، وعزة المسلم ، ووقارُ الداعية إلى الله ، فلما رآه الحجاجُ على هذه الحال هابه أشدّ الهيبة ، وقال له: ها هنا يا أبا سعيد ، تعالَ اجلس هنا ، فما زال يوسع له و يقول: ها هنا ، والناس لا يصدّقون ما يرون ، لقد طلب ليقتل، والنطع جاهز ، والسيّاف واقف ، وكلُّ شيء جاهز لقطع رأسه ، فما الذي حصل ؟ وكيف يستقبله الحجّاج ؟ ويقول له: تعال إلى هنا يا أبا سعيد حتى أجلسَه على سريره ، ووضَعَه إلى جانبه ، ولما أخذ الحسنُ مجلسه التفت إليه الحجّاجُ ، وجعل يسأله عن بعض أمور الدين ، والحسنُ يجيبه عن كلِّ مسألة بجنان ثابت ، وبيان ساحر ، وعلم واسع ، فقال له الحجاج : أنت سيدُ العلماء يا أبا سعيد ، ثم دعا بغالية - نوع من أنواع الطيب - وطيّب له بها لحيته ، وودّعه ، ولما خرج الحسنُ البصري من عنده ، تبعه حاجبُ الحجاج ، وقال له: يا أبا سعيد لقد دعاك الحجاجُ لغير ما فعل بك ، دعاك ليقتلك، والذي حدث أنه أكرمك ، وإني رأيتك عندما أقبلت ورأيت السيفَ والنطعَ قد حرّكتَ شفتيك، فماذا قلت لربك ؟ فقال الحسن: لقد قلت: يا وليَ نعمتي ، وملاذي عند كربتي ، يا مؤنسي في وحشتي ، اجعل نقمته علي برداً و سلاماً ، كما جعلت النارَ برداً وسلاماً على إبراهيم .

**(الذين يبلغون رسالات الله ، ويخشونه ، ولا يخشون أحداً إلا الله)**

[ سورة الأحزاب: ٣٩]

وقد استنصح والي البصرة الحسن البصري مرة ، وقد جاءه من الخليفة توجيه إن نفذه أغضب الله ، وإن لم ينفذه أغضب الخليفة وعزله من الولاية ، قال له: اعلم أن الله يمنعك من يزيد ولكن يزيد لا يمنعك من الله .

## ٢ ـ العلم :

أما العلم فهو قوّة هائلة ؛ فالعلم يعطيك طاقة ، لا تتقيد بحدود الزمان أو المكان، وتكسب صاحبها علواً ومنزلة ،


العلم قوة

وتمهّد الطريق أمامه للرفعة في الدنيا والآخرة

**(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ )**

[ سورة المجادلة : ١١]

دخل سليمان بن عبد الملك الحرم ، ومعه الوزراء ، والأمراء ، والحاشية ، وقادة الجيش ، وكان حاسِرَ الرأس ، حافِيَ القدَمَيْن ، ليس عليه إلا إزارُهُ ، ورداء ، شأنُهُ كَشَأن أيّ حاجّ محرم من المسلمين ، ومن خلْفِهِ ولداهُ ، وهما غلامان كَطَلْعَة البدْر بهاءً ، وكأكْمام الورْد نضارةً وطيبًا ، وما إن انتهى خليفة المسلمين ، وأعظمُ مُلوك الأرض ، من الطّواف حول البيت العتيق ، حتى مالَ على رجلٍ من خاصَّتِهِ ، وقال : مَن عالم مكة ؟ فقال: عطاء بن أبي رباح ، قال: أروني عطاء هذا ، فالتقى به ، فوجده شَيْخًا حبَشِيًا ، أسْوَدُ البشَرَة، مُفَلْفَلُ الشّعْر ، أفْطَسُ الأنف ، إذا جلسَ بدا كالغُراب الأسْوَد ، كأن رأسه زبيبة ، مشلولاً نصفه ، لا يملك من الدنيا درهمًا ولا دينارًا ، فقال سليمان: أأنت عطاء بن أبي رباح الذي طوّق ذكرك الدنيا ؟ قال : هكذا يقولون ، قال : بماذا حصلت على هذا الشرف ؟ قال: باستغنائي عن دنيا الناس وحاجتهم إلى علمي الذي انقطعت له ثلاثين عاماً ، قال سليمان : لا يفتي في المناسك إلا عطاء.

وحدث بعد اللقاء الأول أن اختلف سليمان وأبناؤه في مسألة من مسائل الحج ، فقال: خذوني إلى عطاء بن أبي رباح ، فأخذوه إلى عطاء وهو في الحرم ، والناس متحلقون حوله ، فأراد سليمان أن يجتاز الصفوف ، ويتقدم إليه وهو الخليفة ، فقال عطاء : يا أمير المؤمنين خذ مكانك ، ولا تتقدم الناس ؛ فإن الناس سبقوك إلى هذا المكان ، فلما أتى دوره سأله المسألة فأجابه ، فقال سليمان لأبنائه: يا أبنائي ، عليكم بتقوى الله ، والتفقه في الدين ، فو الله ما ذللت في حياتي إلا لهذا العبد ، لأن الله يرفع من يشاء بطاعته ، وإن كان عبدًا حبشيًا ، لا مال ولا نسب ، ويذل من يشاء بمعصيته، وإن كان ذا نسب وشرف... ثم قال سليمان لأحد ولديه : يا بني هذا الذي رأيْتَهُ ورأيْتَ ذُلّنا بين يدَيْه هو وارث عبد الله بن عبّاس، الصحابيّ الجليل الذي أوتِيَ فهْمًا في القرآن الكريم ، وكان مَوْسوعةً في كلّ العُلوم ، ثمّ أرْدَفَ يقول : يا بنيّ تَعَلّم العِلم ، فَبِالعِلْم يشْرُفُ الوضيع ، وينْبُهُ الخامِل ، ويَعْلو الأرقّاء إلى مراتب المُلوك .

ولذلك قِيل : رُتْبةُ العِلْم أعلى الرُتَب ، تعلّموا العِلم ، فإنْ كنتُم سادةً فُقْتُم ، وإن كنتم وسطًا سُدْتُم ، وإن كنتم سُوقةً عِشْتُم.

وفي هذا العصر يأتمر صناع القرار في أقوى دول العالم بأولي الخبرة من العلماء ، فالعلماء في الحقيقة هم الذين يحكمون العالم .

## ٣ ـ العبادة الخالصة :

كان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، يقال له جُليبيب ، رجل فقير معدوم ، عليه أسمال بالية ، جائع البطن ، حافي القدمين ، مغمور النسب ، لا جاه ، ولا مال، ولا عشيرة ، ليس له بيت يأوي إليه ، ولا أثاث ، ولا متاع ، يشرب من الحياض العامة بكفيه مع الواردين ، وينام في المسجد ، وسادته ذراعه ، وفراشه الأرض ، وكان في وجهه دمامة ، لكنه صاحب ذكر لربه ، وتلاوة لكتاب مولاه ، لا يغيب عن الصف الأول في كل الصلوات ، ولا في كل الغزوات ، ويكثر الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم

قال له النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم: يا جُليبيب ألا تتزوج ؟ فقال: يا رسول الله ومن يزوجني ؟! فقال رسول الله: أنا أزوجك يا جُليبيب. فالتفت جُليبيب إلى الرسول فقال : إذاً تجدُني كاسداً يا رسول الله.. فقال الرسول الكريم : غير أنك عند الله لست بكاسد ، ثم لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يتحين الفرص حتى يزوج جُليبيا...

جاء في يوم من الأيام رجلٌ من الأنصار ، قد توفي زوج ابنته ، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ليتزوجها النبي ، فقال له النبي: نعم... ولكن لا أتزوجها أنا !! فسأله الأب: لمن يا رسول الله !! فقال صلى الله عليه وسلم: أزوجها جُليبيا.. فقال ذلك الرجل : يا رسول الله... تزوجها لجُليبيب ؟ انتظر حتى أستأمر أمها !! ثم مضى إلى أمها ، وقال لها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إليك ابنتك ، قالت: نعم لرسول الله ، ومن يرد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لها: إنه ليس يريدها لنفسه...!! قالت : لمن ؟ قال: يريدها لجُليبيب !! قالت: لجُليبيب ؟ لا لعمر الله ، لا أزوج جُليبياً ، وقد منعناها فلاناً وفلاناً... فاغتم أبوها لذلك ، ثم قام ليأتي النبي صلى الله عليه وسلم فصاحت الفتاة من خدرها وقالت لأبويها: من خطبني إليكما ؟؟ قال الأب: خطبك رسول الله.. قالت: أفتردان على رسول الله أمره... ادفعاني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني ! قال أبوها: نعم.. ثم ذهب إلى النبي الكريم وقال: يا رسول الله شأنك بها... فدعا النبي صلى الله عليه وسلم جُليبيا ثم زوجه إياها ، ورفع النبي صلى الله عليه وسلم كفيه الشريفتين وقال: اللهم صب عليهما الخير صباً ، ولا تجعل عيشهما كداً !! ثم لم يمض على زواجهما أيام حتى خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في غزوة ، وخرج معه جُليبيب ، فلما انتهى القتال اجتمع الناس ، وبدؤوا يتفقدون بعضهم بعضاً ، فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: هل تفقدون من أحد ؟ قالوا: نعم يا رسول الله نفقد فلاناً وفلاناً ، ونسوا جليبياً في غمرة الحديث ؛ لأنه ليس لامعاً ، ولا مشهوراً ، فقال صلى الله عليه وسلم: ولكنني أفقد جُليبيا.. فقوموا نلتمس خبره ، ثم قاموا وبحثوا عنه في ساحة القتال ، وطلبوه مع القتلى ، ثم مشوا فوجدوه في مكان قريب ، وقد استشهد.. فوقف النبي صلى الله عليه وسلم أمام جسده المقطع ، ثم قال: أنت مني وأنا منك ، أنت مني وأنا منك.. ثم تربع

النبي صلى الله عليه وسلم جالساً بجانب هذا الجسد ، ثم حمل هذا الجسد ووضعه على ساعديه ، وأمرهم أن يحفروا له قبراً.. قال أنس: فمكثنا والله نحفر القبر ، وجُليبيب ماله فراش غير ساعدي النبي صلى الله عليه وسلم.. قال أنس : فعدنا إلى المدينة وما كادت تنتهي عدة زوجة جليبيب حتى تسابق إليها الرجال يخطبونها..

إن الفقر والخمول ما كان في يوم من الأيام عائقاً في طريق التفوق والوصول.

إن قيمتك أيها الإنسان في معانيك الجليلة ، وصفاتك النبيلة ، لا في درهمك ودينارك ، ولا في بيتك ومتاعك.

## ٤ ـ الدعاء :


الدعاء قوة

هل من وضع أضعف من أن يجد الإنسان نفسه في فم حوت أزرق ؟ وبالمناسبة الحوت الأزرق يزيد وزنه عن مئة وخمسين طناً ، خمسون طناً لحماً ، وخمسون طناً دهناً ، وخمسون طناً عظماً ، ويستخرج منه تسعون برميلاً من زيت السمك ، ووجبته الصغيرة بين الوجبتين أربعة أطنان من السمك ، وإحدى رضعات وليده تزيد عن ثلاثمئة كيلو من الحليب ، ويستطيع الإنسان أن يقف على قدميه في فمه . لو وجد الإنسان نفسه في فم الحوت كم نسبة احتمال النجاة ؟ قطعاً هي معدومة يقيناً ، لكن سيدنا يونس عليه السلام لحكمة تعليمية أرادها الله جل جلاله سمح لحوت عظيم أن يلتقم نبيه الكريم قال تعالى:

**( وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ )**

[ سورة الصافات: ١٣٩-١٤٤]

و قال :

**( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ )**

[ سورة الأنبياء:٨٧- ٨٨]

وقد يقول قائل: إن هذا استثناء لنبي كريم ، ونقول له: هي قصة وقعت ، لكن الله جل جلاله حينما قال:

**( وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ )**

[ سورة الأنبياء: ٨٨]

جعلها قانوناً ينتفع به كل المؤمنين الصادقين في كل زمان ومكان ، فالدعاء سلاح المؤمن ، فإذا أردت أن تكون أقوى الناس فادع القوي تكن قوياً .

## ٥ ـ الاعتزاز بالله :

رستم قائد فارس ، وتحت يديه مئتان وثمانون ألفًا من الجنود ، يقول لسعد بن أبي وقاص القائد المسلم : أرسل إليّ من جنودك رسولاً أكلمه ، فأرسل له سعدٌ رضي الله عنه ربعيّ بن عامر ، وعمره ثلاثون عاماً ، من فقراء الصحابة ، قال له سعد: اذهب ولا تغير من مظهرك شيئًا ، لأننا قوم أعزنا الله بالإسلام ، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله ، فخرج ربعيّ بفرسه الهزيل ، وثيابه الرثة ، ورمحه البسيط ، فلما سمع رستم أن وافد المسلمين سوف يدخل عليه ، جمع حوله الأسرة الحاكمة ، والوزراء ، والجنود ، واستعدوا لأن يرهبوا هذا الوافد ، لعلّه يتلعثم ، فلا يستطيع الكلام، فلما جلس رستم قال: أدخلوه عليّ ، فدخل يقود فرسه ، واعتمد برمحه على بُسُطهم ليظهر لهم أن الدنيا حقيرة ، وأنها رخيصة ، وأنها لا تساوي عند الله شيئًا ، ومن علامات رخصها وحقارتها أن الله أعطاها لمن لا يحب ، وجعل سعد بن أبي وقاص ينام على الثرى ، فلما وقف أمامه قال له رستم : اجلس ، قال ربعيّ : ما أتيتك ضيفًا حتى أجلس ، وإنما أتيتك وافدًا ، فقال رستم والترجمان بينهما : مالكم أيها العرب ، ما علمنا - وأقسم بآلهته - قوماً أذل ولا أقل منكم شأناً ، أنتم أهل جعلان تطاردون الإبل في الصحراء ، فما الذي أتى بكم ؟ قال ربعيّ: نعم أيها الملك كنا كما قلت وزيادة ، كنا أهل جهالة نعبد الأصنام ، يقتل القريب قريبه على شاة ، ولكن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سَعَة الآخرة ، وللقصة تتمة... اسألوا عنها.

**اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت**

***

## ٦ ـ الإصرار :

قال أحد الفلاسفة: إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلّما تنقضه الأيام إن كان صادراً حقاً عن إرادة وإيمان .

روى لي عالم جليل أنه كان في صعيد مصر إنسان أمي ، في الخامسة والخمسين من عمره ؛ لا يعرف السماء من الأرض ، ولا الطول من العرض ، وقد ذهب ابنه الشاب إلى الأزهر في القاهرة ، وبعد سنوات عدة ، عاد ابنه إلى قريته خطيباً لمسجدها ، جلس أبوه في المسجد يستمع إلى خطبة ابنه ، وبدل أن يمتلئ قلبه فرحاً بما وصل إليه ابنه من علم ودعوة ، امتلأ قلبه حزناً وحسرة على عمره الذي أمضاه في الجهل والغفلة ، واتخذ قراراً مصيرياً ، وركب حمارته الهزيلة متجهاً بها من صعيد مصر إلى أزهر القاهرة ، واستغرقت الرحلة عشرات الأيام ، ولما وصل إلى القاهرة... سأل أين الأزعر ؟ فقيل له أي أزعر؟ إنه الأزهر ، فالتحق به ، وتعلم القراءة والكتابة ، ثم قرأ القرآن ، ثم طلب العلم... ومازال يطلب العلم حتى انتهى به طلب العلم إلى أن صار شيخ الأزهر ، بل ما مات إلا وهو شيخ الأزهر ، وهو أعلى منصب ديني في مصر ، وشيخ الأزهر بمرتبة رئيس للوزراء .

## ٧ ـ الجمال :

المرأة في الأصل جميلة ، ومحببة إلى زوجها ، وجمالها قوة كبيرة ، لا تحتاج إلى دليل ، ولا إلى شرح طويل ، ولكنها قوة حيادية ، يمكن أن توظف في الخير ، كما يمكن أن توظف في الشر ، فيمكن بجمالها أن تكون أداة إغواء ، وإفساد ، وانحلال كما ترون ، كما يمكن بجمالها أن تكون أداة ترويض ، وإصلاح ، واكتمال ، كما ترون ، وقد أدرك الغربيون هذه الحقيقة ، فكانوا يجبروننا بالقوة المسلحة على أن نفعل ما يريدون، لكنهم الآن - من خلال البث الفضائي - يجبروننا بالقوة الناعمة أن نريد ما يريدون ، وقالوا: وراء كل رجل عظيم امرأة ، وأحياناً لولا المرأة لكان الرجل عظيماً ، إنها قوّة في الخير إذا استقامت ، وقوّة في الشر إذا انحرفت .

الجمال قوة وجمال المرأة أخلاقها

قال بعض أدباء مصر: إن خير النساء من تضيف إلى جمالها جمال أخلاقها ، ويكون عقلها جمالاً ثالثاً ، فهذه المرأة إن أصابت الرجل الكفء يسرت عليه ، ثم يسرت عليه، ثم يسرت عليه ، إذ تعد نفسها إنساناً يريد إنساناً ، ولا تعرض نفسها متاعاً يريد شارياً.

## ٨ ـ العفة :

نبي كريم ابن كريم ابن كريم ، يوسف عليه السلام ، كان طفلاً أثيراً عند أبيه سيدنا يعقوب ، ائتمر إخوته عليه ، وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب ، ليتخلصوا منه - والقصة معروفة - ومرت بالبئر قافلة واستخرجته ، وباعته بثمن بخس ، وانتهى به البيع ليكون عبداً في قصر عزيز مصر ، وكان آية في الجمال ، فدعته امرأة العزيز إلى نفسها ، فاستعصم ، وقال : معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي ، وانتهى به الأمر إلى أن صار أقوى رجل في مصر ، صار عزيز مصر ، قال تعالى :

**( إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)**

[ سورة يوسف:٩٠]

**( كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ )**

[ سورة يوسف:٢٤]

## ٩ ـ التسبيح :

التسبيح قوة وسبيل إلى الفرج من دون حاجة إلى وسائط بشرية تتقوى بها لتعينك على قضاء حوائجك ، يقول الله تعالى عن يونس في أثر قوّة التسبيح:

**( فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ )**

[ سورة الصافات :١٤٣-١٤٥]

## ١٠ ـ الاستغفار :

قال تعالى:

**( فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً )**

[ سورة نوح : ١٠-١٢ ]

وفي حديث ابن عباس :

**((من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب ))**

[أبو داود عن ابن عباس]

## ١١ ـ التقوى :

قال تعالى:

( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ )

[ سورة الطلاق : ٢-٣]

## ١٢ ـ الاستقامة :

قال تعالى:

( إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ )

[ سورة فصلت : ٣٠-٣٢]

## الشرف أن يكون الإنسان عبدًا لرب الأرض والسموات :

ومجمل القول : الشرف كل الشرف ليس في الدور ، ولا القصور ، ولا في الأموال ، ولا في الأولاد ، ولا في الهيئات ، ولا في الذوات ، الشرف أن تكون عبدًا لرب الأرض والسموات ، الشرف أن تكون ولياً من أولياء الله الصالحين ، الذين يعملون الصالحات، ويجتنبون المحرّمات ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

أيها الأخوة الكرام ، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني .

* * *

**الخطبة الثانية :**

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الإيمان قوة مطلقة :

نتابع موضوع الخطبة ، ونصل إلى حقيقة خطيرة وهي أن الإيمان قوة مطلقة ، إن لم تقطف ثماره في الدنيا قطفت في الآخرة .

ماشطة بنت فرعون هي تلك المرأة الصالحة ، التي كانت تعيش هي وزوجها في ظل ملك فرعون، زوجها مقرب من فرعون.. وهى خادمة ومربية لبنات فرعون ، فمنّ الله عليهما بالإيمان... وعلم

فرعون بإيمان زوجها فقتله ، فلم تزل الزوجة تعمل في قصر فرعون تمشط بناته ، وتنفق على أولادها الخمس ، وفي يوم من الأيام وهي تمشط ابنة فرعون ، وقع المشط من يدها فقالت: بسم الله، فقالت ابنة فرعون : الله... أبي ؟ فصاحت الماشطة بابنة فرعون: كلا.. بل الله ربي وربك ورب أبيك ، فتعجبت البنت أن تعبد ماشطتها غير أبيها ، فأخبرته فعجب فرعون أن يوجد في قصره من يعبد غيره ، فدعا بها ، وقال لها: من ربك ؟ فقالت: ربي وربك الله ، فاشتعل غيظاً ، وأمر بقدر من نحاس مملوء بالزيت المغلي ، وأوقفها أمام القدر ، فلما رأت العذاب ، أيقنت أنما هي نفس واحدة ، تخرج وتلقى الله تعالى ، وعلم فرعون أن لها أولاداً أيتاماً وهي تكدح لهم لتطعمهم ، فأراد أن يزيد من عذابها فأمر بإحضار أطفالها الخمس ، فلما رأوا أمهم تعلقوا بها وهم يبكون ، فانكبت عليهم تقبلهم وتبكي ، وأخذت أصغرهم وكان رضيعاً ضمته إلى صدرها ، وألقمته ثديها ، فلما رأى فرعون المنظر سأل أمهم : ألك رب غيري ؟ قالت : الله ربي وربك ، فأمر برمي أكبرهم في القدر ، فجره الجنود ، ودفعوه إلى الزيت المغلي ، والغلام يصيح بأمه ويستغيث ، ويسترحم الجنود ، ويتوسل إلى فرعون ، ويحاول الفكاك والهرب ، وينادي إخوته الصغار ، ويضرب الجنود بيديه الصغيرتين ، وهم يصفعونه ويدفعونه ، وأمه تنظر إليه وتودعه ، فما هي إلا لحظات حتى ألقي الصغير في الزيت المغلي ، والأم تبكي ، وإخوته يغطون أعينهم بأيديهم الصغيرة ، حتى ذاب لحمه من على جسده النحيل ، وطفت عظامه البيضاء فوق الزيت ، فنظر إليها فرعون ، وقال لها: ألك رب غيري ؟ قالت : الله ربي وربك ، وأمرها أن تنطق بكلمة الكفر أمرها أن تقول : أنت ربي ، فأبت عليه ذلك ، فغضب فرعون وأمر بولدها الثاني فسحب من عند أمه وهو يبكي ، ويستغيث ، وألقي في القدر ، فما هي إلا لحظات ، حتى طفت عظامه البيضاء ، واختلطت بعظام أخيه ، والأم ثابتة على دينها ، موقنة بلقاء ربها ، ثم قال لها: ألك رب غيري ؟ قالت: الله ربي وربك ، ثم أمر فرعون بالولد الثالث ، فسحب وفعل به ما فعل بأخويه ، والأم ثابتة على دينها ، فأمر فرعون أن يطرح الرابع في الزيت ، فأقبل الجنود إليه ، وكان صغيراً يتعلق بثوب أمه ، فلما جذبه الجنود بكى ، وانطرح على قدمي أمه ، ودموعه تجري على رجليها ، فحاولت أن تحمله لتودعه ، وتقبله قبل أن يفارقها، فحال الجنود بينه وبينها ، وحملوه من يديه الصغيرتين ، وهو يبكي ، ويستغيث ، ويتوسل ، بكلمات غير مفهومة ، وهم لا يرحمونه ، وما هي إلا لحظات حتى غرق في الزيت المغلي ، وغاب الجسد ، وانقطع الصوت ، وعلت عظامه الصغيرة البيضاء فوق الزيت ، والأم تنظر إلى عظامه ، وقد رحل عنها إلى الدار الآخرة ، وهي تبكي لفراقه ، إذ طالما ضمته إلى صدرها ، وأرضعته من ثديها ، وطالما سهرت لسهره ، وبكت لبكائه ، بقي الرضيع الذي يلتقم ثديها... فجاهدت الأم نفسها أن تتجلد وتتماسك ، وهنا سألها فرعون: ألك رب غيري ؟ فسكتت ، وتضعضعت... وهنا حدثت المعجزة التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أنطق الله هذا الرضيع فقال: اثبتي يا أمي... أنت على الحق... - ورد

هذا في فتح الباري في شرح صحيح البخاري - فقالت الأم لفرعون : الله ربي وربك ، فأمر فرعون الجنود ، فانطلقوا إليها ، وتدافعوا نحوها ، وانتزعوا الخامس الرضيع من بين يديها ، وكان قد التقم ثديها ، فلما انتزع منها صرخ ، وبكت المسكينة ، وألقي في الزيت ، وفي فمه بقايا من حليبها ، وفي يده شعرة من شعرها ، وعلى ثيابه بقية من دمعها ، وذهب الأولاد الخمس، وبعد قليل ستكون معهم ، ولم يبق إلا هي فأقبلوا إليها كالكلاب الضارية ودفعوها إلى القدر ، فلما حملوها ليقذفوها في الزيت نظرت إلى فرعون وقالت له : اجعل عظامي وعظام أولادي في قبر واحد ، كانت هذه الماشطة تستطيع أن تحول بينها وبين هذا العذاب الذي لا يحتمله بشر بكلمة كفر تسمعها لفرعون لكنها علمت أن ما عند الله خير وأبقى... فلله در هذه الماشطة.. فما أقوى إيمانها ، وما أعظم ثباتها، وحينما لا يملك الإنسان سلاحاً يحمي به نفسه ، أو يواجه به عدوه ، يثبت على مبدئه ولا يتضعضع أمام الطغيان ، يكون قد انتصر انتصاراً مبدئياً ، يقطف ثماره في اليوم الآخر .

ولقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء شيئاً من نعيم هذه الماشطة فحدث أصحابه به وقال :

**(( لما أسرى بي مررت برائحة طيبة - لم أشم مثلها قط - ، فقلت ما هذه الرائحة يا جبريل ؟ فقال لي: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها))**

[مسند البزار عن ابن عباس ]

وفي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما - أي ما بين المشرق والمغرب - ولملأته ريحاً ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ))**

[البخاري عن أنس ]

## معركة الحق والباطل معركة أزلية أبدية :

لنا أن نستنبط من هذه القصة الشيء الكثير ، ولنا أن نأخذ منها إسقاطات كثيرة على واقع العرب والمسلمين ، والفراعنة الذين تآمروا على الأمة العربية والإسلامية كثيرون، وهم في كل عصر ومصر ، فمعركة الحق والباطل معركة أزلية أبدية ، ولعل في هذه القصة مواساة لمن يقتل مقهوراً ثابتاً على مبدئه ، متمسكاً بقيمه .

**(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ )**

[ سورة آل عمران: ١٣٩]

قال تعالى:

**( إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً**

**وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ )**

[ سورة القصص:٤-٦]

**( وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ )**

[ سورة يونس:٩٠]

**( وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ )**

[ سورة غافر:٤٥-٤٦]

هذه قصة الطغاة في الأرض .

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٧١) : خ١ - صلاة الاستسقاء - الأقوياء – بحضور السيد وزير الأوقاف .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٥-١٢-١٦

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

## تثبيت النواميس والقوانين في الأرض

إنّ المتفكِّرَ في خلق السماوات والأرض يتبدى له من خلال جولته التأمُّلية أنّ الله ثبَّت أشياء كثيرة، منها النواميس والقوانين التي تحكم حركة الحياة، وثبّت خصائص الأشياء التي نتعامل معها، وثبّت دورة الأفلاك المحيطة بنا، وكل ذلك ترسيخا للنظام الكوني، وتحقيقاً لتسخير الأشياء لنا، كي ننتفع بها في حياتنا الدنيا، ولكي ترشدنا إلى ربنا، فنعرفه، ونطيعه، ونسعد بقربه في الدنيا والآخرة . وحَرّك أشياء قليلة، منها الصحة والرزق، لتكون وسائل لتربيتنا، والأخذ بيدنا إلى الله وإلى جنته، فالإنسان حريص على سلامته وعلى رزقه.

## التقنين الإلهي تأديب وتربية

ومن الثابت أن التقنين الإلهي هو تقنينُ تأديبٍ وتربية، لا تقنين عجز وضعف، قال تعالى:

**(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ)**

( سورة الشورى: الآية ٢٧ )

وقال سبحانه:

**(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ، وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)**

( سورة الحِجْر: الآية ٢١ )

ثم إن الله جل وعلا لا يسوق لعباده شِدّة إلا بما كسبت أيديهم، ويعفو عن كثير، قال عز وجل:

**( مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ)**

( سورة النساء: الآية ١٤٧ )

وقال عزّ مِن قائلٍ:

**(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)**

( سورة الشورى: الآية ٣٠ )

روى ابن ماجة والبزار والبيهقي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

**(( يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ ))**

[ ابن ماجه، والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهما]

## الماء قوام الحياة

من النعم العظيمة التي من الله تعالى بها على الإنسان نعمة الماء العذب، فالماء العذب أفضل شراب، وأعظم صدقة، ورحمة الله لخلقه، وحيث وجد الماء وجدت الحياة .

قال تعالى:

**( وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ )**

( سورة الأنبياء: من الآية ٣٠ )

إنّ الحياةَ على وجهِ الأرض ؛ حياةَ الإنسان، وحياةَ الحيوان، وحياةَ النباتِ، قوامُها الماءُ، فالماءُ هو الوسيطُ الوحيدُ الذي يحملُ الأملاحَ، والموادّ الغذائية منحلّة فيه إلى الكائن الحيّ، ولولا الماءُ لَمَا كانت حياةٌ على وجهِ الأرض.

## كثرة المطر وقلته

لذلك يتفضل الله به علينا، فيهطل في كلّ ثانيةٍ مِن السماءِ إلى الأرض على مستوَى الكرةِ الأرضيةِ ستة عشر مليونَ طنّ مِن الماءِ، هذا التهطال لا يزيد ولاينقص كل عام، ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام:

**(( مَا عَامٌ بِأَمْطَرَ مِن عَامٍ ))**

[البيهقي في السنن الكبرى عن ابن مسعود]

وهذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، ولكن التوزيع يختلف من عام إلى عام، فيكون الجفاف في مكان، والفياضانات في مكان آخر، لحكمة أرادها الله علمها من علمها، وجهلها من جهلها

وقد تنقطع أسباب الرزق بانقطاع الأمطار، فتغور الينابيع وتجف الأنهار، وييبس الزرع، ويموت الضرع، ويهدد الإنسان بافتقاد كأس الماء، ولقمة العيش، ويجد نفسه مضطرا أن يخرج من أرضه الجدباء مشرداً، وأن يغادر بيته الخاوي هائماً على وجهه، وقد شرع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الاستسقاء طَلَبًا لِلرّحْمَةِ وَالْإِغَاثَةِ بِإِنْزَالِ المَطَرِ الّذِي هُوَ حَيَاةُ كُلّ شَيْءٍ مِمّنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ، وَيَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَهُوَ اللّهُ جَلّ جَلَالُهُ.

ثَبَتَتْ مَشْرُوعِيّتُهُ بِالنّصّ وَالْإِجْمَاعِ، أَمّا النّصُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى:

**(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبّكُمْ إِنّهُ كَانَ غَفّارًا * يُرْسِلْ السّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا)**

( سورة نوح: الآية ١٠-١٢ )

كَمَا اسْتَدَلّ لَهُ بِعَمَلِ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم وَخُلَفَائِهِ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الصّحِيحَةُ فِي اسْتِسْقَائِهِ صلى الله عليه وسلم، فعَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ:

**(( كَانَ النّبِيُّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَقَامَ النّاسُ فَصَاحُوا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ، قحط الْمَطَرُ، وَاحْمَرّتْ الشّجَرُ، وَهَلَكَتْ الْبَهَائِمُ، فَادْعُ اللّهَ يَسْقِينَا، فَقَالَ: اللّهُمّ اسْقِنَا، مَرّتَيْنِ، وَايْمُ اللّهِ، مَا نَرَى فِي السّمَاءِ قَزَعَةً مِنْ سَحَابٍ، فَنَشَأَتْ سَحَابَةٌ، وَأَمْطَرَتْ، وَنَزَلَ عَنْ الْمِنْبَرِ فَصَلّى، فَلَمّا انْصَرَفَ لَمْ تَزَلْ تُمْطِرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الّتِي تَلِيهَا، فَلَمّا قَامَ النّبِيُّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَخْطُبُ صَاحُوا إِلَيْهِ، تَهَدّمَتْ الْبُيُوتُ، وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ، فَادْعُ اللّهَ يَحْبِسْهَا عَنّا، فَتَبَسّمَ النّبِيُّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، ثُمّ قَالَ: اللّهُمّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا، فَكَشَطَتْ الْمَدِينَةُ، فَجَعَلَتْ تَمْطُرُ حَوْلَهَا، وَلَا تَمْطُرُ بِالْمَدِينَةِ قَطْرَةً، فَنَظَرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِنّهَا لَفِي مِثْلِ الْإِكْلِيلِ))**

[ البخاري ]

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ:

**(( شَكَا النّاسُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قُحُوطَ الْمَطَرِ ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلّى ، وَوَعَدَ النّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشّمْسِ ، متواضعاً، متبذلاً، متخشعاً، مترسلاً، متضرعاً فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَكَبّرَ وَحَمِدَ اللّهَ عَزّ وَجَلّ، ثُمّ قَالَ: إِنّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ ، وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ ، وَقَدْ أَمَرَكُمْ اللّهُ عَزّ وَجَلّ أَنْ تَدْعُوَهُ ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ، ثُمّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرّحْمَنِ الرّحِيمِ ، مَالِكِ يَوْمِ الدّينِ، لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ، اللّهُمّ أَنْتَ اللّهُ، لَا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ، أَنْتَ الْغَنِيُّ، وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ من السماء، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ، ثُمّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرّفْعِ حَتّى بَدَا بَيَاضُ إِبِطَيْهِ ، ثُمّ حَوّلَ إِلَى النّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ أَوْ حَوّلَ**

**رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمّ أقبَلَ عَلَى النّاس ، وَنَزَلَ فصلّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللّهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ، وَبَرَقَتْ، ثُمّ أمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللّهِ تَعَالى، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتّى سَالَتْ السُّيُولُ، فَلَمّا رَأى سُرْعَتَهُمْ إلَى الْكُنّ ضَحِكَ حَتّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فقال: أشْهَدُ أنّ اللّهَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قدِير ، وَأنّي عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ))**

[أبو داود ]

وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيّ أَنَّهُ قَالَ:

**(( صَلّى لَنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ اللّيْلَةِ، فَلَمّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النّاسِ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ ))**

[ البخاري ومسلم ]

* * *

**الخطبة الثانية:**

## الموضوع الساخن

وإلى الموضوع الساخن:

ما هذا العالم !؟ إنه عالم أحمر من الدماء التي تسفك ظلماً... ما هذا العالم الذي ليس في قاموسه إلا ( القتل، والتدمير، والقصف، والمداهمة، والقبض، والاعتقال، والتعذيب، والاغتيال، وأنهار من الدماء تجري...)، حتى إنك لتشك في إنسانية هذا العالم، فضلاً عن قيمه وأخلاقه، وحقيقة انتمائه إلى دينه.

هل هذه حياة تعاش ؟

هل هذه حضارة تثمن ؟

هل هذه دول متقدمة ؟ أم أنها أبَت إلا أن تأخذ بنصيبها من التخلف والهمجية، وإلا فبماذا تفسر تلك الأعمال الإجرامية والإرهاب الدولي ضد أبرياء وعزل وأصحاب حقوق سليبة، وكرامات منتهكة ؟

## مسرحيات وتناقضات صارخة

إن حياة الغاب أرحم بكثير مما نشاهده في مسرحية ( الحرية والديمقراطية، وحقوق الإنسان ) التي استمتعنا بالفصل الأول منها، ونحن في غفلة ساهون، وبكينا في الفصول اللاحقة ؛ كفصل (التطهير العرقي... ومكافحة الإرهاب... بإرهاب يفوق حد الوصف )، لكن المخرج المخادِع حاول أن ينسينا

فصول الجريمة بقضايا براقة، من ( العولمة، التي لا تعني سوى الحيونة، أي أن تثير في الإنسان الجانب الحيواني ليس غير ) .

ففي بلاد قوية تمت الهجرة إليها، ويتحدث أولو الأمر فيها كثيراً عن الحرية، فقد تم إبادة الملايين من سكانها الأصليين، وقد قال مندوب لصحيفة، وهي واحدة من أشهر ثلاث صحف في هذا البلد القوي: لا توجد قيم ولا أخلاق، وإنما هي القوة، والقوة وحدها، ومنذ خمسة آلاف سنة، والقوي يفرض ما يريد، وكلما أمعن في القوة كسب أكثر، فنحن حينما استأصلنا الهنود الحمر، والإنكليز حين استأصلوا سكان استراليا الأصليين نجحنا في حسم المعركة، بينما البِيْض في جنوب إفريقية لأنهم كانوا أرحم، ولم يستأصلوهم بالكلية انقلبوا عليهم، وانتصروا في النهاية ! وهذا هو التطهير العرقي، قتل كعقاص الغنم، لا يدري القائل لَمَ يقتل، ولا المقتول فيمَ قُتِل، يوم يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى، ولا يستطيع أن يغيّر، إن تكلم قتلوه، وإن سكت استباحوه، إذن... ليس عند الأقوياء مبادئ ولاقيم، ولا شعور إنساني، إنما الذي عندهم سيناريو متقن أو غير متقن، وصفقة كبيرة أو صغيرة .

والذين غزوا العراق بحثاً عن أسلحة الدمار الشامل، استخدموا أسلحة الدمار الشامل المحرمة دوليا مرات عديدة في حربه مع الشعب الأعزل، كاليورانيوم المخضب، والقنابل الفسفورية .

وباعتراف رسمي منه، ولأول مرة يعترف رئيسهم البارحة بأن قراره بشن حرب على العراق كان قراراً خاطئاً، لأنه استند إلى معلومات استخبارية خاطئة، وما نفعل بمئات الألوف من القتلى، والمعاقين ؟ من يدفع دية القتلى ؟ وتعويضات المعاقين ؟ ومن يعوض الأرملة عن زوجها، ومن يعوض اليتامى عن آبائهم ؟ وتدمير البنية التحتية من يدفع تكاليف إعادة بنائها ؟ في حين أن الجهة العربية التي اتهمت بإسقاط طائرة غربية أُجبرت هذه الجهة المتهمة على دفع عشرات المليارات من الدولارات، كدية لركاب الطائرة التي أسقطت .

**قتل امرئ في بلدة جريمة لاتغتفر وقتل شعب مسلم مسألة فيها نظر**

وهيئة الأمم في حقيقتها بعد هيمنة القطب الواحد هيئة أكل حقوق الأمم، ومجلس الأمن أداة بيد الأقوياء لبث الرعب في شعوب ضعيفة، لاحول لها ولا قوة، ولا علاقة لها بسب فرض العقوبات .

## نتائج الحرب والحصار الإقتصادية والإجتماعية والثقافية

وآثارالحصار الاقتصادي على بعض الشعوب العربية والاسلامية تفوق حد الخيال، فعدد كبير من الأطفال مات دون سن الخامسة، بسب نقص حاد في الغذاء والدواء، ويعاني الباقون أمراضاً نفسية تلازمهم طوال حياتهم، ونتيجة لهذا الحصار فقد تم تسريح ما يقارب ثلثي القوى العاملة، مما أسهم

في زيادة معدلات البطالة، وتمزق الحياة الأسرية نتيجة الانخفاض الحاد للدخل، أو انعدامه، وارتفاعت معدلات الجريمة، والعنف الاجتماعي، والرشوة، والانتحار، والسرقة، والتهريب، والبغاء، وجنوح الأحداث، وظواهر اجتماعية أخرى تؤكد الخلل الخطير في بنية المجتمع المحاصر.

ونتيجة لهذا الحصار كانت هجرة العقول بأعداد كبيرة، حيث يقدر رسميا أن أكثر من ثلاثة وعشرين ألف باحث وعالم وأستاذ جامعي وطبيب متخصص ومهندس مرموق تركوا بلدهم المحاصر، وبلغ التضخم النقدي أربعاً وعشرين ألف ضعف، فإذا كان دخل الموظف من المرتبة الأولى خمسة آلاف دينار في الشهر، صار يساوي إثنين ونصف دولار، وقد هجر المهندسون والعلماء وأساتذة الجامعات الذين لم يستطيعوا مغادرة بلدهم المحاصر، هجروا وظائفهم، وعملوا في بيع الدخان في الشوارع، أو قيادة سيارات الأجرة، أو الصيد من أجل لقمة العيش، وزادت معدلات الجريمة والدعارة إلى درجة خطيرة .

هذه فقرات من تقرير اليونسيف، إحدى منظمات الأمم المتحدة، أخذ من موقع معلوماتي.

## مبدأ الإسراف والتبذير لحفظ الأسعار

وفي بلد قوي آخر يعتمد في الدرجة الأولى على تصدير الأغنام إلى شتى بقاع الأرض، تم إعدام عشرين مليون رأس من الغنم رمياً بالرصاص، وتم دفنها ؛ حفاظا على السعر المرتفع الذي يحقق لتجار الأغنام هناك ربحاً فلكياً .

وفي بلد قوي آخر يتم إتلاف كميات من مشتقات الحليب يقترب حجمها من حجم أحد أهرامات مصر، حفاظاً على السعر المرتفع.

وفي بلد قوي آخر يتم إتلاف المحاصيل الزراعية حفاظاً على أسعارها المرتفعة، وتسميمها خوفاً من أن يأكلها الفقراء مجاناً، فيقلّ الطلب على شرائها، بينما هناك شعوب فتكت فيها المجاعات، وهم في أمسّ الحاجة إلى اللحوم والألبان والمحاصيل، والبلاد القوية ترسل نفاياتها الذرية إلى بلاد ضعيفة مع المساعدات الغذائية الهزيلة حتى تسبب لشعوبها الأمراض السرطانية بشكل وبائي لآلاف السنين، والبلاد القوية الآن تصنع الأدوية وتجربها على شعوب ضعيفة فتدرأ بهذا الخطر عن شعوبها .

أما عدونا القريب فهذا موقفه: رئيس وزرائه قال لصحفي إسرائيلي في سنة ١٩٨٢: إنه لن يكون أفضل من ترومان الذي قتل نصف مليون ياباني بقنبلتين جميلتين .

وقال: ربما سيكرهني العالم، وسيخشاني بدلا من أن أشتكي إليه، وربما يخاف من ضرباتي الجنونية بدلا من أن يعجب بروحي الجميلة، وليرتجف مني، وليعامل بلدي كبلد مجانين، وليقل: إننا

متوحشون، وإننا نمثل خطر الموت لجميع الجيران، وإننا جميعنا غير أسوياء، ونستطيع أن نغرس أزمة فظيعة إذا قتل طفل واحد منا، وأن نفجر بسبب ذلك آبار البترول في جميع الشرق الأوسط !

## الحياة بين عظمة الأنبياء وجبروت الأقوياء

هذا الحديث عن الأقوياء في شتى بقاع الأرض، وعبر العصور والدهور، والذين يتحرشون بنا اليوم، فالأقوياء أخذوا ولم يعطوا، وملكوا الرقاب ولم يملكوا القلوب، وعاش الناس لهم ولم يعيشوا للناس، ويمدحون في حضرتهم لا في غيبتهم، واستحقوا لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، بينما الأنبياء هم قمم البشر، أعطوا ولم يأخذوا، وملكوا القلوب لا الرقاب، وعاشوا للناس ولم يعش الناس لهم، ويمدحون في غيبتهم، وإلى آلاف السنين، والناس جميعاً تبع لقوي أو نبي .

هؤلاء الأقوياء، وهذه أفعالهم، لايحق لهم الحديث عن الإرهاب، فضلاً عن محاربته، لأنهم سادته وصانعوه .

## الإرهاب: مفهومه و معاييره و ردود أفعاله

يقول السيد الرئيس في كلمته في مؤتمر القمة المنعقد في بيروت من: **" لا يمتلك الفكر المضاد للإرهاب لا يستطيع أن يكافح الإرهاب، ولا أن يتحدث عنه، ولا نستطيع أن نرى الإرهاب الأصغر، ونتعامى عن الإرهاب الأكبر، وأي طرح للإرهاب في العالم، ولا تكون إسرائيل هي محوره، فهو طرح ناقص غير موضوعي ".**

إن نتائج الظلم لا يمكن ضبط حساباتها، ولا تقدير ردود أفعالها، وذلك أن ردود فعل المقهورين والمظلومين كشظايا القنابل تطيش في كل اتجاه، وتصيب من غير تصويب.

إن ردود أفعال المظلومين و الموتورين لا يمكن التحكم في مداها ولا اتجاهها، وإنها تطيش متجاوزة حدود المشروع والمعقول، مخترقة شرائع الأديان، وقوانين الأوطان، وتكفر أول ما تكفر بهذه القوانين التي لم توفر لها الحماية أولاً ؛ فلذا لن تقبلها حامية لأعدائها، فإن العلاج الأول والحقيقي هو نزع فتيل الظلم الذي يشحن النفوس بالكراهية والمقت، ويعمي البصائر والأبصار عن تدبر عواقب الأمور، والنظر في مشروعيتها أو نتائجها.

حين ينتظر الناس طويلاً قبل أن ينالوا حقوقهم فمن المرجح أنهم سيتصرفون في فترة الانتظار بطريقة يصعب توقعها.

اللهم يا رب إن أعداءك، وأعداءنا يقولون كما قالت عاد من قبل:

**( مَنْ أشَدُّ مِنّا قُوّةً )**

يا رب لقد غاب عنهم بغرورهم أنك أشد منهم قوة، اللهم إنا نسألك بدموع الأطفال وبكائهم، وبخشوع الشباب وتضحياتهم، وببطولة الشابات والتزامهن، وصلاح الأمهات ووعيهن، وبركوع الشيوخ ودعائهم أن تجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، وأن تحفظ أهله من كل سوء، فهو يستظل بظل كتابك، ويهتدي بهدي نبيك، وأن تحفظ سائر بلاد المسلمين .

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٧٢) : خ١ - خطبة عيد المعلم ، خ٢ - الإسلام والعلم .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٣-١٧

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

موضوع الخطبة اليوم الإسلام والعلم، فبالعلم يكرم المرء، وبالجهل يهان .

فالنبي صلى الله عليه وسلم حدد الغاية الأولى من بعثته، والمنهج الأمثل لدعوته، فقال فيما رواه الإمام مالك:

**(( إنما بُعثتُ معلماً، إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق))**

فالهدف الأول لدعوته، هو إرساء البناء الأخلاقي للفرد، والمجتمع، لأنه ثمن سعادة الدنيا والآخرة، والوسيلة هي التعليم لا التعنيف، قال صلى الله عليه وسلم:

**(( علموا ولا تُعنّفوا، فإن المعلم خير من المُعنّف ))**

والله جل جلاله بدأ أول سورة أنزلت من القرآن الكريم بكلمة " **اقرأ** " التي نزلت أول ما نزلت من القرآن الكريم:

**(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى)**

( سورة العلق )

وقد أشار الله جل جلاله إلى العلم بمفتاحه وهو فعل اقرأ، وفي اللغة إن الفعل إذا حذف مفعوله أطلق معناه، فلنقرأ في كتاب الله، أو في بيان المعصوم صلى الله عليه وسلم، أو في كتاب الكون ؛ فالكون قرآن صامت، والقرآن كون ناطق، والنبي صلى الله عليه وسلم قرآن يمشي، لكن الله جل جلاله قال: " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ " فالأصل في القراءة الأولى أن تكون قراءة بحث وإيمان، تنتهي يقيناً إلى معرفة الله موجوداً وواحداً وكاملاً، وخالقاً ومربياً ومسيرا، وهذه القراءة مقدور عليها بدليل أنها تنطلق من أقرب شيء إلى الإنسان من نفسه التي بين جنبيه، قال تعالى:

**( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ )**

ولكن القراءة الثانية هي قراءة الشكر والعرفان، أساسها شكر المنعم على نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والرشاد .

**( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَق، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَق، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ )**

قراءة شكر وعرفان، بعد قراءة البحث والإيمان، لقد سخر الله الكون لهذا الإنسان تسخير تعريف وتكريم، أما تسخير التعريف فكل ما السماوات وما في الأرض ينطق بوجود الله ووحدانيته وكماله، ويشف عن أسمائه الحسنى وصفاته الفضلى، قال تعالى:

**(وَسَخّرَ لَكُم مّا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مّنْهُ إِنّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ)**

( سورة الجاثية )

أما تسخير التكريم ففي قوله تعالى:

**(وَلَقَدْ كَرّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مّنَ الطّيّبَاتِ وَفَضّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مّمّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً )**

( سورة الإسراء )

واجب الإنسان تجاه تسخير التعريف أن يؤمن، وواجب الإنسان تجاه تسخير التكريم أن يشكر، فالإنسان إذا آمن وشكر فقد حقق الغاية من وجوده، لذلك يتوقف التأديب والمعالجة، يقول الله عز وجل:

**(مّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا )**

( سورة النساء )

**( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الذي عَلّمَ بِالْقَلَمِ )**

فالتعليم بالقلم هو اللغة التي امتن الله جل جلاله على الإنسان بها حينما قال:

**(الرّحْمَنُ * عَلّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلّمَهُ الْبَيَانَ)**

البيان الشفهي يعبر به الإنسان عن أفكاره وعن مشاعره، ويتعرف إلى أفكار الآخرين ومشاعرهم، فيتعلم بالبيان ويعلم، والبيان الكتابي تنتقل المعارف من إنسان لآخر من دون اتصال، ومن جيل إلى جيل من دون مجاورة، ومن أمة إلى أمة من دون معاصرة، ثم تنتقل المعارف وتتراكم إلى خزائن العلم للإنسانية كلها، هذا بفضل

**(عَلّمَ بِالْقَلَمِ )**

أما القراءة الثالثة فهي قراءة الوحي والإذعان، فمعرفة طرف من حقيقة الذات الإلهية، وكمالها المطلق، ومعرفة الماضي السحيق، والمستقبل البعيد ومعرفة حقيقة الحياة الدنيا، ومعرفة حقيقة الحياة الآخرة، ومعرفة حقيقة الإنسان وسر وجوده، وغاية وجوده، ومعرفة حقيقة النبوات، و الرسالات، ومعرفة حقيقة المنهج ودقائقه ومفردات التكاليف، وتفاصيلها، هذا كله يؤخذ من الوحيين الكتاب والسنة، وهذا مما يستنبط من قوله تعال:

**(عَلّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ )**

**( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ )**

ولكن لا يعني هذا الكلام أن المسلمين اليوم يقرؤون هذه القراءات الثلاث ولو قرؤوها لما استطاع أحد أن ينال منهم، ولكن هذا من قبيل ما ينبغي أن يكون لا ما هو كائن .

أما القراءة الرابعة فهي القراءة النفعية ليس غير، وهذه القراءة لاتتناقض مع القراءات الثلاث، ولكن... حينما نكتفي بها، ونسخرها لنهب الثروات وسحق الشعوب... تكون قراءة طغيان وعدوان، قال تعالى:

**(كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى)**

( سورة العلق )

وهذا طغيان العلم الذي يقود الإنسان الذي قرأ هذه القراءة النفعية، بعيداً عن الإيمان والعرفان والإذعان، يقوده هذا العلم إلى القوة فيبني مجده على أنقاض الآخرين، ويبني غناه على فقرهم، ويبني قوته على ضعفهم، ويبني أمنه على خوفهم، ويبني عزه على ذلهم، ويبني حياته على موتهم، وبهذا يكون قد طغى بالعلم، واستخدم العلم لغير ما أريد منه، وقد ضرب الله لنا مثلاً في القرآن الكريم قوم عاد نموذجاً متكرراً لهذا الإنسان الذي قرأ قراءة نفعية فطغى وبغى ونسي المبتدا والمنتهى، ونسي الجبار الأعلى .

فعاد ـ مثلاً ـ تفوقت في شتى الميادين قال تعالى:

**(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)**

( سورة الفجر )

وعاد تفوقت بالبناء والعمران والحصون والمنشئات، والصناعات، قال تعالى:

**(أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ)**

( سورة الشعراء )

وعاد تفوقت بالقوة العسكرية قال تعالى:

**(وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ)**

( سورة الشعراء )

وعاد تفوقت بالناحية العلمية قال تعالى:

**(وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ)**

( سورة العنكبوت )

ولم يكن فوق عاد إلا الله، بدليل أن الله ماأهلك قوماً إلا وذكرهم أنه أهلك من أشد منه قوةً، إلا عاداً حين أهلكها قال:

**(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)**

( سورة فصلت )

وعاد بسبب تفوقها وبعدها عن الله وقراءتها لما في الكون قراءة نفعية تكبرت بغير حق، واستعلت وتغطرست وتجبرت وبغت،لا في بلدها فحسب بل في كل البلاد، قال تعالى:

**(فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)**

( سورة فصلت )

فماذا كانت محصلة هذا التفوق المادي، لقد طغوا في البلاد، والطغيان مجاوزة الحد بالعدوان، ولم يقل طغوا في بلدهم، بل قال

**(طَغَوْا فِي الْبِلَادِ )**

في البلاد كلها، ليصف طغيانهم بالشمول، وأنهم أكثروا فيها الفساد، ولم يقل فسدوا، ليبن أن إفسادهم عم الأرض.

والحديث عن مصير عاد في القرآن لا يخص عاداً الأولى بل يتجه إلى كل قوم سلكوا مسلك عاد، فقوم عاد نموذج متكرر بدليل أن الله تعالى يقول:

**(وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى)**

( سورة الأعلى )

وهذا يعني فيما يعني أن هناك عاداً ثانية، أو انتظروا عاداً ثانية، لقد كان تأديبهم بالأعاصير التي تدمر كل شيء أتت عليه.

**(وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)**

( سورة الحاقة )

فماذا كانت النتيجة ؟

**(فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)**

( سورة الفجر )

أي بالمرصاد لكل من يكون على شاكلة عاد من أمم الأرض .

إذن هناك قراءات أربع: قراءة بحث وإيمان، وقراءة شكر وعرفان، وقراءة وحي وإذعان، وقراءة طغيان وعدوان، الثلاث الأولى تسمو بالإنسان وتسعده، والرابعة تسقطه وتشقيه، ونحن إذ نكرم المعلم في عيده نتمنى عليه أن يجعلها منهجاً له تعليمه وتوجيهه .

إن طلب العلم وقراءة ما في الكون والكتاب، قراءات ثلاث فريضة محكمة من فرائض الدين، لا تقل أهمية عن فرائضه الأخرى، بل هي أخطر فرائضه،

وفي الحديث الصحيح:

**(( طلب العلم فريضة على كل مسلم ))**

[حديث حسن بطرقه كما قال الحافظ المزي، رواه الإمام أحمد في العلل، وابن ماجة في السنن رقم ٢٢٤ ]

حتى إن طلب العلم يفضُلُ في ثمراته نوافل العبادات.. ففيما روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( إن طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة، وطلب العلم يوماً خير من صيام ثلاثة أشهر... ))**

[روي في مسند الفردوس، عن أبن عباس ]

والإسلام من خلال القرآن والسنة، يرفض أشد الرفض أن تكون القوة، أو المال، أو النسب، أو المظهر أساساً للمفاضلة بين الناس، لكنه اعتمد العلم قيمة وحيدة مرجِحة بين بني البشر.. قال تعالى:

**( قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ )**

[سورة الزمر ٩]

روى الديلمي وابن عبد البر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

**(( تعلموا العلم ؛ فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمــه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والأنيس في الوحشة، والصاحـب في الوحدة، والمحدِّث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح عند الأعداء، والزين عند الأخلاء، والقرب عند الغرباء، ويرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الجنة قادة... ))**

[رواه ابن عبد البر في العلم وقال حديث حسن ]

والعلم ؛ علم بالله، وعلم بأمره، وعلم بخلقه، أو علم بالحقيقة، وعلم بالشريعة، وعلم بالخليقة، والعلم بالله أصل الدين، والعلم بأمره أصل العبادة، والعلم بخلقه أصل في صلاح الدنيا.

لقد دعا الإسلام إلى العلم بالله، من خلال التفكر في خلق السماوات والأرض، حيث تتابع الأمر به في سور القرآن، وعُدَّ الأساس الأول لبناء دعائم العقيدة والإيمان.. قال تعالى:

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ )

[سورة يونس]

والتفكر في خلق السماوات والأرض نوع من العبادات بل هو من أرقى العبادات، ففي صحيح ابن حبان عن عطاء أن عائشة رضي الله عنها قالت: " أتاني النبي صلى الله عليه وسلم في ليلتي وقال: ذريني أتعبد لربي عز وجل فقام إلى القُربة، فتوضأ، ثم قام يصلي، فبكى حتى بلّ لحيته، ثم سجد حتى بلّ الأرض، ثم اضطجع على جنبه، حتى أتي بلالٌ يؤذنه بصلاة الصبح، فقال يا رسول الله ما يبكيك ؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى عليّ في هذه الليلة":

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)

[سورة آل عمران]

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

**(( ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ))**

وورد عنه أنه قال:

**(( أمرت أن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبرةً ))**

وقال الحسن البصري، رحمه الله: **" من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره عبرةً فهو لهو.. ".**

انظر إلى الشمس وسل من رفعها ناراً، ومن نصبها مناراً، ومن ضربها ديناراً، ومن علقها في الجو ساعة، يدب عقرباها إلى قيام الساعة، ومن الذي آتاها معراجها، وهداها أدراجها، وأحلها أبراجها، ونقّل في سماء الدنيا سراجها، الزمان هي سبب حصوله، ومنشعب فروعه وأصوله، وكتابه بأجزائه وفصوله، لولاها ما اتسقت أيامه، ولا انتظمت شهوره وأعوامه، ولا اختلف نوره وظلامه، ذهب الأصيل من مناجمها، والشفق يسيل من محاجمها، تحطمت القرون على قرنها، ولم يمح التقادم لمحة حسنها.

وهي تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة حجماً، وتبعد عن الأرض مئة وخمسين مليون كيلو متر مسافة، وهناك نجم في برج العقرب يتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما، وتصل الحرارة في مركزها إلى عشرين مليون درجة، فلو ألقيت الأرض في جوف الشمس لتبخرت في زمن قصير، ويزيد طول ألسنة اللهب المنطلقة من سطحها عن نصف مليون كيلو متر، لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

**(سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ؛ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ )**

[سورة فصلت]

وانظر إلى القلـــب في فعله وأثره، وغرضه ووطره، وقـــدْره وقدَره، وحيطانه، وجدره ومنافذه وحُجره، وأبوابه وستره، وكهوفه وحفره، وجداوله وغدره، وصفائه وكدره، ودأبه وسهره، وصبره وحذره، وعظيم خطره، لا يغفل ولا يغفو ولا ينسى ولا يسهو، ولا يعثر ولا يكبو، ولا يخمد ولا يخبو، ولا يمل ولا يشكو، وهو دائب صبور بأمر الذي أحسن خلقته، وأعدّ له عدته، وأوقد فيه جذوته، وقدّر له أجله ومدته، يعمل من دون راحةٍ ولا مراجعةٍ ولا توجيه.

يضخ في اليوم الواحد ثمانية أمتار مكعبة من الدم، تجري في مئة وخمسين كيلو متراً من الأوعية، ويضخ القلب في عمر متوسط ما يملأ حجماً يساوي واحدةً من أكبر ناطحات السحاب في العالم.. لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

**(سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ ؛ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ )**

[سورة فصلت]

**وانظر لتلك الشجـــرة ذات الغصون النضرة**

**كيف نمت من حبـــة وكيف صارت شجـرة**

**فابحث وقل من ذا الـذي يُخرج منـهـا الثمرة**

**وانظر إلى الشمس التـي جذوتهـا مستعرة**

**من ذا الذي أوجدهـا في الجو مثل الشـررة**

**وانظر إلى الليل فمـن أوجد فيـه قمـره**

**وزانه بأنجــــم كالـدرر المنتثرة**

**وانظر إلى الغيم فمـن أنـزل فيه مطـره**

**فصـير الأرض بــه بعد اصفرار خضـره**

**ذاك هــــو الله الذي أنعمه منهمـرة**

**ذو حكمة بالغـــة وقـــدرة مقتـدرة**

***

هذا عن العلم بالله، علم الحقيقة، فماذا عن العلم بأمر الله علم الشريعة ؟ إن الإنسان إذا تفكر في خلق السماوات والأرض، فعرف الله خالقاً ومربياً ومسيراً، وعرف طرفاً من أسمائه الحسنى، وصفاته الفضلى، يشعر بدافع قوي إلى التقرب إليه من خلال امتثال أمره، واجتناب نهيه، عندها يأتي علم الشريعة ليبيّن أمر الله ونهيه في العبادات والمعاملات والأخلاق.

والشريعة عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، ومن الرحمة إلى القسوة، ومن المصلحة إلى المفسدة، ومن الحكمة إلى خلافها، فليست من الشريعة وإن أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل.

قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام البخاري في صحيحه:

**(( من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما العلم بالتعلم ))**

وفي الحديث الشريف الصحيح:

**(( قليل الفقه خير من كثير العمل ))**

بل إن التفقه في أحكام الشريعة والعمل بها يُعدُّ أفضل أنواع العبادات قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الدار قطني:

**(( ما عُبدَ الله بشيءٍ أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحد أشدُّ على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيءٍ عماد، وعماد الدين الفقه ))**

بقي علم الخليقة، لقد دعا الإسلام إلى العلم بطبائع الأشياء وخصائصها، والقوانين التي تحكم العلاقة بينها، كي نستفيد منها تحقيقاً لتسخير الله جلّ وعلا للأشياء.. قال تعالى:

**(أَلَمْ تَرَوْا أَنّ اللّهَ سَخّرَ لَكُمْ مَا فِي السّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً )**

وتعلُّم العلوم المادية يحقق عمارةَ الأرض عن طريق استخراج ثرواتها، واستثمار طاقاتها، وتذليل الصعوبات، وتوفير الحاجات تحقيقاً لقوله تعالى:

**( هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا )**

[سورة هود]

وتعلم العلوم المادية، والتفوق فيها قوة، يجب أن تكون في أيدي المسلمين، ليجابهوا أعداءهم، أعداء الحق والخير والسلام، تحقيقاً لقوله تعالى:

**(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّةٍ، وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ )**

[سورة الأنفال ٦٠]

لأن القوة في هذا العصر هي قوة العلم، بل إن الحرب الحديثة ليست حرباً بين ساعدين، بل هي حرب بين عقلين.

ولحكمة بالغة لم يشأ الله جل وعلا أن يكون الانتفاع بخيرات الأرض وثرواتها وطاقاتها انتفاعاً بشكل مباشر، يلغي دور الإنسان، وإنما جعل هذا الانتفاع متوقفاً على جهد بشري: علم وعمل، فقد أودع الله في البذرة قوة إنبات، ولكن لابد للإنسان من أن يزرعها ويرعاها، وأن يحصدها، ليجني

ثمارها، وأودع الله في الأرض خامات المعادن، ولكن لابد للإنسان من أن يبحث عنها ويكتشفها، وأن يستخرجها، كل هذا ترسيخاً لقيم العلم والعمل، وابتلاءً لإنسانية الإنسان، فهل يرفعه العلم والعمل إلى أعلى عليين، أم يسقطانه إلى أسفل سافلين ؟.

وبالتحرر من الجهل والوهم، واعتماد النظرة العلمية، واتباع الطريقة الموضوعية، نستطيع أن نسقط كل الدعاوى الباطلة المزيفة التي يطرحها أعداؤنا أعداء الدين للنيل من إمكاناتنا وطموحاتنا، فباعتماد النظرة العلمية تصح رؤيتنا، وبإيماننا بالله واستقامتنا على أمره نستمد قوتنا، قال تعالى:

**(إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)**

[سورة آل عمران]

إن التعلم والتعليم قوام هذا الدين، ولا بقاء لجوهره، ولا ازدهار لمستقبله إلا بهما. والناس أحد رجلين: متعلم يطلب النجاة، وعالم يطلب المزيد.. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( العالم والمتعلم شريكان في الخير، ولا خير في سائر الناس ))**

[ انظر إرواء الغليل للألباني ١٤١/٢ ط المكتب الإسلامي]

وقد قيل:

تعلموا العلم ؛ فإن كنتم سادة فقتم، وإن كنتم وسطاً سدتم، وإن كنتم سوقةً عشتم .

لكن العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً.

ولا بد من أن تكون عالماً، أو متعلماً، أو مستمعاً، أو محباً، ولا تكن الخامسة فتهلك وإن هذا العلم دين، فانظر عمّن تأخذ دينك.. خذه عن الذين استقاموا، ولا تأخذه عن الذين مالوا.

العلم الذي نرتزق منه وكفى.. ليس إلا حرفة من الحرف.

والعلم الذي لا يصل تأثيره إلى نفوسنا، ومن ثم إلى سلوكنا، ما هو إلا حذلقة لا طائل منها. العلم الذي يجعلنا نتيه به على غيرنا، ما هو إلا نوع من الكبر.

والعلم الذي يعطل فينا المحاكمة السليمة والتفكر السديد نوع من التقليد.

والعلم الذي يوهمنا أننا علماء كبار، هو نوع من الغرور..

والعلم الذي يسعى لتدمير الإنسان، والفتك به، ويسعى لصناعة المرض نوع من الجريمة .

والعلم الذي نستخدمه للإيقاع بين الناس، والعدوان على أموالهم وأعراضهم، نوع من الجنوح والانحراف.

والعلم الذي لا يتصل بما ينفعنا في ديننا، ودنيانا، نوع من الترف المذموم..

وفي الدعاء النبوي الشريف:

**(( اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن أذن لا تسمع، ومن عين لا تدمع، ومن نفس لا تشبع ))**

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( تركت فيكم واعظين، ناطقاً وصامتاً، فالناطق هو القرآن، والصامت هو الموت، ويهما كفاية لكل متعظ ))**

وقد أخبر الواعظ الناطق عن الواعظ الصامت، حيت قال الله تعالى:

**(أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ* ثُمّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ)**

يانفس لو أن طبيباً منعك من أكلة تحبيبنها، لاشك أنك تمتنعين، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله تعالى، إذن فما أكفرك، ثم أيكون وعيد الطبيب أشد عندك من وعيد الله، إذن فما أجهلك، والحمد لله رب العالمين.

***

**الخطبة الثانية**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صل، وسلم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين .

إليكم هذه القصة كنموذج من العلماء العاملين:

كان أيوب ملك مصر وكان جباراً شديد الهيبة، حتى إنه ما كان أحد يستطيع أن يتكلم بحضرته، ولا أن يشفع لأحد عنده، ولا يتكلم أحد أمامه إلا جواباً لسؤال، وإذا سجن إنساناً نسيه، ولا يستطيع أحد أن يكلمه فيه، أو يذكره به، وكان له هيبة وعظمة، في نفوس الناس سواء الخاصة منهم والعامة، فماذا كان موقف العالم الجليل العز بن عبد السلام من هذا الملك الجبار ؟

في يوم العيد خرج موكب السلطان يجوب شوارع القاهرة، والناس مصطفون على جوانب الطريق، والسيوف مسلطة، والأمراء يقبلون الأرض بين يدي السلطان هيبة وأبهة، وهنا وقف العز بن عبد السلام، وقال: يا أيوب، هكذا باسمه مجرداً بلا ألقاب، فالتفت أيوب الجبار القوي ليرى من الذي يخاطبه باسمه الصريح، وبلا مقدمات، وبلا ألقاب، ثم قال له العز بن عبد السلام: ما حجتك

عند الله عز وجل غداً إذا قال لك: ألم أبوئك ملك مصر، فأبحت الخمور ؟ فقال: أو يحدث هذا في مصر ؟ قال: نعم، في مكان كذا وكذا حانة يباع فيها الخمر، وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة، فقال: يا سيدي أنا ما فعلت هذا، إنما هو من عهد أبي، فهز العز بن عبد السلام رأسه، وقال: إذاً أنت من الذين يقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة، قال: لا أعوذ بالله، وأصدر أمراً بإبطالها فوراً ومنع بيع الخمور في مصر.

وسأله طالب من طلابه: يا سيدي: كيف واجهت السلطان ولم تخف من بطشه ؟ قال: يا بني استحضرت عظمة الله عز وجل وهيبته فلم أرَ أمامي أحداً.

ومرة طرق باب العز بن عبد السلام نائب السلطنة، ومعه مجموعة من الأمراء، وكانت سيوفهم مسلطة يريدون أن يقتلوه، فخرج ولد العز بن عبد السلام، واسمه عبد اللطيف، فرأى موقفاً مهيباً مخيفاً، فرجع إلى والده، وقال يا والدي انج بنفسك، الموت الموت، قال: ما الخبر ؟ قال: كيت وكيت، فقال العز بن عبد السلام لولده: يا ولدي والله إن أباك لأحقر، وأقل من أن يقتل في سبيل الله، ثم خرج مسرعاً إلى نائب السلطنة، فلما رآه نائب السلطنة يبست أطرافه، وتجمد، وأصابته حالة من الذعر والرعب، وأصبح يضطرب، وسقط السيف من يده، واصفر وجهه، وسكت قليلاً، ثم بكى .

من هاب الله هابه كل شيء، ومن لم يهب الله أهابه الله من كل شيء.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٧٣) : خ١ - الغلو في الدين ، خ٢ - التعاونِ والتكاتفِ والتناصر.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٦-١٦

## بسم الله الرحمن الرحيم

**الخطبة الأولى:**

الأولاد غراس الحياة، وقطوف الأمل، وقرّة العين، وهم البُشرى، وهم زينة الحياة الدنيا، وهم المودة والرحمة، بل هم زهور الأمة، وبراعم الإنسانية .

ورعاية الأولاد واجبة، وحبهم قربى إلى خالقهم، في رسالات السماء، وفي شرائع الأرض، بل هو واجب وطني، وقومي، وديني.

وأبناؤنا الذين تشكّلهم فطرتهم السليمة، وتغرس فيهم بيئتهم المنضبطة مكارم الأخلاق، ويتلقون من مجتمعهم المعارف والقيمُ والمفاهيمُ الإنسانيّةُ والحضاريةُ، عندئذ يكون عليهم المعوّل في الحفاظ على مكاسب الأمة، واستعادة ماضيها المجيد، وخوض معاركها الضارية والمصيرية ضد أعدائها .

ويجب أن نحمي أولادنا من كل ما يفسد فطرتهم السليمة التي فطروا عليها بسبب الجهل والفقر، والقهر، في بعض البيئات التي يترعرعون فيها حيث لاحيلة لهم في اختيارها، ولا في إصلاحها.

ورعاية الأولاد عن طريق تربيتهم تربية إيمانية، وأخلاقية، وعلمية، ونفسية واجتماعية، وجسمية، وجنسية، ووطنية، وتهيئة الظروف المناسبة لنموهم النمو السليم المتوازن ؛ لهو هدف كبير لايعلو عليه هدف آخر .

والأمة في أمس الحاجة إلى جيل يكون ناهضاً بمستقبلها، تتمثل فيه صحة الجسد، وطُهرُ النفس، ورجاحة العقل، وقد بني بناء متوازناً وفق فيه بين المادة والروح، وبين الحاجات والقيم، ويسعى إلى إصلاح الدنيا والآخرة.. بني بناءً يجعله إنساناً متميزاً يرى ما لا يراه الآخرون، ويشعر بما لا يشعرون، يتمتع بوعي عميق، وإدراك دقيق، له قلبٌ كبير، وعزم متين، وإرادة صلبة، هدفه أكبر من حاجاته، ورسالته أسمى من رغباته، يملك نفسه ولا تملكه، يقود هواه ولا ينقاد له، تحكمه القيم ويحتكم إليها، من دون أن يسخرها أو يسخر منها، يحسن فهم هذا الدين القويم، ويحسن تطبيقه، ويحسن عرضه على الطرف الآخر، ومثل هذا الجيل يحتاج في بنائه إلى داعية واع لخطورة رسالته، مخلص في أدائها، متسلح بالعلم والقيم، حتى يبرزخصائص وسطية الإسلام... فلا إفراط، ولا تفريط، ولا غلو، ولا تقصير، ولا طغيان، ولا إخسار، فالإسلام وسط بين المادية المقيتة، والروحية الحالمة، بين الواقعية المرة، والمثالية التخيلية، بين الفردية الطاغية، والجماعية الساحقة، بين الثبات الرتيب، والتغير المضطرب، بين الحاجات الملحة، والقيم البعيدة، بين العقلانية الباردة، والعاطفية المتقدة، بين نوازع الجسد، ومتطلبات الروح .

وحينما نرعى أبناءنا إنما نقدِّم للحياة عنصراً نظيفاً، وللمجتمع لبِنَة صالحة، وهذا ما تهدِفُ إليه التربيةُ في أعظم أهدافها، حتّى يَسعدَ المجتمعُ بأبنائه، ويسعَدوا هم به .
عندها نستطيع أن نقابل القنبلة الذّرية، بقنبلة الذُرية، أي بتربية جيل واع، ملتزم، ينهض بأمته، ويعيد لها دورها القيادي بين الأمم.
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))**

في هذا الحديث ملمح خطير، وهو أن الأب من خلال نص الحديث يطعم ابنه، ويكسوه، ويؤويه، ولكن:

يضيعه أولاً حينما يهمل تربيته، وينشغل بدنياه... وعندئذ تتقاذفه، قنوات المجاري الفضائية، ومواقع القمامة الإباحية، وقد قام عدد من الباحثين الاجتماعيين بدراسة ظواهرالسرقة والاغتصاب والقتل المفرد والقتل الجماعي، وأعمال العنف فوجدوا أن للمواد الإباحية تأثيرا مباشرا وملحوظا في جميع هذه الجرائم والأعمال، فضلاً عن أن في العالم اليوم أربعين مليوناً من المصابين بمرض الإيدز، وقد مات في العقدين الماضيين إثنان وعشرون مليوناً بهذا المرض .

ويضيعه ثانياً حينما لا ينشئه على المبادئ الإسلامية الصحيحة، ولا يغرس فيه القيم الأخلاقية الرفيعة، ولا يدله على عالم رباني، يقدم لابنه الإسلام الوسطي المتوازن الذي كان عليه النبي وأصحابه والذي تزدهر به الحياة في الدنيا، والحياة في الآخرة .

ويضيعه ثالثاً حينما لا يتابع تفاصيل حركته في الحياة، فلا يعلم الأب مع من يتصل ابنه، أيتصل ابنه مع الغلاة المتطرفين الذين انحرفت عقيدتهم، وساء عملهم، ويتلقى منهم التوجيه الخاطئ، الذي يجر له الانحراف والهلاك لهم، ولمن حولهم ممن اقتدى بهم،وسار معهم فشقوا وأشقوا من معهم في الدنيا والآخرة .

فأبناؤنا إن لم نحسن تربيتهم كانوا بين الانغماس في الفساد، والغلو في الدين .

الغلو في الدين

" الغلو " مصطلح ورد في القرآن الكريم في موضعين:
وورد في السنة المطهرة في حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**((إياكم والغلوّ في الدين ! فإنه أهلك من كان قبلكم، الغلوُ في الدين))**

ومعنى الغلو: مجاوزة الحد، والحد هو النصُ الشرعي، كلام الله عزّ وجلّ، وما صح من كلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأن يُفهم هذا النص وفق قواعد علم الأصول، وقد قال تعالى في كتابه العزيز:

**( وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا)**

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً )**

وإذا بحث الفقيه في مسألة من مسائل الدين، فهو يجمع النصوص القرآنية والنبويّة فيها، ويؤلف بينها على وجه لا يغلب بعضها على بعض، ولا يأخذ نصاً ويهمل غيره، ولا يأخذ فقرة من نصٍّ ويُهمل بقية الفقرات.

أما الغلاة المتهورون فيضربون بعض النصوص ببعض، أو يأخذون نصاً يُلائم غلوّهم يُسلِّطون عليه الأضواء، ويُعَتِّمون على نصٍّ آخر، ينقض غلوهم، فالآيات التي يمكن أن تغطي غلوّهم، يشدُّونها عن طريق التأويل المتكلف إلى ما يوافق أهواءهم، والآيات التي تناقض غلوهم يغفلون ذكرها، وإذا ذُكّروا بها صرفوها إلى غير المعنى الذي أراده الله.

أمّا فيما يتعلق بالأحاديث الشريفة، فهم يقبلون الضعيف، بل الموضوع، إذا غطّى غلوهم ويُعرضون عن الحسن، بل الصحيح إذا فضح انحرافهم.

ثم إنهم ـ فيما سوى القرآن والسنة ـ يقبلون كل قولٍ يدعم غلوهم متجاوزين القاعدة المنهجية: " إن كنت ناقلاً فالصحة، وإذا كنت مدّعياً فالدليل " ويرفضون كل قول ليس في جانبهم ولو دعمه أقوى دليل.

إنهم يتخيّرون من النصوص مّا يعجبهم، فهم ـ وهذا حالهم ـ من أهل الرأي، الذين تحَكّموا بالنصّ ولم يحتَكِموا إليه، واعتقدوا ثم استدلوا، وهذا انحراف خطير، والصواب أن يستدلوا ثم يعتقدوا .

أنواع الغلو

والغلوُّ نوعان: اعتقادي.. وهو أن الغلاة يعتقدون فيمّا هو جزء من الدين أنه الدين كلّه . وغلاة كلّ فرع من فروع الدين، يُحلُّون هذا الفرع محلّ الأصل، وينظرون إلى من عُني ببقية فروع الدين نظرة ازدراءٍ وإشفاق، وقد أشار إلى هذين النوعين من الغلو الإمام الشاطبي في " **موافقاته** ".

ولا يخفى أن من كليات الدين الجانب الاعتقادي، والجانب السلوكي، والجانب النفسي، وحينما تحلُّ كلية من هذه الكليات محلّ الدين كلّه، فهذا غلو وأي غلو ... هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإن تضخيم الفرع في الدين ليحلّ محلّ الأصل غلوٌّ في الدين أيضاً .. وأي غلو

والنوع الثاني من الغلو: الغلو العملي..

فحينما يقع الإنسان فريسة وساوسه المتسلطة، فيظن أنه بمفرده يستطيع أن يرفع المعاناة عن الأمة كلها بعمل غير مشروع في منهج الله .

وحينما يتجاوز في عبادته الحد الذي شرّعه الله فيهمل عمله ويهمل أسرته، وبهذا يختل توازنه، ولا يحقق الهدف الأمثل من تدينه...

ولا شك أن الغلو الاعتقادي هو الأخطر، لأن صاحبه لايرجع عنه، إذ يعتقد أنه على صواب فهو لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، وإن اعتماد القوة وحدها، والحلول الأمنية وحدها، في معالجة هذا النوع من الغلو لا يحقق الهدف، ما لم يكن مصحوباً بدرجة عالية من الاستماع الجيد إلى المغالي، وتفهم دقيق لرأيه، ومراعاة لدوافعه وجراحاته، وإقناعه بدل قمعه، فالقوة لاتصنع الحق، ولكن الحق يصنع القوة، والقوة من دون حكمة تدمر صاحبها .

ولأن هذا النوع من الغلو افترقت منه الفِرق، وبزغت عنده الأهواء، واختلفت فيه العقول، وتباعدت من أجله القلوب، وسالت من تداعياته الدماء، قال تعالى:

**( وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ)**

أسباب الغلو

وأسباب الغلو كثيرة، ومن أبرزها الجهل، وهو: عدم معرفة حكم الله جلّ وعلا، وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، فقد يكون المغالي معظماً للحرمات، غيوراً على دين الله، فإذا رأى إنساناً متلبساً بمعصية، لم يطق، أو لم يتصور أن هذا الشخص مسلم، أو أن ذنبه يمكن أن يُغفر، لذلك يتهمه بالكفر والخروج من الدين. وقد تكون له محبة لرجل صالح، وأصل هذه المحبة مشروع في الدين، لكن هذه المحبة زادت وطغت بسبب الجهل حتى وصلت إلى درجة الغلو الذي رفع هذا الإنسان فوق منزلته ؛ واتهم كل من لم يقره على هذا الغلو بالكفر والفسق. وقد يكون الجهل جهلاً بالدليل لعدم معرفته أو لعدم الاطلاع عليه، وقد يكون جهلاً بالاستنباط، أو جهلاً بقواعد اللغة العربية.

والجهل أسهلُ أسبابِ الغلو معالجة، ولا سيما إذا كان المغالي بريئاً من الهوى، والنزعات الشريرة، فالجهل يزول بالعلم.. ففي عهد عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد ناظر الخوارج وحاورهم، فرجع منهم ما يزيد عن ألفي إنسان في مجلس واحد.

ومن أسباب الغلو: الهوى.. الذي يجر صاحبه إلى التعسف في التأويل، وردّ النصوص الصحيحة، وقد يكون الهوى لغرض دنيوي من طلب الرئاسة أو الشهرة أو نحوهما، وقد يكون المغالي بعيداً عن هذه المطالب، ولكن الانحراف سبق إلى عقله وقلبه واستقر فيهما، وتعمّق جذوره، وترسخأصوله، وكما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرفَ الهوى... فصادف قلباً فارغاً فتمكّنا

وحينئذ يَعِزُّ على المغالي أن يتخلى من غلوه، وأن يقرّ على نفسه أنه كان متحمساً للباطل، مناوئاً للحق، فيتشبث بباطله ويلتمس له الأدلة الضعيفة الواهية من هنا وهناك. لذلك قيل: تعلّموا قبل أن ترأسوا، فإن ترأستم فلن تعلموا.

وقد يكون الهوى بسبب نفسية مريضة معتلّة منحرفة، تميل إلى الحدة والعنف، والعسف في آرائها ومواقفها، وتنظر دائماً إلى الجانب السلبي والمظلم للآخرين.. وقد يتصف صاحبها بالعلو والفوقية، من دون أن يشعر بذلك، فضلاً عن أن يعترف به. فإذا التقى الأشخاص أو قرأ كتبهم، فليبحث عن نقاط ضعفهم، مغفلاً النواحي الإيجابية التي يتمتعون بها، وعندها تتبخّر ثقته بالعلماء العاملين، والدعاة المخلصين، و يبتعد عنهم ويستقل بنفسه ورأيه، فينتج عن هذا الشذوذ في الآراء والمواقف والتصورات، ثم في السلوك.

ومن أسباب الغلو في الدين: غلو الطرف الآخر.. فالذين يجرُّون المجتمعات الإسلامية إلى الفساد، والإباحية، و إلى الانحلال الخلقي، وينتهكون الحرمات، ويستخفون بالثوابت، ويدنسون المقدسات هم في الحقيقة من المتسببين في حدوث الغلو، وإن أعلنوا الحرب عليه.. فمظاهر الاباحية والانحلال في المدرسة والجامعة والشارع والشاطئ والمتجر والحديقة وفي وسائل الإعلام ؛ إذا أقرّها المجتمع وسكت عنها، أو شجعها ودعمها وحماها، فإن هذا المجتمع عليه أن يستعد للتعامل مع أنماط كثيرة من الغلو.

وقبل أن نبحث عن الحلول الفعّالة للقضاء على الغلو.. يجب أن نفرّق بين غلو حقيقي وهو مجاوزة للحدِّ الشرعي، وانحراف عن سواء السبيل، وبين غلو موهوم في رأس أعداء الدين.. فهم يصفون المؤمنين الملتزمين بالأصولية والتقوقع تارة، وبالتطرف والتزمت تارة أخرى.. وهم في الحقيقة يدعون بإخلاص إلى الله تعالى، وإلى دينه، وإلى تحكيم شريعته، والعمل بكتابه وسنة نبيه.

معالجة الغلو

ولا سبيل إلى القضاء على الغلو الحقيقي في الدين.. إلا بتمكين العلماء الربانيين العاملين المخلصين من القيام بواجبهم في الدعوة إلى الله، وَفقَ أُسس صحيحة متوازنة، ومن خلال رؤية صافية لحقيقة الدين الحنيف، وباساليب نابعة من الكتاب والسنّة .

وأما الجهاد فهو أصل في الدين، وكما أن في التعليم تعليماً أساسياً لا يصح ولا يسمح للطالب أن ينتقل إلى التعليم الثانوي قبل أن ينجح في التعليم الأساسي، كذلك في الجهاد ؛ هناك جهاد أساسي وهو جهاد النفس والهوى، دليله في قوله تعالى:

**( وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا)**

أي بالقرآن، وفي قوله تعالى:

**( وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)**

فالجهاد الأساسي الأول جهاد النفس والهوى وهذا الجهاد عند ابن القيم في زاد المعاد أربعُ مراتب استقاها من سورة العصر:

إحداها: أنْ يُجاهِدَ نفسه على تعلُّم العلم من العلماء الربانيين، المحققين الورعين فلا فلاح للنفس، ولا سعادة فى معاشها، ومعادها إلا به، ومتى فاتها هذا العلم، شقيت فى الدّارين.

إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، ابن عمر ! دينك دينك... إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا .

الثانية: أن يُجاهد نفسه على العمل به، وإلا فمجرّدُ العلم من دون عمل لاقيمة له فهو إن لم يَضُرّها لا ينفعْها.

الثالثة: أن يُجاهد نفسه على الدعوة إليه، وتعليمِهِ مَنْ لا يعلمهُ، وإلا كان مِن الذين يكتُمون ما أنزل الله مِن الهُدى والبينات، ولا ينفعُهُ علمُهُ، ولا يُنجِيه يوم القيامة.

الرابعة: أن يُجاهِدَ نفسه على الصبر على مشاقّ طلب العلم، والعمل به، والدعوة إليه .

فإذا استكمل المسلم هذه المراتب الأربع، صار من الربَّانِيينَ، ومن المجمع عليه على أن العَالِمَ لا يَستحِقُ أن يُسمى ربّانياً حتى يعرفَ الحقّ، ويعملَ به، ويُعَلِّمَه، ويصبر على طلبه، والعمل به، والدعوة إليه .

والجهاد الأساسي الثاني هو الجهاد البنائي ودليله في قوله تعالى:

**( وَأَعِدُّواْ لَهُم مّا اسْتَطَعْتُم مّن قُوّةٍ وَمِن رّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ )**

والحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، هؤلاء الأعداء الأقارب والأباعد، حققوا شروطاً صعبة جداً، بنوا بها قوتهم، خلال مئات من السنين، فأملوا بسبب قوتهم إرادتهم، وثقافتهم، وإباحيتهم على بقية الشعوب، فأفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة .

ونحن ـ المسلمين ـ ينبغي علينا من خلال الأمر القرآني لنا أن نعد لهم ما نستطيع من قوة ؛ بمفهوم القوة الواسع، فالآباء ينبغي أن يعرفوا أن الأبوة رسالة ومسؤولية، وأن تربية أولادهم أعظم كسبهم، والأمهات ينبغي لهن أن يتفرغن لتربية أولادهن والعناية بهم، كي تتماسك الأسر، ويكون الأولاد لبنات في بناء المجتمع، ومعلمنا ينبغي له أن يحمل رسالة سامية يسعى إلى تحقيقها، وطالبنا ينبغي أن يتفوق، وعاملنا ينبغي أن يتقن عمله، وفلاحنا ينبغي أن يرتبط بأرضه ليزرعها، وموظفنا ينبغي أن نعطيه حقه، وينبغي له أن يتفانى في خدمة المواطنين، وقاضينا ينبغي أن يعدل، والأستاذ الجامعي ينبغي أن يؤثر خدمة أمته، على حظوظه من دنيا الآخرين، وداعيتنا ينبغي أن ينصح لا أن يمدح، وضابطنا ينبغي له أن يوقن أن المعركة مع العدو قادمة لا محالة، وأن حديث العدو عن السلام مراوغة، وكذب، وكسب للوقت ليس غير، وثرواتنا ينبغي أن تستخرج، ومصانعنا ينبغي أن تطور، وأرضنا ينبغـي أن تستصلح، ومياهنا ينبغي أن يرشد استهلاكها، وهذا لا يكون إلا بإيمان

بالله، يحملنا على طاعته، وإيمان باليوم الآخر يمنعنا أن يظلم بعضنا بعضاً، وأن نطلب جزاء جهدنا وجهادنا في الجنة، وهذا نوع من الجهاد لا تقطف ثماره عاجلاً بل آجلاً.

وحين تقول للطالب ـ مثلاً ـ: واصل دراستك وكن متفوقاً، وخطط لسنوات قادمة لتكون شيئاً مذكوراً في حياة الأمة، ومستقبلها لاستثقل هذا، وآثر سماع الأخبار، وأن يكون منفعلاً لا فاعلاً، إن بعض الاندفاع قد يضاعف المعاناة بدلاً من حلها، فكما أننا نصغر أمام شاب يموت في سبيل الله، وفق منهج الله، كذلك نحن في أمس الحاجة إلى شاب يعيش في سبيل الله ويقدم لأمته كل خير .

والغفلة عن المستقبل ستجعلنا مشغولين أبداً بإطفاء الحرائق هنا وهناك عن العمل الجاد الذي يخفف المعاناة عن أجيالنا اللاحقة.

وأن علاج الجرح المفتوح على أهميته يجب ألا ينسينا التفكير في مستقبل أجيالنا التي سوف تتساءل: هل تركنا لها شيئاً آخر غير الجراح ؟!

ينبغي أن يفكر الفرد الواحد في الموقع الذي يفرغ فيه طاقته، ويؤدي من خلاله دوره ورسالته .

وبتحديد هدفه والمسير إليه، بخطى ثابتة، وبعد أن يقطع مراحل منه، فيكون قد رسم الهدف وحدد الطريق وبدأ السعي.. وهذا يوصل وفق السنة الربانية إلى الهدف، ثم تتزايد الأعداد الإيجابية التي تمارس دورها بشكل صحيح، بدلاً من أن تكون هذه الأعداد تتساءل فقط ماذا نعمل ؟ ثم لا تعمل شيئاً .

أما المسلم المخلص فيكفي أن يبذل جهده وطاقته ولا يدخر منها شيئاً في موقع معين، ثم لا يضيره أن تتحقق النتائج على يد غيره بعد وضع الأساس وبدء البناء.

إن رَفْع المعاناة عن الأمة يتطلب عدداً كبيراً من المؤمنين الواعين المخلصين المضحين في جميع الميادين، وهذا ما يجب السّعْي إليه، ولأن ينجح أحدنا في إعداد مجموعة من المواطنين إعدادًا إيمانياً، وعلمياً، وعقلياً، وخلقياً، ونفسياً، واجتماعياً، وجسدياً... أحب، وأنفع من أن يلقي بنفسه في أتون نار تقول: هل من مزيد، إن النجاح يكمن في أن يستخدم المرء عقله قبل يده، كما يفعل أعداؤنا.

يقول الإمام علي رضي الله عنه: **" الناس ثلاث، عالم رباني، و متعلم على سبيل النجاة، و همج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم، و لم يلجئوا إلى ركن وثيق، فاحذر يا بني أن تكون منهم ".**

الحذر الشديد من الوقوع في فخاخ تنصب لأبناء أمتنا العربية والإسلامية، قد يوقعهم فيها ذهول الصدمة، أو ثورة الحماس. إن أكثر ما نحتاج إليه في أمور كثيرة من حياتنا هو التوازن، والانطلاق من الثوابت الراسخة، من غير أن يفقدنا التأثر بالأفعال وردود الأفعال الرؤية الصحيحة، ولا نحتاج إلى كبير عناء لنكتشف أن كثيراً من خطايانا وأخطائنا كانت نتيجة جنوح في النظرة بعيداً عن التوازن والاعتدال المطلوب.

إن للمشاعر حقها في أن تغلي وتفور، أما الأفعال فلابد أن تكون مضبوطة بهدي المنهج الرباني، ومقاصد الشرع، وضوابط المصلحة، ولا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى العلماء الربانيين الورعين، الذين لا يجاملون مصالح الخاصة، ولا يتملقون عواطف العامة، وقد كان العلماء على تعاقب العصور صمام أمان عندما تطيش الآراء وتضطرب الأمور، قال تعالى:

**( وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ )**

ولذا فإن من أعظم ما يوصى به في مثل هذه الأحداث العامة كبح جماح الانفعالات، بحيث لا تنتج اجتهادات خاصة ربما جنى بعضها أول ما يجني على المسلمين ومصالحهم، وأن يكون عند المسلمين بخاصة برغم حرارة الانفعال وشدة التأثر تبصر في معالجة الأمور، فينبغي ألا يخرجنا التأثر إلى التهور، ولا الحماس إلى الطيش، وإن الحماس طاقة فاعلة منتجة إذا وجهت في الطريق الرشيد، وإن العبرة ليست بتنفيس المشاعر، وتفريغ العواطف، ولكن العبرة بتحقيق المصالح، ودرء المفاسد .

فإذا نجحنا في الجهاد النفسي والبنائي، فينتظر أن ننجح في الجهاد القتالي

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيّس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

***

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، واشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

ليس هناك مِن مرحلةٍ في تاريخ أمّتنا نحنُ في أمَسّ الحاجةِ فيها إلى التعاونِ والتكاتفِ والتناصرِ والتضامن كهذه المرحلة الدقيقة التي تمرُّ بها أمّتُنا العربيةُ والإسلاميةُ، ولاسيما في ظلّ النظام العالميّ الجديدِ، وفي ظلّ غيابِ التوازن الدوليّ، وتحَكّمِ القُطبِ الواحد، وازدواجيةِ المعايير، وسيطرةِ الاحتكاراتِ الكبرى، والتطوراتِ الهائلةِ في وسائل الاتصالاتِ والمعلوماتيةِ، وازديادِ الهُوّةِ بين الدول الغنية المتقدّمة والدول الفقيرة النامية، وانفجارِ الحروبِ الإقليميةِ والمحليةِ، والصراعاتِ القبليةِ والدينيةِ والعِرْقيةِ في مناطق متعددة من العالم... إضافة إلى نهج العَولمة الثقافيةِ والاقتصاديةِ.

إنّ عالَمَ اليومِ يكاد يتحوّلُ إلى غابةٍ تتحكّم فيها مراكز القوّةِ، وتغيبُ عنها ضوابطُ المبادئ والقيم،

ومع ذلك فإن قُوى الهيمنة تتحدّث عن حقوق الإنسان، في الوقت الذي يجري فيه انتهاكٌ لحقوق الإنسان، قال السيد الرئيس في أحد خطاباته **( العالَمُ الإسلاميُ اليومَ يواجه تحدياتٍ كبيرةً تستهدفُ الإسلامَ وما يمثِّله من قيمٍ نبيلةٍ، وما يدعو إليه من أخوّةٍ وعدالةٍ ومساواةٍ وحرية، وإذا كان من واجبنا أن ندافعَ عن دينِنا ؛ فإنّ لنا فيه يَنبوعَ قوةٍ، ومصدرَ إلهام في مواجهةِ كلِّ ما يقابلُنا من أخطارٍ وتحدياتٍ ) .**

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٧٤) : خ١ - المقاومة الإسلامية ، خ٢ - متى تغضب؟.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٨-٠٤

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

في زحمة الأحداث، وتسارع المتغيرات، وفي خضم تداعيات النوازل والمستجدات، وكثرة الأطروحات والتحليلات، يلحظ المتأمل الغيور غياباً أو تغييباً للرؤية الشرعية، والنظر في فقه السنن الكونية، حتى حصل من جرّاء ذلك زلل أقدام، وخطل أقلام، وضلال أفهام، عند كثير من أهل الإسلام، مما يؤكد أهمية المرجعية الموحدة، للأمة الواحدة التي ينبغي أن ترتكز في تحقيق أهدافها على صحة المعتقد، وسلامة المنهج، والعناية بمصالح الأمة الكبرى، ومقاصد الشريعة العظمى، باعتدال في الرؤى، وتوازن في النظر، وأسلوبٍ عالٍ في الطرح والحوار .

الله جل جلاله وحده هو القوي، ولا قوي سواه، وكل قوة في الأرض في الذوات والأشياء، مستمدة من قوة الله، تأييداً، أو استدراجاً، أو تسخيراً، لحكمة بالغة عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها . قال تعالى:

**(وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)**

كن عضواً في جمعية الأقوياء، ولا تكن رأساً في قطيع النعاج، قال عليه الصلاة والسلام:

**((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ))**

قد تكون ضعيفاً ؛ لأنك قبلت أن تكون ضعيفاً، فعشْ كما تريد، ولكن لا بد من أن تعلم أنه بإمكانك أن تصبح قوياً، وأن تتعافى من شعورك بالضعف، وهذا ما تؤكده تجربة إخوتنا المجاهدين المقاومين في فلسطين ولبنان الذين نقلوا واقع المسلمين من

**( كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ )**

إلى

**( إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ )**

واعلم يقيناً أن الشيء الذي لا تستطيعه، هو الشيء الذي لا تريد أن تكونه .

القوّة مطلب أساسي في حياة الأمم والشعوب، وإلا فلا قيمة للحياة من دون قوة، فلا بد من دعم قوة الحق بحق القوة، فما قيمة منشآتنا، وبنانا التحتية، من دون سلاح يحميها، إذا كان من الممكن أن تدمر في بضعة أيام، وقد استغرق بناؤها عشرين عاماً، إن القوّة مصدر للثقة، والثقة لا توجد إلا في قلوب الأقوياء.

وإذا أردت القوّة الحقيقيّة... فاستمدها من قوّة لا تحتاج إلى غيرها... إنها قوة الله عز وجل.
إن الجبن والخور، والاستكانة والاستسلام، والانهزامية والذلّ، وجميع المفردات، في قاموس الضعف، وما يرشح منها من تنديد، واستنكار، وشجب، وتحميل مسؤوليه، واحتكام للشرعية الدولية، وحرق صورة وعلم، مرفوضة في حياة المؤمنين الأقوياء ؛ فأنت كائن لم تُخلق لتكون مسلوب الإرادة، ضعيف الهمّة، خائر العزيمة، يتفنن أعداؤك في إفقارك، وفي إضلالك، وفي إفسادك، وفي إذلالك، وفي إبادتك .

تأمّل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، و الجبن والبخل، وغلبة الدين وقهر الرجال ))**
إذن عليك ألاّ تتردّد لحظة في الانتساب " لعضوية نادي الأقوياء "، فلديك عملاق ينام بين جنبيك ؛ فابحث عنه، حتى لا تموت، وأنت تعيش بين الأحياء !

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

إن الأقوياء بالحق هم السعداء، والضعفاء بالباطل هم التعساء !
إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف، ليس دعوة إلى الرضا بالضعف، أو إلى السكوت عليه، بل هو دعوة لاستشعار القوة، حتى في حالة الضعف، إذن يجب أن نبحث في كل مظنة ضعف، عن سبب قوة كامنة فيه، ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجدوه، ولصار الضعف قوة، لأن الضعف ينطوي على قوة مستورة، يؤيدها الله في حفظه ورعايته، فإذا قوة الضعف، تهد الجبال، وتدق الحصون، كما ترون وتسمعون من بطولات فلسطين ولبنان .
أنت قويّ، وهذا سر ضعفك، وأنت ضعيف، وهذا سر قوتك !
لذلك نستطيع أن نقابل القنبلة الذرية، بقنبلة الدُرية، أي بتربية جيل واع ملتزم، ينهض بأمته، ويعيد لها دورها القيادي بين الأمم، وتعلمنا هذه الأحداث التي زلزلت أعدائنا الصهاينة الشيء الكثير، تعلم المحبطين من المسلمين الذين استسلموا وخضعوا واستكانوا لقوى البغي والعدوان، ويئسوا من رحمة الله، ظنوا أن الله تخلى عنهم، ولن ينصرهم، يذكرهم بقوله تعالى:

**(وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)**

والآن نقطع الخطبة، وننتقل بحضراتكم إلى مدينة القدس، حيث المسجد الأقصى، متعبد الأنبياء السابقين، ومسرى خاتم النبيين، ونعود بكم القهقرى، عبر بعد الزمان إلى يوم الجمعة الواقع في السابع والعشرين من شهر رجب عام خمسمئة وثلاثة وثمانين للهجرة، الموافق للثاني من تشرين الأول عام ألف ومئة وسبع ثمانين للميلاد.. ففي هذا اليوم تم فتح مدينة القدس، من قبل المسلمين بقيادة البطل صلاح الدين، وتم تحريرها من أيدي الغزاة الطامعين، وها نحن أولاء نرى القلوب قد

امتلأت بالفرح، والوجوه قد عمها البشر، ونسمع الألسنة، وقد لهجت بالشكر، لقد علت الرايات، وعلقت القناديل، ورُفع الأذان، وتُلي القرآن، وصفت العبادات، وأُقيمت الصلوات، وأديمت الدعوات، وتجلت البركات، وانجلت الكربات، وزال العبوس، وطابت النفوس، وفرح المؤمنون بنصر الله.

وها نحن أولاء ندخل المسجد الأقصى، فإذا المسلمون وفيهم صلاح الدين وجنده يجلسون على الأرض، لا تتفاوت مقاعدهم، ولا يمتاز أميرهم عن أحد منهم، قد خشعت جوارحهم، وسكنت حركاتهم، هؤلاء الذين كانوا فرساناً في أرض المعركة، استحالوا رهباناً خُشعاً، كأن على رؤوسهم الطير، في حرم المسجد، وها هو ذا خطيب المسجد: محي الدين القرشي قاضي دمشق يصعد المنبر، ويلقي خطبته، ولو ألقيت على رمال البيد لتحركت، وانقلبت فرساناً، ولو سمعتها الصخور الصم لانبثقت فيها الحياة.. لقد افتتحها بقوله تعالى:

**( فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ )**

[سورة الأنعام الآية: ٤٥ ]

وها نحن أولاء نستمع إلى فقرات من خطبته:

**" أيها الناس، ابشروا برضوان من الله، الذي هو الغاية القصوى، والدرجة العليا، لما يسّره الله على أيديكم، من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة، وردّها إلى مقرها من الإسلام، بعد ابتذالها في أيدي المعتدين الغاصبين قريباً من مئة عام، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يُرفع، ويُذكر فيه اسمه، من رجس الشرك والعدوان، ثم قال محذراً: إياكم عباد الله أن يستزلكم الشيطان، فيُخيل إليكم أن هذا النصر كان بسيوفكم الحداد، وخيولكم الجياد.. لا والله، وما النصر إلا من عند الله.. فاحذروا عباد الله بعد أن شرّفكم الله بهذا الفتح الجليل أن تقترفوا كبيرة من مناهيه، انصروا الله ينصركم.. خذوا في حسم الداء، وقطع شأفة الأعداء ".**

وها نحن أولاء، نخرج من المسجد الأقصى، ونلتقي بأحد الفرنجة، الذين شهدوا فتح القدس، وها هو ذا يحدثنا فيقول: **إن المسلمين لم يؤذوا أحداً، ولم ينهبوا مالاً، ولم يقتلوا مُسالماً، ولا مُعاهداً، وإن من شاء منا خرج، وحمل معه ما شاء، وإنا بعنا المسلمين ما فضُل من أمتعتنا، فاشتروها منا بأثمانها، وإننا نغدو، ونروح، آمنين مطمئنين، لم نرَ منهم إلا الخير والمروءة، فهم أهل حضارة وتمدُّن، وصدق من قال: " ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم منهم ".**

فنحن مضطرون أن نقدم اعتذارنا للبطل صلاح الدين الذي طرد الفرنجة القدامى من بلاد المسلمين، ونحن أعدناهم إلى بعض بلاد العرب والمسلمين .

فعذراً لك يا صلاح الدين، وألف عذر، أنت الذي طردت الفرنجة القدامى من بلاد الشام ومصر والعراق، وأنت الذي حررت دمشق والقدس من أيديهم، وقد قلت قولتك المشهورة **( لن يرجعوا إليها ما دمنا رجالا )** عذرا يا صلاح الدين، لقد رجعوا بعد الحرب العالمية الأولى إلى بلاد الشام، ودخل قائدهم دمشق، وزار قبرك، وقال لك: ها قد عدنا يا صلاح الدين، فعذراً وألف عذر لك، لقد رجعوا مرة ثانية إلى العراق، ولسان حالهم يقول: ها قد عدنا يا صلاح الدين ثانية. ولئلا تقلق علينا كثيراً أيها البطل ؛ إنهم قالوا حينما عادوا إلينا: عدنا كي تنعموا بحرية كحريتنا، وبسلام كسلامنا، وبرخاء كرخائنا، وهم يخططون لشرق أوسط جديد وكبير، ولا أتمنى عليك ـ أيها القائد الفذ ـ أن تسأل هل تحقق لكم ذلك، الذي تحقق: إفقار وإضلال، وإفساد وإذلال، وإبادة واقتتال، وتدميرللمنشآت، ونهب للثروات، ونسف لكل المنجزات... إنها ردّة ولا صديق لها، إنها هجمة تترية ولا قطز لها، إنها حملة فرنجية وأنت غائب عنها .

عذراً يا صلاح الدين... لقد كانت معالم الحزن والأسى ترتسم على وجنتيك، ولم يكن للابتسامة طريق إلى شفتيك، فلما كنت تُسألُ لم لا تضحك يا صلاح الدين، فكان جوابك المتكرر **( إني أستحي من الله... أن أضحك، وما يزال المسجد الأقصى بيد المعتدين )**

عذراً يا صلاح الدين... وأنت الذي وصلك خبر اعتراض أمير الفرنجة أرناط، الذي احتل قلعة الكرك في الأردن، وراح يقطع الطريق على الحجاج المسلمين، المتوجهين من الشام نحو الحجاز فكان يقتل الرجال، ويسبي النساء، وهو يقول لهم: نادوا محمداً لينتصر لكم، فلما سمعت مقالته انسابت الدموع من عينيك، وقلت قولتك المشهورة: أنا سأنوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نصرة أمته، وهذا ما كان منك ـ أيها البطل ـ فما هدأ لك بال، ولا سكنت لك جارحة، حتى وفيت بوعدك، يوم حطين، يوم انتصرت على ملوك أوروبة وأمرائها، ويوم وقع أرناط في الأسر... فمثل بين يديك، وذكرته بما قال، وقلت له يا أرناط: أنا أنوب اليوم عن رسول الله في الدفاع عن أمته . عذراً ياصلاح الدين... يا من هزمت الفرنجة القدامى، حتى أصبح اسمك على لسان النساء في أوروبة، يخوفن بك أولادهن في الليلليناموا، تقول الأم لابنها: نم يا ولدي... وإذا لم تنم، فسيطلع علينا صلاح الدين، لقد قذفت الرعب في نفوس أهل أوروبة، وشكّلت لهم عقدة نفسية، اسمها صلاح الدين .

فعذراً وألف عذر، يا أيها القائد الحبيب، لما حل بنا من بعدك، ومن أجل أن تبقى منسجماً مع إيمانك الكبير بالله، نقول لك:هان أمر الله علينا ـ من بعدك ـ فهنا على الله، وقد تحققت نبوءة القرآن فينا: فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، فسوف يلقون غياً... وقد لقينا ذلك الغي .

ومن أجل أن نطمئنك، نذكرك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أنبت نفسك عنه في الدفاع عن المسلمين:

**((لايزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، ما يضرهم من كذبهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك فقال مالك سمعت معاذاً يقول: وهم بالشام))**

[رواه البخاري ومسلم]

كنت خاشع القلب، غزير الدمعة، إذا سمعت القرآن أو تلوته بكيت، وكنت كثير التعظيم لشعائر الدين، كنت ناصرا للتوحيد، وقامعا أهل البدع، لا تؤخر الصلاة عن وقتها، وكانت لك ركعات تصليها في جوف الليل .

وكنت إذا سمعت أن العدو داهم المسلمين ـ كما يجري في بلاد المسلمين ـ خَررتَ إلى الأرض ساجدا لله تدعو بهذا الدعاء: إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك، ولم يبق إلا الإخلاد إليك، والاعتصام بحبلك، والاعتماد على فضلك، أنت حسبي ونعم الوكيل.

والآن نعود بحضراتكم إلى دمشق، وإلى مسجدها الأموي الكبير، حيث يرقد البطل صلاح الدين في جوار المسجد، ولنتابع خطبة الجمعة:

حينما ينقطع الإنسان عن ربه، وينقاد إلى هوى نفسه، فعندئذ تفسد علاقته بعقله، فيعطله، أو يرفض نموّه وتطوره، أو يسيء إعماله، فيسخره لأغراض رخيصة دنيئة، عندها يكون الجهل والتجهيل، والكذب والتزوير ؛ وتفسد علاقته بنفسه، فتَسفُل أهدافه، وتنحط ميوله، ويبيح لنفسه أكثر الوسائل قذارة لأشد الأهداف انحطاطاً، عندها تكون أزمة الأخلاق المدمرة، التي تسبب الشقاء الإنساني، وتفسد علاقة الإنسان بأخيه، فتكون الغلبة لصاحب القوة، لا لصاحب الحق، وعندها تعيش الأمة أزمة حضارية، تعيق تقدمها، وتقوّض دعائمها، وحينئذ تظهر العنصرية، أناس أقوياء توهموا أنهم فوق البشر، وأن لهم ما ليس لبقية البشر، ويحق لهم ما لا يحق للبشر، وأنهم مستثنون مما يجب على بقية البشر، وأنهم بنوا مجدهم على أنقاض البشر، بنوا قوتهم على ضعف البشر، بنوا عزهم على إذلال البشر، بنوا غناهم على إفقار البشر، بنوا أمنهم على إخافة البشر، هؤلاء عنصريون، يكيلون بألف مكيال ومكيال، يملكون حق النقض، لكل قرار صادر من المجتمع الدولي، لا يوافق مصالحهم، أو لا يوافق أهواءهم، يملكون الأسلحة النووية بمئات الرؤوس، ولا يسمحون لغيرهم بامتلاك مفاعل نووي لأغراض سلمية، ويجبرون من اتهم بإسقاط طائرة على دفع مليارين وسبعمئة مليون دولار دية لمئتين وسبعين راكبا من مواطنيهم، ولا يعتذرون عن قتل مئات الألوف من المسلمين، في العراق وفلسطين ولبنان، وجلهم من النساء والأطفال، ويأسرون عشرة آلاف فلسطيني، ويأسرون ثمانية وزراء، وثلاثين عضواً في المجلس التشريعي الفلسطيني منتخبين وفق ديمقراطيتهم، وبإشرافهم، ويقتلون ألف لبناني، ويهجرون مليوناً من وطنهم ويدمرون كل شيء

من أجل ثلاثة أسرى، ولا أحد في المجتمع الدولي يعترض، ولا أحد يندد، ولا أحد يعبر عن أسفه، العالم كله متواطئ مع هؤلاء العنصريين، منافق لهم، هم يعاملون طبقة من شعوبهم معاملة تفوق حد الخيال، وبالمقابل يتفننون في إذلال بقية الشعوب، وفي تدمير ممتلكاتهم، وتدمير مرافقهم، وتدمير بنيتهم التحتية، يتفننون في قتل الأبرياء، من الأطفال النساء، ويزعمون أن كل هذا من أجل الحرية، والديمقراطية، وشرق أوسط جديد، وسموا هذه الجرائم كلها بالفوضى البناءة .

ثم إنهم يجرُّون المجتمعات الإسلامية إلى الفساد، والإباحية، و إلى الانحلال الخلقي، وينتهكون الحرمات، ويستخفون بالثوابت، ويدنسون المقدسات، هم في الحقيقة من المتسببين في حدوث الارهاب، وإن أعلنوا الحرب عليه .

وحينما تُسْلَب أرضُ شعبٍ، وتُنهَب ثرواتُه، و تُنتهَك حرماتُه، وتُدَنَّس مقدساته، وتُداسُ كرامتُه، و تُقهَر إرادتُه، وتفسد عقائده، وتفرغ قِيَمُه، ويُزوِّر تاريخُه، ويُحمَل على الفساد والإفساد، وتُمَارَس عليه ألوانُ التجهيل والتجويع والتعذيب على يد أعدائه، أعداء الله، أعداء الحقّ، أعداء الخير، أعداءِ الحياة، عندئذٍ لا بد لهذا الشعب أن يتحرّك ليستردّ حقّه في الحياة الحرة الكريمة.

إننا نواجه أعداء، ماتت في ضمائرهم، وضمائر الذين انتخبوهم، كل القيم الإنسانية، والأعراف الدولية، وداسوا على حقوق الإنسان بحوافرهم، إنهم يصفون المالِكَ للأرض الطريدَ المشرّدَ إرهابياً لا حقّ له، والمتمسكَ بدينه القويم أصولياً، ويجعلون اللصّ الغالبَ على المقدسات، ربَّ بيتٍ محترماً، يملكون الأرضَ لا بالإحياء الشرعيّ، ولكن بالإماتة الجماعية، والقهر النفسي، قال تعالى:

**(حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)**

[سورة يونس: ٢٤]

إن نتائج الظلم لا يمكن ضبط حساباتها، ولا تقدير ردود أفعالها، وذلك أن ردود فعل المقهورين، والمظلومين كشظايا القنابل، تطيش في كل اتجاه، وتصيب من غير تصويب.

إن ردود أفعال المظلومين، والموتورين، لا يمكن التحكم في مداها ولا اتجاهها، وإنها تطيش متجاوزة حدود المشروع والمعقول، مخترقة شرائع الأديان، وقوانين الأوطان، وتكفر أول ما تكفر بهذه القوانين، التي لم توفر لها الحماية أولاً ؛ فلذا لن تقبلها حامية لأعدائها، فإن العلاج الأول، والحقيقي، هو نزع فتيل الظلم، الذي يشحن النفوس بالكراهية والمقت، ويعمي البصائر والأبصار عن تدبر عواقب الأمور، والنظر في مشروعيتها أو نتائجها.

حين ينتظر الناس طويلاً، قبل أن ينالوا حقوقهم، فمن المرجح أنهم سيتصرفون في فترة الانتظار، بطريقة يصعب توقعها، كما سمعتم وشاهدتم في الأربعة والعشرين يوما الماضية في لبنان وفلسطين .

إن دراسة تاريخ الحضارات توقفنا على حقيقة كبرى، وهي أن مصير الإنسان، يتوقف دائماً على أمرين: علاقته بربه، وعلاقته بأخيه الإنسان. والبعد النفسي والأخلاقي، هو المركز والمحور في هاتين العلاقتين، وحينما ينحطّ الإنسان، يتحول عن عبادته لربه إلى عبادته شهواته، وتعتمد علاقتَه بالآخرين على القوة لا على الرحمة، وعلى العنف لا على التفاهم، وينصرف الإنسان عن العناية بالنفس إلى العناية بالجسد، وعن الاهتمام بالمبدأ إلى الاهتمام بالمصلحة، ويتحول المجتمع كله إلى غابة، يحسّ كل واحد فيها، أن من حقه افتراس الآخرين، كما أنه من الممكن أن يكون فريسة، لأي واحد منهم !. هذا هو مجتمع الغاب، أو النظام العالمي الجديد، أو حيونة العولمة .

إن الذين نكّن لهم عظيم الاحترام، ليسوا أولئك الذين يملكون كثيراً من المال، أو الدهاء والمكر، أو القوة العسكرية الخارقة، وإنما نكن عظيم الاحترام، لأولئك الذين انتصروا على التحديات، داخل نفوسهم، وأولئك الذين يملكون فضيلة الانتظار، والتضحية بالعاجل في سبيل الآجل، والإيثار مع مسيس الحاجة إلى ما يؤثرونه...

إنه بالإمكان أن نقول: إن طابع الرقي الحقيقي، هو طابع إيماني أخلاقي، أكثر من أن يكون طابعاً عمرانياً تنظيمياً، والجاذبية التي تتمتع بها القرون الأولى، من تاريخ الإسلام، تنبع بشكل أساسي من طابع الاستقامة والنبل والتضحية... وليس من التفوق في الحروب أو العلوم أو العمران.

لقد كان صلى الله عليه وسلم رحيماً بأمته من بعده، وتمثلت هذه الرحمة في حرصه الشديد على وحدتها وقوتها، فكل ما من شأنه أن يوحد أمته ويقويها، وأن يجمع شملها، وأن يرص صفوفها، أمر به، وكل ما من شأنه أن يفرقها، أو أن يشتتها، أو أن يضعفها، نهى عنه .

لقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأخوة الحقيقية التي تتجسد في الاتحاد، والتضامن، والتساند، والتآزر، والتعاون، والتكاتف، ولقد حذر من التفرق، والاختلاف، والعداوة، والبغضاء، والتشرذم، ويتبدى ذلك من سننه القولية والعملية، حدث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهودياً في المدينة المنورة غاظه ما رأى من ألفة المسلمين، غاظه ما رأى من صلاح ذات بينهم، بعد الذي كان بينهم من العداوة والبغضاء، في الجاهلية، فأمر شاباً على شاكلته أن يجلس مع الأوس والخزرج، وأن يذكرهم بيوم بعاث، وهو من أيام الجاهلية، يوم اقتتالهم، وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوه فيه من أشعار، فتفاخر القوم، ثم تنازعوا، ثم تواثب رجلان من الحيين، وتقاولا، فقال أحدهما: إن شئتم رددناها الآن جذعةً، أي حامية، وغضب الفريقان، وكادت تقع فتنة، بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم غاضباً، وقال لهم:

**(( يا معشر المسلمين، الله، الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ أبعد أن هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به،، وقطع به عنكم دعوى الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم... ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدو لهم ))**

وبكوا، وعانق الرجال بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين.

لقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الخصومة بالكفر، ثم إن الله جل جلاله أنزل بهذه الحادثة قرآناً فقال تعالى:

**( وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ )**

لقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على وحدة أمته وقوتها من بعده، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ))**

[رواه مسلم]

فما من مرحلة في تاريخ أمتنا المعاصر، تشتد فيها الحاجة إلى رأب الصدع، ولمّ الشمل، وتضميد الجراح، ورصّ الصفوف، كهذه المرحلة التي نحن فيها، ولن نستطيع أن ننتزع حقنا وأرضنا إلا بالتعاون، والتضامن، والتساند، والتكاتف، والتآزر، وبيد أعدائنا ورقة رابحة وحيدة، وهي إثارة الفتن الطائفية، ونحن بوعينا، وإخلاصنا، نستطيع أن نسقط هذه الورقة من يده، وهذا ما يسعى إليه بلدنا الطيب .

إننا بكل شرائحنا وأطيافنا، وفي كل بقاعنا وأصقاعنا... نكبر جميعاً إخوتنا المجاهدين في جنوب لبنان، وفي فلسطين، الذين جسدوا ببطولاتهم معاني الجهاد، تلك الفريضة التي عطلها ضعاف النفوس في العالم الإسلامي، ونحن نقبل جميعاً رؤوس المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين، لأنهم رفعوا رؤوس المسلمين عالياً، ونقبل عيونهم لأنها باتت تحرس في سبيل الله، ونصافح أيديهم، لأنها بطشت بأعداء الله، وجعلتهم يألمون، كما كنا نألم، ونرجو من الله ما لا يرجون .

يعلمنا التاريخ الإسلامي، أننا إذا أضفنا على الإسلام ما ليس منه، تمزقنا، وتشرذمنا، وأصبحنا فرقاً، وشيعاً، وطوائف، وكان بأسنا بيننا، ولا أدل على ذلك من أن نقاط الخلاف بين الفرق الإسلامية ليس لها وجود في أصل في الدين، ولنضرب على ذلك مثلاً ً: ذكر أبو بكر الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن الصفحة الثالثة والأربعين بعد المئة، أن سيدنا علياً بن أبي طالب رضي الله عنه، قال لما قبض أبو بكر رضي الله عنه: **رحمك الله أبا بكر كنت إلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنسه، وثقته وموضع سره، كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأثبتهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأرفعهم درجة، وأشبههم برسول الله هدياً ورحمة وفضلاً، وأشرفهم منزلة، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله خيرا كنت عنده بمنزلة السمع والبصر، صدقت رسول الله حين كذبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، سماك الله في كتابه صديقاً فقال: " والذي جاء بالصدق وصدق به ".**

ويعلمنا التاريخ الإسلامي أيضاً... أننا إذا حذفنا من الإسلام ما علم منه بالضرورة، كالجهاد ضعفنا، وتفنن أعداؤنا في قهرنا، وفي نهب ثرواتنا، وفي السيطرة علينا، وفي إملاء إرادتهم، وثقافتهم علينا، وفي منعنا من تعليم أولادنا مبادئ ديننا، فهذه الفريضة طبقت جزئياً، في بلدان عدة، من العالم العربي والإسلامي، فتحدى المقاومون أعتى القوى في الشرق الأدنى والأوسط والأقصى، فحجمت، وأذلت، وأربكت، فعجزت عن تحقيق أي إنجاز عسكري في لبنان مثلاً خلال أربعة وعشرين يوماً، لكنه حقق إنجازاً همجياً بربرياً، حينما ضرب البنية التحتية، وهدم المنازل، وقتل النساء والأطفال .

وإن كنا كما ينبغي، وانتصرنا بفضل الله ورحمته وعدله، كان النصر استحقاقياً، وإن لم نكن كما ينبغي، وانتصرنا بفضل الله ورحمته وحكمته، كان النصر تفضلياً، لذلك توجه نور الدين الشهيد بالدعاء إلى الله حين واجه التتار: يارب... من هو نور الدين حتى تنصره إنه لايستحق النصر... ولكن انصر دينك .

ثم إنني أخاطب أولئك الذين ؛ لم يحملوا هموم أمتهم، التي تحيق بها المحن والشدائد، أخاطبهم أينما كانوا في العالمين العربي والإسلامي، وفي أي مستوى وجدوا في قواعد المجتمع أو في قممه، الذين لم يتألموا لآلامها، ولم يحزنوا لأحزانها، وتوهموا أن الذي يجري حولهم لايعنيهم، وهم غارقون في حفلات تقام في ردهات الفنادق، وفي أبهاء المطاعم، وفي حدائق المزارع، وفي ألعاب تافهة، وسباقات فارغة، وفي برامج ساقطة، مستوردة من عالم، تتناقض قيمه ومبادئه، مع قيمنا ومبادئنا، تبثها بعض الفضائيات، والتي تبذل فيها الأموال الطائلة، والأوقات الثمينة، إلى هؤلاء الشاردين أقول لهؤلاء متمنياً أن ينتبهوا من غفلتهم، وأن يعودوا إلى رشدهم، أقول لهم:

**أخي في الله أخبرني متى تغضبْ ؟**

**إذا انتهكت محارمنا**

**إذا نُسفت معالمنا، ولم تغضبْ**

**إذا قُتلت شهامتنا، إذا ديست كرامتنا**

**إذا قامت قيامتنا، ولم تغضبْ**

**فـأخبرني متى تغضــبْ ؟**

**إذا نُهبت مواردنا، إذا نكبت معاهدنا**

**إذا هُدمت منازلنا، إذا قطعت طرائقنا**

**وظلت قدسنا تُغصبْ**

**ولم تغضبْ**

**فأخبرني متى تغضبْ ؟**

**عدوي أو عدوك يهتك الأعراض**

**يعبث في دمي لعباً**

**وأنت تراقب الملعبْ**

**إذا لله.. للحـــرمات.. للإسلام لم تغضبْ**

**فأخبـــرني متى تغضبْ ؟!**

**رأيتَ هناك أهوالا**

**رأيتَ الدم شلالاً**

**رجالاً شيعوا للموت أطفالاً**

**رأيتَ القهر ألواناً وأشكالاً**

**ولم تغضبْ**

**فأخبـــرني متى تغـضبْ ؟**

**فصارحني بلا خجلٍ.. لأية أمة تُنسبْ ؟!**

**فلست لنا، ولا منا، ولست لعالم الإنسان منسوبا**

**ألم يحزنك ما تلقاه أمتنا من الهول**

**ألم يخجلك ما تجنيه من مستنقع الحل**

**وما تلقاه في دوامة الإرهاب والقتلِ**

**ألم يغضبك هذا الواقع المعجون بالذلِ**

**وتغضب عند نقص الملح في الأكل!!**

**ألم يهززك منظر طفلة ملأت**

**مواضعَ جسمها الحفرُ**

**ولا أبكاك ذاك الطفل في هلع**

**بظهر أبيه يستترُ**

**فما رحموا استغاثته**

**ولا اكترثوا ولا شعروا**

**فخـــرّ لوجهه ميْتـــاً**

**وخرّ أبوه يُحتضرُ**

**متى التوحيد في جنبَيْك ينتصرُ؟**

**أتبقى دائماً من أجل لقمة عيشكَ**

**المغموسِ بالإذلال تعتذرُ؟**

**متى من هذه الأحداث تعتبرُ؟**

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٧٥) : خ١ - الرد على البابا ، خ٢ - توقيت هذه الإساءة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٩-٢٢

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

## المحاضرة التي ألقاها البابا بينيدكت السادس عشر على مدرج جامعته في ألمانيا:

موضوع الخطبة اليوم هو الموضوع الساخن، فقد ألقى البابا بينيدكت السادس عشر الحالي محاضرة على مدرج جامعته في ألمانيا يوم الثلاثاء الواقع في الثاني عشر من أيلول الجاري، قال فيها:

إنّ العقيدة الإسلامية تقوم على أساس أن إرادة الله لا تخضع لمحاكمة العقل ولا المنطق. ثم إن محمداً لم يأت إلا بما هو سيئ وغير إنساني، كأمره بنشر الإسلام بحد السيف.

وقبل تقديم الإضاءة الإسلامية لما انطوت عليه كلمات البابا أضع بين أيدي الأخوة الحاضرين، والمستمعين الحقائق التالية:

## الحقائق التالية هي إضاءات إسلامية لما تحتاجه هذه المحاضرة :

### ١ ـ مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن :

التعاليم القرآنية، والتوجيهات النبوية، تمنعنا أن نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، وسألتزم الأدب النبوي حينما أرسل النبي الكريم رسالة إلى قيصر ملك الروم، فقال له فيها: من محمد رسول الله إلى عظيم الروم.

### ٢ ـ القصد من هذه الخطبة التوضيح والبيان :

ليس القصد من هذه الخطبة التي تلقى في هذا المسجد الأموي الكبير التجريح أو النيل من شخصية دينية في العالم الغربي، إنما القصد التوضيح والبيان وهذه أمانة العلماء، قال تعالى:

**( الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ )**

[ سورة الأحزاب: ٣٩]

## ٣ ـ تمتع المسلمون والمسيحيون في بلادنا بنوع من التفاهم والتعايش :

يتمتع المسلمون والمسيحيون في بلادنا بنوع من التفاهم والتعايش والتعاون قل مثيله في بلدان أخرى، قال تعالى:

( فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ )

[ سورة التوبة: ٧]

## ٤ ـ المسيحيون في بلادنا عبروا عن أسفهم

المسيحيون في بلادنا عبروا عن أسفهم الشديد ، وعن استنكارهم الأكيد للكلمات التي أدلى بها بابا الفاتيكان، فلا يؤخذ أحد بجريرة أحد، والتعميم من العمى، قال تعالى:

( وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)

[ سورة الأنعام: ١٦٤]

## ٥ ـ ما تناقلته وسائل الإعلام العالمية :

وقد تناقلت وسائل الإعلام العالمية تصريحاً للبابا أنه لم يقصد الإساءة للمسلمين، وأنه تأسف أشد الأسف لما حصل من تداعيات لكلماته.

## ٦ ـ رفض اللجوء إلى العنف :

ونحن في هذا البلد الطيب نرفض أشد الرفض اللجوء إلى العنف، فرد الفعل الانفعالي ضار مثل الفعل تماماً؛ فالفكرة ترد بالفكرة، والقول بالقول، والتصريح المعلن بالتصريح المعلن، والمحاضرة بالمحاضرة، والحوار بالحوار.
وقد نقل قداسة البابا هذه المقولة متبنياً لها عن الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني في كتاب أصدره في القرن الرابع عشر الميلادي، وهي مقولة افتراء على الإسلام ظالمة وقديمة لم ينطلق فيها من دراسة موضوعية بل من انطباع شخصي انفعالي، مع أن قداسة البابا يحمل دكتورا في مقارنة الأديان، ولا تغيب عنه حقيقة الدين الإسلامي.

## تصريحات البابا لا تخدم السلام في العالم ولا حوار الحضارات :

الخطورة في هذا الخطاب البابوي، أنه غير معهود، وغير مسبوق، وقد خالف فيه أصول الخطاب والحوار، وخالف فيه الحقيقة والواقع، وخالف فيه سياسة سلفه الراحل، فقد كنا نعتقد أن الحبر الأعظم هو أبعد جهة في الغرب عن أن تسيس الدين لمصلحة الأقوياء، وعن أن تقدم الغطاء الديني

من أعلى مرجعية مسيحية للعدوان الغاشم الذي يقوده الغرب على العالم الإسلامي، كما يقدم عندنا بعض المفتين في العالم الإسلامي الغطاء الإسلامي لمواقف وتصرفات حكامهم.

فمثل هذه التصريحات... لا تخدم السلام في العالم، ولا حوار الحضارات، ولا التعايش السلمي بين الأديان.

فليس مسموحا عندنا - نحن المسلمين - أن يتبوأ رجل درجة الإمامة العظمى ويبلغ أعلى منصب ديني، ثم لا يعرف أبسط الحقائق عن الأديان السماوية الأخرى، وفق منهج علمي، يمنحه الحق فيما بعد، أن يكون مجادلاً بالتي هي أحسن.

## مقارعة الحجة بالحجة والدليل بالدليل لمثل هذه الاتهامات الظالمة :

وكالعادة... بدأت ردود الفعل في العالم الإسلامي، بالشجب، والاستنكار، والمطالبة بالاعتذار... ونحن نعتقد أن هذا الأسلوب لا يليق بأمة لها شهودها على الأمم، وفيها أكثر من مليار وخمسمئة مليون، أن تكتفي بهذه المطالبات؛ بل أعتقد أن طلب الاعتذار والتوضيح وحده يقزّم حجمنا، ويقلل من قدسية ديننا، ولا يعني ذلك اللجوء إلى العنف، بل يعني أن ننهض لمقارعة الحجة بالحجة، والدليل بالدليل، فهذا من حقنا، بل هو واجب علينا، فمثل هذه الاتهامات الظالمة للإسلام؛ بالعنف، والتطرف، والفاشية، والإرهاب، التي تصدر من كتاب وصحفيين من الصف الرابع ألفناها وملناها، فمن عرف نفسه ما ضرته مقالة الناس به، ولكن العجب العجاب أن تصدر هذه الاتهامات الظالمة من أعلى سلطة سياسية العالم الغربي، ومن أكبر مرجعية دينية فيه.

## استشهاد قداسة البابا بمقولة ملك جاهل حاقد :

استشهد قداسة البابا بمقولة ملك جاهل حاقد، أن النبي محمداً لم يأت إلا بما هو سيئ وغير إنساني.

### ١ ـ هل من السيئ التعريف الرائع بمعجزة ميلاد السيد المسيح ؟

هل من السيئ الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم التعريف الرائع بمعجزة ميلاد السيد المسيح:

**( فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً )**

[ سورة مريم: ٢٧-٣٣]

## ٢ ـ هل من السيئ التعريف الكريم الودود بالشخصية الوجيهة بالسيد المسيح ؟

هل من السيئ الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم التعريف الكريم الودود بالشخصية الوجيهة بالسيد المسيح:

**( إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنّ اللّهَ يُبَشّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرّبِينَ)**

[ سورة آل عمران: ٤٥ ]

## ٣ ـ هل من السيئ التعريف بإعجاز نبوة المسيح ورسالته ؟

هل من السيئ الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم: التعريف بإعجاز نبوة المسيح ورسالته:

**( إِذْ قَالَ اللّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيّدتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ الطِينِ كَهَيْئَةِ الطّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي)**

[ سورة المائدة: ١١٠ ]

## ٤ ـ هل من السيئ التعريف بالإنجيل الذي أنزله الله على سيدنا المسيح ؟

هل من السيئ الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم: التعريف بالإنجيل الذي أنزله الله على سيدنا المسيح:

**( وَقَفّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتّقِينَ)**

[ سورة المائدة: ٤٦ ]

## ٥ ـ هل من السيئ تمجيد أم المسيح الصدّيقة مريم وترسيخ اليقين بطهرها ؟

وهل من السيئ الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم: تمجيد أم المسيح الصدّيقة مريم والدفاع عنها، ورفع ذكرها في الكتاب، وترسيخ اليقين بطهرها:

**( وَإِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)**

[ سورة آل عمران: ١٢٣ ]

## ٦ ـ هل من السيئ أنه وصف صنفاً من أهل الكتاب بالتقوى والصلاح ؟

وهل من السيئ الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم: أنه وصف صنفاً من أهل الكتاب، بالتقوى والصلاح، فقال تعالى:

**( لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آَيَاتِ اللَّهِ آَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ*يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ )**

[ سورة آل عمران: ١١٣-١١٤ ]

## ٧ ـ هل من السيئ أن جعل رسول الإسلام الإيمان بالمسيح عيسى بن مريم من أركان؟

وهل من السيئ الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم: أن جعل رسول الإسلام الإيمان بالمسيح عيسى بن مريم من أركان الإيمان في الدين الإسلامي، ومدخلا إلى الجنة فقال عليه الصلاة والسلام:

**((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه، وكلمتُه ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنةُ والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل))**

[ متفق عليه عن عبادة بن الصامت]

وقوله صلى الله عليه وسلم:

**((أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى ورؤيا أمي آمنة))**

[البيهقي في شعب الإيمان عن العرباض]

## ٨ ـ هل من السيئ أن وصف العلاقة بين رجال الدين في الديانتين بأنها مبنية على المودة؟

وهل من السيئ الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أن وصف العلاقة بين رجال الدين، في الديانتين، بأنها مبنية على المودة والتقدير، فقال تعالى:

**( وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ )**

[ سورة المائدة: ٨٢ ]

أي سوء في هذا العدل، والإنصاف، والكمال، والجمال، والذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ؟.. وأي عقل وأي منطق هذا الذي يحول الحسن إلى قبح، والكمال إلى نقص، وتوقير السيد المسيح وأمه ودينه إلى إساءات غير إنسانية؟!

*****

## مايكل هاردت جعل النبي محمداً عليه الصلاة والسلام على رأس المئة من عظماء العالم.

كنا ـ نحن المسلمين ـ نتمنى على قداسة البابا قبل أن يتبنى قول إمبراطور بيزنطي جاهل بأقدار الأنبياء..... أن يطلع على كتاب المئة الأوائل في تاريخ البشرية الذي ألفه الباحث الفلكي الأمريكي مايكل هاردت عام ألف وتسعمئة وثمانية وسبعين وهو كاثوليكي المذهب، بعد أن قرأ عن عظماء العالَم الشيء الكثير، واختار من عظماء العالَم في الشرق والغرب، قديماً وحديثاً، آلاف الشخصيات، واختار من الآلاف مئة عَدّها من الأوائل، وجعل النبي محمداً عليه الصلاة والسلام على رأس هذه المئة، بحسب المقاييس التي وضعها وهي: قوة التأثير، ونوع التأثير، واتساع رقعة التأثير، وامتداد أمد التأثير، هذه المقاييس طبّقها على هؤلاء المئة، فكان النبي عليه الصلاة والسلام في طليعتها.

## الفيلسوف الروسي تولستوي الذي انبهر بشخصية النبي صلى الله عليه و سلم.

وكنا نتمنى على قداسة البابا قبل أن يتبنى قول إمبراطور بيزنطي جاهل بأقدار الأنبياء..... أن يطلع على ما كتبه الفيلسوف الروسي تولستوي الذي انبهر بشخصية النبي صلى الله عليه و سلم و ظهر ذلك واضحاً على أعماله فيقول في مقالة له بعنوان من هو محمد: إن محمداً هو مؤسس و رسول و كان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، و يكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق و جعلها تجنح إلى السكينة و السلام و منعها من سفك الدماء وفتح لها طريق الرقي و المدنية و هو عمل عظيم لا يقدم عليه إلا شخص أوتي قوة و رجل مثله جدير بالاحترام و الإجلال، وقد قدمت بعثته خدمة كبيرة للبشرية فقد أرست دعائم الصلح، والاستقرار، والرخاء، وفتحت طريق الحضارة والرقي للأجيـال،

ومثل هذا الشخص - و بلا شك - يستحق كل إكرام و تقدير واحترام.

## ما قاله الباحث الغربي كمال الدين :

وكنا نتمنى على قداسة البابا قبل أن يتبنى قول إمبراطور بيزنطي جاهل بأقدار الأنبياء..... أن يطلع على ما كتبه الباحث الغربي واسمه بعد إسلامه كمال الدين، قال: كان محمد قائماً على أعظم دعوة شهدتها الأرض، الدعوة التي حققت للإنسان وجوده الكامل، وتغلغلت في كيانه كـلـه، ورأى الناس الرسول الكريم تتمثل فيه هذه الصفات الكريمة، فصدقوا تلك المبادئ التي جاء بها كلها، ورأوها متمثلة فيه، ولم يقرؤها في كتاب جامد، بل رأوها في بشر متحرك، فتحركت لها نفوسهم، وهفت

لها مشاعرهم، فكان أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، و كان هادياً و مربياً بسلوكه الشخصي، قبل أن يكون بالكلم الطيب الذي ينطق به.

## قول أحد المفكرين الغربيين في سيدنا محمد :

وكنا نتمنى على قداسة البابا قبل أن يتبنى قول إمبراطور بيزنطي جاهل بأقدار الأنبياء..... أن يطلع على ما كتبه أحد المفكرين الغربيين حيث يقول: الحقيقة أن محمداً قد جاء برسالة لا يمكن إنكارها، و هي خلاصة الرسالات السابقة، بل وتعلو عليها، بناء على هذا فإن رسالته للعالم دستور ثابت، وأقواله تنسجم وذوق البشر وإدراك بني الإنسان في هذا العصر.

## ما قاله ميلر في النبي محمد :

وكنا نتمنى على قداسة البابا قبل أن يتبنى قول إمبراطور بيزنطي جاهل بأقدار الأنبياء..... أن يطلع على ما كتبه ميلر الكاتب البريطاني المعروف يقول: بزوغ بعثة محمد صلى الله عليه و سلم وسطوع شمس الإسلام، أثبت هذا النبي أن دعوته موجهة للعالمين، و أن هذا الدين المقدس يناسب كل عصر وكل عنصر وكل قومية، وأن أبناء البشر في كل مكان وفي ظل أية حضارة، لا غنى لهم عن هذا الدين، الذي تنسجم تعاليمه مع الفكر الإنساني.

## ما ذكره الكاتب الفرنسي كورسيه في سمو أخلاق النبي الكريم :




وكنا نتمنى على قداسة البابا قبل أن يتبنى قول إمبراطور بيزنطي جاهل بأقدار الأنبياء..... أن يطلع على ما كتبه الكاتب الفرنسي كورسيه حيث يقول: عندما نهض محمد بدعوته وقبل و بعد انطلاق بعثته كان شاباً شجاعاً شهماً، يحمل أفكاراً تسمو على ما كان سائداً من أفكار في مجتمعه، و قد تمكن محمد بسمو أخلاقه من هداية عرب الجاهلية المتعصبين الذين كانوا يعبدون الأصنام إلى عبادة الله الواحد الأحد، و في ظل حكومته الديمقراطية الموحدة، تمكن من القضاء على كل أشكال الفوضى، والاختلاف، والاقتتال الذي كانت شائعاً في

جزيرة العرب، وأرسى بدل ذلك أسس الأخلاق الحميدة، محولاً المجتمع العربي الجاهلي إلى مجتمع راق ومتحضر.

## تخصيص توماس كاريل فصلاً من كتابه لنبي الإسلام :

وكنا نتمنى على قداسة البابا قبل أن يتبنى قول إمبراطور بيزنطي جاهل بأقدار الأنبياء..... أن يطلع على ما كتبه الفيلسوف البريطاني توماس كاريل و قد خصص من كتابه فصلاً لنبي الإسلام، بعنوان البطل في صورة رسول، عدّ فيه النبي صلى الله عليه و سلم واحداً من العظماء السبعة الذين أنجبهم التاريخ ، ووالله لقد كانت في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار و الفلوات، المتورد المقلتين، العظيم النفس، المملوء رحمة وخيراً وحناناً وبراً وحكمة.

## وصف بعض كتاب السيرة شخصية النبي صلى الله عليه وسلم التعاملية :

وكنا نتمنى على قداسة البابا قبل أن يتبنى قول إمبراطور بيزنطي جاهل بأقدار الأنبياء..... أن يطلع على حقيقة نبي المسلمين من كتب المسلمين لا من كتب أعدائهم الحاقدين، وهذا من أولى مبادئ البحث الموضوعي، وما تقتضيه درجة الأستاذية في الجامعة، فقد وصف بعض كتاب السيرة شخصية النبي صلى الله عليه وسلم التعاملية فقالوا: لقد كان صلى الله عليه و سلم جمّ التواضع، وافر الأدب، يبدأ الناس بالسلام، ينصرف بكله إلى محدثه صغيراً كان أو كبيراً، يكون آخر من يسحب يده إذا صافح، و إذا تصدق وضع الصدقة بيده في يد المسكين، و إذا جلس جلس حيث ينتهي به المجلس، لم يرَ ماداً رجليه قط، و لم يكن يأنف من عمل لقضاء حاجته أو حاجة صاحب أو جار، و كان يذهب إلى السوق و يحمل بضاعته و يقول: أنا أولى بحملها، و كان يجيب دعوة الحر و العبد و المسكين، و يقبل عذر المعتذر، و كان يرفو ثوبه، و يخصف نعله، و يخدم نفسه، و يعقل بعيره، و يكنس داره، و كان في مهنة أهله، و كان يأكل مع الخادم، و يقضي حاجة الضعيف و البائس، يمشي هوناً خافض الطرف متواصل الأحزان، دائم الفكر لا ينطق من غير حاجة، وكان طويل السكوت، إذا تكلم تكلم بجوامع الكلم، و كان دمثاً ليس بالجاحد و لا المهين، يعظم النعم و إن دقت، و لا يذم منها شيئاً، و لا يذم مذاقاً و لا يمدحه و لا تغضبه الدنيا و لا ما كان لها، و لا يغضب لنفسه و لا ينتصر لها، إذا غضب أعرض و أشاح، و إذا فرح غض بصره، و كان يؤلف و لا يفرق، يقرب و لا ينفر، يكرم كريم كل قوم و يوليه عليهم، يتفقد أصحابه و يسأل الناس عما في الناس، يحسن الحسن و يصوبه و يقبح القبيح و يوهنه، و لا يقصر عن حق و لا يجاوزه، و لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو ما يسره من القول، كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ و لا غليظ، و لا صخاب و لا فحاش، و لا عياب، و

لا مزاح، يتغافل عما لا يشتهي، و لا يخيب فيه مؤمله، كان لا يذم أحداً و لا يعيره و لا يطلب عورته و لا يتكلم إلا فيما يرجى ثوابه، يضحك مما يضحك منه أصحابه، و يتعجب مما يتعجبون، و يصبر على الغريب و على جفوته في مسألته و منطقه، و لا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه، و الحديث عن شمائله صلى الله عليه و سلم حديث يطول لا تتسع له المجلدات و لا خطب في سنوات و لكن الله جل في علاه لخصها بكلمات فقال:

**( وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ )**

[ سورة القلم : ٤]

## ما نتمناه على قداسة البابا :

وأخيراً كنا - نحن المسلمين - نتمنى على قداسة البابا أن ينهج منهج سلفه البابا يوحنا بولس الثاني الذي حث على التعايش السلمي بين الأديان.

وأن ينهج منهج سلفه البابا بولس السادس الذي أعلن اعترافه بالإسلام كدين سماوي، وأوقف التبشير في العالم الإسلامي، وأعلن أن المؤمن برسالة محمد ناج يوم القيامة، ولو لم يؤمن بالمخلص، وأرسل برقيات تهنئة لبعض زعماء العالم العربي والإسلامي بعيد الأضحى المبارك، واستقبل وفداً من كبار رجال الدين الإسلامي معظمهم من بلدنا سورية، وأكرمهم أيما إكرام.

*****

كنا نود أن ينتبه قداسة البابا إلى أن المسلمين لم يبنوا مجدهم على أنقاض الآخرين، ولم يبنوا غناهم على إفقار الآخرين، ولم يبنوا أمنهم على إخافة الآخرين، ولم يبنوا عزهم على إذلال الآخرين، والمسلمون لا يسعون إلى إضلال الآخرين، ولا إلى إفسادهم، ولا إلى نهب ثرواتهم، ولا إلى إبادتهم.

كنا نود أن ينتبه قداسة البابا إلى أن تاريخ المسلمين ليس ممتلئاً بأعنف صور التدمير الحضاري، والإبادات الجماعية، واستغلال خيرات الشعوب، والسطو على مقدراتها ، وأن المسلمين لم ينشئوا محاكم التفتيش، ولم يبيدوا الهنود الحمر، ولم يستعبدوا الزنوج، ولم يستعمروا الشعوب، ولا أدلّ على ذلك من الغزو الفرنجي للعالم الإسلامي قديماً باسم الحروب الصليبية، وحديثاً باسم الحرية والديمقراطية.

كنا نود أن ينتبه قداسة البابا إلى أن الإسلام لم يكن هو السبب الذي لأجله اندلعت حربان عالميتان قتل فيهما ما لا يقل عن ثمانين مليون إنسان، وعشرات ملايين المعاقين.


المسلمون لم يستعبدو الزنوج

كنا نود أن ينتبه قداسة البابا إلى أن المسلمين ليسوا هم الذين قرروا قصف مدينة هيروشيما و ناغازاكي في اليابان، بالقنبلة الذرية فقتل ثلاثمئة ألف إنسان في ثوان معدودات، ولم يكن المسلمون هم الذين استخدموا أسلحة الدمار الشامل المحرمة دولياً كالقنابل الذكية، والعنقودية والفسفورية، وقنابل اليورانيوم المخضب، لقتل النساء والأطفال والشيوخ، وتدمير الجسور والمنشآت، والبنية التحتية لشعب أعزل ضعيف، والمسلمون لم يعذبوا المساجين الوطنيين الذين قاوموا الاحتلال في العراق بطريقة يندى لها جبين الإنسانية.

كنا نود أن ينتبه قداسة البابا إلى أن الإسلام ليس عقيدة الذين هاجروا إلى بلاد بعيدة وتحدثوا كثيراً عن الحرية، بعد أن أبادوا عشرات الملايين من سكانها الأصليين، فالمسلمون لا يعرفون التطهير العرقي الذي اعترف به الغربيون حينما قالوا: إننا حينما استأصلنا الهنود الحمر في أمريكا، والإنكليز حين استأصلوا سكان أستراليا الأصليين، نجحنا في حسم المعركة، إذن ليس عند هؤلاء الأقوياء مبادئ ولا قيم، ولا شعور إنساني، إنما الذي عندهم سيناريو متقن أو غير متقن، وصفقة كبيرة أو صغيرة.


المسلمون لا يعرفون إتلاف المحاصيل للحفاظ على سعرها

كنا نود أن ينتبه قداسة البابا إلى أن المسلمين لا يرمون آلاف الأطنان من الحبوب و كل صنوف المواد الغذائية في البحار، ولا يعرفون إتلاف المحاصيل الزراعية حفاظاً على أسعارها المرتفعة، وتسميمها خوفاً من أن يأكلها الفقراء مجاناً فيقل الطلب على شرائها، والمسلمون لا يعرفون إطلاق النار على عشرين مليوناً من الأغنام ودفنها تحت الأرض حفاظاً على أسعارها المرتفعة، في الوقت الذي تموت فيه بعض الشعوب جوعاً بعد أن فتكت فيها المجاعات، وهي في أمس الحاجة إلى اللحوم والألبان والمحاصيل.
كنا نود أن ينتبه قداسة البابا إلى المسلمين لا يرسلون نفاياتهم الذرية إلى الشعوب الضعيفة التي

فتكت فيها المجاعات والحروب الأهلية مصحوبة ببعض المساعدات الغذائية حتى تسبب لها الأمراض السرطانية بشكل وبائي ولآلاف السنين.

كنا نود أن ينتبه قداسة البابا إلى المسلمين لا يسمحون بتجريب الأدوية على شعوب متخلفة ضعيفة وكأنهم فئران تجارب ليدرؤوا عن شعوبهم خطر الأدوية التي لم تثبت سلامتها.

*****

## همسة في أذن المسلمين :

ولكن لابد من همسة في أذن المسلمين. لماذا ندين الأقوال ولا ندين الأفعال أو على الأقل نتغاضى عنها؟ ألم تسخّر الكثير من الجهات العربية والإسلامية كل طاقاتها الإعلامية والثقافية والدعائية والفقهية والقمعية لاقتلاع مفهومات الدين الصحيحة من عقول المسلمين؟ لماذا نطلق عشرات القنوات الفضائية الهابطة، أليس لإفساد العقول وتمييع الشباب وتزييف الوعي؟ ماذا كان هدف تلك المحطات الإعلامية التي تحاصرنا من كل حدب وصوب سوى إخصاء المجتمعات الإسلامية، وتحويلها إلى راقصين وراقصات، وماجنين وماجنات، وفاسدين وفاسدات، ومخنثين ومخنثات؟ هل هناك هدف لمعظم وسائل الإعلام التي تبث عبر الأقمار سوى الحض على الفساد والإفساد، والابتعاد عن المفهوم الحقيقي للإسلام؟

أيهما أخطر على الإسلام والمسلمين جملة قالها الحبر الأعظم، أم الضخ الإعلامي اليومي وغسل الأدمغة العربية والإسلامية بطريقة منظمة وممنهجة وتطهيرها من قيم النخوة والعزة والإباء والحمية والكرامة؟

أيها الأخوة المؤمنون؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيّس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

***

### الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، واشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

## محاربة الآخر للإسلام مع أنه دين الاعتدال و المحبة و التسامح :

ليس خافياً أن توقيت هذه الإساءة جاء في مرحلة يمكن أن تسبب انفجاراً واسع النطاق، على مستوى صراع الأديان، أو صدام الحضارات، أو أن تضيف على الأقل احتقانا عقديا إلى احتقانات عقدية وإنسانية وسياسية سابقة، فتصنف هذه الإساءة مع القذائف القاتلة، وتضيع محاولات رأب الصدع، تحت تأثير تنوع الضربات، وتعدد مصادرها.

فلا يمكن القبول بأن كلمات قداسة البابا هي زلة لسان، أو كلمات أسيء فهمها، فهذا لا ينتظر من قداسته ، لاسيما أنه يحمل درجة الدكتوراه والأستاذية في علم الأديان، وأنه لم يرتجل كلمته، بل ورد كلامه من محاضرة، نصها مكتوب أمامه، خضع للمراجعة والتنقيح والضبط مثلما هي عادة كل بحث علمي يقدمه أستاذ جامعي متخصص، قبل أن يكون رجل الكنيسة الكاثوليكية الأول في روما، ورئيس دولة الفاتيكان.

ولعل القصد من كلمات قداسة البابا - وأرجو أن أكون مخطئاً - أن يدفع المسلمين إلى التطرف، لأن تطرف الغرب وإرهابه الدولي والمنظم يحتاج إلى تطرف إسلامي مستمر، ليكون تبريراً لمتابعة خططه التي لا يستطيع إعلانها، فإن لم يكن هناك تطرف إسلامي..... دفع هؤلاء القادة السياسيون والقادة الروحيون المسلمين إليه، أو صنعوه هم ونسبوه إليهم، بطريقة أو بأخرى.

وقد شرح هذه التحليل، وذاك التفسير السيد الرئيس في مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد بكوالالامبور في ماليزيا مؤخراً، فقال في خطابه:

في الثمانينات كانوا في الغرب يدعمون التطرف الإسلامي وليس الإسلام، أما اليوم فهم يحاربون الإسلام لا التطرف الإسلامي. ولو تساءلنا لماذا يحارب هؤلاء المتعصبون الإسلام وهو دين العدل والمحبة والتسامح لكان الجواب البديهي لأن الإسلام الحقيقي هو الذي يمنع التطرف، لأنه دين الاعتدال، وهؤلاء المتعصبون يتمنون ويعملون عكس ما يعلنون، من انتهاك للسيادة، والحصار الاقتصادي، إلى الاجتياح الثقافي، والتمويل السري لبعض الهيئات لاستمرار واتساع التطرف الإسلامي، أو أي تطرف آخر، لأنه المعادل الموضوعي لتطرفهم، والمبرر الأكيد لبقائهم في مواقع السيطرة في مناطق عديدة في هذا العالم، فالتطرف يعيش على تطرف مقابل وهو يضمحل في بيئة الاعتدال.

## تعزيز الدين الإسلامي الصحيح :

إن علينا أن نعزز الدين الإسلامي الصحيح عقيدة وسلوكاً ففيه تحصين للإسلام والمسلمين وإضعاف لأعدائهم وهذا يبدأ بمكافحة وتجنب كل الممارسات الشاذة الناجمة عن فهم خاطئ للدين والتي تسيء إليه بشكل مباشر وتعطي الآخرين من أصحاب النيات السيئة الحجة والمبرر لوصف الإسلام بشتى الصفات السلبية واللاإنسانية. وان كنا نرفض وبقوة كل المحاولات التي تجعل من صفة الإرهاب خاصة بالدين الإسلامي فإننا نرفض وبنفس القوة كل محاولة لربط الممارسات الخاطئة لبعض الأفراد بديانة أو حضارة معينة.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٧٦) : خ١ - مجزرة بيت حانون ، خ٢ - تعقيب على هذه المجزرة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-١١-١٠

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

وحينما تُسْلَب أرضُ شعبٍ، وتُنهَب ثرواتُه، و تُنتهَك حرماتُه، وتُدَنَّس مقدساته، وتُداسُ كرامتُه، و تُقهَر إرادتُه، وتفسد عقائده، وتفرغ قِيَمُه، ويُزوِّر تاريخُه، ويُحمَل على الفساد والإفساد، وتُمَارَس عليه كل ألوانُ التجهيل، والتجويع، والتعذيب، على يد أعدائه، أعداء الله، أعداء الحقّ، أعداء الخير، أعداءِ الحياة، عندئذٍ لا بد لهذا الشعب أن يتحرّك، ليستردّ حقّه في الحياة الحرة الكريمة.
ولا يعقل ولا يقبل أن يسمى هذا إرهاباً !

إننا نواجه أعداء، ماتت في ضمائرهم، وضمائر الذين انتخبوهم، كل القيم الإنسانية، والأعراف الدولية، وداسوا على حقوق الإنسان بحوافرهم، إنهم يصفون المالِكَ للأرض، الطريدَ المشرّدَ إرهابياً، لا حقّ له، والمتمسكَ بدينه القويم أصولياً، ويجعلون اللصّ الغالبَ على المقدسات، ربّ بيتٍ محترماً، يملكون الأرضَ لا بالإحياء الشرعيّ، ولكن بالإماتة الجماعية، والقهر النفسي، قال تعالى:

**(حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا، وَازَّيَّنَتْ، وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا، أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ )**

[سورة يونس: ٢٤]

وحينما ينحطّ الإنسان، يتحول عن عبادته لربه إلى عبادته لشهواته، وتعتمد علاقتَه بالآخرين على القوة لا على الرحمة، وعلى العنف لا على التفاهم، وينصرف الإنسان عن العناية بالنفس إلى العناية بالجسد، وعن الاهتمام بالمبدأ إلى الاهتمام بالمصلحة، ويتحول المجتمع كله إلى غابة، يحسّ كل واحد فيها، أن من حقه افتراس الآخرين، كما أنه من الممكن أن يكون فريسة وضحية، لأي واحد منهم !. هذا هو مجتمع الغاب، أو النظام العالمي الجديد، أو حيونة العولمة .

إن الذين نكّن لهم عظيم الاحترام، ليسوا أولئك الذين يملكون كثيراً من المال، أو الدهاء، أوالمكر، أو القوة العسكرية الخارقة، وإنما نكن عظيم الاحترام، لأولئك الذين انتصروا على التحديات، داخل نفوسهم، وأولئك الذين يملكون فضيلة الانتظار، والتضحية بالعاجل في سبيل الآجل، والإيثار مع مسيس الحاجة إلى ما يؤثرونه...

إن نتائج الظلم لا يمكن ضبط حساباتها، ولا تقدير ردود أفعالها، وذلك أن ردود فعل المقهورين، والمظلومين كشظايا القنابل، تطيش في كل اتجاه، وتصيب من غير تصويب.

إن ردود أفعال المظلومين، والموتورين، لا يمكن التحكم في مداها ولا اتجاهها، وإنها تطيش متجاوزة حدود المشروع والمعقول، مخترقة شرائع الأديان، وقوانين الأوطان، وتكفر أول ما تكفر بهذه القوانين، التي لم توفر لها الحماية أولاً ؛ فلذا لن تقبلها حامية لأعدائها، فإن العلاج الأول، والحقيقي، هو نزع فتيل الظلم، الذي يشحن النفوس بالكراهية والمقت، ويعمي البصائر والأبصار عن تدبر عواقب الأمور، والنظر في مشروعيتها أو نتائجها.

**قتل امرئ في بلدة جريمة لا تغتفر وقتل شعب مسلم مسألة فيها نظر**

هذا منطق الغرب ...

من الإعداد لعدونا الذي ابتلينا به أن نتعرف إلى أفكاره وتصوراته وأهدافه القريبة والبعيدة، فمن هذا المنطلق أن رئيس وزراء العدو السابق ـ أمد الله في عمره ـ قال لصحفي في عام ألف وتسعمائة واثنين وثمانين: إنه لن يكون أفضل من الذي قتل نصف مليون ياباني بقنبلتين جميلتين، قال: ربما سيكرهني العالم، وسيخشاني بدلا من أن أشتكي إليه، وربما يخاف من ضرباتي الجنونية بدلا من أن يعجب بروحي الجميلة، وليرتجف مني، وليعامل بلدي كبلد مجانين، وليقل: إننا متوحشون، وإننا نمثل خطر الموت لجميع الجيران، وإننا جميعنا غير أسوياء، ونستطيع أن نغرس أزمة فظيعة إذا قتل طفل واحد منا، وأن نفجر بسبب ذلك آبار البترول في جميع الشرق الأوسط"!

هذا التصريح في عام ألف وتسعمئة وإثنين وثمانين .

لقد نزع قادة العدو عن الفلسطينيين إنسانيتهم، حللوا سفك دمائهم، أنكروا حقهم في الحياة، أي سلام هذا الذي يمكن أن يُبنى مع دولة مارقة، منطقها القوة وأدواتها الإرهاب، وهدفها إبادة شعب، بل تجاهلوا حقه أن يعيش في وطن بكرامة ولقمة عيش ؟ لقد قدم العرب كل ما يمكن أن يقدموه لرفع شبح الحرب عن منطقتهم. تنازل الفلسطينيون عن بيوتهم وكرومهم وبياراتهم ومقابر أجدادهم. قبلوا أن يعيشوا في جزء من أرضهم، كي تستقر إسرائيل في أرض اغتصبتها بالقوة وبتواطؤ العالم، وكان رد إسرائيل بأنها رفضت السلام. استعمرت المزيد من الأرض. تقوقعت في عقدة الخوف والنقص التي ما تزال عماد ثقافتها وتركت العنان لآلة حربها لتقتل وتجرح وتدمر، سرقت إسرائيل الأمل بإمكانية إقامة سلام بينها وبين الفلسطينيين، أفقدت طروحات السلام مصداقيتها، كرست الحرب والعنف مصيراً دائماً للمنطقة، بات السلام سراباً، صار العنف خياراً وحيداً، لكن لن يعيش هذا العالم في سلام ما دام فتيل الظلم لم ينزع، ولا يسألن أحد لماذا يتجذر التطرف، ويتقهقر الاعتدال، وإذا تجرأ أحد وسأل، فلينظر إلى القتل اليومي للفلسطينيين، وليستمع إلى صرخات أمهاتهم ليأتيه الجواب قاطعاً مُدوياً.

وقد قال مندوب لصحيفة، وهي واحدة من أشهر ثلاث صحف في بلد يدعم أعداءنا: لا توجد قيم ولا أخلاق، وإنما هي القوة، والقوة وحدها، ومنذ خمسة آلاف سنة، والقوي يفرض ما يريد، وكلما أمعن في القوة كسب أكثر، فنحن حينما استأصلنا الهنود الحمر، والإنكليز حين استأصلوا سكان استراليا الأصليين نجحنا في حسم المعركة.

بينما البيْض في جنوب أفريقيا لأنهم كانوا أرحم، ولم يستأصلوهم بالكلية انقلبوا عليهم، وانتصروا في النهاية **!.**

أرأيتم إلى الفكر التي ينطلق منه أعداؤنا ومن يدعمهم ؟

إذن إنها حرب إبادة

أية أمة تعلن أن خيارها الوحيد هو السلام... هذا مصيرها .

مجتمعات المسلمين مستهدفة، وأنه يراد لهذه المجتمعات أن تغوص في أوحال الرذيلة والفساد، والدمار، والفقر، وأن تتخلى عن دينها، كيف لا ونحن نقرأ قول الله تعالى: " وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ "، ويكفي أحدنا دلالة على ذلك أن يخرج إلى شارع من شوارع المسلمين، أو إلى سوق من أسواقهم، ليرى نتائج هذا الغزو الثقافي، ونتاج هذا التدمير الذي يراد لهذه الأمة .

فهذه الأمة التي يمكر بها أعداؤها مكراً تزول منه الجبال، يخططون لإفقارها، ولإضلالها، ولإفسادها، ولإذلالها، ولإبادتها .

لقد استيقظ الفلسطينيون على وقع مجزرة دامية ارتكبتها آلة الحرب الإسرائيلية في بيت حانون راح ضحيتها عشرات الشهداء غالبيتهم من الأطفال والنساء، وأفادت مصادر وتقارير متطابقة أن ثلاثة عشر شهيدا سقطوا، كانوا من أسرة واحدة .

وقد قتلت آلة الحرب الإسرائيلية حتى الآن أكثر من خمسة آلاف فلسطيني في أقل من ست سنوات؟

دان العرب الجريمة التي ارتكبتها آلة القتل الإسرائيلية في بيت حانون أمس، كعادتهم، واستنكروا، وشجبوا. وحملوا إسرائيل تبعات هذه الجرائم، وشددوا على وجوب عقد اجتماع طارئ للجامعة العربية، وصرحوا بأن عمل إسرائيل غير مقبول، وغير مبرر. وتحدثوا عن لا إنسانية هذه الجريمة، مواقف كلامية لا معنى لها ولا أثر، وأما المجتمع الدولي فلم يملك إلا أن يتوقف عند المجزرة، لكن لا إدانة لإسرائيل، لأنها تدافع عن نفسها ضد هجمات النساء والأطفال، مجرد

مواقف خجلة ترفض العنف بالمطلق، تصريحات تساوي الضحية بالجلاد، تذكير بضرورة العودة إلى مسيرة السلام، تقاعس عن تحمل المسؤولية الأخلاقية والقانونية، استهتار بحجم الجريمة، هذا شيء يدعو إلى التقزز، ويدعو إلى الغضب، وهو تبرير لإرهاب إسرائيلي يُقوّي منطق الرد العسكري سبيلاً وحيداً للثأر من القاتل مهما يكن الثمن. دعوة المجرم إلى عدم الإفراط في استعمال القوة، دعوة الضحية إلى ضبط النفس .

هذا منطق الغرب....

عقود خلت والنداء يتردد ولا من مجيب سوى الصدى: أين أنتم يا عرب ؟، أين أنتم يا مسلمون . ربما وامعتصماه انطلقت ملء أفواه البنات اليتم لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم إلى أصحاب الزنود السمر، والعضلات المفتولة، والأوسمة الممتدة، أليس عاراً وشناراً، وفضيحة، وذبحاً للرجولة ؛ أن تندفع نساء فلسطين متحديات بأجسادهن البضة، وبأقدامهن الحافية، ترسانة العدو الحربيّة، ويسقط منهن شهيدات، وجريحات، وينقذن الأبطال المحاصرين في المسجد، بطرق وأساليب مبتكرة، أفشلت خطّة قوّات العدو في قتل وأسر أكثر من ستين شاباً محاصراً، بينما أنتم تنتظرون الإذن لكم للسماح لكم بتظاهرات ومسيرات واعتصامات مريحة استعراضية غير مثمرة، هي في حقيقة الأمر رفع عتب، وحفظ لماء الوجه ؟!

**يا عابدَ الحرمينِ لَوْ أبْصرتنا  لعلمتَ أنّكَ بالعبــادة تلعبُ**

**مَنْ كان يَخْضُب خَدّه بدموعه  فنحورنا بدمائنـــا تتخضب**

الأندلس فلسطين العرب الأولى، دهمها الخطب، وفعل بها الفرنجة ما يفعله الصهاينة اليوم بالشعب الفلسطيني، فقال أحد شعرائها يستصرخ المسلمين في المشرق، وكأن التاريخ يعيد نفسه .

**يا راكبين عتاق الخيل ضامــرة  كأنها في مجال السبق عقبان**

**وحاملين سيوف الهند مرفهـــة  كأنها في ظلام النقع نيــران**

**و راتعين وراء البحر في دعــةٍ  لهم بأوطانهم عز و سلطــان**

**أعندكم نبأ من أهــل أنــدلس  فقد سرى بحديث القوم ركبـان**

**كم يستغيث صناديد الرجال وهم  قتلى و أسرى فما يهتز إنســان**

**فلو تراهم حيارى لا دليل لهــم  عليهم في ثياب الذل ألـــوان**

**يا رب أمٍ وطفلٍ حيل بينهمـــا  كما تفرق أرواح و أبـــدان**

**وطفلة مثــل حسن الشمس إذ  طلعت كأنما هي ياقوت ومرجان**

**يقودها العلج للمكروه مكرهــةً  والعين باكية والقلب حيـــران**

**لمثل هذا يبكي القلب من كمــدٍ  إن كان في القلب إسلام وإيمـان**

إن الأعداء يواجهون شعباً فلسطينياً استعصى على الاحتواء والترويض، إن شاء الله تعالى، عرف هويته، وحدد وجهته، وصمد لقضيته، بعد هذه المحن التي أصابته، ولذا فإن دماء الشهداء ليست إلا وقوداً يخزن في شرايين الأجيال .

لئن عرف التاريخ أوساً وخزرجاً فلله أوس قادمـــون وخـــزرج

قال أحد مجرمي الحرب من قادة الصهاينة: أنا أحارب فأنا موجود، فردّ عليه أحد قادة المقاومة: وأنا أقاوم فأنا موجود، قياساً على قول ديكارت: ( أنا أفكر فأنا موجود ).

ثم إنني أخاطب أولئك الذين ؛ لم يحملوا هموم أمتهم، التي تحيق بها المحن والشدائد، أخاطبهم أينما كانوا في العالمين العربي والإسلامي، وفي أي مستوى وجدوا في قواعد المجتمع أو في قممه، الذين لم يتألموا لآلامها، ولم يحزنوا لأحزانها، وتوهموا أن الذي يجري حولهم لا يعنيهم، وهم غارقون في حفلات تقام في ردهات الفنادق، وفي أبهاء المطاعم، وفي حدائق المزارع، وسباقات فارغة، وفي برامج ساقطة، مستوردة من عالم، تتناقض قيمه ومبادئه، مع قيمنا ومبادئنا، تبثها بعض الفضائيات، والتي تبذل فيها الأموال الطائلة، والأوقات الثمينة، إلى هؤلاء الشاردين أقول متمنياً أن ينتبهوا من غفلتهم، وأن يعودوا إلى رشدهم، أقول لهم:

**أخي في الله أخبرني متى تغضبْ ؟**

**إذا انتهكت محارمنا**

**إذا نُسفت معالمنا، ولم تغضبْ**

**إذا قُتلت شهامتنا، إذا ديست كرامتنا**

**إذا قامت قيامتنا، ولم تغضبْ**

**فــأخبرني متى تغضــبْ ؟**

**إذا نُهبت مواردنا، إذا نكبت معاهدنا**

**إذا هُدمت منازلنا، إذا قطعت طرائقنا**

**وظلت قدسنا تُغصبْ**

**ولم تغضبْ**

**فأخبرني متى تغضبْ ؟**

**عدوي أو عدوك يهتك الأعراض**

**يعبث في دمي لعباً**

**إذا لله.. للحـــرمات.. للإسلام لم تغضبْ**

**فأخبـــرني متى تغضبْ ؟!**

**رأيتَ هناك أهوالا**

**رأيتَ الدم شلالاً**

**رجالاً شيعوا للموت أطفالاً**

**رأيتَ القهر ألواناً وأشكالاً**

**ولم تغضبْ**

**فأخبـــرني متى تغـضبْ ؟**

**فصارحني بلا خجلٍ.. لأية أمة تُنسبْ ؟!**

**فلست لنا، ولا منا، ولست لعالم الإنسان منسوبا**

**ألم يحزنك ما تلقاه أمتنا من الهول**

**ألم يخجلك ما تجنيه من مستنقع الحل**

**وما تلقاه في دوامة الإرهاب والقتلِ**

**ألم يغضبك هذا الواقع المعجون بالذلِ**

**وتغضب عند نقص الملح في الأكل!!**

**ألم يهززك منظر طفلة ملأت**

**مواضعَ جسمها الحفرُ**

**ولا أبكاك ذاك الطفل في هلع**

**بظهر أبيه يستترُ**

**فما رحموا استغاثته**

**ولا اكترثوا ولا شعروا**

**فخـــرّ لوجهه ميْتـــاً**

**متى التوحيد في جنبَيْك ينتصرُ؟**

**أتبقى دائماً من أجل لقمة عيشكَ**

**المغموسِ بالإذلال تعتذرُ؟**

**متى من هذه الأحداث تعتبرُ؟**

**أخي المسلم: هل رأيت القبورَ ؟ بل هل رأيت ظلمتها ؟ وهل رأيت وحشتها ؟ وهل رأيت شِدّتها ؟ هل رأيتَ ضِيقها ؟ هل رأيت هوامَها وديدَانها ؟ أما علمت أن مصيرَنا إليها ؟ أما رأيت أصحابك وأحبابُك وأرحامُك نُقلوا مِنَ القُصور إلى القبور.. ومِن ضِياء المُهود إلى ظلمة اللُحود.. ومِن ملاعبة الأهلِ والولدان إلى مقاساة الهوام والديدان.. ومِن التّنعم بالطعام والشراب إلى التمرغ في الثرى والتراب.. ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة.. ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل**

**؟ فأخذهم الموتُ على غرة، وسَكَنوا القبورَ بعدَ حياةِ التّرفِ واللّذة، وتساوَوْا جميعاً بعد موتهم في تلك الحفرة، فاللهَ نسأل أنْ يجعلَ قبورَنا روضة مِنْ رياضِ الجنة..**

**أتيـتُ القبورَ فساءلتُـــهَا أينَ المُعَظّم والمُحْتَــقرْ؟!**

**و أين المـــذِلُّ بسلـطانه وأين القويُّ على ما قـدرْ؟!**

**تفانَوْا جميعاً فما مـــخبر وماتوا جميعاً ومات الخبرْ!!**

**أفيا سائلـي عـن أناس مَضَـوا أما لك فيما مضى مُعْتَبَـرْ؟!**

**تروح وتغدو بناتُ الـثرى فتمحو محاسنَ تلك الصورْ!!**

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيّس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

***

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، واشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

قال عبد الرحمن بن عبد الله رحمه الله: دَخَلْتُ المسجدَ، فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ جالس في ظل الكعبة، والناس مجتمعون إليه، فأتيتُهم، فجلست إليه، فقال: ' كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فنزلنا منزلاً، إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

**(( إنه لم يَكُنْ نَبيّ قبلي، إلا كان حقا عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلمه لهم، ويُنْذِرَهم شَرّ ما يعلمه لهم، وإن أمّتكم هذه جُعِلَ عَافيتُها في أولها، وسيصيبُ آخرَها بلاء وأمور تُنْكِرُونها، وتجيءُ فتنة يرقق بعضُها بعضا، وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه مُهلكتي، ثم تكشفُ، وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحبّ أن يُزَحْزَحَ عن النار، ويُدْخل الجنة، فلتأته مَنِيّتُهُ وهو مؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحبُّ أن يؤتَى إليه ))**

هذا هو الخلاص: إيمان بالله وباليوم الآخر واستقامة أمره وعمل صالح .

هذا الذي وقع، والذي يدمى له القلب، أما لماذا وقع الذي وقع... من منظور قرآني توحيدي، فهذا ما سأعالجه في الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى .

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٧٧) : خ١ - الحج١ ، خ٢ - الأضحية.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-١٢-٢٩

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

يذهب المسلم إلى بيت الله الحرام، ويُخلِف في بلدته هموم المعاش والرزق، هموم العمل والكسب، هموم الزوجة والولد، وهموم الحاضر والمستقبل، وبعد أن يُحرم من الميقات يبتعد عن الدنيا كلياً، ويتجرّد إلى الله عز وجل ويقول:**" لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك ".**

هذه التلبية كأنها استجابة لنداء ودعوة يقعان في قلبه، أن يا عبدي خلّ نفسك وتعال، تعال يا عبدي، لأريحك من هموم كالجبال، تجثم على صدرك، تعال يا عبدي لأطهرك من شهوات تُنغِّص حياتك. إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمته مسؤول ؟

تعالَ يا عبدي، وذق طعم محبتي.. تعال يا عبدي، وذق حلاوة مناجاتي.

**" لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك ".**

تعال يا عبدي لأريك من آياتي الباهرات، تعالى لأريك ملكوت الأرض والسماوات، تعالى لأضيء جوانحك بنوري الذي أشرقت به الظلمات، تعال لأعمر قلبك بسكينة عزت على أهل الأرض والسماوات تعال لأملأ نفسك غنىً ورضىً شقيتْ بفقدهما نفوس كثيرة، تعال لأخرجك من وحول الشهوات إلى جنات القربات، تعال لأنقذك من وحشة البعد إلى أنس القرب، تعال لأخلصك من رُعب الشرك وذل النفاق إلى طمأنينة التوحيد وعز الطاعة.

**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك ".**
تعال يا عبدي لأنقلك من دنياك المحدودة، وعملك الرتيب، وهمومك الطاحنة إلى آفاق معرفتي، وشرف ذكري، وجنة قربي، تعال يا عبدي وحُطّ همومك، ومتاعبك، ومخاوفك عندي، فأنا أضمن لك زوالها، تعال يا عبدي واذكر حاجاتك، وأنت تدعوني فأنا أضمن لك قضاءها **"إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عُمارها، فطوبى لعبد تطهّر في بيته ثم زارني، وحقّ على المزور أن يكرم الزائر "..**

فكيف يكون إكرامي لك إذا قطعت المسافات، وتجشمت المشقات، وتحملت النفقات، وزرتني في بيتي الحرام، ووقفت بعرفة تدعوني، وتسترضيني.

**" لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد، والنعمة لك، والملك، لا شريك لك".**

تعال يا عبدي، وزرني في بيتي، لتنزاح عنك الهموم، ولتعاين الحقائق ولتستعد للقاء، فإن عبداً أصححتُ له جسمه، ووسّعت عليه في المعيشة، فمضت عليه خمس أعوام، لم يفد إليّ لمحروم.

تعال يا عبدي، وطُف حول الكعبة طواف المحب حول محبوبه، واسعَ بين الصفا والمروة سعي المشتاق لمطلوبه، تعال يا عبدي، وقبّل الحجر الأسود، يميني في الأرض، أصافح بها خلقي، واذرُف الدمع على ما فات من عمر ضيعته في غير ما خُلقت له، وعاهدني على ترك المعاصي والمخالفات والإقبال على الطاعات والقربات، " وكن لي كما أُريد لأكن لك كما تريد " كن لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك، فإذا سلّمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تُسلِم لي فيما أُريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد خلقت لك ما في الكون من أجلك فلا تتعب، وخلقتك من أجلي فلا تلعب، فبحقي عليك لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته عليك.

**" لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك ".**

تعال يا عبدي إلى عرفات، يوم عرفة فهو يوم اللقاء الأكبر، تعالى لتتعرض لنفحة من نفحاتي تطهر قلبك من كل درن وشهوة، وتُصفي نفسك من كل شائبة وهم هذه النفحات، تملأ قلبك سعادة وطمأنينة، وتشيع في نفسك سعادة لو وُزّعت على أهل بلد لكفتهم، عندئذ لا تندم إلا على ساعة أمضيتها في قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال.

تعال لعرفات يوم عرفة، لتعرف أنك المخلوق الأول من بين كل المخلوقات، ولك وحدك سخرت الأرض والسماوات، وأنك حُمِّلت الأمانة التي أشفقت منها الجبال والأرض والسماوات، وأني جئت بك إلى الدنيا لتعرفني، وتعمل عملاً صالحاً يؤهلك لجنتي، تعال إلى عرفات يوم عرفة، لتعرف أن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، وأنك إن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فُتُّك فاتك كلُّ شيء.

وبعد أن يذوق المؤمن في عرفات، من خلال دعائه، وإقباله، واتصاله، روعة اللقاء، وحلاوة المناجاة، ينغمس في لذة القرب، عندئذ تصغر الدنيا في عينيه، وتنتقل من قلبه إلى يديه، ويصبح أكبر همه الآخرة فيسعى إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر، وقد يُكشف للحاج في عرفات أن كل شيء ساقه الله له مما يكرهه، هو محض عدل، ومحض فضل، ومحض رحمة، ويتحقق من قوله تعالى:

**( وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ )**

وبعد أن يفيض الحاجُ من عرفات، وقد حصلت له المعرفة واستنار قلبه، وصحت رؤيته يرى أن السعادة كلها في طاعة الله، وأن الشقاء كله في معصيته عندئذ يرى عداوة الشيطان، وكيف أنه يَعِدُ أولياءه بالفقر إذا أنفقوا، ويخوفهم مما سوى الله، إذا أنابوا وتابوا، ويعدهم، ويمنيهم، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، قال تعالى:

**( وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ )**

عندئذ يُعبّر الحاج عن عداوته للشيطان تعبيراً رمزياً برمي الجمار، ليكون الرمي تعبيراً مادياً، وعهداً موثقاً في عداوة الشيطان، ورفضاً لوساوسه وخطراته.

يقول الإمام الغزالي: **" اعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى في العقبة، وفي الحقيقة ترمي بها وجه الشيطان، وتقصم ظهره، ولا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله تعالى ".**

وحينما يتجه الحاج لسوق الهدي، ونحر الأضاحي، وكأن الهدي هدية إلى الله تعبيراً عن شكره لله على نعمة الهدى، التي هي أثمن نعمة على الإطلاق، وكأن ذبح الأضحية ذبح لكل شهوة، ورغبة لا تُرضي الله، وتضحية بكل غالٍ ورخيص، ونفس ونفيس في سبيل مرضاة رب العالمين، قال تعالى:

**( لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ )**

ثم يكون طواف الإفاضة تثبيتاً لهذه الحقائق، وتلك المشاعر، ثم يطوف طواف الوداع لينطلق منه إلى بلده إنساناً آخر استنار قلبه بحقائق الإيمان، وأشرقت نفسه بأنوار القرب، وعقد العزم على تحقيق ما عاهد الله عليه، وإذا صحّ أن الحج رحلة إلى الله، فإنه يصحُ أيضاً أنه الرحلة قبل الأخيرة، لتجعل الرحلة الأخيرة مُفضية إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

وبعد أن ينتهي الحجاج من مناسك الحج يتجهون إلى المدينة المنورة، التي هي من أحب بلاد الله إلى الله، يتجهون إليها لزيارة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم، فقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي ))**

وقد عُلِقت في مكان بارز من الحجرة الشريفة الآية الكريمة:

**( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا )**

وقد أشار القرطبي إلى أن الآية تصدق على زيارة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته، وليس هذا لغير النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد أورد القاسمي في تفسيره أن في هذه الآية تنويهاً بشأن النبي صلوات الله وسلامه عليه، فالرجل حينما يظلم نفسه بمعصية ربه، من خلال خروجه عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه أن يستغفر الله، وأن يعتذر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا تتم التوبة إلى الله، ولا تُقبل إلا إذا ضمّ إلى استغفار الله استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم عين طاعة الله، ورفض سنة النبي صلى الله عليه وسلم عين معصية الله وإرضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عين إرضاء الله، يستنبط هذا من إفراد الضمير في قوله تعالى عند كلمة يرضوه:

**( يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ )**

هكذا بضمير المفرد.

ولا أدل على ذلك من قول الله تعالى:

**( مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا )**

ومن قوله تعالى:

**( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ )**

ولعل سرّ السعادة التي تغمر قلب المسلم حينما يزور مقام النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما إن يرى معالم المدينة حتى يزداد خفقان قلبه، وما إن يبصر الروضة الشريفة حتى يجهش بالبكاء، وعندئذ تُصبح نفس الزائر صافية من كل كدر، نقية من كل شائبة، سليمة من كل عيب، منتشية بحبها له صلى الله عليه وسلم وقُربها منه، وهذه حقيقة الشفاعة التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله:

**((من جاءني زائراً، لم تنزعه حاجة إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً يوم القيامة))**

وإذا شئت الدليل القرآني على ما يشعر به المسلم من سكينة وسعادة حينما يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو أو بآخر، فهو قوله تعالى:

**( خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**

وقال الرازي في تفسيره: إن روح محمد صلى الله عليه وسلم كانت روحاً قوية صافية مشرقة باهرة لشدة قربه من الله، ولأن قلبه الشريف مهبط لتجليات الله جل وعلا، فإذا ذكر أصحابه بالخير والود، أو ذكره المؤمنون بالحب والتقدير فاضت آثار من وقته الروحانية على أرواحهم، فأشرقت بهذا السبب نفوسهم، وصفت سرائرهم، وهذه المعاني تفسر قوله تعالى:

**( إِنّ اللّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النّبِيّ يَاأَيّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ وَسَلّمُوا تَسْلِيمًا )**

رُوِي أن بلالاً رضي الله عنه سافر إلى الشام، وطال به المقام، بعد وفاة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم، ولقد رأى وهو في منامه وهو بالشام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له:

**(( ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن لك أن تزورني ))**

فانتبه حزيناً، وركب راحلته، وقصد المدينة، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يبكي عنده كثيراً.

فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما وجعل يضمهما، ويقبلهما فقالا: نشتهي أن نسمع أذانك، الذي كنت تؤذن به لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصرّا عليه، فصعد وعلا سطح المسجد، ووقف موقفه الذي كان يقفه.

ولما بدأ بقوله: الله أكبر.. وتذكر أهل المدينة عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجّت المدينة، وخرج المسلمون من بيوتهم فما رأيت يوماً أكثر باكياً وباكية في المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليوم.

لقد صدق أبو سفيان رضي الله عنهم حينما قال: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.. وهذه الحقيقة ينبغي أن تنسحب على كل مؤمن إلى يوم القيامة، يقول صلى الله عليه وسلم:

**(( لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين ))**

ركن الحج الأكبر هو الوقوف بعرفة، كما قال علية الصلاة والسلام: الحـج عرفة، لذلك يعد يوم عرفة، ونحن في يوم عرفة، يوم اللقاء الأكبر بين العبد المنيب المشتاق وبين ربه التواب الرحيم، فيوم عرفة يوم المعرفة، ويوم عرفة يوم المغفرة، ويوم عرفة يوم تتنزل فيه الرحمات على العباد من خالق الأرض والسماوات، ومن هنا قيل من وقف في عرفات، ولم يغلب على ظنه أن الله قد غفر له فلا حج له.

وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء يقول:

**(( انظروا عبادي جاءوني شعثاً غبراً ضاحين، جاؤوني من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم يُر يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة))**

[قال المنذري رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان واللفظ له]

وروى ابن المبارك عن سفيان الثوري عن الزبير بن علي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات، وقد كادت الشمس أن تثوب فقال:

**(( يا بلال أنصِت لي الناس، فقام بلال فقال: أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنصت الناس، فقال عليه الصلاة والسلام: معشر الناس أتاني جبريل عليه السلام آنفاً فأقرأني من ربي السلام وقال إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله هذه لنا خاصة ؟ قال: هذه لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة، فقال عمر رضي الله عنه، كثر خير الله وفاض))**

وروى الإمام مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**(( ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنوا عز وجل ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ماذا أراد هؤلاء))**

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**(( ما رئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أغيظ فنه من يوم عرفة وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما أري من يوم بدر، قيل وما رأى يوم بدر يا رسول الله، أما إنه رأى جبريل يزع الملائكة ))**

أي يقودهم

[رواه الإمام مالك مرسلاً والحاكم موصولاً]

أيها الإخوة الكرام، روى الإمام أحمد والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**(( خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ))**

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيّس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

والحمد لله رب العالمين

***

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، واشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

الأضحية شعيرة من شعائر المسلمين في عيد الأضحى المبارك فمشروعيتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( من وجد سعة ولم يضح فلا يقربن مصلانا ))**

وقد استنبط أبو حنيفة رحمه الله تعالى من هذا الحديث أنها واجبة، فمثل هذا الوعيد لا يلحق بترك غير الواجب، وقال غير الأحناف: إنها سنة مؤكدة، ولهم أدلتهم.

فهي واجبة مرة في كل عام على المسلم الحر البالغ العاقل المقيم الموسر، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( ما عمل ابن آدم يوم النحر عمــلاً أحب إلى الله تعال من إراقة الدم، إنها ـ أي الأضحية ـ لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافهــا، وإن الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفساً ))**

وحكمتها أن المسلم الموسر يعبر بها عن شكره لله تعالى على نعمه المتعددة منها نعمة الهدى، ومنها نعمة البقاء على قيد الحياة من عام إلى عام، فخيركم من طال عمره، وحسن عمله، ومنها نعمة السلامة، والصحة، ومنها نعمة التوسعة في الرزق، وهو فضلاً عن ذلك تكفير لما وقع من الذنوب، وتوسعة على أسرة المضحي وأقربائه وأصدقائه وجيرانه وفقراء المسلمين.

ومن شروط وجوبها اليسار، فالموسر هو مالك نصاب الزكاة زائداً عن حاجاته الأساسية أو هو الذي لا يحتاج إلى ثمن الأضحية أيام العيد فقط، أو هو الذي لا يحتاج إلى ثمن الأضحية خلال العام كله، على اختلاف بين المذاهب في تحديد معنى الموسر.

وينبغي أن يكون الحيوان المضحى به سليماً من العيوب الفاحشة التي تؤدي إلى نقص في لحم الذبيحة، أو تضر بآكلها فلا يجوز أن يضحي بالدابة البين مرضها، ولا العوراء، ولا العرجاء، ولا، العجفاء، والجرباء، ويستحب في الأضحية أسمنها، وأحسنها. وكان صلى الله عليه وسلم يضحي بالكبش الأبيض الأقرن.

ووقت نحر الأضحية بعد صلاة عيد الأضحى وحتى قبيل غروب شمس اليوم الثالث من أيام العيد، على أن أفضل الأوقات هو اليوم الأول ما بعد صلاة عيد الأضحى، وحتى قبل زوال الشمس. ويكره تنزيهاً الذبح ليلاً، ولا تصح الأضحية إلا من النعم، من الإبل والبقر والغنم من ضأن ومعز،

بشرط أن يتم الضأن ستة أشهر، وأن تتم المعز سنة كاملة عند بعض الأئمة، ويُجزئُ المسلم أن يضحي بشاة عنه، وعن أهل بيته المقيمين معه، والذين ينفق عليهم، وهم جميعاً مشتركون في الأجر، ومن مندوبات الأضحية أن يتوجه المضحي نحو القبلة، وأن يباشر الذبح بنفسه إن قدر عليه، وأن يقول: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا منك وإليك، اللهم تقبل مني ومن أهل بيتي. ولـه أن يوكل غيره وعندها يستحب أن يحضر أضحيته، لقول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة: قومي إلى أضحيتك فاشهديها، فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها.

ويستحب أن يوزعها أثلاثاً، فيأكل هو وأهل بيته الثلث، ويهدي لأقربائه، وأصدقائه، وجيرانه الثلث، ويتصدق بالثلث الأخير على الفقراء والمسلمين لقوله تعالى:

**( فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرّ)**

وقال تعالى:

**( وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرّ كَذَلِكَ سَخّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ، لَنْ يَنَالَ اللّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبّرُوا اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشّرِ الْمُحْسِنِينَ )**

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٧٨) : خ١ - إن مع العسر يسرا ، خ٢ - التقنين الإلهي.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-٠٢-٠٢

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى :**

## مخططات العدو :

يخطط العدو البعيد والقريب لمجتمعاتنا الإسلامية أن تمزق ، وأن تضعف ، وأن تفتقر ، وأن تفسد وأن تغوص في أوحال الحروب الأهلية ، وأن تسقط في حمأة الرذيلة والفساد ، وأن تتخلى عن دينها ، ويكفي دلالة على ذلك أن يخرج أحدنا إلى شارع من شوارع المسلمين ، أو إلى سوق من أسواقهم ، أو أن يشاهد أخبارهم ، ليرى نتائج هذا الغزو الثقافي ، ونتاج هذا التدمير العسكري الذي يراد لهذه الأمة .

فهذه الأمة التي يمكر بها أعداؤها مكراً تزول منه الجبال ، يخططون لإفقارها ، ولإضلالها ، ولإفسادها ، ولإذلالها ، ولإبادتها ، تحت اسم براق هو الشرق الأوسط الجديد .

قال الله تعالى :

**( وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ )**

[ سورة إبراهيم الآية : ٤٦ ]

## طريق الخلاص بالصبر والتقوى :

لكن الله جل جلاله رسم لنا ـ معشر المؤمنين ـ طريق الخلاص من مكرهم الذي تزول منه الجبال قال تعالى :

**(وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً )**

[ سورة آل عمران الآية : ١٢٠ ]

إن ديننا يعلمنا أن الأسلوب الصحيح في مواجهة ضغوط الخارج وتحدياته لا يكون في الرد عليها ؛ مما قد يجرنا إلى معارك خاسرة ، وإنما يتمثل في الانكفاء على الداخل بالإصلاح والتنقية والتدعيم ... ولا ريب أن ذلك شاق على النفس ؛ لأن المرء آنذاك ينقد نفسه .

## الحقائق المستنبطة من قوله وإن تصبروا وتتقوا :

والآية الكريمة :

**(وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً )**

هذه الآية التي نحن بصددها معْلم بارز في التأصيل لهذا الانكفاء ، ولعلنا نقتبس منها الحقائق التالية:

أولاً :

إن كثيراً من النصوص توجهنا نحو الانكفاء على الداخل بالنقد والإصلاح والتقويم والتحسين في مواجهة الخارج ، وإن المتتبع للمنهج القرآني في قصص الأمم السابقة يجد أن ما ذكره القرآن الكريم من أسباب انقراضها ، واندثار حضاراتها ، لا يعود أبداً إلى قصور عمراني ، أو سوء في إدارة الموارد واستغلالها ؛ وإنما يعود إلى قصور داخلي ، يتمثل في الإعراض عن منهج الله جلّ وعلا ، والتأبي على رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهذه الحقيقة بارزة في جميع أخبار الأمم السابقة .

انقراض الأمم السابقة سببه الإعراض عن منهج الله

وحين حلت الهزيمة بالمسلمين في أحد، قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم:

كيف نُهزَم ونحن جند الله ؟ !

فجاء الجواب القرآني :

**( قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أنفُسِكُمْ )**

[ سورة آل عمران الآية : ١٦٥ ]

فالهزيمة وقعت بسبب خلل داخلي ، وليس بسبب شراسة الأعداء ، وكثرة عددهم وعتادهم ؛ إذ لا ينبغي تضخيم العدو إلى الحد الذي يجعل تصور هزيمته شيئاً مستحيلاً ؛ فالعدو بَشَر له إمكاناته المحدودة ، وله موازناته ومشكلاته ، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى :

**( إن تَكُونُوا تَألَمُونَ فَإنّهُمْ يَألَمُونَ كَمَا تَألَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لا يَرْجُونَ )**

[ سورة النساء الآية : ١٠٤]

## القوة لا تعني التربية وهذا ما اخطأنا به :

العقوبات الرادعة تحمي المجتمع لكن لا تبنيه

لم نكن على مدار التاريخ نمتلك الوعي الكافي بهذه الحقيقة ، فبدل أن نلجأ إلى التربية والتوجيه والتعاضد والتراحم ، واكتساب عادات جديدة ، واقتلاع المشكلات من جذورها .. كنا نواجه التفسخ الاجتماعي ، والانحراف السلوكي بأمرين :

القوة ، ومزيد من القوانين .

حيث كانا أقرب الأشياء إلينا تناولاً ، وأقلها تكلفة بحسب ما يبدو ، وقد عبّر عمر بن عبد العزيز رحمه الله عن هذه الحقيقة حيث قال : يحدث للناس من البلاء على مقدار ما يُحدثون من الفجور .

إن العقوبات الرادعة لا تنشئ مجتمعاً لكنها تحميه ، وهذه رؤية إسلامية جلية ، فآيات الأحكام والعقوبات جزء منها لا تشكل أكثر من عُشْر آيات القرآن الكريم ، أما الباقي فكان يستهدف البناء الإيجابي للإنسان من الداخل .

إن التجربة تعلمنا أن كثرة القوانين وتعقيدها تصب دائماً في مصلحة الأقوياء ، وتزيد في قيود الضعفاء !، وأن البطش لا يحل المشكلات ، لكن يؤجلها .

## الصبر والتقوى هو ما نحتاجه لنهوض بأمة الاسلام :

إن الآية الكريمة تعلمنا مرة أخرى : أن النصر الخاص يسبق النصر العام ، وأن الأمة المنتصرة على أعدائها هي أمة حققت نصراً داخليّاً أولاً ، وحقق كل واحد من أفرادها نصراً خاصّاً على صعيده الشخصي قبل كل ذلك ، وهذه الحقيقة واضحة في قوله تعالى :

**( إنّ اللّهَ لَا يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ )**

والآية الكريمة :

**(وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً )**

توجهنا إلى أمرين : الصبر ، والتقوى .

ويعني الصبر: احتمال المشاق ، ومتابعة صارمة في تأدية التكاليف الربانية ، مهما تكن الظروف قاسية ؛ لأن الصبر نصف النصر ، والنصف الثاني يأتي من أخطاء العدو .

فكأن الصبر استخدام للوقت في الخلاص من مشكلات لا نستطيع الآن أن ننجح في الخلاص منها . قال تعالى:

**( ثُمّ إِنّ رَبّكَ لِلّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنّ رَبّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رّحِيمٌ)**

[ سورة النحل الآية : ١١٠]

مفهوم الصبر والتقوى يتجلى بتهذيب الذات وتحسينها

إن احتمال المعاناة دون حركة للخلاص من مسبّباتها قد يكون ضرباً من اليأس والاستسلام ، وقد يكون ضرباً من العجز أو قصر النظر أو ضيق الأفق . أما التقوى فتعني هنا بصورة أساسية : نوعاً من الحصانة الداخلية من التأثر بالظروف السيئة المحيطة ؛ إذ إن الهزائم العسكرية والظروف الاجتماعية والاقتصادية القاسية .. كل ذلك محدود الضرر ما لم يغير من المبادئ والقيم والنفوس والأخلاق والسلوك ، بل إنها تقوي روح المقاومة ، وتُكسب الخبرة ، وتكشف عن الأجزاء الرخوة في البناء الداخلي ، وتحطِم هيبة العدو في النفوس . إن المفهوم الأساسي للصبر والتقوى هنا هو : تهذيب الذات وتحسينها ، وتدعيمها ، والرقي بها ؛ وهذا التدعيم يأخذ أشكالاً كثيرة ، منها :

المزيد من الالتزام الصارم بالعبادات ، ومقاومة الشهوات ، والتعاون ، والمواساة والتضحية والإيثار .

إن الفرد المسلم لا يستطيع أن يبتعد مسافات كبيرة عن الوضعية العامة للمجتمع ، وذلك التباعد مرهق ومكلف؛ فحين يكون كسب القوت الضروري لا يتأتى للسواد الأعظم من الناس إلا عن طرق محرمة أو ملتوية مثلاً فإن الذين



معرفة الحدود والمتاح وغير المتاح تقلل من إمكانية الخطأ

سوف يستجيبون لنداء اللقمة الحلال سيكونون قلة ، وسوف تظل مبادئهم في حالة اختبار دائم ، وربما أدخلهم ذلك في مشكلات مع أقرب الناس إليهم .

نحن في حاجة حقيقة لمعرفة الحدود الفاصلة بين القريب والبعيد ، والصعب والسهل ، وما نستطيع تغييره ، وما لا نستطيع ، وما نملكه وما لا نملكه ... حتى نقلل من إمكانات الخطأ ، وحتى نقلل من النزاع والجدال العقيم ، كما أننا في حاجة إليه من أجل توفير الجهد والوقت ، فنحن حين نعرف الطرق المسدودة ، نمضي في الطريق المفتوح بثقة وطمأنينة ، وحين نعرف ما لا نستطيع فعله ، نُعرض عنه ، وحين ندرك ما لا نستطيع دفعه ، نسلِم لله تعالى به ، ونحتسب فيه .

## اصبروا فما بعد الضيق إلا الفرج :

أما الآية الثانية التي فيها شفاء للصدور ، قوله تعالى :

**( إنّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً )**

في هذه الآية خير عظيم ، إذ فيها البشارة لأهل الإيمان بأن للكرب نهاية مهما طال أمده ، وأن الظلمة تحمل في أحشائها الفجر المنتظر .


في رحم كل ضائقة مفتاح حلها

وإن النصر مع الصبر وإن الفرج مع الكرب ، وإن في رحم كل ضائقة أجنة انفراجها ومفتاح حلها ، وإن لجميع ما نعانيه من أزمات حلولاً مناسبة إذا ما توفر لها عقل المهندس ومبضع الجراح وحرقة الوالدة .. وعلى الله قصد السبيل.

وقد بثت هذه الآية :

**( إنّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً )**

الأمل في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم حيث رأوا في تكرارها توكيداً لوعود الله عز وجل بتحسن الأحوال ، فقال ابن مسعود :

لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه .

وذكر بعض أهل اللغة أن ( العسر ) معرّف بأل ، و ( يسراً ) منكر ، وأن العرب إذا أعادت ذكر المعرفة كانت عين الأولى ، وإذا أعادت النكرة فكانت الثانية غير الأولى ، وخرجوا على هذا قول ابن عباس : لن يغلب عسر يسرين .



الابتعاد عن توجيه اللوم للخارج والشكوى الدائمة

وفي الآية إشارة بديعة إلى وجود الفرج في الشدة مع أن الفرج لا يزامن الشدة ، وإنما يعقبها ، وذلك لتطمين ذوي العسرة ، بقرب انجلاء الكرب .

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى الاستبشار بهذه الآية حيث يرى المسلمون الكثير من صنوف الإحباطات والهزائم وألوان القهر والنكد ؛ مما أدى إلى سيادة روح التشاؤم واليأس ، وصار الكثيرون يشعرون بانقطاع الحيلة والاستسلام للظروف والمتغيرات .

وأفرز هذا الوضع مقولات يمكن أن نسميها بثقافة الطريق المسدود ! هذه الثقافة تتمثل بالشكوى الدائمة من كل شيء، من خذلان الأصدقاء ، ومن تآمر الأعداء ، من تركة الآباء والأجداد، ومن تصرفات الأبناء والأحفاد !

وهؤلاء الانهزاميون أصحاب ثقافة الطريق المسدود يوجهون النقد دائماً نحو الخارج ؛ فهم في ذات أنفسهم يتوهمون أنهم على ما يرام ، وغيرهم هو الذي يفعل كل ما يحدث لهم ! وإذا رأوا من يتجه إلى الإصلاح أطفؤوا حماسته بالقول : لن يدعوك تعلم ، ولن يدعوك تربي ، ولن يدعوك تتفوق ... وكل ذلك يفضي إلى العطالة والبطالة .

ولعلنا نلخص الأسباب الدافعة إلى تلك الحالة البائسة فيما يلي :

## ١ . التربية الخاطئة التي يخضع لها الفرد :

وتلك التربية قد تقوم ببث روح التشاؤم واليأس من صلاح الزمان وأهله ، كما تقوم ببث نوع من العداء بينه وبين االمجتمع الذي ينتمي إليه ، عندها يقطع انتماءه له ، وصلته به ، وينعزل عنه شعورياً وينتمي إلى أسرته ، أو جماعته ، وبعدها يصبح عضواً سلبياً مشلولاً .

## ٢. التعامل مع الواقع على أنه لا يتغير :

يميل أكثر الناس إلى النظرة التبسيطية التي لا ترى لكل ظاهرة إلا سبباً واحداً ، ولا ترى في تركيبها إلا عنصراً واحداً . وهذه النظرة الخاطئة تفضي إلى معضلة منهجية كبرى ، هي عدم القدرة على تقسيم المشكلة موضع المعاناة إلى عناصر رئيسية وأخرى ثانوية ، كما تؤدي إلى عدم القدرة على إدراك علاقات السيطرة في الظاهرة الواحدة ، وعدم القدرة بالتالي على تغييرها أو تبديل مواقعها .

والنتيجة النهائية هي الوقوف مشدوهين أمام مشكلة متكلسة مستبهمة لا نرى لها بداية ولا نهاية ، والمحصلة النهائية هي الاستسلام للضغوط وانتظار المفاجآت ، مع أننا لو باشرنا العمل الممكن اليوم لصار ما هو مستحيل اليوم ممكنا غداً .

## ٣. عدم الانتباه للعوامل الداخلية للمشكلة :

والذي يحدث أننا كثيراً ما نبصر المؤثرات الخارجية ، وهي مؤثرات قاهرة حقاً ، ونغض الطرف عن العوامل الداخلية ؛ فنحن مثلاً لا نملك إقناع الأعداء بأن يخففوا من غلوائهم في عدائنا ، لكن الذي نستطيعه هو تقوية أنفسنا حتى لا نكون لقمة سائغة لهم . لكن المشكلة أن أصعب أنواع المواجهات هي مواجهة الذات ، وأن أرقى أنواع الاكتشاف هي اكتشاف الذات !

## ٤. عدم أدراك سنة الله في قوله تعالى : وتلك الأيام نداولها بين الناس .

تتعاقب الأحوال كما يتعاقب الليل والنهار ، وما بعد رأس القمة إلا السفح وما بعد السفح إلا القاع . وإن دفع أية قضية إلى حدودها القصوى ، سيؤدي في النهاية إلى كسر ثورتها ، أو إنهائها بصورة تامة . نزلت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظن أنها لا تفرج .

## من نصر الله وأخذ بأمره كان من الفائزين :

أما الآية الثالثة التي هي شفاء للصدور فهي قوله تعالى :

**( كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ )**

تسلط الآية الكريمة الضوء على قضية مهمة في حياتنا ، هي قضية الكم والنوع ، وعلى العلاقة بينهما ؛ ففي القرآن الكريم :

حين خرج طالوت لحرب جالوت خرجت معه الألوف المؤلفة من الجند

( قالَ إنّ اللّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنّهُ مِنِّي إلّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إلّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ )

هذا هو الكم ، فأراد أن يعرف نوعية الرجال الذين سيقاتل بهم فمنعهم من الشرب من النهر ، فشرب منه السواد الأعظم منهم ، ولم ينجح في ذلك الامتحان سوى ثلاثمئة مقاتلٍ وكان موقف هذه القلة القليلة من جيش جالوت الموقف الذي يتناسب مع نوعيتهم ،

( قالَ الّذِينَ يَظُنّونَ أَنّهُمْ مُلَاقُو اللّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصّابِرِين)

وهذا هو النوع هذه الفئة القليلة هي الغالبة لأنها استحقت تأييد الله ونصره ؛ لأنها نصرت أمره ، ونصرت دينه ، وختمت الآية :

( واللّهُ مَعَ الصّابِرِينَ )

إشارة إلى أن هذه الفئة كانت تتحلى بالصبر الضروري لمجالدة العدو.

إن للنوع شأناً وأي شأن في أوقات الأزمات عامة ، ومصارعة الأعداء خاصة ؛ حتى إن الرجل ليغالب العشرة من الرجال .

( إن يَكُن مّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ )

[ سورة الأنفال الآية : ٦٥ ]

وهذه الدنيا دار ابتلاء ، لأن بني البشر محاطون بكل ما من شأنه أن يكون ابتلاءً لهم ، وكل ما نتركه على حالته الطبيعية فهو كم يتحدى ، ويضايق ، وقد يشوه ، ويقتل ! ! ثم إننا نمتلك من القدرة والحرية بمقدار ما نحوله من كم إلى نوع .

وعلى صعيد النوع فإن باحثاً واحداً يعد مرجعاً في فرع من فروع المعرفة أجدى في التقدم العلمي من ألوف المتعلمين المحدودين ، وإن شخصاً موهوباً مؤهلاً واحداً أنفع من مئات الأشخاص الذين يحتاجون إلى من يصرف أمورهم ..

امتلاك النوع هو وجود أشخاص موهوبين مؤهلين

وفي قضايا الفكر والرأي والالتزام قد ننظر للكم تارة ، وقد ننظر للنوع تارة أخرى ؛ فإذا كان الحق الذي نتبعه قطعياً أي ليس متعلقاً

بالاجتهاد فإن الكم مهدور حينئذ ، وهذا معنى قول بعض السلف : الجماعة أن تكون على الحق ، ولو كنت وحدك ، وحين يكون الحق اجتهادياً فإن الكم حينئذ معتبر ، ومن هنا نشأت أهمية كلمة الجمهور عند الفقهاء وغيرهم .

إن أمتنا اليوم لا تعاني من نقص في الكم على أي صعيد من الصعد ، لكنها تعاني من نقص شديد في النوع ؛ فنحن اليوم ربع العالم ، مليار ونصف ، وأراضينا واسعة شاسعة ، وخيراتنا كثيرة وفيرة ، لكننا ـ والحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح ـ إلى جانب هذا في حالة معيشية مأساوية أعني العالم الإسلامي بأكمله على أكثر الأصعدة ، فأكثر بلدان العالم الإسلامي مصنفة مع البلدان الفقيرة ، وكثير من شعوبنا يعيش تحت مستوى الفقر ! وأعلى نسبة للأمية موجودة عندنا ! أما الوزن الدولي فنحن جميعاً على الهامش موزعون ما بين شرق أوسط وأقصى وأدنى ، أي أننا نُصنف باستمرار تبعاً لموقعنا في المركز ! !

## أمور ومرتكزات لنهوض بالأمة :

ومع أن الوحدة ظلت المحور الذي يجذب مشاعرنا وثقافتنا ، إلا أن حالتنا الراهنة تتجه باستمرار إلى مزيد من التمزق والتفكك ، مع أن العالم من حولنا يسير إلى التوحد والاندماج ! أما حقوقنا وكرامتنا وأراضينا فوضعنا ووضع العالم منها يلخصه المثل العربي القديم : أوسعتهم سباً وأودوا بالإبل !!

إن وضعنا الحالي قد جاءت به الإنذارات في نصوص كثيرة منها : قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودققوا في قوله :

**(( يوشكُ الأُمَمُ أنْ تَدَاعَى عليكم كما تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها ، فقال قائل : من قِلّة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنّكم غُثَاء كَغُثَاءِ السَّيْل ، ولَيَنْزِعَنّ الله مِنْ صدور عدوّكم المهابة منكم ، وليقذفنّ في قُلُوبكم الوَهْنَ ، قيل : وما الوَهْنُ يا رسول الله ؟ قال : حُبُّ الدُّنيا ، وكراهيَةُ الموتِ ))**

[ أخرجه أبو داود ]

وللغثاء سمتان أساسيتان : خفة الوزن وعدم الترابط ، ويترتب عليهما نتيجة مخيفة ، هي فقد الاتجاه الحر ، فالغثاء يساق دائماً إلى حيث يريد ، وإلى حيث


تشبيه الأمة بالغثاء يدل على خفة الوزن وعدم الترابط

الخطب الإذاعية لفضيلة الدكتور محمد راتب

لا يريد ؛ وفي موازين عديدة يعد فقد الاتجاه فقداً للوجود ذاته ! !

كيف نحول الكم إلى نوع ؟

نحن في حركتنا اليومية يجب أن نقوم باستمرار بتحويل الكم إلى نوع ، فالكم عبء ثقيل وعقبة كأداء في طريق نجاحنا ؛ فالأمي والجائع والمريض والمنحرف والفوضوي والكسول ، كل أولئك يشدون الأمة بعنف نحو الوراء ، ويقفون في وجهها ، وهي تخطو نحو الخلاص هؤلاء غثاء كغثاء السيل ، وهم نقاط ضعف في جسم الأمة ونقاط ارتكاز ورؤوس جسور للمتربصين بها الدوائر ! !

ويكون السؤال حينئذ : كيف نحد من نسبة هؤلاء لتكون قريبة من الطبيعية ؟ هناك محاور أربعة أحسبها منطلقات مهمة في هذه السبيل :

أن نشيع في الأمة روح التوحد على الأصول والحق القطعي أي الثوابت ، وأن نشيع إلى جانب ذلك روح التسامح في الفروع والحق الاجتهادي أي المتغيرات ، ونضرب للناس الأمثلة العملية التي تنير لهم السبيل .

أن نوسع في تربيتنا وحياتنا اليومية مفهومات العبادة لتشمل كل مجالات النفع العام ، كالأخذ بيد أولئك الذين قعدت بهم ظروفهم وإمكاناتهم عن أن يعيشوا حياة كريمة طبيعية كما ورد في بعض الأحاديث :

**(( الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار ))**


تأصيل روح الإخلاص والعطاء في العمل الجماعي

وذلك بغية التخفيف من المعاناة التي يكابدها كثيرون من أفراد الأمة ، رعاية النابهين وإعطاؤهم ما يستحقونه من الاهتمام والمتابعة والبذل ، والنابهون هم أولئك الذين آتاهم الله سبحانه وتعالى من الإمكانات ما جعلهم محاور يدور في فلكهم الآخرون ، والنابه قد يكون طالباً عبقرياً ، وقد يكون وجيهاً يأتمر بأمره كثيرون ، وقد يكون واحداً من ذوي رؤوس الأموال الطائلة ، وقد يكون ويكون ...، وهذا من باب إنزال الناس منازلهم .

إقامة المؤسسات الكبرى على مختلف الصعد ، وتلك المؤسسات تؤصل فينا روح فريق العمل ، كما توفر الأطر الإدارية والفنية والعملية لأولئك الذين يملكون روح الإخلاص والعطاء .

إن المؤسسات تمثل مهمة المحرك للسفينة تارة ومهمة المراسي تارة أخرى، أي: تؤمن حركة راشدة متزنة .

وإذا ما فعلنا ذلك أو بعضه نكون قد ساعدنا الأمة في الخروج من نفق الغثائية الكمية المظلم ، ودفعناها نحو امتلاك أهلية قيادة العالم وهدايته . وعلى الله قصد السبيل .

أيها الإخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني ، والحمد لله رب العالمين .

***

**الخطبة الثانية :**

## التقنين الإلهي :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

من الثابت أن التقنين الإلهي هو تقنينُ تأديبٍ وتربية ، لا تقنين عجز وضعف ، قال تعالى :

**( وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ)**

[ سورة الشورى الآية : ٢٧ ]

وقال سبحانه:

**( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ، وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ )**

[ سورة الحِجْر الآية :٢١ ]

ثم إن الله جل وعلا لا يسوق لعباده شِدّةً إلا بما كسبت أيديهم ، ويعفو عن كثير ، قال عز وجل :

**( مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ )**

[ سورة النساء الآية : ١٤٧ ]

لا يسوق الله لعبادة شدة إلا بما كسبت أيديهم

وقال عزّ مِن قائلٍ :

**( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ )**

[ سورة الشورى الآية : ٣٠ ]

روى ابن ماجة والبزار والبيهقي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :

**(( يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا ـ عدد المصابين بمرض الإيدز في العالم سبع وستون مليوناً ـ وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ ))**

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٧٩) : خ١ - يوم المرور العالمي ، خ٢ - ظاهرة مرورية متكررة على أخطر قضية في الدين.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-٠٤-٢٧

## بسم الله الرحمن الرحيم

**الخطبة الأولى:**

### مقدمة

نحن المسلمين في أمس الحاجة إلى إيجاد مدخل جديد للتنمية الأخلاقية، يقوم على منح بعض الثوابت الأخلاقية الإسلامية معاني جديدة أو اهتمامات خاصة ببعض مدلولاتها، بغية التخفيف من وطأة التخلّف الذي يجتاح حياة المسلمين، فالتقوى في حياتنا المعاصرة بحاجة إلى إثراء مفرداتها كي تتناول بعض الفروض الحضارية، مثل: الإسراع إلى العمل، وإتقان العمل، وتطوير العمل، والمحافظة على الوقت، وحسن إدارة الوقت، والعمل المؤسساتي، وترسيخ مفهوم فريق العمل، والالتزام بالمواعيد، وحسن التصرّف بالإمكانات المتاحة، وترشيد الاستهلاك، والتعاون، والانتماء للمجموع... ومن المستجدات قضايا المرور التي أصبحت خسائرها البشرية والمادية تفوق أية خسائر أخرى، في جميع أنحاء العالم، وكل هذه القيم والقضايا المعاصرة لها أصول ثابتة في القرآن والسنة، لأن الله حينما قال:

**( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً )**

هذا الدين العظيم تام عدداً وكامل نوعاً.

ويمكن من خلال التربية المركزة أن نجعل المواطن يشعر بحلاوة الإيمان، وحلاوة الالتزام من خلال القيام بهذه الأعمال، وتنفيذ تلك التوجيهات التي تقتضيها طبيعة العصر، كما يشعر تماماً عندما يضع صَدَقة في يد فقير، أو عندما يقوم الليل ليصلي والناس نيام!.

والإنسان المتديّن الذي فهم الإسلام عبادة شعائرية ليس غير.. صلاة وصياما وذكرا وتسبيحا ينبغي أن يكون حريصاً على هذه العبادة، ولكنه ينبغي أن يفهم أن هناك فروضاً حضارية ومستجدة أساسية تعد محورية في أخلاق المسلم، وهي مستندة إلى أصول ثابتة في ديننا الحنيف، وأن الإسلام دين الفطرة، وأن الشريعة مصلحة كلها.

وبمناسبة يوم المرور العالمي، ومع توسع المواطنين في اقتناء المركبات في بلدنا الطيب، وضيق الطرقات بل والتقصير في تطويرها، فسوف نسقط كثيراً من النصوص الدينية الثابتة والصحيحة على واقع بلدنا المروري لأن الإسلام هو الحياة ففي توجيهاته حل حاسم لمشكلاتنا المتنوعة وما أكثرها، فمنهجه شمولي يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية، فآداب المرور من صلب السلوك الإسلامي.

ولعل أعمق وأسبق فهم ووعي مروري في التاريخ الإسلامي نقل عن سيدنا عمر رضي الله عنه: **والله لو تعثرت بغلة في العراق ـ هو في المدينة ـ لحاسبني الله عنها لم لم تصلح لها الطريق يا عمر.**
وبناء على هذا كان الله بعون المسؤولين عن الطرقات ومنظمي المرور.

إنّ حوادث المرور ليست قدراً محتوماً ـ كما يتوهم بعضهم ـ لابد من وقوع، هذا تصور مرفوض في الفكر الديني، وفي العقيدة الإسلامية الصحيحة، فلابد من حركة وقائية استباقية.

## حجم المشكلة

الحوادث على الطرق هي ثاني أهم أسباب وفيات ـ فلذات أكبادنا ـ الأحداث والشباب الذين تتراوح أعمارهم بين خمسة أعوام وتسعة وعشرين عاماً في جميع أنحاء العالم، وثالث أهم أسباب وفيات أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين الثلاثين والأربعة والأربعين عاماً. وتتسبب حوادث المرور في مقتل مليون ونصف المليون من البشر سنويا وفي إصابة أو عجز ما يناهز خمسين مليون شخص آخرين، ومعدل الوفيات في العالم ثلاثة آلاف ومئتان وأربعون شخصاً في اليوم الواحد، معظمهم من البالغين، وتشير التقديرات إلى أن عدد الوفيات الناجمة عن حوادث المرور سيرتفع بنسبة ثمانين بالمئة في البلدان النامية ونحن منها بحلول عام ألفين وعشرين وذلك ما لم تتخذ إجراءات فورية من أجل تحسين السلامة على الطرق.




وإلى جانب المعاناة التي تسببها الإصابات الناجمة عن حوادث المرور، فإن التكلفة المترتبة عليها تقدر بنحو خمسمئة وثمانية عشر مليارا من الدولارات سنويا على المستوى

العالمي، نصيب الدول الفقيرة منها مئة مليار دولار وهذا يزيد عن كل المساعدات الممنوحة لها.

هذه إحصاءات دقيقة مستمدة من تقرير منظمة الصحة العالمية.

ولقد بلغ عدد حوادث المرور في العالم العربي خلال عام ألفين فقط نصف مليون حادث أسفرت عن مقتل إثنين وستين ألف إنسان.

أما في بلدنا سورية فتشير التقارير إلى أن ضحايا حوادث المرور قتيل كل أربع ساعات على مدى العام، وستة وثلاثون جريحاً يومياً، وقد ارتفعت نسبة وفيات الحوادث المرورية في سورية إلى الضعف ما بين عام ألفين وواحد، وعام ألفين وستة.

والغالبية العظمى من تلك الوفيات والإصابات في البلدان ذات الدخل المنخفض وسجلت أكبر المعدلات في إفريقيا والشرق الأوسط، ومعظم الوفيات من الشباب الذين تقل أعمارهم عن خمسة وعشرين عاماً، وأن عدد ضحايا حوادث الطرق قد يفوق ضحايا فيروس الإيدز أو الجلطة الدماغية، ففي أمريكا مثلاً يموت كل عام ثلاثة وأربعون ألف شخص في حوادث الطرق، أي أن عدد الذين يموتون كل أربعة وعشرين يوماً هناك يعادل عدد الذين قتلوا في هجمات الحادي عشر من أيلول، والتي قامت بعدها الدنيا ولم تقعد.

والكثيرون الذين يذهبون ضحايا حوادث الطرق.. يموتون ويتركون وراءهم المعاناة والألم لأسرهم وأقربائهم، والثكالى واليتامى، أو يصابون بعاهات قلبت حياتهم إلى جحيم لا يطاق، وحياة من يلوذ بهم إلى مآسٍ وأحزان، هذه حقائق مرة ولكنها أفضل ألف مرة من الوهم المريح.

## سبل العلاج

ولتقليل حجم الخسائر البشرية دعت منظمة الصحة العالمية إلى توجيه اهتمام خاص لخمسة من عوامل الخطر المحددة وهي: أحزمة الأمان، ومقاعد السلامة الخاصة بالأطفال، والتي يستهان بها في الوطن العربي، والكحول، والخوذ لمستخدمي الدراجات، والسرعة المفرطة وغير


أحزمة الأمان

الملائمة، والهياكل الأساسية للمركبات والدراجات، واستخدام الضوء النهاري.

ولعل تجنب الخمرة التي حرمها الله والتي وصفها النبي الكريم بأنها أم الخبائث من الأسباب المهمة لتقليل نسبة الحوادث، وتوجيه السائقين إلى تفادي الأمور التالية: السرعة، الإهمال، وعدم الانتباه، قيادة المركبة برعونة وطيش، عدم تطبيق القواعد المرورية، عدم توافر شروط المتانة والأمان في المركبة، القيادة في المناطق الوعرة، أجواء الأمطار والثلوج والضباب والغبار، وكذلك أهمية الإرشادات حول عبور المشاة للطرق بشكل آمن.




وهناك اقتراح وهو أن تضع الدول خططاً لتقريب المسافة بين المواطن وعمله أو مدرسته، وجمع ساعات الدوام للموظفين في فترة واحدة، ومن باب الاقتراحات الواجب دراستها، ابتكار آلية تعمل على توقيف عمل الهواتف المحمولة طوال فترة تشغيل محرك السيارة.

وبحسب منظمة الصحة فإن أحزمة المقاعد إذا استخدمت بالطريقة الصحيحة تقلل الموت في الحوادث بنسبة ٦١%، فيما يقلل استخدام مقاعد السلامة للأطفال الموت بنسبة ٣٥%، كما أن ارتداء "خوذة الرأس" عند قيادة الدرجات الهوائية والبخارية يقلل الموت أو إصابات الدماغ الخطيرة بنسبة ٤٥%، فيما أن تقليل السرعة بمقدار كيلومتر واحد يقلل عدد الحوادث بنسبة ٢%.. والآن إلى التوجيهات الدينية التي وردت في ديننا العظيم.

## لا تطلق لمركبتك العنان

يرى الفقهاء أن الإنسان المسلم ينبغي أن يتمتع بصفتين؛ الضبط والعدالة، الأولى صفة عقلية، والثانية صفة نفسية أخلاقية، والعدالة تسقط، في حالات كثيرة؛ منها ما ورد في الحديث الشريف:

**(( من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته))**


السرعة المفرطة

فالظلم والكذب والإخلاف يسقط العدالة، أما السلوكيات التي تجرح العدالة فهي كثيرة منها من أطلق لفرسه العنان، ويقاس على إطلاق العنان إلى الفرس ـ اليوم ـ السرعة الزائدة، فأطول مدة يمكن أن توفرها في أكبر مسافة في سورية عن طريق السرعة الزائدة هي نصف ساعة، وأطول مدة يمكن أن توفرها في أطول مسافة في المدينة هي خمس دقائق، وفي هذه النصف ساعة، وتلك الخمس دقائق يقتل فيها في كل عام ألفان وسبعمئة وستة وخمسون مواطناً، ويجرح خمسة عشر ألفاً وستمئة وثمانية وستون مواطناً، جراح معظمهم خطيرة، وقد قال الله عز وجل:

**(مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً )**

[ المائدة ٣٢ ]

وقال تعالى:

**(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا... وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً، وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً )**

[ النساء ١٣ ــ ١٤ ]

إطلاق العنان للمركبة كي تسير بسرعة هذا حكمها الشرعي؛ جرح عدالة الإنسان، فقد بعض حقوقه المدنية.

## لا ترفعوا أصواتكم

ومن السلوكيات الخاطئة في الشارع تلك الأصوات المزعجة لأبواق السيارات التي يتفاخر بها أصحابها، فتجد صاحب المركبة يقف أسفل البيت، وينادي زوجته ببوق مركبته من في الطابق العلوي، بدلا من أن يصعد إليه، يريح نفسه ويتعب الآخرين باستخدام آلة التنبيه... فيأتي الإسلام ويرد للشارع آدابه المفقودة. يقول الله تعالى:

( إِنّ الّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنّهُمْ صَبَرُوا حَتّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * )

وينبغي أن نفهم الآية على نحو موسع، نعم.. إن الآية تتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها تنظم وتهذب سلوكيات الناس في الطريق، إن من حق الناس عليك ألا تزعجهم فمنهم النائم... ومنهم الطالب الذي يدرس... ومنهم المريض... ومنهم الذي يصلي... واعلم أن الشارع ليس ملكك وحدك. وإذا كنت تقود مركبة عامة صغيرة أو كبيرة، فلا تسمع الركاب من خلال المسجلة ما لا يقبل عند كل الناس، فصوت المسجلة ليس ملكك وحدك.

## افسحوا يفسح الله لكم

ومن السلوكيات الخاطئة في الطريق.. أنك تجد سائق السيارة لا يسمح للسيارة التي خلفه أن تتجاوزه.. وإذا سألته ما السبب لم يجب، والأدهى من ذلك أن هذا التصرف أصبح عملاً لا شعورياً من كثرة ما تعوّد عليه السائقون ولكن الإسلام يعلمك السلوك الصحيح في هذه المواقف، يقول الله تعالى:

( يَا أَيُّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللّهُ لَكُمْ)

ومرة ثانية ينبغي أن نفهم الآية بمعناها الواسع، افسحوا ليس في المجالس فقط، ولكن في الطرق.. افسحوا يفسح الله لكم.. ومن السلوك الشاذ أنك تضيّق الطريق على الناس، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " ثلاث يصفينّ لك ود أخيك ".. منها " وأن تفسح له في المجلس "ويقاس عليها أن تفسح له في الطريق.

## إماطة الأذى عن الطريق صدقة




هل من السلوك السوي إلقاء الفوارغ والمخلفات من نافذة السيارة في الشارع ؟ يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( إماطة الأذى عن الطريق صدقة))**

رواه مسلم ١٦٦٨ وأبو داود ١٢٨٥

فما بالنا بمن يلقي الأذى في الطريق.. !! يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها قول لا اله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ))**

ومعنى ذلك أن إماطة الأذى عن الطريق جزء من الإيمان، فكيف بالذي يلقي الأذى في الطريق.

رواه البخاري ٩ ومسلم ١٥٢

يقول النبي صلى الله عليه وسلم، في حديث رواه البخاري ومسلم:

**((إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ))**

## آداب الجلوس والمرور في الطرقات

الطرقات هي بمثابة شرايين الجسم تنبض فيها الروح، فكيف إذا تفشى في هذه الشرايين داء ؟ فالسرعة هي الداء العضال، هي الداء الذي لا يستهان به، السرعة تحصد المئات لا بل الآلاف من الأرواح البريئة سنوياً، ويكاد عدد ضحاياه يتجاوز أعداد ضحايا الحروب والأمراض بين البشر مجتمعة.




فالسيارة أداة قتل خطيرة، وفي الوقت نفسه هي وسيلة نقل رائعة، إذن لابد من استعمالها الاستعمال الرشيد، حيث يستعملها بعض الناس بصورة تهدد بها أرواح الآخرين، فكثرت الحوادث بصورة خطيرة، وأصبح المصابون بها ما بين كسير وجريح ومقتول، ثم يترتب على هذه الحوادث خسائر مادية ومعنوية ومعاناة أسرية واجتماعية، وعلينا أن نفهم أن الطرقات وجدت لمصلحة البشر، ولتقريب المسافات، وتسهيل التواصل بين الناس، وقوانين السير في مجمل بلدان العال، وضعت لتنظم استعمال هذه الطرقات، وذلك ليس عبثا، إنما لدفع الأخطار عن سالكيها وتجنيبهم شر حوادثها، إن كل ما صنعه الإنسان لرفاهيته وتقدمه، يوجب المحافظة عليه بحسن استعماله، لأنه إذا أخطأنا أوأسأنا استخدام الطرقات فسيكون الطريق سلاحا ذا حدين ويشكل بالتالي خطرا محدقا على حياتنا يمكننا تفاديه بالانتباه والتروي واليقظة والوقاية. فالتقيد بأنظمة السير جزء من الدين لأنه يحقق بعضاً من مقاصده، الشريعة مصلحة كلها.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( إياكم والجلوس بالطرقات، فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه: غضّ البصر، وكفّ الأذى، وردّ السّلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ))**

رواه البخاري ٢٤٦٥ و٦٢٢٩ ومسلم ٥٥٢٨ و٥٦١٣

وهذا الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم ينسحب على من يمشي في الطريق، وعلى من يقود مركبته في الطريق.. الإسلام يضع لنا منهجا.. فيا أيها المؤمن طبق هذا المنهج في جلوسك في الطريق، وفي سيرك فيه ماشياً، وفي قيادة مركبتك فيه.

## الحركة الرفيقة

هناك من الناس صنف لا يراعي الآداب العامة، فتجده بعدما يدخل مكاناً.. سواء كان بيتا أو مصعدا، أو سيارة.. يغلق الباب بشدة، فتارة يكسر الزجاج، وتارة يفزع الناس..

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه ))**

رواه الإمام أحمد ٢٠٦١٦

أيها الأخ المواطن، أيها الأخ المؤمن، بالله عليك.. لم لا تجعل من هذا الحديث منهجاً لك في حياتك، فهو طريقك إلى السلوك اللطيف، فالمؤمن يتخلق بالكمال الإلهي، ومن أسماء الله الحسنى أنه لطيف.

## الهاتف المحمول

يؤكد خبراء الصحة العالمية أن استعمال السائقين للمحمول أثناء القيادة، حتى ولو كان عن طريق سماعات الأذن، يضاعف احتمالات وقوع الحوادث أربعة أضعاف مقارنة بمن لا يستخدمه أثناء القيادة.. أي بنسبة٤٠٠ %

وحينما يستخدم السائق الهاتف المحمول في أثناء القيادة يمكن أن يسبب حادثاً مروعاً، أو يزهق نفساً بريئة، ويمكن أن يمضي بقية عمره على كرسي متحرك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( من بات على سطح ليس بمحجور، فقد برئت منه الذمة، ومن رمى بليل، فقد برئت منه الذمة، ومن ركب البحر في ارتجاجه، فقد برئت منه الذمة ))**

ويقاس على ذلك استخدام المحمول في القيادة.

والأحاديث المروية حول نفس المعنى في إماطة الأذى عن الطريق ـ سواء كانت قاذورات، أو عوائق نباتية، أو مادية مثل الحجر وغيره، ومن المستجدات كالسيارات ـ كثيرة منها الأحاديث التالية:

ويميط الأذى عن الطريق صدقة.

بينما الرجل يمشي بطريق وجد غصن شوك فأخره فشكر الله له فغفر له.

لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين. ويقاس على ذلك:

المرور بطريق ممنوع، والطلب من الآخرين الرجوع.

الوقوف بمنتصف الطريق لشراء سلعة، أو قضاء حاجة.

الوقوف في رتل ثان بحيث يحبس السائق سيارة، ويضيق طريقاً.

الوقوف المتقدم على الإشارة بحيث لا يراها فيعيق مرور المشاة، ويعرقل سير المركبات.

وهناك مئات الحالات تحمل على هذه الأحاديث.

أيها الإخوة المؤمنون؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيّس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

والحمد لله رب العالمين

***

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، واشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

في الخطبة الأولى أسقطت مضامين كثيرة من النصوص الدينية على واقعنا المروري لأنها تحتمل ذلك، فالعبرة في النصوص التشريعية بعموم القصد لا بخصوص السبب، وسوف أعكس الآية في الخطبة الثانية، فأسقط ظاهرة مرورية متكررة على أخطر قضية في الدين ألا وهي الاستقامة على

أمر الله، مواطن يقود مركبته ووصل بها إلى تقاطع طريقين، والإشارة المرورية حمراء، وشرطي المرور واقف يراقب المركبات، وشرطي آخر على دراجة نارية لملاحقة المخالفين، وضابط مروري في سيارته ليمنع التواطؤ بين طرفين، وسائق المركبة مواطن من الدرجة الثانية لا يستطيع إيقاف ولا إلغاء العقوبة إذا خالف قوانين السير، ذلك لأن علم واضع قانون السير يطوله من خلال الشرطي الذي يراقب المركبات، وقدرة واضع قانون السير تطوله من خلال شرطي الدراجة، والضابط يمنع التواطؤ... في مثل هذه الحالة لا يمكن لهذا المواطن أن يخالف الإشارة الحمراء أو أن يتجاوزها، لأن علم واضع القانون يطوله بعلمه ويطوله بقدرته، بينما ـ وأنا لا أقر ذلك ـ يمكن لهذا المواطن أن يتجاوز الإشارة الحمراء بعد منتصف الليل، لأن علم واضع قانون السير لا يطوله، ويمكن لهذا المواطن أن يتجاوز الإشارة الحمراء في وضح النهار إذا كان أقوى من واضع القانون، لأن قدرة واضع القانون عندئذ لا تطوله.

ماذا نستنبط... أنت كإنسان لا يمكن أن تخالف قانوناً وضعه بشر إذا كنت موقناً أن علم واضع القانون يطولك، وأن قدرته تطولك.

والآن إلى الآية الكريمة:

**( اللّهُ الّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْض مِثْلَهُنّ يَتَنَزّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنّ لِتَعْلَمُوا أنّ اللّهَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنّ اللّهَ قَدْ أَحَاط بِكُلّ شَيْءٍ عِلْماً )**

[ الطلاق ١٢ ]

في الآية ملمحان؛ الأول أن علة خلق السماوات والأرض أن نعلم، وقبل أن نتساءل ما الذي ينبغي أن نتعلمه، نشير إلى أن الله جل جلاله أودع في الإنسان قوة إدراكية، وأن طلب العلم هو الحاجة العليا في الإنسان، ولكن ما الذي ينبغي أن نعلم من أجل أن نستقيم على أمر الله؟ ينبغي أن نعلم أن الله عليم وقدير؛ لقد اختار الله من بين أسمائه الحسنى التسعة والتسعين اسم القدير، واسم العليم، أي حينما يوقن الإنسان أن علم الله يطوله، وأن قدرته تطوله، عندئذ يستقيم على أمره، ولا يمكن أن يعصيه، هي كلمات ثلاث؛ الله يعلم وسيحاسب وسيعاقب، ورأس الحكمة مخافة الله، وإذا استقام على أمره سلم وسعد في الدنيا والآخرة، وعندئذ يكون قد حقق الهدف من وجوده، قال تعالى: مَا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً.

ليس هناك مِن مرحلةٍ في تاريخ أمّتنا نحنُ في أَمَسّ الحاجةِ فيها إلى التعاونِ والتكاتفِ والتناصرِ والتضامن كهذه المرحلة الدقيقة التي تمرُّ بها أمّتُنا العربيةُ والإسلاميةُ، ولاسيما في ظلّ النظامِ العالميّ الجديدِ، وفي ظلّ غيابِ التوازن الدوليّ، وتحَكّمِ القُطبِ الواحد، وازدواجيةِ المعايير، وسيطرةِ الاحتكاراتِ الكبرى، والتطوراتِ الهائلةِ في وسائل الاتصالاتِ والمعلوماتيةِ، وازديادِ الهُوّةِ بين الدول الغنية المتقدّمة والدول الفقيرة النامية، وانفجارِ الحروبِ الإقليميةِ والمحليةِ،

والصراعاتِ القبليةِ والدينيةِ والعِرْقيةِ في مناطق متعددة من العالم... إضافة إلى نهجِ العَولمة الثقافيةِ والاقتصاديةِ.

**والحمد لله رب العالمين**

الخطبة الإذاعية (٨٠) : خ١ - ولكل أمة أجل ، خ٢ - الاستقامة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-٠٧-١٣

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الخطبة الأولى:**

قال تعالى:

**( وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)**

لهذه الآية أبعاد كثيرة، ودلالات خطيرة.

١ – أولاً...

من هي الأمة ؟ جمعٌ كبير من البشر، لهم صفات مشتركة، وبينهم قواسم مشتركة، ومصالح مشتركة، الأمر الذي حدا بعلماء النفس إلى وضع علم جديد اسمه علم نفس الأمم، لأن معظم الأمم لها خصائص مشتركة فيما بينها.

مثلاً: الله عز وجل وصف بعض الأمم، فقال:

**( وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ )**

( سورة البقرة الآية: ٩٦ )

فهناك أمّة تقدس العمل، وأمة تقدس المال، وأمة غارقة في الشهوات، وأمة دينها الغزو والسيطرة، وأمة تعبد الأشخاص من دون الله، وأمة تقدس المبادئ، وأمة تقدس الحرية، وأمة تقدس الآباء والأجداد.

لكن الله سبحانه وتعالى خاطب الأمة العربية بهذه الآية فقال:

**( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ )**

وقد قال المفسرون: أي أصبحتم ببعثة النبي ( ص ) خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس .

وعلة خيريتها أنها:

**( تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)**

فإن لم نأمر بالمعروف، ولم ننهَ عن المنكر، ولم نؤمن بالله الإيمان الذي يحملنا على طاعته، نحن كأية أمة خلقها الله .

يقول عليه الصلاة والسلام:

**(( كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله ؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده، وأشد منه سيكون، قالوا: وما أشد منه ؟ قال: كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون، قالوا وما أشد منه، قال كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً ))**

تبدلت القيم .

[الفردوس بمأثور الخطاب]

والحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح... إذن لسنا خير أمة أخرجت للناس، ولا نملك أية ميزة على بقية الأمم، وهذا معنى قوله تعالى حينما رد على من ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، فقال لهم:

**( قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ)**

وإذا قال المسلمون اليوم: نحن خير أمة، نحن أمة سيد الأنبياء والمرسلين، فالرد الإلهي جاهز:

**( قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ)**

٢ – لكل أمّةٍ أجلٌ...

لكل تجمع كبير له صفات مشتركة، هذه الأمة التي كبرت، وقويت، وسيطرت، وطغت، وبغت... لها أجل، وهذه الأمة الخيرة التي آمنت بمنهج السماء، وارتقت في مدارج الإحسان... لها أجل، أيضاً،

**( وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ )**

الله عز وجل ضرب مثلاً للأمم الطاغية، المتجبرة، المستكبرة، التي تظلم العباد وتسفك الدماء، وتنتهك الأعراض، وتنهب الثروات، هذه الأمم المتجبرة، ضرب الله لنا مثلاً عنها قوم ( عاد ) فقال تعالى عنهم:

**( الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ )**

تفوق في شتى المجالات، وقال عنها:

**( وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً )**

تفوّق وغطرسة لا تحتمل، وقال عنها:

**( أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ )**

تفوق عمراني، وقال عنها:

( وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ )

تفوق صناعي، وقال عنها:

( وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ )

تفوق عسكري، وقال عنها:

( وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ )

تفوق علمي ....تفوق عمراني، وصناعي بشكل أو بآخر، وعسكري، وعلمي، وغطرسة، بل تفوق في شتى الميادين.

لو أردنا أن نلخص حركة عاد في الحياة ؛ فهما كلمتان:

( طغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ )

لم يقل طغوا في بلدهم، بل في كل البلاد، ولم يقل أفسدوا بلدهم، بل أفسدوا في كل البلاد .

( فَصَبّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ، إِنّ رَبّكَ لَبِالْمِرْصَادِ )

صب عذابه على عاد... لقد أدب بعاد بقية البلاد، ثم تولى تأديب عاد بذاته العلية .

كيف أهلكهم الله ؟ لقد أهلكهم بالأعاصير

( وَأَمّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، سَخّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ، فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ )

وما أهلك الله قوماً إلا وذكرهم أنه أهلك من هم أشد منهم قوة إلا عاداً حينما أهلكها الله عز وجل، قال:

( أَوَلَمْ يَرَوْا أَنّ اللّهَ الّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قوة )

أي ما كان فوق عاد إلا الله، ومع ذلك أهلكها الله .

وحينما قال الله عز وجل:

( وَأَنّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى )

( سورة النجم )

في هذه الآية إشارة لطيفة إلى أن هناك عاداً ثانية، والعالم يعاني منها ما يعاني، وصفات عاد الثانية تنطبق على صفات عاد الأولى.

( البنتاغون يقصف بالصواريخ

**( طغوا في البلاد )**

وهوليود تفسد بالأفلام

**( وأكثروا فيها الفساد )**

إذاً: الأمم الطاغية، وغير الطاغية لها أجل، أية أمة قوية جداً، لم يكن فوقها إلا الله، متغطرسة، مستكبرة، لها نفوذ في كل البلاد، خططت لتبني مجدها على أنقاض الشعوب، وتبني غناها على إفقار الشعوب، وتبني حريتها على قهر الشعوب، وتبني ثقافتها على محو ثقافات الشعوب، وتبني أمنها على إخافة الشعوب، وتبني قوتها على إضعاف الشعوب، وتبني عزها على إذلال الشعوب، هذه الأمة القوية، نجاح خططها على المدى البعيد يتناقض مع وجود الله عز وجل، لأن الله عز وجل يقول:

**( وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ )**

وبالتعبير الشعبي: لكل أمة عشرة أيام وتنقضي.

ومن مقتضيات الإيمان بالله ومسلماته أن قوى الأرض مجتمعة لا تستطيع أن تفسد على الله هدايته لخلقه، قال تعالى:

**( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ )**

لذلك لا ينبغي أن نقلق على هذا الدين، لأنه دين الله، ولكن ينبغي أن نقلق على أنفسنا إذا لم يسمح لنا أن نكون جنوداً له ٠ والباطل قديم قدم الإنسان، ولكن بطولتنا ألا نسمح له أن ينفرد بالساحة . لذلك، هذه الآية

**( لكل أمّةٍ أجلٌ )**

تدعو إلى التفاؤل، وهي تبعدنا عن الشعور باليأس وعن الشعور بالقهر، وعن الشعور بالإحباط، هذه المشاعر ليست من صفات المؤمنين الموحدين.

أين هم الرومان ؟ أين هم اليونان ؟ أين هم الفراعنة ؟ أين هم المغول ؟ أين هم الفرنجة ؟ وأين هو المعسكر الشرقي الذي رفع شعار لا إله ؟ وصدق الله العظيم إذ يقول إن الباطل كان زهوقاً .
٣ ـ معنى: لكل أمّةٍ أجلٌ:

ومعنى:

**( وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ )**

الذين ظلموا وسلبوا الأموال وانتهكوا الأعراض وسفكوا الدماء لم يَدُم لهم ذلك، بل أمد الله لهم في طغيانهم، ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر، ولو أراد خصومهم الانتقام منهم لما وصلوا إلى أدنى درجات انتقام السماء منهم، فما مِن شيء يستمر، وكل أمر مستقر **( وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ )**، فإذا رأيت طغياناً واحتلالاً، إياك أيها المؤمن أن تيأس، ولاسيما في البلاد الإسلامية والعربية المحتلة، إياك أن تشعر بالإحباط، إياك أن تستسلم، إياك أن تشعر أن الله تخلى عنك، إياك أن تضعف معنوياتك.

**( وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)**

( سورة آل عمران )

فالله سبحانه وتعالى لا يسمح للطغاة أن يكونوا طغاة، ولا يسمح لهم أن يعضوا المؤمنين، حتى يجعلوهم يصرخون... إلا ليحمل المؤمنين على أن يكفروا بالطواغيت ويؤمنوا بالله الإيمان الذي يحملهم على طاعته، وليصطلحوا معه، وبذلك تتحقق سلامتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، فالألم وسيلة للعافية لأنه يشعرك بأن وضعك غير طبيعي، فالطغاة والظالمون والجبابرة والمستكبرون لهم أجل معلوم ينتهي به طغيانهم، فالذين نالهم الطغاة بالعذاب ألجأهم الله عن طريق الطغاة إلى واحة الإيمان، ففروا إلى بيته حجاجاً تائبين، وإلى مساجده عماراً منيبين، وإلى تلاوة قرآنه ذاكرين ومحبين، فالطغاة لابد من أن يسخرهم الله لخدمة دينه ومنهجه من دون أن يريدوا، ومن دون أن يشعروا، ومن دون أجر ولا ثواب، فهناك شريحة كبيرة من المؤمنين لولا أن طغيان الطغاة مسهم لما فروا إلى الله تائبين منيبين، باحثين عن النجاة، ولما التفتوا إلى الله عابدين موحدين، ولا يسعنا إلا أن نقول للطغاة شكراً لكم لقد أعنتمونا على أن نكفر بكم .

**( فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)**

ولو علمتم ماذا قدمتم لدين الله وللمؤمنين من خير لم تريدوه، ولا تؤجرون عليه، لندمتم أشد الندم، فنحن بسبب طغيانكم أكثر وعياً، وأكثر تماسكاً، وأكثر قرباً من ربنا، وأكثر تفهماً لحقيقتكم المادية المتوحشة غير المتحضرة، وأكثر تفهماً لحقيقة ديننا وحضارتنا التي ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم منها، ولا تنسوا أيها الطغاة أن لكل أمة أجل، وإن فغرتم أفواهكم لهذه الحقائق التي لم تألفوها، فاسمعوا قول خالق السماوات والأرض:

**( إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ )**

لذلك... هذه الآية ترسم سياسة الله مع الطغاة:

( إنّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ )

علا علواً كبيراً وقال:

( أنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

وقال:

( مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إلَهٍ غَيْرِي)

لأنه ـ في ما ترويه الكتب ـ رأى رؤيا أن طفلاً من بني إسرائيل سيقضي على ملكه، فأمر بذبح أبناء بني إسرائيل جميعاً، القضية عند فرعون سهلة، فأي مولدة لا تخبر عن مولود ذكرٍ تقتل مكانه، لكن الطفل الذي سيقضي على مُلكه رباه فرعون في قصره، قال تعالى:

( فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً )

وهذا مِن حكم الله العظمى، والسياسة الواضحة لفرعون تؤخذ من قوله تعالى:

( إنّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا )

سياسته اعتماد الفتن الطائفية، هي الورقة الرابحة الوحيدة في يده، وأيدي كل الطغاة، قديماً وحديثاً، ولا يستطيع المسلمون إسقاط هذه الورقة إلا بوعي، وتقارب، ومحبة، وتعاون، فيما بينهم إذاً:

( إنّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إنّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ )

فالله عز وجل يسلط الذي لا يعرفه على المقصر الذي يعرفه، فإذا عاد المؤمن المقصر إلى الله، واستقام على أمره، قواه على الذي سلط عليه، فلعله يؤمن بعد كفره، هذه سياسة الله.

( وَنُرِيدُ أن نّمُنّ عَلَى الّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مّا كَانُوا يَحْذَرُونَ )

إذاً:

( وَلِكُلّ أُمّةٍ أَجَلٌ )

هذه الآية تملأ قلب المؤمن راحة وطمأنينة

( وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ )

الله عز وجل له امتحان صعب، وأظنه واقع بنا ـ نحن المسلمين ـ الله يمد أعداءه بالقوة استدراجاً، فيفعلون ما يريدون، ويدمرون ويقتلون، وينهبون و يسلبون، ويقولون ويتبجحون، ويتغطرسون، ويستعلون، ويهددون ويتوعدون، إلى أن يقول ضعاف الإيمان: أين الله ؟ وقد قالها الضعاف من

المؤمنين، ثم يظهر آياته، حتى يقول أعداء الله، وأعداء الخير، وأعداء الإنسانية: لا إله إلا الله، هناك امتحانان صعبان ؛ امتحان يوصل المؤمن الضعيف إلى أن يقول: أين الله، وامتحان آخر يوصل أعداء الله إلى أن يقولوا: لا إله إلا الله، وبعدها يمزقهم شر ممزق، ويجعلهم أحاديث .
وقد امتحن أصحاب النبي ( ص ) هذا الامتحان الصعب في معركة الخندق قال تعالى:

**( إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا..... مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا )**

من السهل جداً أن نعاين السلبيات، وما أكثرها في الأحداث الأخيرة، و لكن ليس من السهل ولا متاحاً لكل إنسان أن يكتشف الإيجابيات فيها، لأنها تحتاج إلى بعد نظر، وإلى قوة بصيرة وهذا ليس متاحاً لمعظم الناس، يضاف إلى ذلك أنه من منطلق العقيدة الإسلامية الصحيحة أن كل شيء وقع أراده الله، بمعنى أنه سمح به فقط، فلا يقبل ولا يعقل أن يقع في ملك الله ما لا يريد، وأن كل شيء أراده الله وقع فهو فعال لما يريد، وأن إرادته متعلقة بالحكمة المطلقة، لأن كمال الله مطلق، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق، قال تعالى:

**( قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ )**

[ سورة آل عمران: الآية ٢٦]

يضاف إلى ذلك أن لكل واقع حكمة، ولو كان الموقع مجرماً، لأن الله جلت حكمته يوظف الشر الذي تنضح به نفوس المعرضين في الخير المطلق، ولأن الشر المطلق لا وجود له في الكون، بل هو يتناقض مع وجود الله .

و بناء على هذا سنحاول تلمس الحكمة الربانية في الأحداث الأخيرة منطلقين من قوله تعالى:

**( فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا )**

[ سورة النساء الآية: ١٩]

من الحقائق المرة التي هي أفضل ألف مرة من الوهم المريح أن هناك خسائر لحقت، وتلحق بالمسلمين من خلال الأحداث الأخيرة، وثمة مكاسب للطرف الآخر حققها، وقد يحقق غيرها، ولكن السؤال المطروح كيف نتلمس المكاسب تحت ركام الخسائر ؟ و ما من شك أن لكل معركة خسائر ظاهرة ومكاسب خفية، والمتأمل في التاريخ يرى صوراً للنصر انبثقت من حطام المأساة، إذاً تفاءلوا ـ أيها المؤمنون ـ و كان عليه الصلاة و السلام يحب التفاؤل.

في الأحداث الأخيرة سقطت مبادئ القوم، وسقطت شعاراتهم، وأخفقت مؤسساتهم، وهيئاتهم، فالحرية والديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان وما شابهها، باتت مصطلحات محنطة من مخلفات الماضي، وكادت هذه القيم الغربية التي كانت براقة تصرف النفوس عن قيم الدين الأصيلة، وتخطف الأبصار عن مضامين وحي السماء، فلما سقطت مبادئ القوم وقيمهم، ولم يبق في ساحة القيم إلا قيم الدين، ولم يبق من خلق إلا خلق أهل الإيمان، كما أن الأحداث الأخيرة وسعت دائرة المقت للغرب البعيد و لمبادئه و لحضارته، و كثرت من سواد الرافضين لأفكاره و مبادراته، و أن كثيراً من المفهومات والأنماط و السلوكيات الاجتماعية سيعاد النظر فيها أعني تلك التي صدرت لنا من الغرب على مستوى الرجل و المرأة، وعلى مستوى الأسرة والعلاقات والنشاطات، فالمقت للغرب البعيد سيسري على مقت صادراتهم الفكرية، وأنماط حياتهم الاجتماعية، ولا مجال اليوم ولا غداً لمن كانوا ينظرون للغرب عامة على أنه قبلة الفكر، ونموذج القيم، فقد كشفت حقيقة القوم، وأصبح قوة غاشمة ليس غير، وآن الأوان للمسلمين أن يعتزوا بقيمهم الإسلامية، وأنماط حياتهم الاجتماعية.

و أما الآلة العسكرية فليست كما يقولون لحفظ العدل و السلام، بل للتدمير والاحتلال، ولا تفرق بين مدني و عسكري، و أن الآلة الإعلامية تلبست بالكذب و التزوير والاستخفاف بالعقول، و قد اتضح للمسلمين من خلال الأحداث الأخيرة أن الجهاد بمضامينه الشموليـة والعميقة لا يمكن أن يكون ردّ فعل مرتجل على خطر طارئ، إنما هو سلوك مستمر لكل أفراد الأمة بصرف النظر عن الظروف المحيطة، فالجهاد الأساسي هو جهاد النفس والهوى، ذلك أن المهزوم أمام شهواته و أمام حظوظه لا يمكن أن يقاوم عدواً، ولا أن يواجه نملة، أخذاً من قوله تعالى:

**( إِنّ اللّهَ لَا يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ )**

ومن إيجابيات الأحداث الأخيرة أنها قسمت العالم كله إلى فريقين ؛ فريق قوي متغطرس ظالم مجرم كذوب إرهابي إرهاب دولة وإرهاب تنظيم، وفريق مستضعف يتمتع ببقية من قيم ومبادئ يحاول بكل ما أوتي أن يدافع عن هويته ودينه وقيمه الحضارية، وعن أرضه المحتلة وتوصف مقاومته للمحتل ظلماً بالإرهاب .

وإذا رمزنا إلى الحق الصرف باللون الأبيض، وإلى الباطل الصرف باللون الأسود، وإلى الحق الذي لابسه الباطل، وإلى الباطل الذي لابسه الحق باللون الرمادي، فقد كان اللون الرمادي يحتل أكبر مساحة في العالم قبل الأحداث الأخيرة، وبعد الأحداث الأخيرة لم يبق إلا اللون الأبيض والأسود، واختفى اللون الرمادي، وقد أشار النبي الكريم إلى انحسار اللون الرمادي .

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: قال: كنا عند عمر فقال: أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن ؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلّكم تَعْنُون فتنة الرجل في أهل وجاره ؟ قالوا:

أجل، قال: تلك تكَفّرِها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيُّكم سمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن التي تموج موجَ البحر ؟ قال: حذيفة: أنا، فقال عمر أنت ....لله أبوك، فسكتَ القومُ، قال: حذيفة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تُعْرَض الفتن على القلوب كالحصير عَودا عَودا، فأيُّ قلب أشْربَها نُكِتَ فيه نُكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكِتَ فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: أبيضَ مثل الصّفا، فلا تَضرهِ فتنة، مادامت السموات والأرضُ، وقلب: أسود مُرْباَدّ، كالكوزِ مُجَخّيا، لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أُشرب من هواه .

**أتيــتُ القبورَ فساءلتُـــهَا   أينَ المُعَظّم والمُحْتَـقرْ؟!**

**و أين المـــذِلُّ بسلـطانه   وأين القويُّ على ما قـدرْ؟!**

**تفانَوْا جميعاً فما مـــخبر   وماتوا جميعاً ومات الخبرْ!!**

**فيا سائلـي عن أناس مَضَوا   أما لك فيما مضى مُعْتَبَـرْ؟!**

**تروح وتغدو بناتُ الــثرى   فتمحو محاسنَ تلك الصورْ!!**

ما العمل ؟ هناك ورقة عمل العمل، وقد لا يقبلها بعضهم:

هل يستقيم إيمانك بالله إذا توهمت أن الله لا يعلم ماذا يجري في الأرض من ظلم وجور واحتلال وقتل وسلب ونهب، فإذا قال الله عز وجل

**( وما تسقط من ورقة إلا هو يعلمها )**

فما قولك بسقوط صاروخ لا يبقي ولا يذر .

هل يستقيم إيمانك بالله إذا توهمت أن الله لا يقدر

**( أن يَكُفّ بَأسَ الّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدّ بَأْسًا وَأَشَدّ تَنكِيلاً )**

( زلزال تسونامي قوته تساوي مليون قنبلة ذرية ) وهو القائل:

**( وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً)**

وهو القائل أيضاً

**( وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ )**

هل يستقيم إيمانك بالله إذا توهمت أن الله لا يعنيه ما يجري في الأرض وهو القـائـل

**( وَهُوَ الّذِي فِي السّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ )**

وهو القائل:

**( وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبّكَ بِغَافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ )،**

وهو القائل:

( مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا )

هل يستقيم إيمانك بالله إذا توهمت أن أعداء الله يستطيعون أن يفعلوا شيئاً ما أراده الله، وأنهم يستطيعون أن يتفلتوا من عقاب الله، وهو القائل:

( وَلاَ يَحْسَبَنّ الّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ )

ومعنى ( سبقوا ) أي فعلوا شيئاً ما أراده الله، ومعنى ( لايعجزون ) أي لن يتفلتوا من قبضة الله .
إذن كل ما حدث، ويحدث، وسيحدث ضمن خطة الله، أو أن خطة الله استوعبت خطة أعدائه... لحكمة بالغة، بالغة، عرفها من عرفها، وما أقلهم، وجهلها من جهلها وما أكثرهم .
جاء في مصنف ابن أبي شيبة الجزء الثامن: الأثر التالي:

**((إني أنا الله لا إله إلا أنا، ملك الملوك، ومالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فإن العباد أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وإن هم عصوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخطة والنقمة ؛ فلا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك، وادعوا لهم بالصلاح، فإن صلاحهم بصلاحكم ))**

دخل على الإمام الجليل الحسن البصري سيد التابعين وفد من علية القوم يسألونه عن رأيه بأمير لهم ابتلوا به كان مفرطاً في استعمال الشدة معهم، فقال تعلمون رأيي فيه، فقالوا ولهذا أتيناك، فقال: لا تخرجوا عليه، بل اصطلحوا مع الله، لأن ظلم الأقوياء هي نقمة الله علينا، ونقم الله لا تدفع بالسيوف وحدها من دون توبة وإنابة، بل تدفع بالصلح مع الله وتطبيق منهجه أولاً، ثم بإعداد العدة المتاحة ثانياً، وإن نقمة الله المتمثلة بظلم الأقوياء إذا دفعت بالسيوف وحدها من دون توبة وإنابة كانت بعدها فتنة أقطع من السيوف، وهذا ما يعاني منه العالم الإسلامي اليوم ففي بعض بلاد المسلمين جاء بعد الطغاة الذين هم من جلدتهم جبابرة أجانب حملوهم على الترحم على طغاتهم .
أما البطل صلاح الدين فقد وصلت الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي في عصره إلى أشد من الأخطار المحدقة بنا اليوم، فبدأ بإزالة المنكرات، وأنشأ المدارس التي خرجت جيلاً من الشباب المؤمنين الواعين الملتزمين المنضبطين الذين حملوا هموم أمتهم، وتطلعوا إلى حمل رسالة السماء إلى شعوب الأرض، كي تستعيد أمتهم دورها القيادي بين الأمم، ثم أعد للفرنجة المحتلين العدة المتاحة تنفيذا لقوله تعالى:

( وَأَعِدّواْ لَهُم مّا اسْتَطَعْتُم مّن قُوّةٍ وَمِن رّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ)

وواجة سبعة وعشرين جيشاً فرنجياً وانتصر عليهم جميعاً، وتوجت انتصاراته في حطين، بعد تسعين عاماً من غزوهم واحتلالهم، وفتح القدس وأعادها إلى حظيرة المسلمين، ورفع رأس العرب والمسلمين أجمعين، وأنا أدعو إخوتنا في البلاد العربية والإسلامية المحتلة إلى المقاومة، وإعداد

القوة المتاحة للعدو، مع التوبة والإنابة والصلح مع الله جنباً إلى جنب، وملخص هذه الموضوع أنه ما لم نجمع بين إعداد القوة المتاحة بكل أنواعها، لأعدائنا الذين ينبغي أن يكونوا أعداء الله، وبين العودة إلى الله والصلح معه وتطبيق منهجه، فلن نستطيع أن نقف في وجه الطواغيت وما أكثرهم . ولا ينبغي أن يفهم من هذا الموضوع غير هذا الملخص .

والمسلم الذي يتعاون مع أعداء الأمة لتنفيذ مخططاتها، مثله كمثل منديل مسحت به أقذر عملية ثم ألقي في سلة المهملات .

**والحمد لله رب العالمين**

## الفهرس